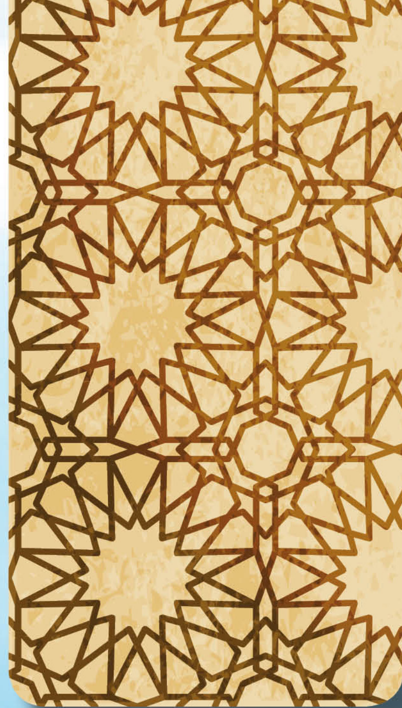


آراء ابن عجيبة العقدية

عرضًا ونقدًا

تأليف

الدكتور/ عبد الهادي بن عوض العمري



الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

ح

عبد الهادي عوض معوض العمري، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمري، عبد الهادي عوض معوض

آراء ابن عجيبة العقدية: -عرضًا ونقدًا. عبد الهادي عوض معوض العمري، المدينة المنورة . - ١٤٤٠هـ.

٩٨٠ ص، ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٦-١٤٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- ابن عجيبة الفاسي ، أحمد بن محمد ، ت ١٢٢٤هـ ٢- الإيمان (الإسلام)

٣- العقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٠/١١٠٤١

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٠٤١

ردمك: ٦-١٤٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٤١هـ، ٢٠١٩م

أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، نوقشت بتاريخ ١٤٣٩/٨/١٠هـ، وحصلت على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

الصَّف والإخراج: دار المنسِّق اللُّغوي

www.daralmunassiq.com

المقدمة

١- الافتتاحية.

٢- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٣- هدف البحث.

٤- الدراسات السابقة.

٥- خطة البحث.

٦- منهج البحث.

٧- الشكر والتقدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[(١)].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(٢)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

أما بعد:

فإنَّ الخيرية الثابتة بالكتاب والسُّنَّة لهذه الأُمَّة تتحقق باقتفاء أثر رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، فمن سلك سبيل الهدى نجا ومن حاد عنها ضلَّ وغوى، والنجاة من الضلالة لا تتم إلا بالاعتصام بالكتاب والسُّنَّة علمًا وعملًا ودعوةً وبيانًا، ومن فضل الله عَزَّوَجَلَّ على أُمَّة محمَّدٍ ﷺ أن قيَّض في كلِّ زمانٍ ومكان من يُبيِّن للناس انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ومغالات الغالين، ومن بيان

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

ذلك دراسة المؤلفات التي انتشرت بين الناس في مشارق الأرض ومغاربها وسطرتها أقلام ناس وثق بهم قومهم لما رأوا فيهم من صلاحٍ وضربٍ في شتى العلوم النقلية والعقلية ومؤلفاتٍ عديدة، فغرَّهم ذلك وانطوت عليهم تلك التأويلات الفاسدة والمحرَّفة؛ فظنُّوا أنه الحق، ولولا أنَّ أصحاب هذا القول كثروا وظهروا لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال، وإيضاح هذا الضلال.

وكان من بين القوم أحمد بن عجيبة، الذي ضرب بحظٍّ وافرٍ في التفسير والحديث، واللغة، والأدب، والتصوف، والعقائد، فألَّف ما يربو على خمسةٍ وأربعين كتابًا، تداولها الناس من عصره إلى يومنا هذا، وله مكانة عند الصوفية، وضريحه أصبح مزارًا.

لذلك استخرت الله عَزَّوَجَلَّ ثم استشرت أولي الفضل بأن تكون رسالتي لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: **آراء ابن عجيبة العقدية –عرضًا ونقدًا–**، والله أسأل التوفيق والسَّداد.

د. عبد الهادي بن عوض العمري

abdulhadi.alamri92@gmail.com

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- المخالفات العقدية التي بثَّها ابن عجيبة في كتبه لا سيَّما تفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، وكثرة كتبه وتنوعها، وفيها حكى وتكلَّم عن قضايا عقدية كثيرة.

٢- أنه مؤسِّسٌ لإحدى الطرق الصوفية، وهي الطريقة الدرقاوية.

٣- عناية المتصوفة بكتبه ونشرها والدفاع عنه ومدحه.

أهدف البحث:

١- جمع آراء ابن عجيبة العقدية.

٢- دراسة آراء ابن عجيبة في ضوء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

٣- تقرير وبيان مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في المسائل التي خالف فيها ابن عجيبة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والدراسة لم أجد من كتب عن آراء ابن عجيبة العقدية ولكن وجدت رسالة بعنوان: (**ابن عجيبة وآراؤه الصوفية، دراسة تحليلية نقدية**)، للباحث: علاء عشماوي زيدان عشماوي، من جامعة المنوفية كلية الآداب قسم الفلسفة، وهي دراسة لنيل درجة الماجستير، قام الباحث بالمقارنة بين ابن عجيبة وآراء أعلام التصوف السابقين عليه واللاحقين لبيان مدى التأثير وما إذا كان هناك ثمة جديد أتى به أو انفرد به، وبيَّن الباحث مدى ما تمتَّع به ابن عجيبة -من وجهة نظره- من ثراء فكري واهتمام كبير بالتصوف ورجاله وعن دوره في تبسيط الحقائق الصوفية.

وحسب اطلاعي على فحوى رسالته تبيَّن لي:

أولًا: أنَّ دراسةَ الباحث خاصَّةٌ بآراء ابن عجيبة الصوفية، ولم يدرس آراءَه العقدية.

وجاءت رسالة الباحث في خمسة فصول:

الفصل الأول: ابن عجيبة النشأة والتكوين الصوفي.

الفصل الثاني: مفهوم التصوف عند ابن عجيبة ولغته الرمزية.

الفصل الثالث: طريق التصوف عند ابن عجيبة والفناءِ في الحقيقة المطلقة.

الفصل الرابع: المعرفة الصوفية عند ابن عجيبة بين النظرية والتطبيق.

الفصل الخامس: موقف ابن عجيبة من قضايا التصوف الفلسفي.

وهي تختلف عما سأقوم به إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ من دراسة آرائه العقدية – عرضًا ونقدًا–وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

ثانيًا: أنَّ دراسة الباحث لم تكن مبنيَّةً على منهج أهل السُّنَّة والجماعة في العرض والنقد، وبيان حقيقة التصوف وموقف أهل السُّنَّة والجماعة منه.

ثالثًا: أنَّ الباحث أثناء كلامه عن ابن عجيبة يثني ثناءً كبيرًا على آرائه الصوفية، ويصف مؤلفاته –المليئة بالمخالفات العقدية– بالتراث الكبير، ويصفه بالشخصية الصوفية الكبيرة، وهذا قول الموافق لا المخالف.

رابعًا: أنَّ طريقة الباحث في دراسته لفصول رسالته أراد بيان آراء ابن عجيبة الصوفية وجهوده في الدفاع عن التصوف، وتقريب منهجه لكلِّ مريدٍ وباحثٍ في التصوف على حدِّ زعمه.

وأما الفرق بين دراستي للموضوع ودراسة الباحث فلا وجه للمقارنة

بينهما، لكن على سبيل الإجمال لا التفصيل أُضيف إلى ما سبق:

أولًا: اشتملت خطة بحثي على باب بأكمله في مصادر التلقِّي عند ابن عجيبة، وهذا لم يتطرَّق له الباحث.

ثانيًا: اشتملت خطة بحثي على باب في آراء ابن عجيبة في أصول الإيمان ومسائله، وهذا لم يذكره الباحث.

ثالثًا: ذكرت في خطتي آراء ابن عجيبة في الولاية والكرامة، وهذا لم يذكره الباحث.

رابعًا: اشتملت خطتي على موقف ابن عجيبة من أعلام الصوفية وطرقها، وهذا لم يذكره الباحث.

خامسًا: ذكرت في الفصل السادس التعريف بالطريقة الدرقاوية ودوره في تأسيسها وموقف علماء أهل السُّنَّة منها، وهذا لم يذكره أيضًا.

وثمة رسائل في فنونٍ أخرى، لا تَمُتُّ إلى الموضوع بصلة، وهي:

١- **الشيخ ابن عجيبة ومنهجه في التفسير**، للدكتور: حسن عزوزي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، تناول الباحث في رسالته منهج ابن عجيبة في تفسيره وقال: إن ابن عجيبة يذكر أسباب النزول بدون دقة، ولا عزو في كثير من المواضع، ويتعرض لفضائل السور والآيات، وتعرض الباحث لموقف ابن عجيبة من تفسير القرآن بأقوال السلف، وقال: لا يتعرض ابن عجيبة لسوق الآثار إلا قليلًا وفيها بواطلُ، وذكر الدكتور موقف ابن عجيبة من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات، ومنهج ابن عجيبة من الإسرائيليات وأنه يذكرها بدون تمحيص، فلا علاقة لهذه الدراسة بموضوع بحثي.

٢- **تحقيق البحر المديد** رسالة دكتوراه للباحث: أحمد عبد الله القرشي رسلان من كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر.

٣- **أحمد بن عجيبة شاعر التصوف المغربي**، للدكتور نور الدين ناس الفقيه، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة من كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، بفاس، قام الباحث بدراسة شعر ابن عجيبة في سياق رصد ما يزخر به المتن الشعري الصوفي بالمغرب من مميزات موضوعية فنية، رجع فيه إلى ديوان شعر ابن عجيبة، وكتاب (معراج التشوف إلى حقائق التصوف) ووجد فيه عددًا من المصطلحات الصوفية التي تخدم بحثه.

٤- **دراسة شرح ابن عجيبة على الحكم العطائية**، للباحث: محمد محمدي سليمان، رسالة ماجستير من كلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

والخلاصة أنَّ موضوع (**آراء ابن عجيبة العقدية، عرضًا ونقدًا**) لم يُكتب فيه بحثٌ وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة -حسب علمي-، والله أسأل أن يوفقني فيه للصواب.

خطة البحث:

تتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة، وفيها:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد، وفيه:

- ترجمة ابن عجيبة ترجمة موجزة.
- التعريف بالطرق الصوفية إجمالًا.

الباب الأول: **مصادر التلقي عند ابن عجيبة**، وفيه فصلان:

الفصل الأول: **الكتاب والسُّنَّة**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الكتاب.

المبحث الثاني: السُّنَّة.

الفصل الثاني: **المصادر الصوفية في التلقي**، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الكشف.

المبحث الثاني: الذوق.

المبحث الثالث: الوجد.

المبحث الرابع: الرؤى والحكايات.

المبحث الخامس: دعوى التلقِّي عن الخضر عليه السلام.

الباب الثاني: **آراء ابن عجيبة في أصول الإيمان ومسائله**، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: آراؤه في الإيمان بالله، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مسائل الربوبية.

المبحث الثاني: مسائل الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: مسائل الألوهية.

الفصل الثاني: آراؤه في الإيمان بالملائكة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: خلق الملائكة.

المبحث الثالث: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر.

الفصل الثالث: آراؤه في الإيمان بالكتب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الكتب.

المبحث الثاني: منزلة الإيمان بالكتب من الإيمان.

الفصل الرابع: آراؤه في الإيمان بالرسل، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالرسل والأنبياء عمومًا.

المبحث الثاني: الفرق بين النبي والولي.

المبحث الثالث: عقيدته في الرسول محمد ﷺ.

الفصل الخامس: آراؤه في الإيمان باليوم الآخر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أشراط الساعة.

المبحث الثاني: أحوال اليوم الآخر.

المبحث الثالث: الجنَّة والنَّار.

الفصل السادس: آراؤه في الإيمان بالقدر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى القدر ومراتبه.

المبحث الثاني: أفعال العباد.

المبحث الثالث: المشيئة والإرادة.

الفصل السابع: آراؤه في مسائل الإيمان، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإيمان والفرق بينه وبين الإسلام.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة.

الباب الثالث: آراء ابن عجيبة الصوفية، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: المريد والشيخ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم المريد والشيخ.

المبحث الثاني: الصلة بين المريد والشيخ.

الفصل الثاني: الولاية والكرامة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الولاية ومراتب الأولياء.

المبحث الثاني: الكرامة وأقسامها.

الفصل الثالث: الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحلول والاتحاد.

المبحث الثاني: وحدة الوجود.

الفصل الرابع: الأحوال والمقامات، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال.

المبحث الثالث: المقامات.

المبحث الثالث: الصلة بين الأحوال والمقامات.

الفصل الخامس: موقفه من أعلام الصوفية وطرقها وأثره على من بعده، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من أعلام الصوفية.

المبحث الثاني: موقفه من طرقها.

المبحث الثالث: أثره على من بعده.

الفصل السادس: التعريف بالطريقة الدرقاوية ودوره في تأسيسها، وموقف علماء أهل السُّنَّة منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالطريقة الدرقاوية.

المبحث الثاني: دوره في تأسيسها.

المبحث الثالث: موقف أعلام السُّنَّة من الطريقة الدرقاوية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العلمية.

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصطلحات والغريب.

٥- فهرس الأماكن والبلدان.

٦- فهرس الفرق والمذاهب.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

١- كثرة كتب ابن عجيبة وعدم توفرها في مكتبات المملكة العربية السعودية، مما جعل الباحث يسافر عدة مرات إلى المملكة المغربية وينقِّب في المكتبات للحصول عليها.

٢- ظهر للباحث أن لابن عجيبة مخطوطات، وهذا مما أثقل هم الباحث في معرفة أماكنها وطريقة الحصول عليها، رغم أن الباحث لم يدون في منهج بحثه أنه سيرجع إليها، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يسرَّ للباحث التواصل مع السفارة السعودية في المملكة المغربية، وأخذ خطابًا من الدكتور خالد بن فرج آل مطلق الملحق الثقافي- السابق- بالرباط موجهًا للجامعات المغربية والخزانات المختصة بالمخطوطات لتسهيل إجراءات البحث والاطلاع، والحصول على نسخ من المواضيع والمخطوطات التي تهم الباحث.

٣- صعوبة قراءة المخطوطات فلقد كُتبت بخط الرعشة المغربي، مما تطلَّب بذل الجهد في قراءتها والاستعانة بمن يوثق به وله دراية بقراءة خط الرعشة.

٤- آثرت أن أوثِّق ما كتبته في المقدمة بأن له ضريحًا يزوره الصوفية كل سنة، فاستشرت فضيلة المشرف على الرسالة أن أذهب إلى مكان الضريح، وأوثق ذلك بالصور لكي لا يكون الكلام جزافًا، فشدَّ من أزري وشجَّعني على ذلك، ولكن الأمر لم يكن سهلًا كما ظننته؛ لأن مكان الضريح يوجد في منطقة يقال لها خميس الانجرا(١) والتي تبعد عن مدينة طنجة ٦٠ كلم، إلا أن الضريح لا يوجد في هذه

(١) خميس الانجرا: لم أجد معلومات عنها في الكتب، ولكن سألت مغربيًّا فقال: هي قرية صغيرة يجتمع الناس فيها كل خميس؛ لأنَّ فيها سوقًا يُقام كلّ خميس يسمى سوق الانجرا، وسكانها بيوتهم متفرقة في نواحي هذه القرية.

الأخيرة بل يوجد في أعلى الجبل في منطقة يقال لها الزميج، وعند وصولي إليه وجدت رجلًا مسنًّا معه مفتاح للضريح، ففتح لي، وقمت بتوثيق ضريحه، وكذلك أضرحة أبنائه.

ثم ذهبت بعد ذلك لتوثيق ضريح صاحب الطريقة الدرقاوية في منطقة بني زروال والتي توجد في شمال مدينة تطوان، وكل ذلك موثق في ملاحق الرسالة.

٥- كثرة استخدام ابن عجيبة للرموز الصوفية، مما جعل عباراته غامضة، فقد يلبس على من ليس له دراية بكلام القوم بأنَّه على حق، خاصة في كتابه البحر المديد، الذي سار في منهجه بتفسير الآيات بالظاهر والباطن، وهذا يتطلب الرجوع إلى كافة كتبه ومخطوطاته لكي يكون الحكم على قوله دقيقًا ومنصفًا.

منهج البحث:

سلكت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي وفق ما يلي:

١- جمع المادة العلمية ومعرفة آرائه العقدية.

٢- نقدها في ضوء مذهب السلف.

٣- عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها من القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

٤- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به وإلا خرجته من مظانه مع ذكر حكم الأئمة عليه.

٥- توثيق الآثار الواردة في البحث إلى مصادرها.

٦- شرح الألفاظ الغريبة.

٧- التعريف بالفرق والطوائف والمذاهب والأماكن والبلدان.

٨- تذييل البحث بالفهارس اللازمة.

٩- التعريف بالأعلام غير المشتهرين.

الشكر والتقدير

الحمد لله ﷻ الذي أنعم عليَّ بفضله وكرمه على إتمام هذا البحث.

والشكر الجزيل لمن قرن الله ﷻ شكره بشكرهما فقال في كتابه الكريم: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(1) والداي اللذان ربياني صغيرًا وسهَّلا لي طلب العلم بتشجيعهما ودعائهما، وأسأل الله ﷻ أن يوفقني لبرّهما ويمتّعني بصحتهما، والشكر كذلك لزوجتي أم صهيب لصبرها وجهودها.

وعملًا بقول النبي ﷺ: «من صنع لكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»(2)، وقوله ﷺ: «لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ النَّاسَ»(3)؛ فإنِّي أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله التركي الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة على تفضُّله بالإشراف على هذه الرسالة ومتابعتي وحثِّي دائمًا على الدقَّةِ في الألفاظ والتحرِّي في الصواب مما كان له أثر في إخراج هذا البحث بحلَّته التي أرجو أن يكون على النحو المأمول.

وأتوجَّه بالشكر أيضًا للمناقِشَين الكريمين اللذين تفضَّلا بفحص هذه الرسالة وتقويمها، وهما: أ. د. عبد الله بن محمد السَّند، (عميد كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- سابقاً- والأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب

---

(1) سورة لقمان: ١٤.

(2) أخرجه الإمام أحمد، ٢٦٦/٩، رقم ٥٣٦٥، وأبو داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، ٣١٠/٢، رقم ١٦٧٢، والنسائي، كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عزَّ وجل، ٨٢/٥، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث صحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣١٤/١.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ١٥٧/٥، رقم ٤٨١١، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٢٩٩/٤، رقم ١٩٥٤، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ١٥٩٢.

المعاصرة)، و أ. د. سليمان بن سالم السُّحيمي (رئيس قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً).

كما أتوجه بالشكر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلةً في كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة على ما تقدِّمه لطلابها من اهتمامٍ وحسن رعاية.

ولا يفوتني أن أشكر مدير تعليم المدينة النبوية الأستاذ ناصر بن عبد الله العبد الكريم على تشجيعه لمنسوبي إدارته من مشرفين ومعلمين، وتذليل الصعوبات لهم لإكمال الدراسات العليا لمرحلتي الماجستير والدكتوراه في الجامعات الداخلية والخارجية، مما يحقق الأثر المنشود والنفع الموعود بإذن الله ﷻ لهذه الدولة المباركة المملكة العربية السعودية.

والشكر أيضًا للملحقية الثقافية السعودية في مدينة الرباط بدولة المغرب على اهتمامهم وتزويدهم لي ببعض الكتب والمراجع التي كانت مهمة في بحثي من داخل مكتبة الملحقية أو من خارجها، وشكري الخاص لمدير الملحقية الأستاذ عبد الله البخيت على حفاوة الاستقبال والحرص على بذل كل ما في الوسع من تزويدي ببعض المراجع.

وكذلك شكري وتقديري لمن فتح لي بيته وقلبه في مدينة الرياض أثناء دراستي لمنهجية الدكتوراه الأخ الفاضل اللواء مرزوق بن مبيريك الحربي، قائد المجموعة المرافقة، والمشرف على الحراسة لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله والمستشار لوزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن سعود بن نايف آل سعود فجزاه الله خيرًا وجعل ذلك في موازين حسناته.

التمهيد

وفيه:

١- ترجمة ابن عجيبة ترجمة موجزة.

٢- التعريف بالطرق الصوفية إجمالًا.

ترجمة ابن عجيبة ترجمة موجزة

أولًا: اسمه ونسبه وكنيته

قال: أنا أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجي(١)، ثم يذكر بعد ذلك الصلة بين عبد الله بن عجيبة والبيت الحجوجي فيقول: "الحجوجي بن سيدي بن عبد الله بن عجيبة ثم إلى سيدي سحنون ابن مولاي إبراهيم بن مولاي محمد بن مولاي موسى بن مولاي بن عبد الله ثم إلى مولاي أحمد بن مولاي إدريس الأصغر بن مولاي إدريس الأكبر، هكذا رأيت بخط جدي الحسين المذكور أعني الجمع بين النسبتين ابن عجيبة والحجوجي"(٢).

أما كنيته فيكنَّى بأبي العبَّاس(٣).

والملاحظ أن ابن عجيبة يصر على أن يلصق نسبه بآل البيت(٤)، فأكد على نسبته بعبد الله ابن عجيبة الذي يتصل نسبه بالأدارسة(٥) أشراف المغرب.

---

(١) وهذا اللَّقب أُطلق على جدِّه -بزعمه- أنَّه يقف كل عام مع الحجاج بعرفة على سبيل الطي وخرق العادة، وهذا ديدن الصوفية من الخرافات التي لا يصدقها من لديه أدنى مسكة عقل. ينظر: الفهرسة، لابن عجيبة، ص١٦.

(٢) الفهرسة، ص١٦.

(٣) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ٥٢٦/١.

وقد أخطأ محمد مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية عند ترجمته لابن عجيبة بقوله: "هو أحمد بن عجيبة الفاسي"، وعُرف عن ابن عجيبة أن مركزه الأصل في بني زروال ثم انتقل إلى تطوان واستقرَّ بها، وأمَّا القول بأنه فاسي فإنَّه خطأ، فهو زار فاس للعلم ولم يمكث بها، وكذلك أخطأ في زمن وفاته، حيث قال: توفي سنة ١٢٦٦هـ، وإنما كانت وفاته سنة ١٢٢٤هـ. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ٤٢٦/٢.

(٤) ومن تتبَّع كتب المتصوفة يجد أنَّ شيوخ المتصوفة يلصقون أنفسهم إمَّا بالحسن أو الحسين عن طريق الرؤى؛ لكي تكون لهم حظوة عند أتباعهم، ينظر: طبقات الشاذلية الكبرى، ص٢٦٦.

(٥) الأدارسة: بطنٌ من بني الحسن السبط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من بني هاشم من العدنانية، وهم بنو =

وهذا يظهر من خلال النقاط الآتية:

١- عدم موافقة بيت عبد الله بن عجيبة على ذلك، فقد سعوا إلى عزلهم.

قال ابن عجيبة: "ولقد وقعت مشاجرة كبيرة بين الفريقين في حياة شيخنا العلامة سيدي عبد الكريم بن قريش حين أرادوا أن يعزلونا من نسب الشيخ ابن عجيبة"(١).

٢- ابن عجيبة كان يعُرف آباؤه باسم الحجوجي.

٣- تسمية ابن عجيبة لم تكن مشتهرة له سوى لأبناء عبد الله ابن عجيبة، والذي زعم ابن عجيبة أن جده الحسين بن محمد هو ابن أخيه.

يقول ابن عجيبة: "ولم نقف أيضًا على تحقيق نسبه أعني سيدي الحسين، غير أن الظن القوي به أنه من قرابة شيخه عبد الله بن عجيبة، بل ولد أخيه"(٢).

٤- شك في نسبه، يقول: "... فقلت له يا سيدي(٣)، هل وقفت على صحة نسبنا؟ فنظر إليَّ وقال: لا تشك"(٤).

٥- إضافة إلى أنه كان مهتمًا بهذا الأمر، قال: "ولقد كنت فيما أسلفت

=

إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، كان لهم ملكٌ بالمغرب الأقصى، وكان السبب في ذلك أنَّه خاف من الهادي العباسي ففرَّ إلى بلاد المغرب فتعصَّب له متعصِّبون وملك المغرب الأقصى سنة ثلاث وسبعين ومائة، ثم ملك بعده أولاده إلى أن غلبهم على ذلك المنصور بن أبي عامر من القحطانية، واستولى على ما بيدهم من ذلك مع ما بيده من الأندلس. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٥٩/١.

(١) الفهرسة، ص١٧.

(٢) الفهرسة، ص١٧.

(٣) أي شيخه العربي الدرقاوي.

(٤) الفهرسة، ص١٩.

مهتمًا بهذا الأمر"[1].

ولكن كيف دفع ابن عجيبة هذه الشكوك؟

لقد اتخذ من أقوال الشيوخ، والأولياء، والرؤى مصادر لصحة إلصاق نسبه بالبيت النبوي.

أ- قول شيخه الدرقاوي له: "... وأنا[2] قد خصَّني الله تعالى بخصوصية وهي أني مهما رأيت الشريف نعرفه من غيره، والله على ما نقول وكيل"[3]، وعندما سأله ابن عجيبة: "يا سيدي هل وقفت على صحة نسبنا؟ فنظر إليَّ وقال: لا تشك ولقد هممت أن أكتب بصحة نسبكم على ظهر كتابك، يعني شرح الحكم"[4].

ب- الرؤى، قال: "وقف عليَّ في النوم رجل بيده كتاب فقال: خذ تنظر ترجمة جدكم، ففتحت الكتاب فإذا فيه خط رائق، فجعلت أتصفح أوراقه لنقف على الترجمة، فكلَّمني فلما نظرت إليه قال لي: جدكم هو عبد الله بن عجيبة بن فلان بن فلان بن فلان، فما زال يذكر أسماء الأجداد إلى عمر بن إدريس"[5].

ج- الخلاصة مما سبق أن ابن عجيبة يصل إلى قضية أشغلته قرابة سبعٍ وأربعين عامًا[6] وهي: صحة تأكيد نسبه فهو يقول: "وقد كنت أتنكب الانتساب، وأتحرج منه في شهادتي وكتبي، لعدم تحقق ذلك حتى رأيت شيخنا وشيخه وهما:

---

(١) الفهرسة، ص١٧.

(٢) شيخه الدرقاوي.

(٣) الفهرسة، ص١٩.

(٤) الفهرسة، ص٢٠.

(٥) الفهرسة، ص١٩.

(٦) يتبيَّن هذا التحديد -والله أعلم- من خلال التالي: ١- ولد سنة ١١٦١هـ، ٢- سلك الطريقة على يد شيوخه عام ١٢٠٨هـ، ٣-كتابتهما له أثناء المراسلة له فقوي اليقين بصحَّة النسبة.

(العربي الدرقاوي، والبوزيدي) يصرحان به في كتبهما لي ولأخي وهما يتكلمان بالله، وينظران بنور الله فعلمت صحة النسبة مع الحكاية المتقدمة قبلُ والرؤيا ... فقوي اليقين بصحة النَّسب"(١).

ثانيًا: ولادته

ولد ابن عجيبة سنة ١١٦٠هـ، بمدشر أعجيبش من قبيلة الحوز(٢)، وهذه القبيلة إحدى القبائل الجبلية الواقعة بين مدينة تطوان(٣) وسبته(٤) والأرض التي عليها تطوان وضواحيها تعد قطعة من هذه القبيلة، وقبيلة الحوز قسمان:

١- الحوز البحري وهو المتصل بالبحر الأبيض المتوسط.

٢- الحوز البري وتفصله الجبال عن البحر(٥).

ولقد وقع كثير من أصحاب التراجم، في اضطراب أثناء تنصيصهم على تاريخ ولادته ومكانها، فإنهم نصَّوا على أن ولادته كانت في حدود عام ١١٥٩هـ، وأنه ولد

---

(١) الفهرسة، ص٢٠.

(٢) الحوز: إحدى القبائل الجبلية الواقعة في مدينتي تطوان وسبته شمال المغرب، والأرض التي عليها مدينة تطوان وضواحيها تعد قطعة من هذه القبيلة، وقبيلة الحوز قسمان: الحوز البحري وهو المتصل بالبحر الأبيض المتوسِّط، ومنه مداشر بني سالم، والسرور، والكوف، ووادي الزرجون. ينظر: تاريخ تطوان، محمد داود ١٧٥/٦.

(٣) تطوان: وتسمى أيضًا تطاون، عاصمةُ المنطقة الشمالية للمغرب، احتلَّها الأسبان أول مرة سنة ١٢٨٦هـ، ثم انجلو عنها بعد ذلك، وتقع تطوان على بعد ١٠ كلم من شاطئ البحر المتوسط، وتبعد عن مدينة سبته حوالي ٤٠ كلم، وعن طنجة ٦٠ كلم. ينظر: المملكة المغربية تعريف بالمدن والقُرى والقبائل والأسر والجهات، ص٩٧-٩٨.

(٤) سبتة: مدينة من بلاد الأندلس على شاطئ مجمع البحرين، استولى البرتغاليون عليها سنة ٨١٨هـ، وسُكَّانها خليطٌ من المسلمين والنصارى واليهود، ينظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب ١٥٢/١، معجم البلدان ١٢٨/٣.

(٥) ينظر: تاريخ تطوان ٢١٤/٦.

في تطوان[1]، وهذا خطأ، والذي أوقعهم -والله أعلم- في هذا عدم اطلاعهم على كتاب الفهرسة لابن عجيبة.

وما قيل أنه ولد في تطوان لا يسلم لهذا القول، فابن عجيبة يقول عن نفسه: "قدم بي أبي وأنا صغير لمدينة تطوان بقصد زيارة علمائها"[2].

ثالثًا: نشأته

عند سبر حياته يتضح أن ابن عجيبة منذ أن نشأ كان محبًا للصوفية متأثرًا بأسرته، ولكنه لم ينخرط في التصوف كمنهج إلا بعد أن التقى بشيخه البوزيدي وسلك الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وهذا يدل على أنه لم يكن سالمًا من لوثة التصوف التي اكتسبها من أسرته، فلقد ذكر عدة أمور دلَّت على ذلك منها:

١- ما ذكره من تعبده في زاوية جده الحسين الحجوجي، قال: "وخلوته التي كان يتعبد فيها مشهورة ... وقد تعبدنا فيها بعض الأيام"[3].

٢- ذكره لكرامات جداته وخرافاتهم الصوفية[4].

٣- وكذلك الثناء على نفسه منذ طفولته، بأنه حُفظ وعُصم، وأنه أُلهم منذ صغره لحب الخلوة، والوحدة[5].

---

(١) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص٤٠٠، واليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، ص٧٠.

(٢) الفهرسة، ص٤٠.

(٣) الفهرسة، ص١٦.

(٤) الفهرسة، ص١٦، ٢٤، وسيأتي لها مبحثٌ مستقلٌ في موضعها.

(٥) الفهرسة، ص٢٨.

رابعًا: طلبه للعلم

أ- طلبه للعلم في الصغر(١١٦٠هـ-١١٧٨هـ).

وضح أنه ابتدأ الطلب صغيرًا، فيقول عن نفسه: "ألقى الله تعالى في قلبي محبة العلم وأنا في حال الصبا"(١)، فقرأ كتابًا في أحكام الصلاة(٢)، ثم شرع بمدارسة القرآن وحفظه، ثم تلقى إتقانه بالتجويد على يد شيوخه.

ب- طلبه للعلم في طور الشباب (١١٧٨-١٢٠٨هـ).

قال: "ولما بلغت من العمر تسع عشرة سنة أو ثمان عشرة سنة شرعت في قراءة العلم الظاهر"(٣).

وكان طلبه للعلم ابتداءً في تطوان، ثم انتقل إلى مدينة القصر الكبير(٤) وبقي فيه عامين مشتغلًا بالعلم إذ يقول: "ولما اطمأن بنا الموضع اشتغلت بقراءة العلم ففنيت فيه فناءً عظيمًا حتى أهملت نفسي، ونسيت أمرها"(٥)، ثم عاد بعد ذلك لتطوان عندما أُصيب بالحمى(٦).

---

(١) الفهرسة، ص٢٦.

(٢) القرطبية، لأبي العباس الأنصاري المتوفى سنة ٦٥٦هـ. ينظر: الفهرسة، ص٢٦.

(٣) الفهرسة، ص٢٩، وقصده بالعلم الظاهر: علم الحديث، والتفسير، والفقه، والنحو، والسيرة، والمنطق. ينظر: الفهرسة، ص١٠١.

(٤) القصر الكبير: مدينة تقع في مفترق الطرق بين العرائش وفاس وطنجة تحيط بها الجنان والحقول والبساتين التي يسقيها نهر اللكوس، وبضاحية المدينة على مقربة من إحدى محطات القطار الذاهب من القصر إلى طنجة توجد السهول التي وقعت فيها معركة وادي المخازن التاريخية بين الجند السعدي والجند البرتغالي، سنة ١٥٧٨. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٨٣.

(٥) الفهرسة، ص٢٠.

(٦) الفهرسة، ص٣٠.

خامسًا: شيوخه

بدأ ابن عجيبة بذكر أشياخه[1] الذين تتلمذ على أيديهم فذكر أنه:

١- حفظ القرآن على يد جده المهدي بن الحسين بن عجيبة.

٢- أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الورزازي أصلًا التطواني دارًا وموطنًا، قال عنه ابن عجيبة: له مشاركة حسنة في فنون من العلم كالفقه، والنحو، والبيان، والأصول، والحساب، والتنجيم، توفي عام ١٢١٤هـ[2].

٣- محمد بن الحسين الجنوي، درس على يديه: مختصر خليل، ومختصر السبكي، وورقات الخطاب في الأصول للجويني، وقرأ عليه صحيح البخاري مرتين، وجزءًا من صحيح مسلم، والرسالة في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني، وحكم ابن عطاء، وأصول الطريقة في التصوف، وجزءين من تفسير القرآن العظيم[3].

٤- أحمد بن عبد الرحمن الرُّشَاي بضم الراء وفتح الشين (أو الرشي أو الرشاوي)، قرأ عليه ألفية ابن مالك، ومختصر خليل، والسلم للأخضري[4].

٥- عبد السلام بن محمد بن محمد بن قاسم بن سعيد بن قريش، قاضي تطوان، درس عليه تفسير القرآن العظيم، وشمائل الترمذي، توفي سنة ١٢٠٧هـ[5].

٦- عبد الكريم بن قريش، قرأ عليه التفسير، وصحيح البخاري، ومختصر خليل، والرسالة، وتحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي، والألفية، ولامية الأفعال لابن

(١) ينظر: الفهرسة، ص٢٧.

(٢) ينظر: تاريخ تطوان ١٥٦/٦، وفهرسة أبي عبد الله الورزازي، ص٥.

(٣) الفهرسة، ص٣٢.

(٤) ينظر تاريخ تطوان ٣٣٣/٧.

(٥) المرجع نفسه ١٥٢/٦.

مالك، وجزءًا من مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، والسلم في المنطق، وتلخيص المفتاح في البيان، ومختصر السبكي في الأصول، والشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، والهمزية في مدح خير البرية للبوصيري(١).

٧- أبو عبد الله محمد بَنِّيس الفاسي بفتح الباء وتشديد النون المكسورة، درس عليه الفرائض، وجزءًا من التسهيل لابن مالك في النحو(٢) وقال عنه: وهو شيخنا الفهامة فرضي وقته، وإمام عصره، واختص بعلم الفرائض فإليه الملجأ بفاس في حل مشكلاته(٣).

٨- محمد التاودي ابن سودة، أخذ عنه الفقه والحديث، ووصفه بقوله: الفقيه المحدِّث(٤).

٩- محمد بن أحمد بن غيلان، جلس ابن عجيبة في حلقته مرة أو مرتين(٥)، وصفه بأنه كان فقيهًا، عالمًا عابدًا(٦).

١٠- أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن شطير الحسني، قال عنه ابن عجيبة: "كان فقيهًا نحويًا محدثًا، سمعت منه جزءًا من ألفية ابن مالك، وكان يُدرِّس صحيح البخاري في مسجد الرابطة بتطوان، ومختصر خليل، توفي سنة ١١٩٠هـ"(٧).

---

(١) الفهرسة، ص٣١.

(٢) الفهرسة، ص٣٢.

(٣) مخطوط طبقات العلماء والصلحاء الأعيان ل/٢٢٨.

(٤) المرجع السابق ل/٢٢٨-٢٢٩.

(٥) الفهرسة، ص٣١.

(٦) مخطوط أزهار البستان في طبقات الأعيان ل/٢٣٠.

(٧) المرجع نفسه ل/٢٢٥، ل/٢٢٦.

سادسًا: تلاميذه

في الحقيقة لم يذكر ابن عجيبة أسماء تلاميذه الذين تلقوا عنه العلوم، بل ذكر في كتابه الفهرسة عنوانًا "ذكر من أخذ عنا التربية النبوية من الفقراء والمتجردين والمنتسبين، ولم يذكر أحدًا باسمه، وعلل سبب ذلك كثرتهم وعدم استقصاء عددهم"[(١)].

وفي موضع آخر فاضل بينهم، وقسمهم إلى قسمين فقال:

١- قسم درس على يدية علم الظاهر، ولكنه وصفهم بالضعف فقال: "فأما من كنا زرعنا فيه العلم الظاهر حين التدريس فكانت ثمرته ضعيفة، فمنهم من صار قاضيًا أو إمامًا للتدريس ومنهم من اشتغل بأسباب المعاش"[(٢)].

٢- وقسم درس على يديه علم الباطن، ولقد وصفهم بحصولهم على الغنى الأكبر فقال: "وأما من زرعنا فيه العلم الباطن فجلهم حصل له الغنى الأكبر ودخلوا مقام الإحسان بالذوق أو العلم إذا كان متجردًا، وإن كان متسببًا حصل له القناعة، والاستقامة، والتقوى، وتنوير الباطن فكلهم على بيِّنة من ربهم"[(٣)].

وعند التنقيب والبحث وجدت بعضًا من المؤرخين ذكر أسماء بعض تلاميذه.

منهم: أبو محمد عبد السلام بن أحمد سكيرج التطواني المتوفى سنة ١٢٥٠ قرأ على ابن عجيبة النصيحة الزروقية، والبردة للبصيري، والنحو والصرف، وعبد الله بن علي شطير، قرأ على ابن عجيبة تلخيص المفتاح[(٤)]، وعبد الغفور بن التهامي البناني،

(١) الفهرسة، ص٧٧.

(٢) الفهرسة، ص٧٥.

(٣) الفهرسة، ص٧٧.

(٤) ينظر: تاريخ تطوان ٧/٣٣٠.

والذي نسخ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد وحاشية ابن عجيبة على الجامع الصغير للحافظ السيوطي[1].

سابعًا: مؤلفاته

١- تسهيل المدخل لتنمية الأعمال بالنية الصالحة عند الإقبال

وهو أول كتاب ألَّفه ابن عجيبة عام ١١٩٦هـ وهو يبحث في النية، فلقد ذكر فصلًا في نيات لباس الثوب، وذكر سبعة عشر مجالًا للنية في ذلك، فقد يلبس الثوب بنية ستر العورة وذلك واجب، وقد يكون من أجل التزين امتثالًا للسنة في إظهار النعم ... وذكر أن من أسباب تأليفه دراسته لكتاب الحكم لابن عطاء الله[2]، والمدخل لمحمد ابن الحاج الفاسي[3]، وقوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي[4].

وهذا الكتاب توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم ١١٤٨ك، ضمن مجموع، ص٢٤٩-٣٢١، ونسخة بخزانة تطوان تحمل رقم ٨٧٢، ولقد قام بدراسته وتحقيقه الدكتور عبد المجيد المرزوقي.

---

(١) ينظر: تاريخ تطوان ٦/٢١٨.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن أبو العباس الصوفي المالكي الشاذلي، له عدة مصنَّفات منها: الحكم العطائية، تاج العروس، لطائف المنن، توفي بالإسكندرية سنة ٧٠٩هـ. ينظر: الدرر الكامنة ١/٢٩١، طبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٣-٢٤، البدر الطالع ١/١٠٧.

(٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن الحاج أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي، نزيل مصر، تفقَّه في بلاده، وقدم مصر، جمع كتابًا سمَّاه المدخل كثير الفوائد، ومات سنة ٧٣٧هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٤/٣٥٥.

(٤) هو: أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي، إمامُ الطائفة في الأصول والطريقة، مات ببغداد سنة ٢٩١هـ. ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ص٢٠٠.

٢- اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية

الوظيفة الزروقية هي عبارة عن مجموعة أدعية وصلوات وآيات قرآنية يتلوها أتباع الطريقة الزروقية كل يوم، واحتوى شرحه على مقدمتين الأولى: التعريف بزروق ومناقبه، والثانية: في فضل الوظيفة ووقتها، وكيفية ذكرها، وكانت مصادره في شرحها، كتب التفسير، كتفسير البيضاوي، وابن جزي، وأحيانًا تفسير ابن عطية، وهذا الشرح يعطي صورة واضحة على النزعة الصوفية لابن عجيبة منذ بداية حياته، وقد بينت هذا من قبل.

وهذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بتطوان ضمن مجموع برقم ٣٠١ وهو مطبوع، ويقع الكتاب ضمن مجموعة رسائل قام بتحقيقها عبد السلام العمراني، وسماها بالجواهر العجيبة.

٣- الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية

وهي شرح لقصيدة البوصيري، اشتملت على أربع مائة وخمسة وخمسين بيتًا، شرحها ابن عجيبة شرحًا مطولًا، واعتمد في شرحه على بعض كتب القوم، كتفسير القشيري، وكتب الغزالي فهو ينقل نقلًا مطولًا عن الإحياء، وهو كتاب مطبوع بتحقيق عبد السلام العمراني خديم العلم والصوفية كما سمَّى نفسه.

٤- تأليف في التوحيد والصلاة

هذا الكتاب لم يذكره ابن عجيبة في كتابه الفهرسة، ولكن ذُكر في كتاب تاريخ تطوان للمؤلف محمد داود وقال إنه وقف عليه في عشر صفحات.

وهذا الأمر تطلب مني السفر إلى المغرب للتنقيب عن الكتاب، وذهبت للخزانة العامة في الرباط، واتضح أن الأمر قد التبس على مفهرس الخزانة العامة

وأدرجه بعنوان كتاب التوحيد لابن عجيبة ضمن مجموع ٢٨٢٩ د، ثم تبين أنَّ المخطوط هو شرح خمرية ابن الفارض لابن عجيبة.

٥- شرح خمرية ابن الفارض

وهو شرح لأبيات ابن الفارض، المشتملة على اصطلاحات صوفية، منها الذوق، والشرب، والسكر، والصحو، واشتمل الشرح على أحوال الصوفية ومقاماتهم، والكتاب مطبوع باعتناء الدكتور عاصم الكيالي الشاذلي الدرقاوي.

٦- شرح البردة

وهي عبارة عن مائة وستين بيتًا، شرحها ابن عجيبة شرحًا لغويًا، بلاغيًا، صوفيًا، وتوجد من الشرح نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بتطوان تحمل الرقم ٢٨١، وتقع في نحو ٢٣٨ صفحة، والكتاب مطبوع، بعنوان شرح البردة ومعه كشف الكربة بتخريج أحاديث البردة، لجامعه أبي الفتوح عبد الله بن القادر التليدي.

٧- الأنوار السنية في الأذكار النبوية

مخطوط لم يحقق، يوجد في خزانة تطوان تحت رقم ٨٥٣، وهو عبارة عن أدعية وأذكار، للصلاة والطهارة، وأذكار البيوع، وأذكار دخول المسجد ... واشتمل المخطوط على اثنين وثلاثين لوحًا، وبعد تفحصي للمخطوط وجدت أنه على غرار كتاب الأذكار للنووي، ولكنه حذف منه الأسانيد، واعتمد على مصدرين في جمعهما كما ذكر ذلك في آخر المخطوط وهما: كتاب الكلم الطيب للسيوطي، وكتاب الحصن الحصين لابن الجزري، وذكر تاريخ تأليفه فكان يوم الخميس أواخر ذي القعدة من عام ١٢٠٥هـ.

٨- مجموع الأدعية والأذكار الممحقة للذنوب والأوزار بالهيللة والاستغفار والصلاة على النبي المختار

مخطوط لم يحقق، يوجد في خزانة تطوان تحت رقم ٢٧٤، أخذ المؤلف يبيِّن للمريد السالك أن يبدأ بالاستغفار، ثم الصلاة على النبي محمد ﷺ وذكر جملة من أنواع الأذكار.

٩- أربعون حديثًا في الأصول والفروع والدقائق

مخطوط لم يحقق، يوجد في خزانة المكتبة الوطنية في الرباط، وبيَّن ذلك بقوله: "وقد استخرت الله في جمع هذه الأربعين في علم الأصول والفروع وشيءٍ من التصوف"[(١)].

ثم استهل المخطوط بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في النية، وأحاديث متنوعة منها في الأحكام ومنها في الوضوء، ومنها حديث جبريل عليه السلام في الإيمان، وصلاة الجنازة وفضلها، وكان عدد لوحات المخطوط ثلاثة عشر لوحًا.

١٠- الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة

وهو كتاب مطبوع اعتنى به وقدَّمه "خديم العلم والصوفية، وطريق بني عجيبة: عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي"[(٢)].

واشتمل الكتاب على آداب القارئ، وفضل القرآن، وسبب تعدد الرواية

(١) مخطوط أربعون حديثًا في الأصول والفروع والدقائق ل/١.

(٢) مقدمة الكتاب، ص٣، كما سمَّى نفسه بذلك الوصف نسبةً إلى مدينة العرائش التي تقع على الشاطئ الأطلسي بين القنيطرة وأصيلا على الضفة اليسرى لوادي اللكوس بنيت قصبتها سنة ٨٩٧هـ واحتلَّها الأسبان سنة ١٠١٩هـ، إلى أن حرَّرها السلطان المولى إسماعيل سنة ١١٠١هـ فجدَّد بناءها وحصَّنها. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٨٢.

وحصرها، والتعريف بالقرَّاء وذكر مسانيدهم، وفائدة اختلاف القراءات، وباب الاستعاذة والكلام عليها من وجوه، وقد جاء في أربع مائة وسبع وأربعين صفحة.

١١- أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء الأعيان

وهو مخطوط ضخم في التراجم لم يحقق، توجد منه نسخة في خزانة المكتبة الوطنية بالرباط، تحت رقم ٢٨٦ك، واشتمل المخطوط على مائتين وخمس وعشرين لوحًا قال عنه ابن عجيبة: "وتأليف في طبقات الفقهاء، وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم، والتعريف بمشاهير أصحاب مذهب مالك من القرن الثاني الهجري إلى عصره، على ترتيب وجودهم كل قرن وحده، ثم اتبعتهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية غير أن الصوفية لم نستكمل ذكرهم"[(١)]، وهذا المخطوط كان عمدة الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس ومُحادثةُ الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس.

١٢- رسائل في العقائد والصلاة

وهو مخطوط لم يحقق، عدد ألواحه عشرة ألواح يوجد في دار الكتب المصرية بعنوان مجاميع شنقيط ٤/٧ وابتدأه بقوله: "عليك أن تعتقد أن الله موجود قبل الأكوان قديم لا أول له أزلي لا بداية له ..."[(٢)]، ثم تكلَّم في الصفات على مذهب الأشاعرة، وفي الألواح الأخيرة من المخطوط تحدث عن الصلاة، واجباتها، وسننها.

١٣- شرح صلاة القطب ابن مشيش

كتاب مطبوع عرف باسم الصلاة المشيشية[(٣)] ومطلعها "اللهم صلِّ على من

---

(١) مخطوط أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والأعيان ل/١.

(٢) مخطوط رسائل في العقائد ل/١.

(٣) نسبةً لعبد السلام بن سليمان بن مشيش، ولد حوالي سنة ٥٥٩هـ، أخذ عن الصوفية أمثال عبد الرحمن المدني المعروف بالزيات، وسعيد الغزواني، اغتيل من أبي الطواجن الذي ادعى النبوة في عهد الموحدين وذلك عام ٦٢٥، ودفن في رأس جبل العلم. ينظر: الاستقصاء ٢/٢٦٣.

منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار، فهم يعتقدون أنَّ محمَّدًا ﷺ خلق من نور، والكون من نوره[1]، وهذه الصلوات مشتهرة عند صوفية المغاربة، يتسابق الناس لاستظهارها والتبرك بتلاوتها، ولقد انطوت على أسرار صوفية شرحها ابن عجيبة، مثال ذلك شرحه لمعنى الحضرة هي: حضور القلب مع الرب أو حضور الروح أو السر مع الحق.

١٤- إيقاظ الهمم في شرح الحكم

كتاب مطبوع لابن عطاء الله السكندري باسم الحكم العطائية شرحه ابن عجيبة، ويعتبر هذا الكتاب سبب لانتقال ابن عجيبة من العلم الظاهر إلى العلم الباطن وانتقاله إلى العبادة والخلوة وإبغاض الدنيا وأهلها[2]، ولقي هذا الكتاب قبولًا واسعًا عند الصوفية في المغرب والمشرق[3]، وهو خطاب موجه للمريد السالك للطرق الصوفية، ومعظم محتوياتها تدور حول آداب السلوك ومقامات وأحوال ومجاهدات من أول الطريق إلى نهايته.

١٥- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية

وهو كتاب مطبوع عبارة عن شرح لمنظومة المباحث الأصلية لابن البنا السرقسطي[4]، وهي في آداب وقواعد الصوفية شرحها ابن عجيبة شرحًا صوفيًا من خرق

---

(١) سيأتي الرَّدُّ عليهم في الباب الثاني من هذا الكتاب.

(٢) ينظر الفهرسة، ص٤٠.

(٣) يدلُّ على ذلك كثرة شروحها، منها: شرح ابن عباد محمد بن إبراهيم الرندي وهو مطبوع باسم غيث المواهب العلية (ت٧٩٢هـ)، وشرح زروق أحمد بن محمد البُرنُسي (ت٨٩٩هـ) وعنوانه (تنبيه ذوي الهمم).

(٤) هو أبو العباس أحمد بن يوسف التجيبي المشهور بابن البنا، أصله من سرقُسطة بالأندلس، ومنها انتقل إلى فاس وبها تُوفي، ولم يتبيَّن تاريخ وفاته، ينظر: الفتوحات الإلهية، ص٦.

العوائد وضرورة اتخاذ الشيخ المربي، وقسم المؤلف منظومته إلى خمسة فصول: الفصل الأول في أصل علم التصوف، والثاني في فضله، والثالث في أحكام علم التصوف، الرابع، في الرد على من أنكره، والخامس في فقراء العصر.

١٦- شرح قصيدة يا من تعاظم

كتاب مطبوع عبارة عن شرح وضعه ابن عجيبة على القصيدة الهائية لمؤسس الطريقة الرفاعية أحمد بن الحسن الرفاعي، قال في بداية شرحه: "فقد سألني بعض أهل المحبة أن أضع تقييدًا على قصيدة تنسب للرفاعي"(١)، واعتمد ابن عجيبة في شرحه كثيرًا على كتاب الحكم، وجلها يدور حول المحبة والمقامات.

١٧- تفسير الفاتحة المختصر

مخطوط لم يحقق، يوجد في دار الكتب المصرية برقم ١٩٣٦/١٣٣٣ ج/٣٢٩٩، انتهى من تبييضه "بعد صلاة العشاء سنة خمسة عشر ومائتين وألف"(٢)، ويقع في أربعة ألواح، قال في بدايته: "هذا شرحٌ لطيفٌ على فاتحة الكتاب"(٣) يفسر الآية بتفسير أهل الظاهر فيتناول الجانب اللغوي، ثم يتناول التفسير الباطن بالإشارات الصوفية(٤).

١٨- تفسير الفاتحة الكبير

وهو كتاب مطبوع، ضمَّنه عشر مقدمات للتفسير، وتفسيرات مطولة للفاتحة، فكانت المقدمة الأولى: في تفسير العلوم وذكر أصولها وفروعها وبعض مبادئها،

---

(١) ص١٨٣.

(٢) مخطوط تفسير الفاتحة المختصر ل/٤.

(٣) المرجع نفسه ل/١.

(٤) ينظر ل/٣.

والمقدمة الثانية: في كيفية ابتداء نزول القرآن وأول ما نزل منه، وذكر المكي والمدني، والمقدمة الثالثة: في سبب جمعه واختلاف روايته، وذكر أصول القراءات وسبب اقتصار الناس على السبعة أو العشرة، والمقدمة الرابعة: في علوم القرآن الظاهرة والباطنة، والمقدمة الخامسة: في شروط المفسِّر وآدابه، وذكر العلوم التي يحتاج إليها، والمقدمة السادسة: في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه، وبيان الناسخ والمنسوخ، والمقدمة السابعة: في طبقات المفسرين وأول من تكلَّم في التفسير، والمقدمة الثامنة في ترتيب آياته وسوره وتحزيبه، والمقدمة التاسعة: في تفسير لفظ القرآن والكتاب والفرقان، والذكر، والسورة، والآية، والمقدمة العاشرة: في فضل القرآن، وفضل قراءته، وتفاضل بعضه على بعض، وذكر خواصه[(١)]، ثم شرع في تفسير البسملة، والفاتحة.

١٩- قصيدة في الاسم المفرد (الله)

مخطوط لم يحقق، يوجد في الخزانة العامة في المكتبة الوطنية في الرباط مجموع رقم ٢٨٢٩.

٢٠- سلك الدر في ذكر القضاء والقدر

هو كتاب مطبوع، فرغ من تبييضه يوم الجمعة ثالث شوال من عام ١٢١٤هـ، ألَّفه ابن عجيبة زمن الوباء الذي حصل في تطوان، وذكر سبب تأليف للكتاب بقوله: "حملني عليه أنِّي رأيت كثيرًا ممن يشار إليه بالعلم والعمل قد ضلَّ عنه، وأضلَّ وجعل يدافع المقادير بما يقدر عليه من الأسباب والحيل،... فلقد رأيت كثيرًا من العلماء زمن الوباء يأمرون بغلق أبواب المدينة، ويفرون من الدخول على المرضى،

---

(١) ينظر: من ص١ إلى ص٨٩.

وهذا الذي حملني على تقييد هذا التأليف، فلا عبرة بعلم الأوراق إذا لم يؤيده الوجدان والأذواق"[١].

وهذ الكتاب كان مخطوطًا حققته الباحثة: فاتحة مجدوني بتاريخ ١٥/١١/ ١٩٩٦م لنيل دبلوم في العقائد والفلسفة[٢].

٢١- شرح صلاة ابن عربي

وهو كتاب مطبوع ضمن سلسلة نورانية مفيدة[٣] جمع وتقديم: عبد السلام العُمراني الخالدي، ومضمون الكتاب في مدح النبيﷺ والغلو فيه[٤]، وهو تقييد على تصلية ابن العربي، فلقد استأذن ابن عجيبة شيخه البوزيدي عند ما طُلب منه أن يضع تقييدًا على صلاة ابن عربي[٥].

٢٢- كشف النقاب عن سر الألباب

وهو كتاب مطبوع، عبارة عن رسالة صغيرة، تحدَّث فيها ابن عجيبة بنفس صوفي عن التوحيد فهو يرى أن فعل العبد كله من الله، بل لا فاعل في الوجود سواه، فهو يقرر عقيدة الجبر[٦]، ثم شرع بعد ذلك في بيان المصطلحات الصوفية مثل: الحقيقة، المجاهدة، علم اليقين، عين اليقين، وحق اليقين، والحال[٧]، والمقام ...[٨].

---

(١) ص٤٨.

(٢) وقفت عليه بتاريخ ٢٥/٨/١٤٣٦هـ في مكتبة كلية أصول الدين بتطوان شمال المغرب، وعنوانه: عقيدة القضاء والقدر في الفكر الصوفي المغربي (أحمد بن عجيبة) من خلال رسالته سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر، دراسة وتحقيق، والمشرف عليها: دكتور إدريس خليفة.

(٣) كما وسمها المقدم لها.

(٤) يعتقدون أنَّ النبي محمَّدًاﷺ سببُ وجود الموجودات، فيقولون هو بذرة الوجود. ينظر: شرح صلاة ابن عربي، ص٤٢.

(٥) ينظر: ص٤١.

(٦) ستأتي آراؤه في القضاء والقدر في الباب الثاني من هذا الكتاب.

(٧) الحالُ: الانتقال إلى وضع ينسلخ منه الصوفيُّ من حالته البشرية الاعتيادية إلى وضعية خاصة تصدر منه فيها تصرفات وأقوال تكون مرفوضةً عقلًا وشرعًا، وقد اصطلح على تسمية الأقوال التي يتفوَّه بها صاحب الحال بالشطحات. ينظر: موسوعة التصوف، ص٧٢.

(٨) ينظر: الصفحات، ص٣٣، ٤٨، ٥١، ٥٣.

٢٣- معراج التشوف إلى حقائق التصوف

وهو كتاب مطبوع، قال عنه ابن عجيبة: "ثم ألفت كتابًا في حقائق التصوف فيه ثلاثة كراريس"[(١)]، واشتمل الكتاب على حقائق غريبة، وعبارات دقيقة، اصطلح القوم على استعمالها ...[(٢)]، وقد جُمع في هذا الكتاب مائة حقيقة من حقائق التصوف، ويعتبر الكتاب كشافًا للمصطلحات الصوفية، والذي يظهر أن مصدر ابن عجيبة في تأليفه لهذا الكتاب هو كتاب الرسالة للقشيري[(٣)].

٢٤- شرح نونية الششتري[(٤)]

هو كتاب مطبوع، يدور حول بث الآراء الصوفية، قال عنه ابن عجيبة: "ثم شرحت نونية الششتري في أربعة كراريس صغار"[(٥)] ولقد استعمل الكثير من المصطلحات الصوفية، كالحلول، والاتحاد، والكرامات، والفناء، وذبح النفس، ثم أفاض في تحليل وشرح قيمة العقل، وآفاته، ثم أخذ يثني على رموز الصوفية كابن سبعين، وابن عربي، وابن الفارض، وتبرأتهم من رميهم بالحلول والاتحاد.

---

(١) الفهرسة، ص٣٩.

(٢) معراج التشوف، ص٢٥.

(٣) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري، أبو القاسم القشيري، تتلمذ على ابن فورك، وابن إسحاق الأسفرائيني، وعبد القاهر البغدادي، وكانت وفاته سنة ٤٦٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١١، فوات الوفيات ٣١٠/٢.

(٤) هو: أبو الحسن الششتري، معجمتين أولهما مضمونة والثانية ساكنة بعدها تاء مثناه فوقية معجمة ثم راء، علي بن عبد الله النميري يدعى باللوشي نسبةً للقرية التي قضى بها بعضًا من طفولته بالأندلس وهي لوشة، ولكن أكثر ألقابه شيوعًا الششتري، ولد سنة ٦١٠هـ، من مؤلفاته: الرسالة البغدادية، ديوان شعري من قصائد تطرّق فيها لكلِّ مواضيع الصوفية الوجودية، والمعرفية، والأخلاقية، ومن شيوخه: ابن سبعين، ابن عربي، توفي سنة ٦٦٨هـ. ينظر: نيل الابتهاج، ص٢٠٢، نفح الطيب ٢٠٥/٢.

(٥) الفهرسة، ص٣٩.

٢٥- حاشية ابن عجيبة على الجامع الصغير للسيوطي

مخطوط لم يحقق، يوجد في الخزانة العامة للمكتبة الوطنية في مدينة الرباط بالمغرب، تحت رقم١٨٣١ ويقع في ٢٨٣، لوحًا، قال ابن عجيبة: "ثم وضعتُ حاشية مختصرة على الجامع الصغير للسيوطي"[١].

٢٦- الفهرسة

كتاب مطبوع[٢]، جمع فيه سيرته منذ ولادته حتى "ظهر التاسع من شهر ربيع للعام الثاني وعشرين ومائتين وألف"[٣] وتكون الكتاب من ثلاثة فصول، اشتمل الفصل الأول على نسبه وما يتعلق بأسلافه، والفصل الثاني ذكر فيه النشأة والتربية، والفصل الثالث ذكر فيه ابتداءَه في طلب العلم، وكيفية دخوله في علم التصوف، وكذلك الإجازات التي حصل عليها من شيوخه وضمَّن آخر الكتاب قصائد في بعض آداب الصوفية.

٢٧- شرح الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الآجرومية[٤]

نحا في شرحه بالجمع بين النحو والتصوف، فعندما يذكر عبارة المؤلف يشرحها شرحًا نحويًا، ثم يتبعها بالمعنى الإشاري، يقول في مقدمة الشرح: "وقد أردت بعون الله أن أضع عليها شرحًا متوسطًا، متوشحًا بنكت عجيبة قلَّ أن توجد في غيره من المطولات، وإشارات صوفية غريبة، قل أن يغوص إليها من له شأن في علم الأذواق والإشارات"[٥].

---

(١) الفهرسة، ص٣٩.

(٢) حققه الدكتور: عبد الحميد صالح حمدان سنة ١٩٩٠م ونشره دار الغد العربي القاهرة.

(٣) الفهرسة، ص١٣٥.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، يعُرف بابن آجروم، وله مصنفات منها: المقدمة الآجرومية في النحو، وأراجيز، توفي بفاس سنة ٧٢٣هـ، ينظر: معجم المؤلفين ٢١٥/١١، شذرات الذهب ٦٢/٦.

(٥) شرح الفتوحات القدسية، ص١٩٩.

وهو كتاب مطبوع ضمن سلسات نورانية فريدة من كتب ابن عجيبة أخرجه العمراني الخالدي عبد السلام.

٢٨- شرح الأبيات الثلاثة للجنيد[(١)]

كتاب مطبوع، عبارة عن رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الست صفحات[(٢)] تضمَّنت شرح الأبيات الثلاثة شرحًا صوفيًا[(٣)].

وأولها:

توضَّـأ بمـاءِ الغيـبِ إن كنـتَ ذا سـرٍّ   وإلا تـــيمَّمْ بالصَّـــعيدِ أو الصَّـــخْرِ

٢٩- البحر المديد في تفسير البحر المديد

وهو كتاب مطبوع في تفسير القرآن، مطول من ثمان مجلدات، جمع بين التفسير الظاهر والتفسير الباطن كما قال في مقدمته: "وقد ندبني شيخي محمد البوزيدي أن أضع تفسيرًا يكون جامعًا بين تفسير أهل الظاهر، وإشارة أهل الباطن"[(٤)].

٣٠- شرح أسماء الله الحسنى

هذا الكتاب ذكره ابن عجيبة في الفهرسة، فقد أفرد لكل اسم بابًا، ولكن هذا الكتاب يُعد من الكتب المفقودة[(٥)].

---

(١) هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، بغدادي المولد والنشأة وأصله من نهاوند، تفقَّه على أبي ثور، صحب الحارث المحاسبي، وسري السقطي، وله كلام في طريقة التصوف، توفي سنة ٢٩٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٩، الرسالة القشيرية، ص٢٧٨.

(٢) ضمن كتاب: اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل ابن عجيبة، ص٣٢١.

(٣) ينظر: ص٣٢٢، ص٣٢٥.

(٤) البحر المديد ١٩/١.

(٥) ينظر: تاريخ تطوان ٢٤١/١.

٣١- رسالة في ذم الغيبة ومدح العزلة والصمت

توجد منها نسخة مخطوطة بالهيئة العامة للكتاب بمصر، تحت رقم ٣٢٩٩، فرغ من تأليفها سنة ١١٩٨هـ.

٣٢- شرح الحزب الكبير للشاذلي[١]

توجد منه نسخة مخطوطة في تطوان، ضمن مجموعة برقم ٣٠١، ويقع في مائة وخمس وأربعين صفحة، فرغ منه عام ١٢٠٠هـ، ويوجد ضمن مجموع مع كتاب الأسرار للمعسكري[٢] تحت رقم ٢٨٤١ك، في خزانة المكتبة الوطنية في الرباط.

٣٣- حاشية على مختصر خليل[٣]

ذكر أنه ابتدأ حاشية على مختصر خليل لم يتمه[٤].

٣٤- شرح الحصن الحصين

وهو شرح لابن الجزري[٥]، ولكنه لم يتمه.

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الشاذلي، شيخ الطريقة الشاذلية، نزيل الإسكندرية، ولد سنة ٥٧١هـ، ومن تلاميذه: أبو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي، وأبو العزائم ماضي بن سلطان المسروقي، له عبارات في التصوف خطيرة موهمة بادعاء الغيب، توفي سنة ٦٥٦هـ أثناء توجهه للحج. ينظر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص١٢٢، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص٥-٤٥.

(٢) هو: أبو زيان المعسكري، من مدينة فاس، سلك الطريقة الدرقاوية على يد العربي بن أحمد الدرقاوي، له مؤلفات منها : كنز الأسرار في مناقب العربي، لا زال مخطوطًا حتى كتابة هذه الرسالة، طبقات الصوفية في القرن الثالث عشر، توفي عام ١٢٣٩هـ. ينظر: الطريقة الشاذلية وأعلامها، ص٧٢-٧٣.

(٣) هو: خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي، وكان يُسمَّى محمَّدًا، ويلقَّب ضياء الدين، سمع من ابن عبد الهادي، وقرأ على الرشيدي في العربية والأصول، وعلى الشيخ عبد الله المنوفي في فقه المالكية، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ٧٦٧هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١٧٥/٢.

(٤) ينظر: الفهرسة، ص٣٨.

(٥) هو: محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، ولد بدمشق عام ٧٥١هـ، ثم رحل إلى مصر والحجاز، برع في =

٣٥- شرح تائية البوزيدي[١] في الخمرة الأزلية

مخطوط يوجد في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع ورقة (١١٢/ب ١٥٩/ب).

وأعاد شرحها بقوله: ولقد أعددت شرحًا آخر عليها في اثنى عشر كراسًا ونصف[٢].

ومطلع القصيدة:

أيــا مَــن تجلَّــى في بهــاءِ جمالِــهِ وســـرِّ كمالِـــهِ وعِـــزٍّ ورفعــــة

٣٦- شرح قصيدة البوزيدي في السلوك

هي قصيدة رائية عدد أبياتها تسع وعشرون بيتًا، وهذا مطلعها.

عليــك بتقــوى اللهِ حيــثُ توجهــت وكـن كـريمَ الأخـلاقِ في السـرِّ والجهـرِ

والشرح يوجد عند بعض الخواص بفاس وتطوان[٣]، وذكر ابن عجيبة أنه لما أتم الشرح أرسله لشيخه ففرح بالشرح فرحًا شديدًا[٤].

=

علم القراءات، له مصنَّفات منها: النشر في القراءات العشر، غاية النهاية في طبقات القراء، تحبير التيسير. ينظر: شذرات الذهب ٧/٢٠٤.

(١) هو: محمد بن أحمد البوزيدي السلماني الغماري، ولد بقبيلة بني سلمان الغمارية، تتلمذ على يد مولاي العربي الدرقاوي، وكانت وفاته سنة ١١٢٩هـ بقبيلة بني زيات الغمارية قريبًا من ساحل البحر الأبيض. ينظر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص٢١٦-٢١٧-٢١٨.

(٢) ينظر: الفهرسة، ص٣٩.

(٣) ينظر: أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير، للعزوزي ١/٣٦٠.

(٤) ينظر: الفهرسة، ص٧٠.

ثامنًا: وفاته

توفي ابن عجيبة عام ١٢٢٤هـ، في دار شيخه محمد البوزيدي، ولكنه أُدرج في كفنه وبقي مدة لم يدفن حتى قدم أخوه عبد الله، فلما وصل إليهم مرض أخوه ومات أيضًا ودفنا جميعًا بزاويته المسماه بالزَّميج[١].

وضريح ابن عجيبة مغلق طول السَّنة، ولا يفتح إلا مرة في السَّنة تقام فيه العمارة[٢]، وهو ما يعرف بالموسم عند المغاربة حيث يحصل فيه بدع عظيمة ومنها ما يزعمونه من التقرب إلى الله ﷻ ببركة ابن عجيبة بالقربات، ولقد ترك ابن عجيبة طريقته الدرقاوية لأولاده الثلاثة، وقبورهم موجودة بجانبه، وعليها قبة، وهم: عبد السلام، وعبد القادر، أما الثالث فهو الصادق، وقيل لي أنه دفين تطوان، والله أعلم.

ولما دخلت الضريح وجدت قبر ابن عجيبة مرتفع قدر متر، كما هو واضح في الصور التي أخذتها له، ويقع في الزاوية التي عليها القبة الخضراء بالأعلى، ويوجد بجانبه مكتبة صغيرة فيها مصاحف، وكتب ابن عجيبة المطبوعة، وبعض الكتب المهتمة بالأوراد.

ولقد غلت الطريقة الدرقاوية في ضريحه، فهي تحتفل في اليوم الرابع من شهر سبتمبر من كل عام بموسم أحمد بن عجيبة[٣].

ولقد تم حوار بيني وبين مقدم الزاوية فظهر لي أنه لا يعرف الكثير عن أتباع الطريقة الدرقاوية وعددهم، وهل هم في زيادة أم لا، فقد اكتفى بفتح الباب وأخذ الأجرة على ذلك، وظن أنني أريد التبرك بضريح ابن عجيبة.

---

(١) ينظر: مخطوط كنز الأسرار ل/١٠٢.

(٢) العمارة: كلمة مغربية معناها الاجتماع على الذكر، أخذتها مشافهة من المسؤول عن فتح الضريح.

(٣) كل هذا أخذته مشافهة من المسؤول عن فتح الضريح، والسيدة المكلَّفة بمفاتيح الضريح.

وعمومًا فهذه الرحلة الميدانية رغم كلفتها وبعد الشقة قصدت منها البحث العلمي؛ وذلك من أجل إحقاق الحق، وبيان ما عليه القوم من باطل.



التعريف بالطرق الصوفية إجمالًا(١)

السير إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإلى تحقيق رضوانه يكون بطريق واحد وهو الأخذ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ واتباع هدي النبي محمد ﷺ وفق فهم السلف الصالح من الأمة وعلمائها، لا ما عليه القوم من تعدد في طرقهم، واختلاف أحوالهم.

وإذا أمعنت النظر في تعدُّد طرق القوم، واختلاف أحوالهم، وتباين بعضهم بعضًا، تيقَّنت أن السبب يكمن في تأخر القوم عن عهد سلفنا الصالح وتقوُّلهم عليهم ما لم يقولوا به فأضحت كل طريقة من طرق القوم كأنها شريعة أخرى غير ما أتى به وبيَّنه لنا نبيُّنا محمد ﷺ(٢).

ولكن الله عَزَّوَجَلَّ سدَّ جميع الطرق على خلقه إلا طريقًا واحدًا بيَّنه ونصبه على ألسن رسله وجعله موصلًا لعباده إليه وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسوله ﷺ بالطاعة فلا يشرك به أحدًا في عبوديته ولا يشرك برسوله أحدًا في طاعته فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول ﷺ(٣).

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٤).

---

(١) الطريقة في اللغة هي: السيرة، والمذهب، والحال، ويمكن تعريف الطرق الصوفية في الاصطلاح: بأنها حركة دينيَّة منتشرة في العالم الإسلامي، تدعو للزهد وشدة العبادة تعبيرًا مضادًا للانغماس في الترف، ثم تطور بها الحال إلى أن أصبحت طرقًا تبنَّت مجموعة من العقائد المختلفة والرسوم المخترعة، نتج عنها مناهج مخالفة أخرجتها عن السُّنَّة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية. ينظر: ينظر: لسان العرب ٢٢١/١٠، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢٤٩/١، دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص٣٣.

(٢) ينظر: الرحلة المراكشية، ص١٩٥.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد ٤٠/٢.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٣.

وقال نبيُّنا محمد ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفسي محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم: قال: الجماعة»(1).

وكما هو معلوم بأنَّ الطرق الصوفية كثيرة جدًا ومن الصعب حصرها؛ لكن سأذكر طرقها الكبار وما يتفرَّع منها، وفيما يلي التعريف بها إجمالًا.

١- الطريقة القادرية

من الطرق الواسعة الانتشار في المغرب، ومؤسِّسها أبو محمد عبد القادر الجيلاني، المولود في جيلان وراء طبرستان عام ٤٧١هـ، ثم انتقل إلى بغداد إلى أن توفي عام ٥٦١هـ، ويؤكد مؤسس الطريقة على أن واجب السالك في الطريقة أن يتمسَّك بالقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، وما كان عليه سلف الأمة، فيقول: "فالذي

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن ١٣٢٢/٢، رقم ٣٩٩٢، وابن أبي عاصم في السُّنَّة، باب فيما أخبر به النبي أنَّ أُمَّته ستفترق ٣٢/١: ٦٣)، كلاهما عن عمرو بن عثمان بن سعيد الحمصي، ثنا عباد بن يوسف، ثنا صفوان بن عمرو بن راشد بن سعد عن عوف بن مالك، ورواه اللالكائي في شرح الأصول ١٠١/١: ١٤٩، من طريق عمرو بن عثمان الحمصي به بلفظه، وفيه عباد بن يوسف وهو صدوق يغرب كما قال الذهبي في الكاشف وبقية رجاله ثقات.

ومنها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بني إسرائيل تفرَّقوا على اثنتين وسبعين» الحديث أخرجه الآجري في الشريعة، باب ذكر افتراق الأمم في دينهم ص١٥-١٦، بطريقين عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو، وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف، ومنها حديث سعد بن وقاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملَّة» بمعناه من طريق أبي بكر بن عياش عن موسى بن عبيدة عن ابنة سعد عن أبيها، والحديث بشواهده الكثيرة ومتابعاته صحيحٌ قطعًا، بل بعض طرقه صحيحة لذاتها كما سبق، ينظر: السلسة الصحيحة للألباني ٤٨٠/٣.

يجب على المبتدئ في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس، فيكون على عقيدة السلف الصالح"[١].

ولكن أتباع الطريقة القادرية نسبوا له أمورًا مبتدعة لا يقدر عليها إلا الله عَزَّوَجَلَّ من علوم الغيب، والتصرُّف في الكون، وإحياء الموتى[٢].

ولعل أول من نشر تعاليم هذه الطريقة في المغرب العربي هو أبو مدين دفين تلمسان المتوفى سنة ٥٩٨هـ[٣]، وتقوم هذه الطريقة على الذكر الجهري، والرياضة الشاقة، وتقليل الأكل، ويأتي في أصول الطريقة القادرية بوجوب طاعة المريد لشيخه ولا يخالفه في ما يوجهه إليه[٤].

٢- الطريقة الشاذلية

نشأت بتونس، ومؤسسها هو المغربي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم الحسن الشهير بالشاذلي، نسبةً إلى شاذلة وهي قرية على بعد عشرين كلم من مدينة تونس شمالًا، ولد في المغرب سنة ٥٩٣هـ[٥]، ومنهجه الصوفي قائم على تقديس المريد لشيخه، وإيثار أقواله وأفعاله[٦]، ولقد زعم أنه مستجاب الدعوة، فهو يقول: "سألت الله أن يكون القطب الغوث من بيتي إلى يوم القيامة، فسمعت النداء: يا علي قد استجيب لك"[٧]، وهو يزعم أنه يعلم الغيب -

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق ٢/٥٩٠، ٥٩٣.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/٢٥٨.

(٣) ينظر: أضواء على أحمد التجاني وأتباعه، ص١٣.

(٤) ينظر: موسوعة التصوف، ص٢٣٠.

(٥) ينظر: المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص١٠، موسوعة التصوف، ص٣٠٠.

(٦) المرجع نفسه، ص١٣٠.

(٧) نفسه، ص١٣٠.

نسأل الله العافية-، بقصة سطرها بقوله: جاءت امرأة بولدها ليدعوا له، فأخذ ينظر فيه ويتفرَّس فيه ساعة، ولم تسمع أم ذلك الصبي بشيء، فقالت: لم يا سيدي لم أسمعك تخاطبه بكلمة، فقال الشاذلي: لما جلس بين يدي أطلعني الله على عواقب أمره، فما وجدت في عمله شيئًا أوصيه عليه، فاستحييت من الله(١) ولقد قدَّسه أتباعه وتبركوا بآثاره، حتى أوصلوه إلى مرتبة الألوهية والنبوة -نسأل الله العافية-(٢).

٣- الطريقة النقشبندية

تنسب إلى بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند مات سنة ٧١٩هـ، ولقد انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية(٣)، وطريقة الدخول في النقشبندية، بالتوبة، ثم اتخاذ شيخ لسلك الطريقة، يليها الذكر، ثم المراقبة ولا تختلف عقيدتهم في الولي عن بقية الطرق الصوفية بزعمهم أن الولي يقول: للشيء كن فيكون، وفي عقائدهم وبدعهم شرك في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية(٤).

٤- الطريقة الرفاعية

تنسب الرفاعية إلى أحمد بن علي الرفاعي المغربي، وكانت وفاته عام ٥٧٨هـ(٥)، وهي منتشرة في العراق، وسوريا ولبنان، ومصر، وليبيا، وغرب آسيا(٦).

"وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة مبتدعة الرفاعية، فلا

---

(١) ينظر: درة الأسرار، ص٣٩-٤٠.

(٢) ينظر: الدر الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين، ص٨-٩، لطائف المنن، ص١٢١.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢٦٧/١، الطريقة النقشبندية وأعلامها، ص١٨-١٩.

(٤) ينظر: حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية، ص٨٢.

(٥) موسوعة التصوف، ص٢٢٤.

(٦) المرجع نفسه، ص٢٢٦.

تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها، وعنهم موردها ومأخذها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ وعبادة مشائخهم، وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات والعقارب ونحو ذلك"[(١)].

وهذه الطريقة لا تنفك عن محدثات متنوعة، كاتخاذ الخرقة والأذكار المحدثة، وخوارق شيطانية[(٢)]، ولقد ناظرهم ابن تيمية وأبطل مكرهم وبدعهم[(٣)].

وطريقتهم مبناها على الجهر بالذكر، والتواجد عند سماعه، والخلوة مرة كل سنة، سبعة أيام تبدأ في اليوم الثاني من عاشوراء، إلى مساء اليوم السابع عشر، ولا تشاركه في خلوته زوجه، ويخلو طعامه من كل روح[(٤)].

٥- الطريقة البكتاشية

تنسب إلى بكتاش ولي، انتشرت في تركيا، وكردستان، وآسيا الصغرى، وألبانيا، وهي طريقة صوفية شيعية الحقيقة والمنشأ، ولكنها مع ذلك تربَّت وترعرعت في بلاد تركيا ومصر، ومن معتقداتهم أنهم يغلون في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والاعتراف بالخطأ لشيخهم؛ لأنهم يعتقدون أنه يغفر لهم، واستباحوا المحرمات كشرب الخمر، ولهم عيد يحتفلون به هو يوم ١٦آب[(٥)] ويلبسون الألبسة الزاهية ويطوفون حول القبر المقدَّس -عندهم-، وهي مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، وعقيدة الشيعة في الأئمة[(٦)].

---

(١) غاية الأماني في الرَّدِّ على النبهاني ١/٤٨٠.

(٢) ينظر: الطرق الصوفية في مصر، ص١٥٦.

(٣) ينظر: مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل، ص٥٠.

(٤) ينظر: البراهين الإسلامية في رَدِّ الشبهات الفارسية، ص١١٩.

(٥) يوافق بالهجري ١٩ رجب.

(٦) ينظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ص٧٨٩-٧٩٠، الفكر الصوفي ٣/١٤٢.

٦- الطريقة التجانية

تُنسب إلى التجاني، واسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم التجاني، ولد سنة ١١٥٠هـ وتوفي يوم الخميس السابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٢٠هـ وعمره ثمانون سنة[١].

وعقائدهم مخالفة لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، فهم يؤمنون بوحدة الوجود ويعتبرون القائل بها من أولي الذوق الصحيح، والكشف الصريح[٢]، ويعتقدون أن صلاة الفاتح لما أغلق هي أفضل من القرآن[٣]، ويعتقدون رؤية النبي يقظة بعد موته، وبجواز التوسل بذات النبيﷺ وتنتشر الطريقة في شمال أفريقيا وغربها[٤].

٧- الطريقة الجزولية

تُنسب إلى محمد بن سليمان بن داود الجزولي[٥] ويرتبط اسمه بكتاب دلائل الخيرات الذي قام بتأليفه، وهو المؤسِّس للطريقة الجزولية، وهي طريقة صوفية تربوية تقوم على تربية النفس وتهذيبها للوصول إلى الفناء عن طريق المجاهدة وطريقة الصحبة -أي شيوخ التربية-، ولا بدَّ في الشيخ أن يكون ملمًا بعلم الظاهر وعلم الباطن-، وأخذ العهد بأن لا ينتسب لشيخ آخر، والذكر عندهم بترديد الهيللة (لا إله إلا الله)[٦].

---

(١) ينظر: الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ٨/٨٣-٨٤، بغية المستفيد، ص١٩٩، أضواء على أحمد التجاني وأتباعه، ص٣٣.

(٢) ينظر: جواهر المعاني ١/٢٥٩.

(٣) ينظر: أوراد وأحزاب التجاني، ص١٢.

(٤) ينظر: مختصر التجانية، ص٥، ٢٢، ٥٨.

(٥) نسبةً إلى جزولة قبيلة كبيرة شهيرة في سوس. ينظر: التشوف إلى رجال التصوف، ص٢٦٧.

(٦) ينظر الطريقة الجزولية، ص٨٤.

٨- الطريقة العيساوية

نسبة إلى محمد بن عيسى، دفين مكناس بالمغرب سنة ٩٩٣هـ، وينتمي لهذه الطريقة الطبقة الشعبية، ولقد تأثرت هذه الطريقة بالطريقة الرفاعية(١)، ومن المناكير الشنيعة التي يقوم بها أصحاب هذه الطريقة، والتي يتبرأ منها الإسلام أكل الجيف ويتلطخون بدمها المسفوح، ويسمون هذا الفعل الشيطاني بالحال، ولقد جعلوا لأصابع أيديهم حلقًا من الحديد لها رؤوس حادة بحيث يمكن الذبح بها، وموسمهم هو اليوم الثالث عشر من شهر ربيع النبوي، وينتشرون في فاس(٢)، ومكناس(٣)، وآسفي(٤)، ومراكش(٥)، والصويرة(٦).

---

(١) ينظر: موسوعة التصوف، ص٣٠٣.

(٢) فاس: عاصمة المغرب العلمية، ويرجع تاريخ بنائها إلى عصر المولى إدريس الثاني، ولقد تعرَّضت المدينة لغزو الفاطميين على يد القائد جوهر الصقلِّي الذي فتحها سنة ٣٤٩هـ، ثم غزاها الأمويون في عهد المنصور بن أبي عامر سنة ٣٦٥هـ وأهم أثر تاريخي بفاس هو جامع القرويين، وتقع المدينة في منتصف الطريق بين وجدة والدار البيضاء، وتفصلها عن الرباط مسافة ٢٠٠ كلم، وعن مكناس ٦٠ كلم، وعن وجدة ٣٥٠ كلم. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) مكناس: مدينة من مدن المغرب اتخذها المولى إسماعيل عاصمةً لمملكته فبنى بها الأسوار والقصور والحدائق والدور والمساجد، والحصون، والأبراج، وجعلها عاصمة لمدة نصف قرن، ومن مآثر المدينة المدرسة العنانية، وباب فيلالة، وقبة الخياطين، وهو الجناح الذي كان معدًّا لاستقبال السفراء الأجانب. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص١٢٢.

(٤) آسفي: مدينة تقع على الشاطئ الأطلسي بين الجديدة والصويرة، احتلَّها البرتغال مرارًا خلال القرن العاشر، ومن آثار المدينة القصبة الشهيرة، وبرج البحر، ودار البارود، والأسوار المحيطة القديمة، وكانت المدينة مركزًا للعلاقات التجارية بين المغرب وأوربا. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٧٠.

(٥) مراكش: ثالث مدينة في المغرب من حيث الأهمية، تقع في سفح الأطلس الكبير على بعد ٣٠ كلم منه ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٤٥٠م، أسَّسها الأمير يوسف بن تاشفين في أواسط القرن الخامس وأتمَّها من بعده الخليفة عبد المؤمن الموحدي، ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص١٢٠-١٢١.

(٦) الصويرة: مدينة على شاطئ المحيط الأطلسي بين آسفي وأكادير، شُيِّدت في أوائل القرن الماضي في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي سنة ١١٧٨هـ، وكانت هدفًا لهجوم الأسطول الفرنسي سنة ١٢٦٠هـ بعد احتلال الفرنسيين للجزائر. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٨١.

وغيرها من مدن المغرب[١]، وطريقتهم لإحياء موسمهم "الطواف بالشوارع من الصباح إلى المساء، يطبلون ويزمرون، ويرقصون بدون فتور ولا راحة، ويفترسون لحوم الغنم والمعز قبل موتها بعد أن يبقروا بطونها، ويمزقوا أحشاءها، فتتلوث أبدانهم، وثيابهم بالدماء، ويأكلون تلك اللحوم الملوثة"[٢].

"وقد اشتهرت الطريقة العيساوية باستعمالها للمدائح بصوت عال، وتعرف هذه المدائح بحزب سبحان الدائم الذي هو في الأصل لمحمد بن سليمان الجزولي، ولكن الحزب في ليبيا أضيف إليه حزب الفلاح، وأضحى التوسل بالأولياء من ضمن هذا الورد الذي لم يكن فيه أصلًا، ومن ملامح هذه الطريقة الجمع بين الذكر والمدح والحضرة، واستخدام الموسيقى الأندلسية"[٣].

٩- الطريقة التباغية

تُنسب لمؤسسها عبد العزيز بن عبد الحق الحرّار المعروف بالتباغ، المتوفى سنة أربع عشرة وتسعمائة، من مواليد مراكش، وكان يلزم أتباعه بأوراد الجزولي، ولكن لم يبق لهذه الطائفة اليوم أثر، إلا أن الذي يعمر زاويتها اليوم النساء عشية الجمعة[٤].

١٠- الطريقة الغزوانية

تُنسب لمؤسسها محمد بن عبد الله بن أحمد الغزواني، المتوفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، وهو تلميذ عبد العزيز التباغ الذي أذن له بفتح زاوية له، وبعد وفاة شيخه أنشأ طريقته التي سمَّاها على اسمه، ولهذه الطائفة اصطلاحات وأعمال غريبة، ومن قبيح مثالبهم قولهم: الفاتحة في نظير ما يوهب لهم من الناس، وذلك عند

---

(١) ينظر: الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية، ص١٨٤، أضواء على التصوف بالمغرب الطريقة العيساوية نموذجًا، ص٢٢.

(٢) إشكالية الفكر الصوفي، ص٨٥.

(٣) موسوعة التصوف، ص٣٥٨.

(٤) ينظر: الرحلة المراكشية، ص١٨٠، معلمة التصوف الإسلامي ٢/٩٩.

جلوسهم للراحة، فكلما أُعطي أحدٌ من الناس شيئًا قالوا: الفاتحة، ومن هذه الطائفة قوم يعرفون بأصحاب الناقة، وهي الناقة التي تضرب في كل سنة على أصحاب الحرف، وهم الدبّاغة، وقد جعلوا هذه الضريبة لأجلها فرضًا محتمًا حتى على الفقير والمسكين، وكل من أبى عن دفع ذلك القدر المرتب عليه من قبلها قوبل بأنواع من العذاب؛ وذلك لأجل النفع الحاصل لرؤساء الحرف(١).

١١- الطائفة الناصرية

مؤسسها محمد بن ناصر الدرعي الناصري، وانتشرت هذه الطريقة في كافة أرجاء المغرب والجزائر، ولقد كثرت البدع التي حدثت في هذه الطريقة، ومنها: ضيافة الجان التي تفعل بمواضع ملاصقة للزاوية، أو بالمقابر من بيض، وورد، وريحان، وبخور(٢)، وكذلك إذا ذبحت الأضاحي بالمصلى بادروا في ضجيج وضوضاء لما هيأوا من البغال الفارهة المسرعة المعدات لذلك، ويحملونها عليها راكبين خلفها من غير غسل المذبوح منها، والدماء تسيل على الراكب والمركوب، والطرقات، والمار بها في إسراع وزحمة عظيمة والعامة يتبركون بها، ويزعمون في خرافاتهم أن من وصلت وبها رمق مكان سلخها فذلك دليل على طول عمر المتقرِّب بها، ويتنافسون فيمن يوصلها على تلك الحالة(٣).

وكذلك من البدع التي عليها هذه الطريقة قلب النعش بحيث يجعل وجهه إلى الأرض عندما يشرع في دفن الميت؛ لأنهم يزعمون أن بقاءه على هيئته ووجه إلى السماء أنه ينادي بزيادة الموت(٤).

---

(١) ينظر: الرحلة المراكشية، ص١٨٠.

(٢) المزايا فيما أُحدث من البدع بأُمِّ الزوايا، ص٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٤.

(٤) نفسه، ص١١٨.

الباب الأول:

مصادر التلقي عند ابن عجيبة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الكتاب والسُّنَّة.

الفصل الثاني: المصادر الصوفيَّة في التلقِّي.

الفصل الأول: الكتاب والسنة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الكتاب.

المبحث الثاني: السُّنَّة.

المبحث الأول: الكتـــاب

لا ريب أنَّ الاستدلال بالقرآن محلُّ إجماع المسلمين، لكن الاختلاف في تناول نصوص الكتاب وفهمها وتطبيقها، والموفَّق من صحَّ فهمه وحسن قصده عند الاستدلال بها، "وصحة الفهم وحُسن القصد من أعظم نعم الله عَزَّوَجَلَّ التي أنعم بها على عبده بل ما أُعطي عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم"(١).

وعند سبر آراء ابن عجيبة في الكتاب والاستدلال به نجد أن لديه آراءً توافق الحق، وأخرى خالف فيها ما يدلُّ عليه الكتاب وأقوال سلف الأمة.

ومما وافق فيه الحق قوله(٢): "أما القرآن العظيم فلا بدَّ من الإيمان أنه منزَّلٌ على نبيِّنا محمد ﷺ، فمن اعتقد أنه منزَّلٌ على غيره كالروافض(٣) فإنه كافر بإجماع الأُمَّة"،

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ١/٨٧.

(٢) البحر المديد ١/٧٥.

(٣) الروافض: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم ويكفِّرون الصحابة رضي الله عنهم إلا نفرًا يسيرًا، ومنهم علي، وعمَّار، وسلمان رضي الله عنهم، قال عبد الله بن أحمد: سألتُ أبي عن الرافضة؟ فقال: الذين يسبون أو يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال: قلتُ لأبي: من الرافضي؟ قال: "الذي يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل لرفضهم الحق، وأقول إنهم يحملون عقائد خطيرة منها: انتقاص الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ، وتأليه الأئمة وتحكيم غير شرع الله. ينظر: السُّنَّة للإمام أحمد، ص٨١، طبقات الحنابلة ١/٣٣، والسُّنَّة، لعبد الله بن أحمد ٢/٥٤٨، السُّنَّة، للخلال، ص٤٩٢ رقم ٧٧٧، منهاج السُّنَّة ١/٨، الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم التيمي ٢/٤٧٨.

وذهبت الغرابية إلى أنَّ الله تعالى لم يبعث محمَّدًا نبيًّا ولم يرسل إليه جبريل عليه السلام بالرسالة، ولكنه أرسله إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان محمَّد ﷺ أشبه بعليٍّ من الغراب بالغراب، وقد بعث الله جبريل إلى علي فغلط جبريل في تبليغ الرِّسالة إلى علي بن أبي طالب، فبلَّغها إلى محمَّد بن عبد الله، قال شاعرهم: (غلطِ الأمينُ فحادها عن حيدرة)، ويلعنون صاحب الريش، ويعنون به جبريل عليه السلام.

=

وقال: والمراد بإنزاله: إمَّا إنزاله كله إلى سماء الدنيا، أُنزل جملةً واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجومًا في ثلاثٍ وعشرين سنة، وإمَّا ابتداء نزوله، وهو الأظهر(١).

ومنها ذكره لبعض خصائص القرآن:

١- حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع.

٢- مهيمن على الكتب(٢).

٣- حفظه من التحريف(٣).

٤- لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٤).

ومنها قوله: "كل ما اختُلف فيه يُرد إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ثم إلى سنة رسول الله ﷺ، ثم إلى الإجماع، ثم إلى القياس، فهذه هي قواعد الشريعة وعليها بنيت الأحكام فمن خرج عنهما فهو مبطلٌ، ففي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ من علم الأصول والفروع ما فيه غُنية، فإن لم يوجد نصٌّ فالإجماع أو القياس"(٥).

وعند تأمُّل ما سبق ذكره من أمثلة نجد أنه وافق فيها الحق وما دلَّت عليه النصوص من الكتاب والسُّنَّة، وقول سلف الأمة.

=

وهذا لا شكَّ في بطلانه قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ آل عمران: ١٤٤، وقال تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٠، ينظر: السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة، ص٤٢٢.

(١) البحر المديد ٧/٣٣١.

(٢) المرجع نفسه ٤/٦٢٧.

(٣) نفسه ٢/٢٠، ٢٥.

(٤) الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة، ص ٧.

(٥) المرجع نفسه ٥/١٩٥.

وبعد ذلك ذكر أمورًا يخالف فيها نصوص الكتاب والسُّنَّة وما عليه العلماء الربانيين.

نجد هذا في قوله: "اعلم أن للقرآن العظيم ظاهرًا لأهل الظاهر، وباطنًا لأهل الباطن، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أهل الباطن، لا يفهمه غيرهم ولا يذوقه سواهم، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر، ثم يشير إلى علم الباطن بعبارة رقيقة وإشارة دقيقة، فمن لم يبلغه فهمه لذوق تلك الأسرار فليسلِّم، ولا يبادر بالإنكار فإن علم الأذواق من وراء طور العقول، ولا يدرك بتواتر النقول"(١).

وهذا عند المحققين لا يوافق عليه؛ فإن العلماء بيَّنوا المعنى الصحيح للظاهر والباطن.

قال الطبري(٢): "ظهره الظاهر في التلاوة، وبطنه ما بطن في تأويله"(٣)، ولقد علَّق على هذا القول أحمد شاكر(٤) فقال: "الظاهر هو ما تعرفه من كلامها، وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام، والباطن: هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه، ولم يرد الطبري على ما تفعله الصوفية في التلاعب بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ والعبث بدلالات ألفاظ القرآن، وادعائهم أن لألفاظه "ظاهرًا" هو الذي يعلمه علماء المسلمين، وباطنًا يعلمه أهل الحقيقة(٥) فيما يزعمون"(٦).

---

(١) البحر المديد ١/٩٤.

(٢) هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرِّخ المفسِّر، ولد في آمل طربستان سنة ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد، من مؤلفاته: جامع البيان في تفسير القرآن، أخبار الرُّسُل والملوك، توفي سنة ٣١٠هـ، ينظر: طبقات الشافعية ٣/١٢٠، تاريخ بغداد ٢ /١٦٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ١/٧٢.

(٤) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، عالم بالحديث والتفسير، ولد سنة ١٣٠٩هـ، وتوفي سنة ١٣٧٧هـ، ينظر: الأعلام ١/٢٣٥.

(٥) الحقيقة لغة: من الحق، خلاف الباطل، وجمعه حقوق وحقاق، وهي في اصطلاح الصوفية: كشف رداء الصون عن مظهر الكون، فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهي: ذات الشيء وأصله، وحقيقة الإنسان: ماهيته ومادته لم يزل. ينظر: لسان العرب ١٠/٤٩، والقاموس المحيط، ص ١١٢٩، والفتوحات الإلهية، ص٢٤.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن ١/٧٢، حاشية رقم: ٢.

ويؤيد هذا الشاطبي[1] بقوله: "من الناس من زعم أن للقرآن ظاهراً وباطنًا وربما نقلوا في ذلك بعض الأحاديث والآثار، فعن الحسن[2] مما أرسله عن النبي ﷺ أنه قال: ما أنزل الله آية إلا ولها ظهر وبطن بمعنى ظاهر وباطن، وكل حرفٍ حد، وكل حد مطلع، وفُسِّر بأن الظهر والظاهر هو ظاهر التلاوة والباطن هو الفهم عن الله لمراده، فإن كان مراد من أطلق هذه العبارة ما فُسِّر فصحيح ولا نزاع فيه، وإن أرادوا غير ذلك فهو إثبات أمر زائد على ما كان معلومًا عند الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم فلا بدَّ من دليل قطعي يثبت هذه الدعوى؛ لأنها أصلٌ يحكم به على تفسير الكتاب فلا يكون ظنيًّا، وما استُدل به إنما غايته إذا صح سنده أن ينتظم في سلك المراسيل"[3].

وقال ابن حزم[4]: "لو كان لكل آية ظهر وبطن لكنا لا سبيل لنا إلى علم البطن منها بظن، ولا بقول قائل، لكن ببيان النبي ﷺ الذي أمره الله عَزَّوَجَلَّ بأن يُبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، فإن أوجدونا بيانًا عن النبي ﷺ فليس أحد أولى بالتأويل

---

(١) هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشاطبي، أصوليٌّ، حافظ، كان من أئمة المالكية، له مصنفات منها: الاعتصام، الموافقات، مات سنة ٧٩٠هـ. ينظر: الأعلام ٧٥/١.

(٢) هو أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن البصري، واسمه يسار، أمُّه مولاة أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ، رأى بعض الصحابة رضي الله عنهم، ولم يسمع من أحدٍ منهم، كان جامعًا عالمًا، رفيعًا عابدًا، ناسكًا، كثير العلم فصيحًا، توفي سنة ١١٠هـ. ينظر: تذكرة الحُفَّاظ ٧٢/١، سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤.

(٣) الموافقات ٢٢٧/٣.

(٤) هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي رضي الله عنه، له مؤلفات: منها: المحلَّى في الفقه، الملل والنحل، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ومات في شوال سنة ٤٥٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨.

في باطن ما تحتمله تلك الآية من آخر من تأول أيضًا، ومن الباطل المحال أن يكون للآية باطن لا يبيِّنُه النبيﷺ؛ لأنه كان يكون حينئذ لم يبلغ كما أمر، وهذا لا يقوله مسلم فبطل ما ظنُّوه"(١).

ووصف أبو الفضل السكسي(٢) حال القائلين بالظاهر والباطن بقوله: "والصوفية يعتزون إلى أهل السُّنَّة وليسوا منهم، قد خالفوهم في الاعتقاد والأفعال، والأقوال، أما الاعتقاد فسلكوا مسلكًا للباطنية الذين قالوا: إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا فالظاهر ما عليه حملة الشريعة النبوية، والباطن ما يعتقدونه، فكذلك -أيضًا- فرق الصوفية قالت: إن للقرآن والسُّنَّة حقائق خفيَّة باطنية غير ما عليه علماء الشريعة من الأحكام الظاهرة، التي نقلوها خلفًا عن سلف، متصلًا بالنبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة والنقلة الثقات وتلقته الأمة بالقبول وأجمع عليه السواد الأعظم"(٣).

وقال البربهاري(٤): "وكل علم ادعاه العباد من علم الباطن لم يوجد في الكتاب ولا في السُّنَّة فهو بدعة وضلالة، لا ينبغي لأحد أن يعمل به ولا يدعو إليه"(٥).

وممَّا يؤخذ على ابن عجيبة في تلقي القرآن أنه يزعم أن العارفين يسمعون القرآن بلا واسطة، حيث قال:

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٢٨٨.

(٢) هو أبو الفضل، عبَّاس بن منصور بن عبَّاس التريمي السكسكي، فقيه يماني، تولى القضاء في تعز، توفي سنة ٦٣٨هـ. ينظر: الأعلام ٣/ ٢٦٨.

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص٦٥.

(٤) أبو محمد، الحسن بن علي بن خلف البربهاري، نسبةً إلى الأدوية التي تجلب من الهند، قال ابن الجوزي عن البربهاري: جمع العلم والزُّهد، وكان شديدًا على أهل البدع، من مؤلفاته: شرح السُّنَّة، توفي عام ٣٢٩هـ. ينظر: طبقات الحنابلة ٢/ ١٦، البداية والنهاية ١١/ ٢١٣، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٠، شذرات الذهب ٢/ ٣١٩.

(٥) شرح السُّنَّة، ص١٠٦.

"العارفون بالله عَزَّوَجَلَّ لا يسمعون القرآن إلا من لدن حكيم عليم، بلا واسطة، الواسطة محذوفة في نظرهم، فهم يسمعون من الله عَزَّوَجَلَّ إلى الله عَزَّوَجَلَّ"[(١)].

وقال أيضًا: "العارف لم تبق له واسطة بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ ولا بينه وبين رسول الله ﷺ، بل يأخذ الأشياء من معدنها، فالحقيقة يأخذها من معادنها وهي شهود الذات الأقدس بلا واسطة حس الأكوان، بل تمتحي الأكوان وتمحق في نظره، فلا يرى إلا المكون، ويأخذ الشريعة من معادنها وهي الكتاب والسُّنَّة إن كان أهلًا وإلا استفتى قلبه، ولذلك قيل الصوفي لا مذهب له، أي لا يقلد أحدًا من أهل المذهب"[(٢)].

وقوله هذا واعتقاده من أخطر ما يكون على عقيدة العبد وعبادته إذ إسقاط الواسطة بين الله وبين خلقة مصادم لنصوص الشرع، ولما اتفقت عليه أهل الملل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين، واليهود والنصارى: أنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرُّسل الذين بلَّغوا عن الله أمره وخبره، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[(٣)] ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافرٌ بإجماع أهل الملل"[(٤)].

وأما ما ذكره ابن عجيبة من تلقي القرآن وسماعه بلا واسطة فهذه أيضًا من تخرصات الصوفية.

---

(١) البحر المديد ٤/١٧٥.

(٢) شرح صلاة ابن عربي، ضمن سلسلات نورانية فريدة، جمع العمراني الخالدي، ص٤٧.

(٣) سورة الحج: ٧٥.

(٤) ينظر: الواسطة بين الحق والخلق، ضمن مجموع الفتاوى، ص١٠.

قال ابن تيمية: "فكلٌّ من كان من أهل الإلهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر رضي الله عنه، فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ لا يجعل ما جاء به الرسول ﷺ تبعًا لما ورد عليه، وهؤلاء الذين أخطأوا وضلُّوا وتركوا ذلك، واستغنوا بما ورد عليهم، وظنُّوا أنَّ ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول، وصار أحدهم يقول: أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت فيقال له: أما ما نقله الثقات عن المعصوم، فهو حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك إما من المشركين، وإما من اليهود والنصارى، وأما ما ورد عليك فمن أين لك أنه وحي من الله؟ ومن أين لك أنه ليس من وحي الشيطان؟"[1].

ويقول أيضًا رحمه الله: "فليس في المحَدَّثين الملهمين أفضل من عمر رضي الله عنه"[2].

وقال ابن الجوزي[3]: "ومن قال حدَّثني قلبي عن ربي فقد صرَّح أنه غني عن الرسول، ومن صرَّح بذلك فقد كفر، فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة، ومن رأيناه يزري على النقل علمنا أنه قد عطَّل أمر الشرع، وما يؤمن هذا القائل حدثني قلبي عن ربي أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾[4]، وهذا هو الظاهر؛ لأنه ترك الدليل المعصوم وعوَّل على ما يلقي في قلبه الذي لم يثبت حراسته

(١) الواسطة بين الحق والخلق، ضمن مجموع الفتاوى ١٣/٧٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٧٣.

(٣) هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي، توفي سنة ٥٩٧هـ، ومن مصنفاته: تلبيس إبليس، زاد المسير، ينظر: البداية والنهاية ١٣/٢٨، تاريخ الإسلام ١٢/١١٠٠، ١١١٤، الأعلام ٣/٣١٦-٣١٧.

(٤) سورة الأنعام: ١٢١.

من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطرا"[1].

وقال ابن القيم: "ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالك إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي، أو رأي نفسي، فليس بعد القرآن و(أخبرنا) و(حدثنا) إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل ضلَّ عن السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسُّنَّة، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسُّنَّة فهي طريق الجحيم والشيطان الرجيم"[2].

كما يؤخذ على ابن عجيبة أنه لا يستدل بنصوص الكتاب والسُّنَّة على الأمور العقدية، حيث يقول: "إذا وقع الاختلاف في الأحكام الظاهرة -وهي ما يتعلق بالجوارح الظاهرة- رُجع فيه إلى الكتاب العزيز أو السُّنَّة المحمدية، أو الإجماع أو القياس، وإن وقع الاختلاف في الأمور القلبية -وهي ما يتعلق بالعقائد التوحيدية من طريق الأذواق أو العلوم- يُرجع فيه إلى أرباب القلوب الصافية، فإنه لا يتجلى فيه إلا ما كان هو حقٌّ وصواب"[3].

ومثال ذلك: أن المريدين لا يعرضون أو يَزِنون أقوال شيوخهم على الكتاب والسُّنَّة، ولقد شرح ابن عجيبة قول أبي الحسن الشاذلي: "من آداب مجالسة الصِّدِّيقين أن تفارق ما تعلم لتظفر بالسر المكنون"[4] فقال:

"يعني إن أردت أن تظفر بما عندهم من السرِّ المكنون فأسقط عنهم الميزان في

---

(١) تلبيس إبليس، ص٤٥١.

(٢) مدارج السالكين ٢/٤٦٨.

(٣) البحر المديد ٤/٢١٧.

(٤) إيقاظ الهمم، ص ٣٦٨.

أقوالهم، وأفعالهم، وأحوالهم، وأمَّا ما دمت تزن عليهم بميزان علمك فلا تشم رائحة من سرِّهم"(١).

وهذا تناقض واضطراب منه؛ إذ نحن مأمورون بالإيمان بجميع الكتاب والتحاكم إليه والتسليم، لا أن نؤمن ببعضه، ونكفر بالبعض الآخر، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

وقال ابن تيمية: "ومن قال: أنا محتاج إلى محمد ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شرٌّ من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمدًا رسولٌ إلى الأُمِّيين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كُفَّارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول إن محمدًا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة، فإذا ادعى المدعي أنَّ محمدًا ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان؛ وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسُّنَّة فقد ادَّعى أنَّ بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ﷺ دون البعض الآخر وهذا شرٌّ ممن يقول: أؤمن ببعض وأكفر ببعض ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين"(٣).

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣٦٨-٣٦٩، وينظر: شرح نونية الششتري، ص١٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٨٥.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص١٩٥.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[(١)].

قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: "فأمر تعالى بطاعته، وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلامًا بأنَّ طاعة الرسول تجب استقلالًا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أولم يكن فيه، فإنه أُوتِيَ الكتاب ومثله معه"[(٢)].

وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الكتاب والسُّنَّة هما الميزان للأقوال والأفعال، لهذا وُفِّقوا لكل خير؛ لأنهم "جعلوا الكتاب والسُّنَّة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسُّنَّة، فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفًا لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسُّنَّة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسُّنَّة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل"[(٣)].

وهذه من نعم الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، قال ابن تيمية رحمه الله: "وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسُّنَّة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان أنه لا يُقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أنَّ الرسول جاء بالهدى ودين الحق"[(٤)].

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/٤٨.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٣٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٣/٢٨.

وقال ابن قتيبة[1] مبيِّنًا طريقة استدلال أهل السُّنَّة: "فأمَّا أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته وتتبعوه من مظانِّه، وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله ﷺ وطلبهم لآثاره وأخباره"[2].

وارتبط أهل السُّنَّة بالنصوص نفيًا وإثباتًا، وقولهم هو ما دلَّت عليه النصوص، قال الإمام أحمد رحمه الله: "فآمركم ألا تؤثروا على القرآن شيئًا، فإنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ ... ثم بعد كتاب الله: سنة النبي ﷺ والحديث عنه وعن المهديين أصحاب النبي ﷺ"[3] "قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[4].

وتفسير الآية "أي إلى كتاب الله وإلى رسوله ﷺ ما دام حيًا، وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسُّنَّة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد"[5].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﷺ «خطَّ لنا رسول الله يومًا خطًّا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبلٌ على كلِّ سبيل شيطان يدعو إليه ثم تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ

---

(١) هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صاحب التصانيف، قال عنه الذهبي: الرَّجُل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمَّة وعلوم مهمَّة منها: غريب القرآن، غريب الحديث، مشكل الحديث، توفي سنة ٢٧٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٤٢/٣-٤٣، سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣-٣٠٢.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص٥١.

(٣) طبقات الحنابلة ٣٤٢/١.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) تفسير البغوي ٢٤٢/٢.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]»،[2].

ولا حلاوة للإيمان إلا باتباع هدي محمد ﷺ ومحبته وتقديم قوله على قول كل أحد، قَالَ رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[3].

وكل قول لا يوزن بميزان الشرع فهو مردود على صاحبه قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾[4]، قال ابن كثير[5] في تفسير الآية: "لو أجابهم الله عَزَّوَجَلَّ إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن"[6].

وقال تعالى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[7]، "فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٤٣٥-٤٦٥، والطيالسي في المسند ٢٤٤، والدارمي في السنن ١/٦٧، والنسائي في السنن الكبرى ١١١٧٤، وابن حبان في صحيحه ٦-٧، والحاكم في المستدرك ٢/٣١٨، وقال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، وحسَّنه الألباني في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح ١/٨٥، رقم ١٦٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١/٢٢، رقم ١٦.

(٤) سورة المؤمنون: ٧١.

(٥) هو: أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصروي، ثم الدمشقي الفقيه الشافعي، ولد سنة ٧٠١هـ، حفظ القرآن، وبرع في التفسير، له عناية بالرِّجَال، والمتون، والتفقُّه، ومن مصنفاته: أحكام التنبيه، اختصار علوم الحديث، تفسير ابن كثير، توفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر: الدرر الكامنة ١/٤٠٠، النجوم الزاهرة ١١/١٢٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٥٠.

(٧) سورة النور: ٦٣.

خالفه فهو مردود على قائله، وفاعله كائنًا من كان"[1].

وابن عجيبة كغيره من الصوفية[2] الذين يعتقدون السرَّ[3] في شيخ الطريقة، فقد وضَّح هذا بقوله في تعريف العلم المخزون الذي تدَّعيه الصوفية: هو العلم الموهوب الذي يفيض على القلوب من حضرة علام الغيوب، لا يناله بحيلة ولا اكتساب، ولا يؤخذ من دفتر ولا كتاب، وإنما من حضرة الكمال مع حكمة صحبة الرجال، أو بمحض الفضل والنوال، وهي أسرار الربوبية التي أخفاها الله عن خلقه، ولم يطلع عليها إلا خواص أوليائه، فإذا نطقوا بها مع غير أهلها ردوا عليهم، وربما أباحوا دمائهم، ومنها الاطلاع على أسرار القدر وعجائب المغيبات ...[4].

ولقد بيَّن أئمة السُّنَّة في ردودهم هذا الانحراف في المعتقد، قال ابن تيمية رحمه الله: "ولكن لقولهم سرٌّ خفيٌّ وحقيقة باطنة لا يعرفها إلا خواص الخلق، وهذا السرُّ هو أشدُّ كفرًا وإلحادًا من ظاهره؛ فإنَّ مذهبهم فيه دقة وغموض وخفاء، قد لا يفهمه كثير من الناس.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٠٧.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ١/٥٤.

(٣) السِّر في اللغة هو: إخفاء الشيء وكتمه، قال ابن فارس: السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء، وما كان من خالصه ومستقره، ولا يخرج شيءٌ منه عن هذا، فالسِّر: ما تكتمه وتخفيه، خلاف الإعلان، يقال: أسررت الشيء إسرارًا: إذا أخفيته، خلاف أعلنته، وهو أيضًا ما يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، أمَّا في اصطلاح الصوفية: فهو: لطيفةٌ مودعةٌ في القلب كالرُّوح في البدن، وهو محلُّ المشاهدة، كما أنَّ الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة.

وسِرُّ الربوبية: ظهور الرَّبِّ بصور الأعيان، فهي من حيث مظهريتها للرَّبِّ القائم بذاته، الظاهر بتعيُّناته، قائمة به، وموجودة بوجوده، فهي عبيد مربوبون في هذه الحيثية، والحقُّ ربٌّ لها، فما حصلت الربوبية إلا بالحق والأعيان معدومة بحالها في الأزل. ينظر: مقاييس اللغة ٣/٦٧، القاموس المحيط، ص٣٦٦، مختار الصحاح، ص١٢٤، الرسالة القشيرية، ص٩٧، المعجم الصوفي، ص١٢٣٣، الموسوعة الصوفية، ص٧٩١-٧٩٢.

(٤) ينظر: إيقاظ الهمم، ص٦٢٧.

ولهذا تجد كثيرًا من عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض(١)، ويتواجد عليها ويعظمها ظانًّا أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة، وهو لا يفهمها ولا يفهم مراد قائلها.

وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدين، فلا يفهمون حقيقته.

فإمَّا أن يتوقفوا عنه، أو يعبروا عن مذهبهم بعبارة من لم يفهم حقيقة؛ وإما أن ينكروه إنكارًا مجملًا من غير معرفةٍ بحقيقته، ونحو ذلك، وهذا حال أكثر الخلق معهم.

وأئمتهم إذا رأوا من لم يفهم حقيقة قولهم طمعوا فيه، وقالوا: هذا من علماء الرسوم، وأهل الظاهر، وأهل القشر، وقالوا: علمنا هذا لا يعرف إلا بالكشف والمشاهدة، وهذا يحتاج إلى شروط، وقالوا: ليس هذا عشك فادرج عنه، ونحو ذلك مما فيه تعظيمٌ له وتشويقٌ إليه، وتجهيلٌ لمن لم يصل إليه، وإن رأوه عارفًا بقولهم نسبوه إلى أنه منهم وقالوا: هو من كبار العارفين ... فضلالهم عظيم وإفكهم كبير وتلبيسهم شديد، والله تعالى يظهر ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"(٢).

---

(١) أبو حفص وأبو القاسم، عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري، شاعرٌ صوفي، شيخ الاتحادية، لقبه: (سلطان العاشقين)، قُتل بفتوى من العلماء لإلحاده، يُعتبر شهيدًا عند الصوفية، في قصيدته (التائية) القول ب(وحدة الوجود)، يقول الذهبي عن قصيدته: (فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، توفي سنة ٥٣٢هـ، وعمره ست وخمسون سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦/٢٦٥، وفيات الأعيان ٢/٢١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٣٩٧.

وقال في موضع آخر: "ومن قال من ضُلَّال المسلمين: "إنَّ الرب يتحد أو يحل في الأنبياء والأولياء، وإنَّ هذا من السرِّ الذي لا يباح به، فقوله من جنس قول النصارى في المسيح، وهذا كثيرٌ في كلام كثير من المشايخ والمدَّعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد، فيجعلون توحيد العارفين أن يصير الموحِّد هو الموحَّد ... ومن هؤلاء من يقول: إنَّ هذا هو السرُّ الذي باح به الحلاج(١) وغيره، وهذا عندهم من الأسرار التي يكتمها العارفون، فلا يبوحون بها إلا لخواصهم.

ومنهم من يقول: إنما قتل الحلاج ؛ لأنه باح بهذا السر، وينشدون:

من باح بالسرِّ كان القتلُ شيمتَهُ بين الرِّجالِ ولم يؤخذ له ثارُ"(٢)

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله(٣): "فمنهم من يحب شيخًا فيتزيًّا في صورته ويقول: أنا فلان، ويكون ذلك في برية ومكان قفر، فيطعم ذلك الشخص طعامًا ويسقيه شرابًا، أو يدلُّه على الطريق، أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة، فيظن ذلك الرَّجل أنَّ نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك ...، أو هذا ملك جاء على صورته، وإنما

---

(١) الحسين بن منصور بن محمي الحلاج، البيضاوي الفارسي، ولد في مدينة البيضاء بفارس سنة ٢٤٤هـ، ونشأ في العراق وتنقَّل فيها وسكن البصرة، ثم دخل بغداد، وظهر أمره سنة ٢٩٩هـ، من مؤلفاته: الطواسين، ولقد كان من أصحاب الاتحاد والحلول، وعندما كثر شرُّه وأعلن إلحاده قتل على الزندقة والكفر والحلول، سنة٣٠٩ هـ. ينظر: تاريخ الإسلام ١٤٣/٧-١٤٤، الأعلام، ٢٦٠/٢، الموسوعة الصوفية ١٣١/١٢٦.

(٢) الجواب الصحيح ٤٩٥/٤-٤٩٦.

(٣) هو الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد آل باز، ولد سنة١٣٣٠هـ في الرياض، كان في بداية عمره بصيرًا، ثم فقد بصره عام ١٣٥٠هـ، حفظ القرآن قبل سن البلوغ، ومن أبرز مشايخه: محمد بن عبد اللطيف، سعد بن عتيق، محمد بن إبراهيم، تقلَّد مناصب عدة من قضاء، وتدريس، ونائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية ثم عُيِّن رئيسًا لها، ثم مفتيًا عامًّا، له مؤلفات عدة: منها مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، التحقيق والإيضاح من مسائل الحج والعمرة والزيارة، توفي عام ١٤٢٠هـ في الطائف وصُلِّي عليه في مكة. ينظر: ترجمة لسماحة الشيخ ابن باز، ص٩-١٠، ١١، ١٧، ٢٠.

يكون ذلك جنيًا، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك، والإثم والعدوان، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[1]، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء، وعزير والمسيح، فبيَّن الله تعالى أنَّ الملائكة والأنبياء عباد الله كما أنَّ الذين يعبدونهم عباد الله، وبيَّن أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين[2].

والذي ظهر أنهم يقصدون بالسر في الشيخ، الألوهية فيه -تعالى الله عما يقولون[3].

ولقد استدل ابن عجيبة بآيات الكتاب على عقائد الصوفية الباطلة، منها:

أولًا: مسألة: تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة وأدلته عليها

قال: "علم الحقيقة هو علم الباطن، والشريعة تكليف الظواهر، والحقيقة شهود الحق في تجليات المظاهر، وظاهر الشرع هو: العلم الظاهر وهو العلم المنقول، والعلم الباطن هو العلم الموهوب"[4].

لم ترد عبارة الحقيقة والشريعة والتمييز بينهما في كلام الصحابة ﷺ ولا كلام التابعين، وإنما ذلك من ألفاظ الصوفية واصطلاحاتهم[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "وقد شاع في كلام كثير من الناس: علم الظاهر وعلم الباطن وأهل الظاهر وأهل الباطن ودخل في هذه العبارات حق وباطل

---

(١) سورة الإسراء: ٥٦.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ٩/١١٢.

(٣) ينظر: شرح كشف الشبهات، ص١٢٤.

(٤) الفتوحات الإلهية، ص٣٢٧، ٣٣٣.

(٥) البحر المحيط ٤/٦٩، وينظر: تلبيس إبليس، ص٢٨٧.

... إلى أن قال: ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالإيمان ودفع النفاق كان منافقًا إن أظهر الإسلام؛ فإن الإسلام يظهره المؤمن والمنافق وهو علانية والإيمان في القلب"(١).

وقال أيضًا: "ولكن نعلم جماع الأمر أن كل قول وعمل فلا بدَّ له من ظاهر وباطن فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه ما يقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان وظاهر العمل حركات الأبدان وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الإنسان، فالمنافق لما أتى بظاهر الإسلام دون حقائق الإيمان لم ينفعه ذلك وكان من أهل الخسران؛ بل كان في الدرك الأسفل من النار"(٢).

ويزيد تأكيد ما سبق فيقول: "والمقصود هنا أن الظاهر لا بدَّ له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطنًا يخالف ظاهرًا فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه، فكما أنَّ الإنسان لا بدَّ له من روح وبدن وهما متفقان فلا بدَّ لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الإنسان والظاهر للظاهر منه"(٣).

وقال ابن عقيل(٤): "جعلت الصوفية الشريعة اسمًا وقالوا المراد منها الحقيقة، وهذا قبيح؛ لأنَّ الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٢٣٠.

(٢) رسالة في علم الباطن والظاهر ١/٢٤٧، في مجموع الفتاوى.

(٣) مجموع الفتاوى ١/٢٥١.

(٤) هو أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الحنبلي، المتكلم، شيخ الحنابلة، صاحب كتاب الفنون، ولد سنة ٤٣١هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٢٤٨، طبقات الحنابلة ٢/٢٥٩.

سوى شيءٌ واقعٌ في النفس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرورٌ مخدوع"[1].

وقال ابن الجوزي: "وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهلٌ من قائله؛ لأن الشريعة كلُّها حقائق"[2]، وقال أيضًا: "وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر، وسموا هواجيس النفس علم الباطن"[3]، وقال ابن رجب رحمه الله[4]: "وكثير ممن يدعي العلم الباطن ويتكلم فيه ويقتصر عليه يذم العلم الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام، ويطعن في أهله ويقول: هم محجوبون وأصحاب قشور، وهذا يوجب القدح في الشريعة المطهرة والأعمال الصالحة التي جاءت الرُّسل بالحثِّ عليها والاعتناء بها، وربما انحل بعضهم عن التكاليف وادعى أنها للعامة، وأمَّا من وصل فلا حاجة به إليها وأنها حجاب له، وهؤلاء كما قال الجنيد-سيد الطائفة عندهم- وغيره من العارفين: وصلوا ولكن إلى سقر، وهذا من أعظم خداع الشيطان وغروره لهؤلاء، لم يزل يتلاعب بهم حتى أخرجهم عن الإسلام، ومنهم من يظن أن هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة، ولا من الكتاب والسُّنَّة!، وإنما يتلقى من الخواطر والإلهامات والكشوفات! فأساءوا الظن بالشريعة الكاملة، حيث ظنُّوا أنها لم تأت بهذا العلم النافع، الذي يوجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب! وأوجب ذلك لهم الإعراض عمَّا جاء به الرسول ﷺ في هذا الباب بالكلية والتكلم فيه بمجرد الآراء والخواطر، فضلُّوا وأضلُّوا"[5].

(١) ينظر: تلبيس إبليس، ص٣٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٢٤.

(٣) نفسه، ص٣٢١.

(٤) هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، زين الدين البغدادي الدمشقي، له مؤلفات منها: جامع العلوم والحكم، فتح الباري على شرح صحيح البخاري، القواعد الفقهية، توفي سنة ٧٩٥هـ. ينظر: شذرات الذهب ٦/٣٣٩.

(٥) شرح حديث العلم، ص١٦.

وممن ردّ هذا التقسيم ابن القيم حيث قال: "ومن كيد الشيطان: ما ألقاه إلى جُهَّال المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات، وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقًا إن سلكوه أفضى بهم إلى الكشف العيان، وأغناهم عن التقيد بالسُّنَّة والقرآن، فحسَّن لهم رياضة النفوس وتهذيبها، وتصفية الأخلاق والتجافي عمَّا عليه أهل الدنيا، وأهل الرياسة والفقهاء، وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم، فلما خلا من صورة العلم الذى جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعدٌ له من أنواع الباطل، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفًا وعيانًا، فإذا أنكره عليهم ورثة الرُّسل قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور ولنا اللباب، فلما تمكَّن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسُّنَّة والآثار كما ينسلخ الليل عن النهار، ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها عن الآيات البيِّنات، وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات فلا تعرض على السُّنَّة والقرآن، ولا تُعامل إلا بالقبول والإذعان، فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات، وأنواع لهذيان، وكلما ازدادوا بعدًا وإعراضًا عن القرآن وما جاء به الرّسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم"[(١)].

ومما يجب أن يلاحظ هنا أن فكرة الظاهر والباطن عند الصوفية جذورها شيعية كما رأى الشيخ إحسان إلهي ظهير[(٢)] يقول: "وأمَّا الفكرة الأخرى التي

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/١١٩.

(٢) إحسان إلهي ظهير بن طهور إلهي بن أحمد الدين بن نظام الدين، من أسرة سيتي، عالم باكستاني، ولد في سيكالوت عام ١٣٦٣هـ، اغتيل عام ١٤٠٧هـ. ينظر: إتمام الأعلام، ص٢٧، الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه =

تسربت إلى التصوف من التشيع، واعتنقها الصوفية بتمامها هي فكرة تقسيم الشريعة إلى الظاهر والباطن، والعام والخاص، ومنها تدرجت وتطرقت إلى التأويل الباطني والتفسير المعنوي، وتفريق المسلمين بين العامة والخاصة، فإن الشيعة بجميع فرقها، وخاصة الإسماعيلية[١] منهم من يعتقدون أن لكل ظاهر باطنًا، وقد اختص بمعرفة الباطن علي رضي الله عنه وأولاده أي أئمتهم المعصومون حسب زعمهم، فسموا الموالين لهم بالخاصة، وغير المؤمنين بهذه الفكرة بالعامة ... ثم قالوا: إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصاحب الحقيقة هو الوصي علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

واستدل بقصة الخضر عليه السلام فقال: "إن جماعة من العوام أنكروا علم الباطن، وقالوا ليس إلا علم الشريعة الذي هو العلم الظاهر، وأما علم الباطن فلم ينزل به كتابٌ ولا سُنَّة.

قلنا[٣]: يُرَدُّ عليهم بقول الله عَزَّوَجَلَّ في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[٤]"[٥].

=

وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة، ص٦٣.

(١) الإسماعيلة: هم المنسوبون إلى محمد بن إسماعيل وهو ابن جعفر الصادق، يقولون بالتفسير الباطني، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ اختصَّ بالعلم علي بن أبي طالب، ويقولون بكفر من خالف عليًّا، ويقولون بإمامة الاثني عشر. ينظر: الفرق بين الفرق، ص٤٢، والملل والنحل، للشهرستاني ١/١٩١.

(٢) ينظر: التصوف، المنشأ والمصادر، ص٢٤٣، الفكر الصوفي في ضوء القرآن والسُّنَّة، ص٤٢١.

(٣) القائل: ابن عجيبة.

(٤) سورة الكهف: ٦٥

(٥) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ص٢٣٧.

فهو يرى أن المراد من قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ هو علم الحقيقة إذ قال في تفسيره:

"وعلَّمناه من لدنا علما خاصًا، لا يُكتنه كنهه، ولا يُقدر قدره، وهو علم الغيوب، أو أسرار الحقيقة"(١).

فيجاب عن ذلك أن هذه القصة باطلة بكلام العلماء المحققين، قال ابن حجر(٢): "قوله: يا موسى إن لي علمًا لا ينبغي لك أن تعلمه أي جميعه وإن لك علمًا لا ينبغي لي أن أعلمه أي: جميعه وتقدير ذلك متعين؛ لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى بالمكلَّف عنه وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي"(٣).

وقال القاضي عياض رحمه الله(٤): "وقيل مراد موسى عليه السلام بقوله (أنا أعلمُ) أي بوظائف النبوة وأمور الشريعة وسياسة الأمر والخضر أعلم منه بأمورٍ أُخر من علوم غيبية كما ذكر من خبرهما، وكان موسى عليه السلام أعلم على الجملة والعموم مما لا يمكن جهل الأنبياء بشيءٍ منه، والخضر أعلم على الخصوص بما أعلم من محنات الغيب وحوادث القدر، وقصص الناس مما لا يعلم الأنبياء منه إلا ما أعلموا به مما استأثر الله به من غيبه ، وما قدره وسبق في علمه مما كان، ويكون في خلقه؛ ولذلك قال

(١) البحر المديد ٣/٢٨٦.

(٢) هو أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني، شهاب الدين، ولد سنة ٧٧٣هـ، أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن له تصانيف كثيرة، وأصبح حافظ الإسلام في عصره، توفي سنة ٨٥٢هـ، ينظر: البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ١/٨٧.

(٣) فتح الباري ٨/٤١٨.

(٤) أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، من علماء المغرب، استقرَّ في فاس، له مؤلفات منها: ترتيب المدارك، كتاب الشفاء، توفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٢/٢٣٠.

الخضر في الحديث: «إنَّك على علم من علم الله علَّمك لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه»[^1]، ألا تراه لم يعرف موسى بني إسرائيل حتى عرفه بنفسه إذا لم يعرفه الله به"[^2].

ثانيًا: زعمه أن النبي ﷺ هو واضع علم الحقيقة والشريعة

قال ابن عجيبة: "وأما واضع هذا العلم فهو النبي ﷺ علَّمه الله بالوحي والإلهام فنزل جبريل بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانيًا بالحقيقة، فخص بها بعضًا دون بعض، وأول من تكلم فيه وأظهره علي رضي الله عنه، وأخذه الحسن البصري"[^3].

وهذا الاستدلال من ابن عجيبة لا يثبت ما ساقه لأجله، والنبي ﷺ توفى ولم يترك خيرًا إلا ودلَّ الأُمَّة عليه، ولم يخص أحدًا بعلم دون سائر الأُمَّة بل استوى ظاهره وباطنه.

قال ابن تيمية: "هذا كما في الصحيح أنه قيل لعلي رضي الله عنه: هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئًا؟ وفي لفظ: هل عهد إليكم رسول الله ﷺ شيئًا لما يعهده إلى الناس؟ فقال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه وما في هذه الصحيفة»[^4]،[^5] وهذا خروج في الاستدلال عن طريق العلماء، قال الشاطبي مبيِّنًا حال أهل البدع في الاستدلال: "وحاصلها الخروج في الاستدلال عن الطريق

[^1]: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمُّم، باب قول ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا»، ١/٤٦٤ رقم ١٢٢.
[^2]: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، باب فضائل الخضر عليه السلام ٧/٣٦٦.
[^3]: إيقاظ الهمم، ص٢٥.
[^4]: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، ٤/٢٣٨ رقم ٣٠٤٧.
[^5]: مجموع الفتاوى ٢/٢١٧.

الذي أوضحه العلماء وبيَّنه الأئمة، وحصر أنواعه الراسخون في العلم، ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات عرف أنها لا تنضبط؛ لأنها سيالة لا تقف عند حد وعلى كل وجه يصح لك زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره، حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة فقد رأينا وسمعنا عن بعض الكفَّار أنه استدل على كفره بآيات القرآن ... وكذلك كل من اتبع المتشابهات، أو حرف المناطات، أو حمل الآيات ما لا تحمله عند السلف الصالح، أو تمسَّك بالأحاديث الواهية، أو أخذ الأدلة ببادئ الرأي له أن يستدل على كل فعل أو قول، أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث لا يفوز بذلك أصلًا والدليل عليه استدلال كل فرقة شهرت بالبدعة على بدعتها بآية أو حديث من غير توقف"[1].

ثالثًا: استدلاله بالقول المنسوب إلى عمر رضي الله عنه

وهو: «كنتُ أدخل على النبي ﷺ وهو وأبو بكر رضي الله عنه يتكلَّمان في علم التوحيد فأجلس بينهما كأني زنجي لا أعلم ما يقولان».

قال ابن عجيبة: "فهذا التوحيد الذي يتكلَّم فيه النبي ﷺ مع الصدِّيق رضي الله عنه هو التوحيد الخاص، وهو غوامضه وأسراره التي لا تفشى إلا لأهله، وهو المسمَّى عندنا بعلم الباطن، ويُسمى -أيضًا- بعلم الحقيقة"[2].

وهذا الأثر كذَّبه ابن تيمية فقال: "وما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ذكر عنه قط، ولا روى هذا أحد بإسناد صحيح ولا ضعيف، وهو كلام باطل؛ فإن من كان دون عمر رضي الله عنه كان يسمع كلام النبي ﷺ ويفهم ما ينفعه الله به، فكيف

(١) الاعتصام ١/٢٨٤.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٢٧٤.

بعمر؟! وعمر أفضل الخلق بعد أبي بكر، فكيف يكون كلام النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه بمنزلة كلام الزنجي، ثم الذين يذكرون هذا الحديث من ملاحدة الباطنية؛ يدعون أنهم علموا ذلك السر الذى لم يفهمه عمر رضي الله عنه وحمله كل قوم على رأيهم الفاسد ... فهل يقول عاقل: إن عمر رضي الله عنه وهو شاهد لم يفهم ما قالا، وإن هؤلاء الجهال الضُّلَّال أهل الزندقة والإلحاد والمحال علموا معنى ذلك الخطاب، ولم ينقل أحد لفظه، وإنما وضع مثل هذا الكذب ملاحدة الباطنية، حتى يقول الناس: إن ما أظهره الرُّسل من القرآن والإيمان والشريعة له باطن يخالف ظاهره؛ وكان أبو بكر رضي الله عنه يعلم ذلك الباطن دون عمر، ويجعلون هذا ذريعة عند الجُهَّال إلى أن يسلخوهم من دين الإسلام"[(١)].

رابعًا: استدلاله بالآيات على مسألة التفسير الحرفي الإشاري لدى الصوفية، والتفسير الباطني

فسَّر ابن عجيبة قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ﴾[(٢)] تفسيرًا حرفيًا، قال ابن عجيبة: يقول أهل الإشارة: يقول الحق جلَّ جلاله: ألف أفرد سرَّك إليَّ، انفراد الألف عن سائر الحروف، واللام: ليِّن جوارحك لعبادتي، والميم أقم معي بمحو رسومك وصفاتك، أزينك بصفاء الأنس والقرب مني[(٣)]، وفسَّر الآيات بالتفسير الإشاري[(٤)]،

(١) مجموع الفتاوى ٣/١٨٢.

(٢) سورة البقرة: ١.

(٣) البحر المديد ١/٧١- ٧٢.

(٤) التفسير الإشاري: من الإشارة وهي في اللغة من أشار إليه بيده أو نحوهما: أومأ إليه معبِّرًا عن معنى من المعاني كالدعوة إلى الدخول أو الخروج، وفي الاصطلاح: "تأويل القرآن بغير ظاهرة لإشارة خفيفة تظهر لأرباب السلوك والتصرف، ويمكن الجمع بينهما وبين الظاهر والمراد أيضًا". ينظر: لسان العرب ٤/٢٣٥٨، المعجم الوسيط ١/٤٩٩، مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٦٦.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها: عند قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[1]، يقول: "يشير إلى بحر علم الشريعة، وبحر علم الحقيقة يلتقيان في الإنسان الكامل ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[2]، وهو العقل فإنه يحجز الشريعة أن تعدوا محلها والحقيقة أن تجاوز محلها، فالشريعة محلها الظواهر، والحقيقة محلها البواطن، والعقل برزخ بينهما[3].

فكيف لابن عجيبة أن يقول بهذا مع أنه يشار إليه بالبنان في علوم شتى، فسبحان من له الأمر وإليه الحكم جلَّ جلاله، وهذه الطريقة التي سلكها في تفسيره آي القرآن مردودة إن لم يأتِ بشروطها.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس، وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس؛ الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام؛ لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك فإن كانت (الإشارة اعتبارية) من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وإن كان تحريفًا للكلام عن مواضعه وتأويلًا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية"[4]، وقال أيضًا: "إن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس، لا من باب

(١) سورة الرحمن: ١٩.

(٢) سورة الرحمن: ٢٠.

(٣) ينظر: البحر المديد ٧/٤٠٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/٣٧٧.

والقرامطة: هم أتباع حمدان بن قرمط، كان رجلًا متواريًا، صار إليه دعاة الباطنية ودعوه إلى معتقدهم فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها، وكان هلاكه سنة ٢٦٤هـ. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ص٧٩.

والباطنية: هم قومٌ تستروا بالإسلام، ومالوا إلى الرفض، من عقائدهم: تعطيل الصانع، وإبطال النبوة، والعبادات، وإنكار البعث، وهم لا يُظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أنَّ الله حق، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، والدين =

دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياسًا هو الذي تسميه الصوفية إشارة وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك فمن سمع قول الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1] وقال: إنه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال: كما أنَّ اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحًا واعتبارًا صحيحًا ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2]"،[3].

ولو قال أحد المنافحين عن ابن عجيبة: استنبط هذا التفسير بسبب تدبره للقرآن، فهو عالم بتوجيه القراءات واللغة، لكان هذا مردودًا بكلام أهل التحقيق من العلماء.

=

صحيح، لكنهم يقولون لذلك سرًّا غير ظاهر، وانتشرت هذه الفرقة في زمان المعتصم، وأبرز مؤسسي هذه الدعوة ميمون بن ديصان، المعروف بالقداح، وأطلق عليها ألقاب كثيرة، ومذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قوم الإمام المعصوم ... وأنَّ كل زمان لا بدَّ فيه من إمام معصوم، ومن عقائدهم: السرية الشديدة، وذهب قومٌ منهم إلى القول بوجود إلهين ويسمون الأول عقلًا، والثاني نفسًا، تكذبًا خرصًا، ينظر: تلبيس إبليس، ص١١٥، الفرق بين الفرق، ص٢٨٤-٢٨٥، فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، ص٣٧.

والجهميَّة: هم طائفةٌ من المبتدعة يُنسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، من بدعهم التي أحدثوها: القول بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى، وأنَّ العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار، وأنَّ الإيمان هو المعرفة، ولا يزيد ولا ينقص، وكانت وفاته سنة ١٢٨هـ. ينظر: الفرق بين الفرق، ص٢١١، مقالات الإسلاميين ١/٢١٤، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٢٠٤، الملل والنحل ١/٨٦.

(١) سورة الواقعة: ٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٣٧٧.

قال الشاطبي: "الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الظاهرة للبصائر إذا صحَّت على كمال شروطها فهي على **ضربين**:

أحدهما: ما يكون أصل انفجاره من القرآن، ويتبعه سائر الموجودات؛ فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق نور البصيرة فيه حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح أو غير كامل، حسبما بيَّنه أهل التحقيق بالسلوك.

والثاني: ما يكون أصل انفجاره من الموجودات جزئيها أو كليها، ويتبعه الاعتبار في القرآن.

فإن كان الأول؛ فذلك الاعتبار صحيح، وهو معتبر في فهم باطن القرآن من غير إشكال؛ لأن فهم القرآن إنما يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن وهو الهداية التامة على ما يليق بكلِّ واحدٍ من المكلَّفين وبحسب التكاليف وأحوالها، لا بإطلاق، وإذا كانت كذلك؛ فالمشي على طريقها مشي على الصراط المستقيم، ولأن الاعتبار القرآني قلَّما يجده إلا من كان من أهله عملًا به على تقليد أو اجتهاد؛ فلا يخرجون عند الاعتبار فيه عن حدوده، كما لم يخرجوا في العمل به والتخلق بأخلاقه عن حدوده، بل تنفتح لهم أبواب الفهم فيه على توازي أحكامه، ويلزم من ذلك أن يكون معتدًّا به لجريانه على مجاريه، والشاهد على ذلك ما نقل من فهم السلف الصالح فيه؛ فإنه كله جارٍ على ما تقضي به العربية، وما تدل عليه الأدلة الشرعية حسبما تبين قبل.

وإن كان الثاني؛ فالتوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن لازم، وأخذه على إطلاقه ممتنع؛ لأنه خلاف الأولى"[1].

---

(١) الموافقات ٣/٢٨٦-٢٨٧.

وحتى يكون استنباطًا صحيحًا لا بدَّ له من شروط، قال ابن القيم رحمه الله: "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى: وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لابأس به بأربعة شروط:

١- ألا يناقض معنى الآية.

٢- وأن يكون معنىً صحيحًا في نفسه.

٣- وأن يكون في اللفظ إشعار به.

٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا"[١].

ومن تأمل أقوال أئمة السُّنَّة علم أنهم أدق النَّاس نظرًا، وأعلمهم بصحيح المنقول، وصريح المعقول، فأتت أقوالهم موافقة للمنصوص والمعقول؛ ولهذا ائتلفت ولم تختلف، وتوافقت، ولم تتناقض، أمَّا الذين خالفوهم فلم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول، فتشعَّبت بهم الطرق، وصاروا مختلفين في الكتاب، مخالفين للكتاب[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من فسَّر القرآن أو الحديث وتأوَّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فهو مفتر على اللّه عَزَّوَجَلَّ، ملحد في آيات اللّه، محرِّف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"[٣].

---

(١) التبيان في أقسام علوم القرآن ١/٤٩.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٢٠٩.

ولهذا من لم يأخذ العلم عن العلماء النقاد الذين امتن الله عَزَّوَجَلَّ عليهم بفهم الكتاب والسُّنَّة وفق فهم السلف الصالح حتمًا سيقع في أودية الجهل والضلال متخذًا رؤساء جهلاء يسألهم.

قال نبيُّنا محمَّد ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وَأضَلُّوا»[1].

وما فعله ابن عجيبة -من لي أعناق النصوص- غايته أن يبرهن لقوله، ويشهد لذلك قول المستشرق نيكلسون -وهو باحث متخصص في التصوف[2]- : "ولا يمكن أن يكون القرآن أساسًا لأيِّ مذهبٍ صوفي، ومع ذلك استطاع الصوفية متبعين في ذلك الشيعة أن يبرهنوا بطريقة التأويل نصوص الكتاب والسُّنَّة تأويلًا يلائم أغراضهم، على أن كل كلمة في القرآن وراءها معنى باطنًا لا يكشفه الله تعالى إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات وجدهم، ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعد أن سلَّموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلًا من القرآن لكل قولٍ من أقوالهم، ولأي نظرية من نظرياتهم أيًّا كانت، وأن يقولوا: إن التصوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ"[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ٣١/١، رقم ١٠٠.

(٢) هو: رينولد ألين نيكولوسون، مستشرق إنجليزي، تعلَّم العربية والفارسية، درَّس في جامعة كيمبردج، تخصص لغات شرقية وآدابها، له مصنفات منها: الصوفية في الإسلام، فكرة الشخصية في التصوُّف، وغيرها، مات سنة ١٩٤٥. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ١٨٦٨/٢.

(٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص٧٦.

كما أنَّ القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين، وكل معنى يستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن من شيء، و"للقرآن عرف ومعان معهودة لا يناسبه تفسيرها بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه، والمعهود من معانيه، فإنَّ نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، كما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأوضحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي تعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيرها بغيرها من المعاني التي لا تليق به"(١).

ورضي الله عَزَّوَجَلَّ عن صحابة رسول الله ﷺ الذين نقلوا إلينا القرآن والسُّنَّة لفظًا ومعنى وكانوا معه ﷺ والوحي ينزل عليه.

قال الشافعي رحمه الله: "أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًّا وعزمًا وإرشادًا وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كلِّ علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمدُ وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا ومن أدركنا ممن يرضى، أو حكي لنا عنه ببلدنا"(٢).

وقد أخرج ابن عجيبة ألفاظ الوحي إلى معانٍ خاصَّة لا يعلمها إلا أصحاب الذوق -بزعمه-، "وقد علم بالاضطرار أن ما يفسرون به كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله ﷺ بل وكلام غيرهما ليس داخلًا في مرادهم فضلًا عن أن يكون هو المراد، بل غالب تفاسيرهم منافية لما أراد الله عَزَّوَجَلَّ، إمَّا من ذلك اللفظ وإما من غيره، وإن

---

(١) التفسير القيم، ص٢٦٩، وينظر: الموافقات ٣/٢٣٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/٨١.

كان طوائف من المشهورين بالفقه والتصوف يطلقون هذه العبارات الإسلامية بالتفاسير الفلسفية القرمطية"[1]، وبهذا حادوا عن متابعة السابقين الأولين.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلوك سبيلهم ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به لا يعرفون طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف، فهؤلاء تجد عمدتهم في كثير من الأمور المهمة في الدين إنما هو عمَّا يظنونه من الإجماع وهم لا يعرفون في ذلك أقوال السلف البتة أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها"[2].

وبهذا يظهر أن تأويل ابن عجيبة في ألفاظ القرآن لا أصلَ له.

قال الشاطبي رحمه الله: "ولا يعرفه العرب، لا من آمن منهم ولا من كفر، والدليل على ذلك أنه لم ينقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين تفسير للقرآن أو يقاربه، ولو كان عندهم معروفًا لنقل؛ لأنهم كانوا أحرى بفهم ظاهر القرآن وباطنه باتفاق الأئمة، ولا يأتي آخر هذه الأُمَّة بأهدى مما كان عليه أولها، ولا هم أعرف بالشريعة منهم، ولا أيضًا ثَمَّ دليل يدل على صحة هذا التفسير، لا من مساق الآية؛ فإنه ينافيه، ولا من خارج؛ إذ لا دليل عليه كذلك، بل مثل هذا أقرب إلى ما ثبت رده ونفيه عن القرآن من كلام الباطنية ومن أشبههم"[3].

ومن تأمل أقوال ابن عجيبة في تفسيره يجد أن معاني القرآن تنكشف –بزعمه– على حسب الاستعداد الروحي بحثًا عن المعنى الباطن، ولقد صرَّح بذلك في

---

(١) بغية المرتاد، ص١٨٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٢٥.

(٣) الموافقات ٤/٢٤٨.

قوله: "ولقد كنتُ في حال الرياضة والمجاهدة إذا أردت أن أتكلم في التفسير، أو غيره أشرع في الكلام، ثم أغيب، فكنت أحس بالكلام يخرج مني من غير اختيار كأنه السحاب، فتصدر مني علوم وحكم فإذا سكتُّ لم يبق إلا القليل"[1]، ولهذا تجد اضطرابات الصوفية في بحثهم عن المعنى الباطن، بل الصوفي يعزل نفسه عن وسائل فهم آيات الكتاب فيغفل عن الظاهر ويعرض عن أقوال المفسرين المحققين، وينصرف عن أحكام اللغة العربية، بل يجعل وسائل الفهم حُجب تحجب المفسِّر عن المعنى الباطن[2].

خامسًا: استدلاله بالكتاب، وذلك عندما فسَّر الرواسي بالأبدال في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3]

يقول: "في الظاهر: الجبال، وفي الحقيقة: الأبدال، الذين هم أوتاد، بهم يقيهم، وبهم يصرف عن قريبهم وقاصيهم"[4].

وتفسيره الرواسي بالأبدال في الحقيقة لا يُوافق عليه؛ لعدة أمور:

١- مخالفته لما عليه المحققون من المفسرين كابن جرير الطبري، والبغوي[5]، وابن كثير، وغيرهم[6].

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣٦٦.

(٢) ينظر: قوت القلوب بتصرُّف يسير، لأبي طالب المكي ١/٦٩.

(٣) سورة النحل: ١٥.

(٤) البحر المديد ٥/٥٥٠.

(٥) هو أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، الإمام الحافظ، محيي السُّنَّة، البغوي الشافعي، المفسِّر، صاحب التصانيف النافعة، توفي سنة ٥١٦هـ. ينظر: السير ١٩/٤٣٩-٤٤٣، فيات الأعيان ٢/١٣٦-١٣٧، الوافي بالوفيات ١٣/٢٦، طبقات السبكي ٧/٧٥-٨٠، البداية والنهاية ١٦/٢١٦، شذرات الذهب ٤/٤٨-٤٩.

(٦) ذكر الله تعالى الأرض، وما جعل فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات، لتقر الأرض ولا تميد، أي: تضطرب =

٢- قضية الأبدال ووجودهم لا يدلُّ عليها كتابٌ ولا سُنَّة.

حتى إن العلماء ردوا كل حديث ورد فيها، يقول ابن القيم رحمه الله: "أحاديث الأبدال(١)، والأقطاب(٢) والأغواث والنقباء(٣)، والنجباء(٤) والأوتاد(٥) كلها باطلة على رسول الله ﷺ، وأقرب ما فيها: «لا تسبوا أهل الشام، فإنَّ فيهم البدلاء، كلما مات رجلٌ منهم أبدل الله مكانه رجلًا آخر»(٦)، ولا يصح أيضًا، فإنه منقطع"(٧).

"أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثيرٍ من النسَّاك والعامَّة مثل (الغوث) الذي بمكة (والأوتاد الأربعة) و(الأقطاب السبعة) و(الأبدال الأربعين) و(النجباء

=

بما عليها من الحيوان فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٢]. ينظر: تفسير الطبري ١/٤٣٥، تفسير البغوي ٢/٦٠٨، تفسير ابن كثير ٤/٥٦٢.

(١) الأبدال: هم الذين استبدلوا المساوئ بالمحاسن واستبدلوا من صفاتهم صفات محبوبهم. ينظر: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٧٩.

(٢) الأقطاب: هو القائم بحقِّ الكون، ويُسمَّى بالغوث من حيث إغاثته العوالم بمادته ورتبته الخاصة، وهو على قلب إسرافيل -حسب زعمهم الباطل-. ينظر: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٨٠، ومعجم مصطلحات الصوفية، ص١٦٢.

(٣) النَّقباء: هم الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود المكون. ينظر: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٨٠.

(٤) النَّجباء: هم السابقون إلى الله لنجابتهم وهم أهل الجدِّ والقريحة من المريدين. ينظر: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٨٠.

(٥) الأوتاد: هم الراسخون في معرفة الله وهم أربعة، كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة. ينظر: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٨٠.

(٦) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٢/٩٠٤، رقم ١٧٢٣، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/٦٥، رقم ١٢٠، وابن عساكر ١/٢٧٧، والحديث ضعَّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٠/٣٢١، رقم ٤٧٧٩، وفي ضعيف الجامع الصغير، ص٨٩٨، رقم ٦٢٢٣.

(٧) المنار المنيف، ص١٣٦، وينظر: مجموع الفتاوى ١١/٤٣٣- ٤٤٤، و٢٧/١٠١-١٠٣.

الثلاثمائة): فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى؛ ولا هي أيضًا مأثورة عن النبي ﷺ بإسنادٍ صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال.

فقد روي فيهم حديثٌ شاميٌّ منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ فيهم -يعني أهل الشام- الأبدال الأربعين رجلًا كلما مات رجلٌ أبدل الله تعالى مكانه رجلًا» "ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب؛ ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولًا عامًّا؛ وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ؛ وقد قالها إما آثرًا لها عن غيره أو ذاكرًا، وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده وصار كثير من الناس على طرفي نقيض، قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق وإنما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل، وهذا تحقيق لما أخبر به النبي ﷺ عن ركوب هذه الأُمَّة سنن من قبلها حذو القُذَّة بالقُذَّة، فإنَّ أهل الكتابين لبَّسوا الحق بالباطل وهذا هو التبديل والتحريف الذي وقع في دينهم؛ ولهذا يتغير الدين .... وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه، بل هذا الترتيب والأعداد تشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية(١) ونحوهم

(١) النصيرية: واحدة من فرق الباطنية، عُرفت عبر التاريخ بمسميات منها: النصيرية وهو الاسم الذي غلب على هذه الطائفة نسبةً إلى مؤسسها وزعيمها (محمد بن نصير)، وسُمُّوا بالنميرية نسبةً لمؤسِّس فرقتهم محمد بن نصير النميري، ومن معتقداتهم: السِّرُّ والكتمان على معتقدهم ولا يُسمح لأحدٍ بإذاعته، ومن أفشى سرهم لاحقوه حتى يقتلوه، يؤلِّه النصيرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويزعمون أنه هو الواحد الأحد، وأنه الإله الحقيقي، وكلمة السر عندهم هي: ع. م. س، وهي أهم قسم عندهم، وكل حرف من هذه الأحرف يشير إلى اسم الشخص الذي غلو فيه: ع هو علي، والميم محمد، والسين سلمان الفارسي، وهم يلغون المعاد وما يتصل =

في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد[1] وغير ذلك من الترتيب الذي ما نزَّل الله به من سلطان[2].

وهذا الحديث ضعَّفه جمع من أهل العلم[3]، **وأما إن قال قائل لفظ الأبدال** ورد في كلام السلف[4]، فالمقصود أنهم قوم صالحون كلما مات رجل منهم أبدل الله بآخر يحُيي بهم السُّنَّة، خلاف ما اعتقده الصوفية بأنَّ الله يحفظ بهم الأقاليم السبعة، وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون لكل بلد إقليم فيه ولايته، فهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سُنَّة.

قال الصنعاني[5]: "وإن سلَّمنا صحة الأحاديث في ذلك فإنه لم يجعل الله لهم علامة يعرفون بها بأعيانهم اتفاقًا فلا يعرف أن الشخص من الأبدال حتى يعتقد أنه ولي الله عَزَّوَجَلَّ الولاية الخاصة التي يزعمون وإلا فالمؤمنون المتقون أولياء الله عَزَّوَجَلَّ"[6].

=

به من ثواب وعقاب، وجنة ونار، ويقولون بالتناسخ. ينظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري ٨٦/١، الفرق بين الفرق، ص٢٥٢، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ص٩١، الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية العلوية، لسليمان أفندي الأذني النصيري، ص١٥-١٧، ٢٥، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للخطيب، ص٣٤٥، ٣٤٧، ٣٦٠.

(١) هذه مراتب الصنعة الإلهية عند الإسماعيلية: السَّابق: هو الله، وأفضى السابق إلى تاليه، والناطق: هو الرَّسُول، والأساس: هو الإمام القائم. ينظر: الحركات الباطنية في الإسلام د. مصطفى غالب، ص١١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٣٣/١١-٤٣٤.

(٣) ابن القيم، في كتابه المنار المنيف، ص١٣٦، والألباني في ضعيف الجامع ٢٢٦٦، وقال: "واعلم أنَّ أحاديث الأبدال لا يصحُّ منها شيءٌ وكلُّها معلولة وبعضها أشدُّ ضعفًا من بعض" سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٣٩/٢.

(٤) ينظر: لمن ذكرهم في كتاب، العلل للدارقطني ٢٩/٦، وتهذيب التهذيب ١٢/٣.

(٥) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الصنعاني، ولد سنة ١٠٩٩هـ، من شيوخه: زيد بن محمد الحسن، عبد الله بن علي الوزير، ومن تلاميذه: عبد الله بن أحمد بن إسحاق، وله مصنفات منها: إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، تطهير الاعتقاد، مات سنة ١١٨٢هـ، ينظر: البدر الطالع، ص٦٤٩.

(٦) الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، ص٥٩.

المبحث الثاني: السُّنَّة

السُّنَّة النبوية هي المصدر الثاني للاستدال عند المسلمين، وقد استدلَّ بها ابن عجيبة في جوانب كثيرة، ولكنَّه خالف أهل السُّنَّة والجماعة في الاستدلال بها من أربع جهات:

الجهة الأولى: أدلة الكتاب والسُّنَّة ليست يقينيَّة، بل ظنيَّة

قال ابن عجيبة: "إن غاية العلوم الكسبية النقلية الظن القوي، أما علوم الحقائق فهي يقين"(١).

ورأيه بأن الأدلة الكسبية ظنيَّة والحقيقة يقين، زعم باطل، وافق فيه المتكلمين وأهل البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... ويزعم قومٌ من غالبية أهل البدع أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن والحديث على المسائل القطعية مطلقًا، بناءً على أنَّ الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين بما زعموا، ويزعم كثير من أهل البدع أنه لا يستدل بالأحاديث المتلقاة بالقبول على مسائل الصفات والقدر، ونحوهما مما يُطلب فيه القطع واليقين"(٢).

ومن المعلوم أنَّ دلالة الأدلة اللفظية لا تختصُّ بالقرآن والسُّنَّة، بل جميع بني آدم يدل بعضهم بعضًا بالأدلة اللفظية والإنسان حيوان ناطق، فالنطق ذاتيٌّ له، وهو مدنيٌّ بالطبع لا يمكن أن يعيش وحده كما يعيش الوحش، بل لا يمكنه أن يعيش إلا مع بني جنسه، فلا بدَّ أن يعرف بعضهم مراد بعض، ليحصل التعاون، فعلَّمهم الحكيم العليم تعريف بعضهم بعضًا مراده بالألفاظ، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ

---

(١) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ص٢٧٧.

(٢) قاعدة في المعجزات والكرامات، ص١٨-١٩، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل.

ﭐلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1] فكانت حكمة ذلك التعليم، تعريف مراد المتكلم، فلو لم يحصل له المعرفة كان في ذلك إبطال لحكمة الله، وإفساد لمصالح بني آدم، وسلب الإنسان خاصيته التي ميَّزه بها على سائر الحيوان، وهذه الطريقة يستدل بها من وجوه:

١- أن قول القائل الأدلة اللفظية التي جاء بها الرسول ﷺ لا تفيدنا علمًا ولا يقينًا من أعظم أنواع السَّفسطة[2]، وهؤلاء شرٌّ من اللا أدرية[3] وشرٌّ من الباطنية، فأهل العلم بالكتاب والسُّنَّة متيقنون لمراد الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ جازمون به معتقدون لموجبه اعتقادًا لا يتطرَّق إليه شكٌّ ولا شبهة، أمَّا المتكلمون الذين عدلوا عن الاستدلال بالأدلة السمعية إلى الأدلة العقلية فهم مختلفون متحيرون تناقضت أقوالهم واضطربت فهومهم[4].

٢- أنَّا نعلم قطعًا أن جميع الأمم يعرف بعضهم مراد بعض بلفظه ويقطع به ويتيقنه فقول القائل: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين قدح في العلوم الضرورية التي اشترك الناس في العلم بها[5].

٣- أنَّ الطفل أول ما يميز يعرف مراد من يربيه بلفظه قبل أن يعرفه شيئًا من العلوم الضرورية فلا أقدم عنده ولا أسبق من تيقنه لمراد من يخاطبه بلفظه فالعلم

---

(١) سورة البقرة: ٣١.

(٢) السَّفسطة: قياسٌ مركَّبٌ من الوهميات، والغرض إفحام الخصم وإسكاته. ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص١١٨-١١٩، المعجم الوسيط ١/٤٣٣.

(٣) اللا أدرية: سموا بذلك نسبةً إلى قولهم لا أدري، وتُطلق عند المحدثين على إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة، وهم يرون التوقف عن العلم وعن الحكم، فمذهبهم قام على التجاهل، وتطلق على المذاهب الفلسفية التي تقول بعجز العقول عن إدراك الحقائق. ينظر: المعجم الفلسفي ١/٨٦٨.

(٤) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية المعطلة ٢/٦٤٦.

(٥) المرجع نفسه ٢/٦٥٠.

بذلك مقدَّم على سائر العلوم الضرورية فمن جعل العقليات تفيد اليقين والسمعيات لا تفيد معرفة مراد المتكلم فقد قلب الحقائق وناقض الفطرة[1].

٤- أنَّ التعريف بالأدلة اللفظية أصلٌ للتعريف بالأدلة العقلية فمن لم يكن له سبيل إلى العلم بمدلول هذه لم يكن له سبيل إلى العلم بمدلول تلك بل العلم بمدلول الأدلة اللفظية أسبق فإنه يوجد في أول تمييز الإنسان وحينئذ فالقدح في حصول العلم بمدلول الأدلة اللفظية قدح في حصول العلم بمدلول الأدلة العقلية بل هي أصل العلم بها فإذا بطل الأصل بطل فرعه، يوضحه أنَّ الإنسان في فهمه وإفهامه للدليل العقلي محتاج إلى معرفة مراد المخبر به الذاكر له لمن يخاطبه فإذا لم يحصل له علم بمراده من الدليل فكيف يحصل له علم بالمدلول؟

٥- أنَّ الله سبحانه هدى البهائم والطير أن يعرِّف بعضُها بعضًا مرادَها بأصواتها، وإذا كان التفاهم والعلم بمراد الحيوان من غيره حاصلًا للحيوانات فما الظنُّ بأشرف أنواعها وهو الإنسان، فما الظنُّ بأشرف هذا النوع وهم العقلاء المعتنون بالبيان والإيضاح، فما الظنُّ بالأنبياء -عليهم السلام- المخصوصين من العلم والبيان والأفهام بما ليس مثله لسواهم، فما الظنُّ بأفضل الأنبياء محمد ﷺ أنصح الخلق للخلق، وأعلمهم وأكملهم بيانًا، وأتمهم فصاحةً، وأقدرهم على التعبير عن المعنى باللفظ الذي لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ولا يوهم غيره، وأحرصهم على تعليم الأُمَّة وتفهيمهم، وأصحابه رضي الله عنهم أكمل الأمم عقلًا وفهمًا وفصاحةً وحرصًا على فهم مراده فكيف لا يكونون قد تيقنوا مراده بألفاظه وكيف لا يكون التابعون لهم بإحسان قد تيقنوا مرادهم مما بلَّغوهم إياه عن نبيِّهم ونقلوه إليهم[2].

---

(١) الصواعق المرسلة على المعطلة في الرَّدِّ على الجهمية المعطلة ٦٤٢/٢.

(٢) المرجع نفسه ٦٤٤/٢-٦٤٥.

٦- أنَّ دلالة الأدلة اللفظية على مراد المتكلِّم أقوى من دلالة الأدلة العقلية على الحقائق الثابتة، فكيف بدلالة المقدمات المشتبهة التي غايتها أن يكون فيها حقٌّ وباطل وليس مع أصحابها إلا إحسان الظن بمن قالها فإذا طولبوا بالبرهان على صحتها قالوا هكذا قال العقلاء، وهذا أمرٌ قد صقلته أذهانهم وقبلته عقولهم، فبين دلالة الأدلة اللفظية على مراد المتكلم ودلالة هذه المقدِّمات على الحقائق تفاوتٌ عظيم، فكيف تفيد هذه اليقين دون تلك؟ وهل هذا إلا قلبٌ للفطر وتعكيس للأذهان[١].

٧- أنَّ دلالة قول الرسول ﷺ على مراده أكمل من دلالة شبهات هؤلاء العقلية على معارضته بما لا نسبة بينهما فكيف تكون شبهاتهم تفيد اليقين وكلام الله ورسوله لا يفيد اليقين[٢].

٨- أنَّ قول القائل: (الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين) إمَّا أن يريد به نفي العموم أو عموم النفي، فإن أراد نفي العموم لم يفده شيئًا فإنَّ عاقلًا لا يدعي أنَّ كلَّ دليل لفظي يفيد اليقين حتى ينصب معه الخلاف ويحتج عليه، وإن أراد به عموم النفي كان هذا مكابرة للعيان وبهتًا ومجاهرةً بالكذب والباطل[٣].

الجهة الثانية: أخبار الآحاد تُقبل في أبواب الأعمال دون الاعتقاد

فقد قبل أخبار الآحاد في أبواب الأعمال، ومن ذلك قوله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ

(١) الصواعق المرسلة في الرَّدِّ على الجهمية والمعطلة ٢/٦٤٧.

(٢) المرجع نفسه ٢/٦٤٧.

(٣) نفسه ٢/٦٥٠.

نَدِمِينَ ﴾[١]: "هذه الآيةُ دليلٌ على قبول خبر الواحد العدل؛ لأنا لو توقفنا في خبره؛ لسوَّينا بينه وبين الفاسق"[٢].

وردَّها في أبواب الاعتقاد؛ بدليل تأويله لصفات الله عَزَّوَجَلَّ، مثل: تأويله الاستواء، بالاستيلاء[٣]، والوجه بالذات[٤]... [٥]، وبهذا خالف ابن عجيبة ما عليه سلف الأُمَّة ووافق المتكلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن (خبر الواحد) إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له أو عملًا به أنه يوجب العلم"[٦].

وقال أبو المظفر السمعاني: "إنَّ الخبر الواحد إذا صحَّ عن رسول ﷺ ورواة الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأُمَّة بالقبول فإنَّه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السُّنَّة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بدَّ من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيءٌ اخترعته القدرية[٧] والمعتزلة[٨]، وكان

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) البحر المديد ١٦١/٧.

(٣) المرجع نفسه ٢٢٣/٢.

(٤) اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل ابن عجيبة، ص٧٤.

(٥) سيأتي الحديث عنها في الباب الثاني من هذا الكتاب، ولا شكَّ في مخالفته لأهل السُّنَّة والجماعة في تأويل نصوص الصفات.

(٦) مجموع الفتاوى ٣٥١/١٣.

(٧) القدرية: يقولون بأنَّ العبد يحدث فعل نفسه، وأفعال العباد مقدورة لهم على وجه الاستقلال، والمتقدمون منهم ينكرون العلم السابق لله عَزَّوَجَلَّ للأشياء قبل وجودها، ولقد كفَّرهم السلف بقولهم هذا، والمتأخرون منهم يثبتون العلم وينازعون في مرتبة الخلق. ينظر: الملل والنحل ٤٣/١، مقالات الإسلاميين ٢٩٨/١.

(٨) المعتزلة: سمُّوا بذلك؛ لأن واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري إثر قوله بأنَّ مرتكب الكبيرة لا مؤمنٌ ولا كافر، ومن عقائد المعتزلة الباطلة: ١- نفي صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ٢- القرآن مخلوق، ٣-الله عَزَّوَجَلَّ لا يرى في =

قصدهم منه ردَّ الأخبار، وتلقَّفه منهم بعض الفقهاء، الذين لم يكن لهم في العلم قدمٌ ثابت، ولم يقفوا على مقصدهم من هذا القول"(١).

أدلة قبول خبر الواحد منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٢)، "والطائفة في كلام العرب تقع على الواحد، والجماعة، يدلُّ على أنَّ الطائفة يجوز أن تكون واحدًا في هذه الآية، أنه إذا نَفَر واحدٌ من كلِّ قومٍ ونَفَرَ وتفقَّهَ في الدين ورجعَ إليهم وأنذرهم وأعلمهم بما فُرِض عليهم كان عليهم أن يقبلوا قوله وينتهوا إلى ما يخبرهم به، ولا يجوز لهم أن يردوا خبره؛ لأنَّ على العامي أن يقبل قول العالم"(٣).

٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾(٤)، وهذه الآية استدل بها ابن عجيبة على قبول خبر الواحد العدل(٥).

وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا)(٦)، وهذا يدلُّ على الجزم بقبول خبر الواحد وأنه لا

=

الآخرة، ٤- نفي الشفاعة، ٥- أنَّ الله ليس خالقًا لأفعال العباد .. ويسمون بالقدرية، والعدلية. ينظر: الفرق بين الفرق، ص٢٠-٢١، مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١.

(١) صون المنطق، ص١٦٠-١٦١.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢.

(٣) الحجة في بيان المحجة، إسماعيل الأصبهاني ٣٧٤/١.

(٤) سورة الحجرات: ٦.

(٥) البحر المديد ١١/٧.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٩٤/١.

يحتاج إلى التثبيت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم، ومما يدلُّ عليه أيضًا أنَّ السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون: قال رسول الله ﷺ كذا وفعل كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا، وهذا معلومٌ في كلامهم بالضرورة"[١].

أدلة السُّنَّة على قبول خبر الواحد:

١- قال النبي ﷺ: «بلِّغوا عنِّي ولو آية»[٢].

٢- قصة العسيف[٣]، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «واغد يا أُنيس-لرجل من أسلم- إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»[٤]، اعتمد ﷺ خبره فيما اعترفت به على نفسها[٥].

٣- في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إنَّ النبي ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة[٦].

وقال الشافعي: "فلمَّا ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأ يؤديها والإمرء واحدٌ دلَّ على أنه لا يأمر أن يؤدَّى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدَّى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلالٌ، وحرامٌ يُجتنب، وحدٌّ يُقام، ومالٌ يُؤخذ ويُعطى، ونصيحةٌ في دينٍ ودنيا"[٧].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٣٩٤/٢، الإحكام، لابن حزم ١١١/١-١١٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٤٥/٤، رقم ٣٤٦١.

(٣) العسيف: الأجير، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٤٠٤/٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، ١٣٥/٨رقم ٦٨٣٦.

(٥) ينظر: أخبار الآحاد، للشيخ ابن جبرين رحمه الله، ص١٢٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق ١٣٣/٨-١٣٤، رقم٣٩٥، ومسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ١٢١/٥، رقم ٤٥٣١.

(٧) الرسالة، ص١٧٥.

وقال في موضعٍ آخر: "لم أحفظْ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيتِ خبر الواحد"[1].

وقال ابن عبد البر[2]: "أجمع أهلُ العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار -فيما- علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كلِّ عصر من لدن الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا"[3].

الجهة الثالثة: استدلاله بصحيح السُّنَّة على وحدة الوجود[4]

استدلَّ ابن عجيبة بقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «وما تقرَّب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولايزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرا ...»[5]، وفي حديث آخر: «فإذا أحببته كنته»[6]،[7].

---

(١) الرسالة، ص١٩٧.

(٢) هو أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، الأندلسي القرطبي المالكي، ولد سنة ٣٦٨هـ، له مصنفات كثيرة منها: التمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد، الاستذكار، جامع بيان العلم وفضله، توفي سنة ٤٦٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥٣/١٨، ١٦٣، ترتيب المدارك ٨٠٨/٤، ٨١٠، وفيات الأعيان ٦٦/٧، ٧٢، البداية والنهاية ٣٣/١٦.

(٣) التمهيد ٢/١.

(٤) سيأتي الحديث عنها وأثرها في الباب الثالث من هذا الكتاب، ذكرتها هنا مبيِّنًا فساد استدلال ابن عجيبة بحديثٍ صحيحٍ على معتقده الفاسد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١٩٢/٤ رقم ٦٥٠٢.

(٦) هذه الزيادة لم أجدها في مصادر تخريج الحديث.

(٧) معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٥٨.

وهذا الحديث لا دليل فيه للقائلين بوحدة الوجود، بل هو حجَّةٌ عليهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: "والحديثُ حجَّةٌ عليهم من وجوه كثيرة:

- منها قوله: «من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة» فأثبت معاديًا محاربًا ووليًّا غير المعادي، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا.

ومنها قوله: «وما تقرَّب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه» فأثبت عبدًا متقربًا إلى ربه وربًّا افترض عليه فرائض.

ومنها قوله: «ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه» فأثبت متقربًا ومُتقربًا إليه ومحبًّا ومحبوبًا غيره، وهذا كلُّه ينقض قولهم: الوجود واحد.

ومنها قوله: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» إلى آخره، فإنه جعل لعبده بعد محبته هذه الأمور، وهو عندهم قبل المحبة وبعدها واحد وهو عندهم هذه الأعضاء: بطنه وفرجه وشعره وكل شيء لا تعدد عندهم ولا كثرة في الوجود، ولكن يثبتون مراتب ومجالي ومظاهر؛ فإن جعلوها موجودة نقضوا قولهم"[1].

الجهة الرابعة: الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة

أ- قال ابن عجيبة: "ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من حفظ عن أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء»، وفي رواية «بعثه الله فقيهًا عالمًا»[2][3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٣٧١-٣٧٢.

(٢) مخطوط أربعون حديثًا في الأصول والفروع، الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع يحمل رقم ٢٨٢٩د، ل/١.

(٣) أخرجه أبو بكر الشافعي في الفوائد المشهور بالغيلانيات ٢/٣٧٤، وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/١٢١، وابن حبان في الضعفاء والمتروكين ٢/١٣٣، والحديث ضعيفٌ ضعَّفه الألباني في مشكاة المصابيح ١/٥٥.

وكذلك قوله: «إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة[١] بالله»[٢]، ولقد شرح ابن عجيبة هذا الحديث المكذوب فقال: "قال بعضهم في شرح الحديث هي أسرار الله يبديها الله إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص فإذا سمعها العوام[٣] أنكروها ومن جهل شيئًا عاداه"[٤].

وهذه الأحاديث التي يستدلُّ بها الصوفية على عقائدهم الفاسدة هي في حقيقتها باطلة ليس إسنادها ثابتًا باتفاق أهل المعرفة ولم يرو في أمهات كتب الحديث المعتمدة فلا يحتاج إلى الكلام في تفسيره، وإذا قُدِّر أنَّ النبي ﷺ قاله فهو كلامٌ مجملٌ ليس فيه تعيينٌ لقولٍ معيَّن فحينئذٍ فما من مدعٍ يدَّعي أن المراد قوله إلا كان لخصمه أن يقول نظير ذلك[٥].

ب- ذكره لأدعية مبتدعة عند الوضوء:

١- إذا غسل وجهه قال: «اللهم بيِّض وجهي يوم تبيض وجوه»[٦].

٢- إذا تمضمض قال: «اللهم لقِّني حجتي ولا تحرمني رائحة الجنة»[٧].

---

(١) الغرَّة: أي الغفلة. ينظر: تاج العروس ١٣/٢٢٤.

(٢) أخرجه الديلمي في ١/٢١٠، رقم ٨٠٢، وأبو عبد الرحمن السلمى في الأربعين في التصوف ١٥/ح٣٢، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١/٣٩: "إسناده ضعيف".

(٣) يقصد بهم علماء الشريعة، واستشهد بقول البوصيري:

قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ... وينكرُ الفم طعمَ الماءِ من سقمِ

(٤) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، لابن عجيبة، على هامش (إيقاظ الهمم في شرح الحكم) له ١/٢٩.

(٥) مجموع الفتاوى ١٣/٢٦٠.

(٦) مخطوط الأنوار السنية في الأذكار النبوية، خزانة تطوان رقم ٨٥٣ م.ل/٣.

(٧) المرجع نفسه ل/٣.

٣- إذا غسل ذراعيه قال: «اللهم اعطني كتابي بيميني»[(١)].

٤- إذا غسل رجليه قال: «اللهم ثبِّت قدمي يوم تزلُّ الأقدام»[(٢)].

واستدلَّ ابن عجيبة على ذلك بما روي عن علي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «يا علي إذا قمت لوضوئك فقل: بسم الله العظيم الذي هدانا للإسلام، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فإذا غسلت فرجك فقل: اللهم حصِّن فرجي، فإذا تمضمضت فقل: اللهم أعني على تلاوة ذكرك، فإذا استنشقت فقل: اللهم أرحني رائحة الجنة، فإذا غسلت وجهك فقل: اللهم بيِّض وجهي يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه، فإذا غسلت ذراعك اليمنى فقل: اللهم اعطني كتابي بيميني يوم القيامة وحاسبني حسابًا يسيرًا، فإذا غسلت ذراعك اليسرى فقل: اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري، فإذا مسحت برأسك فقل: اللهم تغشني برحمتك، وإذا مسحت بأذنيك فقل: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فإذا غسلت رجليك فقل: اللهم اجعل سعيي مشكورًا وذنبي مغفورًا وعملي مقبولًا»[(٣)].

وهذا الحديث باطل، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه علَّمه لصحابته ﷺ الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من هذا الدين إلا فهموها وعملوا بها فبارك الله لهم في العلم والعمل، ولو كانت هذه الأدعية صحيحة لعملوا بها، ولم يحفظ من سنة رسول الله ﷺ مثل هذه الأدعية.

---

(١) مخطوط الأنوار السنية في الأذكار النبوية، خزانة تطوان رقم ٨٥٣ م.ل/٣.

(٢) المرجع نفسه ل/٣.

(٣) أخرجه المستغفري في الدعوات، كما في النتائج، لابن حجر ١/١٢٦٣، والديلمي في الفردوس ٨٣٣، وهذا الحديث ضعيفٌ جدًّا، وقال الدارقطني وغيره: ضعيف، ينظر: ميزان الاعتدال ١/٦٢٥، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/٢٢٨، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ١٣.

وهذه الأحاديث سواء الضعيفة، أو الموضوعة، لا يجوز العمل بها ولا يعتقد ما فيها.

قال أبو محمد المقدسي رحمه الله[1]: "ينبغي أن يُعلم أن ... الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة[2] ليلبسوا بها على أهل الإسلام أو الأحاديث الضعيفة إمَّا لضعف رواتها أو جهالتهم أو لعلة فيها لا يجوز أن يقال بها ولا اعتقاد ما فيها بل وجودها كعدمها، وما وضعته الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولا يجوز الاعتماد على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة"[4].

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: "ولم يحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئًا غير التسمية، وكل حديث في أذكار الوضوء الذي يقال عليه فكذب مختلق، لم يقل رسول الله ﷺ شيئًا منه، ولا علَّمه لأُمَّته ولم يثبت عنه غير التسمية في أوله"[5]، وقال أيضًا: "وأحاديث الذكر على أعضاء الوضوء كلها باطله، ليس فيها شيءٌ يصح"[6].

---

(١) هو موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، له مؤلفات منها: المغني، مسألة العلو، توفي سنة ٦٢٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦٦/٢٢.

(٢) الزنادقة هم: الذين لا يؤمنون بالآخرة، ووحدانية الخالق، وتطلق الزندقة على القائلين بدوام الدهر، وقد كانت المانوية المزدكية تسمى الزنادقة أو الزنديقية، وأصل هذه الكلمة بالفارسية نسبة إلى (زند وبازند) وهما كتابان وضعهما المجوس في مصالح الدنيا وعمارة العالم. ينظر: المقالات والفرق، ص٦٤، ١٩٣، بغية المرتاد، ص٣٣٨، الإيمان، ص٢٠٣، الرد على الرافضة، ص١٣٤-١٣٥، لسان العرب ١٤٧/١٠ مادة (زندق).

(٣) ذم التأويل، ص٤٧.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٥٠/١.

(٥) زاد المعاد في هدي خير المعاد ١٩٥/١-١٩٦.

(٦) المنار المنيف، ص١٢٠.

والحقيقة أن مصادر التلقي عند ابن عجيبة لا تعتمد على الكتاب والسُّنَّة وفق منهج السَّلف، وإن ذكر أحاديث صحيحة فهو يذكرها اعتضادًا لا اعتمادًا، بل المصادر المعتمدة هي أذواقٌ، وكشوفاتٌ، ووجد[1]، وهذا هو حال الصوفية وأهل البدع عمومًا.

قال الشاطبي: "ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات عرف أنها لا تنضبط؛ لأنها سَيَّالَةٌ لا تقف عند حدٍّ وعلى كلِّ وجه يصح لك زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة، قد رأينا وسمعنا عن بعض الكفَّار أنه استدل على كفره بآيات القرآن كما استدل بعض النصارى على تشريك عيسى عليه السلام في الربوبية بقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[2]، واستدلَّ على أنَّ الكفَّار من أهل الجنة بإطلاق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[3]، واستدل بعض اليهود على تفضيلهم علينا بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[4] وبعض الحلولية استدلَّ على قوله بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[5]، والتناسخي استدلَّ بقول الله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[6].

(١) سيأتي الحديث عنها في الفصل الثاني من هذا الكتاب، مصادر الصوفية في الاستدلال.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

(٣) سورة البقرة: ٦٢.

(٤) سورة البقرة: ٤٧.

(٥) سورة الحجر: ٢٩.

(٦) سورة الانفطار: ٨.

وكذلك كل من اتبع المتشابهات، أو حرَّف المناطات أو حمَّل الآيات ما لا تحمله عند السَّلف الصالح، أو تمسَّك بالأحاديث الواهية أو أخذ الأدلة ببادئ الرأي له أن يستدل على كلِّ فعلٍ أو قولٍ أو اعتقادٍ وافق غرضه بآيةٍ أو حديثٍ لا يفوز بذلك أصلًا، والدليل عليه استدلال كل فرقة شهرت بالبدعة على بدعتها بآيةٍ أو حديثٍ من غير توقف، فمن طلب خلاص نفسه تثبَّت حتى يتضح له الطريق، ومن تساهل رمته أيدى الهوى في معاطب لا مخلص له منها إلا ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ"[1].



(١) الاعتصام ١/٢٨٥.

الفصل الثاني:
المصادر الصوفية في التلقِّي

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الكشف.

المبحث الثاني: الذوق.

المبحث الثالث: الوجد.

المبحث الرابع: الرؤى والحكايات.

المبحث الخامس: دعوى التلقِّي عن الخضر عليه السلام.

المبحث الأول: الكشف

أولًا: معنى الكشف في اللغة

الكاف والشين والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الإظهار ورفع شيءٍ عمَّا يواريه ويغطِّيه[1].

ثانيًا: معناه في الاصطلاح

هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجودًا أو شهودًا[2].

ثالثًا: تعريفه عند ابن عجيبة

يعرِّفه بـ"**العلم اللدني**" وهو: الذي يفيض على القلوب من غير اكتساب ولا علم"[3]، ويقول: "إن الحق سبحانه قسم الخلق إلى قسمين وفرقهم فرقتين، قسم اختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته، ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاته ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته، وقسم يكشف عن قلوبهم السرائر، ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء"[4].

وتعريف ابن عجيبة للكشف وتقسيمه للخلق فيهم دعوى باطلة قد بين بطلانها أهل العلم.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٢/٤٤٥.

(٢) ينظر: التعريفات، ص١٤٨.

(٣) البحر المديد ٣/٢٨٨، ١/٤٨٩، وإيقاظ الهمم، ص٥٠٠.

(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص٧٧.

قال ابن القيم رحمه الله: "وأمَّا دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال: فليس بصحيح، فإن الله سبحانه وتعالى ربط التعريفات بأسبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدله عليه، وقد أيد الله سبحانه وتعالى رسله بأنواع الأدلة والبراهين التي دلَّتهم على أنَّ ما جاءهم هو من عند الله، ودلَّت أممهم على ذلك، وكان معهم أعظم الأدلة والبراهين على أنَّ ما جاءهم هو من عند الله ... فكلُّ علمٍ لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها، وحكم لا برهان عند قائله، وما كان كذلك لم يكن علمًا، فضلًا عن أن يكون لَدُنِّيًّا.

فالعلم اللَّدُنِّي: ما قام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند الله سبحانه وتعالى على لسان رسله، وما عداه فلدُنِّيٌّ من لدن نفس الإنسان، منه بدأ وإليه يعود، وقد انبثق سد العلم اللَّدُنِّي، ورخص سعره، حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدُنِّي، وصار من تكلَّم في حقائق الإيمان والسلوك وباب الأسماء والصفات بما يسنح له ويلقيه شيطانه في قلبه: يزعم أنَّ علمه لدُنِّي، فملاحدة الاتحادية، وزنادقة المنتسبين إلى السلوك يقولون: إنَّ علمهم لدُنِّي، وقد صنَّف في العلم اللدُنِّي متهوكو المتكلمين، وزنادقة المتصوفين، وجهلة المتفلسفين، وكلٌّ يزعم أنَّ علمه لدُنِّي، وصدقوا وكذبوا فإنَّ اللدني منسوب إلى (لدن) بمعنى عند، فكأنهم قالوا: العلم العندي، ولكن الشأن فيمن هذا العلم من عنده ومن لدنه، وقد ذمَّ الله تعالى بأبلغ الذم من ينسب إليه ما ليس من عنده، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

(١) سورة آل عمران: ٧٨.

﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾(١) فكلُّ من قال: هذا العلم من عند الله -وهو كاذب في هذه النسبة- فله نصيبٌ وافر من هذا الذم، وهذا في القرآن كثير، يذم الله ﷻ من أضاف إليه ما لا علم له به، ومن قال عليه ما لا يعلم، ولهذا رتَّب ﷻ المحرمات أربع مراتب، وجعل أشدها: القول عليه بلا علم، فجعله آخر مراتب المحرمات التي لا تباح بحال، بل هي محرَّمة في كلِّ ملَّة، وعلى لسان كلِّ رسول، فالقائل: إن هذا علمٌ لدُنِّيّ لما لا يعلم أنه من عند الله، ولا قام عليه برهان من الله أنَّه من عنده: كاذبٌ مفترٍ على الله، وهو من أظلم الظالمين، وأكذب الكاذبين"(٢).

كما يرى ابن عجيبة بأنَّ الكشف حقٌّ لا مرية فيه، وهذا ظاهر في أقواله: "ما أدركته الروح أو السر من المعاني اللطيفة والأسرار القديمة فإنَّ ذلك أذواق وكشوفات ومشاهدات، لا يبقى معها وهمٌ ولا ظنٌّ ولا خاطر"(٣).

وفي قوله أيضًا: "إذا وعدك الحق تعالى بشيءٍ على لسان الوحي أو الإلهام من نبيٍّ أو وليٍّ أو تجلِّي قوي، فلا تشك أيها المريد في ذلك الوعد"(٤).

وقال في موضع آخر: "يقال للعارف(٥) إذا أعرض الخلق عنه، ولم ينفع قلوبهم تذكيره ووعظه: اتبع ما يوحى إليك من وراء الإلهام، فإنَّه حقٌّ في حق الخصوص، إذ لا يتجلَّى في قلوبهم إلا ما هو حق"(٦).

---

(١) سورة الأنعام: ٩٣.

(٢) مدارج السالكين ٣/٤٣٢-٤٣٣.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٣١٧.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٤٤، والبحر المديد ٥/٥٠٣.

(٥) يقصد الصوفية بالعارف: الولي، وهو من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث عن شهود. ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص١١٢، وينظر: معجم اصطلاحات الصوفية، ص١١٠.

(٦) البحر المديد ٢/٥٠٥.

وأنزل ابن عجيبة كشف الولي مكانة ومرتبة عظيمة، بل ذهب إلى أنه محفوظٌ من الشياطين، ويستدل بقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[(١)]، قال: "وحي الإلهام الذي يتنزل على القلوب الصافية من الأغيار كوحي الأحكام ما تتنزل به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون؛ لأنهم ممنوعون من قلوب العارفين؛ لما احتفت به من الأنوار، وما صانها من الأسرار"[(٢)].

ويصف ابن عجيبة الولي المكاشف بقوله: "أدركت أنوار الملكوت متصلة ببحر الجبروت، وصرت أنت قطب الوجود، تدوِّره بيدك كيف شئت، خليفة الله في أرضه، نقطة دائرة كونه"[(٣)].

ويوجب ابن عجيبة طاعة الوارد الإلهي، والعقوبة لمن يخالف ذلك، قال: "الوارد الإلهي تجب طاعته؛ لأنه يتجلَّى من حضرة الحق، وهو أمينٌ على ما يأتي به من العلوم"[(٤)]، وقال: "فإذا تجلَّى فيه شيءٌ بأمر أو نهي فاستهان به وخالفه أدَّبه الحقُّ على ذلك إما في ظاهره وهو أخف، وإما في باطنه بالحجبة أو الفرقة، ولقد سمعت شيخ شيخنا العربي الدرقاوي يقول: لي ثلاثون سنة ما خالفت قلبي في شيءٍ إلا أدَّبني الحقُّ تعالى"[(٥)].

ومن إغراقه فيما يعتقده في الكشف أنه يزعم أنَّ العلم الشرعي حجاب عن الكشف؛ وعلَّل بأنَّ العلماء لم يصلوا لعلم المعاني؛ لأنهم "اشتغلوا بعلم المنقول،

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٠.

(٢) البحر المديد ٤/١٦٦.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٦٧.

(٤) البحر المديد ٦/٣٩٦.

(٥) المرجع نفسه ٥/٣٠٣، وينظر: إيقاظ الهمم، ص٢٧٨.

والاطلاع على الأقوال الغريبة، وتحرير المسائل الفرعية والتغلل فيها، وهو سببُ حجاب علماء الظاهر"[1].

وقال: "كان للشبلي[2] تلميذ، فكساه رجلٌ يومًا جُبَّة، وكان على رأس الشبلي قلنسوة، فخطر على قلب التلميذ محبَّة القلنسوة ليجمعها مع الجُبَّة، فكاشفه الشيخ، فأزال له الجُبَّة، وجمعهما مع القلنسوة، ورمى بهما في النار، وقال له: لا تبق في قلبك التفاتًا لغير الله"[3].

وغير ذلك من الأقوال التي ملئت بها كتبه.

وهذه الأقوال التي ذكرها ابن عجيبة عن الكشف حوت الكثير من المآخذ العقدية:

ومنها: زعمه الوصول عن طريق الكشف لعلم الغيب.

ولا شكَّ في بطلان هذا القول فعلم الغيب لله عَزَّوَجَلَّ وحده لم يُطلع عليه أحدًا من عباده إلا من ارتضى من رسول قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[4].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حق النبي ﷺ: «ومن حدَّثك أنَّه يعلم الغيب فقد كذب»[5].

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٢٧٦.

(٢) هو: أبو بكر الشبلي الصوفي، صاحب الأحوال والمجاهدات، اختلف في اسمه واسم أبيه قيل: دلف بن جحدر، وقيل جعفر بن يونس، صحب الجنيد، توفي سنة ٣٣٤هـ ببغداد. ينظر: سير أعلام النبلاء ١١/٥٤٤، الوافي بالوفيات ١٤/١٨.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص٣٦١.

(٤) سورة الجن: ٢٦-٢٧.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ رقم ٧٣٨.

إنَّ ما يزعمه من هذه المكاشفات التي يختصُّ بها الأولياء هي في الحقيقة منازعة لله عَزَّوَجَلَّ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والله عَزَّوَجَلَّ هو المتصرِّف في هذا الكون لا يشاركه ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسل، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[(١)].

وكذلك أقرَّ بما يُسمَّى بالمعرفة الاستشراقية[(٢)]، وهي التي عبّر عنها بالنور الذي يشرق على القلب نتيجة تصفيته من الأغيار عن طريق المجاهدة والرياضة وخرق العوائد، وما هي إلا خيالات فاسدة وأحوال شيطانية ومن تلاعب الشيطان بهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإنهم يدخلون في أنواع من الخيالات الفاسدة، والأحوال الشيطانية المناسبة لطريقهم ... وكثيرًا ما تتخيَّل له أمور يظنُّها موجودة في الخارج ولا تكون إلا في نفسه، فيسمع خطابًا يكون من الشيطان أو من نفسه، يظنُّه من الله تعالى، حتى إنَّ أحدهم يظنُّ أنه يرى الله بعينه، وأنه يسمع كلامه بأذنه من خارج، كما سمعه موسى بن عمران، ومنهم من يكون ما يراه شياطين وما يسمعه كلامهم وهو يظنُّه من كرامات الأولياء"[(٣)].

رابعًا: ذكره للعلوم الغيبية التي تحصل عن طريق الكشف

يقول: "ويكاشف له[(٤)] عن حقيقة الذات، وهذا من خصائص القطبانية، إذ

---

(١) سورة النمل: ٦٥.

(٢) المعرفة الاستشراقية: هي تلقٍّ مباشر من العالم الغيبي بحيث ينعكس على النفوس أو يشرق فيها ما هو منقوش من العالم العلوي من العلوم والمعارف. ينظر: المعجم الفلسفي، لجميل صوفيا ٩٤/١، أصول الفلسفة الإشراقية، ص١١٩، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، ص٤٩٩.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣٥١/٥.

(٤) يقصد القطب: وهو عند الصوفية رجل واحد موضع نظر الله عَزَّوَجَلَّ من العالم في كل زمان، ويسمى بالغوث أيضًا، باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو خُلق على قلب محمد ﷺ، ويسمى أيضًا بطب العالم، وقطب الأقطاب، والقطب =

القطب لا يكون إلا عارفًا راسخًا متمكنًا، فقد كُشف له عن الحجاب ... وإحاطة الصفات، أي ويكشف له عن إحاطة الصفات بالكائنات"[١].

وقال في موضع آخر: "يكشف له عن قلوبهم السَّرائر، ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء"[٢].

وهذا كلامٌ باطلٌ ولا يصح؛ لأنَّ "لفظ الغوث والقطب في حق البشر كما تقدَّم لم ينطق به كتاب ولا سُنَّة، ولا تكلَّم به أحدٌ من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في هذا المعني، بل غياث المستغيثين على الإطلاق هو الله -تعالى- كما قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾[٣]، ولم يجعل الله أحدًا من الخلق غوثًا يغيث الخلق في كلِّ ما يستغيثون فيه، لا ملكًا ولا نبيًّا ولا غيرهما، بل في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: «لا أُلفِيَنَّ أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاءُ فيقول: يا رسول الله أغثني أغثني، فأقول: لا أملك من الله شيئًا، يا عباس عمِّ قد أبلغتك»[٤]، وهذا كقوله: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا عباس عم رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، سلوني ما شئتم»[٥]،

=

الأكبر، وقطب الإرشاد، وقطب المدار، ينظر: معجم المصطلحات الصوفية، ص٢١٧-٢١٨، اصطلاحات الصوفية، ص٨٦-٨٧.

(١) الجواهر العجيبة، ص٢٦٨.

(٢) اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، ص١٣١.

(٣) سورة الأنفال: ٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الغلول ٤/٩٠ رقم ٣٠٧٣.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ٣/١٠١٢ رقم ٢٦٠٢.

وهذا من تأويل قوله تعالى: "﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[(1)]، وقد يكون بعض الناس سببًا لشرٍّ يندفع في بعض الأمور فيقال: فلانٌ يستغيث بفلان، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[(2)] هذا كلفظ النصر والرزق والهدى، فالله الهادي النصير الرزاق وليس هذا النعت على الإطلاق لأحد إلا الله وحده، لا ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسل، لكن من الخلق من يكون سببًا في رزق أو هدىً أو نصر يحصل لغيره وهو في ذلك سبب لا يستقل بالحكم، بل لا بدَّ معه من أسباب أُخر، ولا بدَّ من موانع يدفعها الله وإلاَّ لم يحصل المطلوب ... وأمَّا لفظ القطب فما دار عليه أمرٌ من الأمور قيل: إنه قطبه، كقطب الرَّحا وقطب الفلك، فمن كانت له مرتبة من إمارة أو علم أو دين فهو قطب تلك الأمور التي دارت عليه، فالملك قطب الملك، والوالي قطب الولاية ونحو ذلك، وقطب الدين الذي يؤخذ عنه ولا يزاحمه أحد هو محمد ﷺ، ومن الصالحين من يُجرى الله عَزَّوَجَلَّ على يديه من الخير ما يكون قطب أمته، وأمَّا أن يكون للوجود قُطب يدور عليه به ينزل المطر مطلقًا، وبه يحصل الهدى مطلقًا، وبه يحصل النصر مطلقًا، فهذا لا يكون لمخلوق ألبته، ولكن قد يكون من المخلوقين من يحصل به ما يحصل من نصر ورزق وهدى كما قال النبي ﷺ: «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بدعائهم وإخلاصهم وصلاتهم»[(3)]".

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) سورة القصص: ١٥.

(٣) جامع المسائل ١/٧٧-٧٩.

والحديث أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، بدون قوله: «بدعائهم وإخلاصهم وصلاتهم»، ٤/٤٤، رقم ٢٨٩٦، والنسائي في سننه ح٣١٨٠، بلفظ: «إنما ينصر هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»، وصحَّح الألباني لفظ النسائي في السلسلة الصحيحة ٢٧٨/٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد يكون في الزمان رجلٌ هو أفضل أهل الأرض، كما قد يكون رجلان وثلاثة وأربعة، ولكن ليس في الوجود رجلٌ هو أفضل أهل الأرضِ، وفيه ما يَقتضي أنه بوجودِه يَحصُلُ للناسِ الرزقُ، ويَنتَصِرونَ على الأعداءِ، وتهتدي قلوبهم مع كونهم مُعرِضين عن طاعة الله ورسوله، بل كان نوح أفضلَ أهل الأرضِ، وقد مَكثَ في قومِه ألفَ سنةٍ إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله، وقد قال نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1]، ثم إن الله أغرق أهل الأرض إلا من آمن به، وكذلك غيره من الرُّسل كهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم، نعم قد يحصل بدعائه وعبادته من الخير ويندفع من الشر ما لا يحصل بدون ذلك كما في قوله: «بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم».

وقال تعالى لنبيه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: "﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[3] يقول: لولا أن تطأوا أولئك المؤمنين والمؤمنات الذين لم تعلموهم إذا دخلتم مكة بالسيف، لسلَّطكم على أهل مكة، ولو تميَّز المؤمنون من الكفار لعذَّبنا الكفار عذابًا أليمًا، فهذا ونحوه مما يوافق دين المسلمين"[4].

---

(١) سورة نوح: ٥-٦.

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

(٣) سورة الفتح: ٢٥.

(٤) جامع المسائل ٢/٧٢-٧٣.

وما يزعمه ابن عجيبة في القطب هو من جنس غلو النصارى(١) والرافضة(٢)، وهذا من قوادح توحيد الربوبية، إذ أنه منازعة للربوبية، ومضاهاة لها، وتسوية بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين المخلوقين، وكل من جعل مخلوقًا مثلًا للخالق في شيءٍ من الأشياء فأحبَّه مثل ما يحب الخالق، أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك ما يدَّعيه بعضهم من أن الواحد من هؤلاء قد يعلم كل ولي لله كان، ويكون، واسمه، واسم أبيه، ومنزلته من الله، ونحو ذلك من المقالات الباطلة التي تتضمَّن أنَّ الواحد من البشر يشارك الله في بعض خصائصه مثل أنه بكل شيءٍ عليم، أو على كلِّ شيءٍ قدير، ونحو ذلك، كما يقول بعضهم في النبي ﷺ، وفي شيوخه: إن علم أحدهم ينطبق على علم الله عَزَّوَجَلَّ وقدرته منطبقة على قدرة الله عَزَّوَجَلَّ فيعلم ما يعلمه الله عَزَّوَجَلَّ ويقدر على ما يقدر الله عليه، فهذه المقالات وما يشبهها من جنس قول النصارى، والغالية في علي رضي الله عنه، وهي باطلة بإجماع علماء المسلمين"(٤).

وقال أيضًا: "وتارة يدَّعي أحدهم المهدية أو القطبية ويقول: أنا القطب

---

(١) قال ابن تيمية: "والنصارى يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق فيجعلونه رب العالمين، خالق كل شيء، ومليكه الذي هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾، واتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا، وصوَّروا تماثيل المخلوقات، واتخذوهم شفعاء لهم عند الله كما فعل عُبَّاد الأوثان" الجواب الصحيح ٢/١٤١-١٤٢.

(٢) يزعمون أنَّ الأئمة علموا ما كان وما يكون، ولا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار. ينظر الكافي ١/٥٩، ٦١، بحار الأنوار ٢٦/١١٧، ١٣٧.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ١٣/١٦٣-١٦٤.

(٤) منهاج السُّنَّة النبوية ١/٩٥-٩٦.

الغوث الفرد الجامع ويدخل في هذه الأسماء ما هو من خصائص الربوبية مثل كونه يعطي الولاية من يشاء ويصرفها عمَّن يشاء"[١].

خامسًا: طريق حصول الكشف عند ابن عجيبة

أوضح ابن عجيبة أنَّ طريق حصول الكشف يكون بالمجاهدة، وتطهير القلب من حظوظه وشهواته، وأورد أسبابًا للكشف، **منها:**

١- **التزام الذكر**، "والذكر الذي يحصل به الكشف هو الذكر الصوفي المتلقَّى عن شيوخ الطريقة، ويكون بطريقة خاصَّة يتعلمها من شيوخ الطريقة"[٢].

وقال أيضًا: "هو ركنٌ قويٌّ في طريق الوصول"[٣]، وقال: "وأعظم الأعمال التي توجد ثمرتها عاجلًا وآجلًا هو ذكر الله، وثمرته هو النور الذي يشرق في القلب"[٤]، وقال أيضًا: "الذكر الحقيقي هو الذي يغيب صاحبه عن شهود نفسه ورسمه وحسِّه، حتى يكون الحقُّ تعالى هو المتكلِّم على لسانه"[٥].

وقسَّم ابن عجيبة أقسام الذكر، واختلاف الناس فيه، قال: "أقسام الذكر: ذكر العامة[٦] باللسان، وذكر الخاصة بالجنان، وذكر خاصة الخاصة بالروح والسر"[٧]، وقال في نصٍّ آخر مبيِّنًا اختلاف الناس بحسب غاياتهم: "الناس في

(١) بغية المرتاد في الرَّدِّ على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص٣٩٣.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٧٢، ٢٣٥.

(٣) معراج التشوف، ص٤٢.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٤٢٦.

(٥) البحر المديد ١/٢٣٦.

(٦) العامة: هم الذين اقتصروا على علمهم بالشريعة ويسمون علماءَهم الرسوم. معجم المصطلحات الصوفية، ص١١١.

(٧) معراج التشوف، ص٤٢.

الذكر على ثلاثة أقسام: قسم يطلبون الأجور، وقسم يطلبون الحضور، وقسم وصلوا ورفعوا الستور"[١].

والذي عليه أهل العلم أنَّ الذكر عبادة من العبادات التي بيَّنت الأدلة أنه يترتب عليه فضائل وأجور لم يذكر فيها الوصول بما يسمّونه بالكشف، إنما فيه تقوية الإيمان بالله وطمأنينة القلوب ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، ومن أمثال ذلك ما ورد في الكتاب والسُّنَّة.

٢- **خرق العوائد:** قال: "المريد لا تفيض عليه العلوم اللدنية والأسرار الربانية حتى يخرق عوائد نفسه ... بتخريب ظاهره، حتى لا يقبله أحد، ولا يقبل عليه أحد ... وأمَّا ما دام ظاهرًا متزيِّنًا بلباس العوائد فلا يطمع في ورود المواهب والفوائد"[٢].

وقال ابن عجيبة في تفسيره لسورة العصر ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾[٣]. أي: "عصر الذاكرين ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[٤]، حيث احتجب عن ربه بنفسه وبرؤيته وجوده ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[٥] إلا الذين آمنوا إيمان الخصوص، وعملوا عمل الخصوص، وهو خرق العوائد واكتساب الفوائد، حتى وصلوا إلى كشف الحجاب"[٦].

وهذه السبل التي سلكها فهي مثل سابقتها لا تدلُّ عليها الأدلة بل خرق العوائد من الأمور الخطيرة التي سلكها المتصوفة.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٤٢٦.

(٢) البحر المديد ٢٩٤/٣، و٤٦٣/٣، ٤٧٥/١، وينظر: الفتوحات الإلهية، ص٦٧.

(٣) سورة العصر: ١.

(٤) سورة العصر: ٢.

(٥) سورة العصر: ٣.

(٦) البحر المديد ٣٥١/٧.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإنه إن سلك طريق الجوع والرياضة المفرطة خاطر بقلبه ومزاجه ودينه وربما زال عقله ومرض جسمه وذهب دينه، وإن سلك طريق الوله والاختلاط بترك الشهوات ليتصل بالأرواح الجنية ... فقد أزال عقله وأذهب ماله ومعيشته وأشقى نفسه شقاءً لا مزيد عليه، وعرَّض نفسه لعذاب الله في الآخرة لما تركه من الواجبات وما فعله من المحرَّمات"(١).

والشيطان يتسلَّط على الإنسان إن لم يدفعه بالعلم والتقوى، فيوهمه بخرق العادات وأنها من الله عَزَّوَجَلَّ وقد أوضح ذلك ابن تيمية فقال: "وهؤلاء العُبَّاد والزُّهَّاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسُّنَّة تقترن بهم الشياطين فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضُها بعضًا، وإذا حصل من له تمكُّن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم، ولا بدَّ أن يكون في أحدهم من الكذب جهلًا أو عمدًا، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين"(٢).

أمَّا تفسيره لسورة العصر فهو تفسير إشاري لأهل الباطن، وهو مخالف لما عليه المفسرون قال الشيخ السعدي رحمه الله(٣) في تفسيره لهذه السورة: "أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أنَّ كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح، والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من

(١) مجموع الفتاوى ١١/٣٣٠.

(٢) المرجع نفسه ١١/٢٩٥.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي من النواصر من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم، ولد في محرَّم عام ١٣٠٧هـ في بلدة عنيزة، أخذ العلم عن عدة مشايخ منهم: محمد العبد الكريم الشبل، وإبراهيم بن حمد الجاسر، ومحمد أمين الشنقيطي، ومن تلاميذه: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل، له تصانيف عدة منها: القول السديد في شرح كتاب التوحيد، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، وكانت وفاته ليلة الخميس عام ١٣٧٦هـ وعمره ٦٩عامًا. ينظر: مشاهير علماء نجد ص٢٥٦.

خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمَّم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

أ- الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرعٌ عنه لا يتم إلا به.

ب- والعمل الصالح، وهذا شاملٌ لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

ج- والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضُهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

د- والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم"[(١)].

وبهذا يظهر أنه لا دليل على ما ذهب إليه ابن عجيبة لا من قريب ولا من بعيد.

٣- **العزلة:** قال ابن عجيبة: "كل من اعتزل عن الخلق وانفرد بالملك الحق، طلبًا في الوصول إلى مشاهدة الحق، لا بدَّ أن تفيض عليه المواهب القدسية والأسرار الوهبية والعلوم اللدنية، وهي نتائج فكرة القلوب الصافية"[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٩٣٤.

(٢) البحر المديد ٣/٣٩٣.

وقال أيضًا: "الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس، وإقبالك على الحق إدبارك عن الخلق، وإقبالك على الخلق إدبارك عن الحق، وقد عدوا من أصول الطريق الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار"(١).

وقال في موضع آخر: "اتخاذ الأماكن للعبادة والعزلة مطلوب عند القوم"(٢).

والمتأمل لهذا الدين الإسلامي يجد أنه مبنيٌّ على التعاون بين المسلمين، ومخالطتهم والصبر على أذاهم، ونفعهم قدر الوسع، ورغم أنَّ السلف كانوا يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالًا بالعلم والتعبُّد فإنَّ ذلك لم يقطعهم عن الجمعة والجماعات، ولم يُعرف عنهم أنهم التزموا أماكن مظلمة للعبادة، أو ترهبنوا في الجبال قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٤).

ولقد قال نبيُّنا محمد ﷺ في أفضل العبادات: «صلاة الرَّجُل مع الرَّجُل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرَّجُلين أزكى من صلاته مع الرَّجُل، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ»(٥).

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٨٦.

(٢) البحر المديد ٢/٤٩٤.

(٣) سورة المائدة: ٢.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة ١/٢٠٧، ح ٥٥٤، والنسائي، كتاب الإمامة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين، ٢/١٠٤، ح ٨٤٣، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٥٤٢ برقم ١٩١٢.

وقال ﷺ: «الذي يخالطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطهم ولا يصبرُ على أذاهم»(١).

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من استطاع أن ينفعَ أخاه فلينفعه»(٢).

والذي يفعله المتصوفة هو من تلبيس الشيطان عليهم، يقول ابن الجوزي: "وقد لبَّس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل في جبل كالرُّهبان يبيت وحده ويصبح وحده، ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم، وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعي إلى المساجد وتوطَّنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب"(٣).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنَّ الخلوة والعزلة المشروعة نوعان: **واجبة، ومستحبة:**

الواجب اعتزال الناس في الأمور المحرمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾(٥).

فإن أولئك لم يكونوا في مكان فيه جمعة ولا جماعة ولا من يأمر بشرع نبي فلهذا أووا إلى الكهف، والمستحب هو اعتزال الناس في فضول المباحات، أو أراد

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٦٥١، وفي السلسلة الصحيحة برقم ٩٣٣٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب الرقية من العين ١٧٢٦/٤رقم ٢١٩٩.

(٣) تلبيس إبليس، ص٣٥٢.

(٤) سورة الأنعام: ٦٨.

(٥) سورة الكهف: ١٦.

الإنسان تحقيق علم أو عمل فتخلَّى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة فهذا حق[1].

احتجاج ابن عجيبة على مشروعية الخلوة:

أ- تحنث النبيﷺ في غار حراء في مبدأ الوحي، فالخلوة للمريد لا بدَّ منها في ابتداء أمره، فإذا قوي نوره ودخل مقام الفناء صلح له حينئذٍ الخلطة مع الناس، بحيث يكون جسده مع الخلق وقلبه مع الحق، فإن لله رجالًا أشباحُهم مع الخلق تسعى وأرواحهم في الملكوت ترعى[2].

ب- احتج بأنَّ الله واعد موسى أربعين ليلة ثم حصلت له المناجاة والمكالمة، وقاس النبيَّ على الولي[3].

وهذه الأدلة التي استدل بها؛ ليصحح ما يراه حق، لا يسلم له بها؛ لأن النبي ﷺ فعله قبل النبوة ثم لم يفعلها بعد ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والاعتكاف الشرعي في المساجد كما كان النبي ﷺ يفعله هو وأصحابه رضي الله عنهم من العبادات الشرعية، وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنثه بغار حراء قبل الوحي وهذا خطأ؛ فإن ما فعله النبيﷺ قبل النبوة إن كان قد شرعه بعد النبوة فنحن مأمورون باتباعه فيه وإلا فلا، وهو من حين نبَّأه الله عَزَّوَجَلَّ لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم وقد أقامﷺ بمكة قبل الهجرة بضع عشرة سنة ودخل مكة في عمرة القضاء وعام الفتح أقام بها قريبًا من عشرين ليلة، وأتاها في حجة الوداع وأقام بها أربع ليال وغار حراء قريب منه ولم يقصده"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٤٠٥.

(٢) البحر المديد ٢/٤٩٤.

(٣) المرجع نفسه ٢/٢٥٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠ /٣٩٤.

وأما احتجاجه على الخلوة بأن الله عَزَّوَجَلَّ واعد موسى أربعين ليلة فيرد عليه بما يلي:

- أنَّ هذه ليست من شريعة محمد ﷺ بل شُرعت لموسى عليه السلام.

- قاس الولي على النبي متأثرًا بالفلاسفة فالنبوة عندهم: فيضٌ يفيض على الإنسان بحسب استعداده، وهي مكتسبة عندهم، ومن كان متميزًا -في قوته العلمية، بحيث يستغني عن التعليم، وشُكِّلَ في نفسِهِ خطابٌ يَسمعه كما يَسْمَعُ النائمُ، وشخصٌ يُخاطبه كما يُخاطَبُ النائمُ، وفي العملية بحيث يؤثر في العنصريات تأثيرًا غريبًا- كان نبيًّا عندهم ... وهم لا يثبتون ملكًا مفضلًا يأتي بالوحي من الله تعالى، ولا ملائكة، بل ولا جنًّا يخرق الله بهم العادات للأنبياء، إلا قوى النفس ... وقول هؤلاء، وإن كان شرًّا من أقوال كفَّار اليهود والنصارى وهو أبعد الأقوال عمَّا جاءت به الرُّسُل، فقد وقع فيه كثيرٌ من المتأخرين الذين لم يشرق عليهم نور النبوة من المدعين للنظر العقلي والكشف الخيالي الصوفي وإن كان غاية هؤلاء الأقيسة الفاسدة والشك، وغاية هؤلاء الخيالات الفاسدة والشطح[(١)].

ج- أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يجعل الرياضات والمجاهدة والخلوات شرطًا، لكي يطلع رسله على الغيب، بل ارتضى لهم ذلك ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[(٢)].

والنبوة كما هو مقرَّرٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة اصطفاء من الله عَزَّوَجَلَّ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[(٣)].

(١) ينظر: منهاج السُّنَّة النبوية ٢/٤١٥، النبوات ١/٣٤.

(٢) سورة الجن: ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الحج: ٧٥.

قال ابن جرير الطبري: "الله يختار من الملائكة رسلًا كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم، ومعنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس أيضًا رسلًا"(١).

قال ابن تيمية: "فمن أين يحصل لغير الأنبياء نورٌ إلهيٌّ تدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه، بحيث يصير بنفسه مدركًا لصفات الرَّبِّ وملائكته، وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية، الذين يجعلون النبوة فيضًا من العقل الفعَّال على نفس النبي، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله، ولهذا يجعلون النبوة مكتسبة، فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء، وعندهم هذا الكلام باطلٌ باتفاق المسلمين واليهود والنصارى"(٢).

وقال في موضعٍ آخر: "ولا يزال الأولياء مع الأنبياء في إيمان الغيب، ولا يتصور أن يُعطى الولي ما أعطيه النَّبيُّ من المشاهدة والمخاطبة، وأفضل الأولياء أبو بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ونحوهم، وليس في هؤلاء من شاهد ما شاهده النبي ﷺ ليلة المعراج، ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي على النبي ﷺ ولا سمع أحد منهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي كلَّم به نبيَّه ليلة المعراج، ولا سمع عامة الأنبياء فضلًا عن الأولياء كلام الله كما سمعه موسى بن عمران، ولا كلَّم الله

(١) جامع البيان ٦٨٧/١٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٣٥٣/٥.

تكليمًا لداود وسليمان ولا إبراهيم ولا عيسى فضلًا عن أن يكون ذلك يحصل لأحدٍ من الأولياء، والإيمان بكلِّ ما جاء به الأنبياء واجب، فإنهم معصومون، ولا يجب الإيمان بكلِّ ما يقوله الوليُّ بل ولا يجوز، فإنه ما من أحد من الناس إلا ويؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ، ومن سبَّ نبيًّا من الأنبياء قُتِل وكان كافرًا مرتدًّا بخلاف الولي"[(١)].

وابن عجيبة يوجب على من كان في عزلته أن يلتزم بأوراد مبتدعة للوصول لدرجة الكشف، وهو يسير على منهج الصوفية في ذلك **مثل**:

- ترديد اسم عَزَّوَجَلَّ الله الله الله الله[(٢)].

- ثم ذكر لا إله إلا الله، حتى يمتحى صور الأشياء من قلوبهم، وتحصل لهم الطمأنينة بالله أو بذكره ثم ينتقلون إلى الاسم المفرد ... حتى ينكشف لهم من معناه أنوار الحقائق[(٣)].

وهذا الترديد كما يزعمون أن آثاره هي الوصول إلى الاتحاد والحلول[(٤)]، فأحدهم قد يذكر الله عَزَّوَجَلَّ حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق في ذلك فلا يبقى له مذكورٌ مشهودٌ لقلبه إلا الله، ويفنى ذكره وشهوده لما سواه، فيتوهم أنَّ الأشياء قد فنيت وأنَّ نفسه فنيت حتى يتوهَّم أنه هو الله -تعالى الله عمَّا يقول علوًا كبيرًا- وأن الوجود هو الله[(٥)].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، ص١٥٨.

(٢) مخطوط الأدعية والأذكار الممحقة للذنوب والأوزار بالحيللة والاستغفار، خزانة تطوان، ل١٨.

(٣) منازل السائرين والواصلين، وأسرار علم الطريقة، ضمن الجواهر العجيبة، ص٢٥١- ٢٥٢.

(٤) سيأتي الحديث عنها في الباب الثالث من هذا الكتاب.

(٥) ينظر: الرَّدّ على الشاذلي، ص١٠٦، مجموع الفتاوى ١٣/١٩٨، الرَّدّ على المنطقيين ٢/٢٤٢.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وهذه طريقة أهل التصوف، فهم ظنوا أن توحيد الربوبية هو الغاية، والفناء[1] فيه هو النهاية، وأنه إذا شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح، فآل بهم الأمر إلى تعطيل الأمر والنهي والوعد والوعيد ... ومجرد شهود الربوبية من غير فعل ما يحبه الله ويرضاه ليس بإيمان ينجي من عذاب الله فضلًا عن أن يكون غاية العارفين"[2].

ولو تأمل ابن عجيبة النصوص النبوية، وعرف ما كان يأمر به رسول الله ﷺ ويفعله الصحابة رضي الله عنهم للزم طريق الحق ولم يَحِد عنه.

كان النبي ﷺ يأمر بقول: لا إله إلا الله بعد دبر كلِّ صلاة لما لها من الفضل العظيم، ولم يأمر الناس باختصارها، وفي الصحيحين عنه ﷺ: «أنه كان يقول في دبر كلِّ صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[3].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنَّ الجنة حقٌّ والنار حقٌّ، أدخله الله الجنَّة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء"[4].

ولقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السُّنَّة وأقرب إلى ضلال الشيطان، "والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه وتعالى هو

(١) يزعمون أنَّ العبد يفنى في شخصه ويبقى في ربه بعد مجاهدة ومجالدة وتصفية للنفس، وأول من قال بها أبو يزيد البسطامي في القرن الثالث الهجري. ينظر: المعجم الفلسفي، ص١٤١، والتعريفات، للجرجاني، ص١٧٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٥٤-٨٥٦، وينظر: مجموع الفتاوى ٨/١٠٠-١٠١

(٣) أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، ١/٢٨٩، رقم ٨٤٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة ١/٥٧، رقم ٢٨.

ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية، وأمَّا الاقتصار على الاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا فلا أصل له، فضلًا عن أن يكون ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد"[1].

وقال أيضًا: "ولا يجوز أن يقال إنَّ هذا مستحبٌّ أو مشروعٌ إلا بدليل شرعيٍّ، ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف، لكن إذا ثبت أنَّ العمل مستحبٌّ بدليلٍ شرعيٍّ وروي له فضائل بأسانيد ضعيفة جاز أن تروى إذا لم يُعلم أنها كذب، وذلك أنَّ مقادير الثواب غير معلومة فإذا روي في مقدار الثواب حديثٌ لا يعرف أنه كذب لم يجز أن يُكذَّب به، وهذا هو الذي كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره يرخِّصون فيه وفي روايات أحاديث الفضائل، وأمَّا أن يثبتوا أنَّ هذا عملٌ مستحبٌّ مشروعٌ بحديثٍ ضعيفٍ فحاشا لله، كما أنَّهم إذا عرفوا أنَّ الحديث كذب فإنهم لم يكونوا يستحلون روايته إلا أن يبيِّنوا أنَّه كذب؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[2]"[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٢٦-٢٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فيمَن روى حديثًا وهو يرى أنه كذب، من حديث المغيرة بن شعبة ٥/٣٦، رقم ٢٦٦٢، وأخرجه ابن ماجه، باب من حدَّث عن رسول الله ﷺ حديثًا وهو يرى أنه كذب، ١/١٤ رقم ٣٨، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٤٤٠.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/٤٠٨.

٤- ترويض النَّفس بالذُّل:

قال ابن عجيبة: "فالذُّلُّ والفقرُ بابان عظيمان للدخول على الله عَزَّوَجَلَّ، والوصول إلى حضرته"، وعرَّف المراد بالذُّلِّ بأنه: "الذُّلُّ بين الأقران حتى يراه الخاص والعام وكلُّ من كان يعظِّمه من الأصحاب والإخوان"[١]، وقال في موضع آخر: "المراد بالذُّلِّ هو ذلُّ النفس في طلب الحق، يظهر ذلك بين الأقران، لتموت به النفس سريعًا، فتحيا الروح بمعرفة الحق وشهوده، وذلك: كالمشي بالحفا، وتعرية الرأس في المواضع الذي يراه الناس، والسؤال في الأسواق والحوانيت، فهذا هو الذُّلُّ الذي يعقبه العزُّ بالله"[٢].

وذكر ابن عجيبة تأصيلًا لأمر السؤال فقال: "كيفيته: أن يتوضأ الرَّجُل ويصلي ركعتين، ويأخذ الزنبيل (الوعاء) بيده اليمنى، ويخرج إلى السوق ومعه رجلٌ آخر يذكر الله ويذَّكر الناس، والناس يعطونه في ذلك الزنبيل حتى يجمع ما تيسَّر من الطعام، ويعُبه بين الفقراء فيأكلون طعامًا حلالًا بلا تكلُّف، ولا كلفة هذا ما تيسَّر لنا في حكم السؤال"[٣].

وما ذكره ابن عجيبة من ترويض النفس وإذلالها لم يأمر به الله عَزَّوَجَلَّ ولم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وقد أمر الدين الإسلامي بإكرام النفس وحفظ المال، وعدم إسقاط الجاه، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٤]، ودعا النبي ﷺ لأنس بن مالك رضي الله عنه فقال: «اللهم أكثر ماله

---

(١) الفهرسة، ص٥٣-٥٤.

(٢) شرح المقدمة الآجرومية، ص ٢٤.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٣٣٣.

(٤) سورة الإسراء: ٧٥.

وولده وبارك له»[1].

وصحَّ عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «نعم المالُ الصالحُ للرَّجُل الصالح»[2]، وثبت عن النبي ﷺ أنَّه ادخر لأزواجه قوت سنة[3]، ولاريب أنَّ بعد الصوفية عن الصواب بسبب بعدهم عن فهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ ولهذا عندما خرجوا من أموالهم سقطوا في أمورٍ نهى عنها الشرع، ولم يتورَّعوا عن الشبهات، أو استشراف الأموال من الظلمة.

قال ﷺ: «... فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[4].

قال ابن الجوزي: "لقد أبان هؤلاء القوم عن جهلٍ بالشرع وعدم عقل، والشرع أمر بحفظ المال وأن لا يُسلَّم إلا إلى رشيد، وجعله قوامًا للآدمي، والعقل يشهد بأنه إنما خُلق للمصالح فإذا رمى به الإنسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمه، ومِنْ جَهْل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد؛ لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق ويظن بذلك جواز الفساد، والفساد لا يجوز في شريعة وإنما مسح بيده عليها وقال أنت في سبيل الله"[5].

وقال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ وليس في وجهه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ومن خصَّ أخاه بالدعاء دون نفسه ٥/٢٣٣٣، رقم ٥٩٧٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة ٤٥٧/١ رقم ٢٦٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٧/٤، رقم ١٧٧٩٨، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قويٌّ على شرط مسلم من حديث عمرو بن العاص.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرَّجُل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال ٢٠٤٨/٥، رقم ٥٠٤٢ من حديث عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ٢٨/١، رقم ٥٢.

(٥) تلبيس إبليس، ص٢١٨-٢٣١.

مزعة لحم»[1]، وقال ﷺ: «لئن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكفُّ بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[2].

وكان فقراء الصحابة رضي الله عنهم من أهل الصفة يكتسبون عند إمكان الاكتساب الذي لا يشغلهم عمَّا هو أوجب وأحبُّ إلى الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ من الكسب[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولم يكن في الصحابة رضي الله عنهم لا أهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس ولا الإلحاف في المسألة بالكدية والشحاذة لا بالزنبيل ولا غيره صناعة وحرفة" وقال أيضًا: "وجمع المال إذا قام بالواجبات فيه ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه، لكن إخراج فضول المال والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب وأجمع للهم وأنفع في الدنيا والآخرة"[4].

وبيَّن ابن تيمية كيفية طلب المال وأنَّها نوعان، الأُولى: ما يحتاج العبد إليه كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه، فهذا يطلبه من الله عَزَّوَجَلَّ ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته، والثانية: ما لا يحتاج العبد إليه، فهذا لا ينبغي له أن يعلِّق قلبه بها، فإذا تعلَّق قلبه بها صار مستبعدًا لها، فنقصت عبوديته وتوكله[5].

ولقد وُجِد الغنى في الأنبياء، وما زال في بعض الصالحين ولكنهم راقبوا الله عَزَّوَجَلَّ فيه، يرونه وديعة في أيديهم، ابتلاهم الله عَزَّوَجَلَّ به؛ لينظر هل يتصرفون فيه تصرف العبد أو تصرف الملاك الذين يعطون لهواهم ويمنعون لهواهم[6].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثُّرًا ٥٣٦/٢، رقم ١٤٧٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ٥٣٥/٢، رقم ١٤٧٠.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٤٤/١١، ٤٦.

(٤) المرجع نفسه ١٠٨/١١.

(٥) نفسه، بتصرف يسير ١٨٩/١٠.

(٦) ينظر: طريق الهجرتين ١٣/١.

والمحتاج الذي يقدر على التكسُّب فلا يجوز له المسألة، وما يأخذه من الناس في هذه الحالة حرام عليه؛ لحديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال: «تحمَّلت حمالة، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها» ثم قال: "يا قبيصة، إنَّ المسألة لا تحلُّ إلا لأحد ثلاثة: رجلٌ تحمَّل حمالة فحلَّت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة[1] اجتاحت ماله فحلَّت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش -أو قال: سدادًا من عيش-، ورجلٌ أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا[2] من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة[3] فحلَّت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش -أو قال: سدادًا من عيش-، فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحتٌ يأكلها صاحبها سحتًا[4]»»[5].

"والمسألة في الأصل حرام، وإنما أُبيحت للحاجة والضرورة؛ لأنها ظلمٌ في حقِّ الربوبية، وظلمٌ في حقِّ المسؤول، وظلمٌ في حقِّ السائل:

أمَّا الأول: فلأنه بذل سؤاله وفقره وذلَّه واستعطاءه لغير الله، وذلك نوع

---

(١) الجائحة: الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها وكل مصيبة عظيمة وفتنة كبيرة. ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمَّى الكاشف عن حقائق السنن ١٥٠٩/٥.

(٢) أصحاب العقول الراشدة، المرجع نفسه ١٥٠٩/٥

(٣) وهذا ليس من باب الشهادة، ولا يريد به التنصيص علي أنَّ الفاقة لا تثبت إلا بثلاثة شهود، إذ لم يسمع أنَّ أحدًا من الأئمة قال به، ولم نجد لهذا العدد من الرجال مدخلًا في شيءٍ من الشهادات، بل لعلَّه ذكره علي وجه الاستحباب وطريقة الاحتياط؛ ليكون أدلَّ على براءة السائل عن التهمة وأدعى للناس إلي سدِّ حاجته. ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمَّى الكاشف عن حقائق السنن ١٥٠٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب من تحلُّ له المسألة ٧٢٢/٢، رقم ٢٤٥١.

والسُّحتُ: هو الحرام الذي لا يحلُّ كسبه؛ لأنَّه يسحت البركة، أي يذهبها. ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٥٠٩/٥.

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش، باب التسول، ٣٧٥/٢٤.

عبودية، فوضع المسألة في غير موضعها، وأنزلها بغير أهلها، وظلم توحيده وإخلاصه، وفقره إلى الله، وتوكله عليه ورضاه بقسمه، واستغنى بسؤال الناس عن مسألة رب الناس، وذلك كلُّه يهضم من حق التوحيد، ويطفئ نوره ويضعف قوته.

وأما ظلمه للمسؤول: فلأنه سأله ما ليس عنده، فأوجب له بسؤاله عليه حقًّا لم يكن له عليه، وعرضه لمشقة البذل، أو لوم المنع، فإن أعطاه أعطاه على كراهة، وإن منعه منعه على استحياء وإغماض، هذا إذا سأله ما ليس عليه، وأما إذا سأله حقًّا هو له عنده: فلم يدخل في ذلك، ولم يظلمه بسؤاله.

وأما ظلمه لنفسه: فإنه أراق ماء وجهه وذلَّ لغير خالقه، وأنزل نفسه أدنى المنزلتين، ورضي لها بأبخس الحالتين، ورضي بإسقاط شرف نفسه، وعزَّة تعفُّفِه، وراحة قناعته، وباع صبره ورضاه وتوكله وقناعته بما قسم له واستغناءه عن الناس بسؤالهم، وهذا عينُ ظلمه لنفسه، إذ وضعها في غير موضعها، وأخمل شرفها، ووضع قدرها، وأذهب عزَّها، وصغَّرها وحقَّرها، ورضي أن تكون نفسه تحت نفس المسؤول، ويده تحت يده، ولولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع"[1].

وإن تعجب فعجبٌ لقول ابن عجيبة: "إذا عارض كشفك الكتاب والسُّنَّة فاعمل بالكتاب"، "ولا يلزم من عدم العمل بها انتقادها على أهلها، فإنَّ العملَ واسع، له ظاهرٌ وباطن، ومسائل الإلهامات تارة ترد على حسب العلم الظاهر، وتارة على حسب العلم الباطن، فإن لم تفهم فسلِّم، ودع ما تعرف لما لا تعرف"[2].

ثم يقول بعد ذلك: "طريق التصوف مؤسَّسة على الكتاب والسُّنَّة وإلهامات

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٤٢.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٣٦٨.

العارفين، الذين تنوَّرت عقولهم، وانصقلت مرآة قلوبهم، فتجلَّى فيها ما كان حقًّا، وزهق منها ما كان باطلًا، فكانت طريقتهم مبنيَّةً على التحقيق"(١)، وقال أيضًا: "إذا وقع الاختلاف في الأحكام الظاهرة رُجع فيه إلى الكتاب العزيز، أو السُّنَّة المحمدية، أو الإجماع، أو القياس، وإن وقع الاختلاف في الأمور القلبية وهي: ما يتعلَّق بالعقائد التوحيدية من طريق الذوق أو العلوم يُرجع فيه إلى أرباب القلوب الصافية، فإنه لا يتجلَّى فيها إلا ما هو حقٌّ وصواب"(٢).

وما ذكره ابن عجيبة هو نوع تلبيس وتدليس؛ فمدار الأعمال على أصلين: الإخلاص وهو عملٌ قلبي ، وقد جعله ابن عجيبة تابعًا لأذواق أرباب القلوب الصافية كما يزعم، والأصل الآخر: المتابعة، وجعل لها ظاهرًا وباطنًا فليس العبرة بفعل الظاهر كما يزعم.

"فالكشفُ الصحيحُ أن يَعرفَ الحقَّ الذي بعث اللهُ به رسلَه، وأنزلَ به كتبَه، معاينةً لقلبه، ويُجرِّد إرادةَ القلبِ له، فيدورُ معه وجودًا وعدمًا، هذا هو التحقيق الصحيح، وما خالفه فغرورٌ قبيح"(٣).

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣٤٤.

(٢) البحر المديد ٤/٢١٧.

(٣) ينظر: مدارج السالكين ٣/٢٣٦.

المبحث الثاني: الذوق

أولًا: معنى الذوق في اللغة

ذاقهُ ذوقًا، ذَوَاقًا، ومذاقًا، ومذاقةً: اختبر طعمه، والذوق يكون بالفم، وبغيره، وذَاقَ الشَّيْءَ مِنْ بَابِ قَالَ، وَذَاقَ مَا عِنْدَ فُلَانٍ: أَيْ خَبَرَهُ[1].

ثانيًا: في اصطلاح الصوفية

عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلِّي، ثم الشرب[2][3].

معنى الذوق عند ابن عجيبة: "الذوق يكون بعد العلم بالحقيقة، وهو عبارة عن بروق أنوار الذات القديمة على العقل، فيغيب عن رؤية الحدث في أنوار القدم، لكنه لا يدوم ذلك، بل يلمع تارة ويخفى أخرى، فصاحبه يدخل ويخرج، فإذا لمع غاب عن حسِّه، وإذا خفي رجع إلى حسِّه ورؤية نفسه، فهذا يُسمَّى عندهم ذوقًا، فإن دام له ذلك النور ساعةً أو ساعتين فهو الشرب، وإن اتصل ودام فهو السُّكر، ومرجعه إلى فناء الرُّسوم في شهود الحيِّ القيُّوم والغيبة عن الأثر في شهود المؤثّر، ويُسمَّى أيضًا الفناء، فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله وأنها نورٌ من أنوار الله فهو الصحو، ويسمى أيضًا بالري وبالبقاء لإبقاء الأشياء بالله بعد فنائها، ويُسمَّى

---

(١) ينظر: القاموس، ص٧٩٧، لسان العرب ١٠/١١٤٣، مختار الصحاح، ص٢٢٦، كلهم في مادة (ذوق).

(٢) الشرب: هو تلقي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يرد عليها من الكرامات، وتنعُّمها بذلك، فشبه ذلك بالشرب؛ لتهنيه وتنعُّمه بما يردُ على قلبه من أنوار مشاهدة قرب سيده. ينظر: المعجم الصوفي، ص١٣٣.

(٣) ينظر: التعريفات، ص١٠٧، الرسالة القشيرية، ص٨٦.

أيضًا فناء الفناء؛ لأنه علم أنه لم يكن ثم شيءٌ يفنيه غير الوهم والجهل وهما لا حقيقة لهما"[١].

ما ذكره ابن عجيبة في تعريفه للذوق حقيقته أحوال[٢] ومقامات[٣] ينتقل السالك فيها من مقام إلى مقام بعد تبحُّره بما سمّوه علم الحقيقة -أي علم الباطن- حتى يصل إلى مرحلة الفناء التي يغيب الفاني عن رؤية كلِّ شيء، والبقاء بأن يرى الله في كلِّ شيءٍ -تعالى الله- عمَّا يقول عُلوًا كبيرا، وهذا ما عُرِف بوحدة الوجود تلك العقيدة الكفرية التي عليها بعض المتصوفة.

أمَّا "الشُّرب، والسُّكر[٤]، والصَّحو[٥]، والغيبة[٦] فهي مرادفات الفناء والبقاء، التي عبَّر عنها ابن عجيبة بقوله: "الفناءُ هو أن تبدو لك العظمة فتنسيك كلَّ شيء، وتغيبك عن كلِّ شيءٍ سوى الواحد الذي ليس كمثله شيء، وليس معه شيء، أو تقول هو شهود حق بلا خلق، وأما البقاء فهو شهود خلق بحق"[٧].

---

(١) معراج التشوف، ص٦٥-٦٦.

(٢) الأحوال: ما يرد على القلب من طربٍ أو حزنٍ أو بسطٍ أو قبض، وتُسمَّى الحال بالوارد. ينظر: معجم مصطلحات الصوفية، ص٧٣، وسيأتي بحثها في موضعها من الكتاب.

(٣) مقامات: مثل التوبة، والورع، والزهد، والفقر ... وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام. ينظر: معجم مصطلحات الصوفية، ص٧٣.

(٤) السُّكر: أن يغيب عن تمييز الأشياء، ولا يغيب عن الأشياء وهو ألا يميز بين مرافقه وملاذه وبين أضدادها في مرافقة الحق؛ فإنَّ غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي، ص١١٦.

(٥) الصَّحو: أن يميِّز فيعرف المؤلم من الملذ، فيختار المؤلم من موافقة الحق، ولا يشهد الألم بل يجد لذة في المؤلم. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١٣٥.

(٦) الغَيْبَة: أَن يغيب عَن حظوظ نَفسه فَلَا يَرَاهَا وهي أعنى الحظوظ قَائِمَة مَعَه مَوْجُودَة فِيهِ غير أَنه عَنْهَا بِشُهُود مَا للحق. ينظر: التعرف لمذهب التصوف ص١١٨.

(٧) إيقاظ الهمم، ص٢٩٩.

وحقيقة الأمر أنَّ الذوق يرتبط بالكشف والتجلِّي[1]، ظهر ذلك من خلال استقراء عبارات ابن عجيبة في تعريفه للذوق، ولقد ذكر ابن عجيبة أنَّ هذه الأوراد سبب الأحوال والمقامات، فعند شرحه للوارد قال: "الوارد نورٌ إلهيٌّ، يقذفه الله في قلب من أحبَّ من عباده، وهو على ثلاثة أقسام: على حسب البداية، والوسط، والنهاية، أو تقول على حسب الطالبين، والسائرين، والواصلين، القسم الأول: وارد الانتباه: وهو نورٌ يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، وهو لأهل البداية من الطالبين، فإذا تيقَّظ من نومه، وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالبًا لربِّه، فيُقبل عليه بقلبه وبقالبه، وينجمع عليه بكلِّيته، والقسم الثاني: وارد الإقبال، وهو: نورٌ يقذفه الله في قلب عبده، فيحرِّكه لذكر مولاه، ويغيبه عما سواه، فلا يزال مشتغلًا بذكره، غائبًا عن غيره، حتى يمتلئ القلب بالنور، ويغيب عمَّا سوى المذكور، فلا يرى إلا النور، فيخرج من سجن الأغيار، ويتحرَّر من رقِّ الآثار، والقسم الثالث: وارد الوصال وهو: نورٌ يستولي على قلب العبد، ثم يستولي على ظاهره وباطنه، فيخرجه من سجن نفسه، ويغيبه عن شهود حسِّه"[2].

والمتأمِّل لما أورده ابن عجيبة في هذه التقسيمات يلحظ أنها درجات الفناء.

ولقد دحضها ابن القيم رحمه الله بقوله: "**وهذا الاسم يطلق على ثلاثة معان**: الفناء عن وجود السوى، والفناء عن شهود السوى، والفناء عن إرادة السوى.

فأمَّا الفناء عن وجود السوى: فهو فناء الملاحدة، القائلين بوحدة الوجود، وأنه ما ثمَّ غير، وأن غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة، ونفي التكثُّر

---

(١) التجلِّي: ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب. معجم اصطلاحات الصوفية، ص١٤٦.

(٢) إيقاظ الهمم، ص١٢٥-١٢٦.

والتعدد عن الوجود بكلِّ اعتبار، فلا يشهد غيرًا أصلًا، بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب، بل ليس عندهم في الحقيقة ربٌّ وعبد.

وفناء هذه الطائفة في شهود الوجود كله واحد، وهو الواجب بنفسه، ما ثم وجودان ممكن، وواجب، ولا يفرقون بين كون وجود المخلوقات بالله عَزَّوَجَلَّ، وبين كون وجودها هو عين وجوده، وليس عندهم فرقان بين العالمين ورب العالمين، ويجعلون الأمر والنهي للمحجوبين عن شهودهم وفنائهم، والأمر والنهي تلبيس عندهم، والمحجوب عندهم يشهد أفعاله طاعات أو معاصي، ما دام في مقام الفرق، فإذا ارتفعت درجته شهد أفعاله كلها طاعات لا معصية فيها، لشهوده الحقيقة الكونية الشاملة لكل موجود، فإذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة ولا معصية، بل ارتفعت الطاعات والمعاصي؛ لأنها تستلزم اثنينية وتعددًا، وتستلزم مطيعًا ومطاعًا، وعاصيًا ومعصيًّا، وهذا عندهم محض الشرك، والتوحيد المحض يأباه، فهذا فناء هذه الطائفة.

وأما عن شهود السوى: الفناء فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين، ويعدونه غاية ... وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسِّهم، فحقيقته: غيبة أحدهم عن سوى مشهوده، بل غيبته أيضًا عن شهوده ونفسه؛ لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبموجوده عن وجوده، وبمحبوبه عن حُبِّه، وبمشهوده عن شهوده"[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "لم يرد في الكتاب، ولا في السُّنَّة، ولا في كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين مدح لفظ الفناء ولا ذمُّه، ولا استعملوا لفظه في هذا المعنى المشار إليه البتَّة، ولا ذكره مشايخ الطريق المتقدمون، ولا جعلوه غايةً ولا مقامًا، وقد كان

(١) مدارج السالكين ٢/٢٩٣-٢٩٥.

القوم[1] أحق بكلِّ كمال، وأسبق إلى كلِّ غاية محمودة، ونحن لا ننكر هذا اللفظ مطلقًا، ولا نقبله مطلقًا، ولا بدَّ فيه من التفصيل، وبيان صحيحه من معلوله، ... فنقول: حقيقة "الفناء" المشار إليه هو استهلاك الشيء في الوجود العلمي الذهني، وهاهنا تَقسَّمه أهل الاستقامة وأهل الزيغ والإلحاد، فزعم أهل الاتحاد –القائلون بوحدة الوجود– أنَّ الفناء هو غاية الفناء عن وجود السوى، فلا يثبت للسوى وجود البتة، لا في الشهود ولا في العيان، بل يتحقق بشهود وحدة الوجود، فيعلم حينئذ أنَّ وجود جميع الموجودات هو عين وجود الحق، فما ثم وجودان، بل الموجود واحد، وحقيقة الفناء عندهم أن يفنى عمَّا لا حقيقة له، بل هو وهمٌ وخيال، فيفنى عمَّا هو فانٍ في نفسه، لا وجود له، فيشهد فناء وجود كل ما سواه في وجوده، وهذا تعبير محض، وإلا ففي الحقيقة ليس عند القوم "سوى" ولا "غير" وإنما السوى والغير في الوهم والخيال، فحول هذا الفناء يدندنون وعليه يحومون، وأمَّا أهل التوحيد والاستقامة: فيشيرون بالفناء إلى أمرين، أحدهما أرفع من الآخر، الأمر الأول: الفناء في شهود الربوبية والقيومية، فيشهد تفرُّد الرب تعالى بالقيومية والتدبير، والخلق والرزق، والعطاء والمنع، والضر والنفع، وأنَّ جميع الموجودات منفعلة لا فاعلة، وما له منها فعل فهو منفعل في فعله، محل محض لجريان أحكام الربوبية عليه، لا يملك شيئًا منها لنفسه ولا لغيره، فلا يملك ضرًّا ولا نفعًا، فإذا تحقق العبد بهذا المشهد؛ خمدت منه الخواطر والإرادات، نظرا إلى القيوم الذي بيده تدبير الأمور، وشخوصًا منه إلى مشيئته وحكمته فهو ناظر منه به إليه، فان بشهوده عن شهود ما سواه، ومع هذا فهو ساع في طلب الوصول إليه، قائمًا بالواجبات والنوافل.

---

(١) هم الصحابة ﷺ.

الأمر الثاني: الفناء في مشهد الإلهية، وحقيقته (الفناء) عن إرادة ما سوى الله ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخوفه ورجائه، فيفنى بحبِّه عن حُبِّ ما سواه، وبخوفه ورجائه عن خوف ما سواه ورجائه، وحقيقة هذا الفناء إفراد الرب سبحانه بالمحبة، والخوف والرجاء، والتعظيم والإجلال ..."[1].

ولا شكَّ أنَّ تحكيم الذوق أعقب الكثير من المفاسد، أخطرهما نبذ الكتاب والسُّنَّة، وعدم التحاكم إليهما وهذا خلاف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة وسلف الأُمَّة، بل هي من البدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن خرج عن الشرع الذي بعث الله به محمدًا ﷺ ظانًا أنه متبعٌ للحقيقة فإنه مضاهٍ للمشركين المكذِّبين للرسل عليهم السلام"[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وقع من تحكيم الذوق من الفساد ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ الأذواق مختلفة في أنفسها، كثيرة الألوان، متباينة أعظم التباين، فكلُّ طائفة لهم أذواقٌ وأحوالٌ ومواجيد، بحسب معتقداتهم وسلوكهم، فالقائلون بوحدة الوجود لهم ذوق وحال ووجد في معتقدهم بحسبه، والنصارى لهم ذوق في النصرانية بحسب رياضتهم وعقائدهم، وكل من اعتقد شيئًا أو سلك سلوكًا —حقًّا كان أو باطلًا– فإنه إذا ارتاض وتجرَّد لزمه، وتمكَّن من قلبه، وبقي له فيه حال وذوق ووجد، فيذوق من يزن الحقائق إذن ويعرف الحق من الباطل"[3].

---

(١) مدارج السالكين ٣/٣٥١، وينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٠/٣٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٥٠٨.

(٣) مدارج السالكين ١/٤٩١-٤٩٢، وينظر: ص٤٩٦.

وعلاقة الذوق بالكشف والتجلِّي[1] تكمن في ثلاث مراتب[2]:

١- التجلِّي الأول: هو التجلِّي الذاتي، وهو تجلِّي الذات وحدها لذاتها، وهي الحضرة الأحدية[3]، التي عرَّفها ابن عجيبة بقوله: "الحضرة عبارة عن كشف رداء الصون عن أصل نور الكون، فتلوح أنوار القدم على صفحات العدم فيتلاشى الحادث ويبقى القديم"[4].

٢- التجلِّي الثاني: هو الذي تظهر به أعيان الممكنات الثانية، التي هي شؤون الذات لذاته تعالى وهو التعيين الأول بصفة العالمية والقابلية؛ لأنَّ الأعيان معلوماته الأولى الذاتية القابلة للتجلِّي الشهودي، وللحق بهذا تنزل الحضرة الأحدية إلى الحضرة الواحدية بالنسبة الأسمائية[5].

٣- التجلِّي الشهودي: هو ظهور الوجود المسمَّى باسم النور، وظهور الحقِّ بصور أسمائه في الأكوان التي هي صورها وهذه هي عقيدة وحدة الوجود.

وعقيدة وحدة الوجود[6] حوت الكثير من المفاسد العقدية، منها:

الأول: أنَّ حقيقة قولهم: أنَّ الله لم يخلق شيئًا ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوَّره؛ لأنَّه

---

(١) التجلِّي الصحيح إذا أريد به كون جميع الكائنات آيات لله عَزَّوَجَلَّ شاهدة دالة مظهرة لما هو مستحق له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وعن مقتضى أسمائه وصفاته خلق الكائنات، فهو تعالى قد أظهر من آثار علمه وحكمته ورحمته ما لا يحصيه إلا هو فهو ربُّ العالمين، والعالمون ممتلئون بما فيهم من آثار أسمائه وصفاته. ينظر: مجموع الفتاوى ٢/٤٠٠-٤٠١.

(٢) ينظر: المصادر العامَّة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا، ص١٩٣، ٥٤٠.

(٣) معجم اصطلاحات الصوفية، ص١٤٦.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٩١.

(٥) معجم اصطلاحات الصوفية، ص١٤٦.

(٦) لها مبحث خاص في الباب الثالث من هذا الكتاب.

إذا لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقًا لوجود نفسه أو بارئًا لذاته فإنَّ العلم بذلك من أبين العلوم وأبدهها للعقول، إن الشيء لا يخلق نفسه ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[1] فإنهم يعلمون أنهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ويعلمون أنَّ الشيء لا يخلق نفسه فتعيَّن أنَّ لهم خالقًا، وعند هؤلاء الكفَّار الملاحدة الفرعونية أنَّه ما ثمَّ شيءٌ يكون الرَّبُّ قد خلقه أو برأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة، ونفسه المقدسة لا تكون إلا مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة؛ لامتناع ذلك في بدائه العقول، وذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل والآراء، وهذا ردٌّ للكتاب والسُّنَّة والإجماع، أين هم من قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم"[3].

وقال أيضًا: "والله خالقٌ كلَّ شيء وليس شيءٌ من المخلوقات مشابهًا لله بوجهٍ من الوجوه، ولما ذكر عموم خلقه للأشياء، ذكر إحاطة علمه بها فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]، وفي ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر، فإنَّ في ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمال حكمته، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ

---

(١) سورة الطور: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٠١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٩٨٤.

(٤) سورة الحديد: ٣.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2] ذلكم الذي خلق ما خلق، وقدَّر ما قدر"[3].

الثاني: أنَّ عندهم أنَّ الله ليس ربُّ العالمين ولا مالك الملك، إذ ليس إلا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك، وقد صرَّحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا: إنه هو ملك الملك بناءً على أنَّ وجوده مفتقرٌ إلى ذوات الأشياء، وذوات الأشياء مفتقرة إلى وجوده فالأشياء مالكة لوجوده فهو ملك الملك.

الثالث: عندهم، أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يرزق أحدًا شيئًا ولا أعطى أحدًا شيئًا ولا رحم أحدًا ولا أحسن إلى أحدٍ ولا هدى أحدًا، ولا أنعم على أحد نعمةً ولا علَّم أحدًا علمًا ولا علَّم أحدًا البيان وعندهم في الجملة: لم يصل منه إلى أحد لا خير، ولا شر، ولا نفع، ولا ضر، ولا عطاء، ولا منع، ولا هدى ولا إضلال أصلًا، وأنَّ هذه الأشياء جميعها عين نفسه ومحض وجوده فليس هناك غيرٌ يصل إليه ولا أحدٌ سواه ينتفع بها ولا عبد يكون مرزوقًا أو منصورًا أو مهديًّا[4].

وقول ابن عجيبة بالحضرة الأحدية يلزم عليه نفي ذات الله عَزَّوَجَلَّ ووصفه بالمعدومات، بل هو تعطيل لله عَزَّوَجَلَّ عمَّا يستحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... وكذلك كونه لا يتكلَّم، أو لا ينزل، ليس في ذلك صفة مدح، ولا كمال، بل هذه الصفات فيها تشبيه له بالمنقوصات، أو المعدومات، فهذه الصفات

(١) سورة الملك: ١٤.

(٢) سورة يس: ٨١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٢٣٧.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ٢/٢٣٩.

منها ما لا يتصف به إلا المعدوم، ومنها ما لا يتصف به إلا الجمادات، والناقص"[١].

أما الأحوال والمقامات التي ذكرها ابن عجيبة أثناء تعريفه للذوق فبيَّنها ابن القيم بقوله: "ولأرباب السلوك اختلاف كثير في عدد المقامات وترتيبها، كلٌّ يصف منازل سيره، وحال سلوكه ولهم اختلاف في بعض منازل السير، هل هي من قسم الأحوال؟ والفرق بينهما: أنَّ المقامات كسبية والأحوال وهبية، ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات والمقامات نتائج الأعمال فكلُّ من كان أصلح عملاً كان أعلى مقامًا، وكلُّ من كان أعلى مقامًا كان أعظم حالًا ... والصحيح في هذا أنَّ الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها، فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند أول ظهورها وبدوها، كما يلمع البارق، ويلوح عن بعد فإذا نازلته وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكَّنت منه وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات وهي لوامع ولوائح في أولها وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهاياتها، فالذي كان بارقًا هو بعينه الحال، والذي كان حالًا هو بعينه المقام، وهذه الأسماء له باعتبار تعلُّقه بالقلب، وظهوره له، وثباته فيه، وقد ينسلخ السالك من مقامه كما ينسلخ من الثوب، وينزل إلى ما دونه، ثم قد يعود إليه، وقد لا يعود"[٢].

ولا ريب أنَّ من تحاكم إلى الذوق فيما يسوغ ويمتنع، وفيما هو صحيح وفاسد وجعله محكًّا للحق والباطل فنبذ لذلك موجب العلم والنصوص وحكَّم فيها الأذواق، وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم وانعكس السير وكان إلى الله

(١) الرسالة التدمرية، ص٢٢.

(٢) مدارج السالكين ١/١٥١-١٥٢.

فصيَّره إلى النفوس، فالناس المحجوبون عن أذواقهم يعبدون الله وهو ومن على شاكلته يعبدون أنفسهم[(١)].

ثالثًا: الذوق والوجدان أساسٌ لمعرفة التوحيد عند ابن عجيبة

قال ابن عجيبة: "قد أخذ الصوفية من هذا الدين القيِّم، الذي هدى الله إليه نبيَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خلاصته ولبابه، فأخذوا من عقائد التوحيد: الشهود والعيان على طريق الذوق والوجدان ولم يقنعوا بالدليل والبرهان"[(٢)].

وابن عجيبة بكلامه هذا يصرِّح تصريحًا لا مرية فيه أنَّ القوم اعتبروا الذوق مصدر تَلقٍّ لمعرفة التوحيد، وهذا باطلٌ؛ فإن عقيدة التوحيد مبنيَّة على أصلين عظيمين هما الكتاب والسُّنَّة وفق فهم سلف الأمة، فمن حاد عنهما تخبَّط في أودية الباطل، وما قاله بأنَّ الهداية إلى الله عَزَّوَجَلَّ تكون عن طريق الذوق، فهذا باطل.

قال عبد الرحمن الوكيل[(٣)]: "ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمغها بالمروق عن الإسلام ذلك هو اعتقادها أنَّ الذوق الفردي -لا الشرع ولا العقل- هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها معرفة الله وصفاته وما يجب له فهو -أي الذوق- الذي

---

(١) مدارج السالكين ١٠٧/٢، بتصرف.

(٢) البحر المديد ١٩٢/٢.

(٣) هو: عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل، ولد في قرية زاوية البقلي مركز الشهداء بمحافظة المنوفية عام ١٣٣٢هـ، حفظ القرآن، ثم التحق بمعهد طنطا، ونشأ مع أهل التصوُّف وعايشهم وفعل بعض أعمالهم، ثم التحق بكلية أصول الدين شعبة التوحيد والفلسفة، وقد وقعت يداه على كتاب بعنوان (رأي ابن تيمية في ابن عربي)، وكان نقطة تحوله إلى منهج السَّلف، إضافة إلى تعرفه على الشيخين محمد حامد الفقي، وعبدالرزاق عفيفي، ثم عُيِّن رئيسًا لجماعة أنصار السُّنَّة المحمدية، له مؤلفات وتحقيقات عدة منها: هذه هي الصوفية، البهائية، ومن تحقيقاته: الروض الأنف، للسهيلي، إعلام الموقعين، لابن القيم، ثم انتدب أستاذًا بكلية الشريعة بمكة المكرمة، وكانت وفاته سنة ١٣٩٠هـ. ينظر: جماعة أنصار السُّنَّة المحمدية، د أحمد محمد الطاهر، ص١٨٤.

يُقَوِّم حقائق الأشياء، ويحكم عليها بالخيرية أو الشرِّية، بالحسن أو القبح، بأنها حقٌّ أو باطل، فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة، ولا عجب أن ترى النِّحلة منها تعبد وثنًا بغير ما تعبده به أخرى، أو تخنع لصنم يكفر به سواها من النِّحل الصوفية، لا عجب من ذلك كله، ما دامت تجعل الذوق الفردي حاكمًا وقيِّمًا على المسمَّيات وأسمائها، فيصح للشيء معناه مرة، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى، هذه الحدة في توتر التناقض صبغة الصوفية دائمًا في منطقها المخبول، ولقد ضربت الصوفيين أهواء أحبارهم بالحيرة والفرقة، فحاولوا طرائق قددا، تؤلِّه كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنها صنمًا له، وتعبده بما يفتريه هواه من خرافات"[1]، وهؤلاء عندما يطالبون بدليلٍ شرعيٍّ لما يقولون يرجعون إلى مصطلحاتهم الفاسدة من وجد، وذوق، قال ابن خلدون[2]: "وإذا كانت كلماتهم وتفاسيرهم لا تفارق الإبهام والاستغلاق فما الفائدة فيها؟ فالرجوع إذن إلى كلمات الشرع واقتباس معانيها من التفاسير المعتضدة بالأثر، ولو كانت لا تخلص من الإبهام أولى من ابهامهم الذي لا يستند إلى برهان عقل ولا قضية شرع"[3].

وابن عجيبة تابع سلفه من الصوفية بأنَّ جميع علومهم لا تُعرف إلا عن طريق الذوق.

---

(١) هذه هي الصوفية، ص٢١-٢٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشهيلي، المعروف بابن خلدون، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ، وحفظ القرآن، وسمع الحديث، ودرس العربية في صغره، رحل إلى الشَّام ثم مصر حيث تولى فيها منصب قاضي المالكية، له مؤلفات منها: مقدمة ابن خلدون، شفاء السائل لتهذيب المسائل، وكانت وفاته سنة ٨٠٨هـ. ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري بردي ٢٠٥/٧، الضوء اللامع، للسخاوي ١٥٤/٤.

(٣) شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص٢١١-٢١٢.

ونقل الشعراني[1] قول ابن عربي[2]، [3]،: "جميع علومنا من علوم الذوق لا من علوم بلا ذوق؛ فإنَّ علوم الذوق لا تكون إلا عن تجلٍّ إلهيّ، والعلم قد يحصل لنا بنقل المخبر الصادق وبالنظر الصحيح"[4].

أما أهل السُّنَّة والجماعة -ولله الحمد- فهم مطبقون على أنَّ التوحيد مصدره الكتاب والسُّنَّة.

ولم يثبت عن أحد من السلف أنه قال: إنه عرف الله بأسمائه وصفاته عن طريق الذوق، ولو كان خيرًا لسَبقوا ولم يُسبقوا.

فمصادر المعرفة عند أهل السُّنَّة والجماعة توقيفية على الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة، وهذه الأصول الثلاثة عندهم ميزان لأقوال الناس جميعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... وهم يَزِنوُنَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلُّق بالدين"[5].

وفي ختام هذا المبحث يتضح جليًّا أنَّ ابن عجيبة يقدِّم الذوق والكشف على مصادر التلقي المعتبرة عند أهل السُّنَّة والجماعة، وهذا نصٌّ صريحٌ لقوله بذلك، فعند

---

(١) أبو محمد، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني الصوفي، له مؤلفات عدة منها: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المعروف بالطبقات الكبرى، لطائف المنن، توفي سنة ٩٧٣هـ. ينظر: الموسوعة الصوفية، ص١٨٩، ٣٤٠.

(٢) أبو بكر، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، محيي الدين الطائي الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي الصوفي، ولد بمرسية بالأندلس سنة ٥٦٠هـ، وسكن في أشبيلية، ثم رحل إلى أفريقية، ثم إلى مكة، ثم استقر بالشَّام إلى أن توفي سنة ٦٣٨هـ، من مؤلفاته: الفتوحات المكية، فصوص الحكم. ينظر: تاريخ الإسلام ٢٣٧/١٤، البداية والنهاية ٢٥٢/١٧-٢٥٣.

(٣) سيأتي دفاع ابن عجيبة عن ابن عربي في الباب الثالث من الكتاب.

(٤) اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر، للشعراني ٨٤/٢.

(٥) مجموع الفتاوى ١٧٥/٣.

تأويله لقول الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] قال: "هم العارفون بالله، فإذا أشكل علينا أمرٌ من أمر القلوب كأسرار التوحيد، وأمر الخواطر، رجعنا إليهم؛ لأنهم أهل الذوق والكشف، يُجيبون سائلهم بالهمَّة والحال، حتى يقلعوا عروق ما أشكل على السائل"[2].

وهذا هو حال كثير من الصوفية يُعرضون عن الدليل الشرعيِّ المبنيِّ على الكتاب والسُّنَّة إلى أقوال وخرافات مشايخهم وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية.

قال الشاطبي: "رأى نابتة متأخرة الزمان ممن يدَّعى التخلُّق بخلق أهل التصوف المتقدِّمين، أو يروم الدخول فيهم، يعمدون إلى ما نُقل عنهم في الكتب من الأحوال الجارية عليهم أو الأقوال الصادرة عنهم، فيتخذونها دينًا وشريعةً لأهل الطريقة وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصالح، لا يلتفتون معها إلى فُتيا مفتٍ ولا نظر عالم، بل يقولون: إنَّ صاحب هذا الكلام ثبتت ولايته، فكل ما يفعله أو يقوله حق، وإن كان مخالفًا فهو أيضًا ممن يُقتدى به، والفقه للعموم، وهذه طريقة الخصوص.

فتراهم يحسنون الظن بتلك الأقوال والأفعال ولا يحسنون الظن بشريعة محمد ﷺ، وهو عين اتباع الرجال وترك الحق، مع أنَّ أولئك المتصوفة الذين ينقل عنهم لم يثبت أنَّ ما نقل عنهم كان في النهاية دون البداية، ولا علم أنهم كانوا مقرِّين بصحة ما صدر عنهم أم لا، وأيضًا فقد يكون من أئمة التصوف وغيرهم من زلَّ زلةً يجب سترها عليه، فينقلها عنه من لا يعلم حاله ممن لم يتأدَّب بطريق القوم كلَّ التأدب.

---

(١) سورة النحل: ٤٣.

(٢) البحر المديد ٣/١٣٢.

وقد حذَّر السَّلف الصالح من زلة العالم، وجعلوها من الأمور التي تهدم الدين، فإنه ربما ظهرت فتطير في الناس كلَّ مطار، فيعدونها دينًا، وهي ضد الدين، فتكون الزلة حجة في الدين، فكذلك أهل التصوف، ولا بد لمن يريد الاقتداء بالصوفي من عرض أقواله وأفعاله على حاكم يحكم عليها: هل هي من جملة ما يتخذ دينًا أم لا؟ والحاكم هو الشرع، وأقوال العالم تعرض على الشرع أيضًا، وأقل ذلك في الصوفي أن نسأله عن تلك الأعمال إن كان عالمًا بالفقه، كالجنيد وغيره رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ولكن هؤلاء الرجال النابتة لا يفعلون ذلك، فصاروا متبعين الرجال من حيث هم رجال لا من حيث هم راجحون بالحاكم الحق، وهو خلاف ما عليه السلف الصالح"[١].

"وأما انتساب الطائفة إلى شيخٍ معيَّن: فلا ريب أنَّ الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن، كما تلقَّى الصحابة ذلك عن النَّبي ﷺ وتلقَّاه عنهم التابعون؛ وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان، فكما أنَّ المرء له من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر، ولا يتعين ذلك في شخصٍ معيَّن؛ ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخٍ معيَّن، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها؛ ... فسلف الأُمَّة شيوخ الخلفاء قرنًا بعد قرن؛ وليس لأحدٍ أن ينتسب إلى شيخٍ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك؛ بل عليه أن يوالي كلَّ من كان من أهل الإيمان ومن عُرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ولا يخصُّ أحدًا بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدِّم من قدَّم الله تعالى ورسوله عليه، ويفضِّل من فضَّله الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[٢]، [٣].

---

(١) الاعتصام ٢/٨٦٥-٨٦٧.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١١/٥١١-٥١٢.

وقول ابن عجيبة: إنَّ الصوفية قد أخذوا من هذا الدين القيم خلاصته ولبابه، فيه تعدٍّ ومجانبة للحق؛ فهم لم يعتنوا بنصوص الوحي التي أنزلها الله فكيف يصل للحق من كانت هذه حاله، ثم زعمه أنهم أخذوا خلاصة الدين ولبابه فهذا يؤدي إلى القول بأنَّ في دين الله ما هو لبٌّ ومنه ما هو قشور، ومنه ما يُؤخذ ويُترك، وهذا باطلٌ جملةً وتفصيلًا.



المبحث الثالث: الوجد

أولًا: معنى الوجد في اللغة

له معان عدة في اللغة وهي: الحصول على الشيء، والحزن، والغضب، والحب، والسعة في الرزق، يقول الخليل بن أحمد[1]: "الوجد، من الحزن، والموجدة من الغضب، والوجدان، والجِدة من قولك: وجدت الشَّيء، أي: أصبته"[2].

وقال ابن فارس[3]: "الواو والجيم والدال، يدلُّ على أصلٍ واحد، وهو الشي يُلفيه، ووَجَدْتُ الضَّالَّة وِجْدانًا، وحكى بعضُهم: وجَدتُ في الغضَب وِجدانًا"[4].

ثانيًا: معنى الوجد عند الصوفية

هو ما يصادف القلب من فزعٍ، أو همٍّ، أو غمٍّ، أو رؤيةِ معنى من أحوال الآخرة، أو كشفِ حالةٍ بين العبد وبين الله عَزَّوَجَلَّ، أو هو ما يرد على القلب بلا تعمُّد، وتكلُّف[5].

وعرَّفه ابن عجيبة بقوله: "هو واردٌ يحرِّك القلب ويزعجه، إمَّا شوقٌ مقلق، فيثير بسطًا وسرورًا، وإمَّا خوفٌ مزعجٌ فيثير قبضًا وحزنًا"[6].

---

(١) أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أول من اخترع العروض والقوافي، ولد سنة مائة، له مؤلفات كثيرة منها: العين، معاني الحروف، جملة آلات العرب، مات سنة ١٧٠هـ، أو ١٧٥هـ. ينظر: المنتظم ٢٧٩/٧، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ٢١/١.

(٢) العين ١٦٩/٦.

(٣) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، لغوي، محدِّث، نزيل همذان، له مؤلفات منها: مجمل اللغة، جامع التأويل، ذم الخطأ في الشعر، مات سنة ٣٩٣هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ٦٩/٩، سير أعلام النبلاء ٨٠/١٧، ٨٢.

(٤) مقاييس اللغة ٨٦/٦.

(٥) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١١٢، الرسالة القشيرية ١٦٢/١.

(٦) شرح خمرية ابن الفارض، ص٢٠-٢١.

أما الوجدان فهو: دوام حلاوة الشهود، واتصالها للواجد مع غلبة السُّكر والدَّهش فإن استمر مع ذلك حتى زالت الدَّهشة والحيرة وصفيت الفكرة والنظرة فهو الوجود، والسماع هو مَثَار الوُجد، أي سماع خطاب المحبوب، ومَثَار الوُجدان، هو شهود جمال المحبوب، ... ومثال ذلك الطفل في المهد، فإنه يسكن إذا تحرَّك به المهد، ويبكي إذا سكن، كذلك القلب يرتاح إذا تحرَّك القلب، وإلا بقي يضطرب فربما يخرج عن طوره.

وأمَّا صاحب الوُجد فهو ساكنٌ متمكِّن قد استأنس بالحضرة، فربما يخرج عن طوره، وأمَّا صاحِبُ الوجدان فهو ساكنٌ متمكِّن قد استأنس بالحضرة، وزالت عنه الدهشة والحيرة فهو كالجبل الرَّاسي، قيل للجنيد: ما لك؛ كنت تتواجد عند السماع ثم صرت لا يتحرَّك منك شيء؟ فتلا قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾(١).

وشاهد ذلك صواحِب يُوسُف عليه السلام، فإنه لما فاجأهنَّ بباهر جماله: غبن عن إحساسهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

وكذلك أرباب الوجدان لما استشرفوا على نُور الحضرة، دهشُوا وغابوا عن إحساسهم، فإذا تمكَّنوا من شهودها وأنسوا بها لم يحركهم شيءٌ من أنوارها، وقد يغلب على العارف شهود الجمال فيرقص ويطرب لكنه نادر"(٣).

ثم إنَّ الوارد الذي يحرك القلب ويزعجه عند ابن عجيبة يأتي عن طريق السماع

(١) سورة النمل: ٨٨.

(٢) سورة يوسف: ٣١.

(٣) ينظر: شرح خمرية ابن الفارض، ص٢٠-٢١.

الصوفي المقيَّد بالنغم، قال ابن عجيبة: "إذا كان الغناء يهيج لذكر الله، ويحرك إلى حضرة الله كان حقًّا، وإذا كان يحرك إلى الهوى النفساني كان باطلًا، والحاصل أنَّ السماع عند الصوفية ركن من أركان الطريقة"[1]، وقال أيضًا: "وقد حضرت سماعًا مع شيخنا البوزيدي، فكان يتمايل يمينًا وشمالًا ... ولا ينكر السماع إلا جامدًا جاهل خال من أسرار الحقيقة"[2].

بل إنَّ ابن عجيبة يردُّ على من اعترض على السماع، بقوله: "اعلم أنَّ اعتراض أهل الظاهر على الصوفية لا ينقطع أبدًا، هذه سُنَّة ماضية، وخصوصًا في السَّماع والرَّقص، وهم معذورون؛ لأنهم لا يشاهدون إلاَّ ذواتًا ترقص وتشطح، ولا يدرون ما في باطنها من المواجيد والأفراح، فيحملون ذلك على خِفَّة العقل والطيش، فيقعون فيهم إلاَّ من عصمه الله بالتسليم، ولذلك كان التصديق بطريقة القوم والاعتراض جناية"[3].

فهو أساس الوُجد وعبر عنه بالبسط والقبض للقلب، وعرّفهما ابن عجيبة بقوله: "البسط فرحٌ يعتري القلوب أو الأرواح، إما بسبب قرب شهود الحبيب أو شهود جماله، أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله، وتجلِّي ذاته، أو بغير سبب، والقبض: "حزنٌ وضيقٌ يعتري القلب، إمَّا بسبب فوات مرغوب، أو عدم حصول مطلوب، أو بغير سبب"[4]، وتلحظ من التعريف أنَّ ثمرة البسط والقبض في الوُجد، الكشف عن الحجاب -أي- معرفة الغيب، وثمرة الكشف وحلاوة الشهود التي

(١) البحر المديد ٤/٣٢٦.

(٢) معراج التشوف، ص٦١.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٣٠٠.

(٤) إيقاظ الهمم، ص١٧٢، ومعراج التشوف، ص٤٥.

ذكرها هي القول بالحلول والاتحاد، وإليك نصًّا من أقوال ابن عجيبة بقضية الحلول والاتحاد قال: "يفتح لك الباب، ويرفع بينك وبينه الحجاب، فتتنزَّه في كمال الذات، وشهود الصفات، فتغيب عن أثر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال، فلا جلاله يحجبك عن جماله، ولا ذاته تحبسك عن صفاته، ولا صفاته تحبسك عن ذاته، تشهد جماله في جلاله، وجلاله في جماله، وتشهد ذاته في صفاته، وصفاته في ذاته"[1]، أين هو من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]، قال الشيخ السعدي: "لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم، فإنه إذا نفى الإدراك الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دلَّ على أنَّ الرؤية ثابتة، فإنه لو أراد نفي الرؤية لقال: "لا تراه الأبصار" ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدلُّ على نقيض قولهم، أي: هو الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، وسمعه بجميع الأصوات الظاهرة، والخفيَّة، وبصره بجميع المبصرات، صغارها، وكبارها، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الذي لطف علمه وخبرته، ودقَّ حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن"[3].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: ... وهذا الذي يهيجه السماع المبتدع، ليس هو الذي يحبه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ بل اشتماله على ما لا يحبه الله عَزَّوَجَلَّ وعلى

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١٧٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٢٦٨.

ما يبغضه أكثر من اشتماله على ما يحبه ولا يبغضه وحده عما يحبه الله ونهيه عن ذلك أعظم، من تحريكه لما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ وإن كان يثير حبًّا وحركةً ويظن أنَّ ذلك يحبه الله عَزَّوَجَلَّ وأنه مما يحبه الله فإنما ذلك من باب اتباع الظن، ومما يبيِّن ذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن في كتابه محبته وذكر موجباتهما وعلاماتها وهذا السماع يوجب مضادًّا لذلك منافيًا له وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن في كتابه الكريم كيف تكون محبته؟ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] فكلُّ من اتبع ذوقًا أو وجدًا بغير هدى من الله عَزَّوَجَلَّ سواءً كان ذلك عن حبٍّ أو بغضٍ فليس لأحدٍ أن يتبع ما يحبه فيأمره به، ويتخذه دينًا وينهى عمَّا يبغضه ويذمُّه ويتخذ ذلك دينًا إلا بهدى من اللهعَزَّوَجَلَّ وهو شريعة اللهعَزَّوَجَلَّ التي جعل عليها رسوله ﷺ، ومن اتبع ما يهواه حبًّا وبغضًا بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيءٍ من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ويذمونهم بذلك، ويأمرون بألا يغتر بهم ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام والحجاج أو العبادة والأحوال مثل المكاشفات وخرق العادات[3].

ولا ريب أنَّ قول ابن عجيبة في السماع بأنه قربة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ورمي من ينكره بالجهل فهو من مصادمة النصوص الشرعية التي أبطلته وبيَّنت عواره، وزيغ من جعله قربةً وديانة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران: ٣١.

(٣) الاستقامة، ص١٩٢.

الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على بطلانه:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[1].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لهو الحديثِ هو الغِناء»، ذكر ذلك البغوي وقال معنى قوله: ﴿يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن[2].

وقال ابن كثير: إنَّ لهو الحديث هو الغناء[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾[4]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو الغِناء»[5].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[6].

قال مجاهد[7]: بصوتك بالغناء والمزامير[8].

---

(١) سورة لقمان: ٦.

(٢) تفسير البغوي ٢٨٦/٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٥٠/٣-٤٥١.

(٤) سورة النجم: ٦١.

(٥) تفسير البغوي ٤٢١/٧.

(٦) سورة الإسراء: ٦٤.

(٧) أبو الحجاج، مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم المكي المقري، تابعيٌّ، مُفسِّر، سمع سعدًا، وعائشة وأبا هريرة وأم هانئ وعبد الله بن عمر وابن عباس ولزمه مدَّة، وقرأ عليه القرآن، وكان أحد أوعية العلم روى عنه قتادة، والحكم بن عتيبة وعمرو بن دينار ومنصور، قال مجاهد: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كلِّ آيةٍ أسأله فيما نزلت، وكيف كانت، توفي سنة ١٠٣هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٩٢/١، طبقات المفسرين ١١/١، سير أعلام النبلاء ١٠/٨.

(٨) تفسير البغوي ١٠٥/٥.

ومن السُّنَّة:

قول النبي ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ ...»[(١)].

وجاء في شرح هذا الحديث بأنَّ المقصودَ من استحلال (الحِر) استحلالُ الحرام من الفروج، فهذا بالحاء والراء المهملتين، واستحلال (الحرير): استحلالُ النهي عنه، وقد ورد النهي في كتاب الله تعالى عن هذا بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٢)]، والمعازف بالزاي المعجمة: آلات اللهو[(٣)].

وقال ابن تيمية: "وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أنَّ النبي ﷺ لم يترك شيئًا يقرِّب إلى الجنَّة إلَّا وقد حدَّث به ولا شيئًا يبعد عن النار إلا وقد حدَّث به، وإنَّ هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ فإنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٤)]، وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السُّنَّة لم يلتفت إليه"[(٥)].

وقال ابن القيم: "ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قلَّ نصيبه من العلم والعقل والدين وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء والتصدية

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحلُّ الخمر ويسميه بغير اسمه ٢٤٣/٦، رقم ٥٥٩٠.

(٢) سورة النور: ٦٣.

(٣) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح ١٢٦/٢٧.

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) مجموع الفتاوى ٥٨٧/١١، ٥٩٥.

والغناء بالآلات المحرَّمة الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفةً على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحسَّنه لها مكرًا منه وغرورا، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجورا ... ويا شماتة أعداء الإسلام بالدين يزعمون أنهم خواص الإسلام قضوا حياتهم لذة وطربًا واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، مزامير الشيطان أحبُّ إليهم من استماع سور القرآن.

لو سمع أحدهم القرآن من فاتحته إلى خاتمته لما حرَّك له ساكنًا ولا أزعج له قاطنًا ولا أثار فيه وجدًا ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى النار زندًا، حتى إذا تُلي عليه قرآن الشيطان وولج مزموره سمعه تفجَّرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزَّت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيا أيها الفاتن المفتون ... هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن!، وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد!، وهذه الأحوال السنيات عند تلاوة السور والآيات!، ولكن كل امرئٍ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية[1] علة الضمِّ قدرًا وشرعًا، والمشاكلة سبب الميل عقلًا وطبعًا، فمن أين هذا الإخاء والنسب؟ لولا التعلُّق من الشيطان بأقوى سببٍ ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللًا؟ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[2]"[3].

(١) فإنَّ الجنسية علَّة الضَّمّ، فإن اتفقت هذه الحالة في النفس الخيِّرة سُمِّي ذلك المعيَّن ملكًا، وإن اتفقت في النفس الشريرة سُمِّي ذلك المعيَّن شيطانًا وتلك الإعانة وسوسة. ينظر: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/٩٨٩.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/٢٣٤.

أمَّا الآثار الفاسدة من أقوال ابن عجيبة السابقة فمنها:

أولًا: الحلول والاتحاد.

ثانيًا: وحدة الشهود التي عبَّر عنها بحلاوة الشهود مع دوام السكرة تحصل الدهشة.

ثالثًا: وحدة الوجود.

رابعًا: تلبسهم بأحوال شيطانية، **قال ابن الجوزي**: "هذا التواجد، الذي يتضمَّن حركات المتواجدين، وقوة صياحهم، وتخبطهم، فظاهره أنه متُعَمَّل، والشياطين معينون عليه، فإن قيل: فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه؟ قيل: نعم من وجهين: **أحدهما**: أنه لو قوي العلم؛ أمسك، **والثاني**: أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ويكفي هذا نقصًا"[1].

خامسا: الوجود المقرون بدعوة المشاهدة -مشاهدة الحق-، ويعنون به رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، وهي: رؤية الله في الدنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... وهذا الموضع مما يقع الغلط فيه لكثير من السالكين، يشهدون أشياء بقلوبهم فيظنون أنها موجودة في الخارج هكذا، حتى إنَّ فيهم خلقًا منهم من المتقدِّمين والمتأخرين يظنون أنهم يرون اللّه بعيونهم؛ لما يغلب على قلوبهم من المعرفة والذكر والمحبة، يغيب بشهوده فيما حصل لقلوبهم، ويحصل لهم فناء واصطلام[2]، فيظنون أن هذا هو أمر مشهود بعيونهم، ولا يكون ذلك إلا في القلب؛ ولهذا ظنَّ كثيرٌ منهم أنه يرى اللّه بعينه في الدنيا، وهذا مما وقع لجماعة

(١) تلبيس إبليس، ص٢٩٩.

(٢) الاصطلام: هو الوله الغالب على القلب، وهو قريبٌ من الهيمان، وقيل: هو غلبات الحق الذي يجعل كلية العبد مغلوبة له بامتحان اللُّطف في نفي إرادته. ينظر: معجم اصطلاحات الصوفية، ص١٧.

من المتقدمين والمتأخرين، وهو غلط محض حتى أورث مما يدعيه هؤلاء شكًّا عند أهل النظر والكلام الذين يجوزون رؤية اللّه في الجملة، وليس لهم من المعرفة بالسُّنَّة ما يعرفون به هل يقع في الدنيا أو لا يقع؟ فمنهم من يذكر في وقوعها في الدنيا قولين، ومنهم من يقول يجوز ذلك، وهذا كلُّه ضلال؛ فإن أئمة السُّنَّة والجماعة متفقون من أن اللّه عَزَّوَجَلَّ لا يراه أحدٌ بعينه في الدنيا"(١).

ودلَّ على هذا قول الله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٢).

قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآية: "ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه وكلَّمه ربه، وناجاه قال موسى لربه: أرني أنظر إليك، قال الله له مجيبًا: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل"(٣)، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها، ولا يثبتون لرؤية الله عَزَّوَجَلَّ(٤).

ثالثًا: أدلة ابن عجيبة على الوجد

١- الاحتجاج بالكتاب والسُّنَّة:

احتج ابن عجيبة بقول الله تعالى: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾(٥)، قال في هذه الآية: "....

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٤٨٩-٤٩١.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٣) جامع البيان ١٣/٩٠.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٣٠٢.

(٥) سورة الكهف: ١٤.

والقيام في إظهار الحق أو لداعي الوجد، والصدع بالحق من غير مبالاة بأحدٍ من الخلق"[1].

وهذا مما تعلَّقت به الصوفية لإثبات عقائدهم الباطلة، وأوَّلوها على هواهم الفاسد.

قال القرطبي[2]: "وهذا تعلُّقٌ غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله عَزَّوَجَلَّ على هدايته، وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذه سُنَّة الله في الرُّسل والأنبياء والفضلاء الأولياء، أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان، هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء، ثم هذا حرامٌ عند جماعة العلماء"[3].

وقال الشاطبي: "أين فيه أنهم قاموا يرقصون أو يزفنون[4] أو يدورون على أقدامهم، لكن هؤلاء الفقراء ليس لهم من التواجد -في الغالب- إلا الثاني المذموم، فهم إذًا متواجدون بالنغم واللُّحون، لا يدركون من معاني الحكمة شيئًا، فقد باؤوا إذًا بأخسر الصفقتين، نعوذ بالله"[5].

---

(١) البحر المديد ٣/٢٥٤.

(٢) هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، القرطبي الأندلسي المالكي، له مصنفات كثيرة منها: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، الجامع لأحكام القرآن، وكانت وفاته سنة ٦٧١هـ. ينظر: البداية والنهاية ١٧/٣٨١، الوافي بالوفيات ٧/٢٦٤، نفح الطيب، للمقري ٢/٥، حسن المحاضرة ١/٢٦٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٦٦.

(٤) زفن يزفن زفنًا، أي رقص ولعب. ينظر: تاج العروس ٤٧/١٣٥.

(٥) الاعتصام ١/٣٥٩.

٢- **احتج ابن عجيبة** على جواز الوُجد الحاصل عن طريق السماع بحديث أنس ﷺ قال: «كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل، فقال يا رسول الله: إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: هل منكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله فقال: هات؛ فأنشد أعرابيٌّ:

قد لسعت حيَّةُ الهوى كبدي فلا طبيبٌ لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رُقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد أصحابه معه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فلما فرغوا أوى كلٌّ واحد إلى مكانه، فقال معاوية ﷺ ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: "مه مه يا معاوية ليس بكريمٍ من لم يهتزَّ عند ذكر الحبيب، ثم اقتسم رداءه من حضرهم بأربعمائة قطعة»(١).

وهذا من تلاعب الشيطان على المتصوفة إذا يحتجون على باطلهم بالأحاديث التي لا يمكن أن تنسب للنبي ﷺ ولا لأصحابه ﷺ.

وردّ أبو العباس القرطبي ﷺ على فريتهم هذه بقوله: "إنَّ الواقف على متن الحديث يعلم على القطع أنه مصنوعٌ موضوع؛ لأن الشعر الذي فيه لا يناسب شعر العرب، ولا يليق بجزالة شعرهم ولا ألفاظهم وإنما يليق بمخنثي شعر المولَّدين(٢)"(٣)، وقال في موضع آخر: "إنَّ هذا الحديث مما لا يوجد مسندًا ولا أخرجه في كتابه أحدٌ

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) الشعراء المولَّدون: هم الذين جاؤوا بعد عصر الاحتجاج، وسُمّوا بذلك؛ لأنَّهم ولَّدوا في الكلام أي: استحدثوا فيه ما لم يكن من معاني العرب وكلامهم. ينظر: ترتيب المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٢٢٩/١.

(٣) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، ص١٦١.

من أئمة المحدثين، وإنما هي أحاديث مروجة وأكاذيب مبهرجة وضعها الزنادقة وأهل المجون المخرقة يرمون بذلك نسبة اللهو والمجون إلى الأنبياء الفضلاء"(١).

وقال الشاطبي: "فمنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها ... كحديث أنَّ النبي ﷺ تواجد واهتز عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبيه وما أشبه ذلك، فإنَّ ناقل أمثال هذه الأحاديث -على ما هو معلوم- جاهلٌ ومخطئٌ في نقل العلم الشرعي، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمَّن يُعتدُّ به في طريق العلم، ولا طريق السلوك"(٢).

وقال ابن تيمية: "ولم يكن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط، ومن قال إنَّ النبي ﷺ حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسُنَّته، والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في "مسألة السماع" و"في صفة التصوف" ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردي(٣) صاحب عوارف المعارف أنَّ النبي ﷺ أنشده أعرابيٌّ:

قد لسعت حيَّةُ الهوى كبدي ... فلا طبيبٌ لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رُقيتي وترياقي

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال له معاوية: ما أحسن لهوكم

(١) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، ص١٠١-١٠٢.

(٢) الاعتصام ١/١٨٢.

(٣) أبو حفص وأبو عبد الله، شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي الصوفي، ثم البغدادي، ولد في رجب سنة ٥٣٩هـ، وصحب عمَّه أبا النجيب السهروردي، وأخذ عنه الفقه، والوعظ، والتصوف، توفي سنة ٦٣٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٧٥، وفيات الأعيان ١/٣٨٠.

فقال له: مهلًا يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب "فهو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن ... وهذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبيﷺ وأصحابه ومن بعدهم ومعرفة الإسلام والإيمان"[(١)].

وعنَّف ابن القيم من استدلَّ بالحديث المكذوب على تواجد النبيﷺ: "من ذلك حديث «حضر رسول الله ﷺ مجلسًا للفقراء ورقص حتى شقَّ قميصه» فلعن الله واضعه ما أجرأه على الكذب"[(٢)].

وقال في موضع آخر: "... وركاكة شعره، وسماجته، وما تجد عليه من الثقالة، من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد، السمج، فقبَّح الله عَزَّوَجَلَّ الكاذبين على رسول الله ﷺ"[(٣)].

وقال محمد بن موسى الدَّمِيري[(٤)]: "من نسب السماع إلى رسول الله ﷺ يؤدب أدبًا شديدًا، ويعزَّر تعزيرًا بليغًا، ويدخل في زمرة الكاذبين عليهﷺ"[(٥)].

٣- احتجاج ابن عجيبة على الوُجد بالقياس:

قال: "السَّماع هو مَثَار الوُجد، أي سماع خطاب المحبوب، ومَثَار الوُجدان، هو شهود جمال المحبوب.

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٦٢/١١، وينظر: الاستقامة ٧٢٩/١

(٢) المنار المنيف، ص١٣٧.

(٣) الكلام على مسألة السماع، ص٢٠٠.

(٤) هو كمال الدين محمد بن عيسى الدَّميري المصري، ولد في حدود ٧٥٠هـ، وله شرح المنهاج، والديباجة في شرح سنن ابن ماجه، وجمع كتابًا سمَّاه (حياة الحيوان)، توفي في جمادى الأولى سنة ٨٠٨هـ. ينظر: طبقات الشافعية ٦١/٤.

(٥) ينظر: الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، حقَّقه وعلَّق عليه: أبو عبد الرحمن وائل بن صدقي، ص٥٧-٥٨.

ومثال ذلك الطفل في المهد، فإنه يسكن إذا تحرَّك به المهد، ويبكي إذا سكن، كذلك القلب يرتاح إذا تحرَّك القلب، وإلا بقي يضطرب فربما يخرج عن طوره"[1].

وهذا قياسٌ فاسد، وإن الرجل ليعجبُ من إنسان ينسب للعلم والعلماء كيف يرضى بهذه الأقيسة التي لا يستند بها العلماء الربانيون، بل استند بها أصحاب الأهواء الباطلة.

قال الطرطوشي[2]: "انظروا يا ذوي الألباب كيف قادهم الهوى وعشق الباطل، وقلة الحيلة إلى هذه السخافة، وحسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام، والصبيان في المهد، وهكذا يفضح الله عَزَّوَجَلَّ من اتبع الباطل، وحسبك من عقولٍ لا تقتدى بأخيار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل، فإنَّ كل ما طربت له البهائم مندوبًا أو مباحًا، فإننا نرى البهيمة تنزو على أُمِّها وأختها وتركب بنتها، أفيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هكذا"[3].



(١) خمرية ابن الفارض، ص٢٠-٢١.

(٢) أبو بكر، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي، ولد سنة ٤٥١هـ، صحب أبا الوليد الباجي بمدينة سرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجاز له، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة إشبيلية، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ، وحجَّ ودخل بغداد والبصرة، وتفقَّه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الفقيه الشافعي، له مؤلفات منها: سراج الملوك، الحوادث والبدع، توفي سنة ٥٢٠هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٢٦٢/٤.

(٣) تحريم الغناء والسماع، ص٢٣٤.

المبحث الرابع: الرؤى والحكايات

أولًا: الرؤى

من مصادر التلقي عند ابن عجيبة الرؤى المنامية فقد جعلها مصدرًا من مصادر الشريعة التي لا يتطرَّق إليها الشك أو الغلط، واستند عليها في ترويج ضلالاتهم المنحرفة، ومعرفة الحلال والحرام، وتفسير آيات القرآن الكريم، وإثبات الفضائل لنفسه أو لشيوخ طريقته.

ومن ذلك:

١- أنه أُعطي التصرف في الكون

قال ابن عجيبة: "رأيت في المنام قائلًا يقول لي: الليلة أعطي سيدي أحمد بن عجيبة يتصرَّف في الكون"[١].

٢- إثبات عقيدة الصوفية في الخضر عن طريق الرؤى

نقل ابن عجيبة عن أحد الصوفية أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له: "يا رسول الله إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث[٢]، فقال ﷺ: صدق الخضر، وكل ما يحكيه حق، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله في الأرض"[٣].

٣- تفسير بعض آيات كتاب الله عَزَّوَجَلَّ

ذكر ابن عجيبة في تفسيره ما زعمه أبو الحسن الشاذلي أنه علم معنى قوله

---

(١) الفهرسة، ص٦٩.

(٢) هكذا في الأصل، ولم يذكر الحديث.

(٣) الجواهر العجيبة، ص١٥٦.

تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1]؛ لرؤيته للنبيِّ ﷺ في المنام، فقال له: "يا علي، طَهِّر ثيابك من الدنس، تَحْظَ بمدد الله في كل نَفَس، فقلتُ: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال: إنَّ الله كساك حُلة المعرفة، ثم حُلة المحبة، ثم حُلة التوحيد، ثم حُلة الإيمان، ثم حُلة الإسلام، فمَن عرف الله صَغُر لديه كلُّ شيء، ومَن أحبَّ الله هان عليه كلُّ شيء، ومَن وحَّد الله لم يشرك به شيئًا، ومَن آمن بالله أَمِن من كل شيء، ومَن أسلم لله قلَّما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإذا اعتذر إليه قَبِل عُذره، قال: ففهمتُ حينئذٍ قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾"[2].

٤- زعمه رؤيته للنبي ﷺ لإثبات نسبه لآل البيت

قال ابن عجيبة: "ولقد رأيتُ النبي ﷺ في مسجده المقدَّس فقال لي: أنت الفقيه ابن عجيبة؟ فقلتُ له: نعم أنا عبدكم أحمد ابن عجيبة في رؤيا طويلة، وقال لي: أنت ولدي حقًّا لا تشك"[3].

٥- أدلته على أنَّ الرؤى من مصادر التلقِّي

استدلَّ ابن عجيبة بأنَّ الرؤى مصدر من مصادر التلقِّي ببعض الأدلة، التي أوَّلها لتوافق عقيدتهم في الرؤى، كحديث النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[4][5].

وكذلك استدلَّ بقول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا

---

(١) سورة المدثر: ٤.

(٢) البحر المديد ٧/١٧٤.

(٣) الفهرسة، ص١٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة، ٤/٢٩٦، رقم ٦٩٨٣.

(٥) الفهرسة، ص١٩.

يتمثَّل بي»[1] [2].

ويزعم عند استدلاله بذلك أنَّ إخبار النبي ﷺ في المنام كإخباره في اليقظة بحجة أنَّ الشيطان لا يتمثَّل بالنبي ﷺ.

وعند تأمل موقف ابن عجيبة من الرؤى المنامية نجد أنه لم يخرج عن موقف سائر الصوفية منها، وهذا لا يُسلَّم لهم لما في ذلك من المخالفات العقدية العظيمة.

والقول الحق الذي عليه أهل العلم أنَّ الرؤى ليست حجةً شرعية، وإنما يستأنس بها إن لم تخالف النصوص الشرعية.

قال عبد الرحمن المعلَّمي[3]: "... اتفق أهل العلم على أنَّ الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة، كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول بمتعة الحج لثبوتها عنده بالكتاب والسُّنَّة، فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس رضي الله عنهما "[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، ٢٩٩/٤، رقم ٦٩٩٤.

(٢) الفهرسة، ص١٨-١٩.

(٣) عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلِّمي، يُنسب إلى بني المعلم من بلاد غنمة باليمن، ولد سنة ١٣١٣هـ في اليمن، تنقَّل بين المدن اليمنية طالبًا للعلم، أثنى عليه عددٌ من أهل العلم مثل: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ووصفه بالعالم خادم الأحاديث النبوية، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي والألباني، وقال عنه الشيخ بكر أبو زيد: ذهبيُّ عصره العلَّامة المحقِّق، له مؤلفات منها: التنكيل بما في كتب الكوثري من الأباطيل، حقيقة التأويل والرَّد على المتصوفة القائلين بوحدة الوجود، مات في شهر صفر عام ١٣٨٦هـ عن ٧٣ سنة. ينظر: الأعلام ٣٤٢/٣.

(٤) التنكيل ٢٥٩/٢.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي[1] قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة[2] فأمرني بها، وسألته عن الهدي فقال: فيها جزور أو بقرة أو شاة أو شرك في دم وكأن ناسًا كرهوها فنمت فرأيت في المنام كأن إنسانا ينادي حج مبرور ومتعة متقبَّلة فأتيت ابن عباس رضي الله عنهما فحدثته فقال: الله أكبر سنة أبي القاسم ﷺ"[3].

قال ابن حجر رحمه الله: "يؤخذ منه الاستئناس بالرؤيا لموافقة الدليل الشرعي وعرض الرؤيا على العالم"[4].

وقال ابن تيمية: "والرؤيا المحضة التي لا دليل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيءٌ بالاتفاق"[5].

وقال الشاطبي: "وأضعف هؤلاء احتجاجًا قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلانًا الرَّجل الصالح فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا كثيرًا للمتمرسين برسم التصوف[6]، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي كذا وأمرني بكذا فيعمل بها ويترك بها

---

(١) أبو جمرة، نصر بن عمران الضُبعي، أحد أئمَّة العلم، ثقة، نزيل خراسان، روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، مات سنة ١٢٨هـ. ينظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣١٩/٢.

(٢) المقصود العمرة في أشهر الحج، ينظر: فتح الباري، لابن حجر ٤٢٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فيمن تمتَّع بالعمرة إلى الحج ٥١٥/١، رقم ١٦٨٨، ومسلم، كتاب الحج، باب جواز العمرة في أشهر الحج ٩١١/٢، رقم ١٢٤٢.

(٤) فتح الباري ٤٣١/٣.

(٥) مجموع الفتاوى ٤٥٧/٢٧.

(٦) المتمرسون: من التمرُّس، وهو شدة الالتواء، والتلاعب بالدين والعبث به، والمقصود بهم هنا المقلدون للصوفية، ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣١٨/٤.

معرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعًا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوَّغتها عمل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأمَّا استفادة الأحكام فلا"[(١)].

وقال أيضًا: "نعم يأتي المرئي تأنيسًا وبشارة ونذارة خاصة، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا يبنون عليها أصلًا وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها، والله أعلم"[(٢)].

ومعلوم أنَّ الرؤيا منها ما هو رحماني، ومنها ما هو شيطاني، ومنها ما هو نفساني، قال النبي ﷺ: «الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة، فيراه في المنام»[(٣)]، قال البغوي: "قوله: (الرؤيا ثلاثة) فيه بيان أن ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحًا، ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من الله عَزَّوَجَلَّ يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها.

وهي على أنواع قد يكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان، أو يريه ما يحزنه، وله مكايد يحزن بها بني آدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[(٤)].

---

(١) الاعتصام ٣٥٧/١.

(٢) الاعتصام ٣٥٧/١.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الرؤيا، باب أنَّ رؤيا المؤمن جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، ٥٣٢/٤، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره ٣٩٠/٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث صحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٢٨/٣-٣٣٠.

(٤) سورة المجادلة: ١٠.

ومن لعب الشيطان به الاحتلام الذي يوجب الغسل، فلا يكون له تأويل، وقد يكون ذلك من حديث النفس، كمن يكون في أمر، أو حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر، والعاشق يرى معشوقه ونحو ذلك ... فلا تأويل لشيءٍ منها"[(١)].

وقال ابن القيم: "والذي هو من أسباب الهداية: هو الرؤيا التي من الله عَزَّوَجَلَّ خاصَّة، ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأُمَّة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ بالرؤيا، وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها، فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة، أو تواطأت؟.

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي، بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه، لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك، ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال، والمحافظة على الأمر والنهي، ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة، ويذكر الله عَزَّوَجَلَّ حتى تغلبه عيناه، فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتة"[(٢)].

والنائم ليس في حالة ضبط للرواية؛ لعدم حفظه، لهذا لا يجوز إثبات حكم شرعي بما جاء به، قال النووي أثناء شرحه لحديث «من رآني في المنام فقد رآني»: "إن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن

(١) شرح السُّنَّة ٢١١/١٢.

(٢) مدارج السالكين ٧٥/١.

يكون متيقظًا لا مغفَّلًا ولا سيء الحفظ، ولا كثير الخطأ، ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تُقبل روايته لاختلال ضبطه.

هذا كلُّه في منامٍ يتعلَّق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أمَّا إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكمًا بمجرَّد المنام بل تقرر من أصل ذلك الشيء، والله أعلم"[1].

والنائم ليس من أهل التكليف، ولا من أهل التحمُّل للرواية؛ لعدم حفظه، فلا يعمل بشيءٍ رآه في منامه[2].

ولم يمت النبي ﷺ إلا وأكمل لنا الدين، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3].

ولم يثبت دليل من الوحيين على أن رؤية النبي ﷺ بعد موته حجة يثبت بها حكم شرعي بل إن "الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله ﷺ بحكم فلا بدَّ من النظر فيها أيضًا؛ لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم استقر، وإن أخبر بمخالف، فمحال؛ لأنه ﷺ لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته؛ لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية؛ لأن ذلك باطلٌ بالإجماع، فمن رأى شيئًا من ذلك فلا عمل عليه، وعن ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحه، إذ لو رآه حقًّا لم يخبره بما يخالف الشرع"[4].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١/١١٥.

(٢) ينظر: المدخل، لابن الحاج ٤/٢٨٦، إرشاد الفحول، ص٢٤٢.

(٣) سورة المائدة: ٣.

(٤) الاعتصام ١/١٦٢.

أمَّا استدلال ابن عجيبة بأنَّ الرؤيا جزءٌ من النبوة فمقلوب عليه؛ لأن المراد بالجزء هنا تحقيق أمر الرؤيا وتأكيده، وإنما كانت جزءًا من النبوة في حق الأنبياء، وتوجد الرؤيا الصالحة كذلك في الصالحين، ولا تعني حصول النبوة له بذلك؛ لأن النبوة هبة من الله ﷻ يختصُّ بها من عباده ما يشاء.

والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وإنما هي من باب البشارة والنذارة؛ لأن النبوة لا تتجزأ ولا نبوة بعد الرسول ﷺ[1].

وقد يقول قائل: هل ما يراه النائم أو الإلهامات من الوحي؟

قال ابن تيمية: "فإنَّ ما يلقيه الله عَزَّوَجَلَّ في قلوب المؤمنين من الإلهامات الصادقة العادلة هي من وحي الله، وكذلك ما يريهم إياه في المنام"[2].

وزاد الأمر إيضاحًا بقوله: "فإن المنام تارة يكون من الله عَزَّوَجَلَّ وتارة يكون من النفس وتارة يكون من الشيطان وهكذا ما يلقى في اليقظة، والأنبياء معصومون في اليقظة والمنام، ولهذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا ... وليس كل من رأى رؤيا كانت وحيًا فكذلك ليس كل من ألقي في قلبه شيءٌ يكون وحيًا، والإنسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه، كالمصلي الذي يناجي ربه، فإذا جاز أن يوحى إليه في حال النوم فلماذا لا يوحى إليه في حال اليقظة؟ كما أوحى إلى أمِّ موسى والحواريين وإلى النحل، لكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا في يقظة ولا في المنام إلا بدليل يدلُّ على ذلك، فإن الوسواس غالب على الناس، والله أعلم"[3].

---

(١) ينظر: شرح السُّنَّة ٢٠٦/١٢، الاعتصام ٣٣٣/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٩٨/١٥.

(٣) المرجع نفسه ٥٣٢/١٧.

ولكن هل كل من رأى رؤيا يستطيع أن يجزم بأن رؤيته صادقة حقًّا، وهل يجد معبر لها كمعبر يوسف عليه السلام؟

قال الشاطبي رحمه الله: "فإن الرؤيا التي هي جزءٌ من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول الشروط مما ينظر فيه، فقد تتوفر وقد لا تتوفر، وأيضًا فهي منقسمة إلى الحلم وهو من الشيطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها، ونترك غير الصالحة؟ ويلزم أيضًا على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي ﷺ وهو منهيٌ عنه بالإجماع"(١).

والحديث الذي استدلَّ به ابن عجيبة على أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة حمَّله ما لا يحتمل، وليس هذا المراد من الحديث بل المراد به التشبيه كما بيَّن ذلك زين الدين العراقي(٢) بقوله: "لا يتخيل من هذا الحديث أن رؤيا الصالح جزء من أجزاء النبوة، فإن الرؤيا إنما هي من أجزاء النبوة في حق الأنبياء -عليهم السلام- وليست في حق غيرهم من أجزاء النبوة ولا يمكن أن يحصل لغير الأنبياء جزء من النبوة، وإنما المعنى أنَّ الرؤيا الواقعة للصالح تُشبه الرؤيا الواقعة للأنبياء التي هي في حقهم جزء من أجزاء النبوة فأطلق أنها من أجزاء النبوة على طريق التشبيه"(٣).

---

(١) الاعتصام ٣٣٣/١.

(٢) هو: أبو الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الشافعي، ويعرف بالحافظ العراقي، ولد في جمادى الأولى سنة ٧٢٥هـ، عالم بالحديث، أثنى عليه شيوخ عصره، كالسُّبكي، والعلائي، له مؤلفات منها: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج أحاديث الإحياء، ونكت منهاج البيضاوي في الأصول، وذيل على الميزان، مات سنة ٨٠٦هـ. ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر ١٧٠/٥، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٧١/٤، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥٥/٧.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب ٢١٤/٨.

ويقول ابن حجر: "ظاهر الاستثناء أن الرؤيا نبوة، وليس كذلك لما تقدم أنَّ المراد تشبيه أمر الرؤيا بالنبوة، أو لأن جزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه له، كمن قال: أشهد أن لا إله إلا الله رافعًا صوته لا يسمى مؤذنًا، ولا يقال: إنه أذن، وإن كانت جزءًا من الأذان، وكذا لو قرأ شيئًا من القرآن وهو قائم لا يسمى مصليًا وإن كانت القراءة جزءًا من الصلاة"[1].

وبعد هذه النقول يتضح أن ما قاله ابن عجيبة عار من الحقيقة، فإن أقوال العلماء السابقة تبين بطلان كلَّ ذلك.

وأما زعمه أنه أُعطي حق التصرف في الكون فهذه طامة وداهية كبرى؛ فإن التصرف في الكون حق لله عَزَّوَجَلَّ فمن زعم غير ذلك فقد جاء بإفك عظيم، وهذا كلُّه حدث نتيجة غلوهم في الولي حتى قال بعضهم: "إن الولي يُعْطَى قول: "كن"، وقال بعضهم: إنه لا يمتنع على الولي فعل ممكن، كما لا يمتنع على اللّه تعالى فعل محال ... وزاد ابن عربي: إن الولي لا يعزب عن قدرته شيءٌ من الممكنات، والذي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات هو اللّه وحده، فهذا تصريحٌ منهم بأنَّ الولي مثل الله، إن لم يكن هو اللّه"[2].

تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) فتح الباري ١٢/٣٧٥.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٤/٣٦٤.

ثانيًا: الحكايات

يعتمد ابن عجيبة على الحكايات كثيرًا ويذكرها في ما يخالف العقيدة الصحيحة، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١- الاستغاثة بغير الله عَزَّوَجَلَّ

مثال ذلك: أن قومًا ركبوا البحر بسفينتهم، فخرجت عليهم سفينة النصارى فأرادوا أخذهم، فطلب أحدًا من كان معهم في السفينة من يعرف وليًا يستغيث به، فقال رجل معهم: اللا[1] فاطمة العجيبية- فإذا هي بينهم كما -زعموا- تدفع عنهم المركب إلى البر[2].

عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الاستغاثة بالمخلوق على قسمين:

القسم الأول: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه شركٌ أكبر؛ لأنها صرفٌ للعبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

أما الاستغاثة فيما يقدر عليه المخلوق مثل استغاثته بغيره في الحرب ليساعده، أو يناصره على عدوِّه؛ فهذا جائز، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[3].

وبهذا يتبيَّن أنَّ من استغاث بوليٍّ ميِّت، أو غائب، أو ذهب لضريح وليٍّ -كحد زعمه- ليستغيث به، أو علَّق قلبه بوليٍّ معتقدًا أنه يفرِّج له الكرب، فهذا كلُّه من الشرك الأكبر المنهي عنه، ومن كان هذه فعله فهو على خطر عظيم إن لم يتدارك نفسه بالتوبة، وتجريد التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ[4].

---

(١) اللا: كلمة متداولة عند أهل المغرب تدل على الاحترام، تطلق على الرجل والمرأة.

(٢) ينظر: الفهرسة، ص٢٠.

(٣) سورة القصص: ١٥.

(٤) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/١٩٣.

والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يستغاث به لتفريج الكروب والهموم فيجيب الدعوة.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أنَّ الأُمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيءٍ كتبه الله عليك»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "سؤال الميت والغائب نبيًّا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به عَزَّوَجَلَّ ولا رسوله ولا فعله أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعين لهم بإحسان ولا استحبَّه أحدٌ من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أنَّ أحدًا منهم ما كان يقول: إذا نزلت به ترة[4] أو عرضت له حاجة لميت: يا سيدي فلان أنا في حسبك، أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم، ولا

(١) سورة الأنفال: ٩.

(٢) سورة الأنعام: ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥٨/٤، رقم ٢٥١٦، وأحمد في المسند ٢٣٩/١، ٣٠٣، ٣٠٧، والطبراني في الكبير ١٢٩٨٨، ١٢٩٨٩، وابن السنّي في عمل اليوم والليلة، ٤٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان ١٧٤، ١٩٥، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨١/٥.

(٤) الترة: هي النقص. ينظر: النهاية في غريب الأثر ٤٩٨/١.

إذا بعدوا عنها وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون ومع هذا لم يستغث أحدٌ منهم بنبيٍّ ولا غيره من المخلوقين ..."[1].

٢- تحليل الحرام

ذكر ابن عجيبة أنواع السحر، ثم قال ... وقد يكون كرامةً لولي أو تأييدًا لشاك كما وقع لفقير[2]، شاور الشيخ في زيارة أمه فغطاه الشيخ بثوبه فرأى نفسه في بلد أمه فبقي عندها أربعة أشهر ثم أراد الرجوع فوجد نفسه عند الشيخ، وقد قرأ القارئ بعده خمسة عشر حزبًا[3].

وهذه الحكايات اعتمد عليها بعض المتصوفة، فضلُّوا عن الحق، وأضلوا من بعدهم.

قال ابن خلدون: "... وكثيرًا ما وقع للمؤرخين والمفسِّرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرَّد النقل، غثًّا أو سمينًا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة، فضلُّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"[4]، والكذب ديدن كل من أراد نشر باطله، ويتفنن في صياغة حكايته.

ويقول ابن الحاج: "إنَّ كثيرًا من الناس يدَّعي الدين والصلاح وأنه أهل الوصول، ويأتي بحكايات من تقدَّم من الأكابر ويطرز بها كلامه وهو مع ذلك يشير

---

(١) الرد على البكري ٤٨٨/١.

(٢) يطلق على الصوفي.

(٣) ينظر: الفهرسة، ص٩٠.

(٤) المقدمة، ص٨.

إلى نفسه بلسان حاله، وأن عنده من ذلك طرفًا، وبعضهم يزعم أنه حصل له من ذلك الأمر حاصل.

ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمرائي التي يختلقها من تلقاء نفسه، سيما -والعياذ بالله تعالى- ما ابتلي به بعضهم من تجرئه ودعواه رؤيا النبي ﷺ في المنام، وأنه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه، بل بعضهم يدعي رؤيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في اليقظة، وهذا بابٌ ضيِّق، وقلَّ من يقع له ذلك الأمر"[(١)].

ولقد تضاعف الشَّرُّ وكثر خطره بسبب تصدُّر من ليس له علمٌ بصحيح الرواية من ضعيفها، للتصنيف، وتفسير الكتاب العزيز بما يناسب أهواءهم؛ لإثبات البطالة وانتظار السماء أن تمطر ذهبًا وفضَّة، فافتروا على ربِّ العالمين، فاختلقوا الخرافات المختلفة، والأقاصيص المنحولة، والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فحرَّفوا، وغيَّروا وبدَّلوا، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء، وفاقرة عظمى، ورزية كبرى، من أمثال هؤلاء الكذَّابين الدجَّالين الذين يجترئون على الكذب، وكتب المتصوفة التي امتلأت من الحكايات المكذوبة ما الله به عليم[(٢)].

ولم يفرق ابن عجيبة بين الكرامات والحكايات المختلقة المكذوبة، فأصبح السحرُ حلالًا بزعمه أنه قد يكون كرامة لولي.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... قد أدخل الناس في الكرامات أمورًا كثيرة، اخترعوها وافتروها، وخدعوا بها العوام والسُّذَّج من الناس، وأوهموهم بأنها من الكرامات وليست إلا قسمًا من الخرافات والشعوذات، وأهل السُّنَّة والجماعة أبعد

(١) المدخل ١٥٢/٣.

(٢) ينظر: فتح القدير ٥٠٩/٥، واجتماع الجيوش الإسلامية، ص٧٧.

الناس عن التصديق بالخرافات والأكاذيب المفتراة، وأعرف بالطرق التي يتبيَّن بها كذب الكاذبين وافتراء المفترين"[1].

والسحر كلُّه حرام، وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ وعدَّه الرسول ﷺ من السبع الموبقات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[2].

ومن السحر، ما يؤثِّر في جسم المسحور فيقتل أو يمرض فيفرِّق بين المرء وزوجه وبين الأحبَّة، وكلُّ ذلك بقضاء الله وقدره، ومنه ما هو تخييلي وليس له حقيقة وهو ما يُسمَّى بالسحر التخييلي، بحيث يظهر الأشياء أمام الناظر على غير حقيقتها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3].

والتصديق به ذنبٌ عظيم، وجرمٌ كبير، ولا يجوز للمسلم أن يستعمله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4][5].

٣- تفسيره الآيات عن طريق الحكايات

قال ابن عجيبة في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[6]، "وقد

---

(١) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، ص١٠٠-١٠١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ٦٤/١، رقم ١٤٥.

(٣) سورة طه: ٦٦.

(٤) سورة البقرة: ١٠٢.

(٥) ينظر: محاضرات في العقيدة والدعوة ٢٠١/٣.

(٦) سورة الذاريات: ٢٢.

سمعت حكاية أخرى، فيها عبرة، وذلك أنَّ رجلًا سمع قارئًا يقرأ هذه الآية فدخل بيته ولزم زاوية منه يذكر فيها، ويتبتل فجاءت امرأته تنقم عليه وتأمره بالخدمة، فقال لها: قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فلما آيست منه ذهبت تحفر شيئًا، فوجدت آنية مملوءة دنانير، فجاءت إليه، وقالت: قد أتانا رزقنا، قم تحفره معي، هو في موضع كذا، فقال: إنما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ﴾، ولم يقل في الأرض، فامتنع فذهبت إلى أخٍ لها تستعين به، فلما فتحتها وجدتها مملؤة عقارب، فقالت: والله لأطرحنها عليه لنستريح منه، ففتحت كوة من السقف، وطرحتها عليه فسقطت دنانير، فقال: الآن نعم، قد أتاني من حيث قال ربي: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾"[(١)].

وهذا التفسير المغلوط للآية أورث المتصوفة البطالة، ونفي الأسباب كما مرَّ معنا، وهو مخالف لما عليه المفسِّرون، قال الشيخ السعدي في تفسيره: "أي مادة رزقكم، من الأمطار، وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي، وَمَا تُوعَدُونَ من الجزاء في الدنيا والآخرة، فإنه ينزل من عند الله، كسائر الأقدار[(٢)].

٤- الحث على تعذيب النفس لتربيتها

قال ابن عجيبة: إن بعض الطلبة كان ساكنًا في مدرسة بفاس، فخرجت امرأة ومعها بنتها ... فرأت البنت بابًا خلفه ضوء فأتت إليه، فوجدت فيه رجلًا ينظر في كتاب، فقالت: إن لم يكن الخير عند هذا فلا يكون عند أحد، فقرعت الباب فخرج الرجل فذكرت له قصتها، وأنها خافت على نفسها، فأدخلها منزله، وجعل بينه وبينها حصيرًا، وبقي ينظر في كتابه، وزين له الشيطان أن يعمل بها عمل سوء،

---

(١) البحر المديد ٥/٤٧١-٤٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/٨٠٩.

ولكن الله عَزَّوَجَلَّ حفظه ببركة العلم، فأخذ المصباح، وجعل يحْرِقُ أصابعه واحدًا بعد واحد حتى أحرقها، والبنت تنظر إليه وتتعجَّب، ثم خرج ينظر إلى الليل فوجده ما زال، فأحرق أصابع اليد الأخرى، ولما أفل الليل وجاء الصباح خرجت سالمة ... وذكرت البنت تلك القصة لأبيها، فأتى أبوها إلى مجلس العلم، وذكر القصة للشيخ، فقال للحاضرين: أخرجوا أيديكم وأمِّنوا على دعائي لهذا الرجل، فأخرجوا أيديهم، وبقي رجل، فعلم الشيخ أنه صاحب القضية[١].

وهذه الحكاية التي ذكرها ابن عجيبة من الحكايات التي ذكرها الصوفية في تربية المريدين على المجاهدة وتعذيب النفس اشتملت على مخالفات شرعية، وأمور باطلة، وهي:

أ- اعتبار هذه الحكاية من الجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس عند المتصوفة، وتفضيله على مجاهدة السيف، وبه يحصل التجلِّي فهو يقول: "وإذ تهذبت وكملت رياضتها، فالواجب اتباع ما يتجلَّى فيها إذ لا يتجلَّى فيها إلا الحق، وهذا هو ثمرة الجهاد الأكبر، وأمَّا الجهاد الأصغر الذي هو جهاد السيف فلا يحصل شيءٌ من هذا، فلذلك كان مفضولًا عند الجهاد الأكبر"[٢].

ب- الخلوة المحرمة.

لقد جاء الشرع ببيان أسباب الفتن والتحذير منها وسد الذرائع المؤدية إليها، ففتنة النساء من أعظم الفتن التي تُبتلى بها الأمم، والنبي ﷺ حذرنا منها، وتأمَّل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة:

---

(١) البحر المديد ٢/٥٩٠.

(٢) المرجع نفسه ١/٢٣٤.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضر على الرجال من النساء»[1].

يقول الحافظ ابن حجر: "وفي الحديث أنَّ الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[2].

فجعلهن من حبِّ الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك"[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ الدنيا حلوة خضرة وإنَّ الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[4].

وما أيس الشيطان من شيءٍ إلا أتاه من قبل النساء، وقد كان السلف الصالح أشدَّ إيمانًا وأكثر عملًا ومع هذا فإنهم لا يأمنون على أنفسهم فتنة النساء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم ...»[5].

ج- المجاهدة عند الصوفية؛ لحصول الشيخ على تقديس الناس له وظهور الكرامات[6]، وحصوله للعلم بغير تعلم، قال ابن عجيبة: "عداوة النفس تمكنك من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يُتَّقى من شؤم المرأة ١٩٥٩/٥، رقم ٤٨٠٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

(٣) فتح الباري ٤١/٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتن بالنساء ٢٠٩٨/٤، رقم ٢٧٤٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، ٣٩٥/٣، رقم ٥٢٣٢.

(٦) سيأتي بحثها في موضعها.

نواصي الخلق، أنت تزيد عداوة لنفسك والخلق يزيد إقبالًا عليك"[1]، وقال في موضع آخر: "ومن مجاهدة النفس تظهر الكرامات المعنوية من فهم العلوم واتساع الفهوم، وتحقيق اليقين، وشهود رب العالمين، وتسخير النفوس، وقهرها وظهور الجلالة والمهابة إلى الخلق"[2].

د- لا شك أن هذه الحكايات وكثرتها تضليل لأتباعهم، والجهلة من الناس.

هـ- يزعم بعض الصوفية أنَّ المجاهدة سبب للوصول لعقيدة وحدة الوجود الباطلة، قال ابن عجيبة "إن الإنسان إذا جال في ميدانها، فجاهدها حتى هذَّبها، وطهَّرها من الأوصاف الحاجبة لها، رجعت نفسه حينئذ إلى أصلها، وهي الحضرة التي كانت فيها، إذا لم تكن بينها وبين الحضرة إلا الحجب الظلمانية، فلما تخلَّصت منها رجعت إلى أصلها، نورًا مشرقًا في قالب ظلماني، فصارت عنده ياقوتة مكنونة، تُطوى عليها أصداف المكنونات"[3].

و- التخلُّق بصفات الله -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، قال ابن عجيبة: "فحينئذٍ يستر الحق تعالى وصفك الذي هو وصف العبودية بوصفه الذي هو وصف الحرية، فتتحسَّن أوصاف البشرية بظهور أوصاف الروحانية، ويعطى أيضًا نعتك الذي هو الحدوث بنعته الذي هو القدم، أو غطى نعتك الذي هو العدم بنعته الذي هو الوجود"[4]، وهذا من أقبح الباطل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣١٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٤١٢، الفتوحات الإلهية، ص٣١، البحر المديد ٣٢٤/٤.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٢٥٠-٢٥١، وهذه عقيدة وحدة الوجود وسيأتي الحديث عنها في موضعها.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾[1] "وقد نَزَّه الله ﷻ نفسه عن صفات المخلوقين"[2]، وقال ابن تيمية: "إنَّ أهل السُّنَّة متفقون على أنَّ الله ليس كمثله شيءٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[3]، وعبارة التخلُّق عبارة شنيعة منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة، وهي التشبه[4].

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة عرفوا طريق الحق فالتزموه ولم يحرقوا أصبعًا أو يقتلوا نفسًا بغير حق، بل غاية مرادهم تحقيق العبودية بتزكية أنفسهم، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[5]، قال ابن تيمية: "وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكلِّ وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا؛ وكلما كان في القلب حبٌّ لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلَّما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حبٌّ لغير الله بحسب ذلك، وكلُّ محبَّةٍ لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله، ولا يكون لله إلا ما أحبَّه الله ورسوله وهو المشروع، فكلُّ عمل أريد به غير الله لم يكن لله، وكلُّ عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين: أن يكون لله وأن يكون موافقًا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب"[6].

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) كتاب التوحيد ٩٤/١.

(٣) منهاج السُّنَّة ٤١٣/١.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد ٢٧٥/٢.

(٥) سورة الشمس: ٩.

(٦) مجموع الفتاوى ٢١٣/١٠.

والملاحظ هو توسُّع المتصوفة في مفهوم المجاهدة، حتى خرجوا عن الشرع في التعبد، قال ابن تيمية: "ومن عظَّم مطلق السهر والجوع وأمر بهما مطلقًا فهو مخطئ بل المحمود السهر الشرعي والجوع الشرعي، فالسهر الشرعي كما تقدم من صلاة أو ذكر أو قراءة أو كتابة علم أو نظر فيه أو درسه أو غير ذلك من العبادات"[1].

٥- الحكايات التي يستدل بها على التوكل على الله مع ترك الأخذ بالأسباب.

قال ابن عجيبة: "حُكي أنَّ بعض الأولياء ولدت له بنية في آخر عمره وماتت أُمُّها، وحضرته الوفاة فقال له رجلٌ: أوصني عليها أكفلها، قال: لا ولكن إذا نامت فاحملها إلى حرم الله ودعها في الحجر، وامض ودعها في كفالة الله، فلما مات فعل الرجل ذلك وصار يرقبها على بعد، فرأتها أم الخليفة وهي تطوف، فأمرت بحملها لها، فتبنَّتها وربَّتها حتى بلغت وزوجتها لابن الوزير، وأصدقتها عشرين ألف دينار، فانظر حال من توكَّل على كفالة مولاه، وآوى إلى حصن رعايته وحماه"[2].

ونفي الأسباب في التوكل خلاف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، والتوكل الصحيح لا ينافي الأخذ بالأسباب، التي دلَّ عليها، الكتاب والسُّنَّة بل هي من مقتضيات التوكل، قال الطرطوشي رحمه الله: "والتوكُّل والكسب لا يتضادان ...؛ لأن، التوكل محله القلب، والكسب محله الجوارح، ولا يتضاد شيئان في محلين بعدما يتحقق العبد أنَّ المقدور من الله تعالى، فإن تعسَّر شيءٌ فبتقديره وإن اتفق فبتيسيره"[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٨/٢٢.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٥١١-٥١٢.

(٣) سراج الملوك ٢٠٧/٢.

وأهل السُّنَّة والجماعة يتوكلون على الله عَزَّوَجَلَّ مع بذل الأسباب، ولا يعلِّقون القلب بها، قال ابن القيم: "والناس في الأسباب والقوى والطبائع ثلاثة أقسام:

منهم: من بالغ في نفيها وإنكارها، فأضحك العقلاء على عقله، وزعم أنه بذلك ينصر الشرع، فجنى على العقل والشرع، وسلَّط خصمه عليه.

ومنهم: من ربط العالم العلوي والسفلي بها بدون ارتباطها بمشيئة فاعل مختار، ومدبّر لها يصرفها كيف أراد، فيسلب قوة هذا ويقيم لقوة هذا قوة تعارضه، ويكف قوة هذا عن التأثير مع بقائها، ويتصرَّف فيها كما يشاء ويختار.

وهذان طرفان جائران عن الصواب.

ومنهم: من أثبتها خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا، وأنزلها بالمحل الذي أنزلها الله به، من كونها تحت تدبيره ومشيئته، وهي طوع المشيئة والإرادة، ومحل جريان حكمها عليها، فيقوي سبحانه بعضها ببعض، ويبطل -إن شاء- بعضها ببعض، ويسلب بعضها قوته وسببيته، ويعريها منها، ويمنعه من موجبها مع بقائها عليه، ليعلم خلقه أنه الفعَّال لما يريد، وأنه لا مستقل بالفعل والتأثير غير مشيئته، وأنَّ التعلق بالسبب دونه كالتعلق ببيت العنكبوت، مع كونه سببًا.

وهذا بابٌ عظيمٌ نافع في التوحيد، وإثبات الحكم، يوجب للعبد -إذا تبصر فيه- الصعود من الأسباب إلى مسببها، والتعلق به دونها، وأنها لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، وأنه إذا شاء جعل نافعها ضارًّا وضارها نافعًا، ودواءها داءً وداءها دواء، فالالتفات إليها بالكلية شركٌ منافٍ للتوحيد، وإنكار أن تكون أسبابًا بالكلية قدحٌ في الشرع والحكمة، والإعراض عنها -مع العلم بكونها أسبابًا- نقصان في العقل، وتنزيلها منازلها، ومدافعة بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض، وشهود الجمع

في تفرقها، والقيام بها هو محض العبودية والمعرفة، وإثبات التوحيد والشرع والقدر والحكمة"[1].

والسبب مقطوع به فمن أكل ليتغذى، أو شرب للري، أو لبس الدرع ليتحصن من العدو، لا يعتبر قدحًا في التوكل، بل أخذنا بالأسباب مأمورين به شرعًا، فنحن نتعبد الله بفعل السبب كما نتعبده بالتوكل[2].

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[3].

قال الشيخ السعدي في هذه الآية: "دلَّ هذا على وجوب التوكُّل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله"[4].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[5].

قال ابن تيمية: "فمدحوه سبحانه بأنه نعم الوكيل لما توكلوا عليه بقولهم (حسبنا الله)، أي كافينا الله لا يستحق المدح إن لم يجلب لمن توكل عليه منفعة ويدفع عنه مضرَّة، والله خير من توكل العباد عليه فهو نعم الوكيل يجلب لهم كل خير ويدفع عنهم كل شر"[6].

---

(١) مدارج السالكين ١/٢٧٥.

(٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/٦٠٢، بتصرُّف.

(٣) سورة المائدة: ٢٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٢٧٧.

(٥) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٦) جامع المسائل، ص٨٨.

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

وقال أيضًا أثناء بيانه لإزالة إشكال من استشكل فهمه لهذه الآية: "أي الله كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين فلو كانت كفايته للمؤمنين المتبعين للرسول ﷺ سواء اتبعوه أو لم يتبعوه لم يكن للإيمان واتباع الرسول ثمة أثر في هذه الكفاية، ولا كان لتخصصهم بذلك معنى وكان هذا نظير أن يقال هو: خالقك وخالق من اتبعك من المؤمنين ومعلوم أنَّ المراد خلاف ذلك، وإذا كان الحسب معنى يختص به بعض الناس علم أنَّ قول المتوكِّل حسبي الله وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾[2] أمرٌ مختصٌّ لا مشترك وأنَّ التوكل سبب ذلك الاختصاص والله تعالى إذا وعد على العمل بوعد أو خص أهله بكرامة فلا بدَّ أن يكون بين وجود ذلك العمل وعدمه فرق في حصول تلك الكرامة، وإن كان قد يحصل نظيرها بسبب آخر، فقد يكفي الله بعض من لم يتوكل عليه كالأطفال لكن لا بدَّ أن يكون للمتوكل أثر في حصول الكفاية الحاصلة للمتوكلين فلا يكون ما يحصل من الكفاية بالتوكل حاصلًا مطلقًا وإن عدم التوكل، وقد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾[3] فمعقب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء وهي تفيد السبب فدلَّ ذلك على أنَّ ذلك التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله عَزَّوَجَلَّ وفضل، وأن هذا الجزاء جزاء على ذلك العمل"[4].

---

(١) سورة الأنفال: ٦٥.

(٢) سورة الطلاق: ٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٤) جامع المسائل، ص٨٨.

المبحث الخامس:

دعوى التلقي عن الخضر عليه السلام

للخضر عليه السلام مكانة كبيرة عند الصوفية، ويسعى بعضهم أن يلتقي به ويأخذ عنه العلوم الباطنة، إذ هي المقدمة عندهم، بل اعتقدوا أن تلقي العلم عن الخضر لا يقبل الشك ولا الخطأ، ولم يسلم ابن عجيبة من التأثر بمعتقدات الصوفية في الخضر ومما يوضح ذلك آراؤه فيه.

أولًا: رأي ابن عجيبة في الخضر عليه السلام أنبيٌّ هو أم ولي

قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[1] هي الوحي والنبوة، كما يُشعر به تنكير الرحمة، وإضافتها إلى جناب الكبرياء، وقيل: هي سرُّ الخصوصية، وهي الولاية، فالخضر عليه السلام قيل: إنه نبيٌّ بدليل قوله في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2] وقيل: وَلِيٌّ[3].

وعند تأمُّل ما ذكره ابن عجيبة نجد أنه لم يجزم في حال الخضر عليه السلام أنبيٌّ هو أم ولي، وجمهور العلماء على أنه نبيٌّ مرسلٌ من الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الثعلبي[4]: "هو نبيٌّ في جميع الأقوال"[5].

---

(١) سورة الكهف: ٦٥.

(٢) سورة الكهف: ٨٢.

(٣) البحر المديد ٣/٢٨٨.

(٤) أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، مفسِّر، له تفسير (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) مشهورٌ بتفسير الثعلبي، وهو من أهل نيسابور، توفي سنة ٤٢٧هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/٧٩-٨٠، البداية والنهاية ١٥/٦٥٩هـ.

(٥) الزهر النضر في حال الخضر ١/٢٨.

وقال القرطبي[1]: "والخضر نبيٌّ عند الجمهور"[2].

وقال أبو حيان[3]: "والجمهور على أنه نبيٌّ"[4].

وقال ابن حجر: " غالب أخباره مع موسى عليه السلام هي الدالة على تصحيح قول من قال: إنه كان نبيًّا"[5].

والقول بعدم نبوته بنى عليه المتبعون له أمورًا مخالفة لما عليه أهل العلم المحققين، وهي:

١- أفضلية الوليِّ من النبي[6].

٢- استطاعة الولي الاستغناء عن محمَّد ﷺ كما استغنى الخضر عليه السلام عن موسى عليه السلام.

٣- لخاتم الأولياء طريق إلى الله عَزَّوَجَلَّ يستغني به عن خاتم الأنبياء[7].

قال ابن القيم: "فمن ادَّعى أنَّه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوَّز ذلك لأحدٍ من الأُمَّة فليجدد إسلامه، وليتشهد شهادة الحق؛ فإنَّه بذلك مفارق

(١) أبو العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي، ولد سنة ٥٧٨هـ، من مصنفاته: المفهم لما أشكل من كتاب مسلم، الجامع لمقاصد الأصول، توفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: البداية والنهاية ٢١٣/١٣، شذرات الذهب ٢٧٣/٥-٢٧٤.

(٢) الزهر النضر في حال الخضر ٢٨/١.

(٣) أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني الغرناطي، الإمام الكبير في العربية والبلاغة والتفسير، ولد سنة ٦٥٤هـ، ونشأ في غرناطة الأندلس، ورحل إلى مالقة، ثم أقام في القاهرة وتوفي فيها، سنة ٧٤٥هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٧٠/٥، الأعلام ١٥٢/٧.

(٤) البحر المحيط ٢٠٤/٧.

(٥) الزهر النضر في حال الخضر ٦٨/١.

(٦) سيأتي بحث المسألة في موضعه إن شاء الله.

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى ٣٣٩/٢٤.

لدين الإسلام بالكلية، فضلًا عن أن يكون من خاصَّة أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوَّابه، وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم، وبين أهل الاستقامة منهم، فحرِّكْ تَرَه"[1].

ومن أدلتهم على كونه نبيًّا:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

٢- قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله: "فلو كان وليًّا وليس بنبيٍّ لم يخاطبه موسى عليه السلام بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى عليه السلام هذا الرد، بل موسى عليه السلام إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله عَزَّوَجَلَّ به دونه، فلو كان غير نبيٍّ لم يكن معصومًا، ولم تكن لموسى عليه السلام وهو نبيٌّ عظيمٌ ورسولٌ كريمٌ واجبُ العصمة كبيرُ رغبةٍ ولا عظيمُ طَلِبَة في علمِ وليٍّ غيرِ واجب العصمة، ثمَّ لما اجتمع به تواضع له وعظَّمه واتبعه في صورة مستفيد منه، دلَّ على أنَّه نبيٌّ مثلُهُ يُوحى إليه كما يُوحى إليه"[4].

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤٩٦.

(٢) سورة الكهف: ٨٢.

(٣) سورة الكهف: ٦٦- ٧٠.

(٤) البداية والنهاية ٢/٢٤٨-٢٤٩، وينظر: تفسير ابن كثير ٥/١٧٠.

ثانيًا: زعم ابن عجيبة أنَّ الخضر عليه السلام حيٌّ وأنه خاطبه

يزعم ابن عجيبة أنَّ الخضر عليه السلام حيٌّ قال: "وقال جمهور الأولياء: أنه حي، وقد لقيه كثيرٌ من الصلحاء والأولياء، حتى تواتر عنهم حياته"(١).

وأورد قصة لقائه مع الخضر.

قال: "وقد التقيت مع الخضر عليه السلام في مقصورة جامع الجعيدي أخذتني الغيبة فرأيته رجلًا ضخمًا كبير اللحية فقرَّب مني حتى مسَّ شعر لحيته وجهي، وتكلَّمت معه بكلام غاب عنِّي اليوم لطول العهد به"(٢).

ودلَّ على ذلك إقراره للقصة التي نقلها ولم يعلِّق عليها.

والقصة عن أحد الصوفية أنه رأى النبي ﷺ في المنام وسلَّم عليه وقال له: "يا رسول الله ﷺ، إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث، فقال ﷺ: صدق الخضر وكل ما يحكيه حق، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال، وهو جنود الله في الأرض"(٣).

بل قال ابن عجيبة أثناء ذكره لآداب المريد مع الشيخ:

وسلِّم له فيما تراه وإن يكن ... على غيرِ مشروعٍ فثمَّ مخادعُ
وفي قصةِ الخضرِ الكريمِ كفايةٌ ... بقتلِ غلامٍ والكليمُ يدافعُ(٤)

وهذا قياسٌ مع الفارق، فقتل الغلام دليل على نبوة الخضر عليه السلام.

قال ابن كثير رحمه الله: "إنَّ الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي

(١) البحر المديد ٣/٢٨٨.

(٢) الفهرسة، ص٧٥.

(٣) اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، ص١٥٦.

(٤) الفهرسة، ص٦٦.

إليه من الملك العلَّام، وهذا دليلٌ مستقلٌ على نبوته وبرهان ظاهر على عصمته؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرَّد ما يلقى في خلده؛ لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق"[1].

وربما تلبَّس الشيطان بشخصية الخضر فظنوا أنه هو قال ابن الجوزي: "وربما ظهر الشَّيْطَان لشخصٍ فكلَّمه، وربما قَالَ بَعْض المتهمين لبعض: أنا الخضر، وأعجب الأشياء أَن يصدق القائل أنا الخضر وليس لنا فِيهِ علامة نعرفه بها، وَقَدْ جمعت كتابًا سمَّيته (عجالة المنتظر بشرح حال الخضر)، وذكرت فِيهِ هذه الأحاديث والحكايات ونظائرها وبيَّنت خطأها فلم أر الإطالة بِذَلِكَ هاهنا"[2].

وأما دعوى ابن عجيبة أنه التقى مع الخضر، وأنه حيٌّ فدعوى لا مستند لها من الصحة بل مصادمة للنصوص الواضحة في موت الخضر، ثم يقال لابن عجيبة ما الفائدة التي عادت عليك بهذا الوهم، هل اتبعت شرع النبي محمد ﷺ ولم تخرج عن أوامره ونهيه وحاربت البدع والترهات الصوفية؟؛ لأن الخضر لوكان حيًّا لما وسعه أن يخرج عن شريعة النبي ﷺ قال ابن تيمية رحمه الله: "وكثير من الناس رأى من قال إني أنا الخضر وإنما كان جنيًّا، ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات إنكارًا لموت الخضر، والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر، وكلا الطائفتين مخطئٌ فإن الذين رأوا من قال إني أنا الخضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات؛ لكن أخطئوا في ظنهم أنه الخضر وإنما كان جنيًّا"[3].

وقال أيضًا: "كلُّ من ادعى أنه رأى الخضر، أو رأى من رأى الخضر أو سمع

---

(١) البداية والنهاية ٢/٢٤٩.

(٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١/٨٨.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٩٣.

شخصًا رأى الخضر أو ظنَّ الرائي أنه الخضر، أن كل ذلك لا يجوز إلا على الجهلة المخرفين الذين لا حظ لهم من علم، ولا عقل، ولا دين بل هم من الذين لا يفقهون ولا يعقلون"(١).

وما زعمه ابن عجيبة بأنَّ الخضر سلَّم عليه، فهذا خطأ، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهم يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ في حكاياتهم، وما يستندونه عن بعض مشايخهم أنَّ الخضر يأتي إليهم، ويسلِّم عليهم، ويعرف أسماءهم ومنازلهم ومحالهم، وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كليم الله عَزَّوَجَلَّ الذي اصطفاه الله في ذلك الزمان على من سواه، حتى يتعرَّف إليه بأنَّه موسى بني إسرائيل"(٢).

والأدلة النقلية والعقلية كافية برد شبهات القائلين بحياة الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

أولًا: الأدلة النقلية

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾(٣).

قال ابن كثير: "فالخضر إن كان بشرًا فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله"(٤).

وقال الشنقيطي(٥): "الذي يظهر لي رجحانه بالدليل في هذه المسألة أنَّ

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٤٥٨.

(٢) البداية والنهاية ٢/٢٥٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٤.

(٤) البداية والنهاية ٢/٢٦٥.

(٥) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي بن أحمد المختار الجكني، يرجع نسبة إلى قبيلة حمير، ولد سنة ١٣٢٥هـ، قدم لأداء فريضة الحج عام ١٣٦٧هـ، ثم قدم المدينة فالتقى بالشيخين الشيخ عبد الله بن زاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ والشيخ عبد العزيز بن صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتوطَّدت العلاقة بين الطرفين، وتجدَّدت =

الخضر ليس بحيٍّ بل تُوفي، وذلك لعدة أدلة أمور: فقوله (لبشر) نكرة في سياق النفي فهي تعمُّ كلَّ بشر، فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله، والخضر بشرٌ من قبله، فلو كان شرب من عين الحياة وصار حيًّا خالدًا إلى يوم القيامة لكان الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد"[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[(٢)].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالخضر إن كان نبيًّا أو وليًّا فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيًّا في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله، أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وينصره أن يصل أحدٌ من الأعداء إليه ... وهذا عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها"[(٣)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله جَلَّ جَلَالُهُ ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره

=

رغبة متبادلة لإفادة المسلمين، له مصنفات عدة منها: أضواء البيان، الرِّحلة إلى الحج، شرح مراقي السعود، وكانت وفاته ضحى يوم الخميس ١٣٩٣/١٢/١٧هـ، بمكة المكرَّمة، ودفن في مقبرة المعلاة ليلة الأحد ١٣٩٣/١٢/٢٠هـ. ينظر: ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطيه محمد سالم في مقدمة أضواء البيان ٧/١.

(١) أضواء البيان ١٢٦/٤.

(٢) سورة آل عمران: ٨١.

(٣) البداية والنهاية ٢٦٦/٢.

عند قوم كُفَّار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيًا عن خير أُمَّة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم... وإذا كان الخضر حيًا دائمًا فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك قط ولا أخبر به أمته ،ولا خلفاؤه الراشدون؟!"[(١)].

دلالة السُّنَّة على موته:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبي الله عَزَّوَجَلَّ ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»[(٢)].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "ومحلُّ الشاهد منه قوله ﷺ: «لا تعبد في الأرض» فعل في سياق النفي فهو بمعنى: لا تقع عبادة لك في الأرض؛ لأن الفعل ينحلُّ عن مصدر وزمن عند النحويين، وعن مصدر ونسبة وزمن عند كثير من البلاغيين، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا، فيتسلَّط عليه النفي فيؤول إلى النكرة في سياق النفي، وهي من صيغ العموم ... ثم قال: "فإذا علمت أنَّ معنى قوله ﷺ: «إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض» أي لا تقع عبادة لك في الأرض، فاعلم أن ذلك النفي يشمل بعمومه وجود الخضر حيًّا في الأرض؛ لأنه على تقدير وجوده حيًّا في الأرض فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعبد في الأرض، ولو على فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام؛ لأن الخضر مادام حيًّا فهو يعبد الله عَزَّوَجَلَّ في الأرض"[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/١٠٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسِّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ١٣٨٣/٣، رقم ٤٦٨٧.

(٣) أضواء البيان ١٢٧/٤.

ثانيًا: الأدلة العقلية على موت الخضر عليه السلام

ذكر ابن القيم جملة من هذه الأدلة فقال: "أمَّا الدليل المعقول من موت الخضر عليه السلام فمن عشرة أوجه:

منها:

أحدها: أنَّ الذي أثبت حياته يقول إنه ولد آدم لصلبه وهذا فاسد لوجهين:

أحدهما: أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة ... ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

والثاني: أنه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من ولد ولده كما زعموا، وأنه كان وزير ذي القرنين فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا بل مفرط في الطول والعرض، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلق الله آدم طوله ستون ذراعًا فلم يزل الخلق ينقص بعد»[1].

الوجه الثالث: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ولم ينقل هذا أحد.

الوجه الرابع: أنه قد اتفق العلماء أن نوحًا لما نزل من السفينة مات من كان معه ثم مات نسلهم ولم يبق غير نسل نوح، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[2]، وهذا يبطل قول من قال: إنه كان قبل نوح.

والوجه الخامس: أنَّ هذا لو كان صحيحًا أنَّ بشرًا من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب وكان خبره في القرآن مذكورًا في غير موضع؛ لأنه من أعظم آيات الربوبية، وقد ذكر

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة آدم ٤/٢١٧٨، رقم ٢٨٤١.

(٢) سورة الصافات: ٧٧.

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من أحياه ألف سنة إلا خمسين عامًا وجعله آيةً فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر، ولهذا قال بعض أهل العلم: ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان.

الوجه السادس: أنَّ القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم وذلك حرامٌ بنصِّ القرآن، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١).

أما المقدمة الثانية فظاهره، وأما الأولى فإنَّ حياته لو كانت ثابتة لدلَّ عليها القرآن أو السُّنَّة أو إجماع الأُمَّة فهذا كتاب الله تعالى فأين فيه حياة الخضر وهذه سُنَّة رسول الله ﷺ فأين فيها ما يدلُّ على ذلك بوجه، وهؤلاء علماء الأمة هل أجمعوا على حياته؟.

الوجه السابع: أنه لو كان حيًّا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة، وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات، وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه والعيب له"(٢).

الوجه الثامن: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر، لو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذا وكذا، لم يلتفت إلى قوله ولم يحتج به في الدين إلا أن يقال إنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ ولا بايعه، أو يقول هذا الجاهل إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه.

والقول الحق الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة وسلف الأُمَّة بأنَّ الخضر نبيٌّ مرسلٌ من الله عَزَّوَجَلَّ ومات كما يموت بني آدم.

---

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

(٢) المنار المنيف، ص٧٣-٧٧.

الباب الثاني:
آراء ابن عجيبة في أصول الإيمان ومسائله

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: آراؤه في الإيمان بالله.

الفصل الثاني: آراؤه في الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث: آراؤه في الإيمان بالكتب.

الفصل الرابع: آراؤه في الإيمان بالرُّسل.

الفصل الخامس: آراؤه في الإيمان باليوم الآخر.

الفصل السادس: آراؤه في الإيمان بالقدر.

الفصل السابع: آراؤه في مسائل الإيمان.

الفصل الأول:

آراؤه في الإيمان بالله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مسائل الربوبية.

المبحث الثاني: مسائل الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: مسائل الألوهية.

المبحث الأول: مسائل الربوبية

أولًا: تعريف التوحيد في اللغة

قال الخليل الفراهيدي: "الوَحَدُ: المُنْفَرِدُ رجلٌ وَحَدٌ، وثورٌ وَحَدٌ، وتفسير الرُّجلِ الوَحِد: الذي لا يُعْرَفُ له أَصْلٌ، ... ووَحَدَ الشَّيْءُ فهو يحد حدة، وكل شيءٍ على حدة بائن من آخر، يقال: ذلك على حدته وهما على حدتهما، وهم على حدتهم، والرَّجل الوحيد ذو الوحدة، وهو المنفرد لا أنيس معه، وقد وحد يوحد وحادة ووحدة ووحدًا، والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحُّد والوحدانية"[(١)].

قال ابن فارس: "الواو، والحاء والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الانفراد، من ذلك: الوحدة، وهو واحد في قبيلته، إذ لم يكن فيهم مثله ... ولقيت القوم موحد، ولقيته وحده، ولا يضاف إلا في قولهم: نسيج وحده، وعيير وحده، وجحيش وحده، ونسيج وحده، أي: لا ينسج غيره لنفاسته، وهو مثل، والواحد: المنفرد"[(٢)].

ثانيًا: تعريف التوحيد اصطلاحًا

قال الطحاوي[(٣)]: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره"[(٤)].

---

(١) العين ٣/٢٨٠-٢٨١.

(٢) مقاييس اللغة ٦/٩٠-٩١.

(٣) هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي، الطحاوي، ولد سنة ٢٣٨هـ، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة في زمانه، وروى عنه خلق كثير منهم: أبو محمد عبد العزيز الجوهري قاضي الصعيد، وأبو بكر محمد بن إبراهيم المقري الحافظ، وله مصنفات منها: معاني الآثار، مشكل الآثار، كانت وفاته سنة٣٢١هـ. ينظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١/١٣٦.

(٤) متن الطحاوية، ص٣١.

والقرآن كلُّه توحيد من فاتحته إلى خاتمته، قال ابن القيم: "كل سورة في القرآن فهي متضمِّنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولًا كليًّا: إنَّ كل آية في القرآن فهي متضمِّنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإنَّ القرآن: إمَّا خبرٌ عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمَّا أمرٌ ونهي، وإلزامٌ بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبرٌ عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبرٌ عمَّن خرج عن حكم التوحيد"(١).

ثالثًا: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح

مصدر ربَّ يرُبُّ ربابةً وربُوبية(٢)، قال ابن فارس: "الراء والباء يدل على أصول: فالأول: إصلاحُ الشِّيء والقيام عليه ....، الآخر: لزوم الشَّيء والإقامة عليه ....، الثالث: ضمُّ الشَّيء للشَّيء، ومتى أمعن النظر كان الباب كله قياسًا واحدًا"(٣).

والرَّبُّ يطلق في اللغة على: "المالك، والسيِّد، والمدبِّر، والمربِّي، والقيِّم، والمنعم"(٤).

ويطلق الرَّبُّ في الشرع ويراد به عين معناه في اللغة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الرَّبُّ- سبحانه: هو المالك، المدبِّر، المعطي،

---

(١) مدارج السالكين ٤٤٢/٤

(٢) اشتقاق أسماء الله تعالى، ص٣٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، ص٣٧٨.

(٤) لسان العرب ٣٩٩/١، وينظر: القاموس المحيط، ص١١١.

المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل"[(١)].

وقال ابن القيم: "الرَّب: هو السيِّد، والمالك، والمنعم، والمربِّي، والمصلح، والله هو الرَّب بهذه الاعتبارات كلها"[(٢)].

تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام: "هو الإقرار بأنَّ الله خالق كل شيءٍ وربه"[(٣)]، وقال أيضًا: "فتوحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيءٌ سواه بإحداث أمرٍ من الأمور، بل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن"[(٤)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[(٥)]: "هو الإقرار بأنَّ الله تعالى ربُّ كل شيءٍ ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في الإيمان والقدر"[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٢/١.

(٢) بدائع الفوائد ١٣٢/٤.

(٣) بدائع الفوائد ٥٠/١١، وينظر: منهاج السُّنَّة النبوية ٢٨٩/٣.

(٤) مجموع الفتاوى٣٣١/١٠.

(٥) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ، الفقيه المحدث الأصولي، ولد سنة ١٢٠٠هـ في بلدة الدرعية، ومن شيوخه: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وجده الشيخ عبد الله، والشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمَّر، والشيخ عبد الله بن فاضل من علماء الدرعية، ومن تلاميذه: الشيخ محمد بن سلطان، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله، ومن مصنفاته: تحفة الناسك بأخبار المناسك، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، توفي سنة ١٢٣٣هـ، وكان عمره ٣٣ سنة، ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون ١٢٧/١، الأعلام ١٢٩/٣، مشاهير علماء نجد وغيرهم ٤٤/١.

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص١٧، وينظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ٢٥/١.

رابعًا: تعريف ابن عجيبة لتوحيد الربوبية لغة

قال ابن عجيبة: "(رب) مصدر بمعنى التربية، وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل، وقيل هو وصف من ربَّه يربُّه، وأصله: ربَبَ، ثم ادغم، سُمِّي به المالك؛ لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه"(١).

خامسًا: تعريف التوحيد اصطلاحًا

قال ابن عجيبة: "الحقُّ واحد في ذاته وفي صفاته، وفي أفعاله فلا شيءَ قبله ولا شيءَ بعده ولا شيءَ معه"(٢).

وعرَّفه بقوله: "إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد"(٣).

وقال أيضًا: "نهاية توحيد الواصلين من العارفين والمريدين السائرين: توحيد الذات، فلا يشهدون إلا الله، ولا يرون معه سواه"(٤).

بل ذهب إلى أبعد من هذا حين قال في موضع آخر: "كلُّ ما يدلُّ على التوحيد من الألفاظ يكفي في الدخول في الإسلام"(٥).

وهذه التعاريف التي أوردها ابن عجيبة للتوحيد قد اشتملت على مخالفات عقدية وهي:

١- أنه في التعريفات السابقة لا يقرر إلا توحيد الربوبية فقط وأخرج منه التوحيد الذي بعث به الرُّسل عليهم السلام وخلق الخليقة من أجله ألا وهو توحيد الألوهية.

---

(١) البحر المديد ١/٥٤.

(٢) إيقاظ الهمم، ٧١.

(٣) معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٢٩.

(٤) البحر المديد ٢/٦٦.

(٥) المرجع نفسه ١/٦٩.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على من سلك هذا المسلك أنهم "ظنُّوا أنَّ التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأنَّ الله خلق كل شيء، وهو الذي يسمونه توحيد الأفعال"[1].

٢- أنه جعل توحيد الربوبية هو الغاية، إذ فسَّر معنى لا إله إلا الله بـ "لا موجود إلا الله"[2]، وهذا التفسير باطل، ومعلوم أنَّ كفَّار قريش يقرون بتوحيد الربوبية، وقد يقول قائل: هذا تفسير ابن عجيبة بين أيدينا وكتبه تحثُّ على العبادة والطاعة لله، فكيف لا يعرف من التوحيد سوى توحيد الربوبية، فيجاب عليه أنه يرى توحيد الألوهية من عموم الدين الإسلامي، لكنه لا يرى أنه من حقيقة التوحيد الذي يقع في الشرك مخالفُه، بدليل قوله: كل لفظ من التوحيد يكفي في الدخول في الإسلام، قال ابن تيمية: "وإذا تبيَّن أنَّ غاية ما يقرره هؤلاء النظَّار، أهل الإثبات للقدر المنتسبون إلى السُّنَّة، إنما هو توحيد الربوبية، وأن الله ربُّ كلِّ شيءٍ ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون، وكذلك طوائف من أهل التصوف والمنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد وأن يشهد أن الله ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وخالقه، لا سيِّما إذا غاب العارف[3] بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية، بحيث يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل فهذا عندهم هو

(١) اقتضاء أصحاب الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٣٨٦/٢.

(٢) الجواهر العجيبة، ص١١٥.

(٣) العارف: هو المستغرق في معرفة الله ومحبته. ينظر: الكليات، ص٤٩٠، وقيل في الفرق بين العارف والمؤمن: أنَّ المؤمن عند الصوفية ينظر بنور الله والعارف ينظر بالله، وللمؤمن قلب وليس للعارف قلب، وقلب المؤمن يطمئن بذكر الله، والعارف لا يطمئن بسواه. ينظر: معجم المصطلحات الصوفية، ص١٨١.

الغاية التي لا غاية وراءها، ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقرَّ به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلمًا فضلًا عن أن يكون وليًّا لله أو من سادات الأولياء"[1].

ومعلوم لدى أهل السُّنَّة والجماعة وفق فهم سلف الأُمَّة أنَّ التوحيد الذي دعت إليه الرُّسل، هو توحيد الألوهية المتضمِّن لتوحيد الربوبية، وأول ما يتعلق القلب بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية.

٣- اشتماله على العبارات المجملة التي لا يتصور أكثر الناس مراد أهل الاصطلاح منها[2].

٤- اشتملت تعاريفه للتوحيد على قول الاتحادية القائلين بأنَّ وجود الخالق هو وجود المخلوق أو قول: الوجود واحد وهو الله ولا أرى الواحد ولا أرى الله، أو لا يشار إليه، وهذه ألفاظ باطلة مخالفة لما عليه السلف الصالح من الرجوع إلى الوحيين، فيما يقولون به عن الله ودينه[3].

٥- أنه فسَّر التوحيد بتفسير لم يدل عليه الكتاب والسُّنَّة ولا قاله أحدٌ من سلف الأمة وأئمتها، واتبع المتكلمين الذين يجعلون نفي الصفات أو بعضها من التوحيد[4] إذ أشهر أنواع التوحيد عندهم هو توحيد الأفعال، ويعني أنَّ خالق العالم واحد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنَّ عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر: غايتهم أن يجعلوا التوحيد (ثلاثة أنواع)، فيقولون: هو واحد في

---

(١) التدمرية، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) ينظر: الصفدية ٢/٢٢٩.

(٣) المرجع نفسه ٢/٢٢٤.

(٤) ينظر: تلبيس الجهمية ١/٤٢٨، وينظر: التدمرية، ص١٨٤.

ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو "توحيد الأفعال" وهو أنَّ خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أنَّ هذا هو التوحيد المطلوب، وأنَّ هذا هو معنى قولنا (لا إله إلا الله) حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع"[(١)].

ووضح ابن تيمية مقصود الأشاعرة من هذا التقسيم فقال: "وليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعَّض أنه لا ينفصل بعضه عن بعض، وأنه لا يكون إلهين اثنين، ونحو ذلك مما يقول نحوًا منه النصارى والمشركون، فإن هذا مما لا ينازعهم فيه المسلمون، وهو حقٌّ لا ريب فيه، وكذلك كان علماء السلف ينفون التبعيض عن الله بهذا المعنى، وإنما مرادهم بذلك أنه لا يشهد ولا يرى منه شيءٌ دون شيء، ولا يدرك منه شيءٌ دون شيء، بحيث إنه ليس له في نفس حقيقة عندهم قائمة بنفسها يمكنه هو أن يشير منها إلى شيء دون شيء، أو يرى عباده منها شيئًا دون شيء بحيث إذا تجلَّى لعباده يريهم من نفسه المقدسة ما شاء، فإن ذلك غير ممكن عندهم، ولا يتصور عندهم أن يكون العباد محجوبين عنه بحجاب منفصل عنهم يمنع أبصارهم عن رؤيته، فإن الحجاب لا يحجب ما هو جسم منقسم ولا يتصور عندهم أن الله يكشف عن وجهه الحجاب ليراه المؤمنون، ولا أن يكون على وجهه حجاب أصلًا، ولا أن يكون بحيث يلقاه العبد أو يصل إليه أو يدنو منه أو يقرب إليه في الحقيقة، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم، ويسمون ذلك نفي التجسيم، إذ كل ما ثبت له ذلك كان جسمًا منقسمًا مركَّبًا، والبارئ منزَّه عندهم عن هذه المعاني"[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٩٧، والتدمرية، ص١٨٥.

(٢) التسعينية ٣/٧٨٠.

وعلَّق الدكتور عبد الرحمن المحمود على قول الأشاعرة بقوله: "وجماع المعاني التي قصدوها بقولهم هذا: أنه تعالى عن قولهم ليس قائمًا بنفسه، ولا بائنًا من خلقه ولا على العرش استوى، وأنه لا يُشار إليه في جهة العلو، وهذا ما يعبرون عنه بنفي الجسمية والتحيُّز، والجهة، وكل متحيِّز فهو منقسم، وكل منقسم فهو ليس بأحد، وهكذا صار حقيقة التوحيد والواحد والأحد عند هؤلاء نفي صفات الله الخبرية، ونفي علوه على عرشه"(١).

وهذا المفهوم للتوحيد غريب على اللسان العربي، والقرآن نزل بلغة العرب، ولم يرد استخدام الواحد في القرآن والسُّنَّة إلاَّ فيما سمَّاه هؤلاء منقسمًا مثل قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾(٥)، فكل ما سمي واحد في هذه الآيات يصح انقسامه؛ لأنه جسم من الأجسام التي يصح انقسامها، وأمَّا السُّنَّة فلقد مرَّ النبيﷺ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأمَّا الآخر فكان يمشي بالنميمة"(٦).

وإن قال قائل من أهل الكلام: هذا الاستخدام على سبيل المجاز، فيجاب

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٩٤٨/٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٦.

(٣) سورة الكهف: ٤٩.

(٤) سورة النساء: ١١.

(٥) سورة المدثر: ١١.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر ٨٩/١، برقم ٢١٦، والفتح ٤٧٢/١٠.

عليه بأنه باطل؛ لأنه ادعاء لا دليل عليه، كما أنه لا يمكن أن يأتوا بمثال صحيح لاستخدام الواحد في القرآن والسُّنَّة واللغة بأنه الذي لا ينقسم، فإن لفظ الواحد وما يتصرف منه لا يطلق في لغة العرب وغيرهم من الأمم إلا على ما يسميه أهل الكلام منقسمًا فهل يصح أن لا يوجد مثال لما سموه حقيقة؟ وهل أصبحت كل الأمثلة مجازًا؟، والحقيقة أن ما عرَّف به أهل الكلام الواحد هو شيء لا يتصوره ولا يعقله الناس، فإنهم لا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه[1].

وهذا الدليل قد يقلب عليهم قال ابن تيمية: "إذا قال قائل: دلالة القرآن على نقيض مطلوبهم أظهر، كان قد قال الحق، فإن القرآن نزل بلغة العرب، وهم لا يعرفون الواحد في الأعيان إلا ما كان متصفًا بالصفات، مباينًا لغيره، مشارًا إليه، وما لم يكن مشارًا إليه أصلًا، ولا مباينًا لغيره، ولا مداخلًا له، فالعرب لا تسميه واحدًا، ولا أحدًا بل ولا تعرفه، فيكون الاسم الواحد والأحد دلَّ على نقيض مطلوبهم منه لا على مطلوبهم"[2].

وحتى لا يكون الكلام جزافًا من غير دليل فإنَّ ابن عجيبة يعتقد عقيدة الأشاعرة في تعريفه للتوحيد، فلقد ورد في كتاب جوهرة التوحيد[3] شرحٌ لهذه الأقسام وهي "الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال تنفي كمومًا[4] خمسة:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١١٤/٧-١١٦، وينظر: حقيقة التوحيد بين أهل السُّنَّة والمتكلِّمين، ص١١٠.

(٢) المرجع نفسه ١١٧/٧.

(٣) واسمه: فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد الباجوري، وهو أحد شروح منظومة التوحيد على عقيدة الأشاعرة، لبرهان الدين اللقاني.

(٤) الكم: هو العرض الذي يقتضي الانقسام لذاته. التعريفات، للجرجاني، ص٢٣٩.

● الكم المتصل في الذات وهو تركُّبها من أجزاء.

● الكم المنفصل فيها وهو تعددها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات.

● والكم المتصل في الصفات وهو التعدد في صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فأكثر، وبُحث في هذا بأنَّ الكم المتصل مداره على شيءٍ ذي أجزاء ولا كذلك الصفات، ويجاب: بأنهم نزَّلوا كونها قائمة بذات واحدة منزلة من التركيب.

● والكم المنفصل في الصفات وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى، وكأن يكون لزيد قدرة بها ويعدم بها كقدرته تعالى، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات، أو علم محيط بجميع الأشياء، وهذان الكمان منفيان بوحدانية الصفات.

● والكم المنفصل في الأفعال وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب الفعل على وجه الكسب[(١)] والاختيار، وهذا الكم منفيٌّ بوحدانية الأفعال، وفي ذلك ردٌّ على المعتزلة[(٢)] القائلين بأنَّ العبد يخلق أفعال نفسه

---

(١) جمهور الأشاعرة ومتأخروهم يرون أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خالق أفعال العباد فيثبتون مرتبتي المشيئة والخلق، ولكنهم يقولون: "إنَّ أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختيارًا، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنًا لهما، فيكون الفعل مخلوقًا لله إبداعًا وإحداثًا ومكسوبًا للعبد، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلًا، فهم يرون أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب للعباد. ينظر: مصطلحات في كتب العقائد، ص١٥٣.

(٢) المعتزلة: من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، أتباع واصل بن عطاء، اختُلف في سبب التسمية على أقوال: من أشهرها اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، من معتقداتهم: أنَّ مرتكب الكبيرة، لا يُسمَّى مؤمنًا مطلقًا، ولا كافرًا مطلقًا، بل في منزلة بين المنزلتين، إنكار رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ كلام الله مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة لهم، وأنكروا المعراج، وشفاعة النبي ﷺ، والحوض والكوثر، وعذاب القبر. ينظر: مقالات الإسلاميين ٢٥٣/١، شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٩٨، الملل والنحل، ص٥٦.

الاختيارية، وإنما لم يكفروا بذلك لاعترافهم بأنَّ أقدارهم عليها من الله تعالى، وأما الكم المتصل في الأفعال فإن صورناه بتعدد الأفعال فهو ثابت لا يصح نفيه؛ لأن أفعاله كثيرة من خلق، ورزق، وإحياء، وإماتة إلى غير ذلك، وإن صورناه بمشاركة غير الله في فعل من الأفعال فهو منفيٌّ بوحدانية الأفعال"(١).

٦- قول ابن عجيبة كل ما يدل على التوحيد من الألفاظ يكفي في الدخول في الإسلام مخالف للنصوص الشرعية التي أبانت كيفية الدخول في الإسلام، فلقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «إنَّك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله»(٢)، فهذا تصريحٌ بلفظ التوحيد في قوله: "أن يوحِّدوا" فأين ابن عجيبة من هذا؟.

وأجمع السلف على أنَّ أول أمر يؤمر به العبد أن يوحد الله عَزَّوَجَلَّ وينطق بالشهادتين قال ابن تيمية: "إنَّ السلف والأئمة متفقون على أنَّ أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أنَّ من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عند البلوغ"(٣).

وقال أبوسعيد الدارمي(٤): "وتفسير التوحيد عند الأُمَّة وصوابه: "قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له"(٥).

---

(١) شرح الجوهرة، ص٥٩-٦٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥٥، رقم ١٩، ورواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة، رقم ١٥٨٤.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٨/١١-١٢.

(٤) هو: عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، محدِّث هراة، ولد سنة ٢٠٠هـ، وأخذ الحديث عن ابن حنبل، وابن المديني، وإسحاق بن راهويه، وابن معين، له مصنفات منها: الرَّد على بشر المرِّيسي، والرَّد على الجهمية، وكانت وفاته سنة ٢٨٠هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/٦٢١.

(٥) نقض الدارمي على بشر المريسي ١/١٥٢.

وقال الشوكاني: "وليس مجرَّد قول لا إله إلا الله مثبتًا للإسلام؛ فإنه لو قالها أحدٌ من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلامًا"(١).

"وينبغي لمن أراد أن يعرف دين الإسلام أن يتأمل النصوص النبوية، ويعرف ما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، وما قاله أئمة المسلمين ليعرف المجمع عليه من المتنازع فيه"(٢).

سادسًا: تقسيم التوحيد عند ابن عجيبة

قسَّم ابن عجيبة التوحيد إلى ثلاثة أقسام، فقال: "اعلم أنَّ توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: **توحيد العامَّة**: وهو الذي يعصم النفس والمال، وينجو به من الخلود في النار، وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الثانية: **توحيد الخاصَّة**: وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريقة الكشف لا بطريق الاستدلال.

الثالثة: **ألا يرى في الوجود إلا الله، ولا يشهد معه سواه،** فيغيب عن النظر إلى الأكوان في شهود المكون"(٣).

وقال في تفسير سورة الإخلاص: "قد اشتملت هذه السورة على التوحيد الخاص، أعني توحيد أهل العيان، وعلى التوحيد العام، أعني توحيد أهل البرهان، فالتوحيد الخاص له مقامان: مقام الأسرار الجبروتية، ومقام الأنوار الملكوتية، فكلمة

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، ص٢٨٧.

(٢) الإخنائية (الرد على الإخنائي)، ص٤١٩.

(٣) البحر المديد ١/١٩٢، وينظر: الجواهر العجيبة، ص٢٢-٢٣.

(هو) تسير إلى مقام الأسرار اللطيفة الأصلية الجبروتية، و(الله) يشير إلى مقام الأنوار الكثيفة المتدفِّقة من بحر الجبروت، ووصفه تعالى بالأحدية والصمدية والتنزيه عن الولد والوالد يحتاج إلى استدلالٍ وبرهان، وهو مقام الإيمان، والأول مقام الإحسان"[(١)].

وقال أيضًا عند قول الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[(٢)].

التوحيد على قسمين:

١- توحيد البرهان: وهو إفراد الحق بالصفات والأفعال والذات من طريق البرهان.

٢- توحيد العيان: وهو إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد[(٣)].

وقصده من المسمَّيات التي أطلقها على أقسام التوحيد قال: "وأما عالم الجبروت فهو البحر اللطيف الفياض الذي يتدفَّق منه أنوار الملكوت، وهو ما لم يقع التجلِّي من الكنز المصون، والسر المكنون"[(٤)]، وقال أيضًا: "عالم الجمع، وعالم القدرة، وعالم الملكوت، وعالم الأرواح، وعالم الغيب"[(٥)].

وهنا تلحظ تقسيمه للذات الإلهية، إلى الجبروتية، والملكوتية.

ثم قال: "والحاصل أنَّ الأشياء كلها قائمة بين ذاتٍ وصفات، بين حسٍّ ومعنى، بين قدرةٍ وحكمة، فستر الحق سبحانه معاني أسرار الذات اللطيفة بظهور الذوات الكثيفة، وستر المعنى اللطيف بالحسِّ الكثيف، وستر القدرة بالحكمة، والكل

---

(١) البحر المديد ٦/٥٣٦-٥٣٧.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣.

(٣) معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٥٦.

(٤) كشف النقاب عن سر الألباب، ص١٨١.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٨١.

من الله، وإلى الله، ولا موجود سواه، وهذه الكثائف الظاهرة هي أرديةٌ وقمصٌ للمعاني اللطيفة"[1].

ويقول: "اعلم أن الله تعالى كان كنزًا مخفيًّا، لطيفًا أزليًّا، لم يعرفه أحد، فلما أراد أن يعرف تجلّى بتجليات من ذلك الكنز، كثَّفها وأظهرها بمقتضى اسمه الظاهر، ثم أبطنها بمقتضى اسمه الباطن، فصارت ظاهرة باطنة، أبطنها بما أظهر عليها من أحكام العبودية، وأوصاف البشرية، ونعوت الحدثية من حسن التكوين والتشكيل والتغيير والتحيُّز، ولا حادث في الحقيقة، إنما تجدد لها التجلِّي والظهور، فبطنت بعد ظهورها، فمن نظر لأصلها وغاب عن حسِّها لم ينحجب بها عن الحقِّ تعالى، ورآه ظاهرًا فيها، ومن وقف مع حسِّها الظاهر حجب بها عن شهود الحق وصارت في حقه ظلمة ...

إلى أن قال: والحاصل أنَّ الوجود واحد، وهو وجود الحق تعالى، فما وقع به التجلِّي من نظره بعين الجمع سمَّاه ملكوتًا ... وما لم يقع به التجلِّي من الأسرار اللطيفة الغيبية فهو جبروت"[2].

وهذا التقسم اشتمل على مخالفات عقدية عدة بيانها كالتالي:

١- أقسام التوحيد التي ذكرها ابن عجيبة لم ترد لا في الكتاب ولا في السُّنَّة، بل اشتمل على الرموز والإشارات الخفيَّة، ولم يكن دين الله عَزَّوَجَلَّ رمزًا[3]، ولقد استفاضت الآيات القرآنية بذكر أقسام التوحيد، ومما يدلُّ على ذلك سورة الفاتحة التي دلَّت على أقسام التوحيد فتوحيد الربوبية والأسماء والصفات مبيَّن في قوله تعالى:

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٨٧.

(٢) كشف النقاب عن سر الألباب، ص٩٩- ١٠٠.

(٣) ينظر: مدارج السالكين ٣/٤٨٦.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، فالحمد يتضمَّن مدح المحمود بصفات كماله مع محبته والرضا عنه، وهذا متضمِّنٌ لنفي النقائص والعيوب، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يدلُّ على ربوبيته وتدبيره لجميع خلقه كما يشاء، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2] يدلُّ على توحيد الأسماء والصفات، وقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3] يدلُّ على الربوبية المطلقة[4].

وقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[5]، قال الشيخ السعدي: "اشتملت الآية على أصول عظيمة على توحيد الربوبية وأنه تعالى ربُّ كلِّ شيء وخالقه ورازقه ومدبِّره، وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنَّه تعالى الإله المعبود، وعلى أنَّ ربوبيته موجب لعبادته وتوحيده؛ ولهذا أتى بالفاء في قوله: "﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ الدالة على السبب؛ أي فكما أنَّه ربُّ كلِّ شيءٍ فليكن هو المعبود حقًّا فاعبده، ومنه الاصطبار لعبادته تعالى وهو جهاد النفس، وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى فيدخل في هذا أعلى أنواع الصبر، وهو الصبر على البليَّات، فإنَّ الصبر عليها وعدم تسخيطها والرضى عن الله تعالى بها من أعظم العبادات الداخلة في قول الله تعالى: ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، واشتملت الآية على أنَّ الله تعالى كاملٌ في الأسماء والصفات عظيم النعوت جليل القدر، وليس في ذلك شبيهٌ ولا نظيرٌ ولا سمي، بل تفرَّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات"[6].

(١) سورة الفاتحة: ٢.
(٢) سورة الفاتحة: ٣.
(٣) سورة الفاتحة: ٤.
(٤) ينظر: مدارج السالكين ١/٨٤، وحقيقة التوحيد بين أهل السُّنَّة والمتكلمين، ص٨٤.
(٥) سورة مريم: ٦٥.
(٦) المواهب الربانية من الآيات القرآنية ١/٦٠.

٢- أنَّ غاية ما عندهم هو شهود هذا التوحيد، وهو أن يشهد أنَّ الله ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وخالقه، لا سيِّما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، فابن عجيبة وغيره من المتصوفة الذين يشهدون الحقيقة الكونية، المتضمِّنة لخلق الله وإيجاده، وأغفلوا الحقيقة الشرعية المتضمِّنة لأمر الله ونهية، واتباع ما جاء به من الهدى والنور، والحق في ذلك أن يجمع بين شهود الحقيقتين الكونية والشرعية(١).

٣- القول بوحدة الوجود، وتصور مذهبهم هذا كافٍ في بيان فساده، إذ التوحيد عندهم: "أنَّ الحقَّ المنزَّه هو عين الخلق المشبَّه، وأنَّه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته، وأنَّه آية كلِّ شيء، وله فيه آية تدلُّ على أنه عينه، وهذا عند محققيهم من خطأ التعبير، بل هو نفس الآية، ونفس الدليل، ونفس المستدل، ونفس المستدل عليه، فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية، لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عين الناكح، وعين المنكوح وعين الذابح، وعين المذبوح، وعين الآكل، وعين المأكول.

ومن فروع هذا التوحيد: أنَّ فرعون وقومه مؤمنون كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة، ومن فروعه: أنَّ عُبَّاد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا عين الله سبحانه لا غيره، ومن فروعه: أنَّ الحق أن لا فرق في التحريم والتحليل بين الأُمِّ والأخت والأجنبيَّة، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، الكل في عينٍ واحدة، بل هو العين الواحدة، وإنما المحجوبون عن هذا السر قالوا: هذا حرام وهذا حلال، نعم هو حرام عليكم؛ لأنكم في حجاب عن حقيقة هذا

---

(١) ينظر: التدمرية ١/١٨٧

التوحيد، ومن فروعه: أنَّ الأنبياء ضيَّقوا الطريق على الناس، وبعدوا عليهم المقصود، والأمر وراء ما جاءوا به، ودعوا إليه"(١).

وقال ابن تيمية: "أمَّا كون وجود الخالق هو وجود المخلوق، فهذا كفرٌ صريحٌ باتفاق أهل الإيمان، وهو من أبطل الباطل في بديهة عقل كل إنسان، وإن كان منتحلوه يزعمون أنه غاية التحقيق والعرفان"(٢).

٤- زعم ابن عجيبة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ مفتقر لغيره تعالى عمَّا يقول علوًّا كبيرًا، فظهر في صورة خلقه، بعد أن لم يعرف.

وهذا من أشنع الباطل وأقبحه، فالله عَزَّوَجَلَّ غني عن عباده، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٣).

قال الشوكاني في تفسيره: "ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ افتقار خلقه إليه، ومزيد حاجتهم إلى فضله، فهم الفقراء إليه على الإطلاق وهو الغنيُّ على الإطلاق الحميد أي: المستحق للحمد من عباده بإحسانه إليهم.

ثم ذكر سبحانه نوعا من الأنواع التي يتحقق عندها افتقارهم إليه، واستغناؤه عنهم ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٤)، إن يشأ يفنكم ويأت بدلكم بخلق جديد يطيعونه ولا يعصونه، أو يأت بنوع من أنواع الخلق، وعالم من العالم غير ما تعرفون وما ذلك الإذهاب لكم والإتيان بآخرين على الله بعزيز أي: بممتنعٍ ولا متعسِّر"(٥).

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤٦٦-٤٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٢٦.

(٣) سورة فاطر: ١٥.

(٤) سورة فاطر: ١٦.

(٥) فتح القدير ٤/٣٩٥.

وعن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنِّي حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفرُ الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»[(١)].

وهذا الوصف لا يطلقه أحدٌ على الله عَزَّوَجَلَّ إلا من فسدت عقيدته والعياذ بالله، إذ لو كان الله عَزَّوَجَلَّ مفتقرًا لغيره دلَّ على حاجته إلى غيره، قال ابن تيمية: "فافتقاره إلى غيره بوجهٍ من الوجوه دليل عدم غناه، وعلى حاجته إلى غيره"[(٢)]، ويقول أيضًا: "وهو سبحانه غنيٌّ عن العرش، وعن سائر المخلوقات لا يفتقر إلى شيءٍ من مخلوقاته، بل هو الحامل بقدرته العرش وحملة العرش"[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ١٦/٨، رقم ٦٧٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤/٢.

(٣) المرجع نفسه ٣٦٧/١.

والقول الحق: قول أهل السُّنَّة والجماعة في تقسيم التوحيد وفق فهم سلف الأُمَّة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتوحيد الذي جاءت به الرُّسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له وهو متضمِّنٌ لشيئين: أحدهما التوحيد العلمي: وهو إثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن النقائص وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيءٍ من صفاته فلا يوصف بنقص بحال ولا يماثله أحدٌ في شيءٍ من الكمال ... والتوحيد العملي الإرادي: أن لا يعبد الا إياه فلا يدعو إلا إيَّاه، ولا يتوكَّل إلا عليه ولا يخاف إلا إيَّاه ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله وهذا التوحيد يتضمَّن أنَّ الله خالق كل شيء وربه ومليكه لا شريك له في الملك"(١).

وهذا التقسيم أيضًا ذكره ابن القيم قال: "التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويُسمَّى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي، لتعلُّق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة"(٢).

وعرَّف هذين النوعين بقوله: "والتوحيد العلمي أساسه إثبات صفات الكمال للرب تعالى ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، والتوحيد العملي أساسه تجريد القصد بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكُّل، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، والعبودية بالقلب، واللسان، والجوارح لله وحده فمدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين وأقرب الخلق إلى الله أقومهم بهما علمًا وعملًا"(٣).

---

(١) الصفدية ٢/٢٢٨-٢٢٩، وينظر: تلبيس الجهمية ١/٤٧٩.

(٢) مدارج السالكين ١/٧٥.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة ٢/٤٠٢- ٤٠٣.

وكذلك من العلماء المحدثين الذي جاء عنهم تقسيم التوحيد وفق فهم سلف الأُمَّة هو ابن حِبَّان البستي[1]، ظهر ذلك في مقدمة كتابه (نزهة الفضلاء وروضة العقلاء) إذ يقول فيه: "الحمد لله المتفرِّد بوحدانية الألوهية، المتعزِّز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضِّل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معينٍ ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيهٍ ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزَّته إرادته، فألهمهم حسن الإطلاق، وركَّب فيهم تشعُّب الأخلاق، فهم على طبقات أقدارهم يمشون، وعلى تشعُّب أخلاقهم يدورون، وفيما قضى وقدَّر عليهم يهيمون ... إلى أن قال: وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر السموات العلا ومنشئ الأرضين والثرى، لا معقِّب لحكمه ولا راد لقضائه"[2].

ويذكر هذا التقسيم ابن أبي زيد القيرواني[3]، حيث قال: "من ذلك الإيمان والنطق باللسان أنَّ الله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، ليس لأوَّليَّته ابتداء، ولا لآخريَّته انقضاء، لا يبلغ كُنه صفته الواصفون، ولا يحيطون بأمره المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في مائية ذاته[4] إلى

(١) أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي الدارمي البستي، نسبةً إلى بُست ضمن أفغانستان، من مؤلفاته: علل أوهام المؤرخين، علل مناقب الزهري، الهداية إلى علم السنن، توفي سنة ٣٥٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٩٢/١٦.

(٢) نزهة الفضلاء وروضة العقلاء، ص١٧.

(٣) عالم أهل المغرب، أبو محمد، عبد الله ابن أبي زيد القيرواني المالكي، ولد سنة ٣١٠هـ بالقيروان، يقال له مالك الصغير، قال عنه القاضي عياض: حاز رئاسة الدين والدنيا، من مؤلفاته: النوادر والزيادات، المدونة، كتاب الاقتداء بمذهب مالك، رسالته في الرَّد على القدرية، توفي سنة ٣٨٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/١٧-١١، والفهرست، ص٢٣٥.

(٤) مائية ذاته: أي حقيقة ذاته، والمائية لا تكون إلا لذي الجنس والنوع وماله مثل، اللهم إلا أن يريد بذكر المائية ضربًا من =

أن قال ... تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحدٍ عنه غنىً، أو يكون خالقٌ لشيءٍ إلا هو، ربُّ العباد وربُّ أعمالهم، والمقدِّر لحركاتهم وآجالهم، الباعث الرُّسل إليهم لإقامة الحجَّة عليهم"(١).

سابعًا: الشرك في الربوبية

١- زعم ابن عجيبة أنه أُعطيَ التصرُّف في الكون، قال: "رأيتُ في المنام قائلًا يقول لي: الليلة أُعطي سيدي أحمد بن عجيبة يتصرَّف في الكون"(٢).

٢- قال ابن عجيبة عن القطب الفرد: "هو المتصرِّف في الكون بهمَّته العالية، وبالأسرار الربَّانية، يقول للشيء كن فيكون، والكل خادمٌ له، القطب يعرف ما كان وما يكون، وهو القائم بحقِّ الكون، والمكوّن، وهو واحد"(٣)، وقال أيضًا: "وأما تسميته بالغوث فمن حيث إغاثته للعوالم بهمَّته ومادته، ورتبته الخاصَّة"(٤).

٣- يزعم ابن عجيبة أنَّ شيخيه البوزيدي والدرقاوي(٥) يجعلان الفقير غنيًّا بمجرد النظر والملاحظة(٦).

=

المجاز والاتساع، فإذا سأل سائل بلفظها فقال: أخبروني عن الباري ما هو؟ قسمنا عليه بما يحتمل سؤاله. ينظر: شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في كتابه الرسالة، للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي، ص١٦٥.

(١) رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني، ص١٧.

(٢) الفهرسة، ص٦٩.

(٣) رسائل النور الهادي، ص١١٩، وينظر: سلسلة الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الآجرومية، ص١٠٢.

(٤) سلسلة الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الآجرومية، ص١٠٢، وينظر: معراج التشوف، ص٨٠.

(٥) هو: العربي بن أحمد بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف الإدريسي الشهير بالدرقاوي؛ نسبةً إلى أحد أجداده أبي درقة، ولد سنة ١١٥٠هـ بقبيلة بني زروال، وكانت وفاته سنة ١٢٣٩هـ. ينظر: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ١/٢٤٢-٢٤٣.

(٦) ينظر: البحر المديد ٦/٣٦٨.

وقال في موضع آخر: "فمن أراد أن يمدَّه الله في باطنه بكمالات الربوبية من قوَّةٍ، وعلمٍ، وغنىً، وعزٍّ، ونصرٍ، وملك، فليتحقق في ظاهره بنقائص العبودية، من ذلٍّ، وفقرٍ، وضعفٍ وعجزٍ، وجهل"[(١)].

٤- ليس هناك خالق ولا مخلوق، ومن قال غير هذا فهو مشرك في الربوبية -بزعم- ابن عجيبة، يظهر ذلك من خلال شرحه لقول ابن مشيش[(٢)]: "وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها"، وقال: "وأهل التحقيق لم يثبتوا مع الحقِّ سواه، ورأوا الكلَّ منه وإليه فالكلُّ دون الله، إنَّ حقيقته عدم على التفصيل والإجمال"[(٣)].

وقال أيضًا: "ومن أوحال التوحيد فانشلني إنها ... عقائد أهل الزيغ والجهل والبعد، وفي عين بحر الذات أغرقني إنه ... محل شهود الحق في كل مشهد"[(٤)].

وقال أيضًا: "من كحَّل عينيه بإثمد توحيد الذات لا يستبعد أن يكون الحق جلَّ جلاله يتجلَّى بتجلٍّ خاصٍّ من أسرار ذاته وأنوار صفاته ... إذ تجلِّياته لا تنحصر، بل كل ما ظهر في عالم الشهادة فإنما هو نورٌ من تجلِّي ذاته"[(٥)].

وهذه الأقوال السابقة تُعدُّ من الانحراف العظيم في باب الاعتقاد؛ لما فيها من التعدي على خصائص ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ والتي خالف فيها النصوص الشرعية التي

---

(١) البحر المديد ٣/١٥١.

(٢) عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر منصور بن علي، ولد في جبل العلم القريب من تطوان، وتوفي به سنة ٦٢٥هـ، اشتهر بالصلاة المشيشية، وهي ورد لأهل الوحدة والاتحاد. ينظر: الروض العطر الأنفاس، ص٣١٢، طبقات الشاذلية، ص٨٥.

(٣) شرح صلاة القطب ابن مشيش، ص٣١.

(٤) الفهرسة، ص١٠٨.

(٥) البحر المديد ٢/٢٢٥.

دلَّت على تصرف الله عَزَّوَجَلَّ المطلق في الكون، ومن ادَّعى غير ذلك فقد أشرك في الربوبية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

قال الشيخ السعدي في تفسيره: يقول تعالى مبيِّنًا لربوبيته وإلهيته وعظمته خلقه لها في ستة أيام مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنَّه رفيقٌ في أفعاله.

ومن جملة حكمته فيها أنَّه خلقها بالحقِّ وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته ويفرد بالعبادة.

ثم بعد خلق السماوات والأرض استوى على عرشه استواءً يليق بعظمته.

ويُدَبِّرُ الأمْرَ في العالم العلوي والسُّفلي من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضرِّ عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين.

فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مذعنون لعزِّه خاضعون لعظمته وسلطانه[2].

قال ابن تيمية: "فما من مخلوق إلا له شريك وند، والرَّبُّ سبحانه وحده هو الذي لا شريك له ولا ندَّ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولهذا لا يستحق غيره أن يُسمَّى خالقًا ولا ربًّا مطلقًا ونحو ذلك"[3].

---

(١) سورة يونس: ٣.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٣٥٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٣٥.

وقال أيضًا: "والقرآن ملآن من توحيد الله تعالى وأنَّه ليس كمثله شيء، فلا يمثل به شيءٌ من المخلوقات في شيءٍ من الأشياء إذ ليس كمثله شيءٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا فيما يستحقه من العبادة والمحبة والتوكل والطاعة والدعاء وسائر حقوقه، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[1] فلا أحد يساميه، ولا يستحق أن يُسمَّى بما يختصُّ به من الأسماء ولا يساويه في معنى شيءٍ من الأسماء لا في معنى الحي ولا العليم ولا القدير ولا غير ذلك من الأسماء ولا في معنى الذات والموجود ونحو ذلك من الأسماء العامَّة ولا يكون إلهًا ولا ربًّا ولا خالقًا، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2].

فلم يكن أحدٌ يكافئه في شيءٍ من الأشياء: فلا يساويه شيءٌ ولا يماثله شيءٌ ولا يعادله شيء"[3].

ويبيِّن ابن القيم حقيقة الشرك عند المتصوفة الذي أشركوا مع الله عَزَّوَجَلَّ إذ يقول: "ومذهب القوم أنَّ عُبَّاد الأوثان وعُبَّاد الصُّلبان وعُبَّاد النيران وعُبَّاد الكواكب كلّهم موحِّدون، .... ومن عبد النار والصليب فهو موحِّدٌ عابدٌ لله، والشرك عندهم إثبات وجود قديمٍ وحادثٍ وخالقٍ ومخلوقٍ وربٍّ وعبد، ولهذا قال بعض عارفيهم وقد قيل له: القرآنُ كلُّه يبطل قولكم، فقال: القرآنُ كلُّه شركٌ والتوحيد هو ما نقوله"[4].

---

(١) سورة مريم: ٦٥.

(٢) سورة الإخلاص: ١-٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٦٦/٢٧.

(٤) مدارج السالكين ٥٤٢/٣.

ثامنًا: طريقة ابن عجيبة في إثبات دلائل توحيد الربوبية

قسَّم ابن عجيبة الناس إلى قسمين في طريقة إثبات دلائل الربوبية، فقال: "والناس على قسمين: أهل تصديق وإيمان، وأهل شهود وعيان، فأهل التصديق والإيمان هم عامَّة أهل اليمين، وهم أكثر المسلمين من العلماء والصالحين، ويستندون في معرفتهم بالله إلى الدليل والبرهان، فتارة يقوى عندهم الدليل، فيترقون عن اتباع الظن إلى الجزم والتصميم، وتارة يضعف فيرجعون إلى اتباع الظن الراجح، وأمَّا الشهود والعيان فقد غابت عنهم الأكوان في شهود المكون، فصاروا يستدلون بالله على وجود غيره، فلا يجحدونه، حتى قال بعضهم: لو كُلِّفت أن أرى غيره لم أستطع، فإنه لا غير معه حتى أشهده، محال أن تشهده وتشهد معه سواه"[1].

وقال أيضًا: "التوحيد الذي ينتجه الدليل والبرهان يعتريه الزيادة والنقصان، إذ قد تعرض له الشكوك والأوهام"[2]، وقال أيضًا: النظر في دلائل الكائنات من غير تنوير، ولا صحبة أهل التنوير لا تزيد إلا حيرة"[3]، وقال "لا يستوي العالم بالله مع الجاهل به، العالم يعبده على العيان، والجاهل به في مقام الاستدلال والبرهان، العالم بالله يستدل بالله على غيره، والجاهل به يستدل بالأشياء على الله"[4]، وقال: "وكل من كان محجوبًا عن الله يستدلُّ بغيره فهو من البله"[5]، وقال: "كل من لم يعرف

(١) البحر المديد ٢/٤٧١.

(٢) شرح خمرية ابن الفارض، ص٥٠.

(٣) البحر المديد ٥/٣٠١.

(٤) المرجع نفسه ٥/٨٥.

(٥) نفسه ٦/٩٤.

الله معرفة العيان فهو من الأُمِّيين"[١]، وفسَّر قول الله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٢]، "هم الذين حبسهم الجهل والتقليد، فلم تنفذ بصائرهم إلى خالص التوحيد، فنكصوا عن توحيد العيان إلى توحيد الدليل والبرهان، وهو ضلال أهل الشهود والعيان، ولو بلغ في الصلاح غاية الإمكان"[٣].

والقول الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ كل ما في الكون من آيات قولية وكونية، وسمعية دالة على ربوبيته الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا تعارض بينهما، قال ابن القيم: "والتعلق بها استدلالًا ونظرًا في آيات الرَّبِّ ليصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ هو التوحيد والإيمان"[٤].

وقال أيضًا: "والمقصود: أنَّ الله سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالةً عليه، فإنَّ دلالتها إنما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية، فتتطابق شهادة القول وشهادة الفعل، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٥].

أي أن القرآن حق، فأخبر أنه يدلُّ بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية"[٦].

---

(١) البحر المديد ٦/١٤٨.

(٢) سورة الفاتحة: ٧.

(٣) البحر المديد ١/٦٧.

(٤) مدارج السالكين ٣/٥٢٤.

(٥) سورة فصلت: ٥٣.

(٦) مدارج السالكين ٣/٥٢٤.

وهذه الشواهد الكونية دلالة على الكمال الإلهي لله عَزَّوَجَلَّ قال ابن القيم: "يصحُّ بالشواهد أي: بالأدلة والآيات والبراهين، وهذا مما يدلُّ على كماله وشرفه، أن قامت عليه الأدلة ونادت عليه الشواهد وأوضحته الآيات والبراهين، وما عداه فدعاوى مجرَّدة لا يقوم عليها دليلٌ ولا تصحُّ بشاهد، فكلُّ توحيدٍ لا يصحُّ بشاهد فليس بتوحيد، فلا يجوز أن يكون توحيدًا أكمل من التوحيد الذي يصح بالشواهد والآيات، وتوحيد القرآن من أوله إلى آخره كذلك"(١).

وبهذه الدلائل يعرف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والرُّسُل عليهم السلام أخبروا عن الله عَزَّوَجَلَّ بكلامه، قال ابن القيم: "وأمَّا آياته العيانية الخلقية، والنظر فيها والاستدلال بها: فإنَّها تدلُّ على ما تدلُّ عليه آياته القولية السمعية، وآيات الرَّب: هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد، وبها يعرفون أسماءه وصفاته، وتوحيده، وأمره ونهيه، فالرُّسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلَّم به، وهو آياته القولية، ويستدلُّون على ذلك بمفعولاته التي تشهد على صحة ذلك، وهي آياته العيانية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحة ما جاءت به الرُّسل، فتتفق شهادة السَّمع والبصر والعقل والفطرة"(٢).

وشبهته التي بثَّها في قوله العارف لا يحتاج إلى دليل يستدل به على الله عَزَّوَجَلَّ بل الله أغناه عن الدليل، مقلوبة عليه ودحضها ابن القيم بقوله: "قوله(٣): (ويسلك سبيل إسقاط الحدث) يريد أنه في هذا الشهود، وهذه الملاحظة المذكورة: سالكٌ سبيل الذين شهدوا عين الأزل، فنفى عنهم شهود الحدث، وذلك بالفناء في حضرة الجمع، فإنها هي التي يفنى فيها من لم يكن، ويبقى فيها من لم يزل.

---

(١) مدارج السالكين ٣/٥٠٦-٥٠٧.

(٢) المرجع نفسه ٣/٤٨٣.

(٣) يقصد صاحب منازل السائرين.

فإن أراد بإسقاط الحدث: أنه يعتقد نفي حدوث شيء، فهذا مكابرة للحس والشهود، وإن أراد إسقاط الحدث من قلبه، فلا يشهد حادثًا ومحدثًا -وهذا مراده- فهذا خلاف ما أمر الله ورسوله به، وخلاف الحق، فإنَّ العبد مأمور أن يشهد: أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، ويشهد أنَّ الجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيين حق، ويشهد حدوث المحدثات بإحداث الرَّبِّ تعالى لها بمشيئته وقدرته، وبما خلقه من الأسباب، ولما خلقه من الحكم، ولم يأمر العبد -بل لم يرد منه- أن لا يشهد حادثًا ولا حدوث شيء، وهذا لا كمال فيه، ولا معرفة، فضلًا عن أن يكون غاية العارف، وأن يكون توحيد الخاصَّة، والقرآن -من أوله إلى آخره- صريحٌ في خلافه، فإنَّه أمر بشهود الحادثات والكائنات، والنظر فيها، والاعتبار بها، والاستدلال بها على وحدانية الله سبحانه، وعلى أسمائه وصفاته، فأعرف الناس به، وبأسمائه وصفاته أعظمهم شهودًا لها، ونظرًا فيها، واعتبارًا بها، فكيف يكون لبُّ التوحيد وقلبه وسرُّه: إسقاطها من الشهود"[1].

وبهذا يتضح لكلِّ من كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد البون الشاسع بين أدلة السلف الواضحة والموافقة للوحيين وأدلة المتكلِّمين، وهذا الذي أكَّده ابن القيم حين قال: "وكثيرًا ما يكون الدليل الذي عرف به الحق أصح من كثير من أدلة المتكلِّمين ومقدماتها، وأبعد عن الشبه، وأقرب تحصيلًا للمقصود، وإيصالًا إلى المدلول عليه، بل من استقرأ أحوال الناس رأى أنَّ كثيرًا من أهل الإسلام -أو أكثرهم- أعظم توحيدًا، وأكثر معرفةً، وأرسخ إيمانًا من أكثر المتكلِّمين وأرباب النظر والجدال، ويجد عندهم من أنواع الأدلة والآيات التي يصحُّ بها إيمانهم ما هو أظهر

(١) مدارج السالكين ٣/٥٢٧-٥٢٨.

وأوضح وأصح مما عند المتكلمين، وهذه الآيات التي ندب الله عباده إلى النظر فيها، والاستدلال بها على توحيده، وثبوت صفاته وأفعاله، وصدق رسله هي آيات مشهودةٌ بالحس، معلومة بالعقل، مستقرّة في الفِطَر، لا يحتاج الناظر فيها إلى أوضاع أهل الكلام والجدل، واصطلاحهم، وطرقهم البتة، وكلُّ من له حسٌّ سليم، وعقلٌ يميِّز به يعرفها ويقرُّ بها، وينتقل من العلم بها إلى العلم بالمدلول، وفي القرآن ما يزيد على عشرات ألوف من هذه الآيات البيِّنات، ومن لم يحفظ القرآن فإنَّه إذا سمعها وفهمها وعقلها انتقل ذهنه منها إلى المدلول أسرع انتقال وأقربه.

وبالجملة: فما كلُّ من علم شيئًا أمكنه أن يستدلَّ عليه، ولا كل من أمكنه الاستدلال عليه يحسن ترتيب الدليل وتقريره"[1].

تاسعًا: زعم ابن عجيبة أن التوحيد الخاص سرٌّ لا يمكن لأحدٍ معرفته ولو ظهر لأبيح دم من أظهره

قال ابن عجيبة: "أنوار السرائر هي العلوم اللدنية والمعارف الربانية، ويجمعها علم الربوبية الذي يجب كتمه عن غير أهله، ومن أباحه أُبيح دمه؛ وهو الذي قتل بسببه الحلاج"[2].

وقال في موضع آخر: "كلُّ من أفشى سر الربوبية سلَّط الله عليه سيف الشريعة، فيباح دمه ويُهتك عرضه، كما وقع للحلاج وغيره ... والمراد بسر الربوبية: التوحيد الخاص: الذي هو الشهود والعيان المخصوص بأهل العرفان"[3].

---

(١) مدارج السالكين ٣/٥٠٨.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٢٨٦.

(٣) شرح قصيدة يامن تعاظم، ص٢٠-٢٢.

وهذه دعاوى عارية من الصحَّة ولا مستند لها بل هي مصادمة لمنهج الأنبياء في بيان التوحيد.

يقول ابن القيم: "أفضل صفوة الرَّب تعالى: الأنبياء، وأفضلهم: الرُّسُل، وأفضلهم: أولو العزم، وأفضلهم: الخليلان عليهما الصلاة والسلام، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، والذي ألاحه الله إلى أسرارهم من ذلك هو أكمل توحيد عرفه العباد، ولا أكمل منه، وليس وراءه إلا الشطح والدعاوى والوساوس، وهم -صلوات الله وسلامه عليهم- قد تكلَّموا بالتوحيد وأوضحوه وقرروه، بحيث صار في حيِّز التجلِّي والظهور والبيان، فعقلته القلوب، وحصَّلته الأفئدة، ونطقت به الألسنة، وأوضحته الشواهد، وقامت عليه البراهين، ونادت عليه الدلائل، ولا يمكن أحدٌ أن ينقل عن نبيٍّ من الأنبياء، ولا وارث نبيٍّ داع إلى ما دعا إليه أنه يعلم توحيدًا لا يمكنه النطق به، وأنَّ الله سبحانه أخرسه عن نطقه وأعجزه عن بثِّه، بل كلُّ ما علمه القلب أمكن اللسان التعبير عنه، وإن اختلفت العبارة ظهورًا وخفاءً، وبين ذلك، وقد لا يفهمه إلا بعض الناس، فالناس لم تتفق أفهامهم لما جاءت به الرُّسُل.

كيف يقال: إنَّ أعرف الخلق وأفصحهم وأنصحهم عاجزٌ أن يبيِّن ما عرفه الله من توحيده، وأنَّه عاجزٌ عن بثِّه؟ فما هذا التوحيد الذي عجزت الأنبياء والرُّسُل عن بثِّه، ومنعوا من النُّطق به، وعرفه غيرهم؟"[(١)].

ولهذا كان مسلك أهل السُّنَّة والجماعة في بيان إثبات توحيد الربوبية مسلكًا شرعيًّا من القرآن والسُّنَّة، وهي طريقة منهج الأنبياء ومن سار على نهجهم من العلماء بخلاف ما اعتقده ابن عجيبة.

---

(١) مدارج السالكين ٣/٥٣٥-٥٣٦.

"وفي هذه الأُمَّة -ولله الحمد- لم يزل فيها من يتفطَّن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده، وهم لما هداهم الله به يتوافقون في قبول الحق، ورد الباطل رأيًا وروايةً من غير تشاعر ولا تواطُؤ"[1].

(١) مجموع الفتاوى ٩/٢٣٣.

المبحث الثاني: مسائل الأسماء والصفات

أولًا: تعريف الاسم والصفة لغةً

اختلف النحويُّون في أصل اشتقاق (اسم) على قولين:

القول الأول: أنَّ الاسم مشتَّقٌّ من الوسم وهو: العلامة، والأصل في (اسم) (وسم) إلا أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو في (وسم)، وزيدت الهمزة في أوله عوضًا عن المحذوف، ووزنه أُعلَّ لحذف الفاء منه، وهذا قول الكوفيين.

القول الثاني: أنَّه مشتَّقٌّ من السُّمو وهو: العلو؛ لأنه يدلُّ على مسمَّاه فيرفعه ويُظهره، وهذا القول للبصريين، وحجَّتهم في ذلك: أنَّه مشتَّقٌّ من السُّمو؛ لأنَّ السُّمو في اللغة هو العلو يقال: سما يسمو سموًّا: إذا علا، ومنه سُمِّيت السماء سماءً لعلوّها، والاسم يعلو على المسمَّى ويدلُّ على ما تحته من المعنى، ولذلك قال: أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد[1]: الاسم ما دلَّ على مُسمَّى تحته، وهذا القول كاف في الاشتقاق لا في التحديد، فلمَّا سما الاسم على مسمَّاه وعلا على ما تحته من معناه دلَّ على أنَّه مشتَّقٌّ من السُّمو"[2].

قال ابن يعيش[3] عن هذا الخلاف:

---

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، المعروف بالمبِّرد، إمام العربية ببغداد في زمانه، ولد بالبصرة سنة٢١٠هـ، ومن شيوخه: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الرياشي، وأبان بن رزين البصري، ومن تلاميذه: أحمد بن جعفر الدينوري، والأخفش أبو الحسن علي بن سليمان، له مصنفات منها: الكامل، المقتضب، المقصور والممدود، معاني القرآن، مات سنة ٢٨٥هـ، ودفن بمقابر بغداد. ينظر: بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢٦٩/١.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، الأنباري، ص٥، والمخصص ١٤٣/١٧.

(٣) أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش، موفق الدين الأسدي المعروف بابن يعيش، ولد سنة ٥٣٣هـ، وتوفي ٦٤٣هـ، من مصنفاته: شرح المفصَّل. ينظر: وفيات الأعيان ٣٤١/٢، الأعلام ٢٠٦/٨.

"وكلامهما حسنٌ من جهة المعنى، إلا أنَّ اللَّفظ يشهد مع البصريين؛ ألا ترى أنك تقول: أسميتهُ: إذا دعوته باسمه، أو جعلت له اسمًا، والأصلُ: أسموته، فقلبوا الواو ياءً، لوقوعها رابعة، على حدِّ: (أدعيت وأغريت)؛ ولو كان من (السِّمة) لقيل: أوسمته؛ لأن لام (السُّمو) واو تكون آخرًا، وفاء (السِّمة) واو تكون أولًا"[1].

وأمَّا الصِّفة فتطلق في لغة العرب على تحلية الشَّيء ونعته، يقال: وصفتُ الشَّيءَ وصفًا وصِفةً، والهاء في صفة عوضٌ من الواو إذا أخبرت عن أمارته اللازمة لحليته ونعته[2]، والوصف والصِّفة مصدران، كالوَعد والعِدَة، والوَزن والزِّنة، يراد به تارةً هذا وتارةً هذا[3].

ثانيًا: تعريف توحيد الأسماء والصفات اصطلاحًا

عرَّفه ابن تيمية رحمه الله بقوله: "فأمَّا الأول: وهو التوحيد في الصفات، فالأصل في هذا الباب: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله –عليهم السلام– نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه"[4].

وعرَّفه الشيخ السعدي رحمه الله بقوله: "هو اعتقاد انفراد الرب –جلَّ جلالُه– بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلال والجمال، التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله

(١) المفصل ٢٣/١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ٢٤٨/١٢، مقاييس اللغة ١١٥/٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٤٠/٦، ٣٣٥/٣.

(٤) المرجع نفسه ٣/٣. وينظر: الإبانة الكبرى ١٧٢/٦-١٧٣، لوامع الأنوار البهية ١٢٩/١.

ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسُّنَّة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفيٍ لشيءٍ منها ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله"[1].

ثالثًا: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته

أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسُّنَّة الصحيحة إثباتًا ونفيًا فهم بذلك يُسَمُّون الله بما سمَّى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

ويثبتون لله عَزَّوَجَلَّ صفاته بما وصف نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ مع اعتقاد أنَّ الله موصوفٌ بكمال ضدِّ ذلك الأمر المنفيّ[2].

فأهل السُّنَّة طريقتهم في هذا الباب طريقة الكتاب والسُّنَّة لا يحيدون عنها، قال ابن تيمية: "وطريقة سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ولا تكييفٍ ولا تمثيل؛ إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل، إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ فهذا ردٌّ على الممثِّلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[3] ردٌّ على المعطلة.

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، ص٤٠.

(٢) ينظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، للتميمي، ص٥٦.

(٣) سورة الشورى: ١١.

فقولهم في الصفات مبنيٌّ على أصلين:

أحدهما: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ منزَّه عن صفات النقص مطلقًا كالسِّنة، والنوم، والعجز، والجهل، وغير ذلك.

والثاني: أنه متصفٌ بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجهِ الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيءٌ من المخلوقات في شيءٍ من الصفات"[(١)].

رابعًا: الأسس الثلاثة التي يرتكز عليها معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسُّنَّة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

الأساس الثاني: تنزيه الله عن أن يُشْبِهَ شيءٌ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات[(٢)].

خامسًا: موقفه من أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى

لا ريب أنَّ باب الأسماء والصفات من أهم مباحث العقيدة، فمن ظفر به فقد فاز وغنم، ومن صُرِف عنه فقد خسر وحُرِم[(٣)]، وابن عجيبة فاته كثيرٌ من فضائل هذا الباب؛ نظرًا لمعتقده الأشعري الصوفي، فقد سلك مسالك خالف فيها عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وإن كان في بعض الأمور وافق أهل السُّنَّة قولًا، ولكن خالفهم عمليًّا، وسيأتي بيان ذلك في الأمور الآتية:

---

(١) منهاج السُّنَّة ٢/٥٢٣.

(٢) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص٢٥.

(٣) ينظر: تهذيب السنن ١/٩٢-٩٣.

أولًا: آراؤه في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحُسنى

أ- طريقته في إثبات الأسماء الحسنى

ابن عجيبة يقول بإثبات أسماء الله وأنها كثيرة، ويذكر في بعض أقواله أنَّ الذي ورد فيه التوقيف تسعةٌ وتسعون اسمًا، فقال: "أسماء الحق تعالى كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[١]، والذي ورد بها التوقيف تسعةٌ وتسعون[٢].

وقول ابن عجيبة بأنَّ أسماء الله كثيرة حقٌّ عليه جماهير أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الذي عليه جماهير المسلمين أنَّ أسماء الله أكثر من تسعةٍ وتسعين"[٣].

ويقول أيضًا: "إنَّ أهل المعرفة مهما حصَّلوا من المعرفة واليقين والهدى فهناك أمور لم يصلوا إليها فهذا صحيح"[٤]، كما قال النبي ﷺ: «اللهم إنِّي أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سمَّيت به نفسَك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي وغمِّي»[٥].

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٢) سلسلة الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية، ص٩٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٨١/٦-٣٨٢

(٤) الفتاوى الكبرى ٥٧/٥.

(٥) أخرجه أحمد ٤٥٢/١، رقم ٤٣١٨، وابن أبي شيبة ٤٠/٦، رقم ٢٩٣١٨، والطبراني ١٦٩/١٠، رقم ١٠٣٥٢، وابن حبَّان في صحيحه باب الأدعية، باب ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحًا ٢٥٣/٣، رقم ٩٧٢، والحاكم ٦٩٠/١، رقم ١٨٧٧، وقال: صحيح على شرط مسلم، ، قال الهيثمي ١٣٦/١٠: رجاله رجالُ الصحيح غير أبي سلمة الجهمي، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٩٩/١، رقم ٣٥٢٨.

وعلَّق ابن تيمية على هذا الحديث بقوله: "من قال هذا أذهب الله همَّه وغمَّه وأبدله مكانه فرحًا، فقد أخبر أنَّ لله أسماء استأثر بها في علم الغيب عنده وهذه لا يعلمها ملكٌ مقرَّبٌ ولا بشر"(١).

ومما يستدل بها العلماء في هذا الباب حديث النبيﷺ الذي كان يدعو به في سجوده «اللهم إنِّي أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(٢).

ووجه الدلالة من قول النبيﷺ: «لا أحصى ثناء عليك» أنه ﷺ وهو أعلم الخلق بربه لا يحصي الثناءَ عليه؛ لكثرة أسمائه الحسنى التي استأثر الله بها في علم الغيب عنده(٣).

وقال ابن القيم: "إنَّ الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد؛ فإنَّ لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسل، كما في الحديث الصحيح: «أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ...»، فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمَّى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرَّف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، ولهذا قال: (استأثرت به) أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمِّي به؛ لأنَّ هذا الانفراد ثابتٌ في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه، ومن هذا قول: النبيﷺ في حديث الشفاعة: «فيفتح عليَّ من محامده بما لا

---

(١) الإيمان الأوسط ١/١١٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ١/٣٥٢، رقم ٤٨٦.

(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية في بدعهم الكلامية ١/٣١٠، بتصرف.

أحسنه الآن»[1] [2].

ويقول أيضًا في بيان حديث النبي ﷺ: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»[3]: "فالكلام جملة واحدة وقوله: «من أحصاها دخل الجنة» صفة لا خبر مستقبل، والمعنى: له أسماء متعددة من شأنها أنَّ من أحصاها دخل الجنَّة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، وهذا كما تقول: لفلانٍ مائة مملوك وقد أعدَّهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدّون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه"[4].

وأمَّا زعمه أنَّ الذي ورد بها التوقيف تسعة وتسعون فهذا لا يوافق عليه؛ لأنها مدرجة في الحديث في عدِّ الأسماء الحسنى، والصحيح أنَّ ذكر التسعة والتسعين اسمًا اجتهادٌ من العلماء لم يرد في تعيينها نصٌّ صحيحٌ عن النبي ﷺ[5].

وقال الصنعاني: "اتفق الحفَّاظ من أئمة الحديث أنَّ سردها إدراج من بعض الرواة"[6].

ب: شرح ابن عجيبة أسماء الله الحسنى بما يوافق معتقده الأشعري

وذلك أنَّه يفسِّر الاسم بلازم معناه، وهو بهذه الطريقة يوافق الأشاعرة في موقفهم من الأسماء التي لا يثبتون ما تدلُّ عليه من المعاني، ومن أمثلة ذلك لدى ابن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ٨٤/٦، برقم ٤٧١٢.

(٢) بدائع الفوائد ١٦٦/١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب (إنَّ لله مئة اسم إلا واحدًا)، ١٠٨/٨، رقم ٦٤١٠.

(٤) بدائع الفوائد ١٦٧/١.

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٨٢/٢٢، تفسير ابن كثير ٢٩٦/٢.

(٦) سبل السلام ١٠٨/٤.

عجيبة -عفا الله عنَّا وعنه- ما يلي:

١- اسم الله (العلي)، "فسَّره بعلو الشرف والمكانة، ونفى دلالته على علو الله عَزَّوَجَلَّ" الذاتي[١].

٢- اسم الله (النور)، "فسَّره بمنوِّر السموات والأرض"[٢].

٣- اسم الله (الحليم): أول المعنى بقوله: "الذي لا يعاجل بالعقوبة لمن يستحقها"[٣].

وأهل السُّنَّة والجماعة لا يخالفون في تفسير الاسم بلازم معناه مع إثبات ما يدلُّ عليه من الصفة؛ ولكن المحذور لديهم أن يفسَّر الاسم بلازمه مع نفي ما يدلُّ عليه من الصفات؛ لذا كان من المقرَّر لديهم أنَّ الإيمان بأسماء الله تعالى لا يتم إلا بثلاثة أركان، كما مرَّ معنا في تقرير عقيدة أهل السُّنَّة الجماعة، وهي: الإيمان بالاسم، وبما دلَّ عليه من معنى، وبما تعلَّق به من أثر، فأهل السُّنَّة يثبتون الاسم حقيقة لله عَزَّوَجَلَّ، ويعتقدون أنَّ كل اسمٍ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يدلُّ على معنى، وهو الذي يُسمَّى بالصفة، فعندما يثبتون اسم (الله) عَزَّوَجَلَّ، يثبتونه حقيقة، قال ابن تيمية: "وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أنَّ الله حيٌّ حقيقة عليمٌ حقيقة قديرٌ حقيقة سميعٌ حقيقة بصيرٌ حقيقة"[٤].

وينزهون الله عَزَّوَجَلَّ عن مشابهة المخلوقين؛ لأنه عُلم من طريق المشاهدة أنَّ بعض المخلوقات تتفق في الأسماء وتختلف في الحقيقة والكيفية، فأنت تشاهد -على

---

(١) تفسير سورة الفاتحة، ص١٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٢.

(٣) نفسه، ص١٤١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٦٩/٥.

سبيل المثال- أنَّ للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وقوةً ليست كقوَّة الجمل مع الاتفاق في الاسم.

قال ابن تيمية: "ليس للمطلق مسمًّى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا بين المسميين، وعند الاختصاص يُقيَّد ذلك بما يتميَّز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق، ولا بدَّ من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يفهم منها ما دلَّ عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق وما دلَّ عليه بالإضافة والاختصاص"[(١)].

فالله عَزَّوَجَلَّ سمَّى نفسه بالحي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[(٢)].

وسمَّى بعض عباده حيًّا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[(٣)].

وليس هذا الحيُّ مثل هذا الحي؛ لأن قوله: {الحي} اسمٌ لله مختصٌّ به، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ اسمٌ للحيِّ المخلوق مختصّ به، وكذلك يقال في اسم الله (العليم) فإنَّ الله تسمَّى به، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(٤)]، وقال في حق المخلوق: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[(٥)]، [(٦)].

وكل اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ له معنى يخصُّه غير الاسم الآخر، وليس معنى

---

(١) شرح الرسالة التدمرية، ص١٢٧.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) سورة الأنعام: ٩٥.

(٤) سورة النساء: ٢٦.

(٥) سورة الذاريات: ٢٨.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى ٣/١١.

الاسم هو الذات فقط، إلا أنَّ الأسماء غير معلومة الحقيقة والكيفية، فالمعاني معلومة واضحة لنا من لغة العرب، أما الكيفية فمجهولة لنا نعجز عن إدراكها.

وأسماء الله عَزَّوَجَلَّ أعلامٌ باعتبار دلالاتها على الذات، وهي أوصاف باعتبار دلالاتها على المعاني، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾[2].

فالآية الأولى أثبتت اسم الله الرحيم، والثانية أثبتت صفة الرحمة التي تضمَّنها اسم الله الرحيم.

فهذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على الذات، ومتباينة باعتبار دلالتها على الصفات.

أمَّا الإيمان بما يتعلَّق به الاسم من آثار، هو: الحكم والمقتضى، وليس عامًّا في جميع الأسماء، فإنَّ أسماء الله إن دلَّت على وصفٍ متعدٍّ فإنَّه يثبت الاسم وما دلَّ عليه من معنى، مثال ذلك: اسم الله (الرحيم)، متضمِّنٌ لصفة الرحمة، ويتعلَّق به الأثر، وإن دلَّت الأسماء على وصف لازم غير متعدٍّ فإنَّ هذه الأسماء تتضمَّن أمرين هما:

ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

وثبوت الصفة التي تضمَّنها الاسم لله عَزَّوَجَلَّ، وليس لها أثرٌ أو حكم؛ لأنَّه وصفٌ لازمٌ لا يتعدَّى إلى الغير، مثل: اسم الحي، وهو متضمِّنٌ لصفة الحياة لله عَزَّوَجَلَّ[3].

---

(١) سورة يونس: ١٠٧.

(٢) سورة الكهف: ٥٨.

(٣) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه، ص١٣.

وابن عجيبة مثله مثل غيره من الأشاعرة في إثباته لأسماء الله الحسنى، يثبتها إلا أنه يثبتها بما يوافق معتقده الأشعري، فإذا كان الاسم دالًا على صفة يؤولونها، نفوا دلالة الاسم على هذا المعنى الذي ينفونه، وإن كان موافقًا لمذهب السلف، وسأذكر أمثلة على ذلك منها:

اسم الله (العلي الأعلى): أول المعنى؛ لكي ينفي صفة العلو الذاتي لله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا التأويل قال به عددٌ من الأشاعرة(١)، وسيأتي إثبات هذه الصفة وفق معتقد أهل السُّنَّة والجماعة.

اسم الله (الحليم): أوَّل المعنى بقوله: "الذي لا يعاجل بالعقوبة لمن يستحقها"(٢).

وهذا التفسير الذي أراد به التنزيه -بزعمه- قد عطَّل صفة الله عَزَّوَجَلَّ، فقد أوَّل الاسم لنفي الصفة، بل قال: "فيكون من الصفة النفسيَّة"(٣).

اسم الله (النور): أوَّل معناه بـ(منوِّر السموات).

ففسَّره بلازمه مع عدم إثبات ما تضمَّنه من الصفة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والقرآن والحديث وأقوال الصحابة صريحٌ بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نور السماوات والأرض، ولكن عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير

---

(١) قال عبد القاهر البغدادي: "في إحالة كون الإله في مكان دون مكان"، ينظر: أصول الدين للبغدادي، ص١١٣، ويقول أيضًا: "لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان ... قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان". ينظر: الفرق بين الفرق، ص٣٣٣.

(٢) تفسير سورة الفاتحة، ص١٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤١، وسيأتي بيان تقسيم الصفات عند الأشاعرة.

اللفظة بعض معانيها ولازمًا من لوازمها أو الغاية المقصودة منها أو مثالًا ينبه السامع على نظيره، وهذا كثيرٌ في كلامهم لمن تأمَّله، فكونه سبحانه هاديًا لا ينافي كونه نورًا، وما ذكر ... أنه بمعنى منوِّر ... لا ينافي كونه في نفسه نورًا وأن يكون النور من أسمائه وصفاته بل يؤكِّد ذلك، فإنَّ الموجودات النورانية نوعان (منها) ما هو في نفسه مستنير ولا ينير غيره كالجمرة مثلًا، فهذا لا يقال له نور، ومنها ما هو مستنيرٌ في نفسه وهو منيرٌ لغيره كالشَّمس والقمر والنار، وليس في الموجودات ما هو منوِّرٌ لغيره وهو في نفسه ليس بنور بل إنارته لغيره فرع كونه نورًا في نفسه"[(١)].

وما تأوله ابن عجيبة باطل، فأئمة السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أثبتوا هذا الاسم حقيقة لله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم: "ومن أسمائه النور"[(٢)].

ويقول أيضًا: "الله عَزَّوَجَلَّ سمَّى نفسه نورًا، وجعل كتابه نورًا، ورسوله نورًا، ودينه نورًا، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نورًا يتلألأ، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[(٣)][(٤)].

وما فسَّره ابن عجيبة بكونه مُنوِّر السماوات والأرض، فهو يفسر الأسماء بلوازم معناها مع نفي الصفة، وإلا فالنُّور الذي هو من أوصافه قائمٌ به، ومنه اشتق له

---

(١) مختصر الصواعق ١٩٩/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٦/١.

(٣) سورة النور: ٣٥.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ٤٠٥/٢.

(اسم النُّور) الذي هو أحد الأسماء الحسنى[١].

والنُّور صفة الكمال، وضدُّه صفة نقص، ولهذا سمَّى الله نفسه نورًا، وسمَّى كتابه نورًا، وجعل لأوليائه النور ولأعدائه الظلمة[٢].

اسم الله (السلام): جعله من الصفات السلبية فقال: "السلام صفة سلب"[٣].

ومعرفة الله عَزَّوَجَلَّ ليست بمعرفة صفات السَّلب، بل الأصل فيها صفات الإثبات، والسَّلب تابعٌ ومقصوده تكميل الإثبات[٤].

"فإنَّ السَّلب لا يراد لذاته، وإنما يقصد لما يتضمَّنه من إثبات الكمال، فكلُّ ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص فإنَّه متضمِّنٌ للمدح والثناء على الله بضد ذلك من النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة"[٥].

والسلام: اسمٌ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الدالة على تنزيهه عن النقائص والعيوب على جهة العموم أيضًا، وقال العلماء في تفسيره:

السالم من جميع العيوب والنقائص، كاملٌ في ذاته، وصفاته، وأفعاله[٦]، وهو مشتَّقٌّ من السَّلامة، أي مبرءٌ من الآفات الظاهرة والباطنة[٧].

---

(١) ينظر اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية، ص٤٤-٤٥.

(٢) ينظر مختصر الصواعق المرسلة ١٠٥٤/٣، ١٠٢٥، ١٠٣٣.

(٣) تفسير الفاتحة الكبير، ص١٢٢.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ١١٢/١٧.

(٥) شرح القصيدة النونية، للهراس ٥٥/٢، وينظر: القواعد المثلى، ص٢٤.

(٦) ينظر بدائع الفوائد ١٣٨/٢، وشفاء العليل ١٨٠/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١٠.

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٢١، ومختار الصحاح، ص١٣١.

قال ابن القيم رحمه الله: "وأخطأ كلَّ الخطأ من زعم أنَّه من أسماء السُّلوب، فإنَّ السَّلب المحض لا يتضمَّن كمالًا، بل اسم السلام متضمِّنٌ للكمال السالم من كلِّ ما يضاده، وإذا لم تظلم هذا الاسم ووفَّيته معناه وجدته مستلزمًا لإرسال الرُّسُل، وإنزال الكتب وشرع الشرائع، وثبوت المعاد وحدوث العالم، وثبوت القضاء والقدر، وعلو الرَّبِّ تعالى على خلقه ورؤيته لأفعالهم وسمعه لأصواتهم واطلاعه على سرائرهم وعلى نياتهم، وتفرده بتدبيرهم وتوحده في كماله المقدَّس عن شريكٍ بوجه من الوجوه، فهو السَّلام الحقُّ من كلِّ وجه، كما هو التنزيه البريء عن نقائص البشر من كلِّ وجه، ولما كان سبحانه موصوفًا بأنَّ له يدين لم يكن فيهما شمال، بل كلتا يديه يمين مباركة، كذلك أسماؤه كلُّها حسنى، وأفعاله كلُّها خير، وصفاته كلُّها كمال"(١).

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله-: "... سلامٌ في صفاته من كلِّ عيبٍ ونقص، وسلامٌ في أفعاله من كلِّ عيبٍ ونقصٍ وشرٍّ وظلمٍ وفعلٍ واقع على غير وجه الحكمة، فهو السَّلام الحقُّ من كلِّ وجه وبكلِّ اعتبار، وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزَّه به نفسه، ونزَّهه به رسوله، فهو السَّلام من الصاحبة والولد، والسَّلام من النظير والكفء، والسَّميُّ والمماثل، والسَّلام من الشريك.

ولهذا إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كلَّ صفةٍ سلامًا ممَّا يضاد كمالها ... وهكذا جميع صفاته وأفعاله سلامٌ من كلِّ ما يتوهَّمه معطِّلٌ أو تخيَّله مشبِّه -تعالى ربُّنا السَّلام- عمَّا يضاد كماله ... فلله تعالى ما يليق به من المعاني الكاملة السالمة من النقائص والعيوب، وللمخلوق ما يناسبه ويليق بضعفه"(٢).

---

(١) أحكام أهل الذمة ١/١٣٩.

(٢) شرح كتاب التوحيد في صحيح البخاري ١/١٢٦-١٢٧.

ج: تسميته لله عَزَّوَجَلَّ بما لم يرد في الكتاب والسُّنَّة

مثل: "المنتقم"، "وقديم لا أوَّل له"(١)، "ومنتقمٌ من أسمائه تعالى"(٢).

وضع العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ ضابطًا لمعرفة الأسماء الحسنى، يتبيَّن ذلك من خلال تعريف ابن تيمية للأسماء الحسنى، بقوله: الأسماء الحسنى المعروفة، هي التي يُدعى بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها(٣).

وهذا التعريف مستنبطٌ من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٤)، فهي توقيفيَّة بمعنى أنها وردت في الكتاب والسُّنَّة، وهي معهودة، فالألف واللام في قول الله تعالى: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾ للعهد، وكذلك أسماء الله الحسنى تقتضي المدح والثناء بنفسها، وهذا مستنبطٌ من قول الله تعالى: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وهي التي يُدعى بها وهي مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

فإذا اكتملت هذه الضوابط في الاسم نثبته لله عَزَّوَجَلَّ(٥).

ولهذا قول ابن عجيبة (المنتقم) من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مخالفٌ لما قرَّره وبيَّنه أهل العلم.

قال ابن تيمية: "واسم (المنتقم) ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ وإنما جاء في القرآن مقيَّدًا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(٧)(٨).

---

(١) رسالة في العقائد مخطوط، ل/١، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص١٩٩.

(٢) شرح البردة، ص٣١٢، وينظر: البحر المديد ٦٦/١.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ص٥.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٥) ينظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى، ص٣٨-٣٩.

(٦) سورة السجدة: ٢٢.

(٧) سورة إبراهيم: ٤٧.

(٨) مجموع الفتاوى ٩٦/٨.

وهذا الذي رجَّحه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدم صحَّة هذا الاسم لله عَزَّوَجَلَّ فقال: "وأما كونه القديم الأزلي واحدًا، فهذا اللَّفظ لا يوجد في كتابٍ ولا في سنة نبيه ﷺ، بل ولا جاء اسم القديم في أسماءِ الله تعالى، وإن كان من أسمائه (الأول).

والأقوال نوعان: فما كان منصوصًا في الكتاب والسُّنَّة وجب الإقرار به على كلِّ مسلم.

وما لم يكن له أصلٌ في النَّص والإجماع، لم يجب قبوله ولا ردُّه حتى يعرف معناه"[1].

وردَّ أيضًا على أهل الكلام الذين أطلقوا اسم (القديم) على الله عَزَّوَجَلَّ "والصواب أنَّ القديم ما تقدَّم على غيره في اللغة التي جاء بها القرآن، وأما كونه كان معدومًا، أو لم يكن معدومًا، فهذا لا يشترط في تسميته قديمًا، والله أحقُّ أن يكون قديمًا؛ لأنه متقدِّمٌ على كلِّ شيء لكن لما كان لفظ القديم فيه نواحٍ لا تدلُّ مطلقة إلا على المتقدِّم على غيره، كان اسم الأوَّل أحسن منه فجاء في أسمائه الحسنى التي في الكتاب والسُّنَّة أنَّه الأول، وفرق بين الأسماء التي يُدعَى بها وبينما يُخبر به من الألفاظ لأجل الحاجة إلى بيان معانيها"[2].

ولذلك عدَّ العلماء من الإلحاد في أسماء الله "العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله عَزَّوَجَلَّ"[3].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال أهل التفسير: ومن الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السُّنَّة الصحيحة"[4].

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية ١٢٣/٢.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١٧١/٥-١٧٢.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد، ص١٥٣-١٥٤.

(٤) فتح الباري ٢٢١/١١.

مسألة: الاسم والمسمَّى وموقف ابن عجيبة منها

قال ابن عجيبة: "الاسم عين المسمَّى في التحقيق"(١)، وبهذا القول قد وافق قول الأشاعرة(٢).

وقد نشأت هذه المقالة نتيجة الخلاف مع المعتزلة في عهد الإمام أحمد رحمه الله في إبطال قولهم: إنَّ الاسم غير المسمَّى(٣)، علمًا أنه كره الخوض في ذلك؛ لأنه عدَّه من المحدثات(٤).

وفي هذا الصدد نبيِّن موقف العلماء في هذه المسألة.

قال ابن تيمية رحمه الله: "القول في الاسم والمسمَّى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف فيها قولٌ لأحدٍ من الأئمة، وأنَّ حسب الإنسان أن ينتهي إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ﴾(٥)، وهذا هو القول بأنَّ الاسم للمسمَّى، وهذا الإطلاق اختيار أكثر المنتسبين إلى السُّنَّة من أصحاب الإمام أحمد وغيره"(٦).

القول الثاني: أنَّ الاسم هو المسمَّى، أي الاسم يراد به المسمَّى.

قال ابن تيمية: "والذين قالوا: الاسم هو المسمَّى أمثال: أبي بكر عبد العزيز(٧)، وأبي القاسم الطبراني(٨)، واللالَكائي(٩)، وأبي محمد البغوي صاحب

(١) البحر المديد ٢/١٥٦.

(٢) ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني، ص٢٥٨، وأصول الدين، ص١١٤.

(٣) ينظر: صريح السُّنَّة، للطبري، ص٢٥-٢٦.

(٤) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٩٩.

(٥) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٦) قاعدة في الاسم والمسمَّى، ضمن مجموع الفتاوى ٦/١٨٧.

(٧) هو أبو بكر، عبد العزيز بن جعفر البغوي، معروف بغلام الخلال، وهو من تلاميذه، كان واسع الرواية وكثير العبادة، ويعرف بأنه من أئمة الحنابلة، توفي سنة ٣٦٣هـ. ينظر: تاريخ بغداد ١٠/٤٩٥، طبقات الحنابلة ٢/١١٩.

(٨) هو أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، ولد بعكَّا سنة ٢٦٠هـ، جمع وصنَّف وعُمِّر دهرًا طويلًا، وازدحم عليه المحدِّثون، له مصنفات منها: المعجم الصغير، المعجم الكبير، كانت وفاته سنة ٣٦٠هـ. ينظر: وفيان الأعيان ٢/٢٧٤، سير أعلام النبلاء ١٢/٢٠١.

(٩) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، روى عنه: أبو بكر الخطيب، وابنه محمد بن هبة =

شرح السُّنَّة وغيرهم"[1].

والقول الثاني وهو المشهور عن أبي الحسن[2]: أنَّ الأسماء ثلاثة أقسام: تارة يكون الاسم هو المسمَّى كاسم الموجود، وتارة يكون غير المسمَّى كاسم الخالق، وتارة لا يكون هو ولا غيره كاسم العليم والقدير.

وهؤلاء الذين قالوا: إنَّ الاسم هو المسمَّى لم يريدوا بذلك أنَّ اللَّفظ المؤلَّف من الحروف هو نفس الشخص المسمَّى به، فإنَّ هذا لا يقوله عاقل؛ ولهذا يقال: لو كان الاسم هو المسمَّى لكان من قال: **نار** احترق لسانه، ومن الناس من يظنُّ أنَّ هذا مرادهم، ويشنِّع عليهم، وهذا غلطٌ عليهم؛ بل هؤلاء يقولون: اللَّفظ هو التسمية، والاسم ليس هو اللَّفظ؛ بل هو المراد باللَّفظ فإنَّك إذا قلتَ: يا زيد، يا عمرو، فليس مرادك دعاء اللَّفظ، بل مرادك دعاء المسمَّى باللَّفظ، وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمَّى.

وهذا لا ريب فيه إذا أخبر عن الأشياء فذُكِرَتْ أسماؤها، فقيل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[3]، ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[5]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[6] فليس المراد أنَّ هذا اللَّفظ هو الرَّسُول، وهو الذي كلَّمه الله.

=

الله، وكانت وفاته سنة ٤١٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/١٣٦.

(١) مجموع الفتاوى ٦/١٨٧-١٨٨.

(٢) أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وكان في بداية أمره على مذهب المعتزلة، ثم انتقل إلى مذهب الكُلَّابية، توفي سنة ٣٤٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٨٥.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٥) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٦) سورة النساء: ١٦٤.

وكذلك إذا قيل: جاء زيدٌ وأشهد على عمرو، وفلانٌ عدلٌ ونحو ذلك، فإنَّما تذكر الأسماء والمراد بها المسمَّيات، وهذا هو مقصود الكلام، فلما كانت أسماء الأشياء إذا ذُكرت في الكلام المؤلَّف فإنَّما المقصود هو المسمَّيات، قال هؤلاء: الاسم هو المسمَّى وجعلوا اللفظ هو الاسم عند الناس هو التسمية، كما قال البغوي: والاسم هو المسمَّى وعينه وذاته"[1].

"أمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[2]، فأخبر أنَّ اسمه يحيي، ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾[3] فهذا اسمه، ليس اسم ذاته فالمقصود المراد بنداء الاسم هو نداء المسمَّى؛ لم يقصد نداء اللفظ"[4] وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾[5].

وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسمَّيات، وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[6]، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾[7].

قال أبو الحسن: ثم يقال للتسمية أيضًا اسم، واستعماله في التسمية أكثر من المسمَّى.

وقال أبو بكر بن فورك[8]: اختلفت النَّاس في حقيقة الاسم، ولأهل اللُّغة في ذلك كلام، ولأهل الحقائق فيه بيان، وبين المتكلِّمين فيه خلاف.

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/١٨٨-١٨٩.

(٢) سورة مريم: ٧.

(٣) سورة مريم: ١٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/١٩٢.

(٥) سورة يوسف: ٤٠.

(٦) سورة الأعلى: ١.

(٧) سورة الرحمن: ٧٨.

(٨) محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، الأصبهاني، من كبار الأشاعرة المتكلمين، ومن فقهاء الشافعية، سمع بالبصرة وبغداد، وحدَّث بنيسابور، من مصنفاته: مشكل الحديث، الحدود في الأصول، توفي سنة ٤٠٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٢١٤، طبقات فقهاء الشافعية ١/١٣٦، الوافي بالوفيات ١/٢٨٩.

فأمَّا أهل اللُّغة فيقولون: الاسم حروفٌ منظومة دالَّةٌ على معنى مفرد، ومنهم من يقول: إنَّه قول يدلُّ على مذكور يضاف إليه؛ يعني: الحديث والخبر.

قال: وأما أهل الحقائق فقد اختلفوا أيضًا في معنى ذلك، فمنهم من يقول: اسم الشيء هو ذاته وعينه (**أي هو المسمَّى**)، والتسمية عبارة عنه ودلالة عليه، فيسمى اسمًا توسُّعًا.

وقالت الجهمية والمعتزلة: الأسماء والصفات: هي الأقوال الدالَّة على المسمَّيات، وهو قريبٌ مما قاله بعض أهل اللُّغة.

والثالث: لا هو، ولا هو غيره، كالعلم والعالم، ومنهم من قال: اسم الشيء هو صفته ووصفه.

قال: والذي هو الحق عندنا: قول من قال: اسم الشيء هو عينه وذاته، واسم الله هو الله، وتقدير قول القائل: بسم الله أفعل، أي: بالله أفعل، وأنه اسمه هو.

قال: وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام(١)، واستدلَّ بقول لَبيد(٢):

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر(٣)

والمعنى: ثم السلام عليكما، فإنَّ اسم السلام هو السلام.

---

(١) أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي الأزدي البغدادي، من علماء الحديث، ولد سنة ١٥٧هـ، تولى القضاء بطرسوس ثمانية عشرة سنة، له مصنفات منها: الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، الغريب المصنَّف في غريب الحديث، كانت وفاته سنة ٢٢٤هـ. ينظر: تذكرة الحفَّاظ ٤١٧/٢.

(٢) لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر، كان شريفًا في الجاهلية والإسلام، قدم على النبي ﷺ مع وفد قومه، فأسلم وحَسُن إسلامه، توفي سنة ٤١هـ. ينظر: طبقات فحول الشعراء ١٣٥/١، المؤتلف والمختلف، ص١٤٥.

(٣) ديوان لبيد، ص٧٩.

قال: واحتج أصحابنا في ذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[(1)]، وهذا هو صفة للمسمَّى لا صفة لما هو قول وكلام، وبقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[(2)]، فإنَّ المسبَّح هو المسمَّى وهو الله، وبقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا﴾[(3)]، ثم قال: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيًّا﴾[(4)]، فنادى الاسم وهو المسمَّى"[(5)].

قلنا: الفقهاء أجمعوا على أنَّ الحالف باسم الله كالحالف بالله، في بيان أنه تنعقد اليمين بكلٍّ واحدٍ منهما؛ فلو كان اسم الله غير الله لكان الحالف بغير الله لا تنعقد يمينه، فلما انعقد، ولزم بالحنْث فيها كفَّارة دلَّ على أنَّ اسمه هو، ويدلُّ عليه أنَّ القائل إذا قال: ما اسم معبودكم؟ قلنا: الله، فإذا قال: ما معبودكم؟ قلنا: الله، فنجيب في الاسم بما نجيب به في المعبود، فدلَّ على أنَّ اسم المعبود هو المعبود لا غير، وبقوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾[(6)]، وإنما عبدوا المسمَّيات لا الأقوال التي هي أعراض لا تعبد.

قال: فإن قيل: أليس يقال: الله إلهٌ واحدٌ وله أسماء كثيرة، فكيف يكون الواحد كثيرًا؟ قيل: إذا أطلق أسماء، فالمراد به مسميات المسمَّين، والشيء قد يُسمَّى باسم دلالته كما يُسمَّى المقدور قدرة.

---

(١) سورة الرحمن: ٧٨.

(٢) سورة الأعلى: ١.

(٣) سورة مريم: ٧.

(٤) سورة مريم: ١٢.

(٥) مجموع الفتاوى ٦/١٨٧- ١٩٠.

(٦) سورة يوسف: ٤٠.

قال: فعلى هذا يكون معنى قوله: باسم الله، أي بالله، والباء معناها الاستعانة وإظهار الحاجة، وتقديره: بك أستعين وإليك أحتاج، وقيل: تقدير الكلمة: أبتدئ أو أبدأ باسمك فيما أقول وأفعل.

قلتُ: لو اقتصروا على أنَّ أسماء الشيء إذا ذُكرت في الكلام فالمراد بها المسمَّيات كما ذكروه في قوله: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾[1]، ونحو ذلك لكان ذلك معنى واضحًا لا ينازعه فيه من فهمه، لكن لم يقتصروا على ذلك؛ ولهذا أنكر قولهم جمهور الناس من أهل السُّنَّة وغيرهم؛ لما في قولهم من الأمور الباطلة، مثل دعواهم أنَّ لفظ اسم الذي هو ا س م معناه: ذات الشيء ونفسه، وأنَّ الأسماء التي هي الأسماء مثل: زيد وعمرو هي التسميات، ليست هي أسماء المسمَّيات، وكلاهما باطلٌ مخالفٌ لما يعلمه جميع الناس من جميع الأمم ولما يقولونه.

فإنهم يقولون: إنَّ زيدًا وعمرًا ونحو ذلك هي أسماء الناس، والتسمية جعل الشيء اسمًا لغيره، وهي مصدر سمَّيته تسميةً إذا جعلت له اسمًا، والاسم هو القول الدال على المسمَّى، ليس الاسم الذي هو لفظ اسم هو المسمَّى، بل يراد به المسمَّى، لأنه حكم عليه"[2]، قال الشافعي رحمه الله: "من حلف باسم من أسماء الله تعالى فعليه الكفَّارة؛ لأنَّ اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة، أو بالصفا والمروة فليس عليه الكفَّارة؛ لأنَّه مخلوق، وذاك غير مخلوق"[3].

والرأي الأصحُّ والأسلم الذي ذكره شارح الطحاوية بقوله: "وطالما غلط كثيرٌ

---

(١) سورة مريم: ١٢.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٦/١٩٠-١٩١-١٩٢، ١٢/١٦٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي، ص١٩٣، قال: حدَّثني الربيع بن سليمان المرادي، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/١١٣، والبيهقي في الأسماء والصفات، ص٢٢٥-٢٥٦.

من الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمَّى تارة، ويراد به اللَّفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك -فهذا المراد به المسمَّى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله ونحو ذلك- فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمَّى، ولا يقال غيره؛ لما في لفظ الغير من الإجمال: فإن أريد بالمغايرة أنَّ اللَّفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أنَّ الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سمَّاه خلقه بأسماء من صنعهم- فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى"[1].

وهذا القول هو الموافق لصريح الكتاب والسُّنَّة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال النبي ﷺ: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[3].

ثانيا: آراؤه في صفات الله تعالى

أ- تقسيم الصفات وطريقته في إثباتها

أولًا: صفات نفسيَّة: وهي: "كل صفة إثبات للنفس لازمة ما بقيت النفس وغير معللة بعللٍ قائمة بالموصوف"[4].

ومثال ذلك: قال ابن عجيبة: "الحليم من الصفة النفسية"[5].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص٨٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثُّنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم ٢/٢٨٥، رقم ٢٧٣٦.

(٤) الشامل، ص٣٠٨.

(٥) تفسير الفاتحة الكبير، ص١٤١.

ثانيًا: الصفات السلبيَّة هي: "ما يكون السَّلب معتبرًا في مفهومها"(١).

مثال ذلك: قال عن اسم الله عَزَّوَجَلَّ السلام: معناه راجعٌ إلى تنزُّه الحقِّ عن الآفات المقدَّسة "وهو صفة سلب"(٢).

ثالثًا: صفات المعاني أو الصفات الثبوتيَّة، وهي: "كلُّ صفةٍ دلَّ الوصف بها على معنى زائد على الذات"(٣).

والضابط في اصطلاحهم: هي ما دلَّ على معنى وجوديٍّ قائمٍ بالذات، ولم يقر هؤلاء إلا بسبعٍ منها: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، ونفوا ما عداها من صفات المعاني، كالرأفة، والرحمة، والحلم(٤).

رابعًا: الصفات المعنويَّة، وهي: "الأحكام الثابتة للموصوف بها معلَّلة بعللٍ قائمةٍ بالموصوف"(٥).

وهي (كونه قادرًا، ومريدًا، وحيًّا، وعالِمًا، ومتكلِّمًا، وسميعًا، وبصيرًا).

وهذه الصِّفات التي يزعم ابن عجيبة أنه أثبتها، اشتملت على عشرين صفة على حدِّ زعمه وهي: "الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية، والقدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه تعالى قادرًا، ومريدًا، وعالِمًا، وحيًّا، وسميعًا، وبصيرًا، ومتكلِّمًا"(٦).

---

(١) الشامل، ص٣٠٨.

(٢) تفسير الفاتحة الكبير، ص١٢٢، ١٤٧.

(٣) الشامل، ص٣٠٨.

(٤) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص٥، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها، ص٨٠.

(٥) الإرشاد، ص٥١.

(٦) مخطوط رسائل في العقائد، ل/٤.

والصفات التي أخبر بها الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ آمن بها الصحابة رضي الله عنهم، وتلقَّوها بالقبول والتسليم، وسار على نهجهم من وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ لفهمها وفق منهج السلف الصالح.

وكذلك لم يتكلَّفوا تقسيم الصفات أو الخوض في ذلك إلا عندما اضطروا إليه؛ لأنهم لم يتجاوزوا الكتاب والسُّنَّة، ولم يؤثر عن الصحابة رضي الله عنهم أن تنازعوا في مسألة من مسائل الصفات، بل آمنوا بها وأمرُّوها كما جاءت، قال المقريزي رحمه الله[(١)]: "ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفيَّة، علم أن لم يرد قطُّ من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيءٍ مما وصف الرَّب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، بل كلُّهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ... ولا فرَّق أحدٌ منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل"[(٢)].

ولكن لما نبتت نابتة من أهل البدع ونفوا الصفات أو أوَّلوها، أو ردُّوا بعضها، كان لا بدَّ لأهل السُّنَّة من ردِّ باطلهم.

وابن عجيبة سلك مسلك الأشاعرة في تقسيمه للصفات وبهذا خالف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة.

---

(١) هو أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد تقي الدين المقريزي، له مصنفات منها: تجريد التوحيد المفيد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ولد في مصر، وتوفي سنة ٨٤٥هـ. ينظر: شذرات الذهب ٣٧٠/٩، إنباء الغمر بأبناء العمر، ١٧٠/٩.

(٢) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار بعنوان: (ذكر الحال في عقائد أهل الإسلام منذ ابتداء الملة الإسلامية إلى أن انتشر مذهب الأشعرية) ٤٣٤/٤.

ولقد بيَّن العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ القول الحق في تقسيم الصفات.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الصفات نوعان[1]:

أحدهما: صفات نقص، فهذه يجب تنزيه الله عنها مطلقًا، كالموت، والعجز، والجهل.

والثاني: صفات كمال، مثل القيُّوم، وصفة الحياة، وغيرها من صفات الكمال المثبتة في الكتاب والسُّنَّة، فهذه يمتنع أن يماثله فيها شيء[2].

وتنقسم إلى قسمين: صفات ثبوتيَّة وصفات منفيَّة.

والصفات الثبوتيَّة تنقسم إلى قسمين من جهة تعلقها بالله عَزَّوَجَلَّ وهي:

صفات ذاتيَّة وصفات فعليَّة[3].

١- **الصفات الذاتيَّة**: هي التي لا تنفكُّ عن الذات، والتي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها[4].

مثل: (الوجه، اليدين، العينين)[5].

٢- **الصفات الفعلية**: وتُسمَّى الصفات الاختياريَّة، وهي المتعلقة بالمشيئة والقدرة، أو هي التي تنفكُّ عن الذَّات[6]، مثل: الاستواء، والمجي، والنزول.

---

(١) على وجه العموم.

(٢) الصفدية ١/١٠٢.

(٣) وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية، مثل: صفة الكلام، صفة ذاتية من حيث النوع والأصل، وفعلية باعتبار آحاد الكلام، وأفراده صفة فعلية؛ لأنَّ أفراد الكلام، وآحاده تقع بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، ينظر: فتح العلي الأعلى بشرح القواعد المثلى، الشيخ عبيد الجابري، ص١٣١.

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص١٢٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٦/٦٨.

(٦) ينظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ص٥٧.

الصفات المنفية: وهي التي نفاها الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه في كتابه أو لسان رسوله ﷺ مع إثبات[1] كمال ضدِّها له تعالى.

وكما هو معلوم أنَّ النفي المحض ليس فيه مدحٌ ولا كمالٌ إلا إذا تضمَّن إثباتًا، وإلا فمجرَّد النفي ليس فيه مدحٌ ولا كمال؛ لأنَّ النَّفي المحض عدمٌ محض.

ولهذا كان عامة ما وصف الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه من النَّفي متضمِّنًا لإثبات مدح كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[2] فنفي السِّنَة والنوم يتضمَّن كمال الحياة والقيام[3].

وتنقسم الصفات من حيث الدليل إلى قسمين:

١- **الصفات الخبرية**، وهي التي دلَّ على ثبوتها الخبر عن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ولا مجال للعقل في نفيها أو إثباتها[4].

٢- **الصفات العقليَّة**: هي التي دلَّ العقل[5] عليها إضافةً إلى أنها ثابتة بدلالة الكتاب والسُّنَّة، فهي شرعيَّة عقليَّة، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فهي شرعيَّة؛ لأنَّ الشرع دلَّ عليها، وأرشد إليها، وهي عقليَّة؛ لأنها تُعلم صحتها بالعقل، ولا يقال إنها لم تُعلم إلا بمجرَّد الخبر، فإذا أخبر الله بالشيء ودلَّ عليه بالدلالات العقليَّة صار مدلولًا عليه بخبره ومدلولًا عليه بدليله العقلي الذي يُعلم به، فيصير ثابتًا بالسمع والعقل، وكلاهما داخلٌ في دلالة القرآن التي تُسمَّى (الدلالة الشرعية)"[6].

(١) ينظر: بدائع الفوائد ١/١٦٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) ينظر: التدمرية، ص٥٧-٥٨.

(٤) ينظر: بيان تلبيس الجهمية ١/٧٥-٨٧، الصفات الإلهية، لمحمد أمان الجامي، ص٢٠٧، والتبصير في معالم الدين، ص١٣٢.

(٥) العقل الموافق للشرع.

(٦) مجموع الفتاوى ٦/٧١-٧٢.

وقال أيضًا: "والمقصود هنا أنَّ من صفات الله تعالى ما قد يُعلم بالعقل، كما يُعلم أنه عالم، وأنه قادرٌ، وأنه حيٌّ، كما أرشد إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

وقد اتفق النُّظَّار من مثبتة الصفات على أنه يُعلم بالعقل -عند المحققين- أنَّه حيٌّ، عليمٌ قدير، مريدٌ، وكذلك السَّمع والبصر والكلام يثبت بالعقل عند المحققين منهم، بل وكذلك الحبُّ والرِّضا، والغضب يمكن إثباته بالعقل، وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لها مما يُعلم بالعقل، كما أثبتته الأئمة مثل: أحمد بن حنبل وغيره"[2].

وقسَّم العلماء الصفات الفعلية من جهة تعلُّقها بمتعلقها إلى قسمين[3]:

١- **متعدية:** وهي ما تعدَّت لمفعولها بلا حرف جرَّ مثل: خلق، ورزق، وهدى، وأضلَّ، ونحوها.

٢- **لازمة:** وهي ما تتعدَّى لمفعولها بحرف جر كالاستواء والمجيء والإتيان والنزول ونحوها.

والقولُ السابقُ أصلُه عند ابن تيمية رحمه الله فقد قسَّمها هذا التقسيم بقوله: "القول الثابت: إثبات الفعلين اللازم والمتعدي كما دلَّ عليه القرآن فنقول: إنه كما أخبر عن نفسه: أنَّه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وهو قول السلف، وأئمة السُّنَّة"[4].

---

(١) سورة الملك: ١٤.

(٢) التدمرية، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها، ص٦٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٨/١٤.

وأيضًا تبعه على هذا التقسيم تلميذه ابن القيم بقوله: "فأفعاله نوعان: لازمة، ومتعدية، كما دلَّت النصوص التي هي أكثر من أن تحصر على النوعين"[1].

وابن عجيبة كما يظهر أنه سلك مسلك الأشاعرة المتأخرين بتقسيم الصفات إلى أربعة أقسام، كما مرَّ معنا، وليس عندهم من الإثبات -بزعمهم- إلا صفات المعاني التي خالفوا فيها منهج أهل السُّنَّة والجماعة في إثباتها، بقولهم إنها أزليَّة، ولزومها لذات الرَّب أزلًا وأبدًا، وهم خشوا بذلك إن أثبتوها -بحسب زعمهم- حلول الحوادث بالله تعالى[2].

وردّ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله على ما زعموه في هذه الصفات السبع بقوله: "والتحقيق أنَّ عد الصفات السبع المعنوية ... لا وجه له؛ لأنها في الحقيقة إنما هي كيفية الاتصاف بالمعاني السبع التي ذكرنا، ومن عدَّها من المتكلِّمين عدّوها بناءً على ثبوت ما يسمونه الحال المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية، لا معدومة ولا موجودة، والتحقيق أنَّ هذه خرافة وخيال، وأنَّ العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطةً البتَّة، فكلُّ ما ليس بموجود فهو معدومٌ قطعًا، وكلُّ ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعًا، ولا واسطة البتَّة كما هو معروفٌ عند العقلاء"[3].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٢٩.

(٢) ينظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة، ص١٠٢-١٠٥، والمواقف، للإيجي، ص٢٨١، و٢٩٤، وينظر أيضًا: مجموع الفتاوى ١٦/٣٠١.

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص١٩-٢٠.

ب- تأويلاته في باب الصفات

آراؤه في الصفات الذاتية.

تعريف صفة العلو وموقف ابن عجيبة منها.

العلو: ضدُّ السُّفل.

العين واللام والحرف المعتل ياءً كان، أو واوًا، أو ألفًا، أصلٌ واحدٌ يدلُ على السُّموِّ والارتفاع(١)، ومنه العلاء والعلوُّ، فالعلاءُ: الرفعة، والعلوُّ: العظمة والتجبُّر(٢)، والعلو يُطلق في اللُّغة على معان هي: علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر(٣).

وعلو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الصفات الذاتية الثابتة، سمعًا، وعقلًا، وفطرةً، ولقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على إثبات هذه الصفة على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ويعتقد ابن عجيبة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ منزَّهٌ عن العلو، فقال: "كان الله ولا أين ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان"(٤)، وهو بهذا ينفي علو الله عَزَّوَجَلَّ الذاتي.

وما اعتقده ابن عجيبة يخالف ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة في إثباتها بدلالة السَّمع والفطرة والعقل.

أولًا: الأدلة السَّمعية

الأدلة السمعيَّة على إثبات صفة العلو كثيرة، وقد عدَّ ابن القيم عشرين نوعًا، ذكر منها(٥):

---

(١) مقاييس اللغة ١١٢/٤.

(٢) العين ٢٤٥/٢.

(٣) تهذيب اللغة ٢٥٣٦/٣.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٧٣.

(٥) ينظر: مختصر الصواعق ٢٠٥/٢.

* التصريح بالصعود، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1].

* التصريح بذكر أنه في السَّماء، قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[2].

* الفوقية المقرونة بـ(من)، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3].

* ذكر العلو، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[4].

* ذكر التنزيل، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[5].

ثانيًا: الأحاديث الدالة على علو الله تعالى وتنوع دلالتها

١- التصريح برفع الأيدي إلى الله عَزَّوَجَلَّ: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ ربكم تبارك وتعالى حييٌّ كريم يَستْحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرُدَّهما صِفْرًا»[6].

٢- التصريح بلفظ الأين، مثل سؤال النبيﷺ للجارية، فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: كانت لي جاريةٌ ترعى غنمًا لي قِبَل أُحُدٍ والجوانية[7] فاطلعت ذات يومٍ فإذا الذئب قد ذهب بشاةٍ من غنمها وأنا رجلٌ من بني آدم آسفُ كما

(١) سورة فاطر: ١٠.

(٢) سورة الملك: ١٦-١٧.

(٣) سورة النحل: ٥٠.

(٤) سورة الشورى: ٤.

(٥) سورة غافر: ٢.

(٦) أخرجه أحمد ٤٣٨/٥، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، ٣٦٦/٢، وابن ماجه، باب رفع اليدين في الدعاء ٣٣/٥، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم ١٧٥٧.

(٧) الجوّانية بالفتح وتشديد ثانية وكسر النون، وياء مشددة، هي موضع أو قرية قرب المدينة. ينظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣٥٤/١.

يأسفون، لكني صككتُها صكَّةً، فأتيت رسول الله ﷺ فعظُمَ ذلك عليَّ، قلتُ: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها»، فأتيته بها فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السَّماء، قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(١).

٣- التشهيد، فقد خطب النبيﷺ في حجَّة الوداع وبلَّغهم، وعلَّمهم، ثم قال بأُصْبُعِهِ السَّبَّابة يرْفَعُها إلى السَّماء، وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد»(٢).

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبيﷺ وتقول: «زوجكنَّ أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»(٣).

ثالثًا: دلالة الفطرة على إثباتها

الناس مفطورون على ذلك، والإنسان إذا ناجى ربَّه رفع رأسه إلى السَّماء، ولذلك لا يلتفت لمن أنكرها؛ لأنهم إما مقرّون بقلوبهم ولكن جحدوا بألسنتهم ما في قلوبهم، أو أنَّ فطرتهم تغيَّرت بسبب علماء السوء، أو المجتمع، ولقد ذكر النبي ﷺ أنَّ الفطرة تتغيَّر بالمجتمعات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرانِهِ، كما تنتجون(٤) البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء(٥) حتى تكونوا أنتم تجدعونها»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ١/٣٨١، رقم ٥٣٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ٢/٨٨٦، رقم ١٢١٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ٤/٣٨٨، رقم ٧٤٢٠.

(٤) تنتجون: بالبناء للفاعل من الإنتاج يقال: أنتجت الناقة إذا أعنتها على النتاج. ينظر: منحة الباري بشرح صحيح البخاري، المسمَّى تحفة الباري ٩/٥٢٨.

(٥) جدعاء: مقطوعة الأطراف، المرجع نفسه، ص٥٢٨.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ٤/٢٠٩، رقم ٦٥٩٩.

رابعًا: دلالة العقل

أما ثبوتها بالعقل فمن وجوه:

أحدهما: العلم البديهي القاطع بأنَّ كلَّ موجودين إمَّا أن يكون أحدهما ساريًا في الآخر قائمًا به كالصفات، وإما أن يكون قائمًا بنفسه بائنًا من الآخر.

الثاني: أنَّه لما خلق العالم فإمَّا أن يكون خلقه في ذاته أو خارجًا عن ذاته، والأول باطل، أمَّا أولًا فبالاتفاق، وأمَّا ثانيًا؛ فلأنَّه يلزم أن يكون محلًّا للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعًا خارج ذاته، فيكون منفصلًا، فتعيَّنت المباينة؛ لأنَّ القول بأنَّه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.

والثالث: أنَّ كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكليَّة؛ لأنَّه غير معقول، فيكون موجودًا إمَّا داخله وإمَّا خارجه، والأول باطل، فتعيَّن الثاني فلزمت المباينة(1).

وذكر ابن تيمية رحمه الله قريبًا من هذا القول فقال: "قاعدة عظيمة في إثبات عُلوّه تعالى: وهو واجبٌ بالعقل الصريح، والفطرة الإنسانية الصحيحة، وهو أن يقال: كان اللَّه ولا شيءَ معه ثم خلق العالم، فلا يخلو: إما أن يكون خلقه في نفسه وانفصل عنه، وهذا محال، تعالى اللَّه عن مماسَّة الأقذار وغيرها، وإما أن يكون خلقه خارجًا عنه ثم دخل فيه، وهذا محالٌ أيضًا، تعالى أن يحلَّ في خلقه -وهاتان لا نزاع فيهما بين أحدٍ من المسلمين- وإمَّا أن يكون خلقه خارجًا عن نفسه الكريمة ولم يحلّ فيه، فهذا هو الحقُّ الذي لا يجوز غيره، ولا يليق باللَّه إلا هو، وهذه القاعدة للإمام أحمد من حججه على الجهمية في زمن المحنة"(2).

(1) ينظر: شرح الطحاوية ص٢٦٩-٢٧٠.

(2) مجموع الفتاوى ٥/. ١٥٢، ينظر: الرَّد على الزنادقة والجهمية، ص٥٠-٥١.

خامسًا: دلالة الإجماع

تضافرت أقوال السلف لإثبات هذه الصفة لله عَزَّوَجَلَّ، ومنها:

قول أبي سعيد الدارمي في نقضه على بشر المرِّيسي[1]: "ثم إجماع من الأولين والآخرين العالمين منهم والجاهلين أنَّ كلَّ واحدٍ ممَّن مضى وممَّن غبر إذا استغاث بالله تعالى، أو دعاه، أو سأله يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها، ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض ولا من أمامهم، ولا من خلفهم، ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم إلا من فوق السَّماء؛ لمعرفتهم بالله عَزَّوَجَلَّ أنه فوقهم، حتى اجتمعت الكلمة من المصلِّين في سجودهم (سبحان ربي الأعلى) لا ترى أحدًا يقول (ربي الأسفل) حتى لقد علم فرعون في كفره وعتوه على الله أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فوق السماء فقال فيما ذكره الله عنه في كتابه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴾[2]"، [3].

وقال أبو الحسن الأشعري في رسالته لأهل الثغر: "وأجمعوا على أنَّه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه"[4].

وقد دلَّ على ذلك بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾[5].

---

(١) هو: بشر بن غياث المرِّيسي، مبتدعٌ ضالٌّ يقول بخلق القرآن، وناظر عليه ودعا إليه، وكان رأس الجهمية، مات سنة ٢١٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٣٧/٨، الوافي بالوفيات ٩٤/١٠، لسان الميزان ٢٩/٢.

(٢) الرَّد على الجهمية، ص٣٧.

(٣) سورة غافر: ٣٦.

(٤) ينظر: رسالة لأهل الثغر، ص٢٣١-٢٣٢.

(٥) سورة الملك: ١٦-١٧.

وقال أيضًا: "ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأنَّ الله مستوٍ على العرش"[١].

وقال ابن عبد البر: "ومن الحجة أيضًا في أنه عَزَّوَجَلَّ على العرش فوق السماوات، أنَّ الموحِّدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمرٌ، أو نزلت بهم شدَّة، رفعوا وجوههم إلى السَّماء، يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصَّة والعامَّة من أن يُحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار، ولم يؤنِّبهم عليه أحدٌ، ولا أنكره عليهم مسلم"[٢].

وقال ابن أبي شيبة[٣]: "وأجمع الخلق جميعًا أنهم إذا دعوا الله عَزَّوَجَلَّ جميعًا رفعوا أيديهم إلى السَّماء، فلو كان الله عَزَّوَجَلَّ في الأرض السُّفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السَّماء وهو معهم على الأرض"[٤].

سادسًا: أقوال الصحابة رضي الله عنهم

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[٥]، قال: «العرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[٦].

٢- قول عائشة رضي الله عنها: «وأيم الله، إنِّي لأخشى لو كنت أحبُّ قتله لقتلت-

---

(١) الإبانة، ص٤٨.

(٢) التمهيد ٣٤٣/٧ -٣٤٤.

(٣) أبو بكر، عبد الله بن محمد القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُواسي العبسي مولاهم، من شيوخه: شريك بن عبد الله القاضي، ومن مؤلفاته: المصنف، والتفسير، مات سنة ٢٣٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٢٢/١١، تهذيب التهذيب ٢/٦.

(٤) العرش، ص٢٩١.

(٥) سورة الأعراف: ٥٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد)، ص٤٣.

تعني عثمان رضي الله عنه، ولكن علم الله من فوق عرشه أنِّي لم أحبّ قتله»[1].

٣- قول عمر رضي الله عنه: عن أبي يزيد المديني قال: «لقيت امرأةٌ عمر يقال لها: خولة بن ثعلبة -وهو يسير مع الناس- فاستوقفته فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها رأسه حتى قضى حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز، فقال: ويلك وهل تدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأةٌ سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عنِّي إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها، إلا أن تحضر صلاةٌ فأصليها، ثم أرجعُ إليها حتى تقضي حاجتها»[2].

صفة الوجه:

أوَّل ابن عجيبة هذه الصفة، فقال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[3] أي: ذاته المقدَّسة"[4].

وصفة الوجه من الصفات الذاتيَّة الخبريَّة التي دلَّ على ثبوتها الكتاب والسُّنَّة، وتلقَّاها سلف الأُمَّة بالقبول والتسليم، ولم يتأولوها بل أمرُّوها كما جاءت من غير تحريفٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييف، أمَّا الأشاعرة فهذا دأبهم في تأويل الصفات الخبرية، فلقد أوَّلوها بالذات كما ذكر ابن عجيبة، وكذلك أوَّلوها (بالثواب والجزاء)[5]، وأوَّلوها (بالقبلة، والوجود، والرحمة[6]) وغير ذلك من التأويلات الباطلة التي لم ترد لا في كتابٍ ولا سنَّةٍ ولا لغة العرب.

(١) أخرجه الدارمي في الرَّد على الجهمية، ص٥٧.

(٢) أخرجه الدارمي في الرَّد على الجهمية، ص٥٣-٥٤.

(٣) سورة الرحمن: ٢٧.

(٤) البحر المديد ٢٧٣/٧.

(٥) ينظر: تفسير النسفي ٣١٨/٤، والبحر المحيط، لأبي حيان ١٣٦/٤.

(٦) الإرشاد، للجويني، ص١٤٧-١٤٨، والأسماء والصفات، للبيهقي ٨٩/٢-٩٠.

أولًا: الأدلة من القرآن

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١).

قال ابن كثير: "وقد نعت وجهه الكريم في هذه الآية بأنَّه ذو الجلال والإكرام، أي: هو أهلٌ أن يجلَّ فلا يعصى وأن يُطاع فلا يخالف"(٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٣).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنَّ جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السموات، إلا من شاء الله، ولا يبقى أحدٌ سوى وجهه الكريم؛ فإنَّ الرَّبَّ -تعالى وتقدَّس- لا يموت، بل هو الحيُّ الذي لا يموت أبدًا"(٤).

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّة:

١- عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عملُ الليل قبلَ عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(٥).

٢- وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنَّتان من فضه وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى

---

(١) سورة القصص: ٨٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/٤٩٤.

(٣) سورة الرحمن: ٢٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٤٩٤.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ٤/٣٩٢، رقم ٧٤٤٤.

ربِّهم إلا رداء الكبرياء على وجه في جنَّة عدن»[1].

٣- وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كنتُ أضربُ غلامًا لي فسمعت من خلفي صوتًا: «اعلم أبا مسعود، الله أقدر عليك منك عليه» فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله: هو حرٌّ لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار»[2].

ثالثًا: الإجماع

ردّ الإمام الدارمي على من أنكر صفة الوجه لله عَزَّوَجَلَّ بقوله: "ولولا كثرة من يستنكر الحق ويستحسن الباطل ما اشتغلنا كلَّ هذا الاشتغال بتثبيت وجه الله ذي الجلال والإكرام، ولو لم يكن فيه إلا اجتماع الكلمة من العالمين: أعوذ بوجه الله العظيم وأعوذ بوجهك يا رب، وجاهدت ابتغاء وجه الله وأعتقت لوجه الله لكان كافيًا مما ذكرنا، إذ عقله النساء والصبيان والبر والفاجر والعربي والعجمي غير هذه العصابة الزائغة الملحدة في أسماء الله المعطلة لوجه الله ولجميع صفاته عَزَّوَجَلَّ"[3].

وقال ابن خزيمة[4]: "نحن نقول وعلماؤنا جميعًا في جميع الأقطار: إنَّ لمعبودنا عَزَّوَجَلَّ وجهًا كما أعلمنا الله في محكم تنزيله فذوَّاه -أي وصفه بذو- بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء ونفي عنه الهلاك، ونقول: إنَّ لوجه ربنا عَزَّوَجَلَّ من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ١٦٩/١٢، رقم ٤٨٧٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك وكفَّارة من لطم عبده ٩٢/٥، رقم ٤٣٩٨.

(٣) نقض الدارمي على المرِّيسي ٧٢٣/٢-٧٢٤.

(٤) محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري السلمي، الشافعي، ولد سنة ٢٢٢هـ، وقيل ٢٣، توفي سنة ٣١١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٥/١٤، شذرات الذهب ٢٦٢/٢.

وجهه كلَّ شيءٍ أدركه بصره، محجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية، ونقول: إنَّ وجه ربنا القديم لا يزال باقيًا، فنفى عنه الهلاك والفناء"(١).

رابعًا: من أقوال الصحابة رضي الله عنهم

١- عن خباب رضي الله عنه قال: «هاجرنا مع النبي ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنَّا من مات لم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير، ومنَّا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها(٢)، قتل يوم أُحُدٍ فلم نجد ما نكفنه إلا بردة إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر»(٣).

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ العبد المسلم إذا قال الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، أخذها ملك فجعلها تحت جناحه ثم صعد بها فلا يمرُّ بها على جمعٍ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهنَّ حتى يجيء بها وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٤)»، (٥).

---

(١) كتاب التوحيد ١/٥٣.

(٢) يهدبها: أي يجنيها ويقطفها كما يهدب الرجل الغضا والأرطى. ينظر: تاج العروس ٤/٣٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفنًا إلا ما يواري رأسه أو قدميه غطَّى به رأسه ١/٤٢٩، رقم ١٢١٧.

(٤) سورة فاطر: ١٠.

(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/١٠٤، رقم ٦٦٧، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الملائكة ٢/٤٦١، وقال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه، وابن جرير في تفسيره ١٠/٣٩٨، والسيوطي في الدر المنثور ٧/٨.

خامسًا: الرد على تأويلات الوجه (بالذات، أو الثواب، أو الجزاء، أو الرحمة)

قال ابن القيم: "إنَّه لا يعرف في لغةٍ من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ما شبه به المعطل وجه الرَّب أن قالوا: هو كقوله: وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه النهار، ووجه الأمر (فيقال) لهذا المعطِّل المشبِّه: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات بل هذا مبطل لقولك فإنَّ وجه الحائط أحد جانبيه فهو مقابل لدبره، وكمثل هذا وجه الكعبة ودبرها، فهو وجه حقيقة ولكنه بحسب المضاف إليه، فلما كان المضاف إليه بناء كان وجهه من جنسه"[1].

وأنَّه قد ثبت في عرف الناس وعاداتهم في الخطاب العربي الذي أجمع عليه أهل اللغة أنَّ تسمية الوجه في أيِّ محلٍّ وقع في الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا: ذات، وأمَّا في الحيوان فذلك مشهورٌ حقيقة لا يمكن دفعه، ولا يسوغ فيه غير ذلك، وأمَّا في مقامات المجاز فكذلك أيضًا؛ لأنه يُقال: (فلانٌ وجه القوم) لا يراد به ذات القوم؛ إذ ذوات القوم غيره قطعًا ويقينًا، ويقال: (هذا وجه الثوب)؛ لما هو أجوده، ويقال: (هذا وجه الرأي) أي: أصحُّه وأقومه، (وأتيت بالخبر على وجهه) أي: على حقيقته[2].

والوجه في اللغة: مستقبل كل شيء؛ لأنه أوَّل ما يواجه منه، ووجه الرأي والأمر: ما يظهر أنه صوابه وهو في كلِّ محلٍّ بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف إلى زمن كان الوجه زمنًا، وإن أضيف إلى حيوان كان بحسبه، وإن أضيف إلى ثوب أو حائط كان بحسبه، وإن أضيف إلى مَن ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[3]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٩٩٦/٣.

(٢) ينظر: بيان تلبيس الجهمية ٣٥/١.

(٣) سورة الشورى: ١١.

كان وجهه تعالى كذلك، فإذا كان هذا هو المستقرّ في لغة العرب وجب إثبات هذه الصفة على الوجه اللائق به سبحانه فهو وصفٌ زائدٌ على الذات المجرَّدة[1].

وكان النبي ﷺ عند دخوله للمسجد يقول: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم»[2].

فالنَّبي ﷺ استعاذ بالذات مرَّة وبالوجه مرَّة، قال ابن القيم رحمه الله: "فتأمَّل كيف فرَّق في الاستعاذة بين استعاذته بالذات وبين استعاذته بالوجه الكريم، وهذا صريحٌ في إبطال قول من قال: إنه الذَّاتُ نفسها"[3].

وحمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل، فإنَّ اللغة لا تحتمل ذلك ولا يعرف أنَّ الجزاء يُسمَّى وجهًا للمجازي.

وحمل الوجه في الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4] على الجهة والقبلة، إمَّا أن يكون هو ظاهر الآية أو يكون خلاف ظاهرها، ويكون المراد بالوجه وجه الله حقيقة؛ لأنَّ الوجه إنَّما يراد به الجهة والقبلة إذا جاء مطلقًا غير مضافٍ إلى الله تعالى، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "لكن الصحيح أنَّ المراد بالوجه هنا وجه الله الحقيقي؛ أي إلى أي جهة تتوجَّهون، فثمَّ وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنَّ الله محيطٌ بكلِّ شيء، ولأنَّه ثبت عن النبي ﷺ أنَّ المصلِّي إذا قام

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة ٣/٩٩٨.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب مما يقوله الرجل عند دخوله المسجد ١/١٥٧، رقم ٤٦٦، وقال الحافظ بن حجر: حديثٌ حسن، بسند جيِّد. ينظر: نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ١/٢٧٤، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٤١).

(٣) مختصر الصواعق ٣/١٠١٠.

(٤) سورة البقرة: ١١٥.

يصلِّي فإنَّ الله قِبَل وجهه، ولهذا نهى أن يبصق أمام وجهه؛ لأن الله قبل وجهه ... وهذا معنى صحيح موافق لظاهر الآية، والمعنى الأول -وهو تفسير الوجه بالقبلة- لا يخالفه في الواقع[١]، إذا قلنا فثم وجه الله، وكان هناك دليل، سواء كان هذا الدليل تفسيرًا للآية الثانية في الوجه الثاني، أو كان الدليل ما جاءت به السُّنَّة، فإنك إذا توجَّهت إلى الله في صلاتك، ففي جهة الله التي يقبل الله صلاتك إليها، فثمَّ أيضًا وجه الله حقًّا، وحينئذٍ يكون المعنيان لا ينتفيان"[٢].

صفة السمع والبصر: قال ابن عجيبة: "إنَّه سميعٌ بصيرٌ يسمع من غير أصمخة وآذان، ويرى من غير حدقةٍ ولا أجفان"[٣].

يعتقد ابن عجيبة -بزعمه أنه مثبتٌ للصفة- ولقد نفاها فرارًا من إثبات أفعال الله عَزَّوَجَلَّ الذي يعبر عنها بقيام الحوادث بذات الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأيضًا خالف أهل السُّنَّة والجماعة وفصَّل في النفي أيضًا، علمًا أنَّ النفي المفصَّل في القرآن لم يأتِ إلا على ثلاثة أسباب:

١- نفي ما ادَّعاه الكاذبون في حق الله تعالى من النقائص، كقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤].

٢- دفع توهُّم النقص في كمال الله عَزَّوَجَلَّ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ

(١) مختصر الصواعق ٩٩٨/٣، ص١٠١٦-١١٧، وينظر للاستزادة: مجموع الفتاوى ٧٢/٢، والنقض على بشر المرِّيسي ٧٠٦/٢.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢٨٧/١.

(٣) مخطوط رسائل في العقائد، ل/٨.

(٤) سورة الأنعام: ١٠١.

(٥) سورة الدخان: ٣٨.

أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[1].

٣- في سياق تهديد الكافرين، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[2].

وما اعتقده ابن عجيبة باطل حتى من القاعدة الأصولية[3] التي نصَّت على أنَّ الإثبات مقدَّمٌ على النفي[4]، وما نفاه ابن عجيبة وجب عليه الدليل، ولا دليل.

والذي يظهر أنَّ ابن عجيبة يعتقد ما يعتقده الأشاعرة بأنَّ إثبات الصفات التي أثبتها الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه يوصف بها المخلوق فكان سببًا للنفي، وهذا لا مرية في بطلانه؛ لأنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ تليق بجلاله وكماله، وصفات الله عَزَّوَجَلَّ صفات كمال لا نقص فيها، ولا يصح سلبها عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن خزيمة: "أفليس من المحال يا ذوي الحجا، أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[5]، ويعيبه بعبادة ما لا يسمع، ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع، ولا يبصر"[6].

وفصل الخطاب أنَّ القول الحق هو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة فهم يعتقدون بأنَّ السمع والبصر صفتان ذاتيتان لله عَزَّوَجَلَّ، ويثبتونها على الوجه اللائق بالله تعالى، وتضافرت الأدلة على ذلك من القرآن والسُّنَّة والإجماع.

---

(١) سورة ق: ٣٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٢.

(٣) ينظر: قواعد الفقه، ص٥٣.

(٤) ينظر: البرهان في أصول الفقه ٢/٢٠٤.

(٥) سورة مريم: ٤٢.

(٦) كتاب التوحيد ١/١٠٩.

أولًا: الأدلة من القرآن

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّة

١- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: لما توجَّه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم، إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم»[3].

٢- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "قام فينا رسول الله بخمس كلمات، فقال: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[4].

ثالثًا: الإجماع على إثبات صفة السمع والبصر

قال الدارمي: "ولكنَّنا نثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه وأثبته له الرسول ﷺ"[5].

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ١٣٣/٥، رقم ٤٢٠٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إن الله لا ينام» ١١١/١، رقم ٨١.

(٥) نقض الدارمي ٦٨٩/٢.

ويقول أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا على إثبات حياة الله عَزَّوَجَلَّ لم يزل بها حيًّا، وعلمًا لم يزل به عالِمًا، وقدرةً لم يزل بها قادرًا، وكلامًا لم يزل به متكلِّمًا، وإرادةً لم يزل بها مريدًا، وسمعًا وبصرًا لم يزل به سميعًا بصيرًا"(١).

والله عَزَّوَجَلَّ لم يكلفنا بمعرفة كنه الصفة، فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو بما وصفه رسوله ﷺ وعدم إدراكنا بالكيفية لا ينقص إيماننا؛ لأننا لم نكلَّف بذلك.

قال أبو القاسم الأصبهاني: "فإن قيل: كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علمًا بحقيقته؟ قيل: إنَّ إيماننا صحيحٌ بحقِّ من كلّفناه، وعلمنا محيط بالأمر الذي ألزمناه، وإن لم نعرف ما تحتها حقيقة كيفيته، وقد أمرنا بأن نؤمن بملائكة الله وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالجنَّة ونعيمها، وبالنَّار وعذابها، ومعلومٌ أنا لا نحيط علمًا بكلِّ شيءٍ منها على التفصيل وإنما كلفناه الإيمان بها جملة(٢).

وقال البغوي: "إنَّ الامتناع عن الخوض في صفات الله تعالى بالتكييف والتشبيه واجب، وإنَّ المهتدي من سلك في نصوص الصفات عن طريق التسليم، وإنَّ الخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيِّف مشبِّه، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرا"(٣).

والعلم بكيفية الصفة ليس بحاصلٍ لأحد؛ "لأنَّ العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته، امتنع أن تعلم كيفية الصفة"(٤).

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر، ص٢١٥.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/٣١٣-٣١٤.

(٣) شرح السُّنَّة ١٥/٢٥٧-٢٥٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/٣٩٩.

والمعطلة لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو لائقٌ بالمخلوق، فعطَّلوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن تيمية: "أمَّا المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثَّلوا أولًا، وعطَّلوا آخرًا، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ"(١).

وقال ابن عبد البر: "وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أنَّ لنا أرواحًا في أبداننا لا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه يوجب أن ليس على عرشه"(٢).

رابعًا: فمما جاء في ذلك من أقوال الصحابة رضي الله عنهم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلّمه في ناحية البيت، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾(٣)»(٤).

---

(١) الفتوى الحموية ١/٢٦٧.

(٢) التمهيد ٧/١٣٧.

(٣) سورة المجادلة: ١.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ٣/٤٥٥، رقم ٦٨٩.

*** صفة الكلام:**

قال ابن عجيبة: "والله تعالى متكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ واحدٍ أزلي، فليس بصوتٍ ولا حرف، ولا لهوات، أو شفة، أو تحريك لسان"(١).

وقال في موضع آخر: "أما لفظ القرآن فمشتَّقٌ من القرء"(٢).

ومن خلال قوله تبيَّن أن ابن عجيبة يعتقد أنَّ كلام الله يُطلق على المعنى النفسي، فليس هو حروف وأصوات، وأنَّ كلام الله عَزَّوَجَلَّ واحد، ونفى مشيئة الله في كلامه كما هو مقرَّرٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة، ولا شكَّ أنَّ ما يعتقده باطلٌ مبنيٌّ على عقيدته الأشعرية، كما قال الباجوري(٣): "مذهب أهل السُّنَّة -يريد الأشعرية- أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأمَّا القرآن بمعنى اللَّفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق"(٤).

وهذا مردودٌ بكلام العلماء المحققين، فلم يقل أحدٌ من السَّلف أنَّ كلام الله عَزَّوَجَلَّ قديم، وإنما قالوا هو كلام الله غير مخلوق، وقالوا لم يزل متكلِّمًا، إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وكما شاء، ولم يقل أحدٌ منهم: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ في الأزل نادى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا قال: إنَّ الله لم يزل ولا يزال يقول: يا آدم، يا نوح، يا موسى، ونحو ذلك مما أخبر أنه قال، واتباع السلف عندما يقولون: إن كلام الله عَزَّوَجَلَّ -

---

(١) مخطوط رسائل في العقائد، ل/٨.

(٢) تفسير سورة الفاتحة، ص٧٣.

(٣) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، ولد في بيجور إحدى قرى المنوفية بمصر، وتعلَّم في الأزهر، له مصنفات منها: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، حاشية على الشنشورية في الفرائض، كانت وفاته سنة ١٢٧٦هـ. ينظر: الأعلام ١/٧١.

(٤) شرح الجوهرة، ص٩٤.

قديم، أي لم يزل متكلِّمًا إذا شاء لا يقولون إنَّ نفس الكلمة المعيَّنة قديمة، كندائه لموسى ونحو ذلك(١).

ولهذا بوَّب الإمام البخاري في صحيحه عدة أبواب على ذلك فقال: "باب: كلام الرب تعالى مع جبريل عليه السلام ونداء الملائكة، وباب: "كلام الله تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، وباب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾(٢)، وباب: "كلام الرب مع أهل الجنَّة"(٣).

ولهذا ما قاله ابن عجيبة هو حجة عليه إذ يلزمه أن تكون الصفات السبع التي يثبتها -بزعمه- هي واحدة حقيقة ومعنى، وهذا لا شكَّ في فساده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فقال جمهور العقلاء لهم: تصور هذا القول يوجب العلم بفساده، وقالوا لهم: موسى سمع كلام الله كلَّه أو بعضه، إن قلتم كله لزم أن يكون قد علم علم الله، وإن قلتم بعضه فقد تبعّض، وقالوا لهم: إذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هي حقيقة الأمر وحقيقة النهي عن كل منهي عنه، والأمر بكلِّ مأمورٍ به هو حقيقة الخبر عن كلِّ مخبر عنه فجوزوا أن تكون حقيقة العلم هي حقيقة القدرة وحقيقة القدرة هي حقيقة الإرادة، فاعترف حُذَّاقهم بأنَّ هذا لازم لهم لا محيد لهم عنه ولزمهم إمكان أن تكون حقيقة الذات هي حقيقة الصفات وحقيقة الوجود الواجب هي حقيقة الوجوب الممكن"(٤).

ويقول أيضًا: "وقد خالفتم الشرع والعقل في قولكم: إنَّه قديم، وابتدعتم بدعةً

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١٧/٨٥.

(٢) سورة النساء: ١٦٤.

(٣) ينظر لهذه الأبواب، شرح ابن حجر لما ورد فيها من أحاديث ١٣/٤٦١، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٨٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٩/٢٨٣.

لم يسبقكم إليها أحدٌ من الصحابة ﵃ والتابعين وأئمة المسلمين، وفررتم من محذور إلى محذور كالمستجير من الرمضاء بالنار، ثم قولكم: إنه معنى واحد وهو: مدلول جميع العبارات مكابرة للعقل والشرع، فإنَّا نعلم بالاضطرار أنه ليس معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، ولا معنى تبَّت يدا أبي لهب هو معنى سورة الإخلاص، والتوراة إذا عرَّبناها لم تصر هي القرآن العربي الذي جاء به محمَّد، وكذلك إذا ترجمنا القرآن بالعبرية لم يكن هو توراة موسى ﵇ إلى أن قال ... والسَّلف والأئمة لم يقل أحدٌ منهم بقولكم، لكن قالوا: إنَّ الله تكلَّم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة، وإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ نادى موسى بصوت سمعه موسى بأذنه كما دلَّت على ذلك النصوص، ولم يقل أحدٌ منهم إن ذلك النداء الذي سمعه موسى قديم أزلي، ولكن قالوا: إنَّ الله لم يزل متكلِّمًا إذا شاء وكيف شاء؛ لأنَّ الكلام صفة كمال لا صفة نقص، وإنما تكون صفة كمال إذا قام به لا إذا كان مخلوقًا بائنًا عنه فإنَّ الموصوف إلا بما قام به لا يتصف بما هو بائن عنه.

فلا يكون الموصوف حيًّا عالِمًا قادرًا متكلِّمًا رحيمًا مريدًا بحياة قامت بغيره ولا بعلم وقدرة قامت بغيره ولا بكلام ورحمة وإرادة قامت بغيره.

والكلام بمشيئة المتكلِّم وقدرته، أكمل ممن لا يكون بمشيئته وقدرته، وأمَّا كلام يقوم بذات المتكلِّم بلا مشيئته وقدرته، فإمَّا أنَّه ممتنع أو هو صفة نقص كما يدعى مثل ذلك في المصروع، وإذا كان كمالًا فدوام الكمال له وأنه لم يزل موصوفًا بصفات الكمال أكمل من كونه صار متكلِّمًا بعد أن لم يكن لو قدر أن هذا ممكن فكيف إذا كان ممتنعًا.

وكان أئمة السُّنَّة والجماعة كلما ابتدع في الدين بدعة أنكروها ولم يقروها،

ولهذا حفظ الله دين الإسلام فلا يزال في أُمَّة محمد طائفة هادية مهدية ظاهرة منصورة"(١).

"والتحقيق هو أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد تكلَّم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فإنه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوارح، ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به، يُسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدَّس إلى الحلق والحنجرة كلام الله تعالى كما يليق به، وصوته كما يليق به، ولا ننفي الحروف ولا الصوت عن كلامه سبحانه؛ لافتقارهما منَّا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك، وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الإنسان به من التعسُّف، والتكلف ..."(٢).

فكلام الله عَزَّوَجَلَّ صفة ذاتيَّة باعتبار أصلها، وفعليَّة باعتبار أفرادها، وهي ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وعامَّة ما يوجد في الكتاب والسُّنَّة وكلام السلف والأئمة، بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام والقول، وهذا كلام فلان ... فإنَّه عند إطلاقه يتناول اللَّفْظ والمعنى جميعًا؛ لشموله لهما، ليس حقيقة في اللَّفْظ فقط كما يقوله قوم، ولا في المعنى فقط كما يقوله قوم، ولا مشترك بينهما كما يقوله قوم، ولا مشترك في كلام الآدميين وحقيقة في المعنى في كلام الله كما يقوله قوم"(٣).

والكلام في الحقيقة يطلق على اللَّفْظ والمعنى، وليس على المعنى فقط أو اللفظ، وما عدا الحروف والأصوات فليس بكلامٍ حقيقة(٤).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/٣٤٠.

(٢) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت، ضمن الرسائل المنيرية ١/١٨٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/٤٥٦-٤٥٧.

(٤) ينظر الحجة في بيان المحجة ١/٣٩٩.

فلفظ القول والكلام وما تصرَّف منهما من فعلٍ ماض ومضارعٍ وأمرٍ واسم فاعل، إنما يعرف في القرآن والسُّنَّة وسائر كلام العرب إذا كان لفظًا ومعنى، ولم يكن في مُسمَّى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من أهل البدع ثم انتشر.

ولا ريب أنَّ مُسمَّى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإنَّ هذا مما تكلَّم به الأوَّلون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه، كما عرفوا مُسمَّى الرأس واليد والرِّجل ونحو ذلك.

ولا شكَّ أنَّ من قال: إنَّ كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى وإنَّ المتلوَّ المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن في المعنى وهو لا يشعر، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1][2].

والأدلة مستفيضة من الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة والإجماع على إثبات كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

أولًا: الأدلة من القرآن

قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص١٤٩.

(٣) سورة النساء: ١٦٤.

وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[2].

وفيه إثبات النداء لله عَزَّوَجَلَّ وهو من أنواع الكلام، قال ابن تيمية: "والنداء في لغة العرب هو صوتٌ رفيعٌ لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقةً ولا مجازًا"[3].

قال السجزي[4]: "والنداء عند العرب صوتٌ لا غير، ولم يرد عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ أنَّه من الله غير الصوت"[5].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[6]، والأدلة على أنَّ كلام الله يسمع وأنَّ القرآن كلام الله وأنَّ تلاوة التالي لله لا تخرجه عن كلام الله كثيرةٌ جدًّا[7].

وقال تعالى مخاطبًا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[8].

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٢) سورة مريم: ٥٢.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٥٣١/٦.

(٤) عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي، صاحب سنة، له مصنفات منها: الإبانة الكبرى في مسألة القرآن، الرَّد على من أنكر الحرف والصوت، توفي سنة٤٤٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٦٥٤/١٧، الجواهر المضية في تراجم الحنفية ٤٩٥/٢، شذرات الذهب ٢٧١/١٣.

(٥) الرَّد على من أنكر الحرف والصوت، ص٦٦.

(٦) سورة التوبة: ٦.

(٧) ينظر: الاستدلال بهذه الأدلة، كتاب التوحيد، لابن خزيمة، ٣٣٢/١ -٣٣٤، والرد على الجهمية، للدارمي، ص٨٢-٨٣، والعقيدة السلفية في كلام ربِّ البرية، لعبد الله الجديع، ص٦٦-٦٧-٦٨.

(٨) سورة طه: ١٣.

قال السجزي: "وكان يكلِّمه من وراء حجاب لا ترجمان بينهما، واستماع البشر في الحقيقة لا يقع إلا للصوت"(١).

وقال أبو بكر الإسماعيلي الشافعي(٢): "القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه كيفما يُصرَّف بقراءة القارئ له وبلفظه، ومحفوظًا في المصاحف، غير مخلوق ..."(٣).

ويقول ابن تيمية: "وربنا خاطبنا باللسان العربي الذي نفهمه، وليس فيه سماع يحصل من غير صوت"(٤).

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطَّ لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحجَّ آدمُ موسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ»(٥).

فإذا عُلم هذا ثبت أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ نادى موسى عليه السلام بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله يوم

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت، ص١٦١.

(٢) أبو بكر، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي، شيخ الشافعية من حُفَّاظ الحديث والسُّنَّة، توفي سنة ٣٧١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٩٢/١٦.

(٣) اعتقاد أئمة أهل الحديث، ص٤٠٠-٤٠١.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٩٣/٢.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ ٤٠٧/٤، رقم ٧٥١٥.

القيامة: يا آدم فيقول: لبَّيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا من النَّار، قال: يا رب وما بَعثُ النار؟ قال: من كل ألفٍ -أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين ... »[(١)].

ثالثًا: الإجماع

فلقد أجمع أهل الإسلام على إثبات هذه الصفة لله، قال ابن حزم: "أجمع أهل الإسلام على أنَّ الله تعالى كلَّم موسى، وعلى أنَّ القرآن كلام الله، وكذا غيره من الكتب المنزلة والصحف"[(٢)].

والله عَزَّوَجَلَّ عاب على من عبد العجل؛ لأنه قد سُلب صفة الكلام، وهذا يدلُّ على أنَّ سلبها صفة نقص، والله عَزَّوَجَلَّ منزَّه عن صفة النقص، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[(٣)].

رابعًا: دلالة العقل الصريح وأهل اللغة على إثبات صفة الكلام

العقل الصريح يدلُّ على إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ بصوتٍ وحرف؛ لأنَّ غير المتكلِّم موصوفٌ بالنَّقص، وعدم القدرة على الكلام نقصٌ في حقِّ كلِّ عاقل، والكلام ميزة، ونفيه نقص.

واتفق أهل اللغة على أنَّ الكلام يشتمل على اللَّفْظ والمعنى.

قال ابن فارس: "الكاف واللام والميم أصلان، أحدهما يدلُّ على نطقٍ مفهم، والآخر على جراح، فالأول: الكلام، ... والأصل الآخر: الكَلْم وهو الجرح"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ٤٠١/١، رقم ٧٤٨٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١/٣.

(٣) سورة طه: ٨٩.

(٤) مقاييس اللغة ١٣١/٥.

خامسًا: من أقوال الصحابة رضي الله عنهم على إثبات هذه الصفة

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا، فإذا فُزِّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنَّه الحق ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾»[1].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك وفيه أنها قالت: «ولكنَّ والله ما كنت أظنُّ أنَّ الله منزلٌ في شأني وحيًا يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلَّم الله فيَّ بأمرٍ يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها"[2].

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ ٩/١٤١، رقم ٧٤٨١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ ٦/١٠١، رقم ٤١٤١.

*** آراؤه في الصفات الاختياريَّة الفعليَّة:**

صفة الاستواء:

وقع ابن عجيبة في هذه الصفة في محذورين باطلين:

أولهما: تأويل الاستواء بالاستيلاء.

ثانيهما: التفويض.

قال ابن عجيبة في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(١)]، "استواء استيلاءٍ وإحاطة، حتى صار العرش غيبًا في إحاطة قهريته وأسرار ذاته"[(٢)].

وقال في موضعٍ آخر: "وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي أراد وبالمعنى الذي أراد"[(٣)].

ويعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ مستوٍ على عرشه حقيقةً، استواءً يليق بجلاله، من غير تكييفٍ ولا تمثيل، ولا تحريفٍ، ولا تعطيل.

قيل للإمام أحمد "والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكلِّ مكان؟ قال: نعم، على عرشه لا يخلو شيءٌ من علمه"[(٤)].

وقال ابن خزيمة: "فنحن نؤمن بخبر الله عَزَّوَجَلَّ وأنَّ خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولًا غير الذي قيل لنا"[(٥)].

وقال القرطبي: "وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، ولا

---

(١) سورة الرعد: ٢.

(٢) البحر المديد ٣/٦.

(٣) مخطوط رسائل في العقائد ل/١، مخطوط تفسير الفاتحة الصغير ل/٣.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ١/٤٠١.

(٥) التوحيد، ص٦٨.

ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه، وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحدٌ من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة ... وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فلا تعلم حقيقة"[(١)].

أما ابن عجيبة فحاله كحال المؤولة الذين ينفون استواء الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه بالمعنى الصحيح الذي جاء في الكتاب والسُّنَّة، ويؤولونها على عدة مذاهب، فمنهم من يؤول الاستواء بالقهر والغلبة، مثل المعتزلة[(٢)]، وهو رأي للجويني[(٣)]، وابن فورك[(٤)]، والغزالي[(٥)]، والرازي[(٦)]، والإيجي[(٧)].

---

(١) تفسير القرطبي ٢١٩/٧.

(٢) ينظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، ص٢٢٦.

(٣) قال: المراد بالاستواء القهر والغلبة وذلك شائع في اللغة. ينظر: الإرشاد ٤٠-٤١، لمع الأدلة، ص٩٥.

والجويني هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ين محمد الجويني النيسابوري المعروف بإمام الحرمين، له مصنفات منها: البرهان في أصول الفقه، الورقات في أصول الفقه، الشامل في أصول الدين، كانت وفاته سنة ٤٧٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨-٤٧٧.

(٤) ينظر: مشكل الحديث، ص١٤٦.

(٥) قال: وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء. ينظر: قواعد العقائد، ص١٦٥-١٦٧.

والغزالي هو: أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، لازم الجويني وأخذ عنه معظم العلوم، ثم رحل إلى بغداد مدرسًا في المدرسة النظامية، له مصنفات منها: كتاب الإحياء، الإملاء على مشكل الإحياء، كتاب الأربعين، والمستصفى في أصول الفقه، كانت وفاته سنة ٥٠٥هـ. ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧١٣/١٥.

(٦) قال: إن الاستيلاء عبارة عن حصول الغلبة بعد العجز. ينظر: أساس التقديس، ص٢٠٣.

والرازي هو: محمد بن عمر الحسين، فخر الدين القرشي الرازي الأصولي المفسر، ولد سنة ٥٤٤هـ، له مصنفات منها: أساس التقديس، التفسير الكبير، المحصول في أصول الفقه، كانت وفاته سنة ٦٠٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١-٥٠١، طبقات السبكي ٣٣/٥-٤٠.

(٧) قال: فيؤول الاستواء بالاستيلاء. ينظر: المواقف ٢٠٧/١.

والإيجي هو: عبدالرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد بن عضد الدين الإيجي الشيرازي الشافعي، عالم مشارك في أنواع العلوم، ولد سنة ٧٠٨هـ، وتوفي سنة ٧٦٥هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٠٨/٦، الدرر الكامنة ٣٢٣/٢.

ومنهم من فسَّر الاستواء بالملك، والمراد: أنَّ الملك ما استوى لأحدٍ غيره[(١)]، وبهذا خالفوا صحيح المنقول، وصريح المعقول، ولم يسيروا وفق مذهب السَّلف؛ لأنهم -زعموا- أنَّ إثبات الاستواء يلزم منه الجهة والتحيُّز.

وهذه الألفاظ مجملة تحتمل حقًّا وباطلًا، ولم يرد في نفيها ولا إثباتها كتابٌ ولا سُنَّة، فمن نفى الجهة ومراده بذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ليس مباينًا للعالم، وليس فوقه، ولا تجوز الإشارة إليه، فهذا المعنى باطلٌ غير صحيح، ومن نفاها مريدًا أنَّ المخلوقات لا تحيط به ولا تحصره، فهذا جمعٌ بين حقٍّ وباطل فالمعنى حق، واللَّفْظ المصرَّح به باطل؛ لإيهامه المعنى الأول.

وأمَّا قولهم: لو كان في جهة لكان محتاجًا لهذا الحيِّز، فيجاب عنه بأنَّنا لا نُسلِّم أنَّ كلَّ ما يُسمَّي حيِّزًا وجهة فهو أمرٌ وجودي، بل قد يُقال إنَّ المُسمَّى بالجهة والحيِّز منه ما يكون وجوديًّا وهو الأمكنة الوجودية مثل داخل العالم فإنَّ الشمس والقمر والأفلاك والأرض والحجر والشجر ونحو هذه الأشياء كلها في أحياز وجوديَّة، أمَّا ما وراء العالم، فهو ليس في حيِّزٍ أو جهة وجوديَّة لكي يصح ما زعمتموه[(٢)].

وأمَّا قولهم: لو كان مستويًا على العرش لكان محتاجًا إليه، محمولًا به، فيُجاب عنه أنَّه يصحُّ هذا المعنى لو أُثبت لله عَزَّوَجَلَّ استواءً كاستواء المخلوقين، أمَّا إذا كان استواء الله عَزَّوَجَلَّ استواءً يليق بجلاله غير مماثل لاستواء خلقه، فلا يصح هذا الإلزام.

---

(١) رأي عبد القاهر البغدادي، في كتاب أصول الدين، ص١١٣-١١٤.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٣٢٦/١٧، ٢٦٢/٥، تلبيس الجهمية ١١٥/٢، التدمرية ٦٥-٦٧.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فيظنُّ المتوهِّم أنَّه إذا وُصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور الفُلْك والأنعام، كقوله: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾(١)، فيتخيَّل أنَّه إذا كان مستويًا على العرش كان محتاجًا إليه كحاجة المستوي على الفُلْك والأنعام، فلو انخرقت السفينة لسقط المستوي عليها ... فقياس هذا أنَّه لو عُدم العرش لسقط الرَّبُّ تبارك وتعالى، ثم يريد -بزعمه- أن ينفي هذا فيقول: ليس استواؤه بقعودٍ ولا استقرار، وكان هذا الخطأ من خطئه في مفهوم استوائه على العرش، حيث ظنَّ أنَّه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفُلْك.

وليس في اللَّفْظ ما يدلُّ على ذلك؛ لأنَّه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة، كما أضاف إليها سائر أفعاله وصفاته ... فلم يذكر استواءً مطلقًا يصلح للمخلوق ولا عامًّا يتناول المخلوق، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته، وإنما ذكر استواءً أضافه إلى نفسه الكريمة"(٢).

ولم يأتِ نصٌّ واحدٌ من الوحيين يدلُّ على أنَّ معنى (استوى) (استولى).

يقول ابن القيم: "إنَّ هذا اللَّفْظ- استوى- قد اطرد في القرآن والسُّنَّة حيث ورد بلفظ الاستواء دون الاستيلاء، ولو كان معناه استولى لكان استعماله في أكثر مورده كذلك، فإذا جاء موضعٌ أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى؛ لأنه المألوف المعهود، وأمَّا أن يأتي إلى لفظٍ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد، فيدعي صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ففي غاية الفساد، ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأتي حمله

(١) سورة الزخرف: ١٢-١٣.

(٢) شرح الرسالة التدمرية ١/٢٥٤.

على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك"[1].

وقال أيضًا: "إنَّ لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم، وأنزل بها كلامه **نوعان**: (**مطلق**) و(**مقيَّد**).

فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] وهذا معناه كَمل وتَمّ، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[3] واستوى فلانٌ إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بـ(إلى) في موضعين من كتابه: في البقرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]، والثاني في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[5] وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

والثاني: مقيد بـ(على) كقوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6]، وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٣٨١-٣٨٢.

(٢) سورة القصص: ١٤.

(٣) سورة الأعراف: ٥٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٩.

(٥) سورة فصلت: ١١.

(٦) سورة هود: ٤٤.

﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[١]، وهذا أيضًا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: (استوى الماء والخشبة) بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها معنى استولى البتَّة، ولا نقله أحدٌ من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ... والذين قالوا ذلك لم يقولوه نقلًا، فإنَّه مجاهرة بالكذب وإنما قالوه استنباطًا وحملًا منهم للفظة استوى على استولى[٢].

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّة على إثبات صفة الاستواء لله عَزَّوَجَلَّ

منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»[٣].

وأهل السُّنَّة والجماعة يخبرون عن الله ﷺ كما أخبر عن نفسه في كتابه.

سُئل ابن الأعرابي[٤] عن معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٥] فقال: هو على عرشه كما أخبر عَزَّوَجَلَّ، فقيل يا أبا عبد الله: ليس هذا معناه، إنما معناه: استولى، فقال: اسكت ما أنت وهذا لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) مختصر الصواعق ١/٣٧٢.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة السجدة ٦/١١٣٩٢.

(٤) أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي، يروي عن: أبي معاوية الضرير، والقاسم بن معن، وأبي الحسن الكسائي، وعنه: إبراهيم الحربي، وعثمان الدارمي، وثعلب، وأبو شعيب الحراني، وشمر بن حمدويه، وآخرون، ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة، من مصنفاته: كتاب النوادر، كتاب الخيل، كتاب تاريخ القبائل، مات بسامراء سنة ٢٣١هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٤/٣٠٦، سير أعلام النبلاء ٩/٧٥، ومعجم المؤلفين ١/٣٣.

(٥) سورة طه: ٥.

فإذا غلب أحدهما قيل استولى.

أما سمعت النابغة[(١)] يقول:

ألا لمثلـــك أو مـــا أنـــت ســـابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمدِ[(٢)(٣)]

وكذلك يستشهدون بمعاني الاستواء التي يدور عليها تفاسيرهم له.

فلهـــم عبـــاراتٌ عليهـــا أربـــعٌ قـد حُصِّـلت للفـارسِ الطعَّـانِ
وهـي (استقرَّ) وقـد (عـلا) وكـذلك (ارتفـع) الـذي مـا فيـه مـن نكـرانِ
وكـذاك قـد (صـعد) الـذي هـو رابـعٌ وأبــو عبيــدة صــاحب الشــيباني
يختـــار هـــذا القـــول في تفســـيرِهِ أدري مـــن الجهمـــي بـــالقرآنِ[(٤)]

ثالثًا: الرد على ابن عجيبة في مسألة تفويضه لصفة الاستواء

١- تعريف التفويض في اللغة

قال ابن فارس: الفاء والواو والضاد أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الاتكال في الأمر على آخر ورده عليه"[(٥)].

٢- تعريف التفويض عند أهل الكلام

"هو صرف اللَّفْظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد به، بأن يُترك ويقال: الله أعلم بمراده"[(٦)].

---

(١) أبو أمامة، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، شاعر جاهلي من أهل الحجاز، توفي سنة ١٨هـ. ينظر: الأعلام ٣/٥٤.

(٢) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ٢/٣٩٩، وابن عبد البر في التمهيد ٧/١٣١، وكذلك ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ١٠٤.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/١٤٦، وينظر: مختصر الصواعق ١/٣٨٠-٤٠٠.

(٤) النونية مع شرح الهراس١/٢٣٣.

(٥) مقاييس اللغة، ص٨٢٢.

(٦) أساس التقديس، للرازي، ص١٣٣، وهداية المريد إلى جوهرة التوحيد، بكري رجب، ص٤٨.

وقد يقول قائل: إنَّ التفويض هو مذهب السَّلف؛ فيُردُّ عليه بأنَّ السَّلف فوَّضوا في كيفيَّة الصفة فقط دون المعنى، قال الإمام أحمد رحمه الله: "إنَّا لا نعلم كيفيَّة ما أخبر الله به عن نفسه، وإن علمنا تفسيره ومعناه"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد فسَّر الإمام أحمد النصوص التي تسمِّيها الجهمية متشابهات، فبيَّن معانيها آيةً آية، وحديثًا حديثًا، ولم يتوقَّف في شيءٍ منها هو والأئمة قبله، مما يدلُّ على أنَّ التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهبًا لأئمة السُّنَّة، وهو أعرف بمذهب السَّلف، وإنَّما مذهب السَّلف إجراء معاني آيات الصفات على ظواهرها بإثبات الصفات له حقيقة"(٢).

ومراد السَّلف بقولهم بلا كيف هو نفي للتأويل.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومراد السَّلف بقولهم (بلا كيف) هو نفي التأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرَّب –سبحانه– عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأمَّا أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه، ويقول: كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السَّلف بلا كيف ردًّا عليهم، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمَّن التحريف والتعطيل، تحريف اللَّفْظ وتعطيل معناه"(٣).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٠٧/١.

(٢) الإكليل في المتشابه والتأويل (ضمن مجموع الفتاوى) ٢٩٥/١٣.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١٩٩.

والتأويل هو أصل البلايا وبابه الذي وقع بسببها الانحرافات العقدية المخالفة لنصوص الكتاب والسُّنَّة، ولذا قال ابن القيم رحمه الله في قصيدته:

هــذا وأصــلُ بليَّــة الإســلامِ مــن تأويـــل ذي التحريـــف والـــبطلانِ

وهــو الــذي قــد فــرق السبعين بــل زادت ثلاثًـــا قـــول ذي البرهـــانِ

وجميــع مــا في الكــون مــن بــدعٍ وأحــداثٍ تخــالف موجــب القــرآنِ

فأساســها التأويــل ذو الــبطلان لا تأويـــل أهـــل العلـــم والإيمـــانِ

إذ ذاك تفســـير المـــراد وكشـــفُهُ وبيـــانُ معنـــاهُ إلى الأذهـــانِ[1]

أما التفويض عند ابن عجيبة فمبنيٌّ على من سبقه بهذا وهو قول اللقاني[2]:

وكـــلُّ نـــصٍّ أوهـــمَ التشـــبيها أوِّلـــه أو فـــوِّض ورم تنزيهًـــا[3]

ولذلك يعتبر هذا البيت عمدة عند الأشاعرة.

وهذا كلام خطيرٌ –والعياذ بالله– يلزم منه لوازم باطلة، منها:

١- القدح في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومخالفة نصوص الكتاب التي ورد فيها التدبُّر لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4].

٢- الطعن على النبي ﷺ بأنَّه لم يعلم المراد من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) الكافية الشافية، ص١١١.

(٢) برهان الدين إبراهيم بن محمد اللقاني، ولد في صفر سنة ٨١٧هـ، ومن شيوخه: أحمد بن قاسم الشافعي، ويحي القرافي المالكي، وأبو العباس الشرنوبي، ومن تلاميذه: ابنه عبد السلام اللقاني، ومن مصنفاته: جوهرة التوحيد في العقيدة، حاشية على مختصر خليل، توفي سنة ٨٩٦هـ. ينظر: شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، ص٢١١، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد الدمشقي ١/٣٧٢.

(٣) إتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد، ص١٣١-١٣٢.

(٤) سورة محمد: ٢٤.

ولهذا قال عنهم ابن تيمية رحمه الله: "وأمَّا التفويض فإنَّه من المعلوم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا أن نتدبَّر القرآن، وحضَّنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منَّا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ فعلى قول هؤلاء: يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه ... ومعلومٌ أنَّ هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنَّه جعله هدىً وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلِّغ البلاغ المبين، وأن يبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، وأمر بتدبُّر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه -وهو ما أخبر به الرَّبُّ عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكلِّ شيء، وهو بكلِّ شيءٍ عليم، أو عن كونه أمر ونهى، ووعد وتوعَّد، أو عمَّا أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبّر، ولا يكون الرَّسول بيَّن للناس ما نُزِّل إليهم، ولا بلَّغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كلُّ ملحدٍ ومبتدعٍ: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأنَّ تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحدٌ معناها، وما لا يعلم أحدٌ معناه لا يجوز أن يُستدلَّ به.

فيبقي هذا الكلام سدًّا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إنَّ الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنَّا نحن نعلم ما نقول ونبيِّنه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون: فضلًا عن أن يبيِّنوا مرادهم.

فتبيَّن أنَّ قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد"[١].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/١١٥، ٢٠٤.

٣- أنَّ أئمة السَّلف فسَّروا الكثير من آيات الصفات، ونقل تفاسيرهم لها غير واحد، مما يدلُّ على أنَّهم فهموا معانيها[١].

٤- أنَّ نصوص الصفات قد تواترت بأساليب متعددة ودلالات متعاضدة أوضحت أنَّ ظاهرها هو المطلوب فهمه، فصرف العقول والقلوب عن إدراك هذا المعنى، هو تعطيلٌ للنصوص عن معانيها[٢].

٥- جنوا على النصوص حيث جعلوها دالةً على معنى باطل غير لائق بالله تعالى، ولا مراد له[٣].

٦- معلوم أنَّ مجلس النبي ﷺ كان يحضره أقوام اختلفت أفهامهم وتباينت مداركهم، ومع ذلك لم ينقل عنه ﷺ أنه كان يحذر من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفات الله عَزَّوَجَلَّ أو غير ذلك من المسائل في العقائد والأحكام، وهذا يبيِّن أنَّها على ظاهرها، وأنَّها مفهومة عندهم[٤].

---

(١) ينظر: مذهب أهل التفويض، ص٥٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٩٢.

(٣) ينظر: علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، ص١١٠.

(٤) ينظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، ص٨٥.

* **صفة القُرْب ورأيه فيها:**

قال ابن عجيبة: "ولا يماثل قربُه قربَ الأجسام كما لا تماثل ذاتُه ذاتَ الأجسام، وهو مع ذلك قريبٌ من كلِّ بعيد، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد"(١).

ويقول في موضع آخر: "قربه رحمةٌ واجتباء، وتقريبٌ واصطفاء"(٢).

وقال في موضع آخر: "فإذا تحقَّق المحو والاضمحلال، وزال البَيْن، وثبت الوصال، لم يبقَ قربٌ ولا بعدٌ ولا بَينٌ ولا انفصال"(٣).

الملاحظ عند ابن عجيبة الاضطراب، فقوله الأول قولٌ صحيحٌ لا غبار عليه، وهذا هو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ولكن سرعان ما نقض قوله الأول بأقواله الأخرى؛ وهذه عادة أهل البدع في التناقض دائمًا، وبهذا خالف أهل السُّنَّة والجماعة والأدلة الصريحة التي أثبت القرب لله عَزَّوَجَلَّ بما يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

أولًا: الأدلة من القرآن

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٤).

٢- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾(٥).

---

(١) مخطوط رسائل في العقائد، ل/٢.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٥٠٥.

(٣) البحر المديد ١/٢١٤.

(٤) سورة البقرة: ١٨٦.

(٥) سورة سبأ: ٥٠.

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّة

١- عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير، فقال: «أيُّها النَّاس، ارْبعوا على أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إنَّ الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عُنُق راحلته»[(١)].

قال ابن بطال رحمه الله[(٢)]: "ومعنى قوله ﷺ: (فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا) نفي الآفة المانعة من السَّمع، ونفى الجهل المانع من العلم، وفى هذا القول منه ﷺ دليلٌ على أنَّه لم يزل سميعًا بصيرًا عالِمًا، ولا تصحُّ أضداد هذه الصفات عليه، وقوله: (قريبًا) إخبارٌ عن كونه عالِمًا بجميع المعلومات لا يعزب عنه شيء"[(٣)].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «ومن تَقَرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقربَّت إليه باعًا»[(٤)].

ثالثًا: الرد على ابن عجيبة في تفسير القرب بوحدة الوجود

قال ابن تيمية رحمه الله: "ففي الجملة: ما نطق به الكتاب والسُّنَّة من قرب الرَّب من عابديه وداعيه هو مقيَّد مخصوص؛ لا مطلق عام لجميع الخلق فبطل قول الحلولية كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[(٥)] فهذا قربه من داعيه، وأمَّا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير، ٣٥٦/٢، رقم ٢٩٩٢.

(٢) أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي المالكي، المعروف بابن اللجام، توفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٧/١٨، شذرات الذهب ٢٨٣/٣.

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال ٤١٧/١٠.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٢١٠٢/٤، رقم ٢٦٧٥.

(٥) سورة البقرة: ١٨٦.

قربه من عابديه ففي مثل قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[1].

وقول النَّبي ﷺ في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبُّ إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه ...»[2]، وقال: «إذا تقرَّب العبد منِّي شبرًا تقرَّبت منه ذراعًا»[3] فهذا قربه إلى عبده وقرب عبده إليه، ودنوه عشية عرفة إلى السَّماء الدنيا لا يخرج عن القسمين، ... فدنوه لدعائهم، وأمَّا نزوله إلى سماء الدنيا كلَّ ليلة فإن كان لمن يدعوه ويسأله ويستغفره فإنَّ ذلك الوقت يحصل فيه من قرب الرَّبِّ إلى عابديه ما لا يحصل في غيره"[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذه الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه، بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاء على تقرُّبه باختياره، فكلَّما تقرَّب العبد باختياره قَدْر شبر زاده الرَّبُّ قُربًا إليه حتى يكون كالمتقرِّب بذراع، فكذلك قرب الرَّبِّ من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرَّبِّ والإيمان به، وهو المثل الأعلى، وهذا أيضًا لا نزاع فيه، وذلك أنَّ العبد يصير مُحبًّا لما أحبَّ الرَّبُّ، مبغضًا لما أبغض، مواليًا لمن يوالي، معاديًا لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه"[5].

---

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١٩٢/٤، رقم ٦٥٠٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ١٥٧/٩، رقم ٧٥٣٧.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٤٧/٥.

(٥) شرح حديث النزول، ص١٣٣-١٣٤.

وقال أيضًا ... "فهذا القرب كلُّه خاصٌّ في بعض الأحوال دون بعض، وليس في الكتاب والسُّنَّة -قط- قرب ذاته من جميع المخلوقات في كلِّ حال؛ فعلم بذلك بطلان قول الحلوليَّة؛ فإنَّهم عمدوا إلى الخاص المقيَّد فجعلوه عامًّا مطلقا"[1].

ويقول أيضًا مبيِّنًا أنَّ القرب ليس كالمعية: "وجميع ما وصف به الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ نفسَه من القرب، فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعيَّة؛ فإنَّ المعيَّة وصف نفسه فيها بعموم وخصوص، وأمَّا قربه مما يقرب منه، فهو خاصٌّ لمن يقرب منه، كالداعي والعابد، وكقربه عشية عرفة، ودنوه إلى السَّماء الدنيا لأجل الحجاج"[2].

(١) مجموع الفتاوى ٥/٢٤٠.

(٢) شرح حديث النزول، ص١١٤.

*** صفة الغضب:**

قال ابن عجيبة: "الغضب ثوران النَّفس وإرادة الانتقام"[1].

يثبت أهل السُّنَّة والجماعة صفة الغضب، وهي من الصفات الفعليَّة التي يفعلها الله عَزَّوَجَلَّ إذا شاء، ومتى شاء، كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإثباتها من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف.

وما ذهب إليه ابن عجيبة من تأويلها بإرادة الانتقام فهو باطل، قال ابن أبي العز[2]: "مذهب السَّلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى، والعداوة والولاية، والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسُّنَّة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السَّمع والبصر والكلام وسائر الصفات ... ولا يقال: إنَّ الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإنَّ هذا نفي للصفة"[3].

ويقال لابن عجيبة وغيره من المؤولة الذين نفوا صفة الغضب عن الله عَزَّوَجَلَّ خشية مشابهة غضب المخلوق كما زعموا: إنَّ هناك ثمة فروق بين غضب المخلوق، وغضب الخالق، ومنها:

١-غضب المخلوق حقيقته غليان دم القلب، وجمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم حتى يفور.

أمَّا غضب الخالق فإنَّه صفة لا تماثل هذا، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ

---

(١) اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، ص١٣٣، وينظر: تفسير الفاتحة، ص٣٤٤.

(٢) هو: أبو الحسن، علي بن علاء الدين بن شمس الدين، المعروف بابن أبي العز، حنفي المذهب، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم الديار المصرية، توفي سنة ٧٩٢هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٨٧/٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٦٨٥/٢.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

٢-أنَّ غضب الآدمي يؤثر آثارًا غير محمودة، فالآدميُّ إذا غضب قد يحصل منه ما لا يحمد، فيقتل المغضوب عليه، وربما يطلق زوجته، أو يكسر الإناء، ونحو ذلك، أمَّا غضب الله فلا يترتب عليه إلا آثار حميدة لأنَّه حكيم، فلا يمكن أن يترتب على غضبه إلا تمام الفعل المناسب الواقع في محله، فغضب الله ليس كغضب المخلوقين، لا في الحقيقة ولا في الآثار، وإذا قلنا ذلك فلا نكون وصفنا الله بما يماثل صفات المخلوقين، بل وصفناه بصفةٍ تدلُّ على القوة وتمام السلطان؛ لأنَّ الغضب يدلُّ على قدرة الغاضب على الانتقام وتمام سلطانه؛ فهو بالنسبة للخالق صفة كمال، وبالنسبة للمخلوق صفة نقص.

ويدلُّ على بطلان تأويل الغضب بالانتقام قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2] فإنَّ معنى {ءَاسَفُونَا }: أغضبونا؛ فجعل الانتقام غير الغضب، بل أثرًا مترتبًا عليه؛ فدلَّ هذا على بطلان تفسير الغضب بالانتقام[3].

وكذلك من القواعد المقرَّرة عند أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "القول في بعض الصفات كالقول في بعض؛ فإن كان المخاطب ممن يقول بأنَّ الله حيٌّ بحياة، عليمٌ بعلم، قديرٌ بقدرة، سميعٌ بسمع، بصيرٌ ببصر، متكلِّمٌ بكلام، مريدٌ بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة الزخرف: ٥٥.

(٣) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ١/٤٢٢.

وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازًا ويفسره إمَّا بالإرادة وإمَّا ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات فيقال له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر؛ فإن قلتَ: إنَّ إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل، وإن قلتَ: إنَّ له إرادة تليق به، كما أنَّ للمخلوق إرادة تليق به قيل لك: وكذلك له محبَّة تليق به وللمخلوق محبَّة تليق به وله رضًا وغضبٌ يليق به وللمخلوق رضًا وغضبٌ يليق به وإن قلتَ: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فيقال له: والإرادة ميل النَّفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرَّة، فإن قلتَ: هذه إرادة المخلوق، قيل لك: وهذا غضبُ المخلوق، وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفي عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السَّمع والبصر والكلام وجميع الصفات، وإن قال: إنَّه لا حقيقة لهذا إلا ما يختصُّ بالمخلوقين، فيجب نفيه عنه، قيل له: وهكذا السَّمع والبصر والكلام والعلم والقدرة"[1].

وعلى هذا يجب إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ كما أثبتها لنفسه في كتابه.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[2].

وكما أثبتها له نبيُّنا محمَّد ﷺ في سنَّته، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل فقال: إنِّي أحبُّ فلانًا فأحبّه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إنَّ الله يحبُّ فلانًا فأحبوه فيحبه أهل

---

(١) التدمرية، ص٣٢، وينظر: شرح الطحاوية ٢/٦٨٦.

(٢) سورة النساء: ٩٣.

السَّماء، قال: ثم يُوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إنِّي أبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إنَّ الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض»[1].

ج – التفصيل في النفي مع ذكر الألفاظ المجملة

قال ابن عجيبة: "عليك أن تعتقد أنَّ الله ليس بجسمٍ مصوَّر[2]، ولا جوهر محدود[3]، ولا عرض"[4].

وهذا التفصيل في النفي مخالف لطريقة الكتاب والسُّنَّة، فطريقة الكتاب والسُّنَّة في إثبات الصفات هي النفي المجمل والإثبات المفصَّل، فالله عَزَّوَجَلَّ نفى عن نفسه كلَّ صفات النقص إجمالًا فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[5] وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[6]، وأثبت لنفسه صفات الكمال تفصيلًا، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[7].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده، ٤/ ٢٣٠، رقم ٢٦٣٧.

(٢) الجسم المصوَّر: هو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة: بسيط روحاني كالعقول، والنفوس المجردة، وبسيط جسماني كالعناصر، ومركب في العقل دون الخارج. ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص١٣٩، ١٤٢.

(٣) الجوهر: هو القائم بنفسه، وهو حاملٌ للأعراض لا تتغير ذاتيته، موصوف لا واصف، ويقال هو غير قابل للتكوين والفساد. ينظر: المعجم الفلسفي ١/ ٣٦٨.

(٤) مخطوط رسائل في العقائد ل/١.

والعرض: هو الذي يحتاج في وجوده إلى محلٍّ ليقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يقوم به، ويطلق العرض على الألوان والحركة والسكون. ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص١٩.

(٥) سورة الشورى: ١١.

(٦) سورة الإخلاص: ٣-٤.

(٧) سورة الحشر: ٢٢.

وابن عجيبة سلك طريقة المتكلِّمين التي مفادها التفصيل في النفي والإجمال في الإثبات، وهي طريقةٌ مخالفة للقرآن وللعقل؛ أمَّا مخالفتها للعقل: فلأنَّ النفيَ الذي يستعملونه هو النفي المحض، الذي لا يدلُّ على الكمال، ولا يتضمَّن أمرًا ثبوتيًّا، فهو نوعٌ من التعطيل؛ ولهذا فإنَّ من فقه السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أنَّهم سمَّوا أصحاب هذا المذهب بالمعطلة؛ لأنَّ من استعمل النفي المحض فإنَّه ينتهي إلى التعطيل؛ لأنَّ الأشياء المعدومة والممتنعة تشترك في هذا النفي، ومن أخص القواعد الشرعية والعقلية: أنَّ كلَّ موجودٍ لا بدَّ أن يكون له صفات تليق به، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الخالق البارئ، الذي خلق الخلق وأبدع الكائنات، فلا بدَّ أن يكون له من الصفات ما يحصل بها هذا الكمال(١).

وليس في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا في السُّنَّة نفيٌ محضٌ؛ فإنَّ النفي الصرف لا مدح فيه، وإنَّما يُراد بكلِّ نفيٍ فيهما إثبات ما يضاده من الكمال، فنفي الشريك والنِّد لإثبات كمال عظمته وتفرُّده بصفات الكمال، ونفي العجز لإثبات كمال قدرته، ونفي الجهل لإثبات سعة علمه وإحاطته، ونفي الظلم لإثبات كمال عدله، ونفي العبث لإثبات كمال حكمته، ونفي السِّنَة والنوم والموت لإثبات كمال حياته وقيُّومِيَّتِه، وهكذا.

ولهذا كان النَّفي في الكتاب والسُّنَّة إنما يأتي مجملًا في أكثر أحواله، بخلاف الإثبات؛ فإنَّ التفصيل فيه أكثر من الإجمال؛ لأنَّه مقصودٌ لذاته.

وأمَّا الإجمال في الإثبات فمثل إثبات الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد المطلق، ونحو ذلك، كما يشير إليه مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص١٩.

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

وأمَّا التفصيل في الإثبات فهو متناوِلٌ لكلِّ اسمٍ أو صفةٍ وردت في الكتاب والسُّنَّة، وهو من الكثرة بحيث لا يمكن لأحدٍ أن يحصيه؛ فإنَّ منها ما اختص الله عَزَّوَجَلَّ بعلمه كما قال نبيُّنا محمَّد ﷺ: «سبحانك لا نحصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسك»[1][2].

أمَّا هذه الألفاظ التي أطلقها ابن عجيبة فلم ترد في الكتاب والسُّنَّة فمن قال: إنَّ الله جسمٌ أو ليس بجسمٍ قلنا له: إنَّك مبتدع وتقوَّلت على الله عَزَّوَجَلَّ، ونطالبه بدليلِ النَّفي، ودليل الإثبات، ويقال له: خالفت طريق السَّلف والأئمَّة الذين يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع وبالعقل، ويراعون أيضًا الألفاظ الشرعية، فيعبِّرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا، ومن تكلَّم بقول مبتدع يحتمل حقًّا وباطلًا نسبوه إلى البدعة، ويقولون قابل البدعة ببدعة ورد الباطل بباطل[3].

ولذلك كان من أصولهم في هذا الباب الالتزام بالألفاظ الشرعيَّة، أمَّا ما كان محدثًا أوفيه إجمالٌ فينظر فيها، فإذا كان المعنى باطلًا رُدَّ اللَّفْظ والمعنى، وإن كان له معنى حق رُدَّ اللَّفْظُ وقُبِل المعنى وعُبِّر عن المعنى باللَّفظ الشرعي الصحيح[4].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فهذه الألفاظ مجملة، فإن أُريد بها المعروف في اللغة بأنه لا ينفصل بعضه عن بعض، ولا يتجزأ فيفارق جزء منه جزءًا كما هو المعقول من التجزئ، ولا يتعدد فيكون إلهين أو ربين أو خالقين، لم يركب فيؤلف فيجمع أبعاضه، فهذا كلُّه ينافي صمدانيته، ولكن لا ينافي قيام ما يثبته من الأصوات، كما لا ينافي قيام سائر الصفات.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، ٤/٤٥٠، رقم ١١١٨.

(٢) ينظر: شرح الواسطية، ص٣٨.

(٣) ينظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢٤١، بيان تلبيس الجهمية ٢/٤٩٨-٥٠٠.

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: الشيخ عبد الله التركي -حفظه الله- ١/٢٥٤،

وإن أردت بهذه الألفاظ أنه لا يتميز منه شيء، فهذا باطلٌ بالضرورة، وباطلٌ باتفاق العقلاء.

وحاصل القول: الكلام في وصف الله بالجسم نفيًا، وإثباتًا بدعة لم يقل أحدٌ من سلف الأُمَّة وأئمتها إنَّ الله ليس بجسم، ولم يقولوا إنَّ الله جسم، بل من أطلق أحد اللفظين استُفصل عمَّا أراد بذلك فإنَّ في لفظ الجسم بين الناطقين به نزاعًا كثيرًا"(١).

وقال في موضع آخر: "وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس، هو الذي يتضمَّن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسُّنَّة، وتلك الألفاظ تكون موجودة مستعملة في الكتاب والسُّنَّة وكلام الناس، لكن بمعان أُخَر غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معاني أُخَر، فيحصل الاشتباه والإجمال، كلفظ العقل والعاقل والمعقول، فإنَّ لفظ العقل في لغة المسلمين إنما يدلُّ علي عرض، إمَّا مُسمَّي مصدر عقل يعقل عقلًا، وإمَّا قوة يكون بها العقل، وهي الغريزة، وهم يريدون بذلك جوهرًا مجرَّدًا قائمًا بنفسه.

وكذلك لفظ المادة والصورة، بل وكذلك لفظ الجوهر والعرض، والجسم، والتحيُّز، والجهة، والتركيب، والجزء، والافتقار، والعلَّة، والمعلول، والعاشق، والعشق، والمعشوق، بل ولفظ الواحد في التوحيد، بل ولفظ الحدوث، والقدم بل ولفظ الواجب والممكن، بل ولفظ الوجود، والذات، وغير ذلك من الألفاظ(٢).

وما تنازع فيه المتأخِّرون ليس لأحدٍ أن يثبته أو ينفيه حتى يستفصل ويعرف المراد منه.

---

(١) التسعينية، ص٧٤٤-٧٤٥، وينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري ١/٢٨١-٢٨٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل١/٢٢٢.

قال ابن تيمية: "وما تنازع فيه المتأخِّرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحدٍ بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظه أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قُبِل، وإن أراد باطلًا رُد، وإن اشتمل كلامه على حقٍّ وباطل لم يُقبل مطلقًا، ولم يُرَدَّ جميع معناه، بل يوقف اللَّفْظ، ويُفسَّر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيُّز وغير ذلك، فلفظ الجهة قد يُراد به شيءٌ موجود غير الله، فيكون مخلوقًا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السموات، وقد يُراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنَّه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو، والاستواء، والفوقية، والعروج إليه، ونحو ذلك.

وقد عُلم أنَّ ما ثمَّ موجودٌ إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته؛ ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنَّها شيءٌ موجودٌ مخلوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات أم تُريد بالجهة ما وراء العالم؟

فلا ريب أنَّ الله فوق العالم مباين للمخلوقات، وكذلك يقال لمن قال الله في جهة: أتريد بذلك أنَّ الله فوق العالم؟ أو تريد به أنَّ الله داخلٌ في شيء من المخلوقات؟

فإن أردتَ **الأول** فهو حقٌّ، وإن أردتَ **الثاني** فهو باطل، وكذلك لفظ التحيُّز إن أراد به أنَّ الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر بل قد وسع كرسيُّه السموات والأرض، وإن أراد به أنه منحازٌ عن المخلوقات، أي مباينٌ لها منفصلٌ عنها ليس حالًا فيها، فهو سبحانه كما قال أئمة السُّنَّة: فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقه"(١).

---

(١) مجموع الفتاوى ٤١/٣-٤٢، وينظر: الصواعق المرسلة ١٣٦٧/٤، وذم التأويل، لابن قدامه، ص٢٣٤-٢٣٥، رقم ٣٤، من بداية: "وحرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحده ...

قوله: في صفة الرؤية:

قال ابن عجيبة: "ورؤيته تعالى جائزة في الدنيا والآخرة، واقعة في الدارين عند العارفين"[1].

ويقول أيضًا: "فإذا فَنِيَ العبد عن شهود حِسِّه بشهود معناه، غاب وجوده في وجود معبوده، فشاهد الحقَّ بالحق، فالعارفون لَمَّا فنوا عن أنفسهم، لا يقع بصرهم إلا على المعاني، فهم يشاهدون الحق عيانًا"[2].

يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّ الله يُرى يوم القيامة رؤية بصريَّة حقيقيَّة من المؤمنين، من غير إحاطة به، وقد جاءت النصوص مقرِّرةً لذلك.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

قال ابن كثير: "قوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي: تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُور والحُور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قُرَّة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النَّظرُ إلى وجهه الكريم، فإنَّه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله"[5].

---

(١) البحر المديد ٧/١٩٠.

(٢) المرجع نفسه ٢/١٥٢.

(٣) سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

(٤) سورة يونس: ٢٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٦٢.

وقال الطبري: "ألا إنَّ الحسنى الجنَّة، والزيادة النظرُ إلى وجه الله"(١).

وعن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهلُ الجنَّة الجنَّةَ قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ»(٢).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّكم سترون ربَّكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروب الشمس فافعلوا»(٣).

أما إثبات ابن عجيبة لرؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا والآخرة فمبنيٌّ على مصدر التلقِّي عنده بالكشف والمشاهدة، وزعمه أنَّ الله تعالي -هو عين وجود المخلوقات- ؛ لأنَّ كلَّ وجود في الوجود هو وجود الله، تعالى عمَّا يقول علوًّا كبيرًا، وتبين بهذا متابعة ابن عجيبة لابن عربي(٤) في هذه المسألة، وهم لا يرون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له إلا في أذهانهم، أو لا وجود له إلا وجود المخلوقات.

وبيَّن هذا ابن تيمية رحمه الله بقوله: "إنَّ العبد قد يرى الله في الدنيا إذا زال عن عينه المانع إذ لا حجاب عندهم للرؤية منفصل عن العبد وإنما الحجاب متصل به، فإذا ارتفع شاهد الحق، وهم لا يشاهدون إلا ما يتمثلونه من الوجود المطلق الذي لا

---

(١) جامع البيان ١٥/٦٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ١/١١٢، رقم ٤٦٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ١/١٤٥، رقم ٥٥٤، ومسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ٢/١١٣، رقم ١٤٦٦.

(٤) ينظر: الفتوحات المكية ٣/٣٧٥.

حقيقة له إلا في أذهانهم أو من الوجود المخلوق، فيكون الرَّبُّ المشهود عندهم الذي يخاطبهم في -زعمهم- لا وجود له إلا في أذهانهم، أو لا وجود له إلا وجود المخلوقات؛ وهذا هو التعطيل للرَّبِّ تعالى ولكتبه ولرسله، والبدع دهليز الكفر والنفاق، كما أنَّ التشيُّع دهليز الرفض، والرفض دهليز القرمطة والتعطيل، فالكلام الذي فيه تجهُّم هو دهليز التجهُّم، والتجهُّم دهليز الزندقة والتعطيل"[١].

وقول ابن عجيبة مردود عليه بالكتاب والسُّنَّة، وإجماع سلف الأُمَّة.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

فقوله تعالى: (لَن تَرَىٰنِي) أي: لن تراني في الدنيا، وذلك لضعف موسى عليه السلام عن الرؤية في الدنيا كما دلَّ عليه سياق الآية.

وأما من السُّنَّة فقد دلَّت على نفي رؤية الله بالأبصار في الدنيا.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنَّى أراه»، وفي رواية «رأيت نورًا»[٣].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[٤].

وبيَّن ابن أبي العز معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نورٌ أنَّى أراه»، فقال رحمه الله: النور الذي

---

(١) مجموع الفتاوى٢/٢٢٩-٢٣٠، و٣٣٦-٣٣٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٣

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله «نور أنى أراه» ١/١١١، رقم ٤٦١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ١/١٦٧، رقم ٣٠٢.

هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنَّى أراه أي كيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريحٌ في نفي الرؤية عن النبي ﷺ في الدنيا وعن غيره من باب أولى"[1].

وقال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه[2]: «النَّاس ينظرون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة بأعينهم»[3].

وأمَّا الإجماع: فقد "أجمع سلف الأُمَّة وأئمتها على أنَّ المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنَّهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ ... ومن قال من الناس إنَّ الأولياء وغيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأُمَّة"[4].

د- قوله بالمجاز في الأسماء والصفات

خالف ابنُ عجيبة أهلَ السُّنَّة والجماعة بقوله: الرحمة هنا مجازٌ بمعنى الإنعام، وإرادته وحقيقته هنا مُحال"[5]، وقوله: بأنَّ "اليد: مجازٌ عن القدرة التامة"[6].

وتقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيمًا شرعيًّا ولا عقليًّا، ولا لغويًّا، بل هو اصطلاحٌ حادثٌ بعد القرون المفضَّلة، وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية، ومن سلك طريقتهم من المتكلِّمين.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٢٤.

(٢) أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، توفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٨/٨.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة، لابن بطة ٥٢/٣، وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة، للالكائي ٥٠١/٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٨٢/١٦-٨٣.

(٥) الجواهر العجيبة، ص٢٢.

(٦) البحر المديد ٩١/٧.

والألفاظ التي تستعمل في حق الخالق والمخلوق لها ثلاثة اعتبارات:

أحدها: أن تكون مقيدة بالخالق، كسمع الله وبصره ووجهه وعلمه وقدرته وحياته.

الثاني: أن تكون مقيدة بالمخلوق كيد الإنسان ووجهه واستوائه.

الثالث: أن تجرد عن كلا الإضافتين، وتوجد مطلقة.

فإن جعلتم جهة كونها حقيقة تقيدها بالخالق لزم أن تكون في المخلوق مجازًا.

وطرف آخر قال: إنها حقيقة في المخلوق مجاز في الخالق، وإليه صار إمام المعطلة: جهم بالمجاز، ودرج أصحابه على أثره.

وذهب أهل الحق إلى أنها حقيقة في الخالق والمخلوق، وإذا أضيف ذلك إلى الرَّبِّ كان بحسب ما يليق، ولا يشركه فيه المخلوق، كما أنَّه إذا أضيف إلى المخلوق كان بحسب ما يليق به، ولا يشركه فيه الخالق[(١)].

ومما يجب أن يذكر هنا أنَّ القول بالمجاز في باب الأسماء والصفات كان له الأثر الكبير في تحريف النصوص وتأويلها، ونفي الأسماء والصفات عن الله جلَّ جلاله[(٢)].

ومن هنا قرَّر أهل العلم أنَّ أسماء الله وصفاته ثابتة لله تعالى على وجه الحقيقة لا على المجاز.

قال السجزي –بعد ذكر صفة اليدين والضحك والرضى والغضب وردَّ على من أوَّلهَا–، قال: "وعند أهل الأثر أنها صفات ذاته لا يفسّر منها إلا ما فسَّره النبي ﷺ أو الصحابي، بل نمر هذه الأحاديث على ما جاءت بعد قبولها والإيمان بها والاعتقاد بما فيها بلا كيفية"[(٣)].

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق ٧٤٩/٢، بدائع الفوائد ١٦٤/١-١٦٥.

(٢) ينظر: مذكرة في أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص٥٨.

(٣) الرّد على من أنكر الحرف والصوت، للسجزي، ص١٧٥.

وقال ابن عبد البر: "أهل السُّنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأمَّا أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلُّهم ينكرونها ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بها مشبِّه، وهم عند من أقرَّ بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وهم أئمَّة الجماعة"(١).

وقال ابن القيم: "قد تطابقت نصوص الكتاب والسُّنَّة والآثار على إثبات الصفات لله، وتنوعت دلالتها عليها أنواعًا توجب العلم الضروري بثبوتها، وإرادة المتكلِّم اعتقاد ما دلَّت عليه، والقرآن مملوءٌ من ذكر الصفات، والسُّنَّة ناطقةٌ بمثل ما نطق به القرآن مقرِّرة له، مصدِّقة له، مشتملة على زيادة في الإثبات، ... فمن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره، ودعوى المجاز فيه والاستعارة، وأنَّ الحق في أقوال النفاة المعطلين، وأنَّ تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص؛ إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بدَّ منها أو من بعضها وهي: القدح في علم المتكلِّم بها، أو في بيانه، أو في نصحه"(٢).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "إنَّ الله تبارك وتعالى موصوفٌ بتلك الصفات حقيقةً لا مجازًا؛ لأنَّا نعتقد اعتقادًا جازمًا لا يتطرَّق إليه شكٌّ أنَّ ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تدلُّ البتَّة إلا على التنزيه عن مشابهة الخلق، واتصافه تعالى بالكمال والجلال، وإثبات التنزيه والكمال والجلال لله حقيقة لا مجازًا لا ينكره مسلم"(٣).

---

(١) التمهيد، لابن عبد البر ١٤٥/٧.

(٢) الصواعق المرسلة ٣٢٠/١-٣٢٤.

(٣) أضواء البيان ٤٥٢/٧.

المبحث الثالث: مسائل الألوهية

أولًا: تعريف الألوهية لغةً واصطلاحًا

قال ابن فارس: "الألف واللام والهاء أصلٌ واحد، وهو التعبُّد، فالإلهُ: الله تعالى، وسُمِّي بذلك؛ لأنَّه معبود، ويُقال تألَّه الرَّجلُ: إذا تعبَّد اشتقاقًا، (وإله) كفعال بمعنى مألوه، وكل ما اتُّخذ معبودًا (إله) عند متخذه"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنَّ الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع، والعبادة تتضمَّن غاية الحبِّ بغاية الذل"[(٢)].

وقال في موضع آخر: "هو المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبودًا محبوبًا لذاته إلا هو الله عَزَّوَجَلَّ"[(٣)].

وقال ابن القيم: "والإله هو الذي تألهه القلوب محبَّةً وإنابةً وإجلالًا وإكرامًا وتعظيمًا وذُلًّا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكُّلًا"[(٤)].

وقال ابن رجب: "الإله: هو الذي يُطاع فلا يُعصى هيبةً له وإجلالًا ومحبَّةً وخوفًا ورجاءً وتوكُّلًا عليه وسؤلًا منه ودعاءً له، ولا يصلح هذا كلُّه إلا الله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ١٢٧/١، ومختار الصحاح، ص٢٢، ولسان العرب ٤٦٧/١٣، وتاج العروس ٣٧٤/٩، والقاموس المحيط، ١٦٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤٩/١٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٨٥/١، وينظر: كتاب العبودية، له، ص٣٥.

(٤) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ٧٢/١.

فمن أشرك مخلوقًا في شيءٍ من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: (لا إله إلا الله) ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك"[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[(٢)]: "فاعلم أنَّ معنى الإله هو المعبود؛ هذا هو تفسير هذه اللَّفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئًا فقد اتخذه إلهًا من دون الله، وجميع ذلك باطلٌ إلا إله واحد، وهو الله وحده، تبارك وتعالى علوًّا كبيرًا"[(٣)].

ثانيًا: معنى الإله عند ابن عجيبة

قال ابن عجيبة: "حقيقة الإله هو: الواجب الوجود، المستحق للعبادة"[(٤)].

وقال في موضع آخر: "والإله لا بدَّ أن يكون واجب الوجود"[(٥)].

وعند سبر أقواله في حقيقة الإله نجد فيه حقًّا وباطلًا، فأمَّا الحقُّ فهو ذكره بأنَّ الإله هو المستحق للعبادة، وهذا بلا شكٍّ حقٌّ وصدق، فقد وافق ما عليه القرآن العظيم وما دعت إليه رسل الله عليهم الصلاة والسلام وما عليه أهل السُّنَّة والجماعة.

---

(١) كلمة الإخلاص، ص٢٣-٢٤.

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد التميمي النجدي، ولد في بلدة العيينة عام ١١١٥هـ، قرأ مبادئ العلوم والفقه، ومن مشايخه: والده الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ سليمان بن على، والشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي ثم المدني، ومحمد حياة السندي المدني صاحب الحاشية المشهورة على صحيح الإمام البخاري، والشيخ محمد المجموعي البصري، له تصانيف عدة منها: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، ومسائل الجاهلية، وكانت وفاته عام ١٢٠٦هـ. ينظر: مشاهير علماء نجد ١٦، ١٧، ١٨.

(٣) الدرر السنية، كتاب التوحيد ١/١٠٣.

(٤) الجواهر العجيبة، ص١١٥.

(٥) البحر المديد ٣/١١٧.

وأمَّا الباطل فهو تفسيره للإله بأنَّه واجب الوجود، خلافًا للمعنى الصحيح الذي دلَّت عليه النصوص وقرَّره علماء أهل السُّنَّة والجماعة، وهو أنَّ الإله بمعنى المعبود، يقال: أله يأله إلهةً وألوهيةً: بمعنى عبد عبادة[1].

ولا يُسلَّم له هذا التفسير؛ لتضمُّنه ما هو حقٌّ وباطل.

قال الشيخ البرَّاك: "الإخبار عن الله تعالى بأنَّه واجب الوجود يراد به أنَّ وجوده سبحانه لذاته، فيستحيل عليه العدم أزلًا وأبدًا، بخلاف المخلوق فإنه ممكن الوجود أو جائز الوجود، أي يجوز عليه الوجود والعدم، ووجوده لا لذاته، بل بإيجاد الله تعالى.

فالوجود نوعان: واجبٌ وممكن، فالأول: وجود الله تعالى، والثاني: وجود كل مخلوق سوى الله تعالى؛ لأنَّ كلَّ مخلوق مسبوق بالعدم، ويجوز أن يلحقه فناء "فالأشياء في حكم العقل ثلاثة: واجبٌ وممكنٌ وممتنع، فالواجب ما لا يقبل الحدوث ولا العدم، والممكن ما يقبل الوجود والعدم، والممتنع: ما لا يقبل الوجود"[2].

ولفظ (واجب الوجود) لم يرد في كلام الله تعالى، ولا في كلام رسوله ﷺ، وقد استحدثه الفلاسفة[3] المتأخرون.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: وأمَّا الكلام بلفظ (الواجب الوجود)، و(ممكن

(١) ينظر: دعوة التوحيد، خليل هراس، ص٣٢.

(٢) شرح الرسالة التدمرية، ص٩٦.

(٣) الفلاسفة: مفردها فيلسوف، والمقصود أنه عالم في الفلسفة يبحث في المبادئ الأولى للأشياء، وفي الأسباب القصوى، ويفسرها تفسيرًا عقليًّا، لذلك الفيلسوف يقدم العقل على النقل. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١٧٤٠/٣.

الوجود): فهذا من كلام ابن سينا[1] وأمثاله، الذين اشتقوه من كلام المتكلِّمين، فإنَّهم قسموا الوجود إلى قديمٍ ومحدث، وقسَّمه هو إلى واجبٍ وممكن، وإلا فكلام سلفهم، إنما يوجد فيه لفظ العلة والمعلول[2].

وقصد شيخ الإسلام أنَّ هؤلاء المعطِّلة يحاولون أن يثبتوا أنَّ الله تعالى واجبٌ وجوده، ولكنَّهم لأجل تعطيلهم جعلوا الله تعالى ممتنع الوجود؛ لأنَّهم وصفوه بصفات المعدوم والممتنع.

فدليلهم الذي أقاموه على إثبات كون الله تعالى واجب الوجود هو في الحقيقة دليلٌ على كون الله تعالى ممتنع الوجود، فقد هدموا بنيانهم بأيديهم.

وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة هي وصف الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه، وبما وصفه رسوله ﷺ، أمَّا ما لم يرد ذكره في الكتاب والسُّنَّة فيجوز الأخبار عنه إذا كان المعنى صحيحًا.

ثالثًا: معنى توحيد الألوهية

الذي دلَّت عليه أقوال ابن عجيبة عند ذكره لمعنى الألوهية أنَّه يفسِّرها بتوحيد الربوبية سائرًا على مذهب أهل الكلام، إذ قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[3]، فقول صالح عليه السلام: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾

---

(١) هو أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، وهو رأس الفلاسفة، حنفي المذهب، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، وكان أبوه كاتبًا من دعاة الإسماعيلية، ولد عام ٣٧٠هـ، وكانت وفاته عام ٤٢٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/١٩٩، النجوم الزاهرة ٥/٢٥.

(٢) ينظر: الصفدية ٢/١٨٠، ومجموع الفتاوى ١/٤٠، ومنهاج السُّنَّة النبوية ٢/١٣١-١٣٢.

(٣) سورة هود: ٦١

"هذا إفراد الحق بالربوبية"[١].

وابن عجيبة خالف المعنى المقصود لكلمة التوحيد، وفسَّرها بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ليس له ذكر في معتقده، فعندما فسَّر قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٢] قال: "يعني: أنَّ التوحيد مما أجمعت عليه الرُّسل والكتب السماوية، والفناء فيه على ثلاثة أقسام: فناء في توحيد الأفعال، وهو ألا يرى الفعل إلا من الله، ويغيب عن الوسائط والأسباب، وفناء في توحيد الصفات، وهو أن يرى ألا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلِّم إلا الله، وفناء في توحيد الذات، وهو أن يرى ألا موجود إلا الله ذوقًا ووجدًا وعقدًا ... أي: في مقام الفناء والبقاء انتهت أقدام السائرين، ورسخت أسرار العارفين، مع ترقيات وكشوفات أبد الآبدين"[٣].

وبهذا التعريف للتوحيد لم يذكر شيئًا عن توحيد الألوهية، بل هذا التقسيم يقرر فيه نفي الأسباب وهي عقيدة الجبر[٤]، رغم أنَّه أثبت الوحدانية في أفعال الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لا يلبس علينا هذا الأمر فعند سبر أقواله التي مرَّت معنا ظهر تصريحه بأنَّ الأولياء لهم التصرُّف في الكون، وهذا شركٌ في الربوبيَّة.

وقد ظهر من خلال تقريرات ابن عجيبة لمعنى (لا إله إلا الله) التناقض والاضطراب، وكثرة الخطأ كما يلي:

فسَّرها بتفسير الأشاعرة، بقوله: المستغني عمَّا سواه، المفتقر إليه كلُّ من عاداه،

---

(١) البحر المديد ٢/٥٤٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٣) البحر المديد ٣/٤٥٤، وينظر: إيقاظ الهمم، ص٨٢، و٢٦٩، ٢٧١، والجواهر العجيبة، ص٤٤.

(٤) سيأتي الحديث عنها في موضعه.

ومن أبرز القائلين بهذا التفسير من الأشاعرة السَّنوسي[(١)] في أمِّ البراهين[(٢)].

وفسَّرها بتفسير أهل الحلول والاتحاد.

وفسَّرها بلا موجود إلا الله.

وفسَّرها بالمعنى الظاهر.

وبيَّن ابن عجيبة معنى (لا إله إلا الله) الظاهر الذي التزم على نفسه بأن يفسره، وقرَّر أنَّ لها تفسيران، تفسيرٌ لأهل الظاهر وآخر لأهل الباطن، وهو لا يعتقد بأنَّ هناك عابدًا ومعبودًا ولو اعتقد ذلك لفسد الذي قرره بأنه لا يرى موجودًا إلا الله، فمن عبد الشجر أو غيرها من المعبودات الباطلة فقد عبدَ اللهَ عنده، تعالى الله عمَّا يقول، قال ابن تيمية: "وهذا ما يقوله أهل الاتحاد؛ من أنه ما ثم موجود إلا الله ويقولون: ليس إلا الله أي ليس موجود إلا الله، ويقولون: إنَّ وجود المخلوقات هو وجود الخالق والخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق والعبد هو الرَّبُّ والرَّبُّ هو العبد ونحو ذلك من معاني الاتحادية الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق ولا يثبتون المباينة بين الرَّبِّ والعبد"[(٣)].

وقال أيضًا: "لا موجود إلا الله وأنَّ وجود الخالق هو وجود المخلوق فلا فرق بين الرَّب والعبد فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد"[(٤)].

---

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف السنوسي، ولد عام ٨٣٠هـ، زعيم الطريقة السنوسية ومؤسسها، تعلَّم بفاس، وتصوَّف على يد عبد الوهاب التازي، ومن تلاميذه: الزوواي، وابن أبي مدين، وأحمد زروق، له مؤلفات منها: شرح العقيدة الوسطى، مختصر التفتازاني، زواجر البنا في الطب، توفي عام ٨٩٥هـ. ينظر: شجرة النور الزكية ٣٨٤/١، معجم أعلام الجزائر ص١٨٠.

(٢) متن أم البراهين، ص١١.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٩٠/٢.

(٤) العبودية، ص١٢٠.

ومقصود ابن عجيبة أنَّ كل موجود في الكون له هذه الصفات التي انفصلت من الذات الإلهيَّة، وسمَّاها عالم الملكوت، والذي ينظر لباطن هذه الموجودات لا يرى إلا الله، ولا شكَّ أنَّ مجرد تصور هذه العقيدة كاف بالعلم بفسادها، **لذلك قال**:

"إنَّ الحق -جلَّ جلاله- محيطٌ بكلِّ شيء، فأسرار ذاته العليَّة أحاطت بالوجود بأسره، فما فوق العرش هو عين ما تحت الثرى، فلو صعد أحدٌ إلى ما فوق العرش لوجد الله، ولو هبط إلى ما تحت الأرض السُّفلى لوجد الله؛ إذ عظمته أحاطته بكلِّ شيء، ومحت وجود كلِّ شيء، واعلم أنَّ الحق -جلَّ جلاله- منفرد بالوجود، لا شيء معه، غير أنَّ عظمة الذات الخارجة عن دائرة قبضة التكوين باقية على أصلها من اللطافة والكنزية، والعظمة الداخلة في القبضة حين دخلها التكثيف، وتحسَّست ليقع بها التجلِّي، استترت وتردّت برداء الكبرياء، فظهر فيها الضدان: العبودية والربوبية، والحس والمعنى، والقدرة والحكمة، فاستترت الربوبية برداء الكبرياء، فكان من اصطلاح الوحي التنزيلي أن يُخبر عن العظمة الأصلية، وينعت أوصافها، ويسكت عن العظمة الفرعية، التي وقع بها التجلِّي، سترًا لسرِّ الربوبية أن يظهر، إذ لو ظهر لفسد نظام عالم الحكمة، ولذلك قال سهل[1]: للألوهية سرٌّ لو انكشف لبطلت النبوات، وللنبوات سرٌّ لو انكشف لبطل العِلم، وللعلم سرٌّ لو انكشف لبطلت الأحكام، فَسِرُّ الألوهية هو قيامها بالأشياء، وظهورها بها، بل لا وجود للأشياء معها، فلو انكشف هذا السرُّ لجميع الناس لاستغنوا عن العبادة والعبودية، ولبطلت أحكام النبوة؛ إذ النبوة إنما هي لبيان العبادة وآداب العبودية، وعند ظهور

---

(١) سهل بن عبد الله التستري، أحد كبار المتصوفة، ولد سنة ٢٠٠هـ، له تصانيف منها: تفسير القرآن، ورقائق المحبين، ومواعظ العارفين، توفي سنة ٢٨٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/١٤٣، وطبقات الصوفية، للسلمي، ص٢٠٦-٢١١.

هذا السر يقع الاستغناء عن تلقي الوحي، وأيضًا ليست القلوب كلها تقدر على حمل هذا السر، فلو تجلَّى للقلوب الضعيفة لوقع لها الدهش والحيرة، وربما أدَّاها إلى التلف.

وسرُّ النبوات هو: سدل الحجاب بين الله وعباده، حتى يفتقر الناس إلى تلقِّي العلم بواسطة النبوة، فلو انكشف هذا الحجاب لوقع الاستغناء عن النبوة، لتلقِّيه حينئذٍ كشفًا بدونها من غير تكلُّف، وسر العلم هو إبهام العواقب، فلو انكشف هذا السرُّ وعرف كلُّ واحدٍ مآله للجنَّة أو النار لبطلت الأحكام؛ إذ مَن عرف أنه للجنَّة قطعًا استغنى عن العبادة، ومَن عرف أنه للنَّار قطعًا انهمك في المعاصي، فأخفى الله هذا السرَّ ليعمل كلُّ واحدٍ على الرجاء والخوف"[1].

ولذلك انحرفوا حتى في العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا هو قول أهل الوحدة الذين جوَّزوا أن يعبد كل شيء، قال ابن تيمية: "فإنهم أجمعوا على كلِّ شرك في العالم، وعدلوا بالله كل مخلوق، وجوَّزوا أن يعبد كل شيء، ومع كونهم يعبدون كل شيء فيقولون: ما عبدنا إلا الله، فاجتمع في قولهم أمران: كل شرك، وكل جحود وتعطيل مع ظنهم أنهم عبدوا الله"[2].

كما أنَّ ابن عجيبة يعيب على الزُّهَّاد والعباد بأنهم لم يفهموا العبادة فحجبوا بعبادتهم وزهدهم فقال: "ولو عرفوا الله في كلِّ شيءٍ ما استوحشوا من شيء، ولأنسوا بكلِّ شيء ..."[3]، وهذه هي عين عقيدة الحلول[4] التي ضلَّت بسببها الصوفية قرونًا عديدة.

---

(١) البحر المديد ٢٤٥/٦-٢٤٦ ، ٩١/١ ، ١١٠ ، ١٥١/٣ ، ٥٤٥/٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥٧/٢.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٢٢٦-٢٢٨، وسيأتي بحثها في موضعها إن شاء الله.

(٤) سيأتي بحثها في الباب الثالث من هذا الكتاب.

والمقصود هنا بيان ما خالف ابن عجيبة أهل السُّنَّة والجماعة في قضية من أكبر القضايا التي ما بعث الرُّسُل عليهم السلام إلا لأجلها وهي توحيد العبادة.

ولهذا اعتنى أهل السُّنَّة والجماعة عناية خاصَّة بتوحيد الألوهية وبيَّنوه غاية البيان، فهو الغاية التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم، ونجاتهم بتحقيق معنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحقٍّ إلا الله.

قال ابن القيم: "فهو التوحيد الذي جاءت به الرُّسُل من أولهم إلى آخرهم، ونزلت به الكتب كلها، وبه أمر الله الأولين والآخرين، وذكر الآيات الواردة بذلك.

ثم قال: وقد أخبر الله عن كل رسول من الرُّسُل أنَّه قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[1].

والتوحيد أوَّلُ دعوة الرُّسُل وآخرها، قال النبي ﷺ: «أمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله»[2] وقال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله، دخل الجنَّة»[3]، والقرآن مملوءٌ من هذا التوحيد، والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الآخرة به، وحقيقته: إخلاص الدين كله، والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق تعالى في قلبك، وتنفي إلهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء، وحقيقته: أن تفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه، وأمرنا تعالى أن نتأسى بإمام هذا التوحيد في نفيه وإثباته، كما

(١) سورة هود: ٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ ١/٢٤، رقم ٢٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنه من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ١/٥٥، رقم ٤٣.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾(٢).

والخليلان هما أكمل خاصَّة الخاصة توحيدًا، ولا يجوز أن يكون في الأُمَّة من هو أكمل توحيدًا من نبيٍّ من الأنبياء، فضلًا عن الرُّسُل، فضلًا عن أولي العزم، فضلًا عن الخليلين"(٣).

وقال أيضًا: وإنَّ هذا توحيد خاصَّة الخاصة، الذي لا شيء فوقه، ولا أخص منه، وأنَّ الخليلين أكمل الناس فيه توحيدًا، فليهن العامة نصيبهم منه(٤).

وقال: "ولظهوره وجلائه أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأمر الله به الأولين والآخرين من عباده، وأمَّا الرَّمز والإشارة والتعقيد الذي لا يكاد أن يفهمه أحدٌ من الناس إلا بجهد وكلفة فليس مما جاءت به الرُّسُل، ولا دعوا إليه، فظهور هذا التوحيد وانجلاؤه ووضوحه وشهادة الفطر والعقول به من أعظم الأدلة أنه أعلى مراتب التوحيد، وذروة سنامه، ولذلك قوي على نفي الشرك الأعظم، فإنَّ الشيء كُلَّما عظم لا يدفعه إلا العظيم، فلو كان شيء أعظم من هذا التوحيد لدفع الله به الشرك الأعظم، ولعظمته وشرفه نُصبت عليه القبلة، وأُسِّست عليه المِلَّة، ووجبت به الذمة، وانفصلت به دار الكفر من دار الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي، ومهتد وغوي، ونادت عليه الكتب والرُّسُل"(٥).

---

(١) سورة الممتحنة: ٤.

(٢) سورة الزخرف: ٢٦.

(٣) مدارج السالكين ٣/٥٠٥-٥٠٦.

(٤) المرجع نفسه ٣/٥٠٦.

(٥) نفسه ٣/٥٠٧.

ولقد تواطأ أهل العلم المحققون في الرّد على من فسَّر توحيد الألوهية بالربوبية.

قال ابن تيمية: "الذين يقولون: (التوحيد) هو توحيد الربوبية، و(الإلهية) عندهم هي: القدرة على الاختراع، ولا يعرفون توحيد الإلهية، ولا يعلمون أنَّ الإله هو المألوه المعبود، وأنَّ مُجرَّد الإقرار بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ رَبُّ كل شيءٍ لا يكون توحيدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1]، قال عكرمة[2]: تسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم يعبدون غيره، وهؤلاء يدَّعون التحقيق والفناء في التوحيد ويقولون إنَّ هذا نهاية المعرفة وإنَّ العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة، وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار[3] من شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ... فإنَّ هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأنَّ الله خالق السموات والأرض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء بل كانوا مقرين بالقدر أيضًا فإنَّ العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في النظم والنثر ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شرًّا من اليهود والنصارى، فمن كان غاية توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين.

وهذا المقام مقام وأيّ مقام زلَّت فيه أقدام، وضلَّت فيه أفهام، وبُدِّل فيه دين

---

(١) سورة يوسف: ١٠٦.

(٢) هو أبو عبد الله، عكرمة مولى ابن عباس، أصله بربري، عالم بالتفسير، توفي سنة ١٠٤هـ، ينظر: وفيات الأعيان ٢٥٦/٣.

(٣) شيوخ الضلال من متصوفة، وغيرهم ممن خلط الحق بالباطل.

المسلمين، والتبس فيه أهل التوحيد بعبَّاد الأصنام على كثيرٍ ممَّن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام"[1].

ثالثًا: معنى لا إله إلا الله

قال ابن عجيبة: "لا إله إلا الله، لا مستحق للعبادة إلا الله الواجب الوجود، أو المستغني عن كلِّ ما سواه، والمفتقر إليه كلُّ ما عداه"[2].

وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[3]: "اللَّهُ الواجب الوجود لا يستحق العبادة غيره"[4].

وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[5]: "أي لا معبود بحقٍّ إلا هو، ولا المستحق للعبادة إلا هو، وهو تصريح بما تضمَّنه ما قبله من اختصاص الألوهية به ﷻ، فإنَّ ما أُسند إليه تعالى من خلق جميع الموجودات، ومن الرحمانية والمالكية للكل، والعلم الشامل، يقتضي اختصاصه تعالى بالألوهية والربوبية"[6].

وابن عجيبة لم يوفق للمعنى الصحيح لها فهو يفسِّرها بتوحيد الربوبية، فهو مطرد مع قوله السابق في بيان معنى الألوهية وقد تمَّ الرد عليه مما أغنى عن التكرار.

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/١٠٣.

(٢) الجواهر العجيبة، ص١١٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٤) البحر المديد ١/٢٨٥.

(٥) سورة طه: ٨.

(٦) البحر المديد ٣/٣٧٤، ٢/٨٠.

رابعًا: أعلى درجات التوحيد عند ابن عجيبة

يزعم ابن عجيبة أنَّ توحيد الخاصَّة أعلى درجات التوحيد إذ يقول: "الطريق المستقيم الذي أمرنا الحق بطلبها هي: طريق الوصول إلى الحضرة، التي هي العلم بالله على نعت الشُّهود والعيان، وهو مقام التوحيد الخاص الذي هو أعلى درجات أهل التوحيد"(١).

وهذا التوحيد الذي ذكره وزعم أنه توحيد الخاصَّة هو الذي بيَّنه الهروي في **منازل السائرين** بقوله: "وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه، واستحقه بقدره وألاح منه لائحًا إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثِّه، والذي يشار به على ألسُن المشيرين، أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم، على أنَّ هذا الرَّمز في ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطها ... هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق، وإن زخرفوا له نعوتًا، وفصَّلوه تفصيلًا، فإنَّ ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً والصفة نورًا والبسط صعوبةً، وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال، وإليه قصد أهل التعظيم، وإياه عني المتكلمون في عين الجمع(٢)، وعليه تصطلم(٣) الإشارات، ثم لم ينطق عنه لسان ولم تشر إليه عبارة؛ فإنَّ التوحيد وراء ما يشير إليه سكونٌ أو يتعاطاه حينٌ أو يقله سبب"(٤).

---

(١) البحر المديد ١/٦٦.

(٢) عين الجمع: شهود الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة إلا بالله، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عمَّا سوى الله وهو المرتبة الأحدية. ينظر: التعريفات ص١٠٢.

(٣) الاصطلام: هو الوله الغالب على القلب، وهو غلبات الحق الذي يجعل كلية العبد مغلوبة له بامتحان اللطف في نفي إرادته. ينظر: المعجم الصوفي، ص٢٤.

(٤) ص٤٧.

وردَّ عليه شيخ الإسلام فقال: "وأمَّا التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره ... إلى آخر كلامه[١] وقد تقدَّم حكايته فهؤلاء هم الذين أنكر عليهم أئمة الطريق كالجنيد وغيره، حيث لم يفرِّقوا بين القديم والمحدث، وحقيقة قول هؤلاء: الاتحاد والحلول الخاص من جنس قول النصارى في المسيح، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد ولا يوحِّد الله إلا الله، وكل من جعل غير الله عَزَّوَجَلَّ يوحِّد فهو جاحد عندهم ... وحقيقة الأمر: أنَّ كلَّ من تكلَّم بالتوحيد أو تصوره وهو يشهد غير الله فليس بموحِّد عندهم، وإذا غاب وفني عن نفسه بالكلية فتمَّ له مقام توحيد الفناء الذي يجذبه إلى توحيد أرباب الجمع، صار الحق هو الناطق المتكلِّم بالتوحيد، وكان هو الموحِّد، وهو الموحَّد، لا موحَّد غيره.

وحقيقة هذا القول لا يكون إلا بأن يصير الرَّبُّ والعبد شيئًا واحدًا، وهو الاتحاد فيتحد اللاهوت والناسوت، كما يقول النصارى: إنَّ المتكلِّم بما كان يسمع من المسيح هو الله، وعندهم أنَّ الذين سمعوا منه هم رُسل الله، وهم عندهم أفضل من إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ.

ولهذا تكلَّم بلفظ اللاهوت والناسوت طائفة من الشيوخ الذين وقعوا في الاتحاد والحلول مطلقًا ومعيَّنًا، فكانوا ينشدون قصيدة ابن الفارض، ويتحلَّون بما فيها من تحقيق الاتحاد العام، ويرون كلَّ ما في الوجود هو مجلي ومظهر ظهر فيه عين الحق، وإذا رأى أحدهم منظرًا حسنًا أنشد:

يتجلَّى في كلِّ طرفةِ عينٍ بلباسٍ من الجَمَالِ جديدِ"[٢]

---

(١) يقصد الهروي.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية ٥/٣٧٠، ٣٧٢.

ويقرر ذلك في موضع آخر في شرحه للأبيات التالية:

أربٌّ، وعبدٌ، ونفي ضدٍّ؟ قلتُ له: ليس ذاك عندي

فقال: ما عندكم؟ فقلنا: وجودُ فقْدٍ، وفَقْدُ وَجْدِ

توحيدُ حقٍّ بتركِ حقٍّ وليس حقٌّ سواىَ وَحْدِي

ويشرح ابن عجيبة الأبيات بقوله: "ومعناها الإنكار على من أثبت الفرق، بأن جعل للعبودية محلًّا مستقلًّا منفصلًا عن أسرار معاني الربوبية قائمًا بنفسه، ولا شكَّ أنَّ العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق، وأنت تقول في توحيد الحق: لا ضدَّ له، فقد نقضت كلامك، ولذلك قال: ونفي ضدٍّ؟ فالواو بمعنى مع، وهو داخل في الإنكار، أي أيوجد ربٌّ وعبدٌ مستقلٌّ مع نفي الضدِّ للربوبية، والعبودية تضاد أوصاف الربوبية، والحقُّ أنَّ الحق تعالى تجلَّى بمظاهر الجمع في قوالب الفرق، ظهر بعظمة الرُّبوبيَّة في إظهار قوالب العبودية، فلا شيءَ معه"(١).

وابن عجيبة يغفل توحيد الألوهية، ويظهر ذلك من تقسيماته للتوحيد كما تقدم في مبحث سابق، فتوحيد الأفعال عند المتكلِّمين يقابله توحيد الرُّبوبيَّة عند أهل السُّنَّة والجماعة، وتوحيد الذات والصفات عند المتكلِّمين يقابل توحيد الأسماء والصفات عند أهل السُّنَّة والجماعة(٢).

خامسًا: العبادة

العبادة: مصدر عَبَد يعبُدُ عبادةً أي: أطاع، وهذا المصدر مأخوذٌ من مادة (ع ب د) التي تدلُّ على معنيين: الأولُ لينٌ وذلٌّ، والآخر شدَّةٌ وغِلَظٌ، ولا يُقال عَبَدَ

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٠٩.

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٣٨٦.

يَعْبُدُ عِبَادَةً إِلَّا لِمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعالى، ومنه: تَعَبَّدَ يَتَعَبَّدُ تَعَبُّدًا، فالمُتَعَبِّدُ: المُتَفَرِّدُ بالعِبَادَة، ومنه أيضًا: الطريقُ المُعبَّد وهو المسلوك المذلَّل، وأصلُ العبودية الخضوعُ والذُّل[1].

وهذا التعريف اللُّغوي يوافق التعريف الشرعي الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "العبادة هي غاية الذُّلِّ مع غاية الحب"[2].

"وهي اسمٌ يجمع كمال الحُبِّ لله عَزَّوَجَلَّ ونهايته وكمال الذُّلِّ لله ونهايته، فالحُبُّ الخليُّ عن ذلٍّ والذلُّ الخليُّ عن حُبٍّ لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين"[3].

وأخذ ذلك تلميذه ابن القيم وعرَّفها في منظومته النونية بقوله:

وعبادةُ الرحمنِ غايةُ حُبِّهِ ... مع ذُلِّ عابده هما قطبانِ

وعليهما فلك العبادة دائرٌ ... ما دار حتى قامت القطبانِ

ومدارُه بالأمرِ أمر رسولِهِ ... لا بالهوى والنَّفسِ والشيطانِ[4]

وعرَّفها ابن عجيبة بقوله: "هي غايةُ الخضوع والتذلُّل، ومنه طريقٌ مُعَبَّد أي: مُذلَّل"[5].

وقد وافق ابنُ عجيبة أهلَ السُّنَّة والجماعة في التعريف ظاهرًا، أمَّا في التطبيق فخالف الصواب ولم يعتنِ بشروطها من الإخلاص والمتابعة، وأورد تقسيمات مبتدعة لا أصل لها في الشرع كما يظهر في النماذج التي ذكرها وهي:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ٤/٢٠٥-٢٠٦، والصحاح ٢/٥٠٢.

(٢) شرح الرسالة التدمرية، ص٤١٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ١/١٧٩، رقم ٥١٤.

(٥) البحر المديد ١/٣٤.

نماذج من العبادات عند ابن عجيبة:

١- (الإخلاص)

تعريف الإخلاص لغةً وشرعًا:

تعريف الإخلاص لغة: قال ابن فارس: "الخاء واللام والصاد أصلٌ واحدٌ مطرد، وهو تنقيةُ الشَّيءِ وتهذيبه، يقولون: خلَّصه من كذا وخلص هو، وخلاصة السَّمن: ما ألقي فيه من تمرٍ أو سويقٍ ليخلص به"[(١)].

وقال ابن منظور[(٢)]: "... وأخلصه وخلَّصه، وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشيء: اختاره، والإخلاص في الطاعة ترك الرياء ..."[(٣)].

تعريف الإخلاص في الشرع:

قال ابن أبي العز: "والإخلاص: خلوُّ القلبِ من تألُّه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته فخلص لله فلم يتمكَّن منه الشيطان"[(٤)].

وقال الشوكاني: "الإخلاص: أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه"[(٥)].

الإخلاص وأنواعه عند ابن عجيبة.

عرَّفه ابن عجيبة بقوله: "هو إخراج الخلق من معاملة الحق ومن جملة النَّفس، فلا يُطلب لها عوضًا ولا جزاء"[(٦)].

---

(١) مقاييس اللغة، ص٣٢٧.

(٢) أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر عام ٦٣٠هـ، له مصنفات عديدة: منها لسان العرب، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس، كانت وفاته عام ٧١١هـ. ينظر: الأعلام ١٠٨/٧.

(٣) لسان العرب ٨٧٧/١-٨٧٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٦٤٦/٢.

(٥) فتح القدير ٤٤٨/٤.

(٦) مخطوط حاشية ابن عجيبة على الجامع الصغير ل/١٢.

ويقول شارحًا لتعريفه: "كيف تطلب العوض عن عمل لست له فاعلًا"(١).

وكيفية تحقيق الإخلاص يكون بتخريب الظاهر، وهو بذلك يدعو لطريقة الملامتية(٢).

قال: "الإخلاص لا يتحقَّق ذوقًا إلا بإظهار ما ينافيه من الأغاليط، ومرجعها إلى تخريب الظاهر، إذ بقدر ما يخرب الظاهر يعمر الباطن، وبقدر ما يعمر الظاهر يخرب الباطن"(٣).

وقال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٤): والعمل الصالح هو الذي يصحبه الإخلاص في أوله، والإتقان في وسطه، والغيبة عنه في آخرة"(٥).

وذكر حكاية على ذلك:

فقال: "حُكي عن بعض الفضلاء أنه كان في بعض الأيام قاعدًا على الدرس، وإذا به قد أراد أن يُحوِّل ثوبه، وأومأ إليه وتحرَّك، ثم رجع عنه وجعل يستغفر الله

(١) مخطوط حاشية ابن عجيبة على الجامع الصغير ل/١٢.

وهذا القول مبنيٌّ على أنَّ الإنسان لا يُعدَّ فاعلًا بناءً على كسب الأشاعرة، وسيأتي الحديث عنها في القضاء والقدر.

(٢) الملامتية: قومٌ من الصوفية سموا أنفسهم الملامتية، من الملامة؛ لأنهم يشتغلون بملامة أنفسهم ويهملون الشريعة والأخلاق، وقد اضمحلَّت كطريقة مستقلة، لكنها استمرت تظهر في سلوك كثيرٍ من الأولياء في كلِّ الطرق، اقتحموا الذنوب وقالوا: مقصودنا أن نسقط عن أعين الناس فنسلم من الجاه"، قال ابن الجوزي معلِّقًا على هذا الزعم الباطل: "وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع". ينظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة، ص٣٣٦، تلبيس إبليس، ص٣٣.

(٣) شرح قصيدة يا من تعاظم، ضمن سلسلات نورانية فريدة، ص٢٦.

(٤) سورة الكهف: ١١٠

(٥) شرح الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية، ص٢٢٩.

تعالى، فسُئل عن ذلك فقال: قد كانت مني التفاته إلى ثوبي فوجدتني قد لبسته مقلوبًا فعزمت على تعديله ثم فكَّرت أنِّ قد لبسته حين قمت من الفراش بنيَّة ستر العورة، فاستغفرت الله تعالى مما أردت فعله، وعلَّق ابن عجيبة على هذه الحكاية بقوله: إنما استغفر لأنَّه قد تكون لم تحصل له النية بحضرة من كان معه في الوقت[1]، أو خاف أن يشوبه بشيءٍ ما لأجل حضورهم، وهذه الطائفة تأخذ بالحزم ومهما وقع لهم بشيءٍ مما يكدر نيتهم تركوا ذلك البتَّه"[2].

وهذا نقل عن مجهول فكيف يقبل هذا؟ ولكنَّه سمةٌ من سمات منهجة في جعل الحكايات من مصادره كما مرَّ معنا أثناء الحديث عن مصادر التلقِّي.

أنواع الإخلاص:

الإخلاص على ثلاث درجات: درجة العوام، والخواص، وخواص الخواص، فإخلاص العوام هو: إخراج الخلق من معاملة الحق، مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية، كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور، وإخلاص الخواص: طلب الحظوظ الأخروية دون الدنيوية، وإخلاص خواص الخواص، إخراج الحظوظ بالكليَّة فعبادتهم تحقيق العبودية، والقيام بوظائف الربوبية، أو محبة وشوقًا إلى رؤيته"[3].

---

(١) قال القشيري: يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم، دون ما يختارونه لأنفسهم، ويقولون فلان بحكم الوقت، أي: أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له، وقال ابن عجيبة: الوقت: قد يطلقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبض وبسط، أو حزن أو سرور. (وهم يقصدون بذلك الجبر)، ينظر: الرسالة القشيرية ص١٣١، ومعراج التشوف ص٤٣، وسيأتي بحثها، في مسألة القدر إن شاء الله.

(٢) تسهيل المدخل لتنمية الأعمال بالنية الصالحة عند الإقبال، د عبد المجيد المرزوقي، ص٣٩.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٥٠.

بل لا يتحقق الإخلاص حتى تسقط المنزلة عند الناس كما زعم بقوله: "وقال بعض العارفين: لا يتحقق الإخلاص حتى يسقط من عين الناس، ويسقط الناس من عينه، ولذلك قال آخر: كُلَّما سقطت من عين الخلق عظمت في عين الحق، وكُلَّما عظمت في عين الخلق سقطت من عين الحق، يعني ملاحظتهم ومراقبتهم، وسمعت شيخنا يقول: ما دام العبدُ يراقب الناس ويهابهم لا يتحقق إخلاصه أبدًا"[(١)].

وتعليق ابن عجيبة على أنه لا ينتقل من عمل هو فيه إلى عمل آخر بحجة الوقت، هو تجريد الإنسان من الإرادة الموافقة للشرع، وهذا من الباطل الذي لا يقره من معه مسكة عقل.

قال ابن تيمية: "وأمَّا خلو الإنسان عن الإرادة مطلقًا فممتنع؛ فإنه مفطورٌ على إرادة ما لا بدَّ له منه، وعلى كراهة ما يضره ويؤذيه، والزاهد الناسك إذا كان مسلمًا فلا بدَّ أن يريد أشياء يحبها الله ﷻ مثل أداء الفرائض وترك المحارم، بل وكذلك عموم المؤمنين لا بدَّ أن يريد أحدهم أشياء يحبها الله، وإلا فمن لم يحب الله ولا أحب شيئًا لله، فلم يحبّ شيئًا من الطاعات، لا الشهادتين ولا غيرهما، ولا يريد ذلك فإنه لا يكون مؤمنًا، فلا بدَّ لكلِّ مؤمن من أن تكون له إرادة لبعض ما يحبه الله ... وأمَّا الخلو عن الإرادتين المحمودة والمذمومة فيقع على وجهين:

(**أحدهما**) مع إعراض العبد عن عبادة الله تعالى وطاعته وإن علم بها فإنه قد يعلم كثيرًا من الأمور أنه مأمور بها وهو لا يريدها ولا يكره من غيره فعلها وإذا اقتتل المسلمون والكفَّار لم يكن مريدًا لانتصار هؤلاء الذي يحبه الله ولا لانتصار هؤلاء الذي يبغضه الله.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٥٠.

و(**الوجه الثاني**) يقع من كثير من الزُّهَّاد العُبَّاد الممتثلين لما يعلمون أنَّ الله أمر به المجتنبين لما يعلمون أنَّ الله نهى عنه، وأمور أخرى لا يعلمون أنها مأمور بها ولا منهي عنها، فلا يريدونها ولا يكرهونها لعدم العلم، وقد يرضونها من جهة كونها مخلوقة مقدَّرة، وقد يعاونون عليها، ويرون هذا موافقة لله وأنهم لما خلوا عن هوى النفس كانوا مأمورين بالرِّضا بكلِّ حادث، بل والمعاونة عليه. وهذا موضعٌ يقع فيه الغلط فإنَّ ما أحبه الله ورسوله علينا أن نحب ما أحبه الله ورسوله وما أبغضه الله ورسوله فعلينا أن نبغض ما أبغضه الله ورسوله.

وأمَّا ما لا يحبه الله ورسوله ولا يبغضه الله ورسوله كالأفعال التي لا تكليف فيها مثل أفعال النائم والمجنون، فهذا إذا كان الله لا يحبها ويرضاها ولا يكرهها ويذمها فالمؤمن أيضًا لا ينبغي أن يحبها ويرضاها ولا يكرهها.

وأما كونها مقدورة ومخلوقة لله فذاك لا يختص بها بل هو شامل لجميع المخلوقات، والله تعالى خلق ما خلقه لما شاء من حكمته ... وقول من قال: إنَّ العبد يكون مع الله كالميت مع الغاسل لا يصح ولا يسوغ على الإطلاق عن أحد من المسلمين، وإنما يقال ذلك في بعض المواضع، ومع هذا فإنما ذلك لخفاء أمر الله عليه، وإلا فإذا علم ما أمر الله به وأحبَّه، فلا بدَّ أن يحب ما أحبَّه الله، ويبغض ما أبغضه الله"[1].

وتجريد الإنسان من الإرادة وقع فيه الكثير من الصوفية، قال ابن تيمية: "وهذا الموضع يلتبس على كثير من السالكين، فيظنون أنَّ الطريقة الكاملة ألا يكون للعبد إرادة أصلًا، وأن قول أبي يزيد[2]: "أريد ألا أريد" -لـمَّا قيل له: ماذا تريد؟- نقصٌ

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٤٨١-٤٨٥.

(٢) أبو يزيد، طيفور بن عيسى البسطامي، نسبة إلى بسطام، بلدة بين خراسان والعراق، يقول بوحدة الوجود، والفناء =

وتناقض؛ لأنَّه قد أراد، ويحملون كلام المشايخ الذين يمدحون بترك الإرادة على ترك الإرادة مطلقًا، وهذا غلطٌ منهم على الشيوخ المستقيمين، وإن كان من الشيوخ من يأمر بترك الإرادة مطلقًا فإنَّ هذا غلطٌ ممن قاله فإن ذلك ليس بمقدور ولا مأمور.

فإنَّ الحيَّ لا بدَّ له من إرادة، فلا يمكن حيًّا ألا تكون له إرادة، فإنَّ الإرادة التي يحبها الله ورسوله ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر استحباب لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاص إن كانت واجبة، وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركًا لما هو خير له"[١].

ومما لا شكَّ فيه أنَّ مبنى الأعمال على الإخلاص[٢] هو أصلٌ لكلِّ خير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الشيطان جعل لكلِّ شيءٍ من الخلق نظيرًا في الباطل، فإنَّ أصل الشرِّ هو الإشراك بالله كما أنَّ أصل الخير هو الإخلاص لله؛ فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا يشركوا به شيئًا وبذلك أرسل الرُّسُل، وبه أنزل الكتب كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤].

=

الصوفي، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية، مات سنة ٢٦١هـ. ينظر: ميزان الاعتدال ٢/٣٤٦-٣٤٧.

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٤٩٤-٤٩٥، وهذه المسألة تدخل في مسائل القدر، وأوردتها هنا لبيان ما عناه ابن عجيبة من كلمته الموهمة (الوقت)، وإلا سيتم تضمينها مع مسائل أخرى في مبحث القدر.

(٢) ينظر، تحفة الأحوذي ٥/٢٢٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٤) سورة النحل: ٣٦.

أمَّا إسقاط المنزلة بين الناس لأجل التواضع والإخلاص فمقلوبة على ابن عجيبة بكلام أهل التحقيق من العلماء.

يقول ابن رجب رحمه الله: "والإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يُرى أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء ... قال مطرّف بن عبد الله الشخّير[(١)]: كفى بالنَّفس إطراءً أن تذمَّها على الملأ، كأنَّك تريد بذمِّها زينتها، وذلك عند الله سفه"[(٢)].

وما سلكه ابن عجيبة من تخريب الظاهر ليحقق الإخلاص لا يوجد له أصلٌ في الكتاب والسُّنَّة ولا من أقوال سلف الأُمَّة، بل ناشئٌ من الجهل بأمرين: جهل بحقيقة الدين، وجهل بحقيقة النعيم الذي هو غاية مطلوب النفوس وكمالها، وبه زينتها وجمالها.

وتخريب الظاهر منهيٌّ عنه في الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[(٣)]، [(٤)].

قال المناوي[(٥)]: "... وقد أمر الشارع بالتوسُّط بين التفريط والإفراط حتى في

(١) هو أبو عبد الله، مطرف بن عبد الله بن الشِّخّير، العامري الحرشي، البصرى، ثقة، عابد، فاضل، نجا من فتنة ابن الأشعث، مات سنة ٩٥هـ. ينظر: الجرح والتعديل ١٤٤١/٨، تهذيب الكمال ٢٨، ٦٧، معاني الأخيار ممن شرح أسماء رجال معاني الآثار ٤٨/٣، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير ٥٦٠/٢.

(٢) مجموع رسائل ابن رجب ٨٨/١، وينظر لهذا الأثر: تاريخ دمشق ٣٠١/٥٨.

(٣) سورة الأعراف: ٣٢.

(٤) ينظر: الروح، ص٥١٤.

(٥) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المناوي، ولد سنة ٩٥٢هـ، وتوفي سنة ١٠٣١هـ، من مصنفاته، فيض القدير، شرح المسائل للترمذي، ينظر: الأعلام ٢٠٤/٦، معجم المؤلفين ٢٢٠/٥.

العبادة، وفيه ردٌّ على من تحرَّى من الصوفية لبس الصوف دائمًا ومنع نفسه من غيره وألزمها زيًّا واحدًا وعمد إلى رسوم وأوضاع وهيئات، ويرى الخروج عنها منكرًا، وقد كان المصطفى ﷺ يلبس ما وجد، فلبس الكِتَّان والصوف والقطن، وما الهدي إلا هديه، وما الأفضل إلا ما سنَّه، وهو لبس ما تيسَّر من الوسط المعتدل صوفًا تارةً وقطنًا طورًا وكتانًا أخرى ..."[1].

ولقد سمّى ابن تيمية هؤلاء بالملامية "الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زي الأغنياء ولبس العمامة فهذا قريب، وصاحبه مأجور على نيته؛ ثم حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة، ثم زاد الأمر ففعل قومٌ المحرمات من الفواحش والمنكرات وترك الفرائض والواجبات، وزعموا أنَّ ذلك دخول منهم في (الملاميات)، ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة، وتجب عقوبتهم جميعهم ومنعهم من هذا الشعار الملعون كما يجب ذلك في كل معلن ببدعة أو فجور"[2].

بل نجد ابن تيمية مع رده للمعنى الباطل للملامية يردهم للمعنى الصحيح الوارد في الشرع، وبهذا يحصل الفرق بين (الملامية) الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين (الملامية) الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك"[3].

وأمَّا تقسيم الإخلاص إلى درجات فلم يرد لا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا في سُنَّته، ولم يقل به أحدٌ من العلماء المشهود لهم باستنادهم على الكتاب والسُّنَّة وفق

(١) فيض القدير ١/١٨٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/١٦٤.

(٣) المرجع نفسه ١٠/٦١.

فهم سلف الأُمَّة، ورحم الله القرافي[1] إذ قال: "وأصل كلِّ فسادٍ في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل فاجتهد في إزالته عنك ما استطعت، كما أنَّ أصل كلِّ خير في الدنيا والآخرة إنما هو العلم فاجتهد في تحصيله ما استطعت، والله تعالى هو المعين على الخير كله"[2]، والعلم الصحيح هو المستند على الكتاب والسُّنَّة وفق فهم الصحابة والتابعين ﷺ، ولو اتبع ابن عجيبة هديهم لما آل به هذا الحال، وقوله في موضع آخر يبيِّن أنَّ الأعمال والطاعات ليست من إرادة العبد، بل يقرر عقيدة الجبر، وليس للعبد أي تدبير، قال: "أن لا يرى لنفسه حولًا ولا قوةً لا في عمل ولا في حال ولا في مجاهدة ولا مكابدة بل ما يبرز منها الأعمال أو من الأحوال رآه منَّة من الله وهدية إليه"[3].

وهذا من مغالطات المتصوفة الذين ردَّ عليهم ابن تيمية بقوله: "وقد يغلطون أيضًا في ظنِّهم أنهم يعبدون الله بلا حظٍّ ولا إرادة، وأنَّ كلَّ ما يطلب منه فهو حظُّ النفس، وتوهموا أنَّ البشر يعمل بلا إرادة ولا مطلوب ولا محبوب، وهو سوء معرفة بحقيقة الإيمان والدين والآخرة"[4].

---

(١) هو: شهاب الدين أحمد بن إدريس المشهور بالقرافي شهاب الدين الصنهاجي، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك ﷺ ولد سنة ٦٢٦هـ، ومن شيوخه: عز الدين عبد السلام الشافعي، محمد بن إبراهيم بن عبد الواح المقدسي، محمد بن عمران الشهير بالشريف الكوكي، وله عدة مصنفات منها: الفروق، الذخيرة، الاستبصار فيما يدرك بالأبصار، توفي سنة ٦٨٢هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ٦/٢٣٣-٢٣٤.

(٢) الفروق ٤/٢٦٥.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٤٣٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/٦٩٩.

٢- الدعاء

تعريف الدعاء لغةً:

الدعاء مصدر الفعل دعا، قال ابن منظور: "دعا الرَّجُلُ دعوًا ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا: أصحْتُ به واستدعيته"[١]، و"دَعاهُ دُعاءً ودعوى، حكاه سيبويه[٢] في المصادر التي آخرها ألف التأنيث"[٣]، "والدعاء واحدُ الأدعية، وأصله دعاو؛ لأنه من دعوت، إلا أنَّ الواو لـمَّا جاءت بعد الألف هُمِزَت"[٤].

تعريف الدعاء في الشرع:

قال ابن القيم: "هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضرُّه أو دفعه"[٥].

وقال الخطابي[٦]: "ومعنى الدُّعاء: استدعاء العبد ربَّه عَزَّوَجَلَّ العناية، واستمداده إيَّاه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوَّة، وهو

---

(١) لسان العرب ٢٥٨/١٤.

(٢) هو أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي المعروف بسيبويه، إمام أهل النحو وحجة العربية، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وسُمِّي سيبويه؛ لأنَّ وجنتيه كانتا كالتفاحة كما قال إبراهيم الحربي، توفي سنة ١٨٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٣١١/٨-٣١٢، تاريخ بغداد ١٩٥/١٢، وفيات الأعيان ٤٨٧/١-٤٨٨.

(٣) لسان العرب ٢٥٧/١٤.

(٤) المرجع نفسه ٢٥٧/١٤.

(٥) بدائع الفوائد ٢/٣.

(٦) هو أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، سمع من أبي علي الصفَّار، وأبي جعفر الرزاز، وغيرهما، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ابن الربيع النيسابوري، وعبد الغفار بن محمد الفارسي، له تصانيف عدة منها: غريب الحديث، معالم السنن في شرح سنن أبي داود، أعلام السنن في شرح البخاري، شأن الدعاء، كانت وفاته ببست في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٢١٤/٢.

سمة العبودية، واستشعار الذلَّة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ وإضافة الجود والكرم إليه"[١].

ولأهمية الدعاء اهتمَّ العلماء المحققون ببيانه، خوفًا من أن يقع العبد في الشرك، قال ابن تيمية: "وجماع الأمر: أنَّ الشرك نوعان: شرك في ربوبيته ... وشرك في الألوهية: بأن يدعو غيره دعاء عباده، أو دعاء مسألة"[٢].

وقال الصنعاني: "فإفرادُ الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتِمُّ إلاَّ بأن يكونَ الدعاءُ كلُّه له، والنداءُ في الشدائد والرَّخاء لا يكون إلاَّ لله وحده ..."[٣].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: "وأعظم نهي نهى الله عنه الشرك به، وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصد بغير ذلك من أنواع العبادة"[٤].

مسألة وجوب ترك الدعاء:

يرى ابن عجيبة أنَّ ترك الدعاء سعادة عظمى وولاية كبرى.

قال: "العبد إذا تعمَّر قلبه بالله استغنى به حتى عن طلبه، وربما دلهم الأدب على ترك الطلب، وهذه هي السَّعادة العظمى والولاية الكبرى"[٥].

وقال أيضًا: "وقال بعضهم: ما سألت الله تعالى بلساني شيئًا منذ خمسين سنة، ولا أريد أن أدعو، ولا أن يُدعى لي، ويذكر ابن عجيبة سبب هذا القول مؤيدًا له فيقول: "وذلك لأن الله عَزَّوَجَلَّ ليس بغافل حتى يذكر، بل هو عليمٌ بخفيَّات

---

(١) شأن الدعاء، ص٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٣٥٧.

(٣) تطهير الاعتقاد، ص١٦.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم المختص بالعقيدة، ص٣٨١.

(٥) إيقاظ الهمم، ص٥٠٦.

أمورك، فيأتيك ما قسم لك ... ولا يحتاج إلى تنبيه؛ لأنه لا يهملك فيما هو من قسمتك"[1].

وقال في موضع آخر: "... أمَّا طلبك منه فلوجود تهمتك له؛ لأنك إنما طلبته مخافة أن يهملك أو يغفل عنك، فإنما ينبه من يجوز عنه الإغفاء، وإنما يذكر من يمكن منه الإهمال ... فالسكوت تحت مجاري الأقدار أفضل عند العارفين من التضرع والابتهال"[2].

ثم يذكر خلاف الصوفية في هذه المسألة ويرجِّح ترك الدعاء قال: "اختلف الصوفية أيُّ الحالين أفضل؟ هل الدعاء والابتهال، أو السكوت والرضاء؟ والمختار: أن ينظر العبد ما يتجلَّى فيه قلبه، فإن انشرح للدعاء فهو في حقِّه أفضل، وإن انقبض عنه فالسُّكوت أولى، والغالب على أهل التحقيق من العارفين الغنى بالله، والاكتفاء بعلمه، كحال الخليل عليه السلام، فإنهم إبراهيميون"[3].

وابن عجيبة يذكر بأنَّ طلب الدعاء يكون لأهل البدايات واجب، قال: "إنَّ الطلب كله معلول عند ذوي الألباب ... وهذا مقام أهل النهايات، وأمَّا أهل البدايات فيرخَّص لهم في طلب الحاجات، وفي كثرة الدعاء والتضرُّعات، فالدعاء في حقِّهم واجبٌ أو مندوب، وفيهم ورد الترغيب في الدعاء، والإلحاح فيه"[4].

وبالنَّظر فيما ذكر في تلك المسائل التي يرى فيها أنَّ الدعاء لا يجلب به منفعة، ولا يدفع به مضرَّة، وإنما هو عبادة محضة تعبديَّة غير معقولة المعنى كبعض

(١) إيقاظ الهمم، ص٣١١.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٤.

(٣) البحر المديد ١٤٦/٥، ١٨١/١.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٣٠٢.

أعمال العبادات الأخرى، مثل رمي الجمار وغيره[1]، وهؤلاء يرون أنه لا أثر للدعاء في حصول المطلوب، وعندما يدعون الله عَزَّوَجَلَّ فهم يريدون تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء؛ لأنَّ الدعاء ضربٌ من الخدمة، يريد أن يزين جوارحه بالخدمة، ومنهم يدعوا ائتمارًا بالدعاء لما أمره الله تعالى، وهؤلاء على ضربين:

منهم من يجعل الدعاء من حظ العامة[2]، ومنهم من يجعله للمبتدئين في الطريق، وأمَّا مقامات الخواص ترك الدعاء نظرًا للقدر[3].

وطائفة من المتفلسفة وغالية المتصوفة الذين تركوا الدعاء بزعمهم أنَّه لا فائدة فيه؛ لأنَّ المسؤول إن كان قد قدَّر ناله ولا بدَّ وإن لم يقدر لم ينله فأي فائدة في الاشتغال بالدعاء[4]، يعني أنَّ المشيئة الإلهية إذا اقتضت وجود ذلك المطلوب فسوف يحصل لا محالة سواءً دعا الله أم لم يدع، وإن لم تقتضيه فلا يمكن أن يحصل سواء دعا أم لا، وهذه من أفسد الأقوال شرعًا وعقلًا[5].

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[7].

---

(١) ينظر: جامع المسائل ١/٨٧.

(٢) قال القشيري في رسالته: "دعاء العامة بالأقوال، ودعاء الزُّهَّاد بالأفعال، ودعاء العارفين بالأحوال ... وقيل: ألسِنة المبتدئين منطلقة بالدعاء وألسِنة المتحققين خرصت عن ذلك" ٢/٥٤٥.

(٣) ينظر: اللمع، للطوسي، ص٣٣٣، ومدارج السالكين ٢/١١٨، والفتاوى ١٠/٣٥، ٨/٢٨٤، وبدائع الفوائد ٢/٢٤٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٢٠.

(٥) ينظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ص١٨٨، والجواب الكافي ١/١٥.

(٦) سورة غافر: ٢٤.

(٧) سورة فاطر: ١٥.

قال ابن تيمية: "والعبد هو فقيرٌ دائمًا إلى الله من كلِّ وجه، من جهة أنه معبوده، وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته.

وهو مذنب أيضًا لا بدَّ له من الذنوب فهو دائمًا فقير مذنب، فيحتاج دائمًا إلى الغفور الرحيم، الغفور الذي يغفر ذنوبه، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه ويحسن إليه، فهو دائمًا بين إنعام الرَّبِّ وذنوب نفسه"[1]، ويدلُّ على ذلك المعنى الشرعي للدعاء وهو: الافتقار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الخطابي: "ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عَزَّوَجَلَّ العناية، واستمداده إيَّاه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة"[2].

فكيف يترك الدعاء!! وقد قال الرسول ﷺ في الحديث القدسي: « قول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا دعاني »[3].

وهذا الحديث صريح الدلالة على صفة المعية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ قريبٌ من عباده إذا دعوه، قال الشوكاني: "أعظم أنواع قرب العبد من الرَّبِّ ما صرَّح به في الكتاب العزيز بقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[4]"[5].

قال ابن كثير: "إنَّ الله لا يخيب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء، وفيه ترغيبٌ في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه"[6].

---

(١) جامع الرسائل والمسائل ١/١١٦.

(٢) شأن الدعاء، ص٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ٤/٣٨٤، رقم ٧٤٠٥.

(٤) سورة البقرة: ١٨٦.

(٥) قطر الولي، ص٣٩٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم ١/٥٠٦

وقال ابن تيمية: "وهذا القرب من الداعي هو قربٌ خاصٌّ ليس قربًا عامًّا من كلِّ أحد، فهو قريبٌ من داعيه، وقريبٌ من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد"[1].

والقول بأنَّ الدعاء يخضع لحالة الفرد وما تنشرح له النَّفس بعيدٌ جدًّا؛ لأنَّ حكمه باعتبار ذاته.

قال القرافي: "اعلم أنَّ الدعاء الذي هو الطلب من الله تعالى له حكم باعتبار ذاته من حيث هو طلب من الله تعالى، وهو الندب؛ لاشتمال ذاته على خضوع العبد لرَبِّه، وإظهار ذلَّته وافتقاره إلى مولاه، فهذا ونحوه مأمور به، وقد يعرض له من متعلَّقاته ما يوجبه، أو يحرمه، والتحريم قد ينتهي إلى الكفر، وقد لا ينتهي"[2].

وقال ابن القيم: "وحصول الإجابة عقيب السؤال على الوجه المطلوب دليلٌ على علم الرَّبِّ تعالى بالجزئيات وعلى سمعه لسؤال عبيده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته بهم"[3].

وقال ابن تيمية: "والقاعدة الكلية في شرعنا: أنَّ الدعاء إن كان واجبًا أو مستحبًّا فهو حسنٌ يُثاب عليه الداعي، وإن كان محرَّمًا كالعدوان في الدعاء فهو ذنبٌ ومعصية، وإن كان مكروهًا فهو ينتقص مرتبة صاحبه، وإن كان مباحًا مستوي الطرفين فلا له ولا عليه"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٧.

(٢) الفروق ٤/٢٥٩-٢٦٠.

(٣) جلاء الأفهام، ص٢٧٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٨/٣٣٦.

ما اعتمد عليه ابن عجيبة في قوله بوجوب ترك الدعاء:

اعتمد فيما ذهب إليه على شبهات واهية ومنها:

الشبهة الأولى: احتجاجه بالمشيئة الإلهية

قال ابن عجيبة: "قد قضى الحقُّ -جلَّ جلاله- ما كان وما يكون في سابق علمه، فما من نَفَسٍ تُبديه إلاَّ وله قَدَرٌ فيك يُمضيه، فالواجب على العبد أن يكون ابن وقته، إذا أصبح نظر ما يفعل الله به، فأسرار القدر قد استأثر الله بعلمها"[(١)].

وليس فيما يقوله ابن عجيبة من تعلُّقه بأنَّ القدر سرٌّ قد استأثر الله بعلمه ما يقوِّي كون العبد لا يدع الله عَزَّوَجَلَّ ويكون ابن وقته، بل هو ردٌّ للشرائع.

قال ابن الجوزي عن هذه الشبهة: "ردٌّ لجميع الشرائع وإبطال لجميع أحكام الكتب وتبكيت للأنبياء كلهم فيما جاءوا به؛ لأنه إذا قال في القرآن: ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(٢)] قال القائل: لماذا إن كنتُ سعيدًا فمصيري إلى السعادة وإن كنت شقيًّا فمصيري إلى الشقاوة فما تنفعني إقامة الصلاة؟ .... وما يفضي إلى ردِّ الكتب وتجهيل الرُّسُل محالٌ باطل"[(٣)].

والدعاء من الأسباب التي أُمرنا بها لكشف الضرِّ وغيره، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[(٤)].

قال ابن القيم: "ولو تتبَّعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسُّنَّة لزاد

---

(١) البحر المديد ٣/١٨٤.

(٢) سورة الأنعام: ٧٢.

(٣) تلبيس إبليس، ٣٦٥.

(٤) سورة النمل: ٦٢.

على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغةً بل حقيقة، ويكفي شهادة الحسِّ والعقلِ والفطر"[1].

وإلغاء الأسباب بالكليَّة قدحٌ في الشرع، قال ابن القيم: "الالتفات إلى الأسباب شركٌ في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكليَّة قدحٌ في الشرع، وإنما التوكل والرَّجاء معنى يتألَّف من موجب التوحيد والعقل والشرع"[2].

والله عَزَّوَجَلَّ ربط الأسباب بمسبباتها "وأنَّ العبد فاعلٌ لفعله حقيقة، وله قدرة واختيار، وقدرته مؤثِّرة في مقدورها كما تؤثِّر القوى والطبائع، وغير ذلك من الشروط والأسباب"[3].

الشبهة الثانية: قوله بأنَّ علم الله عَزَّوَجَلَّ بحال العبد يترتَّب عليه عدم الدعاء

ويظهر هذا جليًّا في قوله: "وذلك لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ليس بغافل حتى يُذَكَّر، بل هو عليمٌ بخفيَّات أمورك، فيأتيك ما قسم لك ... ولا يحتاج إلى تنبيه؛ لأنَّه لا يهملك فيما هو من قسمتك"[4].

وابن عجيبة حين يذكر ذلك فهو متَّبعٌ لأسلافه الصوفية في هذه المسألة إذ هذا هو ديدنهم، ويحتجون بما روي عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»[5].

---

(١) شفاء العليل ١/١٨٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/١٦٩، ١٧٠، منهاج السُّنَّة ٥/٣٦٦، والآداب الشرعية ٢/٢٨٦.

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية ٣/١٠٩.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٣١١.

(٥) ذكره البغوي في التفسير، حكاية عن كعب الأحبار ٣/٣٥٠، وينظر: روح المعاني ٢/٨٢، والرسالة القشيرية ١/٤٢٠.

وهذه ضلالة كبرى، وهي كما قال ابن الجوزي: "سدٌّ لباب السؤال والدعاء، وهو جهلٌ بالعلم"[1].

وأصل شبهتهم: أنَّ الشَّيء إذا عُلم وكُتب أنه يكفي ذلك في وجوده ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذي يفعله، وسائر الأسباب[2].

وقد ردَّ ابن تيمية على أصل شبهتهم "من وجهين:

الوجه الأول: من جهة كونه جعل العلم جهلًا، فإنَّ العلم يطابق المعلوم ويتعلق به على ما هو عليه، وهو سبحانه قد علم أنَّ المكونات تكون بما يخلقه من الأسباب؛ لأنَّ ذلك هو الواقع، فمن قال: إنَّه يعلم شيئًا بدون الأسباب فقد قال على الله الباطل، وهو بمنزلة من قال: إنَّ الله يعلم أنَّ هذا الولد وُلِد بلا أبوين وأنَّ هذا النبات نبت بلا ماء.

الوجه الثاني: أنَّ العلم بأنَّ الشَّيء سيكون والخبر عنه بذلك وكتابة ذلك لا يوجب استغناء ذلك عمَّا به يكون من الأسباب التي لا يتم إلا بها كالفاعل وقدرته ومشيئته؛ فإنَّ اعتقاد هذا غايةٌ في الجهل، إذ هذا العلم ليس موجبًا بنفسه لوجود المعلوم باتفاق العلماء، بل هو مطابقٌ له على ما هو عليه لا يكسبه صفةً ولا يكتسب منه صفة، بمنزلة علمنا بالأمور التي قبلنا كالموجودات التي كانت قبل وجودنا مثل علمنا بالله وأسمائه وصفاته فإنَّ هذا العلم ليس مؤثِّرًا في وجود المعلوم باتفاق العلماء، وإن كان من علومنا ما يكون له تأثير في وجود المعلوم كعلمنا بما يدعونا إلى الفعل، ويعرِّفنا صفته وقدره، فإنَّ الأفعال الاختيارية لا تصدر إلا ممَّن له

---

(١) تلبيس إبليس، ص٣٣٧.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٨/٢٧٧.

شعور وعلم إذ الإرادة مشروطة بوجود العلم"[1].

الشبهة الثالثة: استدلاله بحديث «حسبي من سؤالي علمه بحالي»

فقد قال معلِّقًا: "ولا شكَّ أنَّ من كان على ملة إبراهيم عليه السلام اقتدى به، وقد كان بين السَّماء والأرض حين رُمي به، فاستغنى بعلم الله عن سؤاله، فكانت حالة إبراهيم عليه السلام في ذلك الوقت الاستغراق في الحقيقة"[2].

وهذا الحديث ردَّه علماء الإسلام السابقون واللاحقون، قال عنه ابن تيمية: "ليس له إسنادٌ معروفٌ وهو باطل"[3]، وقال عنه الألباني: "لا أصلَ له"[4].

وهذا من ناحية الإسناد، أمَّا من ناحية المعنى فالذي ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «(حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النَّار، وقالها: محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[5]»[6].

وفي هذا أنَّ إبراهيم عليه السلام لم يسأل الله عَزَّوَجَلَّ بل دعا الله عَزَّوَجَلَّ أثناء قيامهما برفع قواعد البيت الحرام، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[7]، ودعا ربَّه عندما ترك زوجه وابنه في وادٍ غير

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/٢٨٠، وينظر: جامع الرسائل ١/١٧٢.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٣١١.

(٣) قاعدة في التوسل، ص٣٥.

(٤) السلسلة الضعيفة ١/٢٨، رقم ٢١.

(٥) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ ٣/٢١١، رقم ٤٥٦٣.

(٧) سورة البقرة: ١٢٧.

ذي زرع، قال الله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[(١)].

وبهذا يتضح أنَّ هذا الحديث الذين جعلوه عمدةً لهم خالف الأدلة القطعية من الكتاب والسُّنَّة، قال ابن الجوزي: "ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنَّه موضوع"[(٢)].

وهذه فريةٌ على إبراهيم عليه السلام دحضها ابن تيمية بقوله: "فكيف يقول إبراهيم عليه السلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي، والله بكلِّ شيءٍ عليم، وقد أمر العباد بأن يعبدوه ويتوكَّلوا عليه ويسألوه؛ لأنَّه سبحانه جعل هذه الأمور أسبابًا لما يرتبه عليها من إثابة العابدين، وإجابة السائلين، وهو سبحانه يعلم الأشياء على ما هي عليه، فعلمه بأنَّ هذا محتاجٌ أو هذا مذنبٌ لا ينافي أن يأمر هذا بالتوبة والاستغفار، ويأمر هذا بالدعاء وغيره من الأسباب التي تُقضى بها حاجته، كما يأمر هذا بالعبادة والطاعة التي بها ينال كرامته"[(٣)].

فيجب على كلِّ من نصح نفسه وأحبَّ نجاتها أن يتبع هدي النبي ﷺ، إذ سعادة العبد في الدارين معلَّقة بهدية ﷺ، وهو القائل: «الدعاء هو العبادة»[(٤)].

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٧.

(٢) ينظر: تدريب الراوي ٢٧٧/١، وفتح المغيث ٢٦٩/١.

(٣) مجموع الفتاوى ٥١/١٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧١/٤، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء ١٦١/٢، رقم ١٤٧٩، والترمذي في جامعه في تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة ١٩٤/٥، رقم ٢٩٦٩، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء ٢٦٢/٤، رقم ٣٨٢٨، والحاكم في المستدرك ٤٩٠/١، من حديث النعمان بن بشير، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٣٤٠٧.

الشبهة الرابعة: زعمه أنَّ الدعاء فيه سوء أدبٍ مع الله عَزَّوَجَلَّ، واتهام لله بعدم إعطاء العبد ما يستحق

حيث قال: "طلبك منه فلوجود تهمتك له، وربما دلَّهم الأدب على ترك الطلب"[(١)].

والصحيح أنَّ ترك الدعاء هو من سوء الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، ولقد كان أفضل البشر وأكملهم هو نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ يدعو الله عَزَّوَجَلَّ ولم يُغفل الدعاء، والأحاديث مستفيضةٌ بذلك، منها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم»[(٢)].

٢- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النُّون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين، فإنَّه لم يدع بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استجاب الله له»[(٣)].

قال ابن القيم: "فإنَّ فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرَّبِّ تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه، ما هو من أبلغ أدوية الكربِ والهمِّ والغمِّ، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج؛ فإنَّ التوحيد والتنزيه يتضمَّنان إثبات كلِّ كمالٍ لله، وسلب كلِّ نقصٍ وعيبٍ وتمثيلٍ عنه، والاعتراف بالظلم يتضمَّن إيمان العبد بالشَّرع

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٨٤، ٣١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الدعاء عند الكرب ٩٣/٨، رقم ٦٣٤٥.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ ٤٨٤/٥، رقم ٣٥٠٥، وصحَّحه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع، رقم ٣٣٨٣.

والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فهاهنا أربعة أمور قد وقع التوسُّل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف"(١).

٣- وكان أكثر دعاء النبيﷺ: «اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار»(٢).

٤- وكان يأمر الرَّجُلَ الذي أسلم بعد أن يعلِّمه الصلاة أن يدعو بهذه الكلمات «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني»(٣).

وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ هو حقيقة العبادة، قال ابن رجب: "اعلم أنَّ سؤال الله عَزَّوَجَلَّ دون خلقه هو المتعين؛ لأنَّ السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا إلى الله وحده؛ لأنَّه حقيقة العبادة"(٤).

الشبهة الخامسة: زعمه أنَّ ترك الدعاء من مقام الخواص

حيث قال: "وترك الدعاء مقام أهل النهايات أي الخواص، وأمَّا أهل البدايات فيُرخَّص لهم في طلب الحاجات، وفي كثرة الدعاء والتضرُّعات، فالدُّعاء في حقِّهم واجب"(٥).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/١٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ٦/٢٨، رقم ٤٥٢٢.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٤/٢٠٧٣، رقم ٢٦٩٧.

(٤) جامع العلوم والحكم، ص٤٨١.

(٥) إيقاظ الهمم، ص٣٠٢.

أمَّا التفريق بين الخاص والعام وأهل البداية والنهاية، فلم يرد فيه نصٌّ من الكتاب والسُّنَّة بل هو من عند ابن عجيبة وقومه، وتمييز بين الخاصَّة والعامَّة دعوى معلولة، فهذه الأعمال يستوي فيها الصدِّيقون والشهداء والصالحون، ومن أراد خروج الخاصَّة عنها فقد غلط، فإنَّه لا يخرج عنها مؤمن قط، وإنما يخرج عنها كافر أو منافق(١).

وأفضل الخلق بعد الأنبياء أبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يدْعُ في صلاته بدعاءٍ حتى سأل النبي ﷺ أن يعلِّمه دعاء يدعو به في صلاته، ففي الصحيحين أنَّه قال لرسول الله ﷺ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قل اللهم إنِّي ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنَّك أنت الغفور الرحيم»(٢).

ولقد أبان ابن تيمية أهمية الدعاء بتفسيره لسورتي الإخلاص والمعوذتين، فقال: "وأمَّا سورة الإخلاص والمعوذتان، ففي الإخلاص الثناء على اللَّه، وفي المعوذتين دعاء العبد ربه ليعيذه، والثناء مقرون بالدعاء، كما قرن بينهما في أمِّ القرآن المقسومة بين الرَّبِّ والعبد نصفها ثناءٌ للرَّب، ونصفها دعاءٌ للعبد، والمناسبة في ذلك ظاهرة؛ فإنَّ أول الإيمان بالرسول الإيمان بما جاء به من الرسالة وهو القرآن، ثم الإيمان بمقصود ذلك وغايته وهو ما ينتهي الأمر إليه من النعيم والعذاب، وهو الجزاء، ثم معرفة طريق المقصود وسببه وهو الأعمال، خيرها ليفعل، وشرها ليترك ثم ختم المصحف بحقيقة الإيمان وهو ذكر اللَّه ودعاؤه، كما بنيت عليه أمُّ القرآن، فإنَّ حقيقة الإنسان المعنوية هو المنطق،

(١) ينظر مجموع الفتاوى ١٠ /١٦-١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام ١/١٦٦، رقم ٨٣٤.

والمنطق قسمان: خبرٌ وإنشاء، وأفضل الخبر وأنفعه وأوجبه ما كان خبرًا عن اللَّه كنصف الفاتحة وسورة الإخلاص، وأفضل الإنشاء الذي هو الطلب وأنفعه وأوجبه ما كان طلبًا من اللَّه، كالنصف الثاني من الفاتحة والمعوذتين"(١).

فكيف حال من لم يلتزم الكتاب والسُّنَّة في دعائه، لا شكَّ أنه سيتخبَّط في أودية الباطل؛ لأنَّ لزوم السُّنَّة هو الذي يحفظ من شر النفس والشيطان بدون اختلاق طرق مبتدعة.

الأوراد والأحزاب التي ذكرها ابن عجيبة:

تعريف الأوراد:

قال ابن عجيبة هي: "ما يرتبه العبد على نفسه، أو الشيخ على تلميذه من الأذكار"(٢).

وقسَّم ابن عجيبة الورد إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١- ورد العُبَّاد والزُّهَّاد من المجتهدين.

٢- ورد أهل السُّلوك من السَّائرين.

٣- ورد أهل الوصول من العارفين.

إذ قال: "الورد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ورد العُبَّاد والزُّهَّاد من المجتهدين، وورد أهل السُّلوك من السَّائرين، وورد أهل الوصول من العارفين، فأمَّا ورد المجتهدين فهو استغراق الأوقات في أنواع العبادات، وعباداتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام، وقد ذكر في كتاب الإحياء والقوت أوراد النهار وأوراد الليل، وعيَّن لكلِّ وقتٍ وردًا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٤٧٨ -٤٧٩.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٢١٨.

معلومًا، أمَّا ورد السائرين فهو: الخروج من الشواغل والشواغب، وترك العلائق والعوائق، وتطهير القلوب من المساوي والعيوب، وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل، وعبادتهم ذكر واحد، وهو ما يعيِّنه له الشيخ، لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرَّبِّ، وأمَّا ورد الواصلين فهو إسقاط الهوى، ومحبَّة المولى، وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف في الحضرة فكلٌّ من أقامه مولاه في ورد فليلتزمه ولا يتعدَّى طوره"(١).

أمثلة للأوراد التي ذكرها ابن عجيبة:

***حزب الحفظ والتحصُّن**

قال: "اللهم احفظنا من القواطع والعلائق ومكِّن أسرارنا من أنوار الحقائق حتى ننخرط في سلك المقرَّبين السوابق".

"اللهم احفظ أرواحنا من خوض الأغيار وصن أسرارنا من لوث الآثار ومن الوقوف مع الأنوار حتى لا نشهد إلا إيَّاك في السِّرِّ والإجهار".

إلهنا قد علمنا أنَّ قضاءك النافذ في العبيد لا ترده همة عارف ولا مريد، لكن لطفك الخفي وتأييدك الوفي يجريان مع كلِّ قضاء عند كل عارف وولي، فأشهدنا ذلك اللُّطف الخفي في جميع الأقدار، وارزقنا ذلك التأييد الوفي عند هجوم الأكدار يا كريم يا حليم يا غفَّار".

اللهم اكفنا شر العدا ... اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، ألف بسم الله الرحمن الرحيم عن يميني، وألف بسم الله الرحمن الرحيم عن شمالي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من أمامي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢١٨.

خلفي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من تحتي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم من فوقي، وألف بسم الله الرحمن الرحيم محيطة بي[1].

***حزب العز والنصر**

"اللهم افتح أبصارنا لشهود عظمتك، حتى نراك بك لا بغيرك، وافتح أسماعنا لسماع كلامك، حتى نسمع بك منك، وافتح قلوبنا لورود مواهب غيبك، حتى تمتلئ بأنوار محبتك إنك ذو الفضل العظيم.

اللهم افتح لنا من فيض أسرار العلوم، ومكنَّا من خزائن الفهوم، واكشف عن قلوبنا أكنَّة الحجب يا حيُّ يا قيوم.

اللهم يا فتاح يا رزاق ارزقنا من قوت أشباحنا ما تسد به عنَّا باب الفقر إلى خلقك، ومن قوت أرواحنا ما تغنينا به عن شهود غيرك، ومن قوت أسرارنا ما تجمعنا به دائمًا في حضرة قدسك، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير"[2].

هذه الأوراد التي ذكرها ابن عجيبة مع ما تضمَّنته من عقائد الصوفية الباطلة كبدعة وحدة الوجود، والكشف، جميعها تكشف حقيقة الصوفية وأنهم قد وقعوا في كيد الشيطان وحبائله، فابتدعوا في دين الله ما لم يشرعه الله ولم يسنّه رسوله ﷺ، لذا فإنَّ كل من اتخذ شيئًا من الأذكار غير المشروعة وداوم عليها وجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، وعمله مردودٌ عليه، قال ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[3].

---

(١) الفهرسة، ص١٣٠.

(٢) الفهرسة، ص١٣٢-١٣٣-١٣٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٦/٢٥٧، رقم ١٧١٨.

ولقد انبرى العلماء للردِّ على كلِّ من ابتدع شيئًا من هذه الأوراد.

فحذَّر القاضي عياض من الأدعية المنسوبة للأنبياء -عليهم السَّلام- بقوله: "أذن الله في دعائه، وعلَّم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلَّم النبي ﷺ الدعاء لأُمَّته، واجتمعت فيه ثلاث أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأُمَّة، فلا ينبغي لأحدٍ أن يعدل عن دعائه، وقد احتال الشيطان للناس في هذا المقام، فقيَّض لهم قومَ سوءٍ يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر الصديق، فاتقوا الله في أنفسكم ولا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح"[(١)].

وقال الخطابي: "ولقد أولع بعضٌ من المسلمين بأدعية وأذكار منكرة مخترعة، ما أنزل الله بها من سلطان، صنَّفها لهم بعض المتكلِّفين من أهل الجهل والجرأة على الله، وأكثرها زورٌ وافتراءٌ على الله عَزَّوَجَلَّ"[(٢)].

وحذَّر ابن العربي من هذه الأدعية المختلقة فقال: "فحذار منها، ولا يَدْعُوَنَّ أحدٌ منكم إلا بما في الكتب الخمسة، وهي كتاب البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، فهذه الكتب هي بدء الإسلام ... ولا يقولنَّ أحدٌ: أختار دعاء كذا؛ فإنَّ الله قد اختار له، وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله"[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت، قال: رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فهو رد»[(٤)].

---

(١) نقل هذا القول ابن علان عن القاضي عياض في الفتوحات الربانية ١/١٧، ولم أجده في كتبه رحمه الله.

(٢) شأن الدعاء، ص١٦.

(٣) أحكام القرآن ٢/٨١٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣/١٨٤، رقم ٢٦٩٧، ومسلم، كتاب الحدود، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ٣/١٣٢٣، رقم ١٧١٨.

وعلَّم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ البراء بن عازب رضي الله عنه دعاءً وأمره بالتزام النص بدون زيادة أو نقصان، فقال له النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضَّأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيِّك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهنَّ آخر ما تتكلَّم به»، قال: فرددتُها على النبي ﷺ فلما بلغتُ (اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت) قلتُ (ورسولك)، قال: «لا، ونبيك الذي أرسلت»[1].

وهذا لأنَّ العبادات توقيفية، فلا زيادة ولا نقصان، رغم أنَّ المعنى صحيح، ويستقيم الكلام.

وقال ابن حجر: "وأولى ما قيل في الحكمة في ردِّه ﷺ على من قال: (الرسول) بدل (النَّبي) أنَّ ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللَّفْظ الذي وردت به ... فيقتصر فيه على اللَّفْظ الوارد بحروفه، وقد يتعلَّق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فتعيَّن أداؤها بحروفها"[2].

قال ابن تيمية: "العبادات مبناها على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع؛ فإنَّ الإسلام مبنيٌّ على أصلين، أحدهما: أن نعبد الله وحده لا شريك له، والثاني: أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ لا نعبده بالأهواء والبدع قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ٩٧/١، رقم ٢٤٤.
(٢) فتح الباري ١١٢/١١.
(٣) سورة الجاثية: ١٨، ١٩.

وقال في موضعٍ آخر: "وليس لأحدٍ أن يَسنَّ للناس نوعًا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادةً راتبةً يواظب الناس عليها، كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحيانًا من غير أن يجعله للناس سُنَّة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمَّن معنى محرَّمًا لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أنَّ الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب، وأما اتخاذ وردٍ غير شرعيٍّ واستنان ذكرٍ غير شرعي فهذا مما يُنهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العليَّة، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهلٌ أو مفرِّط أو متعد"[(١)].

وممَّا قرَّره أهل العلم أنَّ من ندب إلى شيءٍ يتقرَّب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله عَزَّوَجَلَّ فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكًا لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله[(٢)]، ويجدر التنبيه على أمرٍ هامٍّ بأنَّ المؤمن ينبغي له أن ينوِّع في الأذكار المشروعة اتباعًا للسُّنَّة، ولزوال الفرقة والاختلاف.

قال ابن تيمية: "التنوع في ذلك متابعة للنبي ﷺ فإنَّ في هذا اتباعًا للسُّنَّة والجماعة، وإحياء لسُنَّته، وجمعًا بين قلوب الأُمَّة، وأخذًا بما في كلِّ واحدٍ من الخاصة، أفضل من المداومة على نوع معيَّنٍ لم يداوم عليه النبي ﷺ **لوجوه:**

أحدها: أنَّ هذا هو اتباع السُّنَّة والشريعة فإنَّ النبي ﷺ إذا كان قد فعل هذا

---

(١) مجموع الفتاوى ٥١١/٢٢.

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤/٢.

تارة وهذا تارة ولم يداوم على أحدهما كان موافقته في ذلك هو التأسِّي والاتباع المشروع وهو أن يفعل ما فعل على الوجه الذي فعل لأنَّه فعله.

الثاني: أنَّ ذلك يوجب اجتماع قلوب الأُمَّة وائتلافها وزوال كثرة التفرُّق والاختلاف والأهواء بينها، وهذه مصلحة عظيمة ودفع مفسدة عظيمة ندب الكتاب والسُّنَّة إلى جلب هذه ودرء هذه، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾(٣).

الثالث: أنَّ ذلك يخرج الجائز المسنون عن أن يشبَّه بالواجب، فإنَّ المداومة على المستحب أو الجائز مشبَّهة بالواجب ولهذا أكثر هؤلاء المداومين على بعض الأنواع الجائزة أو المستحبة لو انتقل عنه لنفر عنه قلبه وقلب غيره أكثر مما ينفر عن ترك كثير من الواجبات؛ لأجل العادة التي جعلت الجائز كالواجب.

الرابع: أنَّ في ذلك تحصيل مصلحة كلِّ واحد من تلك الأنواع؛ فإنَّ كلَّ نوعٍ لا بدَّ له من خاصة وإن كان مرجوحًا فكيف إذا كان مساويًا، وقد قدَّمنا أنَّ المرجوح يكون راجحًا في مواضع.

الخامس: أنَّ في ذلك وضعًا لكثيرٍ من الآصار والأغلال التي وضعها الشيطان على الأُمَّة بلا كتابٍ من الله ولا أثارةٍ من علم؛ فإنَّ مداومة الإنسان على أمر جائز مرجحًا له على غيره ترجيحًا يحب من يوافقه عليه ولا يحب من لم يوافقه

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٩.

عليه، بل ربما أبغضه بحيث ينكر عليه تركه له ويكون ذلك سببًا لترك حقوق له وعليه يوجب أن ذلك يصير إصرًا عليه لا يمكنه تركه، وغلًّا في عنقه يمنعه أن يفعل بعض ما أُمر به، وقد يوقعه في بعض ما نهي عنه، وهذا القدر الذي قد ذكرته واقع كثيرًا، فإنَّ مبدأ المداومة على ذلك يورث اعتقادًا ومحبَّةً غير مشروعين، ثم يخرج إلى المدح والذم والأمر والنهي بغير حق، ثم يخرج ذلك إلى نوع من الموالاة والمعاداة غير المشروعين من جنس أخلاق الجاهلية كأخلاق الأوس والخزرج في الجاهلية.

ثم يخرج من ذلك إلى العطاء والمنع فيبذل ماله على ذلك عطيةً ودفعًا وغير ذلك من غير استحقاقٍ شرعيٍّ، ويمنع من أمر الشارع بإعطائه إيجابًا أو استحبابًا، ثم يخرج من ذلك إلى الحرب والقتال كما وقع في بعض أرض المشرق، ومبدأ ذلك تفضيل ما لم تفضله الشريعة، والمداومة عليه وإن لم يعتقد فضله سبب لاتخاذه فاضلًا اعتقادًا وإرادة، فتكون المداومة على ذلك إمَّا منهيًّا عنها وإمَّا مفضولة، والتنوع في المشروع بحسب ما تنوع فيه الرسول ﷺ أفضل وأكمل.

السادس: أنَّ في المداومة على نوعٍ دون غيره هجرانًا لبعض المشروع وذلك سببٌ لنسيانه والإعراض عنه، حتى يعتقد أنَّه ليس من الدين بحيث يصير في نفوس كثيرٍ من العامَّة أنه ليس من الدين وفي نفوس خاصة هذه العامة عملهم مخالف علمهم، فإنَّ علماءهم يعلمون أنه من الدين ثم يتركون بيان ذلك إما خشيةً من الخلق وإمَّا اشتراءً بآيات الله ثمنًا قليلًا من الرئاسة والمال كما كان عليه أهل الكتاب، كما قد رأينا من تعود ألا يسمع إقامة إلا موترة أو مشفوعة فإذا سمع الإقامة الأخرى نفر عنها وأنكرها ويصير كأنه سمع أذانًا ليس أذان المسلمين، وكذلك من اعتاد القنوت قبل الركوع أو بعده، وهجران بعض المشروع سبب لوقوع العداوة

والبغضاء بين الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[1] فأخبر سبحانه أنَّ نسيانهم حظًّا مما ذُكِّروا به سبب لإغراء العداوة والبغضاء بينهم، فإذا اتبع الرَّجلُ جميعَ المشروع المسنون واستعمل الأنواع المشروعة هذا تارة وهذا تارة كان قد حفظت السُّنَّة علمًا وعملًا وزالت المفسدة المخوفة من ترك ذلك، ونكتة هذا الوجه أنه وإن جاز الاقتصار على فعل نوع لكن حفظ النوع الآخر من الدين ليعلم أنه جائز مشروع وفي العمل به تارة حفظ للشريعة وترك ذلك قد يكون سببًا لإضاعته ونسيانه.

السابع: أنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان والعدل التسوية بين المتماثلين وحرَّم الظلم على نفسه وجعله محرَّمًا بين عباده، ومن أعظم العدل العدل في الأمور الدينيَّة، فإنَّ العدل في أمر الدنيا من الدماء والأموال كالقصاص والمواريث وإن كان واجبًا وتركه ظلم فالعدل في أمر الدين أعظم منه وهو العدل بين شرائع الدين وبين أهله، فإذا كان الشارع قد سوَّى بين عملين أو عاملين كان تفضيل أحدهما من الظلم العظيم وإذا فضل بينهما كانت التسوية كذلك والتفضيل أو التسوية بالظن وهوى النفوس من جنس دين الكفَّار، فإنَّ جميع أهل الملل والنحل يفضل أحدهم دينه إمَّا ظنًّا وإمَّا هوى إمَّا اعتقادًا وإمَّا اقتصادًا وهو سبب التمسُّك به وذم غيره"[2].

والأفضل والأتم والأكمل هو التمسُّك بالأدعية التي سنَّها لنا النبي ﷺ "فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك وإن قالها بعض

(١) سورة المائدة: ١٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤٧/٢٤.

الشيوخ- فكيف يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك، ومن أشدِّ الناس عيبًا من يتخذ حزبًا ليس بمأثورٍ عن النبيﷺ وإن كان حزبًا لبعض المشايخ، وَيدَع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيِّد بني آدم وإمام الخلق، وحجة الله على عباده"[(١)].

بل وصل عند القوم أن يقال للداعي: استحضر صورة شيخك أثناء الدعاء، ولا شكَّ أنَّ في اعتقاد هذا الاستحضار ما فيه من التعلُّق بغير الله، فهو شركٌ صريحٌ والعياذ بالله.

فواجبٌ على أهل العلم إنكار البدع، قال أبو عمرو الداني[(٢)] "ومن الواجب على السلاطين والعلماء إنكار البدع والضلالات، وإظهار الحجج وبيان الدَّلائل من الكتاب والسُّنَّة وحجية العقل؛ حتى يُقْطَع عُذْرُهُم، وتَبْطُل شُبَهُهم وتمويهاتُهم"[(٣)].

سادسًا: موقف ابن عجيبة من بدع الصوفية في توحيد العبادة

تعريف البدعة في اللغة:

قال الخليل: "البَدْعُ: إحداثُ شيءٍ لم يكن له من قبلُ خلقٌ، ولا ذكرٌ ولا معرفةٌ، والله بديعُ السموات والأرض: ابتدعهما، ولم يكونا قبل ذلك شيئًا يتوهّمهما متوهِّم، وبدع الخلق، والبِدْعُ: الشَّيء الذي يكون أوَّلًا في كلِّ أمر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[(٤)]، أي: لستُ بأوَّل مُرْسَل.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٥٢٥.

(٢) أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الأموي الأندلسي، القرطبي، ثم الداني، ولد سنة ٣٧١هـ، ومن شيوخه: أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب صاحب البغوي، وهو أكبر شيخ له، وأحمد بن فراس المكي، توفي يوم نصف شوال سنة ٤٤٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٧٧.

(٣) الرسالة الوافية، ص٢٨٨.

(٤) سورة الأحقاف: ٩.

ونقول: لقد جئت بأمرٍ بديع، أي: مبتدعٌ عجيب، وابتدعت: جئت بأمرٍ مختلفٍ لم يعرف ذلك"(١).

وقال الجوهري: "بدع: أبدعتُ الشيء: اخترعتُه لا على مثال، والله تعالى بديع السموات والأرض، والبديع: المبتدع، والبديع: المبتدَع أيضًا.

وشيءٌ بِدع بالكسر، أي: مبتدع، وفلانٌ بدع في هذا الأمر، أي: بديع، وقوم أبداع ....، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ والبدعة: الحدَثُ في الدين بعد الإكمال.

واستبدعه: عدَّه بديعًا، وبدَّعه: نسبه إلى البدعة، وأبدعت الراحلة، أي: كلَّت، وقد أبدع بالرَّجل، أي: كلَّت راحلته"(٢).

البدعة في الاصطلاح:

قال الشاطبي: "فالبدعة إذن عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبُّد لله سبحانه.

وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصُّها بالعبادات، وأمَّا على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول: البدعة طريقةٌ في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

ولا بدَّ من بيان ألفاظ هذا الحدِّ فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد وهو ما رسم للسلوك عليه.

---

(١) العين ٢/٥٤.

(٢) الصحاح ٣/١١٨٣-١١٨٤.

وإنما قيدت بالدين؛ لأنَّها فيه تخترع، وإليه يضيفها صاحبها.

وأيضًا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة، كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم فمنها ما له أصل في الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها، خص منها ما هو المقصود بالحد، وهو القسم المخترع، أي: طريقة ابتدعت على غير مثالٍ تقدَّمها من الشارع؛ إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عمَّا رسمه الشارع، وبهذا القيد انفصلت عن كلِّ ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع، مما هو متعلِّق بالدين، كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة فإنَّها وإن لم توجد في الزمان الأُول فأصولها موجودة في الشرع"[1].

وأما موقف ابن عجيبة من بدع الصوفية فإنَّه يقرر كثيرًا منها، ومن البدع التي قرَّرها:

١- الصلاة عند الأضرحة

قال: "كنتُ أخرج إلى قُبَّة سيدي طلحة أتعبَّد فيها، ومرةً أخرج إلى قُبَّة سيدي عبد الله الفخار فأتعبد فيها ... فكنتُ أصلِّي في الضحى خمسة عشر حزبًا من القرآن، وفي الليل كذلك، ولا أفتر من ذكر الله ليلًا ولا نهارًا فبقيت كذلك أيامًا، فرأيت سيدي طلحة في النوم وأنا عند ضريحه فانحنى عليَّ حتى مسَّ شعر لحيته وجهي"[2].

(١) الاعتصام ٤٧/١.

(٢) الفهرسة، ص٤٣.

وكل من تقرَّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما ليس من الحسنات المأمور بها أمَر إيجاب ولا استحباب فهو متبعٌ لهواه والشيطان قائده، وسبيله من سبيل الشيطان كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل ... على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه[1]، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»[2].

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: "البدع والشبهات"[3].

ولهذا لا بدَّ من معرفة الزيارة الشرعية لقبور المسلمين من الزيارة البدعية.

قال ابن تيمية: "فالزيارة الشرعية أن يكون مقصود الزائر الدُّعاء للميِّت؛ كما يُقصد بالصَّلاة على جنازته الدعاء له.

فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[4] فنهى نبيَّه عن الصَّلاة عليهم والقيام على قبورهم؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون، فلمَّا نهى عن هذا، وهذا لأجل هذه العلة وهي الكفر دلَّ ذلك على انتفاء

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٥/١، رقم ٤١٤٢، والدارمي ٢٣٢/١، رقم ٢٠٨، والنسائي في السنن الكبرى ٣٤٣/٦، رقم ١١١٧٤، وابن حِبَّان ١٨٠/١، رقم ٦، والحاكم ٣٤٨/٢، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥/٧: فيه عاصم بن بهدلة وهو ثقةٌ وفيه ضعف، وحسَّنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح ١٣١/١.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٢٩/١٢.

(٤) سورة التوبة: ٨٤.

هذا النهي عند انتفاء هذه العلة، ودلَّ تخصيصهم بالنهي على أنَّ غيرهم يُصلَّى عليه ويُقام على قبره إذ لو كان هذا غير مشروع في حقِّ أحدٍ لم يخصوا بالنهي، ولم يعلل ذلك بكفرهم؛ ولهذا كانت الصلاة على الموتى من المؤمنين والقيام على قبورهم من السُّنَّة المتواترة، فإنَّ النبي ﷺ يُصلِّي على موتى المسلمين وشرع ذلك لأُمَّته وكان إذا دفن الرجل من أمته يقوم على قبره ويقول: «سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»(١)، وكان يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأُحُدٍ ويعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: «السَّلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منَّا والمستأخرين وإنَّا إن شاء الله بكم للاحقون»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «السَّلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون»(٣)، فهذه الزيارة لقبور المؤمنين مقصودها الدعاء لهم، وهذه غير الزيارة المشتركة التي تجوز في قبور الكُفَّار كما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: أتى رسول الله ﷺ قبر أُمِّه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: «استأذنتُ ربِّي أن أستغفر لأُمِّي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»(٤).

فهذه الزيارة التي تنفع في تذكير الموت تشرع، ولو كان المقبور كافرًا بخلاف

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت ٥٥٠/٣، رقم ٣٢٢٣، وصحَّحه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز ٥٢٦/١، رقم ١٣٧٢، وقال: صحيح الإسناد، وجوَّد إسناده النووي في المجموع ٢٩٢/٥، وصحَّحه الألباني في الجامع الصغير وزيادته ٢٢٤/١، رقم ٩٤٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء ٦٦٩/٢، رقم ٢٣٠١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب ما يقال عند دخول القبر ٦٣/٣، رقم ٢٢٢٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ في قبر أمه ٦٥/٣، رقم ١٦٢٧

الزيارة التي يقصد بها الدعاء للميت فتلك لا تشرع إلا في حق المؤمنين.

وأمَّا الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يُطلب من الميت الحوائج أو يُطلب منه الدعاء والشفاعة أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أنَّ ذلك أجوب للدعاء.

فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة رضي الله عنهم لا عند قبر النبي ﷺ ولا عند غيره وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك.

ولو قصد الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين من غير أن يقصد دعاءهم والدعاء عندهم مثل أن يتخذ قبورهم مساجد لكان ذلك محرَّمًا منهيًّا عنه ولكان صاحبه متعرضًا لغضب الله ولعنته، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: أنَّه قال في مرضه الذي مات فيه: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدًا»، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنِّي أخشى أن يُتخذ مسجدًا[1].

وقال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2] يحذر ما صنعوا.

فإذا كان هذا محرَّمًا وهو سببٌ لسخط الرَّبِّ ولعنته فكيف بمن يقصد دعاء الميت والدعاء عنده وبه، واعتقد أنَّ ذلك من أسباب إجابة الدعوات ونيل الطلبات وقضاء الحاجات؟ وهذا كان أول أسباب الشرك في قوم نوح وعبادة الأوثان"[3].

ونقل ابن القيم كلام شيخه ابن تيمية فقال: "وهذه الأمور المبتدعة عند القبور

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ٤٠٨/١، رقم ١٣٣٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ٦٧/٢، رقم ١٢١٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦٥/١-١٦٦، ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١٩٦/٢-١٩٧.

مراتب، أبعدها عن الشرع: أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثيرٌ من الناس، قال: وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثَّل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثَّل لعُبَّاد الأصنام، وهذا يحصل للكُفَّار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظِّمه فيتمثَّل له الشيطان أحيانًا، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر، والتمسُّح به وتقبيله.

والمرتبة الثانية: أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ به، وهذا يفعله كثيرٌ من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يسأله نفسه.

الرابعة: أن يظن أنَّ الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، فهذا أيضًا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهى محرَّمة، وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة الدين"[1].

وهذه البدع آنفة الذكر تقدح في العقيدة، إمَّا أن تنافيها أو تنقضها، "... لهذا ينبغي أن يُشهر في الناس فسادها وعيبها، ليحذرها الناس فلا يقعوا فيها"[2].

ولقد أجمع العلماء على بيان فساد أهل البدع، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسُّنَّة أو العبادات المخالفة للكتاب والسُّنَّة، فإنَّ بيان حالهم وتحذير الأُمَّة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرَّجُلُ يصوم ويصلِّي ويعتكف أحبُّ إليك أو يتكلَّم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلَّى واعتكف فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلَّم في أهل البدع فإنما

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ٢١٧/١.

(٢) الفروق ٢٥٩/٤.

هو للمسلمين هذا أفضل، فبيَّن أنَّ نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدواهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإنَّ هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا وأمَّا أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً"(١).

وفي منهج ابن عجيبة تأثُّرٌ واضحٌ بآراء الفلاسفة.

قال ابن تيمية في ردِّه على الفلاسفة الدهرية: "وقد أحدث قومٌ من ملاحدة الفلاسفة الدهرية للشرك شيئًا آخر ذكروه في زيارة القبور كما ذكر ذلك ابن سينا، ومن أخذ عنه كصاحب الكتب المضنون بها وغيره ذكروا معنى الشفاعة على أصلهم فإنَّهم لا يقرون بأنَّ الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ولا أنَّه يعلم الجزئيات ويسمع أصوات عباده ويجيب دعاءهم، فشفاعة الأنبياء والصالحين على أصلهم ليست كما يعرفه أهل الإيمان من أنها دعاء يدعو به الرَّجُل الصالح فيستجيب الله دعاءه، كما أنَّ ما يكون من إنزال المطر باستسقائهم ليس سببه عندهم إجابة دعائهم، بل هم يزعمون أن المؤثِّر في حوادث العالم هو قوى النفس أو الحركات الفلكية أو القوى الطبيعية فيقولون: إنَّ الإنسان إذا أحبَّ رجلًا صالحًا قد مات لا سيَّما إن زار قبره فإنه يحصل لروحه اتصال بروح ذلك الميت فيما يفيض على تلك الروح المفارقة من العقل الفعَّال عندهم، أو النفس الفلكية يفيض على هذه الروح الزائرة المستشفعة من غير أن يعلم الله بشيءٍ من ذلك، بل وقد لا تعلم الروح المستشفع بها بذلك، ومثَّلوا ذلك بالشمس إذا

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٣١-٢٣٢.

قابلها مرآة فإنه يفيض على المرآة من شعاع الشمس، ثم إذا قابل المرآة مرآة أخرى فاض عليها من تلك المرآة، وإن قابل تلك المرآة حائطٌ أو ماءٌ فاض عليه من شعاع تلك المرآة فهكذا الشفاعة عندهم وعلى هذا الوجه ينتفع الزائر عندهم.

وفي هذا القول من أنواع الكفر ما لا يخفى على من تدبَّره، ولا ريب أنَّ الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم وجعل القبور أوثانًا هو أول الشرك.

ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين مثل أن يرى القبر قد انشقَّ وخرج منه الميت وكلَّمه وعانقه، وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم وإنما هو شيطان فإنَّ الشيطان يتصور بصور الإنس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان، أو الشيخ فلان ويكون كاذبًا في ذلك.

وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جدًّا، والجاهل يظنُّ أنَّ ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلَّمه هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهما"(١).

وقال ابن تيمية: "وما أحفظ -لا عن صحابيٍّ ولا تابعيٍّ ولا عن إمامٍ معروف- أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده، ولا روى أحدٌ في ذلك شيئًا، لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن أحدٍ من الأئمة المعروفين، وقد صنَّف النَّاس في الدعاء وأوقاته وأمكنته، وذكروا فيه الآثار، فما ذكر أحدٌ منهم في فضل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٦-١٦٧-١٦٨، ينظر: النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، ص٥٥، ١٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١٣٢، ١٦٦.

الدعاء عند شيءٍ من القبور حَرْفًا واحدًا -فيما أعلم-، فكيف يجوز -والحال هذه- أن يكون الدعاء عندها أجوب وأفضل، والسَّلف تنكره ولا تعرفه، وتنهى عنه ولا تأمر به.

نعم صار من نحو المائة الثالثة يوجد متفرِّقًا في كلام بعض الناس: فلانٌ تُرجى الإجابة عند قبره وفلانٌ يُدعى عند قبره، ونحو ذلك كما وجد الإنكار على من يقول ويأمر به، كائنًا من كان ..."[١].

وقال في موضعٍ آخر: "وأمَّا ما حُكي عن بعض المشايخ من قوله: إذا نزل بك حادثٌ، أو أمرٌ تخافه فاستوحني فيكشف ما بك من الشدَّة حيًّا كنتَ أو ميِّتًا.

فهذا الكلام ونحوه إمَّا أن يكون كذبًا من الناقل أو خطأً من القائل؛ فإنَّه نقلٌ لا يُعرف صدقه عن قائل غير معصوم، ومن ترك النقل المصدّق عن القائل المعصوم واتبع نقلًا غير مصدّق عن قائل غير معصوم فقد ضلَّ ضلالًا بعيدا"[٢].

"فعُلم أنَّ هذا من الضلال، وإن كان بعض الشيوخ قال ذلك فهو خطأ منه والله يغفر له إن كان مجتهدًا مخطئًا، وليس هو بنبيٍّ يجب اتباع قوله ولا معصوم فيما يأمر به وينهى عنه، وقد قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[٣][٤].

"وهذه البدع إنما يحدثها أهل الغلو والشرك المشبهين للنصارى من أهل البدع الرافضة الغالية في الأئمة ومن أشبههم من الغلاة في المشايخ"[٥].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/١٢٥.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٧/١٢٥، ٢٧/٤٦٥-٤٦٧، و٢٧/١٦٧-١٦٨.

(٥) المرجع السابق ٢٧/١٢٧.

٢- الذكر بالاسم المفرد

قال ابن عجيبة في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾[(١)] "واذكر اسم ربك، أي: استغرق أنفاسك في ذكر اسمه الأعظم، وهو الاسم المفرد؛ الله الله"[(٢)].

وقال أيضًا: "والنار التي تحرق البشرية هي مخالفة الهوى، وتحمل النفس ما يثقل عليها، كالذُّل والفقر، ونحوهما مع دوام ذكر الاسم المفرد، فكلَّما فني فيه ذابت بشريته، وقويت روحانيته حتى تستولي على بشريته، فحينئذٍ يكون الحكم لها"[(٣)].

وابن عجيبة في قوله في الاسم المفرد يسير على عقيدة المتصوفة وابتداعهم للأذكار الباطلة، ولا ريب أنَّ هذا من الآثار السيئة المترتبة على ترك ما جاء في الوحيين، فليتأمل العاقل الحصيف كيف جرَّ هذا المنكر في الاستغراق في الاسم المفرد إلى ما هو أقبح منه في الانحراف العقدي.

قال ابن تيمية في ردِّه على الصوفية: "والذكر بالاسم المفرد مظهرًا ومضمرًا بدعةٌ في الشرع، وخطأٌ في القول واللُّغة، فإنَّ الاسم المجرَّد ليس هو كلامًا لا إيمانًا ولا كفرًا[(٤)].

وقال في موضعٍ آخر: "وأمَّا الاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا فليس بكلامٍ تام، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلَّق به إيمان، ولا كفر، ولا أمر، ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحدٌ من سلف الأمة، ولا شرع ذلك رسول اللّه ﷺ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة

(١) سورة الإنسان: ٢٥.

(٢) البحر المديد ٢٠٥/٧.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٢٥١.

(٤) مجموع الفتاوى٣٩٦/١٠.

مفيدة، ولا حالًا نافعًا، وإنما يعطيه تصورًا مطلقًا، لا يحكم عليه بنفيٍ ولا إثبات، فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه، لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره، وقد وقع من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـ(هو) في فنون الإلحاد وأنواع من الاتحاد ... والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السُّنَّة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى إضلال الشيطان، فإن من قال: يا هو يا هو، أو: هو هو، ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدًا إلا إلى ما يصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل"(١).

وهذا الذكر بالاسم المفرد لا أصل له، ولا يدلُّ على مدحٍ ولا تعظيم، وكل ذلك من البدع والمحدثات المخالفة لطريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ولم يعمل به سلف الأُمَّة، فالخير كلُّ الخير في اقتفاء أثرهم واتباع هديهم.

قال ابن تيمية: "وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرًا أو مضمرًا فلا أصل له فضلًا عن أن يكون من ذكر الخاصَّة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد"(٢).

وقال ابن القيم: "فإنَّ الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلًا، ولا مفيد شيئًا، ولا هو كلام أصلًا، ولا يدلُّ على مدحٍ ولا تعظيم، ولا يتعلَّق به إيمانٌ ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٢٧.

(٢) المرجع نفسه ١٠/٢٢٧.

فلو قال الكافر: (الله، الله) من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلمًا فضلًا عن أن يكون من جملة الذكر، أو يكون أفضل الأذكار، وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر، أو الذكر بقوله: (هو، هو) أفضل من الذكر بقولهم: (الله، الله)، وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات"(١).

وإذا كان حال أحدهم ذاكرًا مختليًا في الاسم المفرد -كما زعموا- فمتى سيتدبر آيات الله عَزَّوَجَلَّ ويدرك معاني الأحاديث النبوية، ويعمل بها على هدي سنَّة النبي ﷺ "فإنَّ طريق السُّنَّة علمٌ وعدلٌ وهدى، وفي البدعة جهلٌ وظلمٌ، وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس"(٢).

ولا شكَّ أنَّ ترديد هذا الاسم إلى جانب ما فيه من البدع، فهو تعدٍّ في الدعاء بجهر الصوت الجماعي، ولا يوجد لا في الكتاب ولا في السُّنَّة ما يدل على الاجتماع على الذكر جهرًا ولا علانية.

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾(٣).

قال الشيخ السعدي: "ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكلُّ هذا داخلٌ في الاعتداء المنهي عنه"(٤).

ولقد نهى نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ الذين رفعوا صوتهم بالتكبير، رغم أنهم لم يرفعوه

---

(١) طريق الهجرتين، ص٤٩٨-٤٩٩.

(٢) الإبداع في مضار الابتداع، ص٧٨، وينظر: المدخل، لابن الحاج ٢/٢٤٢.

(٣) سورة الأعراف: ٥٥.

(٤) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ١/٢٩١.

بصوتٍ واحد، ولكن امتثالًا للآية.

عن أبي موسى ﵁ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ فكنَّا إذا علونا كبَّرنا، فقال النبي ﷺ: «أيُّها النَّاس، اربعوا على أنفسكم فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا ولكن تدعون سميعًا بصيرًا»(١).

ومن حيث الكيفية فإنَّ الشارع إذا ندب لأمرٍ لا بدَّ أن يؤتى بالكيفية التي شرعها، ولا يزاد عليها ولا ينقص، قال الشاطبي: "إنَّ الدليل الشرعي إذا اقتضى أمرًا في الجملة مما يتعلَّق بالعبادات مثلًا، فأتى المكلَّف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة، أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص، أو مقارنًا لعبادة مخصوصة والتزم ذلك بحيث صار متخيلًا أنَّ الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعًا من غير أن يدلَّ الدليل عليه، كان الدليل بمعزلٍ عن ذلك المعنى المستدل عليه.

فإذا ندب الشرع إلى ذكر الله، فالتزم قومٌ الاجتماع عليه على لسانٍ واحدٍ وبصوتٍ واحد، أو في وقتٍ معلومٍ مخصوصٍ عن سائر الأوقات، لم يكن في ندب الشرع ما يدلُّ على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدلُّ على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعًا شأنها أن تُفهم التشريع، وخصوصًا مع من يُقتدى به في مجامع الناس كالمساجد، فإنَّها إذا ظهرت هذا الإظهار ووضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله ﷺ في المساجد وما أشبهها كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف فُهم منها بلا شكٍّ أنها سُنن، إذا لم تفهم منه الفرضية فأحرى أن لا يتناولها الدليل المستدل به فصارت من هذه الجهة بدعًا محدثةً بذلك.

وعلى ذلك ترك التزام السلف الصالح لتلك الأشياء أو عدم العمل بها وهم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الدعاء إذا علا عقبة ٨/١٠١، قم ٢٩٩٢.

كانوا أحق بها وأهلها لو كانت مشروعة على مقتضى القواعد؛ لأنَّ الذكر قد ندب إليه الشرع في مواضع كثيرة حتى إنه لم يطلب في تكثير عبادة من العبادات ما طلب من التكثير من الذكر، بخلاف سائر العبادات كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1]، ومثل هذا الدعاء فإنه ذكر الله ﷻ ومع ذلك فلم يلتزموا فيه كيفيات ولا قيدوه بأوقات مخصوصة بحيث تشعر باختصاص التعبد بتلك الأوقات إلا ما عيَّنه الدليل كالغداة والعشي، ولا أظهروا منه إلا ما نصَّ الشارع على إظهاره كالذكر في العيدين وشبهه، وما سوى ذلك فكانوا مثابرين على إخفائه وسرِّه، ولذلك قال لهم حين رفعوا اصواتهم: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا» وأشباهه ولم يظهروه في الجماعات.

فكلُّ من خالف هذا الأصل فقد خالف إطلاق الدليل أولًا؛ لأنَّه قيّد فيه بالرأي، وخالف من كان أعرف منه بالشريعة وهم السلف الصالح ﭫ، بل كان رسول الله ﷺ يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خوفًا أن يعمل به الناس فيفرض عليهم"[2].

والغاية من ترديد الاسم المفرد عند الصوفية ما يلي:

أ- **الوصول إلى وحدة الوجود**

قال ابن عجيبة: "فإن دمت على ذكر الحضور رفعك إلى ذكر مع الغيبة عمَّا سوى المذكور، لما يعمر قلبك من النور، وربما قرب يعظم قرب نور المذكور فيغرق في النور حتى يغيب عمَّا سوى المذكور، حتى يصير الذاكر مذكورًا، والطالب مطلوبًا،

---

(١) سورة الأحزاب: ٤١.

(٢) الاعتصام ١/٢٤٩.

والواصل موصولًا ... وهنا يسكت اللسان، وينتقل الذاكر للجنان، فيصير ذكر اللسان غفلة في حق أهل هذا المقام ...؛ لأنَّ ذكره باللِّسان وتكلفه يقتضي وجود النفس، وهو شرك، والشرك أقبح من الغفلة ... والفرض أنَّ الذكر محو في مقام العيان"[1].

وقال أيضًا: "وهو ركنٌ قويٌّ في طريق الوصول"[2].

وعلّق ابن عجيبة على تكرار ابن مشيش للفظ الجلالة بقوله: "كرره ثلاثًا على عدد العوالم الثلاثة: الملك والملكوت والجبروت، فكلُّ مرَّةٍ يعني بها عالـَمًا ويترقى إلى عالمٍ آخر حتى يتقرر بالثلاثة في عالم الجبروت"[3].

ب- **الكشف**[4]

قال ابن عجيبة: "النَّاس في الذكر على ثلاثة أقسام: قسم يطلبون الأجور، وقسم يطلبون الحضور، وقسم وصلوا ورفعوا الستور"[5].

ج- **الاستغراق**

قال ابن عجيبة: لا يكون الفتح على تحقيق العبد بمقام الرضا إلا بعد تحققه بثلاثة أمور: الاستغراق في الاسم المفرد، صحبته للصالحين، مسكه بالعمل الصالح الذي لم يتصل به شيءٌ من العلل وهو التمسُّك بالشريعة المحمدية"[6].

وهذه الشطحات الصوفية التي يريدون أن يصلوا إليها سبق بيانها والرد عليها في مباحث سابقة.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١١٩-١١٠.

(٢) معراج التشوف، ص٤٢.

(٣) شرح صلاة ابن مشيش، ص٣٣-٣٤.

(٤) تقدم في مصادر التلقِّي.

(٥) إيقاظ الهمم، ص٤٢٦.

(٦) شرح الآجرومية، ص٢٩.

٣- شعائر التصوف (لبس المرقعة، التلقين، تعليق التسابيح)

قال ابن عجيبة: لما فتح الله علينا في علم الحقيقة أذن لي الشيخ في الخروج إلى تذكير عباد الله وتلقين الأوراد، فتاب الناس وعلّقوا التسابيح في أعناقهم ثم استأذنت الشيخ في لبس المرقعة[١].

ويقول أيضًا: "ولما لقنني[٢] الورد قلتُ له: أنا بين يديك افعل بي ما شئت، فقال: تبارك الله عليك، ثم التفت إلى بعض أصحابه فقال لهم: سيدي أحمد متصفٌ بالزُّهد والورع والتوكُّل والصبر والحلم والرضى والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء ... حتى عد اثني عشر مقامًا فقلت له: يا سيدي هذا هو التصوُّف، فقال: هذا تصوُّف الظاهر وبقي تصوف الباطن ستعرفه إن شاء الله"[٣].

وقال: ثم علَّقتُ السُّبحة الغليظة في عنقي، ولبستُ المرقعة ففرَّ الناس منِّي، وتفرَّغتُ لسلوك الطريق[٤].

وهذه الأقوال التي ذكرها ابن عجيبة تبيِّن أنَّ بعض الصوفية اتخذوا لهم شعائر ما أنزل الله بها من سلطان، ولم تعرف في عهد الصحابة ﷺ ولا التابعين.

يقول ابن تيمية: "قد عُقل بالنَّقل المتواتر أنَّ الصحابة لم يكونوا يُلبسون مريديهم[٥] خرقة، ولا يقصُّون شعورهم، ولا التابعون، ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين ... وقد علم كلُّ من له علمٌ بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحدٌ يلبس سراويل، ولا يُسْقَى ملحًا، ولا يختصُّ أحدٌ بطريقة تسمى

---

(١) ينظر الفهرسة، ص٤٩، ٥٤.

(٢) شيخه البوزيدي، سبقت ترجمته.

(٣) الفهرسة، ص٤٥، ٥٦، ٨٣.

(٤) الفهرسة، ص٨٣.

(٥) يعني ابن تيمية بمريديهم أصحابهم أو تلامذتهم من التابعين؛ لأنَّ المريد هو تلميذ الشيخ عند الصوفية.

الفتوة"[1].

وللأسف فالبعض لا زالت عنده لوثة التصوف إمَّا تقليدًا للآباء، أو جهلًا بالعلم الشرعي، فتراهم يلبسون الخرقة زاعمين أنَّها لبس النبي ﷺ.

قال ابن تيمية: "وأما لباس الخرقة التي يلبسها بعض المشايخ المريدين فهذه ليس لها أصل يدلُّ عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسُّنَّة ولا كان المشايخ المتقدمون وأكثر المتأخرين يلبسونها المريدين ... وأمَّا جعل ذلك سُنَّةً وطريقًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فليس الأمر كذلك"[2].

أمَّا القول الحق في ذلك فيتضح بموقف السلف من علمائهم ومشايخهم.

قال ابن تيمية: "لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون، وتعلَّموا منهم، وتأدَّبوا بهم، واستفادوا منهم، وتخرَّجوا على أيديهم، وصحبوا من صحبوه منهم، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة ... وقد انتفع بكلٍّ منهم من نفعه الله، وكلهم متفقون على دين واحد، وطريق واحدة، وسبيل واحدة، يعبدون الله ويطيعون الله ورسوله ﷺ ومن بلَّغهم من الصادقين عن النبي ﷺ شيئًا قبلوه، ومن فهم من القرآن والسُّنَّة ما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة استفادوه، ومن دعاهم إلى الخير الذي يحبه الله ورسوله أجابوه، فإنَّ هذا ونحوه دين النصارى الذين قال الله فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[3].

(١) منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ٤٧/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٥١١/١١.

(٣) سورة التوبة: ٣١.

ولم يكن أحدٌ منهم يجعل شيخه ربًّا يستغيث به، كالإله الذي يسأله ويرغب إليه، ويعبده ويتوكل عليه، ويستغيث به حيًّا وميتًا، ولا كالنبي الذي تجب طاعته في كلِّ ما أمر، فالحلال ما حلَّله والحرام ما حرَّمه، وكانوا متعاونين على البرِّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان، متواصين بالحق، متواصين بالصبر"[1].

وقال ابن الجوزي: "وقد قرَّروا أنَّ هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها إسنادًا متصلًا كله كذبٌ ومحال ... انظروا إخواني عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعرة"[2].

وفعل الصوفية هذا فيه مصادمة لنصوص الوحي التي جاءت مستفيضة بالحثِّ على التزين واللِّباس الحسن، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[4].

واستحسن النبي ﷺ إظهار الزينة في غير إسراف ولا مخيلة، فقد قال ﷺ للرَّجُل الذي قال يا رسول: الرَّجُلُ يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ قال الرسول ﷺ: «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال»[5].

وإنَّك لو سبرت كتب السُّنَّة لوجدت فيها أبوابًا كثيرةً خاصَّةً بالتجمُّل والزينة،

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية ٤٧/٨-٤٨.

(٢) تلبيس إبليس، ص٢٣٦.

(٣) سورة الأعراف: ٣١.

(٤) سورة فاطر: ١٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ٦٥/١، رقم ٢٧٥.

ولوجدتَ مؤلفيها يدعون إلى مجانبة الغلو، ويحذرون من أهل الأهواء في اعتقاداتهم الباطلة في لباسهم، وشعائرهم البدعية، ويعدون ذلك من ضعف الإيمان، ومتابعة الأمم السابقة.

وفي ذلك قال الآجري(١): "من تصفَّح أمر هذه الأُمَّة من عالم عاقل، علم أنَّ أكثرهم العام منهم يجري أمورهم على سنن أهل الكتابين، كما قال النبي ﷺ، وعلى سنن كسرى وقيصر وعلى سنن أهل الجاهلية، وذلك مثل السلطنة وأحكامهم وأحكام العُمَّال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية، والأكل والشرب والولائم، والمراكب والخدم والمجالس والمجالسة، والبيع والشراء، والمكاسب من جهات كثيرة، وأشباه لما ذكرت يطول شرحها تجري بينهم على خلاف السُّنَّة والكتاب، وإنما تجري بينهم على سنن من قبلنا، كما قال النبي ﷺ، والله المستعان، ما أقلَّ من يتخلَّص من البلاء الذي قد عمَّ الناس، ولن يميِّز هذا إلا عاقلٌ عالمٌ قد أدَّبه العلم"(٢).

واتخاذ الصوفية المرقعات شعارًا للزُّهد والتقشُّف مخالفة للشرع، بل الواجب على العبد أن يظهر أثر نعمة الله عليه، وهذا هو الذي أمرنا به نبيُّنا محمَّد ﷺ.

قال رجل: دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيء الهيئة، فقال النبي ﷺ: «هل لك من شيء؟» قال: نعم من كلِّ المال قد آتاني الله، فقال: «إذا كان لك مال فليُرَ عليك»(٣).

---

(١) أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله، وقيل عبد الله الآجري البغدادي المكي، والآجري نسبته إلى درب الآجر وهي محلة ببغداد، وقيل نسبته إلى الآجر: وهو من طبيخ اللبن، له مؤلفات منها: كتاب أخلاق العلماء، أحكام النساء، الأمر بلزوم الجماعة وترك الابتداع، توفي سنة ٣٦٠هـ وعمره ٨٠ عامًا وقيل ٩٦. ينظر: وفيات الأعيان ١١٤/٤، تاريخ بغداد ٢٣٩/٢، معجم البلدان ٥١/١، سير أعلام النبلاء ١٣٥/١٦ شذرات الذهب ٣٥/٣.

(٢) الشريعة ٣٢٢/١.

(٣) أخرجه النسائي، كتاب الزينة، باب ذكر ما يستحب من لبس الثياب وما يكره منها ١٩٦/٨، والترمذي ٢٠٧/٤، وقال: حديثٌ حسن، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٩٤/٣، رقم ١٣٢٠.

وقال ابن بطة[1]: "ومن البدع ... لبس الحرير والديباج وتخريق الثياب"[2].

ويقول أيضًا: "فلو أنَّ رجلًا عاقلًا أمعن النظر اليوم في الإسلام وأهله لعلم أنَّ أمور الناس تمضي كلها على سنن أهل الكتابين ... ومتى فكَّرت في ذلك وجدت الأمر كما أخبرتك في المصائب والأفراح وفي الزي واللباس ... كل ذلك يجري بخلاف الكتاب والسُّنَّة"[3].

ولعلَّ في هذا الردِّ غُنية، حتى يراجع المبتدع نفسه، ويعود إلى طريق الصواب؛ لأنَّ المبتدع كما هو معلوم معاندٌ للشرع، فهو يزداد من الله بُعْدًا والعياذ بالله، إن لم يتداركه الله بتوبةٍ قبل الموت.

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

وأمَّا تعليق السُّبحة في العنق فهي من المحدثات، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأمَّا اتخاذه -أي التسبيح بالمسبحة- من غير حاجة، أو إظهاره للناس، مثل تعليقه في العنق، أو جعله كالسوار في اليد، أو نحو ذلك: فهذا إمَّا رياءٌ للناس، أو مظنة المراءاة ومشابهة المرائين من غير حاجة، الأولُ محرَّم، والثاني أقلُّ أحواله الكراهة؛ فإنَّ مراءاة الناس في العبادات المختصة كالصلاة والصيام والذِّكر وقراءة القرآن من أعظم الذنوب"[5].

---

(١) أبو عبد الله، عُبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان وقيل حمران بن عمر بن عيسى المعروف بابن بطة العكبري، ولد سنة ٣٠٤هـ، من مؤلفاته: المناسك، الإمام ضامن، الإنكار على من قصَّر بكتب الصحف الأولى، ومن شيوخه: عمر بن الحسين الخرقي، وأبو بكر النيسابوري، والآجري، توفي سنة ٣٨٧هـ. ينظر: البداية والنهاية ٣٤٣/١١، الكامل في التاريخ ٤٩٣/٧، أسد الغابة ٣٦٥/٣، تاريخ الإسلام ١٠٧/٢٧.

(٢) الشرح والإبانة، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٥٧٢/٤.

(٤) سورة النور: ٦٣.

(٥) مجموع الفتاوى ٥٠٦/٢٢.

ويقول المناوي: "أمَّا ما أَلِفَه الغَفَلَةُ البطلةُ من إمساك سبحة يغلب على حباتها الزينة وغلو الثمن ويمسكها من غير حضور في ذلك ولا فكر ويتحدث ويسمع الأخبار ويحكيها وهو يحرِّك حبَّاتها بيده مع اشتغال قلبه ولسانه بالأمور الدنيوية فهو مذمومٌ مكروهٌ من أقبح القبائح"(١).

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله(٢): "وإنَّه إذا انضاف إلى السُّبْحةِ أمرٌ زائدٌ غير مشروع، مثل جعلها في الأعناق تعبُّدًا، والتغالي فيها من أنها حبل الوصل إلى الله، ودخول أي معتقد نفعًا وضرًّا، وإظهار التنسُّك والزهادة، إلى غير ذلك مما يأباه الشرع المطهَّر، فإنَّه يحرم اتخاذها، بوجهٍ أشد ...

ومن وقف على تاريخ اتخاذ السُّبحة، وأنَّها من شعائر الكُفَّار من البوذيين والهندوس والنصارى وغيرهم، وأنَّها تسرَّبت إلى المسلمين من معابدهم، علم أنَّها من خصوصيات معابد الكفرة، وأنَّ اتخاذ المسلم لها وسيلة للعبادة بدعة ضلالة، وهذا ظاهرٌ بحمد الله تعالى، وهذا أهمُّ مَدْرَكٍ لِلْحُكْم على السُّبْحَة بالبدعة، ... وتحقق مناط المنع فيها: التشبُّه"(٣).

---

(١) فيض القدير ٤/٣٥٥.

(٢) بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى، من قبيلة بني زيد القضاعية، ولد عام ١٣٦٥هـ، من مشايخه: الشيخ صالح بن مطلق، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أُسندت إليه الكثير من المناصب، عُيِّن قاضيًا في المدينة النبوية، ثم إمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي، ثم وكيلًا عامًا لوزارة العدل، له تصانيف عديدة منها: فقه النوازل، أجهزة الإنعاش وعلامة الوفاة، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات، براءة أهل السُّنَّة من الوقيعة في علماء الأُمَّة، كانت وفاته عام ١٤٢٩هـ. ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ص١٥.

(٣) السبحة تاريخها وحكمها، ص١٠١.

شبهة من اتخذ السُّبحة شعارًا والرَّد عليه:

قال البناني[(١)]: "إنَّ العقد بالأنامل إنما يتيسر في الأذكار القليلة من (المائة) فَدُوْن، أمَّا أهل الأوراد الكثيرة، والأذكار المتصلة، فلو عدَّوا بأصابعهم لدخلهم الغلط، واستولى عليهم الشغل بالأصابع، وهذه حكمة اتخاذ السُبْحة"[(٢)].

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "ليس في الشرع المطهَّر أكثر من المائة في عدد الذكر المقيَّد بحال أو زمان أو مكان، وما سوى المقيَّد فهو من الذكر المطلق، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[(٣)]، وتوظيف الإنسان على نفسه ذكرًا مقيَّدًا بعددٍ لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ هو زيادة على المشروع، ونفس المؤمن لا تشبع من الخير، وكثرة الدعاء والذكر، وهذا الأمر المطلق من فضل الله على عباده في حدود ما شرعه الله من الأدعية والأذكار المطلقة، بلا عددٍ معيَّن، كلٌّ حسب طاقته ووُسعِه، وفَرَاغه، وهذا من تيسير الله على عباده، ورحمته بهم.

وانظر لَمَّا ألزم الطرقية أنفسهم بأعدادٍ لا دليل على تحديدها؛ وَلَّدَ لَهُمْ هذا الإحداث بِدَعًا من اتخاذ السُّبَح، وإلزام أنفسهم بها، واتخاذها شعارًا وتعليقها في الأعناق، واعتقادات متنوعة فيها رغبًا، ورهبًا، والغلو في اتخاذها، حتى ناءت بحملها الأبدان، فَعُلِّقَتْ بالسُّقوف والجدران، وَوُقِّفَت الوقوف على العَادِّين بها، وانْقَسَمَ

---

(١) هو: أبو بكر، بن محمد بن عبد الله البناني الفاسي الرباطي، متصوف، مولده ووفاته في رباط الفتح، أصله من فاس، له في التصوف أكثر من ستين كتابًا، منها: رسائله المسماة مدارج السلوك إلى ملك الملوك، الغيث المسجم في شرح الحكم العطائية، بلوغ الأمنية في شرح حديث «إنما الأعمال بالنية»، توفي عام ١١٦٣هـ. ينظر: الأعلام ٢/٧٠.

(٢) منحة أهل الفتوحات والأذواق، ص٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٤١.

المتعبِّدون في اتخاذها: نوعًا وكيفيةً، وزمانًا ومكانًا، وعددًا، ثم تطورت إلى آلةٍ حديدية مصنَّعة، إلى آخر ما هنالك مما يأباه الله ورسوله والمؤمنون، فعلى كل عبدٍ ناصحٍ لنفسه أن يتجرَّد من الإِحداث في الدين، وأن يقصر نفسه على التأسِّي بخاتم الأنبياء والمرسلين، وصحابته رضي الله عنهم"[1].

٤- صلاة التسابيح

أ- كيفيتها عند ابن عجيبة

قال: "أربع ركعات تقرأ فيها الفاتحة والكافرون والعصر (....)[2] والإخلاص، وبعد ذلك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمسة عشر مرة، وفي القيام وفي الركوع والاعتدال والسجود، والجلوس بينهما، والاستراحة بينهما والتشهد وبعدها قبل السلام يدعو ..."[3].

ب- ما يستند عليه في مشروعيتها

ومستند المجيزين لها ما رواه أهل السُّنن عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال للعبَّاس بن عبد المطلب: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ أَلاَ أُعْطِيكَ أَلاَ أَمْنَحُكَ أَلاَ أَحْبُوكَ أَلاَ أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ سِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ عَشْرَ خِصَالٍ، أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ

---

(١) ينظر: السبحة تاريخها وحكمها، ص١٠٤.

(٢) لم يتضح لي من المخطوط.

(٣) مخطوط الأنوار السنية والأذكار النبوية ل/٦.

عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِى سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ففي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ففي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ففي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ففي عُمُرِكَ مَرَّةً»[(١)].

وهذه الصلاة التي تعرف عند أهل العلم بصلاة التسابيح قد اختلف فيها أهل العلم: فمنهم من ينكرها ولا يرى مشروعيتها كالإمام أحمد[(٢)]، ومنهم من يقول بمشروعيتها كالحنفيَّة والشافعيَّة، وسبب ذلك اختلافهم في صحة الحديث الوارد فيها، فمنهم من صحَّحه، ومنهم من حسَّنه، ومنهم من ضعَّفه، ومنهم من جعله في الموضوعات كابن الجوزي فقد عدَّه من الأحاديث الموضوعة التي لا تثبت وذكر له ثمان طرق كلها حكم عليها بعدم الثبوت[(٣)].

والذي رجَّحه بعض أهل العلم عدم مشروعيتها وأنَّ الحديث الوارد فيها ضعيفٌ ولا يصحُّ، قال العقيلي: "ليس في صلاةِ التسبيح حديثٌ يثبت"[(٤)].

---

(١) أخرجه أبوداود، باب صلاة التسابيح ١/٤٩٩، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة، باب صلاة التسابيح رقم ١٣٨٦-١٣٨٧ والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة التسابيح ٢/٣٤٨، رقم ٤٨١، وقال: هذا حديثٌ غريب، وقد روي عن النبي ﷺ غير حديث في صلاة التسبيح، ولا يصح منها شيء، وأخرجه البيهقي من حديث أبي رافع (٣/٥٢)، وقال الألباني: إنَّ الحديث ثابت في جميع طرقه ولا ينزل عن مرتبة الحسن، وهو عندي صحيح بمجموع طرقه. ينظر: صحيح الجامع الصغير ٢/١٣١٤.

(٢) ينظر: المغني ٢/٩٨.

(٣) ينظر: الموضوعات ٢/١٤٤.

(٤) الضعفاء الكبير ١/١٢٤.

=

"وقال أبو بكر بن العربي[1]: ليس فيها حديثٌ صحيحٌ ولا حَسَن"[2].

وضعَّف هذه الصلاة الحافظ أبو الحجَّاج المزِّي[3].

وضعَّفه الهيثمي[4] في مجمع الزوائد[5].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "كلُّ صلاةٍ فيها الأمر بتقدير عدد الآيات أو السُّور أو التسبيح، فهي كذبٌ باتفاق أهلِ المعرفة بالحديث، إلا صلاة التسبيح فإنَّ فيها قولين لهم، وأظهر القولين أنها كذب، وإن كان قد اعتقد صدقها طائفة من أهل العلم، ولهذا لم يأخذها أحدٌ من أئمة المسلمين، بل أحمد بن حنبل وأئمة أصحابه كرهوها وطعنوا في حديثها، وأمَّا مالك وأبو حنيفة والشافعي وغيرهم فلم يسمعوها بالكليَّة،

=

والعقيلي هو: أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، سمع جدَّه لأمه يزيد بن محمد بن العقيلي ومحمد بن إسماعيل الصائغ وأبا يحيى بن أبي مسرة، وعلي بن عبد العزيز البغوي، ومحمد بن خزيمة، وكان مقيمًا بالحرمين، وحدَّث عنه أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي، ويوسف بن الدخيل المصري وأبو بكر بن المقرئ، له تصانيف منها: الضعفاء الكبير، كتاب الصحابة، كانت وفاته عام ٣٢٢هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٨٣٣/٣.

(١) هو: أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي المالكي، القاضي، له تصانيف منها: العواصم من القواصم، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، أحكام القرآن، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، توفي عام ٥٤٣. ينظر: تذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤، ١٠٨١، شذرات الذهب ١٤١/٤.

(٢) عارضة الأحوذي ٢٢٦/٢-٢٢٧.

(٣) ينظر: التلخيص الحبير ٧/٢.

والمزِّي هو: أبو الحجاج، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزِّي، من أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، كان محمود السيرة، من تلامذته الحافظ ابن كثير وهو زوج ابنته، توفي عام ٧٤٢هـ. ينظر: البداية والنهاية ١٩١/١٤.

(٤) هو: أبو الحسن، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، نور الدين، المصري القاهري، ولد عام ٧٣٥هـ، له كتب وتخاريج في الحديث، منها: مجمع الزوائد ومنبع والفوائد، ترتيب الثقات، لابن حبان، وتقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية، كانت وفاته عام ٨٠٧هـ.. ينظر: الأعلام ٢٦٦/٤.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢٨٤/٢-٢٨٥.

ومن يستحبها من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما فإنما هو اختيارٌ منهم، لا نقلٌ عن الأئمة"[١].

وقال في موضع آخر: "وأجود ما يروى من هذه الصلوات حديث صلاة التسبيح، وقد رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣]، ومع هذا فلم يَقُل به أحدٌ من الأئمة الأربعة، بل أحمد ضعَّف الحديث ولم يستحب هذه الصلوات، وأمَّا ابن المبارك[٤] فالمنقول عنه ليس مثل الصلاة المرفوعة إلى النبيﷺ فإنَّ الصلاة المرفوعة إلى النبيﷺ ليس فيها قعدة طويلة بعد السَّجدة الثانية، وهذا يخالف الأصول فلا يجوز أن تثبت بمثل هذا الحديث، ومن تدبَّر الأصول علم أنه موضوع"[٥].

---

(١) منهاج السُّنَّة ٤٣٤/٧، وضعَّف إسنادها ابن حجر من جميع الطرق، ينظر: التلخيص الحبير ٧/٢-٨.

(٢) هو: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران السجستاني الأزدي، الإمام الجليل صاحب السنن، من سجستان الإقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند، ولد سنة ٢٠٢هـ، سمع من سعدويه وعاصم بن علي والقعنبي وسليمان بن حرب، وروى عنه الترمذي والنسائي وابنه أبو بكر بن أبي داود وأبو علي اللؤلؤي وأبو بكر بن داسة وأبو سعيد بن الأعرابي، وله مصنفات منها: كتاب السنن، توفي أبو داود في سادس عشر شوال سنة ٢٧٥هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٩٣/٢.

(٣) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي الترمذي، كان أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث، مبرّزًا على الأقران، آية في الحفظ والإتقان، تلميذ البخاري، ولد في قرية بوغ سنة ٢٠٩هـ، وسمع من: قتيبة بن سعيد، وأبي مصعب، وإبراهيم بن عبد الله الهروي، وإسماعيل بن موسى السدي، وسويد بن نصر، توفي سنة ٢٧٩هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ١٥٤/٢، شذرات الذهب ٣٢٧/٣.

(٤) هو: عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، فقيه خراسان، ثقة ثبت، جمع الحديث، والفقه، والعربية وأيَّام الناس، ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي في رمضان سنة ١٨١هـ، وله ثلاث وستون سنة. ينظر: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٧٣٩/٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢٨١/١.

(٥) مجموع الفتاوى ٥٧٩/١١.

ونقل المباركفوري[(١)] كلام المنذري[(٢)] في المسألة "قال الحافظ المنذري في الترغيب بعد ذكر حديث عكرمة عن ابن عباس المذكور: وقد روي هذا الحديث من طُرُقٍ كثيرة وعن جماعة من الصحابة وأمثلها حديث عكرمة هذا وقد صححه جماعة منهم الحافظ أبو بكر الآجري ... وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي[(٣)]، وقال أبو بكر بن أبي داود[(٤)] سمعت أبي يقول: ليس في صلاة التسبيح حديثٌ صحيحٌ غير هذا"[(٥)].

وأمَّا ذكره المنذري في تصحيحه لهذا الحديث فقد تعقَّبه الحافظ ابن حجر

---

(١) هو أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ولد ببلدة مبارك بور سنة ١٢٨٣هـ، واشتغل بالتدريس في المدرسة الأحمدية ببلدة آره، فدرَّس وأفاد زمانًا، ثم انتقل إلى مدرسة دار القرآن والسُّنَّة في كلكته، فدرَّس بها مدة، ثم اعتزل التدريس وانقطع للتأليف، وأقام عند العلامة الشيخ شمس الحق العظيم آبادي ثلاث سنين، وأعانه في تكميل عون المعبود، ثم عاد إلى وطنه مباركفور ولزم بيته عاكفًا على التصنيف والتأليف، توفي سنة ١٣٥٣هـ. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي فخر الدين الطالبي ١٢٧٢/٨.

(٢) هو أبو محمد، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، زكي الدين المنذري، عالم بالحديث، والعربية، من الحفَّاظ المؤرخين، ولد سنة ٥٨١هـ بمصر، وقرأ القرآن على الأرتاحي، سمع من أبي عبد الله الأرتاحي، وعبد المجيد بن زهير، ومحمد بن سعيد المأموني، وروى عنه: الدمياطي، والشريف عز الدين، والشيخ محمد الفزاز، له تصانيف عديدة منها: الترغيب والترهيب، التكملة، شرح التنبيه، توفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ٢٠٢/٦.

(٣) هو أبو الحسن، علي بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة، الشيخ المقرئ المسند العابد المقدسي الصالحي، قيِّم جامع الجبل، ولد سنة ٦١٧هـ، وسمع من البهاء عبد الرحمن، وابن الزبيدي، وابن غسان، وجعفر الهمداني وارتحل لسماع الحديث فسمع ببغداد من الكاشغري، وجماعة، ونسخ الأجزاء بخط ضعيف، وصحب الشيخ الفقيه ببعلبك مدة حصلت له الشهادة بأيدي التتار سنة ٦٩٩هـ. ينظر: المعجم المختص بالمحدثين ١٥٧/١.

(٤) هو أبو بكر، عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني، من كبار حفَّاظ الحديث له تصانيف، كان إمام أهل العراق، وعمي في آخر عمره، ولد بسجستان، ورحل مع أبيه رحلةً طويلة، وشاركه في شيوخه بمصر والشام وغيرهما، واستقرَّ وتوفي ببغداد سنة ٣١٦هـ. ينظر: تذكرة الحُفَّاظ ٢٩٨/٢، تاريخ بغداد ٤٦٤/٩.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٥٩٨/٢.

بقوله: "والحق أنَّ طرقه كلَّها ضعيفة، وإن كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن؛ إلا أنَّه شاذٌّ؛ لشدة الفردية فيه، وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر، ومخالفة هيئتها لهيئة باقي الصلوات ..."[١].

عاشرًا: الشرك في الألوهية

* تعريف الشرك لغةً:

يعود إلى المخالطة والمقارنة، "قال الخليل: الشِّرْكُ: ظُلْمٌ عظيمٌ، والشِّرْكةُ: مخالطةُ الشَّريكين، واشتركا بمعنى تشاركا، وجمع شريك: شركاء وأشراك ..."[٢].

وقال ابن فارس: "الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما: يدلُّ على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدلُّ على امتدادٍ واستقامة.

فالأول: الشَّركة، وهو أن يكون الشيءُ بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشَّيء: إذا صرتُ شريكه، وأشركت فلانًا: إذا جعلته شريكًا لك، قال الله -جلَّ ثناؤه- في قِصَّة موسى: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾[٣]، ويقال في الدُّعاء: اللهم أشركنا في دعاءِ المؤمنين، أي: اجعلنا لهم شركاء في ذلك، وشركت الرَّجُلَ في الأمر أشركه.

وأما الأصل الآخر: فالشرك: لقم الطريق، وهو شراكه أيضًا، وشراك النعل مشبَّهٌ بهذا، ومنه شرك الصائد، سمي بذلك لامتداده"[٤].

---

(١) التلخيص الحبير ٢/٧.

(٢) العين ٥/٢٣٩-٢٩٤.

(٣) سورة طه: ٣٢.

(٤) مقاييس اللغة ٣/٢٦٥.

* **تعريفه في الاصطلاح:**

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "فهو أن يَجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله عَزَّوَجَلَّ أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحبِّ الله عَزَّوَجَلَّ، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة"[1].

وقال ابن تيمية: "ومن سوَّى بينه وبين غيره في أمرٍ من الأمور فهو مشرك ... قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[2].

قال السَّعدي: "أي: يعدلون به سواه، يسووهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيءٍ من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كلِّ وجه"[3].

* **المخالفات العقدية عند ابن عجيبة في هذا المقام:**

١- **الاعتقاد في الأولياء أنَّهم يقدِّمون الضر والنفع**، فيذهبون إلى قبورهم ويتمسَّحون بها ويدعون عندها.

قال ابن عجيبة: لله در صاحب العينية[4]:

وشَمِّرْ ولُذْ بالأولياءِ فإنَّهم ... لهم من كتابِ الحقِّ تلك الوقائعُ
همُ الذُّخرُ للملهوفِ والكنز والرَّجا ... ومنهم ينال الحبَّ ما هو طامعُ

---

(١) القول السديد، ص٣١.

(٢) سورة الأنعام: ١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٢٥٠.

(٤) عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، صوفيٌّ فارسيٌّ من أهل جيلان، من مؤلفاته: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، المناظر الإلهية، كانت وفاته سنة ٨٢٦هـ. ينظر: الموسوعة الصوفية، ص٣٤٠.

هم القصدُ والمطلوبُ والسُّؤل والمنى وأُنسهمُ للصَّبِّ في الحبِّ شافعُ
همُ النَّاسُ فالزمْ إن عرفتَ جنابَهم ففيهم لضرِّ العالمين منافعُ[(١)]

ويقول أيضًا:

حُكي عن وليٍّ أنه قصد أذيته بعضُ الحكَّام، ففرَّ إلى الغزالي، فجلس عند ضريحه مشتكيًا بلسان الحال، فمدَّ له من القبر بعود الريحان مكتوبًا فيه بمداد لم يجف مداده:

إذا ما أتاك الدهرُ يومًا بنكبةٍ فأفرغْ له صبرًا ووسِّع له صدرَا
فإنَّ تصاريف الزمانِ عجيبةٌ فيومًا ترى عسرًا ويومًا ترى يسرَا[(٢)]

٢- تعظيم الشيوخ ورفعهم فوق منزلتهم

قال ابن عجيبة في تفسير قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[(٣)]: "ما زال الفقراء يعظِّمون أشياخهم، ويبالغون في ذلك حتى يقبِّلون أرجلهم والتراب بين أيديهم، ويجتهدون في خدمتهم، فإذا رآهم الأشياخ فعلوا ذلك سكتوا عنهم ... لكنَّهم يرشدونهم إلى الحضرة، حتى يفنون عن شهود الواسطة، فيكون تعظيمهم وحطّ رأسهم إنما هو لله لا لغيره ... وكان شيخنا يقول: لا تزوروني على أنِّي شيخكم، ولكن اعرفوا فينا، وافنوا عن رؤية حسِّنا، حتى يكون التعظيم إنما هو لله ربنا"[(٤)].

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٥.

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف، للأبشيهي ٣١٥/١، إيقاظ الهمم، ص٣٨٧.

(٣) سورة آل عمران: ٧٩.

(٤) البحر المديد ٣٧٤/١.

ولقد ضرب ابن عجيبة مثالًا في الغلو الممدوح في الشيخ حسب ما زعم، فقال:

"ينبغي للمريد الذي تحقَّق بخصوصية شيخه أن يلاعن من يخاصمه فيه، ويبعد عنه كل البعد، ولا يهين له لئلا يركبه، ويدفع عن شيخه ما استطاع، فإنَّ هذا من التعظيم الذي هو سبب في سعادة المريد، ولا يصغي إلى المفسدين الطاعنين في أنصار الدين، قلتُ: وقد جاءني بعض من ينتسب إلى العلم من أهل فاس، فقال لي: قد اتفقت علماء فاس على بدعة شيخكم، فقلتُ له: لو اتفق أهل السَّموات السَّبع والأرضين السَّبع على أنَّه من أهل البدعة لقلتُ أنا: إنَّه من أهل السُّنَّة؛ لأنِّي تحقَّقت بخصوصيته كالشَّمس في أفق السَّماء ليس دونها سحاب"[(١)].

ورغم أنَّ ابن عجيبة عُرف بكونه حافظًا لكتاب لله عَزَّوَجَلَّ بالقراءات العشر إلا أنَّه لم يُوفَّق لما دلَّت عليه النصوص وفق فهم سلف الأُمَّة، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[(٤)].

---

(١) البحر المديد ١/٣٧٧.

(٢) سورة النمل: ٦٠.

(٣) سورة فاطر: ١٣.

(٤) سورة فاطر: ١٤.

وتأمَّل ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ فإنَّه عامٌّ يدخل فيه كلُّ من اعتقد في الأوثان والأصنام والأولياء، فهم لا يملكون شيئًا، لا قليلًا ولا كثيرًا، حتى القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُدْعَوْنَ وهم غير مالكين لشيءٍ من ملك السَّماوات والأرض، ومع هذا لا يسمعوكم؛ لأنَّهم ما بين جمادٍ وأمواتٍ وملائكةٍ مشغولين بطاعة ربهم، وعلى فرض أنهم سمعوا لن يستجيبوا، بل يتبرؤون منكم يوم القيامة[1].

فكيف يُدعى ميتٌ لا حراك فيه ولا حس، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال السَّعدي: "يخبر تعالى أنَّه المتفرِّد بالتصرُّف بالعباد، في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم"[3].

وقال ابن القيم: "ومن المحال أن يكون دعاء الموتى، أو الدعاء بهم، أو الدعاء عندهم، مشروعًا وعملًا صالحًا، ويُصرف عنه القرون الثلاثة المفضَّلة بنصِّ رسول الله ﷺ، ثم يُرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فهذه سُنَّة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعًا وعشرين سنة، ... هل يمكن بشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح، أو حسن، أو ضعيف، أو منقطع: أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسَّحوا بها، فضلًا أن

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٦٨٦.

(٢) سورة الزمر: ٤٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان ١/٧٢٥.

يصلُّوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم، فليوقفوا على أثرٍ واحدٍ أو حرفٍ واحدٍ من ذلك، بلى، يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثيرٍ من ذلك، وكلَّما تأخَّر الزَّمانُ وطال العهدُ كان ذلك أكثر، حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرفٌ واحدٌ من ذلك، بلى فيها من خلاف ذلك كثير"[١].

ومعلوم بنصوص الوحي أنَّ الإنسان إذا مات انقطع عمله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة: إلَّا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[٢].

ومن اعتقد في الأولياء بأنَّهم يتصرفون في الكون، أو ينفعون أو يضرُّون فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا، وعليه التوبة قبل الموت، وإلا مات على الشِّرك الأكبر والعياذ بالله.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم، وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ١/٢٠٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من ثواب ٣/١٢٥٥، رقم ١٦٣١.

(٣) سورة الشورى: ٢١.

... وعملهم هذا من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولًا ولا أنزل به كتابًا، وليس هو واجبًا ولا مستحبًّا باتفاق المسلمين، ولا فعله أحدٌ من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمامٌ من أئمَّة المسلمين وإن كان ذلك مما يفعله كثيرٌ من الناس ممَّن له عبادة وزهد ويذكرون فيه حكايات ومنامات، فهذا كلُّه من الشَّيطان، وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت والاستشفاع به والاستغاثة أو يذكر ذلك في ضمن مديح الأنبياء والصالحين، فهذا كلُّه ليس بمشروع ولا واجب ولا مستحب باتفاق أئمَّة المسلمين، ومن تعبَّد بعبادةٍ ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبةً أو مستحبةً فهو ضالٌّ مبتدعٌ بدعةً سيئةً لا بدعةً حسنةً باتفاق أئمة الدين، فإنَّ الله لا يُعبد إلا بما هو واجبٌ أو مستحب، وكثير من الناس يذكرون في هذه الأنواع من الشرك منافع ومصالح ويحتجون عليها بحججٍ من جهة الرأي أو الذوق، أو من جهة التقليد والمنامات ونحو ذلك، ... ولا ريب أنَّ الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثانًا هو أول الشرك، ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلَّمه وعانقه، وهذا يُرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطانٌ فإنَّ الشيطان يتصوَّر بصور الإنس ويدعي أحدهم أنَّه النبي فلان أو الشيخ فلان ويكون كاذبًا في ذلك، وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي كثيرة جدًّا، والجاهل يظنُّ أنَّ ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلَّمه هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهما والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان"[١].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٥٩.

وقال أيضًا: "ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصوَّر لهم في صور الآدميين فيروهم بأعينهم ويقول أحدهم: أنا إبراهيم أنا المسيح أنا محمَّد أنا الخضر أنا أبو بكر أنا عمر أنا عثمان أنا عليٌّ أنا الشيخ فلان، وقد يقول بعضهم عن بعض: هذا هو النبي فلان أو هذا هو الخضر ويكون أولئك كلهم جنًّا يشهد بعضهم لبعض، والجن كالإنس فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العاصي وفيهم العابد الجاهل فمنهم من يحب شيخًا فيتزيَّا في صورته ويقول: أنا فلان، ويكون ذلك في بريَّة ومكان قفر فيطعم ذلك الشخص طعامًا ويسقيه شرابًا أو يدلُّه على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة فيظن ذلك الرَّجُلُ أنَّ نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك وقد يقول: هذا سرُّ الشيخ وهذه رقيقته وهذه حقيقته أو هذا ملك جاء على صورته، وإنما يكون ذلك جنيًّا؛ فإنَّ الملائكة لا تعين على الشِّرك والإفك والإثم والعدوان"[1].

قال ابن القيم: "ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته: ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبد أربابها من دون الله، وعُبدت قبورهم، واتخذت أوثانًا، وبُنيت عليها الهياكل، وصُوِّرت صور أربابها فيها، ثم جُعلت تلك الصور أجسادًا لها ظل، ثم جُعلت أصنامًا، وعُبدت مع الله تعالى، وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح، كما أخبر الله ﷻ عنهم في كتابه، حيث يقول: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾[2]، ... وغرَّهم الشيطان، فقال: بل هذا تعظيمٌ لقبور المشايخ والصالحين، وكُلَّما كنتم أشدَّ لها تعظيمًا، وأشدَّ فيهم غلوًّا، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد.

(١) مجموع الفتاوى ١/١٥٧-١٥٨.

(٢) سورة نوح: ٢١.

ولعمر الله، من هذا الباب بعينه دخل على عبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ومنه دخل على عُبَّاد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة.

فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم التي أنزلهم الله إيَّاها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم.

فأمَّا المشركون فعصوا أمرهم، وتنقصوهم في صورة التعظيم لهم، وكل من شمَّ أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أنَّ من أهمِّ الأمور سد الذريعة إلى هذا المحظور، وأنَّ صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه لما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأنَّ الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته، ورأيت لأبي الوفاء بن عقيل في ذلك فصلًا حسنًا، فذكرته بلفظه، قال: "لما صعبت التكاليف على الجُهَّال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم عندي كُفَّارٌ بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها، بما نهى عنه الشرع، من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها، يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبرُّكًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشدّ الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداءً بمن عبد اللات والعُزَّى ... ومن جمع بين سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا"[1].

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ١/١٩٥.

وتعظيم ابن عجيبة للشيخ ورفعه فوق منزلته والإلزام بطاعته بحجة أهم علماء لا يُسلَّم له.

قال البربهاري: "العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، وإنما العالم من اتبع العلم والسُّنن وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسُّنَّة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب"(١).

ويقول أيضًا: "لم تجئ بدعةٌ قط إلا من الرعاع أتباع كل ناعق ... فمن كان هكذا فلا دين له ... وهم علماء السُّوء وأصحاب البدع"(٢).

وكل من عمل عملًا أو تكلَّم بكلامٍ لا يوافق كتاب الله ولا سُنَّة رسوله ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشدين وقول صحابته ﵃ فهو بدعة، وهو ضلالة، وهو مردودٌ على قائله أو فاعله(٣).

ولو اعتصم الصوفية ومن تبعهم بالكتاب والسُّنَّة وفهموهما وفق فهم سلف الأُمَّة لما وصلوا إلى هذه المخالفات العقدية، فعجبًا لأفعالهم!! ينهاهم النبي ﷺ عن الصَّلاة إلى القبور فهم يُصَلُّون عندها، ويدعون الأموات من دون الله، بل وصل بعض من طمس الله على بصيرته أن ألَّف مؤلفًا(٤) يحثُّ على زيارة المشاهد وتعظيمها ويهتفون باسمها عند الشدائد.

"وقد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر

---

(١) شرح السُّنَّة، ص١٠٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠١.

(٣) ينظر: كتاب الأربعين حديثًا، للآجري، ص٩٧.

(٤) قال ابن تيمية ؒ: صنَّف ابن النعمان المعروف بالمفيد (رافضي) شيخ الموسوي والطوسي كتابًا سماه (مناسك المشاهد) جعل قبور المخلوقين تُحج كما تُحج الكعبة البيت الحرام، منهاج السُّنَّة النبوية ٤٧٦/١.

المشاهد، ولا شرع لأُمَّته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[1]"،[2].

وفعلهم هذا كفعل قوم نوح عليه السلام.

قال الصنعاني في داليته:

وكم هتفوا عندَ الشدائدِ باسمِها   كما يهتفُ المضطرُّ بالصَّمَدِ الفردِ
وكم عقروا في سوحها من عقيرةٍ   أُهلَّت لغير الله جهرًا على عَمْدِ
وكم طائفٍ حولَ القبورِ مُقَبِّلٍ   ومستلمِ الأركانِ منهنَّ بالأيدِي[3]

٣- التوجه إلى الرَّسُول ﷺ بالدُّعاء والتوسُّل والاستغاثة

كثرت أشعار المتصوفة التي يقررون بها التوجه بالدعاء والتوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ.

قال البوصيري[4]:

يا أكرمَ الخلقِ مالي من ألوذُ بِهِ   سواك عند حلولِ الحادثِ العممِ[5]

شرحه ابن عجيبة بقوله: لاذ به لوذًا ولياذًا: التجأ إليه، والحلول: النزول،

---

(١) سورة نوح: ٢٣.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية ٤٧٦/١.

(٣) ديوان الصنعاني، ص١٩.

(٤) هو: محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، من شعراء الصوفية، من قصائده: الكواكب الدرية في مدح خير البرية، المشهورة بمسمَّى (البردة)، توفي سنة ٦٩٤هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ٢٠٥/٢، الأعلام ١٣٩/٦، معجم المؤلفين ٢٨/١.

(٥) البردة، ص٢٠٧.

والحادثُ: ضد القديم، والعممِ: العام، والمراد هنا الموت الذي يعمُّ جميع الخلق وما بعده من أهوال الموقف والصراط والميزان وغير ذلك من الأهوال ... ثم نادى[1] مسؤوله المهم من حاجته بعد تقدُّم الوسيلة التصريح بالكرم المشعر ببراعة الاستهلال على قضاء حاجته، ومضمون هذا الكلام مؤذن بحصول الثواب"[2].

وأقرَّ الاستغاثة به في شرحه لهذا البيت:

ومن هو الآية الكبرى لمعتبرٍ ... ومن هو النعمةُ العظمى لمغتنمِ

"الشرح: يقول ﵀[3] متمِّمًا للاستغاثة به واصفًا له بوصفين عظيمين عطفهما على ما قبله، أي: يا مَن قصده الطالبون فسعدوا بما طلبوا، ..."[4].

وفي قوله:

يا خيرَ مَنْ يمَّمَ العافون ساحَتَهُ ... سعيًا وفوق متون الأَيْنُقِ الرُّسُمِ[5]

٤- التوجه إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة بهم

يقول ابن عجيبة: "فإن تعذَّر عليه[6] الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرضٌ

---

(١) يقصد البوصيري.

(٢) شرح البردة، ص٣١٠.

(٣) يقصد صاحب البردة البوصيري.

(٤) المرجع السابق، ص٢٤٠، وسيأتي في مبحث خاص عن عقيدته في الرسول ﷺ.

(٥) شرح البردة له، ص٢٣٨.

وقد شرح ابن عجيبة هذا البيت شرحًا لغويًا فقال: يمَّم تيمُّمًا: قصد، والعافون: الطالبون، والاستعفاء: طلب العفو، والمتين: القوي، والأينُق: جمع ناقة، والرُّسُم: جمع رسوم وهي الناقة الشديدة التي تؤثر في الأرض لشدة وطئها، وقد طوَّع البيت لما يعتقده في تصوفه، ولا غرو في ذلك، فلقد سبق أن شرح الآجرومية شرحًا صوفيًا.

(٦) يقصد المريد.

أو أمرٌ فليشخص بين عينيه بصفته وهيئته، ويشكو له، فإنَّه يبرأ بإذن الله، وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه"(١).

والدعاء والاستغاثة من جملة أنواع العبادة التي لا يصلح منها شيءٌ إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن صرف منها شيئًا لغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو عابدٌ لغير الله، سواءً سمَّى دعاءه توكُّلًا أو تبرُّكًا وما إلى ذلك، فإنَّ هذه التسمية لا تغيِّر شيئًا ولو يسيرًا من حقيقة ما ذهب إليه ذلك الداعي، ولا لذة للعبد إلا أن يكون الله سبحانه هو إلهه ومستغاثه، الذي إليه مفزعه عند الشدائد وإليه مرجعه في عامَّة المطالب والمقاصد.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾(٢).

قال الطبري: "يعني أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة"(٣).

ومن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ ثم يستغيث بغير الله عَزَّوَجَلَّ فهذا شركٌ أكبر، ولا ينفعه هذا التوحيد مع هذه الاستغاثة.

والاستغاثة التي أرشدنا إليها النبي ﷺ ليعلم الأُمَّة هي تجريد التوحيد، قال الألوسي(٤): "فإذا قيل: تجوز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم على أنهم وسائط ووسائل بين الله وبين عباده وأنَّ الله يفعل لأجلهم، انهدمت القاعدة

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٣٩.

(٢) سورة الجن: ٢٣.

(٣) جامع البيان ٢٣/٦٦٥.

(٤) هو أبو المعالي، محمود شكري جمال الدين بن عبد الله بهاء الدين بن محمود شهاب الدين الألوسي، ونسبته تعود إلى قرية (ألوس) وهي قرية صغيرة على نهر الفرات، ولد في بغداد سنة ١٢٧٣هـ، وتوفي سنة ١٣٤٢هـ، له مؤلفات منها: صبُّ العذاب على من سبَّ الأصحاب، رسالة في التوحيد والتثليث، ومن شيوخه: إسماعيل بن مصطفى الموصلي، عبد السلام بن محمد النجدي، الشهير بالشواف. ينظر: الأعلام ٧/١٧٢-١٧٣.

الإيمانية، وانتقضت الأصول التوحيدية، وفتح باب الشرك الأعظم، وعادت الرغباب والرهبات، والمقاصد والتوجيهات إلى سُكَّان القبور والأموات، ومن دعا مع الله من سائر المخلوقات، وهذه هي الغاية الشركية، والعبادة الوثنية، فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى ... وعلى القول بجعل الوسائط والشفعاء بين العباد وبين الله تقلع أصول هذا الأصل العظيم، الذي هو قطب رحى الإيمان، وينهدم أساسه الذي ركب عليه البنيان، فأيُّ فرحٍ وأيُّ نعيمٍ وأيُّ فاقةٍ سُدَّت، وأيُّ ضرورةٍ دُفعت، وأيُّ سعادةٍ حصلت، وأيُّ أنسٍ واطمئنانٍ إذا كان التوجُّه والدعاء والاستغاثة والذَّبح والنَّذر لغير الملك الحنَّان المنَّان"[(١)].

ومن عرف الشرك حق المعرفة يعلم أنَّ من قال: تجوز الاستغاثة والتوسُّل بالأنبياء والصالحين والنذر لهم والحلف وما أشبهه من التعظيم له نصيب وافر من الكذب على الله وعلى رسوله، ومن الصَّد عن سبيل الله وابتغاء العوج، والله المستعان[(٢)].

أمَّا الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، فيجوز ذلك، ومثاله: أن يستغيث إنسانٌ مكروب بإنسانٍ قادر، والدليل عليه قول الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[(٣)].

فهذا استغاثةٌ بقادر، فهي صحيحة.

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني ٣٤٨/١.

(٢) المرجع نفسه ٣٥٩/١.

(٣) سورة القصص: ١٥.

أمَّا إذا استغيث بمخلوقٍ في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ فهذا شركٌ أكبر، وقد أتت النصوص بالوعيد لمن فعل هذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[1].

ولقد نهى النبي ﷺ من الغلو في تعظيمه، ومدحه، قال ﷺ: «لا تُطروني[2] كما أطرت النصارى ابن مريم فإنَّما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»[3].

ولا شكَّ أنَّ البوصيري في البردة يوجه الدعاء واللياذ والعياذ إلى رسول الله ﷺ، وهذا شركٌ صريح.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[4]: "هذه الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار لغير الله فناقضوا الرَّسُول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة، وذلك أنَّ الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه، وهؤلاء المشركون هم المتنقِّصون الناقصون أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي وفرَّطوا في متابعته، فلم يعبأوا بأقواله وأفعاله ولا رضوا بحكمه ولا سلَّموا له، وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه واتباع سُنَّته، والدعوة إلى دينه

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢٧١/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ ١٦٧/٤، رقم ٣٤٤٥.

(٤) هو: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تفقَّه بنجد، ثم بمصر، نقله إليها إبراهيم باشا بعد استيلائه على الدرعية فيمن نقل من آل سعود وآل الشيخ، ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٤١هـ، وتولى قضاء الرياض، وتوفي فيها عام ١٢٨٥هـ. ينظر: مشاهير علماء نجد ٥٩/١.

الذي دعا إليه ونصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه.

فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علمًا وعملًا وارتكبوا ما نهى عنه ورسوله فالله المستعان"[1].

وكان رسول الله ﷺ يحذِّر من الغلو، قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والغلو فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو»[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: "هذا عامٌّ في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال"[3].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "فتأمَّل ما في هذه الأبيات من الشرك.

منها: أنَّه نفى أن يكون له ملاذًا إذا حلَّت به الحوادث إلا النبي ﷺ وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذٌ إلا هو.

الثاني: أنَّه دعاه وناداه بالتضرُّع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالب التي لا تُطْلَبُ إلا من الله، وذلك هو الشِّرك في الإلهية.

الثالث: سؤاله منه أن يشفع له في قوله:

ولن يضيقَ -رسولَ اللهِ- جاهُكَ بي ... إذا الكريمُ تجلَّى باسمِ منتقمِ

وهذا هو الذي أراده المشركون ممَّن عبدوه، وهو الجاه والشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك، وأيضًا فإنَّ الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله فلا معنى لطلبها من غيره، فإنَّ الله تعالى هو الذي يأذن للشافع أن يشفع لأنَّ الشافع يشفع ابتداء.

---

(١) فتح المجيد ١/٣٨١.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى ٥/٢٧٨، وسنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي ٢/١٠٠٨، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن النسائي ٢/٤٦٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٢٨.

الرابع: قوله: (فإنَّ لي ذمة) إلى آخره، كذبٌ على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ فليس بينه وبين من اسمه محمَّد ذمَّةٌ إلا بالطاعة، لا بمجرَّد الإشراك في الاسم مع الشرك.

فهذا تناقض عظيم وشرك ظاهر، فإنَّه طلب أوَّلًا أن لا يضيق به جاهه، ثم طلب هنا أن يأخذ بيده فضلًا وإحسانًا، وإلا فيا هلاكه! فيقال: كيف طلبت منه أوَّلًا الشفاعة ثم طلبت منه هنا أن يتفضَّل عليك؟! فإن كنت تقول: إنَّ الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله، فكيف تدعو النبي ﷺ وترجوه وتسأله الشفاعة؟! فهلَّا سألتها مَنْ له الشفاعة جميعًا الذي له ملك السموات والأرض الذي لا تكون الشفاعة إلا من بعد إذنه، فهذا يبطل عليك طلب الشفاعة من غير الله.

وإن قلت: ما أريد إلا جاهه، وشفاعته بإذن الله ﷻ قيل: فكيف سألته أن يتفضَّل عليك ويأخذ بيدك في يوم الدين، فهذا مضادٌّ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[1]، فكيف يجتمع في قلب عبد الإيمان بهذا وهذا؟! وإن قلت: سألته أن يأخذ بيدي، ويتفضَّل عليَّ بجاهه وشفاعته، قيل: عاد الأمر إلى طلب الشَّفاعة من غير الله، وذلك هو محضُ الشرك.

السادس: في هذه الأبيات من التبرّي من الخالق -تعالى وتقدَّس- والاعتماد على المخلوق في حوادث الدنيا والآخرة ما لا يخفى على مؤمن، فأين هذا من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ

(١) سورة الانفطار: ١٧-١٩.

(٢) سورة الفاتحة: ٥.

(٣) سورة التوبة: ١٢٩.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾(١)"(٢).

فكم ضيع على نفسه من عبادة من هتف وتغنَّى بالبردة، ولو رسخ التوحيد في قلبه لقويت علاقته بالله عَزَّوَجَلَّ وقطع العلائق من دونه، وتبرَّأ من كل معبود سوى الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾(٣).

وحذَّر الله عَزَّوَجَلَّ من مجاوزة الحد في الحق قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٤).

قال ابن كثير في تفسيره: "أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أُمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تخرجوه عن حيِّز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبيٌّ من الأنبياء، فجعلتموه إلهًا من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضلَّ قديمًا، ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال، إلى طريق الغواية والضلال"(٥).

---

(١) سورة الفرقان: ٥٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ١/١٨٢، وينظر: تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، ص٢٥، ٤٥، ٥٨-٥٩، القول المفيد على كتاب التوحيد، ١/٢١٨، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/٢٤١.

(٣) سورة الجن: ٢٣.

(٤) سورة المائدة: ٧٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٩.

الفصل الثاني:

آراؤه في الإيمان بالملائكة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: خلق الملائكة.

المبحث الثالث: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر.

المبحث الأول:

معنى الإيمان بالملائكة

أولًا: تعريف الملائكة لغةً

جمع مَلَك، وأصله مألك، ... وحذفت الهمزة؛ للتخفيف فأصبحت (مَلَك)، واختلف اللغويون في اشتقاقه، على قولين:

القول الأول: أنَّه جامدٌ غير مشتق.

القول الثاني: أنَّه مشتَّقٌّ من الألوكة وهي الرِّسالة[1].

قال الجوهري: "والـمَلَك من الملائكة واحدٌ وجمع، قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة، من الألوك وهى الرسالة، ثم قُلِبت وقُدِّمت اللَّام فقيل ملاك ... ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل مَلَك، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك أيضًا"[2].

وقال ابن عجيبة: "(والملائكة): جمعُ تكسير، يجوز في فعله التذكير والتأنيث، وهو أحسن، تقول: قام الرِّجال وقامت الرِّجال، فمن قرأ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[3]، فعلى تأويل الجماعة، ومن قرأ: ﴿فَنَادَىٰهُ﴾، أراد تنزيه الملائكة عن التأنيث، ردًّا على الكُفَّار"[4].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة ١/١٨٤.

(٢) الصحاح ٤/١٦١١.

(٣) سورة آل عمران: ٣٩.

(٤) البحر المديد ١/٣٤٩.

ثانيًا: تعريف الملائكة شرعًا

ذواتٌ أو أرواحٌ نورانيَّةٌ قادرةٌ على التشكُّل بإذن الله عَزَّوَجَلَّ[1].

أو يُقال: هم مخلوقاتٌ من نُور، قادرةٌ على التشكُّل بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، قائمون بعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتدبير شؤون الكون بأمره، لا يعلم عددهم إلا الله.

وعرَّفهم ابن حجر بأنهم: "أجسامٌ نورانيَّة، أُعطيت قدرةً على التشكُّل والظهور بأشكالٍ مختلفةٍ بإذن الله"[2].

وعرَّفهم ابن عجيبة بقوله: "هي أجسامٌ لطيفةٌ نورانيَّةٌ متحيِّزة، لها مادَّةٌ نورانيَّةٌ وتشكيلٌ مخصوص"[3].

وإطلاقُ لفظِ الجسم على الملائكة لم يأت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا سُنَّة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هو بدعة، ولم يذكره أحدٌ من سلف الأُمَّة، إضافة إلى أنَّه مخالفٌ لما ثبت في النصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾[4]، ويخالف وصفه تعالى لهم بالقوة، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾[5].

وقوله (لطيفة) يلزم منه نفي رؤية النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ معنى الشفافية في اللغة الرقَّة والقلَّة، من ذلك الشف: الستر الرقيق، يقولون: سُمِّي بذلك؛ لأنَّه

(١) ينظر: لوامع الأنوار ١/٤٤٦.

(٢) فتح الباري ٦/٤٥٠.

(٣) البحر المديد ٣/١٥١.

(٤) سورة مريم: ١٧.

(٥) سورة هود: ٨١.

يستشف ما وراءه[1].

قال ابن تيمية: "ما تواتر عن الأنبياء من وصف الملائكة هو مما يُوجب العلم اليقيني بوجودهم في الخارج"[2].

وقال ابن القيم: "ثم أخبر عن رؤيته لجبريل، وهذا يتضمَّن أنَّه ملكٌ موجودٌ في الخارج يُرى بالعيان ويدركه البصر، لا كما يقول المتفلسفة ومن قلَّدهم أنه العقل الفعَّال وأنه ليس مما يُدرك بالبصر، وحقيقته عندهم أنَّه خيالٌ موجودٌ في الأذهان لا في الأعيان، وهذا مما خالفوا به جميع الرُّسل وأتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل، ولهذا كان تقرير رؤية النبي لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تعالى فإن رؤيته لجبريل هي أصل الإيمان الذي لا يتم إلا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعًا"[3].

ثالثًا: رأيه في معنى الإيمان بالملائكة

يرى ابنُ عجيبة أنَّ الإيمان بالملائكة يعني: أنهم عباد الله مكرمون لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يؤمرون، ونفى أن يكونوا بنات الله عَزَّوَجَلَّ، وهم لا يتقدَّمونه بِالْقَوْلِ، ولا يتكلَّمون إلا بما يأمرهم به، وهذه صفةٌ أخرى لهم، منبِّهةٌ على كمال طاعتهم وانقيادهم لأمره تعالى، ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة، ولا يعلم عددهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وعاب على المشركين بأن صرفوا لهم جزءًا من العبادة، ويختار منهم رسلًا يرسلهم إلى خلقه، وهم معصومون عن المخالفة، وهم موصوفون بالقوة، كما وصف الله عَزَّوَجَلَّ جبريل بأنه ذو قدرة لما كُلِّف له لا يعجز عنه ولا يضعف[4].

---

(١) مقاييس اللغة ٣/١٦٩.

(٢) النبوات ١/١٩٥.

(٣) التبيان في أقسام القرآن ١٢٣.

(٤) ينظر: البحر المديد ١/٣١٨، ٣/٤٥٥، ٥/٢٣٨، ٣/٥٥٦، وينظر: الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية، له، ص٢٠٨، والبحر المديد ٧/٢٥٠.

لا شكَّ أنَّ الإيمان بالملائكة أحد الأصول الستة التي هي أركان الإيمان، ولا يصح إيمان العبد حتى يحقق الإيمان بالملائكة، والنعيم والفلاح والهدي متوقِّف على الإيمان بالملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾[1].

وما اعتقده ابن عجيبة في بيان معنى الإيمان بالملائكة وافق فيه أهل السُّنَّة والجماعة إجمالًا لكونه أطلق لفظ الجسم عليهم.

قال ابن كثير: "الملائكة عباد الله مكرمون في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولًا وفعلًا، ... لا يتقدَّمون بين يديه بأمرٍ ولا يخالفونه فيما أمرهم به، بل يبادرون إلى فعله، وهو تعالى علمه محيطٌ بهم فلا يخفى عليه منهم خافية"[2].

ووردت أحاديث بكثرتهم وأنه لا يعلمهم إلا الله، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها»[3].

وقال ابن تيمية: "الإنس والجن مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين، فإنهم يأكلون ويشربون، وينكحون وينسلون، ويتغذَّون وينمون بالأكل والشرب، وهذه الأمور مشتركة بينهم، وهم يتميزون بها عن الملائكة، فإنَّ الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تنسل"[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١٧٦/٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في شدة حرِّ جهنَّم وبعد قعرها، ٢١٨٤/٤، رقم ٢٨٤٢.

(٤) مجموع الفتاوى ١٩٢/١٦.

وقال سعيد بن المسيب[1]: "الملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون ولا يتوالدون"[2].

رابعًا: قدرتهم على التشكُّل، أو التمثُّل[3]

قال ابن عجيبة: "يتشكَّلون كيف شاءوا"[4].

أعطى الله عَزَّوَجَلَّ الملائكة قدرةً على التشكُّل، ودلَّت النصوص من الوحيين على ظهور الملائكة للأنبياء وغيرهم بصورةٍ بشر.

الأدلة من القرآن:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[5]، وهم الذين ذهبوا إلى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[6].

قال ابن كثير: "تبدَّى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحانًا واختبارًا حتى قامت على قوم لوطٍ الحُجَّة وأخذهم الله عَزَّوَجَلَّ أخذ عزيزٍ مقتدر"[7].

---

(١) هو: سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفي سنة ٩٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢٢٢.

(٢) فتح الباري ٦/٣٠٦.

(٣) ذكر في القرآن ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ سورة مريم: ١٤.

(٤) البحر المديد ٥/٥٠٩.

(٥) سورة الذاريات: ٢٤-٢٥.

(٦) سورة هود: ٧٧-٧٨.

(٧) البداية والنهاية ١/١٦٨.

الأدلة من السُّنَّة:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب شديدُ سواد الشَّعر لا يُرى عليه أثرُ السَّفر ولا يعرفه منَّا أحد، حتَّى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفَّيه على فخذيه وقال: يا محمَّدُ أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا.

قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسألُه ويصدِّقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأَمَةُ ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

قال: ثم انطلق فلبثتُ مليًّا، ثم قال لي: «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

وتمثَّلت الملائكة بصورة بشرٍ لغير الأنبياء عليهم السلام، فعن أبي هريرة

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإسلام والإيمان والقدر، ١/٣٨، رقم ١.

رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ «أنَّ رجلًا زار أخًا له في قريةٍ أُخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلمَّا أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها؟ قال: لا غير أنِّي أحببته في الله عَزَّوَجَلَّ، قال: فإنِّي رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته فيه»(١).

ومما يجدر التنبيه عليه أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة، لا يخوضون في كيفية تمثيل الملائكة؛ بل يقفون بما جاء في القرآن والسُّنَّة.

قال أبو العبَّاس القُرطبي: "والبحث عن كيفية ذلك التمثيل ليس وراءه تحصيل، والواجب التصديق بما جاء من ذلك، ومن أنكر وجود الملائكة، وتمثُّلَهم في الصُّور فقد كفر"(٢).

خامسًا: عددهم

يرى ابن عجيبة أنه لا سبيل لحصرهم، حيث قال في تفسيره لقول الله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾(٣) أي: جموع خلقه، التي من جملتها الملائكة المذكورون، {إِلَّا هُوَ}، إذ لا سبيل لأحدٍ إلى حصر مخلوقاته، والوقوف على حقائقها وصفتها، ولو إجمالًا"(٤).

وقد وافق ابن عجيبة أهلَ السُّنَّة والجماعة، في هذه المسألة، ودلَّت النصوص على ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الحب في الله، ٤/١٩٨٨، رقم ٢٥٦٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٦/١٧٢.

(٣) سورة المدثر: ٣١.

(٤) البحر المديد ٧/١٨٠.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1]، وقال النَّبي ﷺ في حديث المعراج، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه: «... ثم رُفِع لي البيت المعمور، فقلتُ: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كلَّ يومٍ سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»[2]، وقال ﷺ أيضًا: "يُؤتى بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها"[3].

قال ابن حجر: "أُستدلَّ به على أنَّ الملائكة أكثر المخلوقات؛ لأنَّه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدَّد من جنسه في كلِّ يومٍ سبعون ألفًا، غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر"[4].

سادسًا: أعمالهم

يرى ابن عجيبة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل إليهم أمورَ الخلائق، فقال: "اعلم أنَّ الله تعالى خلق من الملائكة أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وهو ملك الموت، عليهم السلام، وجعل إليهم أمور الخلائق وتدبيرهم، وتدبير العالم كلّه إلى يوم القيامة، جبريل صاحب الوحي والرِّسالة، وميكائيل صاحب الأمطار، وعزرائيل صاحب الأرواح، وإسرافيل صاحب القرن "[5].

وقال في موضع آخر: "... وأسماؤهم الروحانيون"[6].

---

(١) سورة المدثر: ٣١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٢/٩٩١-٩٩٢، رقم ٣٢٠٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنار، باب في شدةَّ حرِّ جهنم وبعد قعرها، ٢١٨٤/٤، رقم ٢٨٤٢.

(٤) فتح الباري ٢١٥/٧.

(٥) شجرة اليقين بما يتعلق بكون رب العالمين، ص١٨٦.

(٦) المرجع نفسه، ص١٨٧.

ورَأْيُ ابن عجيبة في هذه المسألة موافقٌ لأهل السُّنَّة في الجملة.

فالملائكة لهم أعمالٌ كثيرة، قال ابن القيم: "كلُّ حركةٍ في السَّماوات والأرض من حركة الأفلاك، والنُّجوم، والشَّمس، والقمر، والرياح، والسَّحاب، والنَّبات، والحيوان، فهي ناشئةٌ عن الملائكة الموكَّلين بالسَّماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾(١)، وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾(٢).

وهى الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرُّسل عليهم السَّلام، وأمَّا المكذِّبون للرُّسل، المنكرون للصانع، فيقولون: هي النُّجوم ... وقد دلَّ الكتاب والسُّنَّة على أصناف الملائكة، وأنَّها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكَّل بالجبال ملائكة، ووكَّل بالسَّحاب والمطر ملائكة، ووكَّل بالرَّحم ملائكة تُدبِّر أمر النُّطفة حتى يتمَّ خلقها، ثم وكَّل بالعبد ملائكةً لحفظه، وملائكةً لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكَّل بالموت ملائكة، ووكَّل بالشَّمس والقمر ملائكة، ووكَّل بالنَّار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكَّل بالسُّؤال في القبر ملائكة، ووكَّل بالأفلاك ملائكة يُحرِّكونها، ووكَّل بالجنَّة وعمارتها وغراسها وعمل الأنهار فيها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله تعالى ... ومنهم ملائكة الرَّحمة وملائكة العذاب، وملائكة قد وُكِّلوا بحمل العرش وملائكة قد وُكِّلوا بعمارة السَّماوات بالصَّلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى ... فجبريل مُوكَّل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل مُوكَّل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل مُوكَّل بالنَّفخ في الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم"(٣).

---

(١) سورة النازعات: ٥.

(٢) سورة الذاريات: ٤.

(٣) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ١٢٥/٢، وينظر: البداية والنهاية ٤١/١.

وسَمَّى الله عَزَّوَجَلَّ جبريل عليه السلام بالرُّوح؛ لأنَّه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرُّسل من البشر[1].

وقد ثبت اسم جبريل وميكائيل في القرآن والسُّنَّة.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

وعن سمُرة بن جندب رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النَّار مالكٌ خازنُ النَّار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل»[3].

أما إسرافيل فقد ورد اسمه في السُّنَّة ولم يرد في القرآن، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من اللَّيل يُصلِّي يقول: «اللَّهمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنَّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[4].

وأما ما ذكره ابن عجيبة من تسميتهم (روحانيين)؛ فإنَّ هذه التسمية لم ترد لا في الكتابِ ولا في السُّنَّة، وإنما ذكرها بعض العلماء، قال ابن الأثير[5]: "الروحانيون

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٣٧.

(٢) سورة البقرة: ٩٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٣١٣/٦، رقم ١٣٨٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ٥٣٤/١، رقم ١٨٤٧.

(٥) هو مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الشيباني الجزري، المحدث، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: السير ٤٨٨/٢١، وفيان الأعيان ١٤١/٤-١٤٣، البداية والنهاية ٨/١٧-٩.

يروى بضم الراء وفتحها كأنَّه نسبة إلى الرُّوح أو الرَّوح وهو نسيمُ الرِّيح، والألف والنون من زيادة النَّسب، ويريد به أنهم أجسامٌ لطيفةٌ لا يُدركها البصر"[١].

ووصفهم بأنهم (أجسام لطيفة روحانية)، لا يسلَّم له؛ لأنه ينفي ما ثبت بالكتاب والسُّنَّة من وصفهم بالقوَّة، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلقهم بصورةٍ عظيمةٍ تليق بما كلَّفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به.

وعندما سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾[٢]، قال: «إنَّما هو جبريل لم أره على صورته التي خلقه الله عليها إلا هاتين المرتين، رأيته مُنْهبطًا من السَّماء سادًّا عظم خلقه ما بين السَّماء والأرض»[٣]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّها عليَّ، فيفصم عنِّي، وقد وعيتُ ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لي الملك رجلًا فيُكلِّمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّد عرقًا»[٤]، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُذِن لي أن أُحَدِّث عن مَلَكٍ من ملائكة الله من حملة العرش، إنَّ ما بين شحمة أُذُنِه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[٥].

---

(١) النهاية ٢/٢٧٢.

(٢) سورة التكوير: ٢٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ ١/١٥٩، رقم ٢٨٧.

(٤) أخرجه البخاري، باب بدء الوحي، ١/٤، رقم ٢.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب السُّنَّة، باب في الجهمية ٤/٣٧٠، رقم ٤٧٢٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/١٥١.

فهذه نصوصٌ دالَّةٌ على عظمتهم وقوَّة خَلْقِهم، وأنَّهم أجسامٌ حقيقيَّة، لا كما يقول ابن عجيبة من أنهم أجسامٌ لطيفة.

وتسمية صاحب الأرواح عزرائيل لم تَثبت لا في كتابٍ ولا سُنَّة، والذي ورد في النُّصوص أنَّه مَلَكُ الموت، قال الله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: قال: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجبْ ربَّك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى»[2].

قال ابن كثير: "وأمَّا مَلَك الموت فليس بمصرَّحٍ باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم"[3].

وبهذا يتضح أنَّ هذا الاسم لم يصحّ بدلالة النصوص الشرعية.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وقد اشتهر أنَّ اسمه (عزرائيل)، لكنَّه لم يصح، إنما ورد هذا في آثار إسرائيلية لا توجب أن نؤمن بهذا الاسم، فنسمِّي من وُكِّل بالموت بـ(ملك الموت) كما سمَّاه الله عَزَّوَجَلَّ بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[4]"[5].

وقال أيضًا: "وتسميته (عزرائيل) لم تثبت عن النبي ﷺ، إنما هي من أخبار بني إسرائيل، ولم يثبت من أسماء الملائكة إلا خمسة أسماء، وهي: جبرائيل، وميكائيل،

---

(١) سورة السجدة: ١١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام ١٨٤٢/٤، رقم ٢٣٧٢.

(٣) البداية النهاية ٤٩/١.

(٤) سورة السجدة: ١١.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٦٦/٣.

وإسرافيل، ومالك، ورضوان، ومنكرٌ ونكير، فهذه هي الأسماء الثابتة فيمن يتولَّون أعمال العباد ...

وملك الموت لا يُسمى عزرائيل؛ لأنه لم يثبت عن الرسول ﷺ، وهذا من الأمور الغيبية التي يتوقَّف إثباتُها ونفيها على ما ورد به الشرع.

ثم إنَّ مَلَك الموت له أعوان يعينونه على إخراج الرُّوح من الجسد حتى يوصلوها إلى الحلقوم، فإذا أوصلوها إلى الحلقوم قبضها مَلَك الموت، وقد أضاف الله تعالى الوفاة إلى نفسه، وإلى رسله أي: الملائكة، وإلى مَلَك واحد، فقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

وأضافها إلى ملك واحد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾(٢).

وإلى الملائكة في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾(٣).

ولا معارضة بين هذه الآيات، فأضافه الله إلى نفسه؛ لأنه واقعٌ بأمره، وأضافه إلى الملائكة؛ لأنهم أعوانٌ لملك الموت، وأضافه إلى ملك الموت؛ لأنه هو الذي تولَّى قبضها من البدن"(٤).

وقال ابن حبان رحمه الله: "إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار، وأمره أن يقول له: أجب ربك أمر اختبار وابتلاء لا أمرًا يريد الله عَزَّوَجَلَّ إمضاءه كما أمر خليله صلى الله على نبيِّنا وعليه بذبح ابنه أمر اختبار

---

(١) سورة الزمر: ٤٢.

(٢) سورة السجدة: ١١.

(٣) سورة الأنعام: ٦١.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع ٥/٢٤٥.

وابتلاء دون الأمر الذي أراد الله عَزَّوَجَلَّ إمضاءه، فلما عزم على ذبح ابنه وتلَّه للجبين فداه بالذبح العظيم.

وقد بعث الله عَزَّوَجَلَّ الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم عليه السلام ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة وكمجيء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام فلم يعرفه المصطفى ﷺ حتى ولَّى.

فكان مجيء ملك الموت إلى موسى عليه السلام على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها، وكان موسى غيورًا فرأى في داره رجلًا لم يعرفه فشال يده[1] فلطمه فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصُّورة التي يتصور بها لا الصورة التي خلقه الله عليها.

ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه، أو الناظر إلى بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله ولا حرج على مرتكبه ... كان جائزًا اتفاق هذه الشريعة بشريعة موسى بإسقاط الحرج عمَّن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحًا له، ولا حرج عليه في فعله.

فلمَّا رجع مَلَك الموت إلى ربه وأخبره بما كان من موسى فيه، أمره ثانيًا بأمرٍ آخر أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل، إذ قال الله له: قل له: إن شئتَ فضع يدك على متن ثور فلك بكلِّ ما غطَّت يدك بكلِّ شعرةٍ سَنَة، فلمَّا علم موسى كليم الله صلى الله على نبيِّنا وعليه أنه مَلَك الموت وأنه جاءه بالرِّسالة من عند الله طابت نفسُه بالموت ولم يستمهل وقال: فالآن.

فلو كانت المرَّة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت لاستعمل ما استعمل في المرَّة الأخرى عند تيقُّنه وعلمه به"[2].

---

(١) شال الرجل يده: أي رفعها. ينظر: المعجم الوسيط ١/٥٠١.

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، باب بدء الخلق، ١٤/١١٢، وينظر: فتح الباري ٦/٤٤٢.

المبحث الثاني: خلق الملائكة

قال ابن عجيبة: "اعلم أنَّ الخمرةَ الأزليَّةَ حين تجلَّت في مرائي جمالها تلوَّنت في تجلياتها، فتجلَّت نورانيَّة، وناريَّة، ومائيَّة، وترابيَّة وسماويَّة، وهوائيَّة، إلى غير ذلك من أنوار تجلياتها، فكانت الملائكة من النُّور، والجنُّ من النَّار، والآدميُّ من التراب"[(١)].

وقد تأثَّر ابن عجيبة في قوله بالفلاسفة القائلين بأزلية المادَّة، وجعل مواد الخلق كله واحدة تعود لأصلٍ أزليٍّ واحد، وهذا من تعطيل الله عَزَّوَجَلَّ عن خلقه وقدرته ﷻ وجحد لربوبية الله تعالى عن خلقه، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ويبدو أنه متأثر أيضًا بآراء المبتدعة في بدعة وحدة الوجود في القول بأزلية المادة.

فالخمرة الأزلية هي الحبُّ الإلهي، فيبين حقيقتها بقوله: "وهذه الخمرة ... هي اختمار القلوب بأنوار المحبوب، فيحتجب عن الأغيار برؤية الواحد القهَّار، وقد كانت هذه الخمرة في القدر الأوَّل ظاهرة أنوارها، بادية أسرارها على أربابها، فيتداولونها بينهم، ويتكلَّمون عليها بألطاف العبارات، وأنواع الإشارات، ثم اندرست، وقلَّت فخفيت أنوارها وبطنت أسرارها ... وحجب ذلك السر في قلوب أوليائه"[(٢)].

ثم يشرع في وصف هذه الخمرة، فيقول: "والحاصل: أنَّ الحقَّ جلَّ جلاله كان في سابق أزله ذاتًا مقدَّسة، لطيفةً خفيَّةً عن العقول، نورانيةً متصفةً بصفات الكمال، ليس معها رسوم ولا أشكال، ثم أظهر الحقُّ تعالى قبضة من نوره حسيَّةً معنوية؛ إذ لا ظهور للمعنى إلا بالحس، فقال: كوني محمَّدًا، فمن جهة حسِّها

---

(١) البحر المديد ٨٦/٣.

(٢) شرح خمرية ابن الفارض، ص٦١.

محصورة، ومن جهة معناها لا نهاية لها، متصلة ببحر المعاني الأزلي، الذي برزت منه، وما نسبتها من ذلك البحر من جهة حسِّها إلا كخردلةٍ في الهواء ..."(١).

ثم يقول في موضع آخر: "فالأشياء كلها قامت بالخمرة الأزلية، ولا وجود لها بدونها، بل لا نسبة لها معها ... قال بعض المحققين: لو كُلِّفت أن أرى غيره لم أستطع، فإنه لا شيء معه حتى أشهده"(٢).

فالخمرة الأزليَّة هي الحُبُّ الإلهي عند ابن عجيبة، وهي أساس الوجود للكون -كما يزعم- هو وغيره من الصوفية، فهذا عبد الرحمن جامي(٣) يقول: "في تلك الخلوة، التي لم يكن فيها للوجود علامة، وكان العالم محتجبًا في زاوية العدم، كان وجودًا منزَّهًا عن الشريك، بعيدًا عن أقاويلنا وأقاويلك، فهو جمالٌ مُبرَّأٌ من قيد المظاهر، يتجلَّى بنوره على ذاته، وتجلَّى على الآفاق والأنفس، فأظهر وجهه في كل مرآة، وانتشر منه في كل مكان حديث، إذ جعل من ذرَّات الدنيا مرايا، وألقى بوجهه في كلِّ مكانٍ منها ... وتجلَّى جماله في كل مكان، وتخفَّى في معشوقيَّ الكون، فهو المحتجب وراء كل ستار تراه، وعشقه محرِّك كلّ قلب، فالقلب يحيا بعشقه، وتسعد الروح شوقًا إليه"(٤).

---

(١) البحر المديد ٢/٥١٣.

(٢) شرح خمرية ابن الفارض، ص٧٩، وينظر: معراج التشوف، ص٧٦.

(٣) هو: عبد الرحمن بن أحمد الجامي، أُشتهر بملا جامي، وأصله من أصفهان بإيران، ولد ببلدة جام في إقليم خراسان سنة ٨١٧هـ، وهو صوفيٌّ فارسيٌّ على الطريقة النقشبندية، يقول بوحدة الوجود، له شرحٌ على فصوص ابن عربي، وكانت وفاته في هراة بأفغانستان سنة ٨٩٨هـ، وعمره إحدى وثمانون سنة. ينظر: إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن، ص٤٠٤، الدرر البهية في تراجم الحنفية، ص١١١.

(٤) يوسف وزليخا، ص٤٧-٥٠.

وزعم ابن الفارض أنَّ الحُبَّ الإلهي[1] هو أساس كلِّ شيءٍ ولولاه لما كان هناك وجودٌ للكون أصلًا .

وكلُّ ذلك بأسلوبٍ رمزيٍّ أثناء وصفه للخمرة الأزلية، فيقول:

تَقَدَّمَ كلَّ الكائناتِ حديثُها   قديمًا ولا شَكلٌ هناك ولا رسمُ

وقامت بها الأشياءُ ثم لحكمةٍ   بها احتجبت عن كلِّ من لا له فهمُ

وهامت بها روحي بحيث تمازجا اتـ   ـحادًا، ولا جِرْمٌ تخلَّلهُ جِرْمُ

ولذلك تجد من القوم من يحفظ قصيدة ابن الفارض وينشدها ظانًّا أنها من الدين.

وهذا لاشك في بطلانه، يقول ابن تيمية رحمه الله: "ومن قال: إنَّ لقول هؤلاء سرًّا خفيًّا وباطنَ حقٍّ وإنَّه من الحقائق التي لا يطلع عليها إلا خواص الخلق، فهو أحد رجلين -إمَّا أن يكون من كبار الزنادقة أهل الإلحاد والمحال، وإمَّا أن يكون من كبار أهل الجهل والضلال، فالزنديق يجب قتله، والجاهل يُعرَّف حقيقة الأمر، فإن أصرَّ على هذا الاعتقاد الباطل بعد قيام الحجة عليه وجب قتله.

ولكن لقولهم سرٌّ خفيٌّ وحقيقة باطنة لا يعرفها إلا خواص الخلق، وهذا السرُّ هو أشدُّ كفرًا وإلحادًا من ظاهره؛ فإنَّ مذهبهم فيه دقَّةٌ وغموضٌ وخفاءٌ قد لا يفهمه كثيرٌ من الناس، ولهذا تجد كثيرًا من عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض ويتواجد عليها ويعظِّمها ظانًّا أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة، وهو لا يفهمها ولا يفهم مراد قائلها؛ وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدين فلا يفهمون حقيقته، فإمَّا أن يتوقَّفوا عنه أو يعبِّروا عن مذهبهم بعبارة

---

(١) يقول ابن عربي: "العالم ما أوجده الله إلا عن الحب، فالحب يستصحب جميع المقامات والأحوال، فهو سار في الأمور كلها". الفتوحات المكية ٤/١٠٧.

من لم يفهم حقيقة، وإمَّا أن ينكروه إنكارًا مجملًا من غير معرفة بحقيقته ونحو ذلك، وهذا حال أكثر الخلق معهم، وأئمتهم إذا رأوا من لم يفهم حقيقة قولهم طمعوا فيه وقالوا: هذا من علماء الرُّسوم وأهل الظاهر وأهل القشر، وقالوا: علمنا هذا لا يُعرف إلا بالكشف والمشاهدة وهذا يحتاج إلى شروط، وقالوا: ليس هذا عشّك فادرج عنه ونحو ذلك مما فيه تعظيم له وتشويق إليه وتجهيل لمن لم يصل إليه، وإن رأوه عارفًا بقولهم نسبوه إلى أنه منهم وقالوا: هو من كبار العارفين، وإذا أظهر الإنكار عليهم والتكفير قالوا: هذا قام بوصف الإنكار لتكميل المراتب والمجالي، وهكذا يقولون في الأنبياء ونهيهم عن عبادة الأصنام، وهذا كله وأمثاله مما رأيته وسمعته منهم، فضلالهم عظيم وإفكهم كبير وتلبيسهم شديد، والله تعالى يظهر ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، والله أعلم"(١).

وغاية ما يريد الصوفية أن يصلوا إليه بهذه الخمرة الأزلية هي الاتحاد بالله، "وأن تصير ذات المحبوب عين ذات المحب، وذات المحب عين ذات المحبوب"(٢).

قال الدباغ(٣): "واعلم أنَّ المحب ما لم يصل إلى مقام الاتحاد لا تنقطع الحجب التي بينه وبين محبوبه، فإنها كثيرة لكن بعضها ألطف وأشد نورانية من بعض، وكلما كشفت له منها حجاب تاقت النفس إلى كشف ما بعده حتى تزول جميعها عند الاتحاد"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٣٧٨-٣٨٠.

(٢) الفتوحات المكية ٢/٣٢٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري، صوفيٌّ من أهل القيروان، ولد سنة ٦٠٥هـ، وتوفي سنة ٦٦٩هـ. ينظر: الحلل السندسية ١/٢٤٩-٢٥٦.

(٤) مشارق أنوار القلوب، ص٦٨.

ومن ثم يزعم الصوفية أن الله عَزَّوَجَلَّ تجلَّى في مخلوقاته، فكلُّ ما يراه الإنسان في هذا الكون هو محبوب حتى وإن كان قبيحًا؛ لأنَّ الكلَّ تجليات الحق، وهذه هي فكرة وحدة الوجود(١).

(١) ينظر: الفتوحات المكية ٢/٢٦٩.

المبحث الثالث:

المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر

هذه المسألةُ مسألةٌ أثريَّةٌ سلفيَّةٌ صحابيَّة، قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد كنتُ أحسب أنَّ القول فيها مُحدثٌ حتى رأيتها أثريَّةً سلفيَّةً صحابيَّة فانبعثت الهمَّة إلى تحقيق القول فيها ..."[(١)].

ويقول ابن عجيبة: في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٢)]، "والكلام: إنما هو مع الخواص، فخواص الآدمي، أعني الأنبياء أعظم من خواص الملائكة، وخواص الملائكة -أعني من المقرَّبين- أعظم من خواص الآدمي -أعني العارفين-، والعارفون أعظم من عوام الملائكة، وعوام الملائكة أعظم من عوام بني آدم، والله تعالى أعلم"[(٣)].

لقد كثر الخوض في هذه المسألة، وتعدَّدت الأقوال فيها، قال البيهقي رحمه الله[(٤)]: "وقد تكلَّم الناس قديمًا وحديثًا في المفاضلة بين الملائكة والبشر.

فذهب ذاهبون إلى أنَّ الرُّسل من البشر أفضلُ من الرُّسل من الملائكة، والأولياء من البشر أفضلُ من الأولياء من الملائكة.

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٣٥٧.

(٢) سورة الزمر: ٧٥.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٢٠٤.

(٤) هو: أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، وبيهق عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها، ولد سنة ٣٨٤هـ، أقبل على الجمع والتأليف، وله مصنفات منها: السنن والآثار، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، وكانت وفاته سنة ٤٥٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣.

وذهب آخرون إلى أنَّ الملأ الأعلى مفضَّلون على سُكَّان الأرض.

ولكلٍّ واحدٍ من القولين وجه"[1].

وقال ابن أبي العز رحمه الله: "وقد تكلَّم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السُّنَّة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة مطلقًا[2]، وأتباع الأشعري[3] على قولين: منهم من يُفضِّل الأولياء والأنبياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولًا، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السُّنَّة وبعض الصوفية"[4].

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أنَّ صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإنَّ الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزَّهون عمَّا يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرَّب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأمَّا يوم القيامة بعد دخول الجنة، فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة"[5].

وعلَّق ابن القيم رحمه الله على هذا القول بقوله: "ولهذا كان أكثر الناس على

---

(١) شعب الإيمان ١/١٣٥.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/٧١١، ٤/٧١١، وينظر: الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، ص٥٨، وبدائع الفوائد ١/٦٦، وأشار أيضًا إلى أنَّ الفلاسفة فضَّلوا الملائكة. وينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٤/٣٥٦.

(٣) من تبعه في العقيدة في طوره الثاني ومن كبارهم البيهقي، والباقلاني، والقشيري، والجويني، والغزالي، والفخر الرازي، وغيرهم كثير. ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٠٣٤.

(٤) شرح الطحاوية، ص٣٢٠، وينظر: مقالات الإسلاميين ١/٢٩٦، والتعرف لمذهب أهل التصوف، ص٦٩.

(٥) مجموع الفتاوى ٤/٣٤٣.

تفضيلهم -أي: صالحي البشر-؛ لأنَّ الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب ودواعي النفوس والشهوات البشرية، فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق، وهي كالنَّفس للحي، وأَمَّا عبادات البشر فمع منازعات النفوس وقمع الشهوات ومخالفة دواعي الطبع، فكانت أكمل"[(١)].



(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/٢٧٧ (مع تقديم وتأخير في النص المنقول). وينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، فقد ذكر ثلاثة عشر دليلًا على تفضيل صالحي البشر على الملائكة ٤/٣٥٠، ٣٩٢، ٣٦٧.

الفصل الثالث:

آراؤه في الإيمان بالكتب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الكتب.

المبحث الثاني: منزلة الإيمان بالكتب من الإيمان.

المبحث الأول: تعريف الكتب

أولًا: الكتب لغةً

جمع كتاب، بمعنى مكتوب، ومعناه يدور على الجمعِ والضَّم.

قال ابن فارس: "الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على جمعِ شيءٍ إلى شيء، من ذلك الكِتَابُ والكتابة، يقال: كتبتُ الكتابَ أَكْتُبُه كَتْبًا"(١).

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عجيبة بقوله: "الكتاب فهو مصدرٌ: من كتب إذا جمع، ومنه قيل: كتيبة لاجتماعها"(٢).

ثانيًا: الكتب شرعًا

هي الكتب المتضمِّنة لكلام الله عَزَّوَجَلَّ المنزلة على رُسُله.

والكتب التي يجب الإيمان بها: "هي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رُسُلِه، رحمةً للخلق، وهدايةً لهم، ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة"(٣).

قال ابن كثير: "والكُتُب: اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى خُتِمت بأشرفها، وهو: القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب"(٤).

وقال ابن عجيبة: "الْكِتاب أي: جنس الكتب، فيشمل الكتب السماوية كلها"(٥)، وأشار لبعضها بقوله: "القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، كتبه المنزلة على رسله"(٦).

---

(١) مقاييس اللغة ١٨٥/٥.

(٢) تفسير الفاتحة الكبير، ص٧٢.

(٣) شفاء العليل ٦٩٨/١، وينظر: شعب الإيمان، للبيهقي ١٨٥/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤٨٦/١.

(٥) البحر المديد ٢٩٣/١.

(٦) مخطوط رسائل في العقائد ل/٣.

المبحث الثاني:

منزلة الإيمان بالكتب من الإيمان

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان، ولا يتمُّ إيمانُ العبد الَّا به، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١).

وحكم الله عَزَّوَجَلَّ بالكفر على من كفر بها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾(٢).

قال ابن كثير: "أي: فقد خرج عن طريق الهدى، وبَعُد عن القصد كلَّ البعد"(٣).

وسمى الله عَزَّوَجَلَّ من آمن بهذه الجملة مؤمنين، وحكم بالكفر لمن كفر بهذه الجملة(٤).

ويتضمَّن الإيمان بالكتب أمرين هما: التصديق بها، ووجوب طاعتها فيما أمرت.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة النساء: ١٣٦-١٣٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٤٣٤.

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٩٧.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ الكتب تضمَّنت أصلين: الإخبار، والأمر، والإيمان بها لا يتم إلا بتصديقها فيما أخبرت، وإيجاب طاعتها فيما أوجبت"(١).

فيجب الإيمان بجميع الكتب من غير تفريقٍ ولا تبعيض.

وقال رحمه الله: "التفريق والتبعيض قد يكون في القدر تارة، وقد يكون في الوصف"(٢).

وتوضيح ذلك يكون: إمَّا في الكمّ، وإمَّا في الكيف كما قد يكون في التنزيل تارة وفي التأويل أخرى؛ فإن الموجود له حقيقة موصوفة وله مقدار محدود فما أنزل الله على رسله قد يقع التفريق والتبعيض في قدره، وقد يقع في وصفه.

وهذا مثل اليهود يقولون: نؤمن بما أنزل على موسى عليه السلام دون ما أنزل على عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا النصارى في إيمانهم بالمسيح دون محمَّد.

فمن آمن ببعض الرُّسل والكتب دون بعض فقد دخل في هذا؛ فإنه لم يؤمن بجميع المنزل، وكذلك من كان من المنتسبين إلى هذه الأُمَّة يؤمن ببعض نصوص الكتاب والسُّنَّة دون بعض(٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾(٤).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٤١١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/١٣.

(٣) المرجع السابق ١٢/١٣.

(٤) سورة النساء: ١٥٠-١٥١.

يقول ابن جرير في تفسيره لهذه الآية: "فقال جلَّ ثناؤه لعباده، مُنبِّهًا لهم على ضلالتهم وكفرهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾، يقول: أيها النَّاس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقًّا، فاستيقنوا ذلك، ولا يشككنَّكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرُّون بما زعموا أنهم به مقرُّون من الكتب والرُّسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كَذَبَةٌ.

وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدّق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن.

فأمَّا من صدَّق ببعض ذلك وكذَّب ببعض، فهو لنبوة من كذَّب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مُكذِّب.

وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مُكذِّبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذِّبون كافرون"(١).

وهكذا قرَّر ابن القيم رحمه الله حيث قال: "وهكذا الحكم في كلٍّ من فرق الحق فآمن ببعضه وكفر ببعضه، كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وكمن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض، لم ينفعه إيمانه بما كفر به حتى يؤمن بالجميع.

ونظير هذا التفريق من يردّ آيات الصفات وأخبارها ويقبل آيات الأوامر والنواهي، فإن ذلك لا ينفعه لأنه آمن ببعض الرسالة وكفر ببعض، فإن كانت الشبهة التي عرضت لمن كفر ببعض الأنبياء غير نافعة له، فالشبهة التي عرضت لمن

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٣٥٣/٩.

ردَّ بعض ما جاء به النبي ﷺ أولى أن لا تكون نافعة وإن كانت هذه عذرًا له فشبهة من كذَّب بعض الأنبياء مثلها، وكما أنه لا يكون مؤمنًا حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميعهم، فكذلك لا يكون مؤمنًا حتى يؤمن بجميع ما جاء به الرسول، فإذا آمن ببعضه فهو كمن كفر به كله"(١).

أولًا: رأي ابن عجيبة في الكتب المتقدِّمة

قال: "إنَّ الإيمان بالكتب المتقدِّمة دون معرفة أعيان المنزل عليهم كافٍ، إلَّا من ورد تعيينُه في الكتاب والسُّنَّة فلا بدَّ من الإيمان به"(٢).

وهذا حقٌّ، فما ذكر الله منها تفصيلًا وجب علينا الإيمان به تفصيلًا، وما ذكر منها إجمالًا وجب علينا الإيمان به إجمالًا(٣)، ونؤمن به كما أمرنا الله ﷻ ورسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾(٤).

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(٥) "فتضمَّنت الآية إيمان المؤمنين بما أنزل الله عليهم بواسطة رسوله ﷺ، وما أنزل على أعيان الرُّسل المذكورين في الآية، وما أنزل على بقية الأنبياء في الجملة وأنهم لا يُفرِّقون بين الرُّسل في الإيمان ببعضهم دون بعض، فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرُّسل وكل ما أنزل الله عليهم من الكتب"(٦).

---

(١) بدائع الفوائد ١٩٤/٤.
(٢) البحر المديد ٧٥/١.
(٣) ينظر: أعلام السُّنَّة المنشورة، ص٩٧.
(٤) سورة الشورى: ١٥.
(٥) سورة البقرة: ١٣٦.
(٦) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص١٣٦.

ثانيًا: استدلال ابن عجيبة على الإيمان بالكتب

قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[1]، ... وَالْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ أي: جنس الكتاب، فتدخل الكتب المتقدِّمة كلها، ومن يكفر بشيءٍ من ذلك فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا"[2].

ويستدل ابن عجيبة على منزلة الإيمان بالكتب بحديث جبريل عليه السلام: ... قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...»[3][4].

وقد ورد في نصوص الوحيين ذكر بعض أسماء الكتب التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ على رسله وهي:

١- القرآن الكريم: وهو الكتاب الذي أُنزل على نبيِّنا محمَّد ﷺ.

قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾[5].

والقرآن له عِدَّة أسماء منها: (الفرقان) قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[6].

---

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) البحر المديد١/٥٧٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، ١/٣٣، رقم ٥٠.

(٤) مخطوط الأربعين في الأصول والفروع، ل/٢.

(٥) سورة البقرة: ١٨٥.

(٦) سورة الفرقان: ١.

والكتاب، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾[1].

والذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2]، [3].

قال ابن جرير الطبري: "ولكلٍّ اسمٍ من أسمائه الأربعة في كلام العرب معنًى ووجهٌ غيرُ معنى الآخر ووجهه.

فأمَّا (القرآن)، فإنَّ المفسرين اختلفوا في تأويله، والواجبُ أن يكون تأويله على قول ابن عباس رضي الله عنهما من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرًا من قول القائل: قرأت، كقولك: (الخُسران) من (خَسِرت)..

وأما تأويل اسمه الذي هو (فُرْقان)، فإن تفسيرَ أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة ... وأصل (الفُرْقان) عندنا: الفرقُ بين الشيئين والفصل بينهما، وقد يكون ذلك بقضاءٍ، واستنقاذٍ، وإظهارِ حُجَّةٍ، ونَصْرٍ، وغير ذلك من المعاني المفرِّقة بين المحقِّ والمبطِل.

فقد تبيَّن بذلك أنَّ القرآن سُمِّي (فرقانًا)، لفصله -بحججه وأدلَّته وحدود فرائضه وسائر معاني حُكمه- بين المحق والمبطل، وفرقانُه بينهما: بنصره المحقِّ، وتخذيله المبطل، حُكمًا وقضاءً.

وأما تأويل اسمه الذي هو (كتابٌ)، فهو مصدرٌ من قولك (كتبتُ كتابًا) كما تقولُ: قمتُ قيامًا، وحسبتُ الشَّيءَ حسابًا.

والكتابُ هو خطُّ الكاتب حروفَ المعجم مجموعةً ومفترقة، وسُمي (كتابًا)، وإنما هو مكتوب ... يعني به مكتوبًا.

---

(١) سورة الكهف: ١.

(٢) سورة الحجر: ٩.

(٣) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري ١/ ٩٤.

وأما تأويل اسمه الذي هو (ذِكْرٌ)، فإنه محتمل معنيين أحدهما: أنه ذكرٌ من الله جلَّ ذكره، ذكَّر به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائرَ ما أودعه من حُكمه.

والآخر: أنه ذكرٌ وشرفٌ وفخرٌ لمن آمن به وصدَّق بما فيه، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾(١)، يعني به أنه شرفٌ له ولقومه"(٢).

٢- التوراة: وهو الكتاب الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾(٣).

٣- الإنجيل: وهو الكتاب الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ على عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٤).

٤- الزبور: وهو الكتاب الذي أنزله على داود عليه السلام، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾(٥)، قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ"(٦)، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾(٧).

٥- صحف إبراهيم وموسى: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾(٨).

---

(١) سورة الزخرف: ٤٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٤/١.

(٣) سورة المائدة: ٤٤.

(٤) سورة المائدة: ٤٦.

(٥) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٦) معالم التنزيل ٢٥٨/٥.

(٧) سورة النساء: ١٦٣.

(٨) سورة الأعلى: ١٨-١٩.

وما أشار إليه ابن عجيبة من أنَّ هذه الكتب يُراد بها الكتب المعيَّنة تارة، ويراد بها الجنس تارة، فهو صحيح.

قال ابن القيم رحمه الله: "فإنَّ لفظ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن يُراد به الكتب المعنيَّة تارة، ويُراد به الجنس تارة، فيُعبَّر بلفظ القرآن عن الزَّبور، وبلفظ التوراة عن الإنجيل، وعن القرآن أيضًا"(١).

ثالثًا: الإيمان بالقرآن الكريم ومنزلته

قال ابن عجيبة: "أما القرآن العظيم فلا بدَّ من الإيمان أنه مُنَزَّلٌ على نبيِّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم"(٢).

ويقول أيضًا: "إنَّ القرآن مقروءٌ بالألسن مكتوبٌ في المصاحف، محفوظٌ في القلوب، وأنه مع ذلك قديمٌ قائمٌ بذاته تعالى"(٣).

قد يتبادر إلى الذهن أنَّ قول ابن عجيبة هذا صحيح موافق لاعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، خاصَّة أنَّ هذا ما قرره أبو الحسن الأشعري فقال: "والقرآنُ مكتوبٌ في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظٌ في صدورنا في الحقيقة، متلوٌّ بألسنتنا في الحقيقة، مسموعٌ لنا في الحقيقة"(٤).

ولكنَّ هذا الكلام ليس على حقيقته، بل هذه عبارات عن الكلام القديم، وهي معانٍ مخلوقةٌ عند الأشاعرة، قال ابن فُورَك: "كلامُ الله تعالى محفوظٌ في القلوب متلوٌّ بالألسِنَة مكتوبٌ في المصاحف كما أنَّ الله جلَّ ذكره مذكورٌ بالألسِنَة معبودٌ

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٣٦٩/٢.

(٢) البحر المديد ٧٥/١.

(٣) مخطوط رسائل في العقائد، ل/٤.

(٤) الإبانة في أصول الديانة، ص١٠٠.

بالجوارح، ولا يجوز أن يكون في شيءٍ من ذلك حالًا، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

والمراد حُبُّ العجل؛ لأنَّ العجل لم يحل في قلوبهم، واعلم أنَّا لا نأبى أن كلام الله تعالى محفوظٌ على الحقيقة، يُحفظ في القلوب مكتوب على الحقيقة في المصحف كتابة حالة فيها متلوٌ بالألسِنَة بتلاوة فيها مسموع في الأسماع غير حال في شيءٍ من هذه المخلوقات ولا يُجَاوَز"[2].

وأفصح عن ذلك أيضًا عبد القاهر البغدادي حيث قال: [3]: "كلام الله في المصحف مكتوب، وفي القلب محفوظ، وباللسان متلوّ، ولا يقال: إنه في المصاحف مطلقًا، ولا نقول على التقييد: إنه مكتوبٌ في المصاحف"[4].

وبهذا يتضح ما قصده ابن عجيبة من كلامه السابق الذي وافق فيه الأشاعرة، بأن الذي يوجد في المصحف هي كتابة كلام الله التي هي الألفاظ أو هو عبارة عن العربية، لا كونه كلام الله حقيقة.

ولقد بيَّن ابن تيمية رحمه الله غلطهم من جهة تصوير مذهبهم، وغلطهم في الشريعة، فقال: "فإنَّ هؤلاء غلطوا غلطين غلطًا في مذهبهم وغلطًا في الشريعة.

أمَّا الغَلطُ في (**تصوير مذهبهم**) فكان الواجب أن يقولوا: إنَّ القرآن في

---

(١) سورة البقرة: ٩٣.

(٢) مشكل الحديث، ص١٣٠.

(٣) هو: أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، متكلِّم، أشعري، من مصنفاته: الفرق بين الفرق، أصول الدين، توفي سنة ٤٢٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٥٧٢، وفيات الأعيان ٣/٢٠٣.

(٤) أصول الدين، ص١٠٨.

المصحف مثل ما أنَّ العلم والمعاني في الورق، فكما يُقال: العلم في هذا الكتاب يُقال: الكلام في هذا الكتاب؛ لأنَّ الكلام عندهم هو المعنى القائم بالذات فيصور له المثل بالعلم القائم بالذات لا بالذات نفسها.

وأما الغلط في (**الشريعة**) فيقالُ لهم: إنَّ القرآن في المصاحف مثل ما أنَّ اسم الله في المصاحف؛ فإنَّ القرآن كلام: فهو محفوظٌ بالقلوب كما يُحفظ الكلام بالقلوب وهو مذكور بالألسن، كما يذكر الكلام بالألسن وهو مكتوب في المصاحف والأوراق، كما أنَّ الكلام يُكتب في المصاحف والأوراق، والكلام الذي هو اللَّفظ يطابق المعنى، ويدلُّ عليه والمعنى يطابق الحقائق الموجودة.

فمن قال: إنَّ القرآن محفوظٌ كما أنَّ الله معلوم، وهو متلوٌّ كما أنَّ الله مذكور، ومكتوب كما أنَّ الرَّسول مكتوب، فقد أخطأ القياس والتمثيل بدرجتين: فإنه جعل وجود الموجودات القائمة بأنفسها بمنزلة وجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها، والمسلمون يعلمون الفرق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾[1] وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[2].

فإنَّ القرآن لم ينزل على أحدٍ قبل محمَّد ﷺ لا لفظه ولا جميع معانيه ولكن أنزل الله ذكره والخبر عنه، كما أنزل ذكر محمَّد والخبر عنه.

فذكر القرآن في زبر الأولين كما أنَّ ذكر محمد في زبر الأولين، وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فالله ورسوله معلوم بالقلوب مذكور بالألسن، مكتوب في المصحف، كما أن القرآن معلوم لمن قبلنا، مذكور لهم، مكتوب عندهم، وإنما ذاك

(١) سورة الواقعة: ٧٧-٧٨.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٦.

ذكره والخبر عنه، وأمَّا نحن فنفس القرآن أُنزل إلينا، ونفس القرآن مكتوبٌ في مصاحفنا، كما أنَّ نفس القرآن في الكتاب المكنون، وهو في الصحف المطهرة.

ولهذا يجب التفريق بين قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾[(١)]، وبين قوله تعالى: ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾[(٢)].

فإنَّ الأعمال في الزبر كالرَّسول وكالقرآن في زبر الأولين، وأمَّا (الكتاب المسطور في الرَّقِّ المنشور) فهو كما يُكتب الكلام نفسه والصحيفة فأين هذا من هذا؟"[(٣)].

وقال أيضًا: "بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإنَّ الكلام إنما يُضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مُبلِّغًا مُؤديًا، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف"[(٤)].

وقال الذهبي[(٥)]: "إنَّك تنقل من المصحف مائة مصحف، وذاك الأوَّل لا يتحوَّل في نفسه ولا يتغيَّر، وتُلقِّن القرآن ألف نفس، وما في صدرك باق بهيئته لا انفصل عنك ولا تغيَّر، وذاك لأنَّ المكتوب واحد والكتابة تعدَّدت، والذي في صدرك واحد وما في صدور المقرئين عينُ ما في صدرك سواءٌ، والمتلوُّ وإن تعدَّد التالون به

---

(١) سورة القمر: ٥٢.

(٢) سورة الطور: ٢-٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/٣٨٣-٣٨٥.

(٤) المرجع نفسه ٣/١٤٤.

(٥) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، ولد بدمشق، سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ، قال عنه السبكي: هو شيخ الجرح والتعديل، له مصنفات منها: ميزان الاعتدال، وتاريخ الإسلام الكبير. ينظر: طبقات الشافعية ٩/١٠١، شذرات الذهب ١/٦١.

واحد، مع كونه سورًا وآياتٍ وأجزاءً متعدِّدةً وهو كلامُ الله ووَحْيُهُ وتنزيلُهُ وإنشاؤُهُ، ليس هو بكلامنا أصلًا، نعم، وتكلُّمُنا به وتلاوتنا له ونطقنا به أفعالنا، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1]"[2].

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والقرآن لا يقوم بنفسه وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع: كتابة، أو قراءة، أو حفظ، أو استماع، فهو بالعمل في الكتابة قائم، والعمل خطٌّ وهو مخلوق، والمكتوبُ قرآنٌ وهو غير مخلوق، وهو بالعمل في القراءة قائم، والعمل تحريكُ اللِّسان واللَّهوات بالقرآن وهو مخلوق، والمقروء قرآنٌ وهو غير مخلوق، وهو بحفظ القلب قائم، والحفظ عملٌ وهو غير مخلوق، والمحفوظ قرآنٌ وهو غير مخلوق، وهو بالاستماع قائم في السَّمع، والاستماع عملٌ وهو مخلوق، والمسموعُ قرآنٌ وهو غير مخلوق"[3].

رابعًا: وجوه إعجاز القرآن

بيَّن ابن عجيبة وجوه إعجاز القرآن، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[4]: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، واتفقوا عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة، وحسن النَّظم، وكمال المعنى، لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ أبدًا لما تضمَّنه من العلوم الإلهيَّة، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة، التي لم يكن لأحدٍ بها علم، ثم جاءت فيه على الكمال، ولذلك عجزوا

(١) سورة الصافات: ٩٦.

(٢) العلو ٢/١٩٢.

(٣) الاختلاف في اللفظ، ص٦٣.

(٤) سورة الإسراء: ٨٨.

عن معارضته.

وقال أكثر الناس: إنما عجزوا عنه لفصاحته، وبراعته، وحسن نظمه، ووجوه إعجازه كثيرة، وإنما خصَّ الثقلين بالذكر؛ لأنَّ المنكر كونه من عند الله منهما، لا لأنَّ غيرهما قادرٌ على المعارضة، وإنما أظهر في محل الإضمار، ولم يقل: لا يأتون به لئلا يتوهم أن له مثلًا معيَّنًا، وإيذانًا بأنَّ المراد نفي الإتيان بمثَلٍ مَّا، أي: لا يأتون بكلامٍ مماثلٍ له فيما ذكر من الصفات البديعة، وفيهم العرب العاربة، أرباب البراعة والبيان، فلا يقدرون على الإتيان بمثله وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا أي: ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان بمثله ما قدروا، وهو عطف على مقدَّر، أي: لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرًا لبعض، ولو كان .. إلخ، ومحله النَّصب على الحالية، أي: لا يأتون بمثله على كلِّ حالٍ مفروض، ولو على هذه الحالة"(١).

وهو معجزٌ أيضًا من جهة اللَّفظ والمعنى(٢).

وقد وافق ابنُ عجيبة العلماءَ المحققين في أنَّ القرآن معجزٌ من وجوهٍ متعددة.

قال ابن تيمية رحمه الله: "كون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط، بل هو آيةٌ بيِّنةٌ معجزةٌ من وجوهٍ متعدِّدة:

١- من جهة اللَّفظ.

٢- من جهة النَّظم.

---

(١) البحر المديد ٣/٢٣١.

(٢) المرجع نفسه ٢/٤٧٣.

٣- من جهة البلاغة في دلالة اللَّفظ على المعنى.

٤- من جهة معانيه التي أخبر بها عن الله وأسمائه وصفاته، وملائكته، وغير ذلك.

٥- من جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب.

٦- من جهة ما بيّن فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٤]"[٥].

وبهذا يعجز جميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله.

وقال ابن تيمية أيضًا: "فإذا كان قد تحدَّاهم بالمعارضة -مرَّة بعد مرَّة- وهي تبطل دعوته، فمعلومٌ أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر يوجب علمًا بيِّنًا لكلِّ أحدٍ بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلةٍ، وبغير حيلة"[٦].

---

(١) سورة الإسراء: ٨٩.

(٢) سورة الكهف: ٥٤.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل المسيح ٥/٤٢٨.

(٤) سورة الكهف: ٥٤.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/٤٢٨.

(٦) المرجع نفسه ٥/٤٢٧.

وبهذا يتبيَّن خطأ وقصور المتكلِّمين في بيان إعجاز القرآن وحصره في جانبٍ واحد، قال ابن القيم رحمه الله: "... وما اشتمل عليه من الأمور التي تعجز قوى البشر على الإتيان بمثله الذي فصاحته ونظمه وبلاغته فردٌ من أفراد إعجازه.

فتأمّل هذا الموضع من إعجاز القرآن تعرف فيه قصورَ كثيرٍ من المتكلِّمين وتقصيرهم في بيان إعجازه وأنهم لن يوفوه عشر معشار حقِّه حتى قصر بعضهم الإعجاز على صرف الدواعي عن معارضته مع القدرة عليها، وبعضهم قصر الإعجاز على مجرَّد فصاحته وبلاغته، وبعضهم على مخالفة أسلوب نظمه لأساليب نظم الكلام، وبعضهم على ما اشتمل عليه من الإخبار بالغيوب، إلى غير ذلك من الأقوال القاصرة التي لا تشفي ولا تجدي، وإعجازه فوق ذلك ووراء ذلك كلِّه"[(١)].

وقد خالف ابن عجيبة المعتزلة في قولهم بأنَّ وجه الإعجاز هو المنع من معارضته، والصرفة عند التحدِّي بمثله[(٢)].

وبهذا القول وافق الحق؛ "لأن إجماع الأُمَّة قبل حدوث المخالف أنَّ القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إنَّ المنع والصرفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزًا، وذلك خلاف الإجماع.

وإذا كان كذلك عُلِمَ أنَّ نفس القرآن هو المعجز؛ لأن فصاحته وبلاغته أمرٌ خارقٌ للعادة؛ إذ لم يوجد قطُّ كلامٌ على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفًا معتادًا منهم، دلَّ على أنَّ المنع والصرفة لم يكن معجزًا"[(٣)].

---

(١) بدائع الفوائد ٤/١٣٥.

(٢) قال الشهرستاني الأشعري عن النظَّام المعتزلي: "قوله في إعجاز القرآن إنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرًا وتعجيزًا، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثلة بلاغة وفصاحة ونظمًا". الملل والنحل ١/٥٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١/١١٩.

خامسًا: القرآن معجزة النبيﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

بيَّن ابن عجيبة أنَّ القرآن معجزة للنبيﷺ باستدلاله بقول النَّبيﷺ الذي جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكثرهم تابعًا يوم القيامة»(١)، قال ابن عجيبة عن هذا الحديث: "هو صريحٌ في أنَّه لا بدَّ من الآية لكلِّ رسول"(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: "وفي هذا الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ للقرآن المجيد على كلِّ معجزةٍ أعطيها نبيٌّ من الأنبياء، وعلى كلِّ كتابٍ أنزله، وذلك أنَّ معنى الحديث: ما من نبيٍّ إلا أُعطي من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلًا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عمَّا شاهده في زمانه، فأمَّا الرَّسول الخاتم للرسالة محمَّدﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيًا منه إليه منقولًا إلى الناس بالتواتر، ففي كلِّ حينٍ هو كما أنزل، فلهذا قال: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا»، وكذلك وقع، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته؛ ولهذا قال الله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٣)"، (٤).

ويقرر ابن عجيبة أنَّ القرآنَ مهيمنٌ على الكتب السَّابقة شاهدٌ على صحَّتها(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، باب كيف نزول الوحي ٦/١٨٢، رقم ٤٩٨١.

(٢) البحر المديد ٢/٢٣٨.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٢٠.

(٥) البحر المديد ٢/٤٦.

وهذه فضيلةٌ عظيمةٌ للقرآن العظيم فهو مهيمنٌ على جميع الكتب السابقة، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب[١] "يُقَالُ هَيْمَن يُهَيْمِنُ هَيْمنَةً: إِذَا كَانَ رَقِيبًا عَلَى الشَّيْءِ"[٢].

ولقد دلَّ على ذلك قول الله تعالى: "﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[٣].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "هذا خطابٌ من الله تعالى ذكره لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ يقول تعالى ذكره: أنزلنا إليك، يا محمَّد ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وهو القرآن الذى أنزله عليه، ويعني بقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، بالصدق ولا كذب فيه، ولا شك أنه من عند الله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه، ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمَّد، مصدِّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حقٌّ من عند الله، أمينًا عليها، حافظًا لها"[٤].

وهذا متفقٌ عليه بين سلف الأُمَّة، قال ابن تيمية رحمه الله: "فالسَّلف كُلُّهم متفقون على أنَّ القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلومٌ أنَّ المهيمن على الشَّيءِ أعلى منه مرتبة، ومن أسماء الله (المهيمن) ويُسمَّى الحاكم على الناس القائم بأمورهم (المهيمن)"[٥].

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ١٠/٣٧٧.

(٢) لسان العرب ١٣/٤٣٧، وينظر: تهذيب اللغة ٦/١٧٧.

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ١٠/٣٣٧.

(٥) مجموع الفتاوى ١٧/٤٣.

سادسًا: تفاضل آيات القرآن

يرى ابن عجيبة أنَّ آيات القرآن تتفاضل فيقول: "أمُّ القرآن، لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل مثلها، وأنها أعظمُ سورةٍ في القرآن، وكذلك ما ورد في سورة البقرة، أنها أعظم سورة، وكذلك آية الكرسي، وفي سورة الإخلاص، والمعوذتين، وهذه الآيات أفضل من غيرها"[١].

والقول بأنَّ كلام الله عَزَّوَجَلَّ بعضه أفضل من بعض هو قولٌ مأثورٌ عن السَّلف.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن للمتأخرين قولين مشهورين في تفاضل القرآن في نفسه، وهل يكون بعضه أفضل من بعض أم لا؟

١- القول الأول: أنَّه لا يتفاضل في نفسه؛ لأنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام الله صفة له، وصفة الله لا تتفاضل، لا سيَّما مع القول بأنه قديمٌ فإنَّ القديم لا يتفاضل.

٢- القول الثاني: أنَّ بعض القرآن أفضل من بعض، وهذا هو قول الأكثرين من السَّلف[٢].

وقال أيضًا: "والصَّواب الذي عليه جمهور السَّلف والأئمة أنَّ بعض كلام الله عَزَّوَجَلَّ أفضل من بعض كما دلَّ على ذلك الشَّرع والعقل"[٣].

وذكر أيضًا: أنَّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ والكلام يشرفُ بشرف المُتكَلِّم به، ويشرف بشرف المتكلَّم فيه، فما أخبر الله به عن نفسه كقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] أعظم مما أخبر به عن خلقه كقوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[٥]،

---

(١) تفسير الفاتحة الكبير، ص٧٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ١٧/٢٠٨-٢٠٩.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٧/٢٧٢.

(٤) سورة الإخلاص: ١.

(٥) سورة المسد: ١.

وما أمر فيه بالإيمان وما نهى فيه عن الشرك أعظم مما أمر فيه بكتابة الدين ونهى فيه عن الربا[1].

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

أولًا: من القرآن

قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3].

قال ابن كثير: "جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات"[4].

ثانيًا: الأدلة من السُّنَّة

١- قول النبي ﷺ لأُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلتُ اللهُ ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال قلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[5]، قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر»[6].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١٧/٢٠٩-٢١٠.

(٢) سورة البقرة: ١٠٦.

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/١٢٨.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٦) أخرجه مسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي ١/٥٦٦، رقم ٨١٠.

قال القاضي عياض: "فيه حُجَّةٌ للقول بتفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيل القرآن على سائر كتب الله ﷻ"[1].

٢- عن أبي سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه قال: كنتُ أصلِّي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلتُ: يا رسول الله إني كنتُ أُصلِّي فقال: «ألم يقل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2]؟» ثم قال لي: «لأعلمنَّك سورة هي أعظم السُّور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلتُ له: ألم تقل لأعلمنَّك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] هي السَّبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[4].

سابعًا: تحريف الكتب السَّابقة

تحدَّث ابن عجيبة عن الكتب السماوية، وما اشتملت عليه من النُّور والهدى، وما طرأ عليها من التحريف الذي وقع في الكتب السَّابقة من حيث التحريف النصِّي، وتحريف الأحكام ما عدا القرآن العظيم، حيث قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[5]، حيث تولى حفظه الحقُّ ربُّنا، فلا يزال محفوظًا لفظًا ومعنًى إلى قيام الساعة[6].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣/١٧٧.

(٢) سورة الأنفال: ٢٤.

(٣) سورة الفاتحة: ٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، ٣/٣٤٢، رقم ٥٠٠٦.

(٥) سورة الحجر: ٩.

(٦) البحر المديد ٢/٤٣.

أولًا: التحريف النصي

قال ابن عجيبة في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[١] "يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ بالتحريف وإبراز الباطل في صورة الحق، حتى كتمتم نعت محمَّد ﷺ وحرَّفتموه، وأظهرتم موضعه الباطل الذي سوَّلت لكم أنفسُكم؟ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ نبوة محمَّد ﷺ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنه رسولُ الله حقًّا وأن دينه حق"[٢].

ثانيًا: تحريف الأحكام

قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[٣].

"يقول الحقُّ جلَّ جلاله: من اليهود قومٌ تمرَّدوا في الكفر وهم أحبارهم، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ -وهو التوراة- عَنْ مَواضِعِهِ أي: يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، بإزالة لفظه أو تأويله، أو كصفة نبيِّنا محمَّد ﷺ، وآيةِ الرَّجم، وغير ذلك"[٤].

لقد تكفَّل الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ القرآن من كلِّ تبديلٍ وتغيير، قال ابن جرير الطبري: "وإنَّا للقرآن لحافظون من أن يُزاد فيه باطلٌ مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: (له) من ذكر الذكر"[٥].

---

(١) سورة آل عمران: ٧١.

(٢) البحر المديد ١/٣٦٧.

(٣) سورة النساء: ٤٦.

(٤) البحر المديد ١/٥٠٩، ١/١٢٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ١٧/٦٨.

وقال ابن القيم رحمه الله: "ولولا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تولَّى حفظ القرآن بذاته وضمن للأُمَّة ألا تجتمع على ضلالة، لأصابه ما أصاب الكتب قبله"(١).

وقال أيضًا: "فالله سبحانه حفظ محلَّه، وحفظه من الزيادة والنقصان، والتبديل، وحفظ معانيه من التحريف، كما حفظ ألفاظه من التبديل، وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان، ومعانيه من التحريف والتغيير"(٢).

وهذه الميزة لم تحصل للكتب السَّابقة، بل دلَّت الأدلة على التحريف الذي حصل بها.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

"ويعني بقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾، ثم يبدِّلون معناه وتأويله ويغيرونه، وأصله من (انحراف الشَّيءِ عن جهته)، وهو ميله عنها إلى غيرها، فكذلك قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه، إلى غيره، فأخبر الله جلَّ ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علمٍ منهم بتأويل ما حرَّفوا، وأنه بخلاف ما حرَّفوه إليه، فقال: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، يعني: من بعد ما عقلوا تأويله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أي: يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون"(٤).

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ١/٣١٥.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص٩٩، وينظر: الجواب الصحيح ٣/١٨.

(٣) سورة البقرة: ٧٥.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ٢/٢٤٨.

وقال ابن القيم رحمه الله: "وأمَّا التحريف فقد أخبر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عنه في مواضع متعدِّدة، وكذلك لَيُّ اللِّسان بالكتاب ليحسبه السَّامع منه وما هو منه.

فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميَّز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه، وهو قريبٌ من كتمانه.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

الخامس: لَيُّ اللِّسان به ليلتبس على السَّامع اللَّفظ المنزل بغيره.

وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراضٍ لهم دعتهم إلى ذلك"(١).



(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٣١٢.

الفصل الرابع:

آراؤه في الإيمان بالرسل والأنبياء

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالرسل والأنبياء عموماً.

المبحث الثاني: الفرق بين النبي والولي.

المبحث الثالث: عقيدته في الرسول محمد ﷺ.

المبحث الأول:

الإيمان بالرسل والأنبياء عموماً

أولًا: تعريف النَّبي والرَّسول في اللغة

يرجع معنى النبأ في اللغة إلى الخبر، قال الخليل: "النَّبأُ مهموزٌ: الخَبَرُ، وإنَّ لفُلانٍ نبأً، أي: خَبَرًا، والفِعلُ نبَّأته وأنبأته واستنبأته، والجميع الأنباء، والنَّبأَةُ: النَّغْيةُ، وهو صوتٌ يُشَكُّ فيه ولا يُتيَقَّنُ .. والنَّبأة، والبَغمةُ، والطَّغْية، والعَضْرةُ، والنَّغْيةُ بمعنًى واحد، والنُّبوَّة، لولا ما جاء في الحديث لَهُمِزَ، والنَّبيُّ ﷺ يُنبِىء الأنباء عن الله عَزَّوَجَلَّ، والنَّبيُّ، يقال: الطَّريق الواضحُ يأخُذُكَ إلى حيثُ تُريد"[(١)].

ويرجع معنى الرَّسول في اللُّغة إلى الاسترسال، واللِّين، قال الخليل: "الرَّسْلُ: الذي فيه استرسالٌ ولين، وناقةٌ رَسْلةُ القوائم أي: سَلِسَةٌ لَيِّنَةُ المَفاصِل... والرَّسَلُ: جماعاتُ الإِبِل، والرَّسَلُ: القَطيعُ من كلِّ شيءٍ، وجمعه إرسال، والرَّسَلُ يُذَكَّر ويؤنَّث، والرِّسلُ: الهَيْئةُ والسُّكون، يقال: تَكَلَّمْ على رِسْلِكَ ... والرُّسُل: جمع الرَّسُولِ، وفي لغةٍ: هي رسولٌ وهُنَّ رَسُولٌ، والرسائل جمع الرِّسالة"[(٢)].

أمَّا النُّبوة فهي خبرٌ خاصٌّ يكرِّم الله عَزَّوَجَلَّ به من يصطفيه من عباده ليطلعه على شريعته بما فيها من الأوامر والنواهي، والوعظ، والإرشاد، والوعد، والوعيد[(٣)].

والرِّسالة هي: سفارة العبد بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين ذوي الألباب من خلقه ليصلح بها مناحي حياتهم، ومصالحهم الدنيوية، والأخروية[(٤)].

---

(١) العين ٣٨٢/٨.

(٢) العين ٢٤٠/٧-٢٤١.

(٣) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان ٢٣٩/١.

(٤) ينظر: شعب الإيمان ١٥٠/١.

ثانيًا: تعريف النَّبي والرَّسول في الشَّرع والفرق بينهما

اختلف العلماءُ في تعريف كلٍّ منهما، قال القاضي عياض رحمه الله: "واختلف العلماء هل النَّبي والرَّسول بمعنى أو بمعنيين فقيل: هما سواءٌ، وأصله من الإنباء وهو الإعلام، واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[١] فقد أثبت لهما معًا الإرسال قال: ولا يكون النَّبي إلا رسولًا، ولا الرَّسول إلا نبيًّا.

وقيل: هما مفترقان من وجه .. إذ قد اجتمعا في النُّبوة التي هي الاطلاع على الغيب، والإعلام بخواص النبوة أو الرِّفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها.

وافترقا في زيادة الرِّسالة للرَّسول، وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا، وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين، ولو كانا شيئًا واحدًا لما حَسُن تكرارهما في الكلام البليغ.

قالوا والمعنى: وما أرسلنا من رسول إلى أُمَّة، أو نَبيٍّ وليس بمرسلٍ إلى أحد.

وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ الرَّسول قد جاء بشرعٍ مبتدأ، ومن لم يأت به نبيٌّ غير رسول، وإن أُمر بالإبلاغ والإنذار.

والصحيح والذي عليه الجَمَّاءُ الْغَفِيرُ أَنَّ كُلَّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍ رسولًا"[٢].

قال الشوكاني رحمه الله: "والنَّبيُّ في لسان الشَّرع: من بعث إليه بشرع، فإن أُمر بتبليغه فرسول، وقيل: هو المبعوث إلى الخلق بالوحي لتبليغ ما أُوحاه، والرَّسول قد يكون مرادفًا له، وقد يختصُّ بمن هو صاحب كتاب، وقيل: هو المبعوث لتجديد شرع أو تقريره، والرَّسول هو: المبعوث للتجديد فقط، وعلى الأقوال: النَّبي أعمُّ من الرَّسول"[٣].

---

(١) سورة الحج: ٥٢.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١/٤٨٨-٤٨٩.

(٣) نيل الأوطار ١/١٩.

ويرى ابن عجيبة أنَّ هناك فرقًا بينهما حيث قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(١): "الرَّسولُ يُوحى إليه بشرعٍ ويُؤمر بالتبليغ، والنَّبيُّ يُوحى إليه ولم يُؤمر بالتبليغ، فالرَّسول مكلَّفٌ بغيرِه، والنَّبيُّ مقتصرٌ على نفسه"(٢).

وقد ردَّ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله هذا التفريق فقال: "وآية الحج هذه تبيِّن أنَّ ما اشتهر على ألسِنة أهل العلم من أنَّ النَّبيَّ هو من أُوحيَ إليه وحيٌ ولم يُؤمر بتبليغه، وأنَّ الرسول هو النَّبيُّ الذي أُوحيَ إليه وأُمِرَ بتبليغِ ما أُوحي إليه غيرُ صحيح؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾(٣)، يدلُّ على أنَّ كُلًّا منهما مُرْسَل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير، واستظهر بعضهم أنَّ النبي الذي هو رسول أُنزل إليه كتابٌ وشرعٌ مستقلٌّ مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأنَّ النبي المرسل الذي هو غير الرَّسول، هو من لم ينزل عليه كتابٌ وإنما أُوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يُرسلون ويُؤمرون بالعمل بما في التوراة؛ كما بيَّنه تعالى بقوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾(٤)"، (٥).

ووضَّح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الفرق بين النَّبيِّ والرَّسول فقال: "فالنَّبي

---

(١) سورة الحج: ٥٢.

(٢) البحر المديد ٣/٥٤٤، وينظر: اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، ص١٠٧.

(٣) سورة الحج: ٥٢.

(٤) سورة المائدة: ٤٤.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٢٩٠.

هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالةً من الله إليه فهو رسول، وأمَّا إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحدٍ يُبلغه عن الله رسالة فهو نبيٌّ وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ وقوله: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ فذكر إرسالًا يعمُّ النَّوعين، وقد خصَّ أحدهما بأنَّه رسول؛ فإنَّ هذا هو الرَّسول المطلق، الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح، وقد ثبت في الصحيح أنّه أوَّلُ رسولٍ بُعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء؛ كشيث، وإدريس عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ، وقبلهما آدم كان نبيًّا مُكلَّمًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام[1]، فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلِّغه العلماء عن الرَّسول، وكذلك أنبياء إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يُوحى إلى أحدهم وحيٌ خاصٌّ في قصَّةٍ معيَّنة ... فالأنبياء ينبئهم الله؛ فيُخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي، فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليلٌ على أن النَّبيَّ مرسل، ولا يُسمَّى رسولًا عند الإطلاق؛ لأنَّه لم يُرسل إلى قومٍ بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنَّه حقّ؛ كالعالِم، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[2]، وليس من

(١) ينظر: فتح الباري ٣٧٢/٦، أمَّا هذا العدُّ فثابت في عدد القرون بين آدم ونوح من حديث أبي أمامة: إنَّ رجلًا قال: يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم؟ قال: «نعم» قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»، أخرجه الطبراني في الأوسط ١٢٨/١، رقم ٤٠٣، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ١٩٦/١، وأخرجه أيضًا: الطبراني في الكبير ١١٨/٨، رقم ٧٥٤٥، والحاكم في مستدركه ٢٦٢/٢، وصححه، ووافقه الذهبي وابن حبان في صحيحه رقم ٦١٩٠، قال الهيثمي: ورجاله في الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة ٢١٠/٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٦/٥، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم ٣٦٤١، =

شرط الرَّسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنَّ يوسف كان على ملَّة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2][3].

ثالثًا: رأيه فيما يجب ويستحيل في حَقِّ الرُّسل والأنبياء -عليهم السَّلام- وبِمَ تحصل النُّبُوَّة

بيَّن ابن عجيبة ما يجب ويستحيل في حقِّهم عليهم السلام، فقال: "وأمَّا بحقِّهم -عليهم السلام- فيجب عليه أن يَعتقد أنه يجب لهم الصدق، والأمانة، والتبليغ، وعصمهم الله عَزَّوَجَلَّ من المعصية، وصبَّرهم على الطاعة، ويستحيل في حقِّهم الكذب، والخيانة، والكتمان، ويجوز بحقِّهم الأعراض البشرية، كالمرض الخفيف الذي لا يؤدِّي إلى نقصٍ في مراتبهم العليَّة، وكالأكل والشُّرب، والنَّوم، والنِّكاح، والمشي في الأسواق، وكذلك يجب تصديقهم فيما أخبروا عنه من البعث، والحشر، والحساب، والحوض، والميزان، والصراط، والجنَّة، والنَّار ..."[4].

=

والترمذي، كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة ٤٨/٥، رقم ٢٦٨١، وابن ماجه في سننه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم ٢٢٣، قال الحافظ بن حجر: وضعفه الدارقطني في العلل ٢١٦/٦-٢١٧، وهو مضطرب الإسناد، قاله المنذري: مختصر سنن أبي داود ٢٤٣/٥-٢٤٤، والتلخيص الحبير ١٦٤/٣، والحديث ضعَّفه الألباني. ينظر: ضعيف الجامع وزياداته ٥٦٦/١ رقم ٣٨٨٩.

(١) سورة غافر: ٣٤.

(٢) سورة النساء: ١٦٣.

(٣) النبوات ٧١٨/٢.

(٤) مخطوط رسائل في العقائد ل/٦، وينظر: البحر المديد ٥٨٨/٤.

ورأي **ابن عجيبة** في حقِّ الرُّسل والأنبياء -عليهم السَّلام- هو الصواب، فقد ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ أنه كان يقول: «أنا النَّبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنهما: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكنَّ رسول الله ﷺ لم يَفر، إنَّ هوازن كانوا قومًا رُمَاةً وإنَّا لمَّا لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسِّهام، فأمَّا رسول الله ﷺ فلم يَفر فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذٌ بلجامها والنَّبيُّ ﷺ يقول: «أنا النَّبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب»(١).

ومعنى قوله ﷺ: «أنا النبي لا كذب»: أي حقًّا، ويرجع مراده في ذلك إلى وجوده هناك حقًّا؛ ليعلمهم بنفسه فيثبتوا بثباته، أو يكون ثبتًا حقًّا، ومن صفات الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين: أنهم لا يفرون، أو أنه لا كذب في حديثه، وما أخبرهم من غلبتهم وظهورهم على عدوهم، وليذكرهم بنبوته؛ لتقوى بصائرهم بوفاء عهده وظهور أمره"(٢).

والأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عَزَّوَجَلَّ وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأُمَّة(٣)، ولهذا كان الذي عليه سلف الأُمَّة وأئمَّتها أنَّ الأنبياء إنما هم معصومون من الإقرار على الذنوب.

والقول بأنَّ الأنبياء عُصموا عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ... حتى إنَّ هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقه، بل لم ينقل عن السَّلف والأئمة والصحابة والتابعين

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب من قاد دابة غيره في الحرب، ٦٩/٦، رقم ٢٨٦٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٣٢/٦.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٨٩/١٠.

وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول، أمَّا الصَّغائر فعامَّة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال[1].

وقال القاضي عياض رحمه الله: "أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر والموبقات"[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "فإنهم متفقون -أي المسلمين- على أنَّ الأنبياء معصومون فيما يبلِّغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرِّسالة؛ فإنَّ الرَّسول هو الذي يبلِّغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرِّسالة باتفاق المسلمين، بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيءٌ من الخطأ"[3].

ويقول أيضًا: "هم متفقون على أنهم لَا يُقَرُّونَ على خطأ في الدين أصلًا، ولا على فسوق، ولا كذب، ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله عَزَّوَجَلَّ فهم متفقون على تنزيههم عنه، وعامة الجمهور الذين يجوِّزون عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم"[4].

وبهذه النقول عن أئمة السَّلف يتضح أنَّ ابن عجيبة وافق الصواب في رأيه عمَّا يجوز ويستحيل في حقهم.

وأما رأيه في كيفية إدراك النبوة وتحصيلها فيرى أنَّ النبوة لا تدرك بالنَّسب والمال، حيث قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ

(١) مجموع الفتاوى ٣١٩/٤.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٣٢٧/٢.

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية ٣٧٢/٣.

(٤) المرجع نفسه ٤٧٢/١.

﴿ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾[1]، "فإنَّ النبوة ليست بمجرَّد النَّسب والمال، وإنما هي بفضائل نفسانية يَخُصُّ الله بها من يشاء من عباده، بل بمحض الفضل والكرم، فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها"[2].

وهو بهذا الرأي يوافق معتقد الفلاسفة والصوفية، ويُخالف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأمَّا المتفلسفة القائلون بقدم العالم وصدوره عن علَّة موجبة، مع إنكارهم أنَّ الله -تعالى- يفعل بقدرته ومشيئته، وأنَّه يعلم الجزئيَّات، فالنُّبوة عندهم فيضٌ يفيضُ على الإنسان بحسب استعداده، وهي مكتسبة عندهم.

ومن كان متميِّزًا في قوته العلمية بحيث يستغني عن التعليم، وشُكِّل في نفسه خطاب يسمعه كما يسمع النائم، وشخص يُخاطبه كما يخاطب النائم، -وفي العملية- بحيث يؤثر في العنصريات تأثيرًا غريبًا- كان نبيًّا عندهم، وهم لا يُثبتون ملكًا مفضَّلًا يأتي بالوحي من الله تعالى ولا ملائكة، بل ولا جنًّا يخرق الله بهم العادات للأنبياء إلا قوى النفس، وقول هؤلاء وإن كان شرًّا من أقوال كُفَّار اليهود والنَّصارى، وهو أبعد الأقوال عمَّا جاءت به الرُّسل، فقد وقع فيه كثيرٌ من المتأخرين الذين لم يُشرق عليهم نور النبوة من المدِّعين للنَّظر العقليّ، والكشف الخيالي الصوفي، وإن كان غاية هؤلاء الأقيسة الفاسدة، والشكّ، وغاية هؤلاء الخيالات

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٢) البحر المديد ٢/١٦٧.

الفاسدة والشطح"[1].

والقول الحق في ذلك أنَّ النبوة اصطفاء، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: "يُخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رُسُلًا فيما يشاء من شرعه وقدره، ومن النَّاس لإبلاغ رسالاته"[3].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة رُسَلًا كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم، ومعنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن النَّاس أيضًا رُسُلًا"[4].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: "أي يختار ويجتبي من الملائكة رُسُلًا ومن الناس رسلًا يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرُّسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلًا بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئًا دون شيء، وإنما المصطفي لهم السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم عن علمٍ منه أنهم أهل لذلك، وأنَّ الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[5]"،[6].

---

(١) النبوات ١/ ٣٠.

(٢) سورة الحج: ٧٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٤٥٤.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ١٨/ ٦٨٧.

(٥) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٥٤٦.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفي من الملائكة رُسُلًا ومن النَّاس، والاصطفاء: افتعال من التصفية، كما أن الاختيار: افتعال من الخيرة، فيختار من يكون مصطفى ... والله سبحانه اتخذ رَسُولًا فضَّله بصفاتٍ أُخرى لم تُكن موجودةً فيه من قبل إرساله، كما كان يُظهر لكلٍّ من رأى موسى وعيسى ومحمَّدًا من أحوالهم وصفاتهم بعد النُّبُوَّة"[1].

رابعًا: الإيمان بالنَّبيِّ محمَّد ﷺ وذكر ما جاء في خصائصه

ذكر ابن عجيبة بعضًا من الأمور التي يتضمَّنها الإيمان بنبيِّنا محمَّد ﷺ وخصائصه وهي:

١- أنَّ رسالتَه عامَّةٌ للثقلين.

قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2]: "وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ أي: جميعًا، إنسهم وجِنّهم، عَربيّهم وعجميّهم، أحمرهم وأسودهم، وقدَّم الحال للاهتمام"[3].

قال الطبري رحمه الله: "يقول -تعالى ذكره-: وما أرسلناك يا محمَّدُ إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصَّة، ولكنَّا أرسلناك كافة للنَّاس أجمعين، العرب منهم، والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذَّبك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أنَّ الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر"[4].

---

(١) النبوات ١/٣٠.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) البحر المديد ٤/٤٥٩.

(٤) جامع البيان ٢٠/٤٠٥.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا خطابٌ للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنَّه خاتمُ النبيين، وأنَّه مبعوثٌ إلى النَّاس كافة"[2].

قال الطحاوي رحمه الله: "فهو المبعوث إلى عامَّة الجنِّ وكافَّة الورى، بالحقِّ والهُدَى وبالنُّور والضياء"[3].

فنبيُّنا محمَّدٌ ﷺ مبعوثٌ للنَّاس عامَّة، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[4].

قال القرطبي رحمه الله: "والمراد بالعالمين هنا، الإنس والجن؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان رسولًا إليهما جميعًا"[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومحمَّدٌ ﷺ مبعوثٌ إلى الثقلين باتفاق المسلمين"[6].

وقال ابن القيم رحمه الله: "فأجمع المسلمون على أنَّ محمَّدًا ﷺ بُعث إلى الجنِّ والإنس، وأنَّه يجب على الجنِّ طاعته، كما يجب على الإنس"[7].

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٨٩/٣.

(٣) العقيدة الطحاوية، ص٣٩.

(٤) سورة الفرقان: ١.

(٥) تفسير القرطبي ٤/١٣، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص١٦٦، ولوامع الأنوار ٢٧٩/٢، ومعارج القبول ٤٩٦/٢.

(٦) مجموع الفتاوى ٣٠٣/١١.

(٧) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٦١٧/١.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال الشنقيطي رحمه الله: "﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ منطوق هذه الآية أنَّ من أجاب داعي الله محمَّدًا ﷺ وآمن به، وبما جاء به من الحق غفر الله له ذنوبه، وأجاره من العذاب الأليم، ومفهومها، أعني مفهوم مخالفتها المعروف بدليل الخطاب، أنَّ من لم يجب داعي الله من الجن، ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرَّحًا به مبيَّنًا في آياتٍ أُخر، كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3] ... "[4].

وبهذا يتبيَّن أنَّ غيره من الأنبياء رسالتهم خاصَّة لأقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5].

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٩-٣٢.

(٢) سورة هود: ١١٩.

(٣) سورة السجدة: ١٣.

(٤) أضواء البيان ٨/٥٢.

(٥) سورة إبراهيم: ٤.

قال ابن كثير رحمه الله: "وقد كانت هذه سُنَّة الله في خلقه، أنه ما بعث نبيًّا في أُمَّةٍ إلا أن يكون بلغتهم، فاختصَّ كلَّ نبيٍّ بإبلاغ رسالته إلى أُمَّته دون غيرهم، واختصَّ محمَّد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس"(١).

والأحاديث كثيرة تشهد لهذا المعنى، قال ﷺ: «وكان النَّبيُّ يبعث إلى قومه خاصَّة وبُعثت إلى النَّاس عامَّة»(٢).

وأيضًا قوله ﷺ: «والذي نفس محمَّدٍ بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأُمَّة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار»(٣).

قال سعيد بن جبير(٤): "ما بلغني حديثٌ عن رسول الله ﷺ على وَجهه إلا وجدتُ مصداقَه في كتاب الله تعالى، حتى قال «لا يَسمَعُ بي أحدٌ من هذه الأُمَّة، ولا يهودي ولا نصرانيٌّ، ثم لا يؤمن بما أُرسلت به إلا دخل النار» قال سعيد، فقلتُ: أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية:

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٤٧٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا ١/٧٤، رقم ٣٣٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ١/١٣٤، رقم ١٥٣.

(٤) هو: أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، مولى بني والبة بن الحارث بطن من بني أسد بن خزيمة؛ كوفيٌّ، أحد أعلام التابعين، أخذ العلم عن عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال له ابن عباس: حدِّث، فقال: أُحدِّث وأنت هاهنا؟ فقال: أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ، وله من العمر نحو خمسين سنة. ينظر: وفيات الأعيان ٢/٣٧١.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1] قال: من أهل الملل كُلِّها"[2].

٢- أنَّه خاتم النَّبيين.

قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[3]:

"كان أيضًا ﷺ خاتَمَ النَّبِيِّينَ أي: آخرهم الذي ختمهم، أو ختموا به على قراءة عاصم، بفتح التاء، بمعنى: الطابع، كأنه طبع وختم على مقامات النُّبوة، كما يختم على الكتاب لئلا يلحقه شيءٌ، فلا نبيَّ بعده، وعيسى ممَّن نُبِّأ قبله، وحين ينزل عاملًا على شريعته ﷺ، كأنَّه بعض أُمَّته، ومَن قرأ بكسر التاء، فمعناه فاعل الختم"[4].

قال السفاريني رحمه الله[5]: "ومعناه أنه لا تبدأ نبوةٌ، ولا تُشرع شريعةٌ بعد نُبوَّته وشريعته"[6].

وقال ابن كثير: "فهذه الآيةُ نصٌّ في أنه لا نبيَّ بعده، وإذا كان لا نبيَّ بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأنَّ مقام الرِّسالة أخصُّ من مقام النُّبوة، فإن كلَّ رسولٍ نبيٌّ، ولا ينعكس"[7].

---

(١) سورة هود: ١٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٧٩/١٥.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٤) البحر المديد ٤/٤٣٩.

(٥) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ولد بقرية سفارين من قرى نابلس في فلسطين، عام ١١١٤هـ، من شيوخه: عبد القادر التغلبي، ومحمد حياة السندي، ومن تلاميذه: محمد مرتضى الزبيدي، ومن مصنفاته: الدرة المرضية في عقيدة الفرقة المرضية، وكشف اللثام في شرح عمدة الأحكام، توفي سنة ١١٨٨هـ. ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣١/٤.

(٦) لوامع الأنوار ٢/٢٧٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٦/٤٢٨.

وقال ابن جرير: "... ولكن رسول الله وخاتم النَّبيين، ختم النبوة فطبع عليها فلا تُفتح لأحدٍ بعده إلى قيام الساعة"[١].

ولقد بيَّن النبي ﷺ أنَّ رسالته خاتمة الرِّسالات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون ويقولون: هلا وُضعت هذه اللَّبنة؟ قال: فأنا اللِّبنة، وأنا خاتم النَّبيين»[٢].

يقول ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النَّبيِّ ﷺ على سائر النَّبيين، وأنَّ الله ختم به المرسلين، وأكمل به الشرائع"[٣].

فالإيمان بالنَّبيِّ ﷺ "واجبٌ متعيِّنٌ لا يتمُّ إيمانٌ إلَّا به، ولا يصحُّ إسلامٌ إلا معه"[٤]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأُمَّة يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[٥].

ولهذا كانت رسالة النَّبيِّ ﷺ عامَّةً وشاملةً لجميع النَّاس، ونسخ الملل كلّها.

قال ابن القيم رحمه الله: "وعموم رسالته ﷺ بالنِّسبة إلى كلِّ ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم يحوج أُمَّته إلى أحدٍ بعده، وإنما حاجتهم إلى

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٩/٢٨.

(٢) أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ٦/٥٥٨، رقم ٣٥٣٤.

(٣) فتح الباري ٦/٥٥٩.

(٤) الشفا بحقوق المصطفى ٢/٤.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل كلها ٢/١٨٦، رقم ١١٦.

من يبلِّغهم عنه ما جاء به، فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرَّق إليهما تخصيص، عموم بالنِّسبة إلى المرسل إليهم، وعموم بالنِّسبة إلى كلٍّ ما يُحتاج إليه من بعث إليه في أصول الدين وفروعه؛ فرسالته كافية شافية عامَّة، لا تحوج إلى سواها، ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحد من المكلِّفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عمَّا جاء به"(١).

٣- أنَّه سيِّد ولد آدم.

قال: "فإنه خُصَّ بالدعوة العامَّة، والحُجَجِ المتكاثرة، والمعجزات المستمرة، والآيات المتعاقبة بتعاقب الدَّهر، والفضائل العلميَّة والعمليَّة الفائتة للحصر، ولقد صرَّح النَّبيُّ ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيِّدُ ولد آدم ولا فخر»(٢)"(٣).

وقد فضَّل الله تعالى نبيَّنا محمَّدًا ﷺ بأنَّه ساد الكُل، فقال ﷺ: «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر»، والسَّيِّد من اتصف بالصفات العليَّة والأخلاق السنيَّة، وهذا مُشْعرٌ بأنَّه أفضل منهم في الدارين، أمَّا في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق المذكورة، وأمَّا في الآخرة فلأنَّ جزاء الآخرة مرتَّبٌ على الأوصاف والأخلاق، فإذا فضَّلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضَّلهم في الآخرة في المراتب والدرجات.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢٨٥/٤.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ ٥٤٨/٥، رقم ٣٦١٥، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة ١٤٤٠/٢، رقم ٤٣٠٨، وهو حديثٌ صحيحٌ بهذا اللفظ، ينظر: السلسلة الصحيحة للألباني، رقم ١٥٧١، وصحيح الجامع الصغير ٣٠٩/١، رقم ١٤٦٨، وأخرجه مسلم من غير زيادة ولا فخر، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٤٣٨/١٥، رقم ٢٢٧٨.

(٣) البحر المديد ٢٨٢/١.

وإنما قال ﷺ: «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر» ليُعرِّف أُمَّته منزلته من ربه عَزَّوَجَلَّ، ولما كان من ذكر مناقب نفسه إنما يذكرها افتخارًا في الغالب، أراد ﷺ أن يقطع وَهم من يتوهَّم من الجهلة أنه ذكر ذلك افتخارًا، فقال: «ولا فخر»[١].

٤- النَّصر بالرُّعْب، وحلُّ الغنائم، وجعل الأرض مسجدًا طهورًا له، والشفاعة، وجوامع الكلِم.

قال ﷺ: «أُعطيتُ خمسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ من الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: أُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وطهُورًا، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وخُصصتُ بِجَوَامِعِ الكلِمِ»[٢][٣].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وظاهرُ الحديث يقتضي أنَّ كلَّ واحدةٍ من الخمس المذكورات لم تكن لأحدٍ قبله، وهو كذلك"[٤].

وكلامه صلوات ربي وسلامه عليه يحمل معاني جامعة مانعه، فألفاظه موجزة مع تناولها للمعاني الكثيرة جدًّا بخواتمها أي: كان يختم على المعاني الكثيرة التي تضمَّنها اللَّفظ اليسير فلا يخرج منها شيءٌ عن طالبه ومستنبطه لعذوبة لفظه وجزالته[٥]، والشواهد على ذلك كثيرة فمنها قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[٦].

---

(١) ينظر: منية السول في تفضيل الرسول ﷺ، ص١٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ١/٣٧٠، رقم ٥٢١، وينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٥/١٧٨.

(٣) البحر المديد ٢/٣٤٩.

(٤) فتح الباري ١/٤٣٦.

(٥) ينظر: الديباج على صحيح مسلم ٥/٥٧.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ١٥/٢٠٥ رقم ٦٤٧٥.

وهذا توجيهٌ نبويٌّ؛ لِأَنْ يترك الإنسان ما لا يعنيه، وأن يشتغل بنفسه وإصلاحها وتهذيبها، ولكن لا يعني هذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق ضوابط الشرع دون أن يترتب عليه مفسدة أكبر فهذا مما يعني الإنسان امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(١)].

٥- أنزل عليه القرآن[(٢)].

عدَّ ابن القيم خصائص كثيرة للنَّبيِّ ﷺ فقال: "فمن ذلك أنه بُعث إلى الخلق عامَّة، وخُتم به ديوان الأنبياء، ونزل عليه القرآن الذي لم ينزل من السَّماء كتابٌ يشبهه، ولا يقاربه، وأنزل على قلبه محفوظًا متلوًّا، وضمن له حفظه إلى أن يأتي الله بأمره، وأُوتي جوامع الكلم، ونُصر بالرُّعب في قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر، وجُعلت صفوف أُمَّته في الصلاة على مثال صفوف الملائكة في السَّماء، وجُعلت له ولأمته الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُسري به إلى أن جاوز السَّماوات السَّبع ورأى ما لم يره بشرٌ قبله، ورُفع على سائر النَّبيين، وجُعل سيِّد ولد آدم، وانتشرت دعوته في مشارق الأرض ومغاربها، واتبعه على دينه أتباع أكثر من أتباع سائر النَّبيين من عهد نوحٍ إلى المسيح، فأُمَّته ثلثا أهل الجنَّة، وخصَّه بالوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنَّة، وبالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وبالشَّفاعة العُظمى التي يتأخَّر عنها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأعزَّ الله به الحقَّ وأهله عزًّا لم يعزه بأحدٍ من قبله، وأذلَّ به الباطل وحزبه ذلًّا لم يحصل بأحدٍ قبله، وآتاه من العلم والشَّجاعة

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) ينظر: البحر المديد ٤/٧٥.

والسَّماحة والصَّبر والزُّهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلهية ما لم يؤته نبيٌّ قبله، وجُعلت الحسنة منه ومن أُمَّته بعشر حسنات مثلها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وتجاوز له عن أُمَّته الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وصلى الله عليه هو وجميع ملائكته، وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليمًا، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر الله ذكر معه، كما في الخطبة والتشهُّد والأذان، فلا يصحُّ لأحدٍ أذانٌ ولا خُطبةٌ ولا صلاةٌ حتى يشهد أنه عبده ورسوله، ولم يجعل معه أمرًا يطاع، لا ممَّن قبله ولا ممَّن هو كائن بعده إلى أن تُطوى الدنيا ومن عليها، وأغلق أبواب الجنَّة إلا عمَّن سلك خلفه، واقتدى به، وجعل لواء الحمد بيده، فآدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة، وجعله أول من تنشقُّ عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفَّع، وأول من يقرع باب الجنَّة، وأول من يدخلها، فلا يدخلها أحدٌ من الأولين والآخرين إلا بشفاعته ﷺ، وأعطي من اليقين والإيمان والصبر والثبات والقوة في أمر الله تعالى، والعزيمة على تنفيذ أوامره، والرضا عنه، والشكر له، والتنوع في مرضاته، وطاعته ظاهرًا وباطنًا، سرًّا وعلانية، في نفسه وفي الخلق، ما لم يعطه نبي غيره، ومن عرف أحوال العالم، وسير الأنبياء وأممهم، تبيَّن له أنَّ الأمر فوق ذلك، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق كلهم من ذلك ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر أنه يكون أبدًا"(١).

٦- الإسراء والمعراج.

قال: "إنَّ الإسراء بالجَسَد مخصوصٌ به ﷺ وقيل مرَّة أو مرتين، وأمَّا الإسراء بالرُّوح فيقع للأولياء على قدر تصفية الرُّوح ..."(٢).

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٢/٣٦٦.

(٢) البحر المديد ٣/١٨٠-١٨١.

وما ذكره ابن عجيبة في ما يتضمنه الإيمان بالنبي محمد ﷺ من خصائصه موافقٌ لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ولكنه -عفا الله عنه- لم يوفق للصواب في مسألة الإسراء والمعراج، وخالف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة وفق منهج السلف الصالح وهو أنَّ نبيَّنا محمَّد ﷺ أُسري بروحه وجسده مرة واحدةً يقظةً لا منامًا، وما ذهب إليه في مسألة الإسراء بروح الولي وافق فيه الصوفيه في غلوهم في الأولياء ورفعهم فوق منزلة النبيين والمرسلين، ولا يشكُّ عاقلٌ في خطأهم وعدم صوابهم، لكونهم خالفوا ما دلَّت عليه النصوص في مسألة الإسراء والمعراج، وأنها خاصَّةٌ بالنَّبيِّ محمدﷺ، وهي من المعجزات العظيمة الدالة على صدقه وأنه مرسل من الله تعالى.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله(١): "وأجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار أنَّ رسول الله ﷺ أُسري به إلى فوق سبع سماوات ثم إلى سدرة المنتهى، أُسري به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسجد بيت المقدس، ثم عُرِج به إلى السَّماء بجسده وروحه جميعًا، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "ثم أُسري بروحه وجسده إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى فوق السماوات بجسده وروحه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فخاطبه وفرض عليه الصلوات، وكان ذلك مرَّةً واحدة، هذا أصحُّ الأقوال"(٣).

---

(١) هو: أبو محمد، تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسين بن جعفر المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي، ولد بجماعيل من أرض نابلس، سنة ٥٤٤هـ، حدَّث عنه ابن خالته الشيخ موفق الدين ابن قدامة، وأولاده الحافظ عز الدين محمد، والحافظ أبو موسى عبد الله، والفقيه أبو سليمان، والحافظ الضياء المقدسي، وكانت وفاته سنة ٦٠٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٦٧-٤٦٨.

(٢) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي مع شرحها تذكرة المؤتسي، ص٢٥٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/٩٩.

المبحث الثاني:

الفرق بين النبي والولي[1]

أولًا: تعريف الولي في اللُّغة والاصطلاح

الوَلْيُ بمعنى: القُرْب، والدُّنُو، والمطرُ بعد المطر، والوَليُّ: الاسم منه، ومعناه: المُحِبُّ، والنَّصير، والصَّاحب، والرَّب، والنَّاصر... [2].

وأمَّا تعريفه الاصطلاحي فقد عرَّفه ابن تيمية رحمه الله بقوله: "وقد قيل إن الولي سُمِّي وليًّا من موالاته للطاعات أي متابعته لها، ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد"[3].

أما ابن عجيبة فيعرِّف الوليَّ بقوله: "هو العارفُ الصُّوفي الذي ارتفع عنه الحجاب حتى دخل مقام الشهود والعيان وفتحت له ميادين الغيوب فلم يحجبه عن الله شيء"[4].

ثانيًا: رأي ابن عجيبة في الوليِّ والنَّبي

١- **الوليُّ مساوٍ للنَّبي**، يقول: "ما قيلَ في النَّبيِّ يُقَالُ في الوَليِّ"[5].

٢- الوليُّ يرثُ النَّبيَّ ويزاحمه في جُلِّ المراتب، يقول: "أولياء هذه الأُمَّة أي: العارفون بالله يزاحمون الأنبياء والرُّسل في جُلِّ المراتب"[6].

---

(١) تقدم تعريف النَّبي، ص٤٧٣-٤٧٧.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط ١٠٥٨/٢.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص١٦.

(٤) الفهرسة، ص٤١.

(٥) الفتوحات الإلهية، ص٢٤٦.

(٦) منازل السائرين والواصلين، ص٢٥٤.

٣- **حُرمة الأولياء كحرمة الأنبياء**، يقول: "فحرمة الأولياء كحرمة الأنبياء، فمن فرَّق بينهم حُرم بركة جميعهم"[١].

٤- **الوليُّ معصومٌ**، يقول: "وأمَّا الأوصاف التي هي مذمومة ... فهذه لا بدَّ من التطهير منها في خصوصية النُّبوة والولاية ... أمَّا في حقِّ النَّبي فتطهيره منها واجب؛ لأنَّه معصومٌ من جميع النقائص، وأمَّا في حقِّ الوليِّ فليس بواجبٍ لكنَّه محفوظ"[٢].

ويقول أيضًا عند وصفه للقُطب: "أن يمد بمدد العصمة، وهي الحفظ الإلهي والعصمة الربَّانية، كما كان موروثه ﷺ غير أنَّها في الأنبياء واجبة، وفي الأولياء جائزة، ويقال لها الحفظ، فلا يتجاوز حدًّا ولا ينقض عهدًا"[٣].

والصوفية يطلقون الحفظ على العصمة، وبعضهم يُصرِّح بأنَّ العصمة للأنبياء، والحفظ للأولياء، قال ابن تيمية رحمه الله: "طائفة من النُّسَّاك والعُبَّاد يزعمون في بعض المشايخ أو فيمن يقولون: "(إنه وليُّ الله) أنه لا يذنب، وربما عيَّنوا بعض المشايخ وزعموا أنه لم يكن لأحدهم ذنب، وربما قال بعضهم: النَّبيُّ معصومٌ والوليُّ محفوظ ..."[٤].

وممن قرَّر هذا اللَّفظ، وأوضح أنَّ الفرق في اللَّفظ فقط لا في المعنى عبد الوهاب الشعراني، بقوله: "متى صحَّ للعبد سجود القلب لله عَزَّوَجَلَّ استحقَّ العصمة إن كان نبيًّا، والحفظ إن كان وليًّا، وإنما خص العلماء لفظ العصمة بالأنبياء من أجل فعلهم المباح، فإنهم لا يفعلونه إلا على جهة التشريع، فهو واجبٌ عليهم

(١) البحر المديد ١/٣٧٧.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٤١٩.

(٣) معراج التشوف، ص٨١.

(٤) جامع الرسائل ١/٢٦٤.

فعله لوجوب التبليغ عليهم ... بخلاف غيرهم إذا فعلوا مباحًا لا يفعلونه إلا على أنه مباح، هذا هو الفرق بين العصمة والحفظ بالنظر للَّفظ لا للمعنى"[(١)].

وقوله بمساواة الوليِّ للنَّبي في الفضل والعصمة غير صحيح؛ لأنَّ نصوص القرآن، وأقوال العلماء دالَّةٌ على تفضيل الأنبياء على الأولياء، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[(٢)].

قال ابن تيمية رحمه الله: "فالإيمان بما جاء به النَّبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا مما اتفق عليه المسلمون: أنه يجب الإيمان بكلِّ نبي، ومن كفر بنبيٍّ واحدٍ فهو كافر، ومن سبَّه وجب قتله باتفاق العلماء، وليس كذلك من سوى الأنبياء، سواء سُمُّوا أولياء أو أئمَّة أو حكماء أو علماء أو غير ذلك، فمن جعل بعد الرسول معصومًا يجب الإيمان بكلِّ ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها"[(٣)].

ويقول أيضًا: ومما يبين الفرق بين النبيين وغيرهم أنَّ الله سبحانه أوجب الإيمان بما أوتيه كلُّ نبيٍّ من غير استثناء؛ لأنهم معصومون فيما يخبرون عن الله ورسالاته، بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا أولياء لله، ولهذا من سبَّ نبيًّا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سبَّ غيرهم لم يقتل، وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النُّبوة والرسالة[(٤)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ

(١) الجواهر والدرر، ص١٢٧.

(٢) سورة البقرة: ١٣٦.

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية ٦/١٩٠.

(٤) ينظر: الفتاوى الكبرى ٥/٢٤٩.

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[١].

فلم يأمرنا بالردِّ عند التنازع إلا إلى الله والرَّسول، فمن أثبت شخصًا معصومًا غير الرسول أوجب ردَّ ما تنازعوا فيه إليه؛ لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول، وهذا خلاف القرآن.

وأيضًا فإنَّ المعصوم تجب طاعته مطلقًا بلا قيد، ومخالفه يستحق الوعيد، والقرآن إنما أثبت هذا في حق الرسول خاصَّة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٣].

فدلَّ القرآن في غير موضع على أنَّ من أطاع الرَّسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم، فالرسول ﷺ هو الذي فرَّق الله به بين أهل الجنَّة وأهل النَّار، وبين الأبرار والفُجَّار، وبين الحق والباطل، وبين الغيِّ والرَّشاد، والهدى والضلال، وجعله القسيم الذي قسم الله به عباده إلى شقيٍّ وسعيد، فمن اتبعه فهو السَّعيد، ومن خالفه فهو الشَّقي، وليست هذه المرتبة لغيره.

ولهذا اتفق أهل العلم -أهل الكتاب والسُّنَّة- على أنَّ كلَّ شخصٍ سوى

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) سورة النساء: ١٤.

الرسول فإنه يؤخذ من قوله ويُترك، إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقه في كلِّ ما أخبر، وطاعته في كلِّ ما أمر، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يُوحى، وهو الذي يسأل الناس عنه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(١).

وهو الذي يمتحن به النَّاس في قبورهم، فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ويقال: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: هو عبد الله ورسوله، جاءنا بالبيِّنات والهدى فآمنَّا به واتبعناه، ولو ذكر بدل الرسول من ذكره من الصحابة والأئمة، والتابعين والعلماء لم ينفعه ذلك، ولا يمتحن في قبره بشخص غير الرسول"(٢).

وقال الشافعي رحمه الله: "إنَّ الله افترض طاعة رسوله ﷺ وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يُقال لقولٍ: إنه فرض إلا لكتاب الله ثم لسُنَّة رسوله ﷺ وذلك لما وصفنا من أنَّ الله تعالى جعل الإيمان برسوله مقرونًا بالإيمان به وسنة رسوله ﷺ مبنية عن الله معنى ما أراد دليلًا على خاصَّة وعامة، ثم قرن الحكمة بكتابه فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحدٍ من خلقه غير رسول الله ﷺ"(٣).

وقال أبو جعفر الطحاوي: "ولا نُفضِّل أحدًا من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء -عليهم السَّلام- ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جميع الأولياء"(٤).

وقال القرطبي: "النَّبيُّ أفضل من الولي، وهذا أمرٌ مقطوعٌ به عقلًا ونقلًا،

(١) سورة الأعراف: ٦.

(٢) منهاج السُّنَّة ٦/١٩٠.

(٣) الأم ١/١٤.

(٤) العقيدة الطحاوية، ص٨٣.

والصائر إلى خلافه كافر، فإنه أمرٌ معلومٌ من الشرائع بالضرورة"[1].

وقال الحافظ ابن حجر أثناء كلامه على نبوة الخضر: "وينبغي اعتقاد كونه نبيًّا؛ لئلا يتذرَّع بذلك أهل الباطل في دعواهم أنَّ الوليَّ أفضلُ من النَّبي حاشا وكلا"[2].

والواجب على من طلب النجاة من هذا المنزلق اتباع ما عليه السَّلف والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[3]، يقول الكرماني[4]: "وهذه الترجمة مقتبسة من قول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ إذ المراد بالحبل الكتاب والسُّنَّة على سبيل الاستعارة المصرَّحة والقرينة إلى الله، والجامع كونهما سببًا للمقصود الذي هو: الثواب، كما أنَّ الحبلَ سببٌ للمقصود من السقي"[5].

وقال الشوكاني رحمه الله: "واعلم أنَّ أولياء الله عَزَّوَجَلَّ غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين، لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة علية فقلَّ أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء لله عَزَّوَجَلَّ "[6].

---

(١) المفهم ٦/٢١٧.

(٢) فتح الباري ١٣/٢٤٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٤) هو: شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ثم البغدادي، كان إمامًا في الفقه، والحديث، والتفسير، ولد بكرمان سنة ٧١٧هـ، ثم ارتحل إلى شيراز، ودخل مصر، ثم الشام، ثم حج واستوطن بغداد، ومن مؤلفاته: شرحه لصحيح البخاري، مات سنة ٧٨٦هـ، ينظر: الدرر الكامنة ٤/٣١٠، بغية الوعاة ١/٢٧٩.

(٥) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ٢٥/٢٨.

(٦) قطر الولي، ص٢٣٤.

وقال ابن تيمية رحمه الله: "لما كان ولي الله عَزَّوَجَلَّ يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله إلا أن يكون نبيًّا، ولا يجوز له أن يعتمَّد على ما يلقى إليه في قلبه ... مما يراه إلهامًا ومحادثة وخطابًا، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمَّد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقّف فيه"(١).

ولا يتصوَّر عاقلٌ أن يُعطى الولي مثل النَّبي، قال ابن تيمية رحمه الله: " فمن أين يحصل لغير الأنبياء نورٌ إلهيٌّ تُدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه، بحيث يصير بنفسه مدركًا لصفات الرَّب وملائكته، وما أعدَّه الله في الجنَّة والنَّار لأوليائه وأعدائه؟ وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية(٢)، الذين يجعلون النبوة فيضًا من العقل الفعَّال على نفس النَّبي، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله، ولهذا يجعلون النُّبوة مكتسبة، فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء، وعندهم هذا الكلام باطلٌ باتفاق المسلمين واليهود والنصارى"(٣).

وقال أيضًا: "ولا يتصور أنَّ الولي يُعطى ما أعطيه النَّبي من المشاهدة والمخاطبة، وأفضل الأولياء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ونحوهم.

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص٥١-٥٥.

(٢) القرامطة الباطنية: إحدى الفرق المنتسبة للإسلام، مؤسسها ميمون القداح، ومحمد بن الحسن الملقب بدندن، وظهرت في زمن المأمون وسبب تسميتهم: قولهم: إن للقرآن ظاهر وباطن، وقد تأوَّلوا أصول الدين، وشرائعه، ومن ألقاب هذه الفرقة: القرامطة، الإسماعيلية، المزدكية. ينظر: الفرق بين الفرق، ص٢٥٠، والتبصير في الدين، ص١٤٠-١٤٧، وتلبيس إبليس، ص١٢٤.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣٥٣/٥.

وليس في هؤلاء من شاهد ما شاهده النبي ﷺ ليلة المعراج ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي على النبي ﷺ ولا سمع أحدٌ منهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي كلَّم به نبيَّه ليلة المعراج، ولا سمع عامة الأنبياء فضلًا عن الأولياء كلام الله عَزَّوَجَلَّ كما سمعه موسى بن عمران ولا كلَّم الله تكليمًا لداود وسليمان بل ولا إبراهيم ولا عيسى فضلا عن أن يكون ذلك يحصل لأحدٍ من الأولياء"[(١)].

فالولاية مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهرًا وباطنًا وفق الكتاب والسُّنَّة[(٢)].

والولاية في الشرع هي: الإيمان والتقوى[(٣)]، وتحقيقها يتعلَّق بالعبد تارة، وبالرب تارة، والذي يتعلَّق بالعبد هو قيامه بأوامر الله عَزَّوَجَلَّ واجتناب نواهيه.

وجانب يتعلَّق بالرب وهو محبَّة هذا العبد ونصرته، وهدايته، وتثبيته على الهداية، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٤)].

وجانب يتعلَّق بالعبد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[(٥)].

ولذلك فالولي هو الذي يجمع بين الإيمان والتقوى، ولكن مهما بلغ من الصلاح والتقوى، فإنه لا يزاحم النبوة أبدًا ولا يبلغ منزلتها، قال الألوسي رحمه الله[(٦)]:

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، ص١٥٨.

(٢) مقدمة تحقيق كرامات أولياء الله عَزَّوَجَلَّ، ص٧.

(٣) ينظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء، ص٩.

(٤) سورة يونس: ٦٢.

(٥) ينظر: مقدمة تحقيق كرامات الله عَزَّوَجَلَّ، ص٨.

(٦) هو: أبو المعالي، محمود شكري، جمال الدين بن السيد عبد الله بهاء الدين ابن السيد محمود شهاب الدين الألوسي، نسبة إلى قرية تُسمَّى (ألوس)، ولد في بغداد سنة ١٢٧٣هـ، ومن شيوخه: والده: عبد الله بهاء الدين، وإسماعيل الموصلي، وله مصنفات منها: روح المعاني، وإزالة الظمأ بما ورد في الماء، وكانت وفاته سنة =

"وأحسن ما يُعتمد عليه في معرفة الولي اتباع الشريعة الغرَّاء، وسلوك المحجَّة البيضاء، فمن خرج عنها قيد شبر بَعُد عن الولاية بمراحل، فلا ينبغي أن يطلق عليه اسم الولي، ولو أتى بألف خارق، فالوليُّ الشرعيُّ اليوم أعزُّ من الكبريت الأحمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله"(١).

٥- **ويعتقد ابن عجيبة أنَّ كشفَ الأولياء موروثٌ عن الأنبياء**، يقول: "كان النبي ﷺ ينذر النَّاس ويذكِّرهم بالوحي التنزيلي، وبقي خلفاؤه يذكِّرون بالوحي الإلهامي موافقًا للتنزيلي"(٢).

٦- **كما يعتقد أنَّ الوليَّ مشاركٌ للنَّبي في الوحي**، يقول: "الوحيُ على أربعة أقسام: وحيُ إلهامٍ، ووحيُ منام، ووحيُ إعلام، ووحيُ أحكام، فشاركت الأولياء الأنبياء في ثلاثة: وحي إلهام، ووحي منام، ووحي إعلام وهو الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ وانفردت الأنبياء بوحي الأحكام"(٣).

وما ذكره ابن عجيبة من أنَّ الإنذار يكون بالوحي صحيحٌ دلَّ عليه القرآن، ولكن شتان بين الوحي والإلهام، فالوحيُ حجَّةٌ شرعيَّةٌ يستدل به ليس كالإلهام، قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، لقد حصر الله عَزَّوَجَلَّ طرق الإنذار بالوحي، بدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾(٤)، (وإنما) صيغة حصر، فإن قيل: قد يكون ذلك عن طريق الإلهام، فالجواب: أنَّ المقرَّر في

=

١٢٧٠هـ. ينظر: معجم البلدان ١/١٩٨، والأعلام ٧/١٧٢.

(١) روح المعاني ١١/١٤٩.

(٢) البحر المديد ٢/٤٦٨، ٤/١٦٣.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص٣٥٦، وينظر: البحر المديد ٢/٤٦٨.

(٤) سورة الأنبياء: ٤٥.

الأصول أنَّ الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء، لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به، بل لوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به"(١).

واعتقد ابن عجيبة أنَّ الأولياء أدركوا خاصية النبوة في تلقي الوحي والإلهام(٢) مثل سائر الأنبياء، وقد ردَّ عليه هذا القول بعض الصوفية، وهذا مما يؤكِّد اضطرابهم، قال الدبَّاغ: "وقد غلط بعض الأولياء من أهل الفتح فظنَّ أنَّ الولي العارف الكبير قد يبلغ مقام النُّبوة في المعرفة، وإن كان في الدرجة لا يصله، وهذا الذي ظنوه غلطٌ مخالفٌ لما في نفس الأمر، والصواب أنَّ الولي -ولو بلغ في المعرفة ما بلغ- لا يصل إلى ما ذكروه، ولا يقرب منه أصلًا"(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "ولكن الوحيَ وحيان: وحيٌ من الرَّحمن ووحيٌ من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾(٦)، وقد كان المختار بن أبي عبيد(٧) من هذا الضرب

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٣٢٣.

(٢) الإلهام: ما يُلقى في القلب من معان وأفكار، وهي ترد على القلب بمحض الموهبة من غير تصنُّع ولا اجتلاب ولا اكتساب: كحزن أو بسط، أو قبض أو ذوق، أو هيبة ونحوها، أو يطلقون الإلهام على الخاطر الملكي، ومعنى ذلك حصولهم على العلوم عن طريق إخبار الله لهم بلا واسطة. ينظر: مقامات الصوفية، ص٦٦، القاموس الصوفي، ص٣٥، معراج التشوف، ص٢٢-٣٣.

(٣) الإبريز، ص٢٧٧.

(٤) سورة الأنعام: ١٢١.

(٥) سورة الأنعام: ١١٢.

(٦) سورة الشعراء: ٢٢١.

(٧) هو: المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، ولد عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رواية، كان خارجيًّا، ثم صار يدعي الانتصار للحسين ثم ادعى النبوة، قتل سنة ٦٧هـ. ينظر: فوات الوفيات ٤/١٢٣.

حتى قيل لابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قيل لأحدهما: إنه يقول إنه يوحى إليه فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ وقيل للآخر: إنه يقول إنه ينزل عليه فقال: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[1]، فهؤلاء يحتاجون إلى الفرقان الإيماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم، وهؤلاء لهم حسيَّات يرونها ويسمعونها، والحسيَّات يضطر إليها الإنسان بغير اختياره كما قد يرى الإنسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره، كما أنَّ النُّظّار لهم قياس ومعقول وأهل السَّمع لهم أخبار منقولات وهذه الأنواع الثلاثة هي طرق العلم: الحس والخبر والنظر وكل إنسان يستدل من هذه الثلاثة في بعض الأمور؛ لكن يكون بعض الأنواع أغلب على بعض الناس في الدين وغير الدين"[2].

والمتقرر في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الوحي انقطع بموت النبي محمد ﷺ[3].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾[4].

قال ابن تيمية رحمه الله: "... هذه الآية تعمُّ من أوحى الله إليه من البشر فكلام الله الذي كلَّم به موسى من وراء حجاب والوحي ما يوحي الله إلى النَّبي من أنبيائه عليهم السلام؛ ليثبت الله عَزَّوَجَلَّ ما أراد من وحيه في قلب النَّبي ويكتبه وهو كلام الله ووحيه ومنه ما يكون بين الله وبين رسله ومنه ما يتكلَّم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد ولا يأمرون بكتابته ولكنهم يحدثون به الناس حديثًا ويبينونه لهم؛ لأنَّ الله

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٧٤.

(٣) ينظر: إرشاد الساري ١٠/١٢٨.

(٤) سورة الشورى: ٥١.

أمرهم أن يبيِّنوه للنَّاس ويبلغوهم إياه، ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممَّن اصطفاه من ملائكته فيكلِّمون به أنبياءه من النَّاس، ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء من الملائكة فيوحيه وحيًا في قلب من يشاء من رسله ... قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2]، بل قد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء ويكون يقظةً ومنامًا، وقد يكون بصوت هاتف أو يكون الصَّوت في نفس الإنسان ليس خارجًا عن نفسه يقظةً ومنامًا كما قد يكون النُّور الذي يراه أيضًا في نفسه، فهذه (الدرجة) من الوحي التي تكون في نفسه من غير أن يسمع صوت ملك في أدنى المراتب وآخرها وهي أولها باعتبار السالك وهي التي أدركتها عقول الإلهيين من فلاسفة[4] الإسلام الذين فيهم إسلام وصبوء فآمنوا ببعض صفات الأنبياء والرُّسل

---

(١) سورة المائدة: ١١١.

(٢) سورة القصص: ٧.

(٣) سورة النحل: ٦٨.

(٤) الفلسفة باليونانية: مَحَبَّة الحكمة، (والفيلسوف): مكونة من كلمتين (فيلا وسوفا) فيلا: هو المحب، وسوفا: هي الحكمة، أي محب الحكمة، وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الدهريون: الذين جحدوا الصانع، وزعموا أنَّ العالم قديم موجود بنفسه، والقسم الثاني: الطبيعيون، وهم يعترفون بوجود خالق حكيم مطلع على غايات الأمور، لكنهم يزعمون أنَّ النفس تموت فلا تعود، وجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والقيامة والحساب، والقسم الثالث: الإلهيون، وهم المتأخرون منهم، مثل سقراط، وهو أستاذ أفلاطون، وهو الذي رتَّب المنطق وهذَّب العلوم، وهؤلاء وقع منهم كفر وضلال. ينظر: الملل والنحل ٣٦٩/٢، والمنقذ من الضلال ص١٦، ٢٧.

-وهو قدر مشترك بينهم وبين غيرهم- ولكن كفروا بالبعض، فتجد بعض هؤلاء يزعم أنَّ النُّبوة مكتسبة أو أنه قد استغنى عن الرَّسول أو أن غير الرَّسول قد يكون أفضل منه، وقد يزعمون أن كلام الله لموسى كان من هذا النمط وأنه إنما كلَّمه من سماءِ عقله وأنَّ الصوت الذي سمعه كان في نفسه أو أنه سمع المعنى فائضا من العقل الفعَّال أو أن أحدهم قد يصل إلى مقام موسى، ومنهم من يزعم أنه يرتفع فوق موسى ويقولون: إن موسى سمع الكلام بواسطة ما في نفسه من الأصوات ونحن نسمعه مجردًا عن ذلك، ومن هؤلاء من يزعم أنَّ جبريل الذي نزل على محمَّد ﷺ هو الخيال النوراني الذي يتمثَّل في نفسه كما يتمثَّل في نفس النائم ويزعمون أنَّ القرآن أخذه محمَّدٌ عن هذا الخيال المسمى بجبريل عندهم؛ ولهذا قال ابن عربي صاحب (الفصوص) و(الفتوحات المكيَّة): إنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرَّسول، وزعم أن مقام (النبوة) دون الولاية وفوق (الرسالة)، فإنَّ محمَّدًا -بزعمهم الكاذب- يأخذ عن هذا الخيال النفساني -الذي سمَّاه ملكًا- وهو يأخذ عن العقل المجرَّد الذي أخذ منه هذا الخيال.

ثم هؤلاء لا يثبتون لله كلامًا اتصف به في الحقيقة ولا يثبتون أنه قصد إفهام أحد بعينه؛ بل قد يقولون لا يُعلِم أحدًا بعينه؛ إذ علمه وقصده عندهم إذا أثبتوه لم يثبتوه إلا كُليًّا لا يعين أحدًا بناءً على أنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات إلا على وجه كلي.

وقد يقرب أو يقرب من مذهبهم من قال باسترسال علمه على أعيان الأعراض وهذا الكلام -مع أنه كفرٌ باتفاق المسلمين- فقد وقع في كثير منه من له فضلٌ في الكلام والتصوف ونحو ذلك، ولولا أني أكره التعيين في هذا الجواب لعيَّنت أكابر من

المتأخِّرين، وقد يكون الصوت الذي يسمعه خارجًا عن نفسه من جهة الحق تعالى على لسان ملك من ملائكته، أو غير ملك وهو الذي أدركته الجهمية من المعتزلة ونحوهم واعتقدوا أنه ليس لله تكليم إلا ذلك وهو لا يخرج عن قسم الوحي الذي هو أحد أقسام التكليم أو قسيم التكليم بالرسول.

وهو (**القسم الثاني**) حيث قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1]، فهذا إيحاء الرَّسول، وهو غير الوحي الأول من الله الذي هو أحد أقسام التكليم العام، وإيحاء الرَّسول أيضًا (أنواع) ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنَّ الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه عليَّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لي الملك رجلًا فيكلِّمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيتُه نزل عليه في اليوم الشَّديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّد عرقًا[2].

فأخبر ﷺ أنَّ نزول الملك عليه تارةً يكون في الباطن بصوتٍ مثل صلصلة الجرس، وتارةً يكون متمثِّلًا بصورة رجلٍ يكلِّمه ... وقد سَمَّى الله كلا النوعين –إلقاء الملك وخطابه– وحيًا؛ لما في ذلك من الخفاء؛ فإنه إذا رآه يحتاج أن يعلم أنه ملك وإذا جاء في مثل صلصلة الجرس يحتاج إلى فهم ما في الصوت.

و(**القسم الثالث**) التكليم من وراء حجاب كما كلَّم موسى عليه السلام ولهذا سمى الله هذا (نداءً) و(نجاءً) فقال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[3]، قال

---

(١) سورة الشورى: ٥١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١٣/١، رقم ٢.

(٣) سورة مريم: ٥٢.

تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[1]، وهذا التكليم مختصٌّ ببعض الرُّسل كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[3]، وقال بعد ذكر إيحائه إلى الأنبياء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[4] فمن جعل هذا من جنس الوحي الأول -كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومن تكلَّم في التصوف على طريقهم- فضلاله ومخالفته للكتاب والسُّنَّة والإجماع بل وصريح المعقول من أبين الأمور، وكذلك من زعم أنَّ تكليم الله لموسى إنما هو من جنس الإلهام والوحي، وأنَّ الواحد منَّا قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى - كما يوجد مثل ذلك في كلام طائفة من فروخ الجهمية الكلابية[5] ونحوهم- فهذا أيضًا من أعظم الناس ضلالًا"[6]، قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة طه: ١١.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٤) سورة النساء: ١٦٤.

(٥) الكُلَّابية: طائفة كلامية تُنسب إلى عبد الله بن سعيد القطان، المشهور بابن كُلَّاب، حاول الرد على المعتزلة بالعقل، وله مقولات فاسدة منها: القول بنفي الحرف والصوت عن كلام الله تعالى وقال بأنه كلامٌ نفسي، وأنَّ القرآن ليس كلام الله على الحقيقة بل هو حكاية عن كلام الله، ونفى الصفات الاختيارية؛ نتيجة القول بنفي حلول الحوادث في ذات الله تعالى، وابتدعوا البحث عن كيفية الصفة فأفضى بهم إلى التشبيه، قال عنهم ابن تيمية: "كان الناس قبل أبي محمد بن كُلَّاب صنفين، فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابن كُلَّاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلَّق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها ..." توفي سنة ٢٤٠هـ، ينظر: الفِصَل ٥/٧٧، والرد على من أنكر الحرف والصوت، ص٨٠، ٨٣، ١٠٦، ٢٢٢، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٣٦٧.

(٦) الرسائل والمسائل ٣/٩٦.

(٧) سورة الأنعام: ٢١.

وقال القاضي عياض رحمه الله: "من ادَّعى أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة، وأنه يصعد إلى السَّماء ويدخل الجنَّة ويأكل من ثمارها، ويعانق الحور العين، فهؤلاء كلُّهم كفَّار مكذِّبون للنَّبي ﷺ؛ لأنه أخبر النبي ﷺ أنه خاتم النَّبيين"[1].

(١) كتاب الشفاء ٢/٢٣٨.

المبحث الثالث:

عقيدته في الرسول محمد ﷺ

أولًا: رأيه فيما يسمَّى بالحقيقة المحمَّدية

تعد الحقيقة المحمَّدية عند المتصوفة هي العماد الذي قام عليه الكون، وهي أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر ابن عجيبة بعضًا من مسمياتها: منها العقل الأكبر[(١)] فهو: أول نور أظهره الله للوجود، ويقال له: الروح الأعظم، ويسمى أيضًا القبضة المحمَّدية[(٢)(٣)].

ويعبَّر عنها ابن عجيبة في داليته بقوله:

وصَلِّ إلهَ العرشِ في كلِّ لمحةٍ ... على عنصر الوجود سر محمَّدِ
تقدَّم كلَّ الكونِ نورُ بهائِهِ ... فكان إلى الرحمنِ أولَّ عابدِ
قد انشقت الأسرارُ من سرِّ سرِّهِ ... فأبدى لنا سرَّ الإلهِ الممجَّدِ
ومن نوره الأسنى قد انفلقت لنا ... معاني صفات الذَّاتِ من نورِ أحمدِ
تلاشت فهومُ الخلقِ في بحرِ سرِّهِ ... فلا سابقٌ يَدري حقيقةَ أحمدِ
ولا لاحقٌ كلٌّ تضاءلَ فهمُهُ ... وكيف ينالُ الشَّمسَ من هو عن بُعْدِ[(٤)]

وكان متأثرًا بعبد السلام بن مشيش الذي اعتقد بأنَّ محمَّدًا أصل الوجود في

---

(١) العقل الأكبر: سماه الجرجاني بالعقل الأول، الذي هو أول عين ظهرت بنور الله عَزَّوَجَلَّ، وقال: العقل الأول هو سبب وجود المخلوقات كلها، وقصد به النبي ﷺ، ويتضح أنه ليس هناك فرق بين ما سماه ابن عجيبة بالعقل الأكبر، والله أعلم، ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص٣٨.

(٢) ينظر: التصوف الإسلامي في الدين والخلق ١/ ٢٣٠.

(٣) معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٥٤.

(٤) الفهرسة، ص١٠٧.

تصليته فلقد فسر (انشقاق الأسرار وانفلاق الأنوار الواردين) في التصلية بقوله: "ويحتمل أنه يريد (أي ابن مشيش) بقوله: منه انشقت الأسرار، أي أسرار الجبروت، ومنه انفلقت الأنوار، أي أنوار الملكوت، أو تقول: منه انشقَّت الأسرار، أي أسرار الحقيقة، وانفلقت الأنوار أي أنوار الإيمان والإسلام، أو تقول: منه انشقَّت الأسرار: أسرار عالم الغيب، وانفلقت الأنوار أنوار عالم الشَّهادة، أو تقول: منه انشقَّت الأسرار: أسرار القدرة، وانفلقت الأنوار: أنوار الحكمة"(١).

ويقصد ابن عجيبة بأسرار الجبروت: البحر المحيط الذي تدفَّق عنه الحسُّ والمعنى، والحاصل أنَّ القبضة التي ظهرت أوَّلًا من فضاء العماء(٢) حسها الظاهر ملك، ومعناها الباطن ملكوت، والبحر واللطيف المحيط الذي تدفَّقت منه جبروت، فأسرار المعاني رياض العارفين؛ لأنها محلُّ نزهة أرواحهم، ولا شكَّ أنَّ المعاني لطيفة، لا تظهر بهجتها إلا في الحسِّ الذي هو الملك، والحس من حيث هو مضافٌ إلى نبيِّنا ﷺ؛ لأنَّه ما ظهر إلا له، وما انشقَّت أسرار الذات إلا من نوره"(٣).

وإنَّك لتجد أنَّ بعض شعراء المغاربة ممَّن تأثَّر بالصُّوفية يرون رأي ابن عجيبة: أنَّ النوُّر المحمَّدي أصلُ الخلق لكلِّ شيء، وهذا ما عبَّر عنه حمدون الحاج(٤)، المتوفى

---

(١) شرح صلاة القطب بن مشيش، ص١٦-١٧.

(٢) فضاء العماء: أي ليس معه شيء. ينظر: غريب الحديث ٢/٢٨.

(٣) معراج التشوف، ص٦٢.

(٤) هو: أبو الفيض، حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن الشهير بابن الحاج، السُّلمي أصلًا وحسبًا، والمرداسي نسبًا، الفاسي دارًا ومنشأً، ولد سنة ١١٧٤هـ بفاس، ومن شيوخه: أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني، أبو محمد عبد الكريم بن علي اليازغي الفاسي، أبو عبد الله محمد التاودي ابن سودة، له مؤلفات منها: مراقي الصعود على تفسير أبي السعود، وعقود الفاتحة وهي منظومة ميمية في السيرة النبوية على نهج البردة تضمَّنت أربعة آلاف بيت، وكانت وفاته ١٢٣٢هـ. ينظر: إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع عشر ١/١٢٠، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ٣/٥، ٧.

سنة ١٢٣٢هـ، الذي قال:

زيـــنُ البريـــةِ بـــذرةُ الخليقـــة زهـــرةُ الحقيقـــةِ أزكاهـــا وأذكاهـــا
أصـــلُ الوجـــودِ وبهجـــةُ الصـــدور إنســـانُ العيـــون ومبناهـــا ومعناهـــا
نـورُ السَّـماواتِ ونـورُ الأرضِ كوكبُها مصـباحُ مشـكاتها سـراجُ مجلاهـا
لـولاه لم تَبْـدُ أزهـارُ السِّـماءِ ومَـا جـرى بهـا ابـنُ غزالـة ليرعاهـا
لولاه ما نسجت أرضٌ قطائفَ من نـورٍ ولم تَـرَ ماءَهـا ومرعاهـا
لـولاه لا عـرشٌ لا كرسـي لا قلـمٌ لا لوح لا فرش لا جبال أرساها[١]

ويرى ابن عجيبة أنَّ معرفة الحقيقة المحمَّدية، ليست لكلٍّ أحد، بل هي لمن سلك طريق القوم، فقال: "فلم يدركه منَّا سابقٌ ولا لاحق، بل كَلَّت فهومهم، وتقاصرت علومُهم عن الإحاطة المحمَّدية"[٢].

ولذلك جعل نورَ محمَّدٍ متوسط الكون، ولولا توسط النور لكان الوجود متجهِّمًا، يطبعه الجفاء.

ويرى أيضًا أنَّ محمَّدًا ﷺ هو الأساس الذي قام عليه ولأجله الوجود، يتضح ذلك في صلاته على النبي ﷺ قال: "الصَّلاة والسَّلام على من امتدَّت من سرِّ ناسوتهِ[٣] الأكوان، وأشرقت من نور لاهوته[٤] حقائق العرفان"[٥].

وقال: "والصَّلاة والسَّلام على قطب دائرة الأكوان وسيد الأسياد، الذي من

---

(١) النوافح الغالية في الأمداح السليمانية، ص٨٧.

(٢) شرح صلاة ابن مشيش، ص٢١.

(٣) سرِّ ناسوته: عبارة عن حس الأواني، ينظر: معراج التشوف، ص٩٠.

(٤) نور لاهوته: عبارة عن أسرار المعاني، ومرجع الأول للمُلك، والثاني للملكوت، مرجع سابق، ص٩٠.

(٥) شرح خمرية ابن الفارض، ص١٣.

نور فيضه الأول ظهرت نعمة الإيجاد والإمداد، سيدنا ومولانا محمد المبعوث بالعزِّ الدائم والشَّرف الفاخر رحمة للعباد "[١].

ويقول أيضًا: "نوره ﷺ هو بذرةُ الوجود، والسَّببُ في كلِّ موجود ... من أجله لاحت وظهرت أسرار الذات العالية، وقد كانت قبل ظهور نوره محجوبة باطنية، تجلَّى فيها الحقُّ تعالى باسمه الباطن، فلما أراد أن يتجلَّى باسمه الظاهر، أظهر قبضة من نوره، فقال: كوني محمَّدًا، فمن تلك القبضة المحمَّدية تكونت الأكوان من العرش إلى الفرش، فما ظهرت أسرار الذات إلا من تلك القبضة النورانية فظاهرها ذات، وباطنها صفات"[٢].

وهذا الرأي مخالفٌ لما نصَّت عليه النصوص الصريحة التي بيَّنت بداية الخلق، وأول مخلوق خلقه الله عَزَّوَجَلَّ هو العرش كما ثبت ذلك في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيءٌ قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء»[٣].

وتأثَّر ابن عجيبة بكتاب دلائل الخيرات[٤]، الذي قال عنه: "فبقيت في الصَّلاة على رسول الله مدة حتى حفظتُ دلائل الخيرات"[٥].

وحفظه له واهتمامه به يدلُّ على أنه يقر بكلِّ ما فيه من مخالفات في طريقة

---

(١) شرح نونية الششتري، ص٤٥.

(٢) شرح صلاة القطب ابن مشيش، ص١٥-١٦. وينظر: صلاة ابن العربي الحاتمي، ص٤٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ٣٦٩٨/١، رقم ٧٤١٨.

(٤) ألَّفه محمد بن سليمان بن داود الجزولي السملالي الشاذلي، من أهل سوس المراكشية، تفقَّه بفاس، وحفظ المدوَّنة في فقه مالك، مات سنة ٨٧٠هـ، ينظر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص١٤٣.

(٥) الفهرسة، ص٤٣.

الصَّلاة على النبيﷺ ومن هذه الصلوات "اللهم صلِّ على سيدنا محمد بحر أنوارك ... إنسان عين الوجود، والسَّبب في كلِّ موجود، عين أعيان خلقك، المتقدِّم من نور ضيائك"[1].

وما أسماه ابن عجيبة وغيره بالحقيقة المحمَّدية لاشك أنَّ له ارتباطًا كبيرًا جدًّا بوحدة الوجود[2].

قال علي اليشرطي[3]: "قبض الله قبضة من نوره هي الحقيقة المحمَّدية، وظهرت بالصورة المكرَّمة، وجعل منها ما كان وما يكون"[4].

وهذا من الغلو الذي يجعل النَّبي له التصرُّف في الكون، قال ابن تيمية رحمه الله: "حدَّثني الثقة من أعيانهم أنهم يقولون: إنَّ محمَّدًا هو الله"[5].

وهذه الاعتقادات السَّابقة الذكر ترتَّب عليها مفاسد عظيمة:

أولها: إنَّ إثبات هذا المعنى الذي يزعمه نفيًا لبشرية الرسولﷺ التي ورد النص عليها من الوحيين أنَّ النبيﷺ خُلق من ذرية آدم عليه السلام كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[6].

---

(١) دلائل الخيرات، ص١٠٠.

(٢) سيأتي الحديث عنها في مبحث مستقل في الباب الثالث.

(٣) هو: نور الدين علي بن أحمد المغربي اليشرطي، ولد في مدينة بنزرت بتونس عام ١٢٠٨هـ، ولقد لازم منذ صغره شيوخ التصوف، وبعد مضي اثنين وعشرين عامًا سلك الطريقة الشاذلية على يد شيخه محمد بن حمزة بن ظافر المدني، وأخذ ينشر الطريقة الشاذلية في بلاد الشام، فأصبح له مريدون قاموا بإنشاء الزوايا الشاذلية في بلاد الشام، توفي عام ١٣١٦هـ ودفن بزاويته في عَكَّا. ينظر: الطريقة الشاذلية وأعلامها، ص١٣٣.

(٤) مسيرتي في الحق، ص٦٦-٦٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٦٥/١٤.

(٦) سورة الكهف: ١١٠.

قال ابن جرير في تفسيره لهذه الآية: "قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشرٌ مثلكم من بني آدم، لا علمَ لي إلا ما علَّمني الله، وإنَّ الله يوحي إليَّ أنَّ معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا: معبودٌ واحد، لا ثانيَ له، ولا شريكَ له"(١).

وكونه ﷺ بشرًا، فإنه يصيبه ما يصيب البشر من أعراض، ولهذا قال الله تعالى رادًّا على المشركين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾(٢)، ولقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز الأصل الذي خُلق منه البشر قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾(٣).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم من آثار قدرته وبديع صنعته، أنْ خَلَقَ أبا الإنس وهو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ أي: من طينٍ مبلول، قد أحكم بله وأتقن، حتى جفّ، فصار له صلصلة وصوت يشبه صوت الفخّار الذي طبخ على النار.

﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ﴾ أي: أبا الجن، وهو إبليس اللَّعين ﴿مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ أي: من لهب النَّار الصافي، أو الذي قد خالطه الدخان، وهذا يدلُّ على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين والتراب، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع، بخلاف عنصر الجان وهو النار، التي هي محلُّ الخفَّة والطيش والشَّر والفساد"(٤)، وقال تعالى: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾(٥).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٨/١٣٥.

(٢) سورة الفرقان: ٢٠.

(٣) سورة الرحمن: ١٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ١/٨٢٩.

(٥) سورة الإسراء: ٩٣.

يقول ابن جرير في تفسيره: "يقول: هل أنا إلا عبدٌ من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسولٌ أبلِّغكم ما أُرسلتُ به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيدٌ له، لا يقدر على ذلك غيره"(١).

وأتت النصوص الصريحة مبيِّنة أنَّ أول مخلوق خلقه الله عَزَّوَجَلَّ هو العرش(٢) كما ثبت ذلك في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء»(٣).

وقد يقول قائلٌ: أتنكرون أنَّ النبي ﷺ نور، وتعارضون نصوص القرآن؟، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾(٥).

فيجاب عليه بأنَّ بعض المفسِّرين ذكر أنَّ المراد بالنور: هو وصفٌ للقرآن(٦)، وبعضهم قال: "يقول جلَّ شأنه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: قد جاءكم يا أهل التوراة والإنجيل من الله نورٌ يعني بالنُّور محمَّدًا، الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشِّرك"(٧).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٧/٥٥٤.

(٢) اختلف العلماء هل القلم أول المخلوقات أو العرش، والراجح أنَّ العرش أول المخلوقات، وقال ابن حجر: "إنَّ أولية القلم بالنسبة إلى ماعدا الماء والعرش، أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة، أي قيل اكتب أول ما خلق" ينظر: بغية المرتاد، ص٢٧٦، والصفدية ٢/٧٩، وفتح الباري ٦/٢٨٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ ١/٣٦٩٨، رقم ٧٤١٨.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٥.

(٥) سورة المائدة: ١٥.

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٥، وتفسير السعدي ٢/١٢٦.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن ٤/١٠٤.

فلا حجَّةَ لكم بهذه الآية بل استدلال لا صلة له بقولكم.

وقال الشاطبي رحمه الله: "ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضمِّ أطرافه بعضها لبعض، فإنَّ مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها وعامها المرتَّب على خاصَّها ومطلقها المحمول على مقيَّدها ومجملها المفسَّر ببيِّنها إلى ما سوى ذلك من مناحيها ... فشأن الراسخين تصوّر الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضًا كأعضاء الإنسان إذا صُوِّرت صورة مثمرة وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليلٍ ما أي دليل كان عفوًا وأخذًا أوليًّا وإن كان ثم ما يعارضه من كُلِّيٍّ أو جزئيٍّ فكأن العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكمًا حقيقيًّا فمتبعه متبع متشابه ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ ما شهد الله به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[1]"[2].

"ووصف النَّبي بأنَّه نورٌ من نور الله إن أُريد به أنَّه نورٌ ذاتيٌّ من نور الله فهو مخالفٌ للقرآن الدال على بشريته، وإن أُريد بأنه نورٌ باعتبار ما جاء به من الوحي الذي صار سببًا لهداية من شاء من الخلق فهذا صحيح، ولا شكَّ أنَّ نور الرسالة والهداية من الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

---

(١) سورة النساء: ١٢٢.

(٢) الاعتصام ١/٢٤٤.

(٣) سورة الشورى: ٥١-٥٣.

وليس هذا النور مكتسبًا من خاتم الأولياء كما يزعمه بعض الملاحدة، أمَّا جسمه ﷺ فهو دمٌ ولحمٌ وعظم ... خُلِقِ من أبٍ وأُمٍّ ولم يسبق له خلقٌ قبل ولادته"(١).

"وليس بدنه نورًا، وليس هو نور الله الذي هو وصفه، وأما قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾(٢) فالمراد بالنُّور في ذلك ما بعثه الله به من الوحي، من عطف الخاصِّ على العام، ولم يثبت في القرآن ولا في السُّنَّة الصحيحة أنه نور عرش الله، فمن زعم ذلك فهو كاذب؛ لأن ذلك يتنافى مع كمال الله عَزَّوَجَلَّ"(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك ما ذُكر من «أنَّ الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت، فخلق من كلِّ قطرةٍ نبيًّا، وأنَّ القبضة كانت هي النَّبيُّ ﷺ، وأنَّه بقي كوكبٌ دري» فهذا أيضًا كذبٌ باتفاق أهل المعرفة بحديثه"(٤).

وقال أيضًا: "والنَّبي ﷺ خُلق مما يُخلق منه البشر، ولم يُخلق أحدٌ من البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق الملائكة من نور؛ وخلق إبليس من مارج من نار؛ وخلق آدم مما وصف لكم»(٥)، وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خُلقت منه فقط، بل قد يخلق المؤمن من كافر؛ والكافر من مؤمن، كابن نوح منه وكإبراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين: فلمَّا

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/١٢٥.

(٢) سورة المائدة: ١٥.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/٤٦٣، و٤٦٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١٨/٣٦٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ٤/٢٢٩٤، رقم ٢٩٩٦.

سوَّاه ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة، وفضَّله عليهم بتعليمه أسماء كلِّ شيءٍ وبأن خلقه بيديه؛ وبغير ذلك، فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة؛ وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين، وهؤلاء من نور"(١).

ثانيًا: رأْيُ ابن عجيبة أنَّ الكون خُلِقَ من أجل محمَّد ﷺ

يرى ابن عجيبة أنَّ جميع ما في الكون خُلِقَ من أجل النَّبي محمَّدٍ ﷺ، ويَسْتَدلُّ كغيره من الصوفية بشبهاتٍ أتوا بها من عند أنفسهم، وهي:

١- حديث: "لولاك ما خُلِقَت الكونُ، أو ما خُلِقَتِ الأفلاك"(٢).

وقال في شرحه لبيتٍ من أبيات البُردة:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةَ مَن ... لولاه لم تَخرج الدُّنيا من العَدَمِ

"وكيف تدعو إلى طلب الدنيا والميل إليها ضرورة مخلوق عظيم لولاه لم تخرج هي من العدم، من كان سببًا في خلق الدنيا كيف يحتاج إليها وإنما خلقت من أجله"(٣)، وشرحه لهذا البيت مستنبطٌ من الحديث الموضوع: «لولاك ما خلقت الدنيا»(٤).

٢- حديث: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحقِّ محمَّدٍ لما غفرتَ

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٤/١١.

(٢) البحر المديد ٩/٥، وينظر: فضائل نور سيد المرسلين وذكر أطواره في العالمين، ص٢٧٢، تقييدان في وحدة الوجود، ص٨.

(٣) شرح البردة، ص٩٠.

(٤) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال عنه: هذا حديثٌ موضوعٌ لا شكَّ فيه، وفى إسناده مجهولون وضعفاء، والضعفاء أبو السكين وإبراهيم من اليسع، وقال الدارقطني: أبو السكين ضعيف، وإبراهيم ويحيى البصري متروكان، وقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديث يحيى البصري، وقال الفلاس: كان كذَّابًا يحدث أحاديث موضوعة. وقال الدارقطني: متروك. ينظر: الموضوعات ٢٩٨/١.

لي؟ قال: وكيف عرفتَ محمَّدًا؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوبًا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمتُ أنَّك لم تضف إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك، قال: صدقتَ يا آدم ولولا محمَّدٌ ما خلقتُك»[(١)].

وهذا باطلٌ، فالمقرَّر في نصوص الشريعة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يخلق آدمَ ولا غيره من أجل أحد، بل خلق الكلَّ لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٢)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذه الغاية، التي خلق الله الجنَّ والإنس لها، وبعث جميع الرُّسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمِّنة لمعرفته ومحبَّته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عمَّا سواه، وذلك يتضمَّن معرفة الله تعالى، فإنَّ تمام العبادة متوقِّفٌ على المعرفة بالله، بل كُلَّما ازداد العبدُ معرفةً لربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خَلَق اللهُ المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجةٍ منه إليهم"[(٣)].

أمَّا الحديث الذي ذكره الحاكم فقال عنه ابنُ تيمية رحمه الله: "... وأمَّا تصحيح الحاكم لهذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمَّة العلم بالحديث، وقالوا: إنَّ الحاكم يُصحِّح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث ...؛ ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرَّد تصحيح الحاكم، وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح، لكن هو في المصححين بمنزلة الثقة الذي يكثر

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين ٢/٦١٥، والطبراني في معجمه الصغير ٢/٨٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٤٨٩، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة ١/٤٥٠.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٣١٨.

غلطه، وإنَّ الصواب أغلب عليه وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه ... ومثل هذا لا يجوز أن تُبنى عليه الشريعة، ولا يُحتج به في الدين باتفاق المسلمين؛ فإنَّ هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها، التي لا تُعلم صحَّتُها إلا بنقلٍ ثابتٍ عن النبي ﷺ ... ولا ينقل ذلك ولا ما يشبهه أحدٌ من ثقات علماء المسلمين الذي يعتمد على نقلهم"(١).

وأمَّا حديث: "لولاك لما خلقت الأفلاك" فقال عنه: الشيخ الألباني: "إنه حديثٌ موضوع"، وتعقَّب قول القاري(٢) فقال: "وأمَّا قول الشيخ القاري: لكن معناه صحيح، فقد روى الديلمي(٣) عن ابن عباس مرفوعًا: «أتاني جبريل فقال: يا محمَّد لولاك لما خُلقت الجنة، ولولاك ما خُلقت النار» وفي رواية ابن عساكر(٤): «لولاك ما خلقت الدنيا» فأقول: الجزمُ بصحَّة معناه لا يَليقُ إلا بعد ثبوت ما نقله عن الديلمي، وهذا مما لم أرَ أحدًا تعرَّض لبيانه، وأنا وإن كنتُ لم أقف على سنده،

---

(١) التوسل والوسيلة، ص٨٥، ٨٧، وينظر: لسان الميزان ٣/٣٥٩-٣٦٠.

(٢) هو: أحمد بن عبد الله القاري، ابن محمد بشير خان، قاض حجازي، من أصل هندي، ولد سنة ١٣٠٩هـ وتعلم في المدرسة الصولتية بمكة، وعلَّم بها، وعين قاضيًا لمدينة جدة سنة ١٣٤٠هـ وجعل من أعضاء مجلس الشورى سنة ١٣٤٩هـ فرئيسًا للمحكمة الشرعية الكبرى، فأحد أعضاء رئاسة القضاء سنة ١٣٥٧ إلى أن توفي سنة ١٣٥٩هـ، له: (مجلة الأحكام الشرعية -خ) على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، في نحو ألف مادة، عاجله الأجل قبل طبعها. ينظر: الأعلام ١/١٦٣.

(٣) هو: شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسرو بفاء ونون وخاء معجمة وسين وراء مهملتين بعدهما واو، أبو شجاع الديلمي الهمذاني، ذكره ابن الصلاح فقال: كان محدثًا واسع الرحلة حسن الخَلق والخُلق، ذكيًّا صلبًا في السُّنَّة قليل الكلام، صنَّف تصانيف اشتهرت عنه منها: كتاب الفردوس، وكتاب في حكايات المنامات، وكتاب تاريخ همدان، ولد سنة ٤٤٥هـ، وتوفي في رجب سنة ٥٠٩هـ.. ينظر: طبقات الشافعية ١/٢٨٥.

(٤) هو: أبو القاسم، علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر، له مصنَّفات عدة منها: تاريخ ابن عساكر، الإشراف على معرفة الأطراف، كشف المغطى في فضل الموطأ، وكانت وفاته سنة ٥٧١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٧٠.

فإنِّي لا أتردَّد في ضعفه، وحسبنا في التدليل على ذلك تَفرُّد الديلمي به ... "[1].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس: «لولاك ما خلق الله عرشًا ولا كرسيًّا ولا أرضًا ولا سماءً ولا شمسًا ولا قمرًا»؟، فأجابَ: محمَّدٌ سيِّد ولد آدم، وأفضل الخلق وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إنَّ الله خلق من أجله العالم أو إنَّه لولا هو لما خلق عرشًا، ولا كرسيًّا، ولا سماءً، ولا أرضًا، ولا شمسًا، ولا قمرًا، لكن ليس هذا حديثًا عن النبي ﷺ لا صحيحًا ولا ضعيفًا، ولم ينقله أحدٌ من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، بل ولا يُعرف عن الصَّحابة رضي الله عنهم، بل هو كلامٌ لا يُدْرى قائله"[2].

ويقول أيضًا: "هذا الحديث لم ينقله أحدٌ عن النَّبي ﷺ لا بإسنادٍ حسنٍ ولا صحيح بل ولا ضعيف يستأنس به، ويعتضد به، وإنما نُقل هذا وأمثاله كما تُنقل الإسرائيليات التي كانت في أهل الكتاب، وتُنقل عن مثل كعب[3]، ووهب[4] ... ومسلمة أهل الكتاب، أو غير مسلمتهم أو عن كتبهم ... ويكفيك أنَّ هذا الحديث ليس في شيءٍ من دواوين الحديث التي يُعتمد عليها"[5].

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/٤٥٠، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/٢٨٨-٢٨٩، وقال عنه الشوكاني: موضوع، ينظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص٣٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٨٦.

(٣) هو: كعب بن ماتع الحميري، اليماني، العلامة، الحبر، الذي كان يهوديًّا، فأسلم بعد وفاة النَّبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه فجالس أصحاب محمَّد ﷺ ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان يحدثهم عن الإسرائيليات، حدَّث عنه: أبو هريرة، ومعاوية، وابن عباس، توفي بحمص ذاهبًا للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه عن مائة وأربع سنين. ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/٤٨٩.

(٤) هو: أبو عبد الله، وهب بن منبِّه بن كامل بن سيج الأنباري اليماني، أخذ عن بعض الصحابة رضي الله عنه كابن عباس، وقد امتحن، وحُبس، وضرب لاتهامه بالقدر، ولي قضاء صنعاء، مات سنة ١١٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤.

(٥) الاستغاثة في الرد على البكري، ص٤٣١.

"والسموات والأرض خُلقت لما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾[1]، أمَّا الحديث المذكور فهو مكذوبٌ على النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أساسَ له من الصِّحَّة"[2].

ثالثًا: تقسيم ابن عجيبة للنَّاس في طريقة صلاتهم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال: "قسمٌ يُصلَّون على صورته البشريَّة: وهم أهل الدليل والبرهان، فهم يشخصونها في قلوبهم في حال الصَّلاة عليه، فإذا أكثروا من الصَّلاة بالحضور ثبتت الصورة الكريمة في قلوبهم، فيرونه في المنام كثيرًا، وربما تشكل روحه الكريمة على صورة جسده الطيب فيرونه يقظة.

وقسمٌ يُصلَّون على روحه النورانية، وهم أهل الشهود من السائرين؛ فهم يصلون على نوره الفائض من الجبروت، فيشاهدونه في غالب أوقاتهم على قدر حضورهم وشهودهم.

وقِسمٌ يُصلَّون على نوره الأصلي، الذي هو نور الأنوار، وهم أهل الرسوخ والتمكين من أهل الشهود والعيان، وهؤلاء لا يغيب عنهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرفة عين"[3].

ويقول أيضًا: "فمنهم من يدرك شيئًا من سره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنهم من يدرك روحه، ومنهم من يدرك عقله، ومنهم من يدرك نفسه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فأهل الرسوخ والتمكين يدركون سرَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا يغيب عنهم طرفة عين ..."[4].

---

(١) سورة الطلاق: ١٢.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ٣١٢/١.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٦.

(٤) شرح صلاة ابن مشيش، ص٢٢.

وهذا كلُّه باطل؛ إذ المعتقد الصحيح المستمد من الوحيين والمقرر في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ النبي ﷺ قد مات، ولا يمكن لأحدٍ مهما بلغت منزلته أن يراه يقظة، بل حدثت بعد وفاته مصائب عظام وكان الصحابة رضي الله عنهم في حاجته، منها حرب صفِّين، وموقعة الجَمَل، ولا يعقل أن يغفلوا عن الأسباب التي تجعلهم يرونه يقظةً.

قال القرطبي معلِّقًا على قول الصوفية الذين جوَّزوا رؤية النبي ﷺ يقظةً: "وهذا قولٌ يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحدٌ إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آنٍ واحدٍ في مكانين، وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق، ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء، فيزار مجرَّد القبر ويُسلَّم على غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل"[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "والنَّبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني حقًّا فإنَّ الشيطان لا يتمثَّل في صورتي» قال ابن عباس: في صورته التي كان عليها في حياته، وهذه رؤية في المنام، وأمَّا في اليقظة فمن ظنَّ أنَّ أحدًا من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانًا قبل يوم القيامة فمن جهله"[2].

ويقول أيضًا: "وكثيرٌ من هؤلاء يظنُّ أنَّ النَّبي ﷺ نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة، ومن يرى ذلك ثم قبر النبي ﷺ أو الشيخ وهو صادق في

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ١٥٣/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٩٤/١٣.

أنه إياه من قال: إنه النبي، أو الشيخ، أو قيل له ذلك فيه، لكن غلط حيث ظن صدق أولئك.

والذي له عقل وعلم يعلم أنَّ هذا ليس هو النبي ﷺ تارة لما يراه منهم من مخالفة الشرع، مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله، وتارة يعلم أنَّ النبي ﷺ ما كان يأتي أحدًا من أصحابه بعد موته في اليقظة، ولا كان يخاطبهم من قبره، فكيف يكون هذا لي، وتارة يعلم أنَّ الميت لم يقم من قبره، وأنَّ روحه في الجنَّة لا تصير في الدنيا هكذا"(١).

وقال الصنعاني رحمه الله: "والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمعلوم من الضرورة الدينية، أنَّ من وَارَاهُ القبر لا يخرج منه إلا في المحشر، قال اللَّه تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾(٢)، ولم يقل: تَارَاتٍ أُخَرَ، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾(٣)، وقال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾(٤)، وأمَّا الأحاديث النبوية فإنها متواترة: أنَّ من أُدْخِلَ قبره لا يخرج منه إلا عند النفخة الثانية في الصور ... وبالجملة، فالقول بخروج الميت من قبره، وبروزه بشخصه لقضاء أغراض الأحياء قولٌ مخالف للعقل والنقل"(٥).



(١) مجموع الفتاوى ١٣/٧٨.

(٢) سورة طه: ٥٠.

(٣) سورة عبس: ٢١-٢٢.

(٤) سورة يس: ٣١.

(٥) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، ص٥١.

الفصل الخامس:

آراؤه في الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أشراط الساعة.

المبحث الثاني: أحوال اليوم الآخر.

المبحث الثالث: الجنة والنار.

المبحث الأول: أشراط الساعة

أولًا: تعريف الأشراط في اللغة

الأشراط جمع شَرَط، -بالتحريك- وهو العلامة[١].

قال الرَّاغب: الشَّرْطُ: كلُّ حكمٍ معلومٍ متعلِّق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له ... وأشراط السَّاعة علاماتها[٢].

وقال الخليل: "الشَّرْطُ: معروف في البيع، والفعلُ: شارَطه فشَرَطَ له على كذا وكذا، يَشْرِطُ له، والشَّرْطُ: بَزْغُ الحجَّام بالمِشْرَط، والفعلُ: شَرَط يَشْرِط، والبزغُ: الشَّرْطُ الضَّعيف، والشَّريطُ: شبه خُيُوطٍ تفتل من الخُوص، والجميعُ: الشُّرُط، فإذا كان مثلُها من اللِّيف فهي دُسُر، والواحد دِسَار، قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[٣] ودُسُرُها: شُرُطُها، والشَّرَطان: كوكبان، يقالُ إنهما قَرْنا الحمل، وهو أوَّلُ نَجْمٍ من الرَّبيع، ... ومن ذلك صار أوائلُ كلِّ أمرٍ أشراطَه، وأشراطُ السَّاعة: علاماتها، الواحد شَرَط... "[٤].

وذكر ابن عجيبة المعنى اللُّغوي لأشراط السَّاعة فقال: "جمع شَرَط -بالتحريك- بمعنى العلامة"[٥]، وقال أيضًا: "إنما سُمِّيت القيامة ساعة لسرعة حسابها، أو وقوعها[٦]، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب، (شرط)، ٣٩٢/٧، والصحاح ١١٣٦/٣.

(٢) المفردات ٤٥٠/١.

(٣) سورة القمر: ١٣.

(٤) العين ٢٣٤/٦-٢٣٥.

(٥) البحر المديد ٣٦٦/٥.

(٦) المرجع نفسه ٢٨٩/٢.

(٧) سورة النحل: ٧٧.

ثانيًا: تعريفها في الشَّرع

هي الوقتُ الذي تقوم فيه القيامة، وسُمِّيت بذلك؛ لسُّرعة الحساب فيها، أو لأنَّها تفجأ النَّاس في ساعةٍ فيموت الخلق كلُّهم بصيحةٍ واحدة[1].

قال ابن حجر رحمه الله: "والمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام السَّاعة"[2].

ثالثًا: تقسيم العلماء لأشراط السَّاعة

قسَّم العلماء أشرا ط السَّاعة وفق ثلاثة اعتبارات:

١- زمن خروج الأشراط، وهذه قُسِّمت إلى ثلاثة أقسام:

أ- ظهر وانقضى وفق ما أخبر به رسول الله ﷺ، ومنها: بعثته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وموته، وفتح بيت المقدس، وظهور نار الحجاز، وغيرها من الأشراط التي وقعت وانقضت، قال السفاريني رحمه الله: "اعلم أنَّ أشراط السَّاعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى، وهي الأمارات البعيدة، وقسم ظهر ولم ينقض، بل لايزال في زيادة حتى إذ ابلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها السَّاعة، وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها"[3].

ب- ظهرت ولا تزال تتابع باستمرار مثل كثرة الزلازل، وتضييع الأمانة، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، واتخاذ المساجد طُرُقًا، ورفع العلم، وكثرة الجهل، وغيرها من الأشراط الكثيرة.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٤٦٠.

(٢) فتح الباري ١٣/٧٩.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٢/٦٦.

ج- لم تظهر بعد مثل: الدجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وهي أشراط السَّاعة الكبرى ويعقبها قيام السَّاعة.

٢- مكان وقوع الأشراط.

أ- سماوية: مثل: انشقاق القمر، وطلوع الشَّمس من مغربها.

ب- أرضيَّة: خروج المسيح الدجَّال، والدابَّة، وخروج النَّار، والريح التي تقبض أرواح المؤمنين.

٣- في نفس الشرط، أهو معتاد أم لا.

قال ابن كثير رحمه الله: "فأمَّا خروج الدابَّة على شكلٍ غريبٍ غير مألوف، ومخاطبتها النَّاس، ووسمها إيَّاهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات وذلك أول الآيات الأرضيَّة"(١).

ومنهم من قسَّمها إلى قسمين:

١- أشراط صغرى: وهي التي تتقدَّم السَّاعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد، مثل: قبض العلم، وظهور الجهل، والتطاول في البنيان.

٢- أشراط كبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة، مثل: ظهور الدجَّال، ونزول المسيح، وخروج الدابَّة(٢).

رابعًا: وقت قيام الساعة

بيَّنت النصوص الشرعية أنَّ معرفة موعد قيام الساعة من الأمور الغيبية التي لم يطلع عليها مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل، بل اختصَّ الله عَزَّوَجَلَّ بها نفسه، وذكر ابن

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ١/٢١٤.

(٢) ينظر لهذه التقسيمات: البعث والنشور، ص١٨٢، فتح الباري ١٣/٨٥، لوامع الأنوار ٢/٦٦، التذكرة، للقرطبي، ص٦٢٤، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص١٩٧، الإشاعة لأشراط الساعة، ص٢٩، ١٥٣، ١٩١.

عجيبة ذلك فقال: "ومن جملة الغيب: قيام السَّاعة"(١).

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾(٢).

قال ابن جرير رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمَّد ﷺ: (قُلْ) يا محمَّد لسائليك من المشركين عن السَّاعة متى هي قائمة؟: (لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ) الذي قد استأثر الله بعلمه، وحجب عنه خلقه غيره، والساعة من ذلك"(٣).

وقال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٤).

قال ابن سعدي رحمه الله: يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: يسألونك: أي المكذبون لك، عن السَّاعة، أي متى وقتها الذي تجيء به، ومتى تحل بالخلق؟.

فقل لهم: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ مختصٌّ بعلمها، ولا يظهرها لوقتها الذي قدر أن تقوم فيه إلا هو، وخفي علمها على أهل السَّماوات والأرض، واشتدَّ أمرها أيضًا عليهم، فهم من الساعة مشفقون، وهي تأتي فجأة فلم يستعدوا ويتهيؤوا لقيامها وهم حريصون على سؤالك عن الساعة، كأنك مستحفٌّ عن السؤال عنها، ولم يعلموا أنك -لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنه- غير مبال بالسؤال عنها، ولا حريص على ذلك، فلم لا يقتدون بك، ويكفُّون عن الاستحفاء عن هذا السؤال

---

(١) البحر المديد ٤/٢١١.

(٢) سورة النمل: ٦٥-٦٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ١٩/٤٨٦.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٧.

الخالي من المصلحة المتعذِّر علمه، فإنه لا يعلمها نبيٌّ مرسل، ولا مَلَكٌ مقرَّب، وهي من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق، لكمال حكمته وسعة علمه[1].

وقال ابن عجيبة في تفسيره للآية السابقة: "يقول الحقُّ جلَّ جلاله: يسألونك أي: قريش، عن السَّاعة أي: قيام النَّاس من قبورهم للحساب، أيَّان مرساها أي: متى إرساؤها؟، أي: ثبوتها ووقوعها، قل: إنما علمها عند ربي استأثر بعلمها، لم يُطْلِع عليها ملكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا، لا يجلِّيها لوقتها أي: لا يظهرها عند وقت وقوعها، إلا هو، والمعنى إنَّ إخفاءها يستمرُّ إلى وقت وقوعها، ثقلت في السَّماوات والأرض: عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها، وكأنَّه إشارة إلى الحكمة في إخفائها، أو ثقلت على السموات والأرض أنفسهما لتبدلهما وتغير حالهما، لا تأتيكم إلا بغتة فجأة على غفلة"[2].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: «خمس من الغيب لا يعلمهنَّ إلا الله»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[4]، [5].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٣١٠.

(٢) البحر المديد ٢/٢٨٩، و٧/٢٣٤.

(٣) سورة الأحزاب: ٦٣.

(٤) سورة لقمان: ٣٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، ١/١٩، رقم ٥٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزًا[1] يومًا للنَّاس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث» قال: ما الإسلام؟» قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصَّلاة، وتؤدِّي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: متى الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السَّائل»[2].

ورَأْيُ ابن عجيبة في هذه المسألة لا يختلف عن تقريرات أهل السُّنَّة والجماعة.

رابعًا: رأيه فيما قيل في تحديد عمر الدنيا

نقل ابن عجيبة في تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[3]، قول ابن عطية: "وأمرها مجهول التحديد، وكل ما يروى من التحديد في عمر الدنيا فضعيف، وعليه الجمهور، يعني عدم التعيين"[4].

وقد وُفِّق بهذا النَّقل، الذي لا يشك عاقل أنَّ تحديد عمر الدنيا لم يأتِ عن رسول الله ﷺ فيه لفظةٌ تصح، قال ابن حزم: "فإنَّ اليهود يقولون: للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف، والنصارى يقولون: للدنيا خمسة آلاف سنة، وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا، وأما من ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر أو أقل فقد كذب وقال ما لم يأت قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح، بل صح عنه

---

(١) بارزًا: من البروز، وهو: الظهور. ينظر: النهاية في غريب الأثر ١/٩٥.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٣، رقم ٣٧.

(٣) سورة القمر: ١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٢١١.

ﷺ خلافه بل نقطع على أنَّ للدنيا أمرًا لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾[(١)]"، [(٢)].

ويقول محمد رشيد رضا[(٣)]: "وما جاء في الآثار من أنَّ عمر الدنيا سبعة آلاف سنة مأخوذ من الإسرائيليات التي كان يبثها زنادقة اليهود والفرس في المسلمين"[(٤)].

وذكر العلماء أنَّ أيَّ حديثٍ يخالف صريح القرآن فهو موضوع[(٥)].

خامسًا: أشراط الساعة الصغرى

عدَّ ابن عجيبة بعضًا من أشراط الساعة الصغرى ومنها:

١- بعثة النبي ﷺ.

٢- انشقاق القمر.

وذكر هذا عند تفسيره لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ**﴾[(٦)].

"فقد جاء أشراطها: علاماتها، جمع شرط بالتحريك، بمعنى العلامة، وهي مبعث محمد ﷺ، وانشقاق القمر"[(٧)]، وهذه العلامات التي ذكرها ابن عجيبة صحيحة ودلَّت عليها النصوص الشرعية، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية

(١) سورة الكهف: ٥١.

(٢) الفِصَل ٢/٨٤، وينظر: النهاية في الفتن والملاحم ١/١١.

(٣) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني، بغدادي الأصل، ولد سنة ١٢٨٢هـ، أنشأ مجلة المنار، وتوفي سنة ١٣٥٤هـ. ينظر: الأعلام ٦/٣٦١-٣٦٢.

(٤) تفسير المنار ٩/٣٩٣.

(٥) ينظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص٧٣، والمقاصد الحسنة، ص٦٩٣.

(٦) سورة محمد: ١٨.

(٧) البحر المديد ٥/٣٦٦، و٥/٥٢١.

السَّابقة: أي أمارات اقترابها كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾[(١)]، وكقوله جلَّت عظمته: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[(٢)]، وكقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٣)]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[(٤)]، فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط السَّاعة؛ لأنَّه خاتم الرُّسل الذي أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحُجَّة على العالمين، وقد أخبر ﷺ بأمارات السَّاعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله ..."[(٥)].

وقال القرطبي رحمه الله -وهو يتحدَّث عن أشراط الساعة-: "أوَّلُها النَّبي ﷺ؛ لأنه نبيٌّ آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي"[(٦)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتى كأنَّه منذرُ جيش، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، ويقول: «بُعثت أنا والسَّاعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السَّبابة والوسطى ..."[(٧)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[(٨)].

---

(١) سورة النجم: ٥٦-٥٧.

(٢) سورة القمر: ١.

(٣) سورة النحل: ١.

(٤) سورة الأنبياء: ١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣١٥/٧.

(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ١٢١٩/٣.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٢/٢، رقم ٨٦٧.

(٨) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، ١٣٢/٨، رقم ٢٨٠٠.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[1] وكان انشقاقه بمكة قبل الهجرة"[2]، وعن أنس رضي الله عنه أنَّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر"[3].

٣- قطع الأرحام[4].

جاءت أدلة الكتاب والسُّنَّة محذِّرةً من قطيعة الرحم؛ لأنَّها سببٌ للَّعنة والحرمان من دخول الجنَّة، قال الله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾[5].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم السَّاعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة»[6].

---

(١) سورة القمر: ١.

(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة، ص١٠.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، ١١٥٨/٤، رقم ٢٨٠٢.

(٤) ينظر: البحر المديد ٣٦٦/٥، و٣٧١/٥.

(٥) سورة محمد: ٢٢.

(٦) أخرجه أحمد ١٦٢/٢، رقم ٦٥١٤، والحاكم ٥٥٨/٤، رقم ٨٥٦٦، وقال: صحيح الإسناد، وأخرجه أيضًا: عبد الرزاق ٤٠٤/١١، رقم ٢٠٨٥٢، والحسين بن الحسن المروزي في زوائده على الزهد، لابن المبارك، ص٥٦٠، رقم ١٦١٠، والبزار ٤٠٩/٦، رقم ٢٤٣٥، والحديث صحيح، صحَّحه الألباني في الصحيحة ٣٦١/٥، رقم ٢٢٨٨.

سادسًا: أشراط الساعة الكبرى

١- خروج الدجَّال[١] وسبب تسميته بالمسيح.

قال ابن عجيبة: "وأمَّا المسيح الدجَّال فإنَّه ممسوح إحدى العينين، أو لأنه يطوف الأرض ويمسحها، إلا مكة والمدينة"[٢].

لقد دلَّت الأحاديث الصحيحة على فتنة المسيح الدجَّال، وأنه لا يبقى شيء إلا سيطؤه، إلا مكة والمدينة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجَّال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقبٌ إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كلَّ كافرٍ ومنافق»[٣].

وجاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنَّ الدجَّال قال: «فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة -يعنى المدينة- فهما محرَّمتان عليَّ كلتاهما، كُلَّما أردت أن أدخل واحدة، أو واحدًا -منهما- استقبلني مَلَك بيده السيف صلتًا يصدُّني عنها، وإنَّ على كلِّ نقبٍ منها ملائكة يحرسونها"[٤].

---

(١) لفظ الدجَّال على وزن فعَّال بفتح أوله، والتشديد من الدجل وهو التغطية، وأصل الدجَّال معناه: الخلط، يقال: دجل: إذا لبس وموه، وجمع دجال: دجالون، ودجاجلة، وسُمي الدجَّال دجالًا؛ لأنه يغطي الحق بباطله، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويههم عليه، وتلبيسه عليهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث ١٠٢/٢، لسان العرب ٢٣١/١١، فتح الباري ٣١٨/٢.

(٢) البحر المديد ٣٥٤/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة ٢٤/٢، رقم ١٨٨١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ٨٣/١٨، مع شرح النووي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «حدَّثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجَّال فكان فيما يحدثنا به أنه قال: «يأتي الدجَّال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ[1] التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل هو خير الناس -أو من خير الناس- فيقول له: أشهد أنك الدجَّال الذي حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجَّال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه»[2].

وجاءت النصوص مبيِّنة أوصاف الدجَّال فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بُعِثَ نبيٌّ إلا وقد أنذر أُمَّته الأعور الكذَّاب ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك. ف. ر»[3].

٢- نزول عيسى عليه السلام.

قال ابن عجيبة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[4]، يقول الحقُّ جلَّ جلاله: وإن من أهل الكتاب أي ما من يهودي ولا نصراني، أي الموجودين حين نزوله إلا ليؤمننَّ بعيسى قبل موته أي عيسى، وذلك حين نزوله من السَّماء، روي أنه ينزل من السَّماء حين يخرج الدجَّال فيهلكه، ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن به، حتى تكون

(١) السباخ: بكسر المهملة جمع سبخة محرَّكة ومسكنة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٣٣٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل المدينة الدجَّال، ٢/٢١، رقم ١٨٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، ٤/٣٢٦، رقم ٧١٣١.

(٤) سورة النساء: ١٥٩.

المِلَّة واحدة، وهي ملَّة الإسلام، وتقع الأمنة حتى يرتع الأسود مع الإبل، والنُّمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيَّات، ويلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلِّى عليه المسلمون ويدفنونه، وقيل الضمير في (به) إلى عيسى، وفي (موته) إلى الكتابي، أي: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمننَّ بعيسى بأنه عبد الله ورسوله، قبل موته أي: قبل خروج نفس ذلك الكتابي إذا عاين الملك، فلا ينفعه حينئذ إيمانه؛ لأنَّ كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل، ويؤيد هذا قراءة من قرأ: {ليؤمنُنَّ به قبل موتهم} بضم النُّون؛ لأنَّ (أحدًا) في معنى الجمع، وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به من قبل أن يضطر إليه ولم ينفعه إيمانه، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا يشهد على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله، والله تعالى أعلم"[1].

وقال في موضع آخر: "ثم يقبض عيسى، ويدفن في روضته ﷺ"[2].

ثم قال: "ثم تخرب الكعبة، ثم ينفخ في الصُّور للصعق، واقترب الوعد الحق"[3].

وما ذكره ابن عجيبة من نزول عيسى عليه السلام حقٌّ وثابتٌ في الكتاب والسُّنَّة، فقد "تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى بن مريم من السَّماء إلى الأرض عند قُرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة"[4].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[5]، قال ابن جرير رحمه الله: "وإنَّ عيسى ظهوره عِلْمٌ يُعلم به مجيء

---

(١) البحر المديد ٥٨٨/١.

(٢) المرجع نفسه ٤٩٩/٣ و٣٦٢/١.

(٣) نفسه ٤٩٩/٣.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٥٧/١١.

(٥) سورة الزخرف: ٥٧، ٦٠.

السَّاعة؛ لأنَّ ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليلٌ على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة"[١].

وقال القرطبي رحمه الله: وإنه ﴿لعَلَمٌ للسَّاعة﴾ (بفتح العين واللام) أي: أمارة، أي علامة وأمارة على قيام الساعة، وهذه القراءة مرويَّة عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة الحديث[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[٣].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به"[٤].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: "ويحتمل أنَّ الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب السَّاعة وظهور علاماتها الكبار"[٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٦].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٦٣١/٢١.

(٢) تفسير القرطبي ١٠٥/١٦.

(٣) سورة النساء: ١٥٩.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ١٨/٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢١٣/١.

(٦) سورة محمد: ٤.

قال البغوي رحمه الله: "معنى الآية: "أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام"[(١)].

والأحاديث في نزول عيسى عليه السلام متواترة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم إذا أُنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية (الحرب)، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[(٣)]"[(٤)].

أما قول ابن عجيبة: يقبض عيسى، ويدفن في روضته صلى الله عليه وسلم فلا يثبت، والذي يظهر أنه استند على الحديث الذي أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله إني أرى أني أعيش من بعدك فتأذن لي أن أُدفن إلى جنبك؟ فقال: وأنى لك بذلك الموضع؟ ما فيه إلا موضع قبري وقبر أبي بكر وقبر عمر رضي الله عنه وقبر عيسى ابن مريم"[(٥)].

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤/٢١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى عليه السلام ٦/٤٩١، رقم ٣٢٦٥.

(٣) سورة النساء: ١٥٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ٦/٤٩٠-٤٩١، رقم ٢١٠٩.

(٥) تاريخ دمشق ٤٧/٥٢٣.

قال ابن كثير رحمه الله: "وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعًا أنه يُدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر في الحجرة النبوية، ولكن لا يصح إسناده"(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وروي عنها في حديث لا يثبت أنها استأذنت النَّبي ﷺ إن عاشت بعده أن تُدفن إلى جانبه فقال لها: وأنى لك بذلك وليس في ذلك الموضع إلا قبري وقبر أبي بكر وعمر وعيسى ابن مريم"(٢).

أما قوله: (ثم تخرب الكعبة)، فهو صحيح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»(٣).

وقول النبي ﷺ: «ذو السويقتين» هما: تصغير ساقي الإنسان لرقَّتهما وهي صفة سوق السودان غالبًا، ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾(٤)؛ لأنَّ معناه آمنًا إلى قرب القيامة(٥).

وخرابه يكون بعد رفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، وذلك بعد موت عيسى عليه السلام(٦).

٣- خروج يأجوج ومأجوج.

فقيل: هما اسمان أعجميان مُنعا من الصَّرف للعلمية والعُجمة، وعلى هذا

---

(١) البداية والنهاية ٥٢٧/٢.

(٢) فتح الباري ٦٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب هدم الكعبة، ٥٩٢/١، رقم ١٥٩٦.

(٤) سورة القصص: ٥٧.

(٥) شرح النووي على مسلم ٣٥/١٨.

(٦) ينظر: تفسير القرطبي ٢٣٤/١٣.

فليس لهما اشتقاق؛ لأنَّ الأعجمية لا تُشتق من العربية، وقيل: بل هما عربيان، واختلف في اشتقاقهما، فقيل: من أجيج النار وهو التهابها، وقيل: من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة، وقيل: من الأج وهو سرعة العدو، وقيل: من الأجَّة بالتشديد وهي الاختلاط والاضطراب، وقرأ الجمهور: ياجوج وماجوج بدون همز، وأما قراءة عاصم فهي بالهمزة الساكنة فيهما[١].

وما ذُكر في اشتقاقهما يناسب حالهم، ويؤيد الاشتقاق من ماج بمعنى اضطرب قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[٢]، وذلك حين يخرجون من السَّد[٣].

ولقد أشار ابن عجيبة إلى هذه الأقوال.

قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[٤] وقَّت وعده بخروج يأجوج ومأجوج، أو بقيام السَّاعة بأن شارف قيامها"[٥].

وقرئ بالهمز فيهما؛ لأنه من أجيج النار، أي: ضوؤها وشررها، شُبِّهوا به في كثرتهم وشدَّتهم، وهو غير منصرف للعجمة والعلمية"[٦].

وتعرَّض ابن عجيبة لأصلهم، ونفى أنهم من ذرية آدم فقط دون حواء فقال: "هم جيل من الترك، وما يقال: إنهم من نطفة احتلام آدم لا يصح"[٧]، وهذا

---

(١) ينظر: لسان العرب ٢ /٢٠٧، فتح الباري، لابن حجر ١٣ /١٠٦، لوامع الأنوار البهية ١١٣/٢.

(٢) سورة الكهف: ٩٩.

(٣) الإشاعة لأشراط الساعة، ص٣٢٤.

(٤) سورة الكهف: ٩٨.

(٥) البحر المديد ٣٠٨/٣.

(٦) المرجع نفسه ٣٠٥/٣.

(٧) نفسه ٣٠٥/٣.

صواب، فهم من ذرية يافث أبي الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام[1].

وهم بشرٌ من ذرية آدم وحواء، ودليل ذلك: "عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبَّيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسع مئة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى، ولكن عذاب الله شديد» قالوا: وأينُّا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألف»[2].

وما قيل بأنهم من ذرية آدم لا من حواء؛ بسبب أنَّ آدم احتلم واختلط منيه بالتراب، لا دليل عليه بمن يُوثق بقوله[3].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا قولٌ غريبٌ جدًّا، لا دليل عليه لا من عقل، ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب؛ لما عندهم من الأحاديث المفتعلة"[4].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقد أشار النووي وغيره إلى حكاية من زعم أنَّ آدم نام فاحتلم فاختلط منيه بتراب فتولَّد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله وهو قول منكرٌ جدًّا لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب"[5].

وقد دلَّ على ظهورهم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسول الله ﷺ.

---

(١) ينظر: النهاية في الفتن والملاحم ١/٢٠١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج ٦/٣٨٢، رقم ٣٣٤٨.

(٣) ينظر: النهاية في الفتن والملاحم ١/٢٠١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/١٩٥.

(٥) فتح الباري ٦/٣٦٨.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[1].

وجاء السَّياق القرآني في قصَّتهم أثناء سياقه لقصة ذي القرنين:

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾[2].

وقال ابن عجيبة: "ثم يبعث الله عليهم مرضًا في رقابهم، فيموتون مرَّة واحدة، ثم يرسل الله عَزَّوَجَلَّ مطرًا تغسل الأرض منهم، ثم تُوضع فيها البركة، وهذا بعد خروج الدجَّال ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم تنقرض الدُّنيا"[3].

ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد خروج المسيح الدجَّال فيقتله الله عَزَّوَجَلَّ على يديه - بباب لُدٍّ[4]- ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله ببركة دعائه[5].

وجاء في حديث النَّواس بن سمعان -الطويل- في ذكر الدجَّال، وصفاته، وهلاكه، علي يد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدجَّال ذات غداة فخفض

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٦.

(٢) سورة الكهف: ٩٢-٩٨.

(٣) البحر المديد ٣/٣٠٨.

(٤) لُدٌّ: بالضم، والتشديد، وهو جمع ألد، والألد: الشديد الخصومة، وبباب لُدِّ: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى ابن مريم الدجَّال فيقتله. ينظر: معجم البلدان ٥/١٥.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/٥١٩-٥٢٠.

فيه ورفع حتى ظنَّناه في طائفة النَّخل، فلمَّا رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجَّال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنَّناه في طائفة النَّخل، فقال: «غير الدجَّال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كلِّ مسلم، إنه شابٌّ قطط[1]، عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله، فاثبتوا».

قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم».

قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره».

قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السَّماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًّا وأسبغه ضروعًا وأمدَّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين[2] ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول: لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[3]، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسَّيف فيقطعه جزلتين[4]

(١) قطط: صاحب الشعر الشديد الجعودة، ينظر: النهاية في غريب الحديث ٨١/٢.

(٢) ممحلين: بمعنى الذي أجدبت أرضه، وقحطت، وغلت أسعاره، ينظر: لسان العرب ٦١٧/١٧.

(٣) يعاسيب النحل: جمع يعسوب، وهو أصل فحل النحل، أي: تظهر له وتجتمع عنده كما يجتمع النحل على يعاسيبه، ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢٣٥/٣.

(٤) جزلتين: بكسر الجيم وسكون الزاي، أي: قطعتين. ينظر: تاج العروس ٢٤٠/٢٨.

رمية الغرض[1]، ثم يدعوه فيقبل ويتهلَّل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[2] واضعًا كفَّيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ[3] فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ[4] فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنَّة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يُدان لأحدٍ بقتالهم فحرِّز عبادي إلى الطُّور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كلِّ حدب ينسلون فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصر نبيُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف[5] في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[6] ونتنهم فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله

---

(١) الغرض: الهدف، أراد أنه يكون بعد ما بين القطعتين بقدر رمية السهم إلى الهدف. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٦٦٤/٣.

(٢) مهرودتين: روي بالدال، وبالذال، مفردها: مهرودة، وهو: الثوب الذي صبغ، والمعنى أنه لابس ثوبين مصبوغين بالورس، أي بالزعفران. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢٥٨/٥.

(٣) اللؤلؤ: أي ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، والجمان حبَّات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣٠١/١.

(٤) تقدم التعريف به، ص٥٤٤.

(٥) النغف:دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتها نغفة. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٨٧/٥.

(٦) زهمهم: أي: دسمهم وريحهم المنتنة، وأراد أن الأرض تنتن من جيفهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣١٣/٢.

مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[1]، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك ورُدِّي بركتك فيومئذٍ تأكل العصابة من الرُّمَّانة ويستظلون بقحفها[2] ويبارك في الرِّسْل[3] حتى إنَّ اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيِّبةً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كلِّ مؤمن وكلِّ مسلم ويبقى شرار النَّاس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر فعليهم تقوم السَّاعة"[4].

وعن أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلَّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها)»، قالت زينب بنت جحش: فقلتُ: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصَّالحون؟ قال: «نعم؛ إذا كثر الخبث»[5].

وعن حذيفة بن أُسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر السَّاعة قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر

---

(١) الزلفة: بالتحريك جمعها زلف: مصانع الماء، أراد أنَّ المطر يغدر في الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء، وقيل الزلفة: المرآة، شبهها بها لاستوائها ونظافتها. النهاية في غريب الحديث ٢ /٣٠٩.

(٢) قحفها: أي قشرها تشبيهًا بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل. المرجع السابق ١٧/٤.

(٣) الرِّسْل: بكسر الراء، وإسكان السين، وهو: اللبن. ينظر: شرح النووي، لمسلم ٩٦/١٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجَّال وصفته وما معه، ٢٢٥٥/٤، رقم ٧٥٦٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ٣٨١/٦، رقم ٣٣٤٦.

آيات ... ويأجوج ومأجوج»[1].

٤- طلوع الشمس من مغربها.

قال ابن عجيبة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[2]، وهو: طلوع الشَّمس من مغربها"[3].

وتفسيره لهذه الآية حقٌّ، فهي علامة من علامات السَّاعة، وهذا مقرَّرٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وأولى الأقوال بالصَّواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ذلك حين تطلع الشمس من مغربها"[4].

وثبت ذلك في الحديث الذي رواه أبو ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يومًا: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنَّ هذه الشمس تجري حتى تنتهي تحت العرش، فتخر ساجدةً فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فتخر ساجدةً ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئتِ فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها ثم تجري لا يستنكر النَّاس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرِّها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعةً من مغربك فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل قيام الساعة، ٤/٢٢٢٥، رقم ٧٤٦٨.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٨.

(٣) البحر المديد ٢/١٩٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ١٢/٢٦٦.

ذاك ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[1]»[2].

قال القرطبي رحمه الله: "قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسًا إيمانها عند طلوع الشَّمس من مغربها؛ لأنَّه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كلُّ شهوة من شهوات النَّفس، وتفتر كلُّ قُوَّةٍ من قُوى البدن، فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدنو القيامة- في حال من حضرة الموت؛ في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال؛ لم تُقبل توبته؛ كما لا تُقبل توبة من حضره الموت"[3].

ويقول ابن كثير رحمه الله: "إذا أنشأ الكافر أيمانًا يومئذ لا يُقبل منه، فأمَّا من كان مؤمنًا قبل ذلك؛ فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلِّطًا فأحدث توبةً حينئذ لم تُقبل منه توبه"[4].

وقال ابن أبي زمنين المالكي[5]: "وأهل السُّنَّة يؤمنون بطلوع الشَّمس من مغربها"[6].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمان الذي لا يقبل فيه الإيمان، ١٣٨/١، رقم ١٥٩.

(٣) التذكرة بأحوال الموتى والآخرة ١٣٤٦/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٧٦/٣.

(٥) أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الأندلسي، الإلبيري، شيخ قرطبة، ولد في أول سنة ٣٢٤هـ، وله مصنفات منها: حياة القلوب، وأدب الإسلام، وأصول السُّنَّة، توفي في ربيع الآخر سنة ٣٩٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٣.

(٦) أصول السُّنَّة، ص١٨٤.

٥- **خروج الدابة.**

قال ابن عجيبة في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾(١) وإذا وقع القول عليهم أي: وقع مصداق القول الناطق بمجيء السَّاعة، بأن قرب إتيانها، وظهرت أشراطها، فأراد بالوقوع: دنوه واقترابه، ... و{وقع}: عبارة عن الثُّبوت واللُّزوم، وهذا بمنزلة: حقَّ عليه كلمة العذاب، أي: وإذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمَّنه القول الأزلي، وأراد أن ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب أخرج لهم دابةً من الأرض"(٢).

وقال في موضعٍ آخر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٣) سيريكم آياته قطعًا في الدُّنيا، التي وعدكم بها، كخروج الدابَّة وسائر الأشراط"(٤).

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الدابَّةُ تخرج في آخر الزَّمان عند فساد النَّاس وتركهم أوامر الله عَزَّوَجَلَّ وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابةً من الأرض فتكلِّم الناس على ذلك"(٥).

وقد رود ذكر خروج الدابة في السُّنَّة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادروا بالأعمال ستًّا: الدجَّال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشَّمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة(٦) أحدكم».

---

(١) سورة النمل: ٨٢.

(٢) البحر المديد ٤/٢١٨.

(٣) سورة النمل: ٩٣.

(٤) البحر المديد ٤/٢٧٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤/٢١٩.

(٦) خويصة أي: الواقعة التي تخص أحدكم، يريد حادثة الموت التي تخص كل إنسان، وهي تصغير خاصة، وصغرت لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٣٧.

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة قال: «إنها لن تقوم السَّاعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجَّال، والدابة، وطلوع الشَّمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد النَّاس إلى محشرهم»[1].

٦- الدخان.

هو من العلامات الكبرى لأشراط الساعة، وقد ذكر ذلك ابن عجيبة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾[2].

يقول الحقُّ جلَّ جلاله: "فارتقب فانتظر يوم تأتي السَّماء بدخانٍ مبين، قال عليٌّ وابن عباس وابن عمر والحسن رضي الله عنهم: «هو دخان يجيء قبل يوم القيامة، يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضج رؤوس المنافقين والكافرين ...»، وانكر هذا ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: «هذا الدخان قد رأته قريش حين دعا عليهم النَّبي بسبعٍ كسبع يوسف[3] فكان الرَّجل يرى من الجوع دُخانًا بينه وبين السَّماء»[4].

ولكنه بعد ذلك ذكر تفسيرًا صوفيًّا إشاريًّا للدُّخان بقوله: يوم يبرز من سماء الغيوب بدخان الحس، وظلمة الأسباب تغشى قلوب النَّاس، فتحجبهم عن شمس العرفان[5] .

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل قيام الساعة، ٢٢٢٥/٤، رقم ٢٩١٠.

(٢) سورة الدخان: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾، ٥١١/٨، رقم ٤٨٢٣.

(٤) البحر المديد ٤٥/٧.

(٥) المرجع نفسه ٤٥/٧.

وهذا التفسير الإشاري لا يُقبل منه؛ لأنَّه لم يطابق شروط قبول التفسير الإشاري الذي مرَّ معنا.

وابن عجيبة أصاب في رأيه الأول ولكنه لم يثبت على ذلك.

وللعلماء في هذه المسألة قولان:

الأول: أنه هو الذي أصاب قريش من شِدَّة الجوع، وهذا القول ذهب إليه ابن مسعود، وجماعة من السَّلف رضي الله عنهم(١).

ورجَّح هذا القول الطبري فقال: "وإنما قلتُ: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية؛ لأنَّ الله جلَّ ثناؤه توعَّد بالدخان مشركي قريش وأنَّ قوله لنبيِّه ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾(٢) في سياق خطاب الله كفَّار قريش وتقريعه إيَّاهم بشركهم بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾(٣)، ثم أتبع ذلك قوله لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾(٤) أمرًا منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدًا للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيدًا لهم قد أحلَّه بهم أشبه من أن يكون أخَّره عنهم لغيرهم.

والقول الثاني: أن هذه العلامة من أشراط الساعة المنتظرة، وممن ذهب لهذا القول ابن عباس، وبعض الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، روى ابن جرير الطبري عن عبد

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٥/١١١-١١٣، وتفسير القرطبي ١٦/١٣١، وابن كثير ٧/٢٣٢.

(٢) سورة الدخان: ١٠.

(٣) سورة الدخان: ٨-٩.

(٤) سورة الدخان: ١٠.

الله بن أبي مليكة[1] قال: «غدوتُ على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لمَ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»[2].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن عباس حبر الأُمَّة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ... مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أنَّ الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال الله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[3] أي: بيِّن واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسَّر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شِدَّة الجوع والجهد، وهكذا قوله: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4] أي: يتغشَّاهم ويعمهم، ولو كان أمرًا خياليًّا يخصُّ أهل مكة المشركين، لما قيل فيه: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾[5].

وقال ابن جرير رحمه الله:"وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحلَّ بالكفَّار الذين توعَّدهم بهذا الوعيد ما توعَّدهم، ويكون محلًا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك؛ لأنَّ الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بأنَّ ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عن عبد الله بن مسعود

---

(١) عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المكي، توفي سنة ١١٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٤٢٩، والمقتنى في سرد الكنى ١/١١٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/١٧.

(٣) سورة الدخان: ١٠.

(٤) سورة الدخان: ١١.

(٥) تفسير ابن كثير ٧/٢٤٩.

ﷺ، فكلا الخبرين اللَّذين رُويا عن رسول الله ﷺ صحيح"[1].

وبهذا يتضح صحة ما ذهب إليه ابن عجيبة من ذِكْرِه لعلامات السَّاعة الكبرى، وسأذكر بعض نقول الأئمة في معتقداتهم التي يؤكدون على وجوب الإيمان بها.

قال ابن منده[2]: "ذكر وجوب الإيمان بالآيات العشر التي أخبر بها رسول الله ﷺ التي تكون قبل قيام الساعة ... ودابة الأرض ... "[3].

وقال الطحاوي رحمه الله: "ونؤمن بأشراط السَّاعة من خروج الدجَّال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السَّماء، ونؤمن بطلوع الشَّمس من مغربها، وخروج دابة من الأرض من موضعها"[4].

وقال ابن قدامة رحمه الله: "ويجب الإيمان بكلِّ ما أخبر به النبي ﷺ وصحَّ به النَّقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنَّا، نعلم أنه حقٌّ، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه ... ومن ذلك أشراط السَّاعة، مثل خروج الدجَّال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشَّمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل"[5].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/٢٢.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الأصبهاني، مؤرِّخ ومن حُفَّاظ الحديث الثقات، ولد سنة ٣١٠هـ، وتوفي سنة ٣٩٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٨/١٧، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٥٢/١٥.

(٣) الإيمان ٩١٧/٢-٩١٨-٩١٩.

(٤) شرح العقيدة الطحاوي، بشرح ابن أبي العز الحنفي، ص٧٥٤.

(٥) لمعة الاعتقاد، ص٢٨-٢٩-٣٠.

المبحث الثاني:
أحوال اليوم الآخِر

أولًا: تعريف اليوم الآخر

اليوم مفرد أيَّام، مقداره من طلوع الشَّمس إلى غروبها، أو من طلوع الفجر الصَّادق إلى غروب الشَّمس، أو انتشار ضوء البصر وافتراقه، وقد يُراد به الوقت والحين نهارًا كان أو ليلًا[1]، قال ابن فارس: "الياء والواو والميم كلمةٌ واحدة، وهي اليومُ الواحدُ من الأيام"[2].

والآخِرُ: نقيضُ المتقدِّم، قال ابن فارس: "الهمزة والخاء والراء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ إليه ترجع فروعه وهو خلافُ التقدُّم"[3].

ويراد باليوم الآخر يوم القيامة الذي يبعث الله عَزَّوَجَلَّ فيه الناس للحساب والجزاء، وإنما سُمِّى يومُ القيامة (اليومَ الآخر)؛ لأنه آخر يوم، لا يومَ بعده سواه[4].

قال الطبري رحمه الله: "فإن قال قائل: وكيف لا يكون بعده يوم، ولا انقطاعَ للآخرة ولا فناء، ولا زوال؟ قيل: إنَّ اليوم عند العرب إنما سمي يومًا بليلته التي قبله، فإذا لم يتقدَّم النَّهار ليل لم يسمَّ يومًا، فيوم القيامة يوم لا ليل بعده، سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة، فذلك اليوم هو آخر الأيام، ولذلك سماه الله جل ثناؤه

---

(١) ينظر: القاموس المحيط ٦٢٩/١، تاج العروس ٣١٨/١٤، ١٤٣/٣٤، لسان العرب ٢٣٦/٥، المصباح المنير ٦٢٧/٢.

(٢) مقاييس اللغة ١٥٩/٦.

(٣) المرجع نفسه ٧٠/١.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٩/٣، فتح الباري ١١٨/١، معارج القبول ٧٠٣/٢، وجامع البيان في تأويل القرآن ٢٧١/١.

(اليوم الآخر)، ونعته بالعقيم، ووصفه بأنه يوم عقيم؛ لأنَّه لا ليل بعده"[1].

والإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان وبه يطمئنُّ القلب إلى خبر الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه، ثم يطمئنُّ إلى خبره عمَّا بعد الموت من أمور البرزخ وما بعدها من أحوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كلَّه عيانًا، وهذا حقيقة اليقين الذي وصف به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهل الإيمان حيث قال: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[2]، فلا يحصل الإيمان بالآخرة حتى يطمئنَّ القلب إلى ما أخبر الله سبحانه به عنها طمأنينته إلى الأمور التي لا يشكُّ فيها ولا يرتاب، فهذا هو المؤمن حقًّا باليوم الآخر"[3].

ثانيًا: معنى الإيمان باليوم الآخر

هو التصديق الجازم بكل ما أخبر به الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ في سُنَّته، ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط السَّاعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، وبالنَّفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنَّة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ، وبالنَّار وعذابها الذي أشدُّه حجبهم عن ربهم عَزَّوَجَلَّ[4].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٢٧٢/١.

(٢) سورة البقرة: ٤.

(٣) الروح، ص٢٢١.

(٤) ينظر: أعلام السُّنَّة المنشورة، بتصرف، ص٥٥.

ثالثًا: فتنة القبر

قال ابن عجيبة في تفسيره لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1]: "يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهو لا إله إلا الله، أو كل ما يثبت في القلب، ويتمكن فيه من الحق، بالحُجَّة الواضحة في الحياة الدنيا مدة حياتهم، فلا يزلون إذا افتتنوا في حياتهم، أو عند موتهم، وهي حسن الخاتمة، وفي الآخرة عند السؤال، فلا يتلعثمون إذا سُئلوا عن معتقدهم في القبر، وعند الموقف، فلا تدهشهم أهوال القيامة"[2].

وذكر اسم الملكين اللذين يسألان الميت فقال: وفي الخبر «إذا وضع العبد في القبر، أتاه منكر ونكير، أسودان أزرقان ...»[3].

وهذا ثابتٌ في الكتاب والسُّنَّة وأقوال سلف الأُمَّة بأنَّ الميت يفتن في قبره ويسأله منكر ونكير.

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[4].

وقد فسَّرها النبي ﷺ بفتنة القبر، فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٢) البحر المديد ٥/٣٩٦.

(٣) شجرة اليقين بما يتعلق بكون رب العالمين، ص٢٠٢.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٧.

﴿ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[1]»، [2].

وأمَّا الأحاديث في إثبات فتنة القبر فمتواترة كما قال ابن القيم[3]، وأورد السيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور منها من رواية ستة وعشرين من الصحابة رضي الله عنهم ومنها:

١- عن أسماء رضي الله عنها: «وإنه قد أوحي إليَّ أنَّكم تُفتنون في القبور مثل أو قريب من فتنة المسيح الدجَّال»[4].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبر الميت، أو قال: أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يقال له، نَم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نَم كنومة العروس[5] الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه[6]، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعتُ الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ ٦/٨٠، رقم ٤٦٩٩.

(٣) الروح، ص٥٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ من الغشي المثقل، ١/٨٠، رقم ١٨٤.

(٥) العروس: يطلق على الذكر والأنثى في أول اجتماعهما، وقد يقال للذكر: العريس، وإنما شبّه نومه بنومة العروس؛ لأنه يكون في طيب العيش. ينظر: تحفة الأحوذي ٣/١٣٤.

(٦) هذه العبارة تدلُّ على مكانته وعزته عند أهله، فيأتيه ليلة زفافه من هو أحب وألطف فيوقظه على الرفق واللين. ينظر: تحفة الأحوذي ٣/١٣٤.

للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها مُعذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[1].

٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العبد إذا وضع في قبره وتُوُلِّيَ وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنتَ تقول في هذا الرَّجل محمَّد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النَّار، أبدلك الله به مقعدًا من الجنَّة، قال النبي ﷺ: فيراهما جميعًا، وأمَّا الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه فيصيح صيحةً يسمعها من يليه إلَّا الثقلين"[2].

٤- وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبي ﷺ كان يقول: «اللَّهم إنِّي أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر»[3].

وتسمية ابن عجيبة للملكين بمنكر ونكير موافقٌ لما قرَّره أهل العلم المحققون، قال أبو بكر الإسماعيلي: "ويؤمنون بمسألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ مع قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[4]"، [5].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ٣٧٤/٢، رقم ١٠٧١، وابن حبان، باب اسم الملكين اللذين يسألان الناس في قبورهم ٣٨٦/٧، رقم ٣١١٧، وابن أبي عاصم في ظلال الجنة، باب في القبر وعذاب القبر، ١١٤/٢، وقال الألباني: حسن صحيح. ينظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ٩٩/٥، رقم ١٣١٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، ٤١٠/١، رقم: ١٣٣٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المآثم والمغرم، ١٦٦/٤، رقم ٦٣٦٨.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٥) اعتقاد أهل السُّنَّة شرح أصحاب الحديث ١٥٢/١.

وقرَّر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه حيث قال: "ونؤمن بملك الموت الموكَّل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربِّه ودينه ونبيِّه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم، والقبر روضة من رياض الجنَّة أو حفرة من حفر النيران"(١).

وقال أبو عمر الداني: (فصل في القبر وفتنته): "ومن قولهم: إنَّ المؤمنين والكافرين يحيون في قبورهم، ويُفتنون ويسألون، وإنَّ فتَّاني القبر أسودان أزرقان وهما منكر ونكير، يسألان المؤمن والكافر كما صحَّ الخبر وثبت النَّقل بذلك عن رسول الله ﷺ؛ وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(٢)، وأنَّ أرواح المؤمنين منعَّمة إلى يوم الدين، وأنَّ أرواح الكافرين في العذاب الأليم"(٣).

وهذه الأخبار ثابتة توجب العلم، فنرغب إلى الله أن يثبِّتنا في قبورنا عند مسألة منكر ونكير بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة(٤).

رابعًا: النَّفخ في الصور والصعق

بيَّن ابن عجيبة أنَّ النافخ في الصُّور هو إسرافيل عليه السلام صاحب القرن(٥)، الذي ذكر في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾(٦)، "وهو القرن الذي ينفخ فيه

(١) شرح ابن أبي العز ١/٥٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٣) الرسالة الوافية ١/١٩٧.

(٤) ينظر: السُّنَّة ٢/٤١٩، شرح السُّنَّة، للبربهاري ١/٣٧.

(٥) ينظر: شجرة اليقين بما يتعلق بكون رب العالمين، ص٢٠٧.

(٦) سورة النمل: ٨٦.

إسرافيل عليه السلام[1].

ولقد ورد تسمية الصور بالقرن، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: ما الصُّورُ؟ قال: «قرْنٌ يُنفَخ فيه»[2].

والصُّور كهيئة البوق[3]، وقد يقول قائل: إنَّ تشبيه الصُّور بالبوق تشبيه قبيح؛ لأنَّ البوق من آلات المعازف، ويجاب عليه بأنَّه "لا يلزم من كون الشيء مذمومًا أن لا يشبه به الممدوح فقد وقع تشبيه صوت الوحي بصلصلة الجرس مع النهي عن استصحاب الجرس كما تقدم تقريره في بدء الوحي، والصُّور إنما هو قرن كما جاء في الأحاديث المرفوعة"[4].

وجاءت تسميته بصاحب القرن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ»[5].

وقد أجمع العلماء على أنَّ الذي ينفخ في الصُّور هو إسرافيل، قال القرطبي رحمه الله: "قال علماؤنا: والأمم مجمعون على أنَّ الذي ينفخ في الصُّور إسرافيل عليه السلام"[6].

---

(١) البحر المديد ٤/٢٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود، باب في ذكر البعث والصور ٤/٢٣٦، رقم ٤٧٤٢، والترمذي، في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور، ٥/٣٧٣، رقم ٣٢٤٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه الكبرى ٦/٤٤٨، رقم ١١٤٥٦، وأحمد في مسنده ٢/١٩٢، رقم: ٦٨٠٥، وابن حبان في صحيحه ١٦/٣٠٤، رقم ٧٣١٢، والحاكم في مستدركه ٢/٥٥٠، رقم ٣٨٧٠، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الشيخ الألباني: صحيح، ينظر: السلسلة الصحيحة ٣/١٥٤.

(٣) نقله الحافظ ابن حجر عن مجاهد. ينظر: فتح الباري ١١/٤٤٦.

(٤) فتح الباري ١٨/٣٥٩.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٣٧٣، رقم ٣٢٤٣، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٧/٢٤٣.

(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ١/٤٨٨.

وقال ابن عجيبة عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾[1] أي: نفخ في الصور ... واختُلف في أنَّ المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية، والحقُّ أنها الثانية؛ إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين، وأمَّا النفخة الأولى فحكمها -الذي هو الإصعاق- يعمُّ البر والفاجر، على أنها مختصة بمن كان حيًّا عند وقوعها، وقد جاء في الأخبار: أنَّ في الصور ثقبًا بعدد الأرواح، وأنها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية، فتخرج عند النفخ من كلِّ ثقبة روح، فترجع إلى الجسد الذي نزعت منه، فيعود الجسد كما كان حيًّا"[2].

ومال ابن عجيبة في عدد النفخات إلى قول القرطبي، وظاهره أنَّ النفخ مرتان فقط، واعتمده القرطبي وغيره[3].

وقد اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات، وذهب إليه جماعة من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير، وابن العربي المالكي[4].

قالوا: إنَّ هذه النفخات نفخة فزع، ونفخة صعق، ونفخة بعث.

نفخة الفزع: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾[5].

---

(١) سورة المدثر: ٨-١٠.

(٢) البحر المديد ١٧٣/٧.

وهذا الخبر أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٦٠٣/٢ من قول وهب بن منبّه، وسنده فيه محمد بن إبراهيم بن علاء، وهو منكر الحديث، ينظر: التقريب، ص٤٦٦، رقم ٥٦٩٨، وذكره الحافظ في فتح الباري ٣٦٧/١١، والسيوطي في الحبائك في أخبار الملائك، ص٣١-٣٢، وإن ثبت هذا الأثر فهو من الإسرائيليات.

(٣) البحر المديد ٢٢٢/٤.

(٤) نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٤٩/١١.

(٥) سورة طه: ١٠٢.

والنفخة الثانية نفخة الصعق، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1].

والنفخة الثالثة: نفخة البعث، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[2][3].

القول الثاني: أنهما نفختان، وذهب إليه طائفة من أهل العلم، كالقرطبي، وابن حجر، والشوكاني، رحمهم الله[4].

واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[7].

والذي يظهر أنهما نفختان فقط؛ لثبوت الاستثناء بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في كلٍّ من الآيتين، ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معًا من النفخة الأولى[8].

---

(١) سورة الزمر: ٦٨.

(٢) سورة الزمر: ٦٨.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٣٥/١٦، والفتن والملاحم ٢٧٠/١، والبيان والتحصيل ٣٦٨/١٨.

(٤) ينظر: فتح الباري ٤٤٩/١١، وفتح القدير ١٥٤/٤، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة ٥٠٧/١.

(٥) سورة يس: ٤٩.

(٦) سورة النازعات: ٦.

(٧) سورة الزمر: ٦٨.

(٨) فتح الباري ٣٧٠/١١، تفسير القرطبي ٢٤٠/١٣.

ولم يجزم ابن عجيبة بالمستثنى من الصعق في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[(١)]، فقال: إن قلنا: المراد بها النفخة الثانية، فالمستثنى هم من سبقت لهم الحسنى، بدليل قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[(٢)]، وإن قلنا: هي نفخة الصعق، فالمستثنى قيل: هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وقيل: الحور وحملة العرش، وإن قلنا: المراد نفخة الفزع في الدنيا، فالمستثنى أرواح الأنبياء والأولياء والشهداء والملائكة[(٣)].

واستضعف بعض أهل النظر أكثر هذه الأقوال؛ لأنَّ الاستثناء وقع من سكان السَّماوات والأرض وهؤلاء ليسوا من سكانها؛ لأنَّ العرش فوق السماوات فحملته ليسوا من سكانها وجبريل وميكائيل من الصافِّين حول العرش ... ويدل على أنَّ المستثنى غير الملائكة ما أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وصححه الحاكم من حديث لقيط بن عامر مطولًا وفيه: «يلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصائحة[(٤)] فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من أحد إلا مات حتى الملائكة الذين مع ربك ...»[(٥)].

ورجَّح الطبري والقرطبي وابن كثير والحليمي أنَّ المستثنى في الآية هم الشهداء[(٦)].

---

(١) سورة الزمر: ٦٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٣.

(٣) ينظر: البحر المديد ٢٢٣/٤.

(٤) الصائحة هي: صيحة المناحة والفزع، المعجم الوسيط، باب الصاد ٥٣٠/١.

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند ١٣/٤، والطبراني في معجمه الكبير ٢١٤/١٩، رقم ٤٧٧، وأبو داوود في سننه ٢٢١/٣، رقم ٣٢٦٦، وصححه الحاكم في المستدرك ٦٠٨/٤، رقم ٨٦٨٣.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣٣١/٢١، التذكرة بأحوال الموتى والآخرة ٤٥٤/١، النهاية في الفتن والملاحم ٣٨٨/٢، المنهاج ٤٣١/١.

وذكر ابن عجيبة أنَّ مقدار ما بين النفختين أربعون سنة[1]، والصحيح أنه لم يرد في ذلك نصٌّ ثابتٌ بتقديرها، بل الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه يدلُّ على عدم علمه بها، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بين (ما بين) النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون سنة قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون شهرًا قال: أَبَيْتُ ..."[2].

فقول أبي هريرة لما قيل له أربعون سنة: (أَبَيْتُ) بالموحَّدة ومعناه: امتنعت من تبيينه؛ لأنِّي لا أعلمه فلا أخوض فيه بالرأي[3]، وذكر ابن حجر رحمه الله عدم صحَّة النصوص التي ورد فيها تحديد مقدار ما بين النفختين، فقال: "وقد جاء أن بين النفختين أربعين عامًا قلتُ: وقع كذلك في طريق ضعيف عن أبي هريرة في تفسير بن مردويه، وأخرج بن المبارك في الرقائق من مرسل الحسن (بين النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله عَزَّوَجَلَّ بها كل حي، والأخرى يحيي الله عَزَّوَجَلَّ بها كل ميت)، ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو ضعيف أيضًا، وعنده أيضًا ما يدلُّ على أنَّ أبا هريرة لم يكن عنده علم بالتعيين فأخرج عنه بسندٍ جيد أنه لما قالوا: أربعون ماذا؟ قال هكذا سمعت"[4].

خامسًا: الحشر وأهل الموقف

بيَّن ابن عجيبة الحشر وأهواله في كثيرٍ من الآيات، فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[5]: "و(حشرناهم):

---

(١) البحر المديد ٣/٣٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ونفخ في الصور، ٣/٢٨٥، رقم ٤٨١٤.

(٣) ينظر: فتح الباري ١١/٣٧٠.

(٤) المرجع نفسه ١١/٣٧٠، وينظر: مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار ٢/٨.

(٥) سورة الكهف: ٤٧.

عطف على (نُسيِّر) للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المشركون"[1].

وقال في تفسيره لآية أخرى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[2]: "لنجمعنَّهم بالسوق إلى المحشر بعد ما أخرجتهم من الأرض"[3].

وفسَّر قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[4]: "وذلك يوم الحشر والناس في الموقف"[5].

وتختلف أحوال الناس في الموقف فبعضهم يكون عليه مقدار خمسين ألف سنة، وهو على الكفَّار قدر خمسين ألف سنة لهوله[6]، أمَّا المؤمن فإنه يهون مقدار صلاة مكتوبة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، قلتُ: يا رسول الله، ما أطول هذا اليوم؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلِّيها في الدنيا»[7].

---

(١) البحر المديد ٣/٣٧٦.

(٢) سورة مريم: ٦٨.

(٣) البحر المديد ٣/٣٥٣.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٥) البحر المديد ٣/٥٠٣.

(٦) ينظر: البحر المديد ٤/٩٢، ٣٨٧.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٣٩، رقم ١٧٢٨٢، وابن حبان في صحيحه، باب ذكر الأخبار عن وصف ما يخفف به طول يوم القيامة على المؤمنين ١٦/٣٢٩، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٩/٧٢ عن يونس، عن ابن وهب، بهذا الإسناد، وأبو يعلى في مسنده ٢/٥٢٧، رقم ١٣٩٠ من طريق الحسن بن موسى عن أبي لهيعة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٣٧، وقال: إسناده حسن على ضعف في الرواية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة يهون ذلك على المؤمنين كتدلِّي الشَّمس للغروب إلى أن تغرب»[1].

وأحوالهم متفاوتة على قدر أعمالهم فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، «حتى يغيب أحدهم في رشحه [3] إلى أنصاف أذنيه»[4].

أمَّا الكافر فيحشر على وجهه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[5].

وذكر ابن عجيبة حديث أنس رضي الله عنه أنَّ رجلًا سأل النبي ﷺ: كيف يحشر الكافر على وجهه؟ فقال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»[6] [7].

ويحشرون على وجوههم عميًا وبكمًا، وصمًّا، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[8].

ويرى ابن عجيبة أنهم حال كونهم عميًا وبكمًا وصمًّا لا يبصرون ما يقر

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب إخباره ﷺ عن البعث، ٣٢٨/١٦، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) سورة المطففين: ٦.

(٣) الرشح: هو: العرق؛ لأنَّه يخرج من البدن شيئًا فشيئًا كما يرشح الإناء المتخلخل الأجزاء. ينظر النهاية في غريب الحديث ٢٢٤/٢

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ٣٢١/٣-٣٢٢، رقم ٤٩٣٨.

(٥) سورة الفرقان: ٣٤.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، ٢٧١/٣، رقم ٤٧٦٠.

(٧) البحر المديد ٢٥٣/٣.

(٨) سورة الإسراء: ٩٧.

أعينهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم، لما كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر، ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه، ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار، مَؤُوفي[1] القوى والحواس، وأن يحشروا كذلك، ثم تعاد إليهم قواهم وحواسهم، فإن إدراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه[2].

وهذه الآية الكريمة يدلُّ ظاهرها على أنَّ الكفَّار يبعثون يوم القيامة عميًا وبكمًا وصمًّا.

وقد جاءت آياتٌ أُخر تدلُّ على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[3]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[4].

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنَّ هذا يكون في مبدأ الأمر ثم يَرُدُّ الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع.

---

(١) البحر المديد ٣/٢٣٥.

(٣) مَؤُوفي: صيغة جمع مضافة، من الآفة، وهي العاهة، وأيف الزرع: أصابته آفة، فهو مؤوف على وزن: معوف. انظر: الصحاح (أوف) ٤/١٣٣٣.

(٢) البحر المديد ٣/٢٣٥.

(٣) سورة الكهف: ٥٣.

(٤) سورة السجدة: ١٢.

الوجه الثاني: أنهم لا يرون شيئًا يسرُّهم، ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون بحجة، كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه، فنزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم لعدم الانتفاع به.

الوجه الثالث: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا قال لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[(١)] وقع بهم ذاك العمى والصم والبكم من شدَّة الكرب واليأس من الفرج، قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ﴾[(٢)] وعلى هذا القول تكون الأحوال الثلاثة مقدَّرة[(٣)].

والراجح أنهم في أول الحشر يكونون عميًا، وصمًّا، وبكمًا، ثم ترد إليهم حواسهم[(٤)].

وذكر ابن عجيبة أنَّ الأمم كلهم يحشرون حتى البهائم، والدواب، والطير، وهذا صواب، وهو الذي جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾[(٥)]، [(٦)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي جميع الحيوانات، الأرضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها، كما خلقناكم، ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا، كما كانت نافذة فيكم، وما أهملنا ولا أغفلنا

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٨.

(٢) سورة النمل: ٨٥.

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١/١٢٤.

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن ٤/١٢٧.

(٥) سورة الأنعام: ٣٨.

(٦) ينظر: البحر المديد ٢/٣٥٤.

في اللوح المحفوظ شيئًا من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللَّوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم.

وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الكتاب الأول قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد.

ويحتمل أن المراد بالكتاب هذا القرآن، وجميع الأمم تحشر وتجمع إلى الله في موقف القيامة، في ذلك الموقف العظيم الهائل، فيجازيهم بعدله وإحسانه، ويمضي عليهم حكمه الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، أهل السماء وأهل الأرض"[1].

سادسًا: الميزان والحساب

المِيْزَانُ في اللغة: مذكَّر، وأصله من الواو وجمعه (مَوَازِينُ)[2].

قال ابن فارس: "الواو والزاي والنون بناءٌ يدلُّ على تعديلٍ واستقامة، وزنت الشيءَ وزنًا، والزِّنة: قدرُ وزن الشَّيء"[3].

والميزان: هو الآلة التي يوزن بها الأشياء أو ما تقدَّر بها الأشياء خِفَّةً وثقلًا[4].

وقد أشار ابن عجيبة إلى هذا التعريف فقال: "وهو جمع ميزان، وهو ما يوزن به الشَّيء ليُعرف كميته، وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها"[5].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٢٥٥.

(٢) المصباح المنير ١/٣٣٩.

(٣) مقاييس اللغة ٦/١٠٧.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ١٣/١٧٦، لسان العرب ١٣/٤٤٦.

(٥) البحر المديد ٤/٥٢٠.

وفي الشَّرع: "ما توزن فيه الأعمال يوم القيامة، وهو ميزانٌ حقيقيٌّ له لسان وكفَّتان ولا يعلم قدره إلا الله"[1].

رأي ابن عجيبة في إثبات الميزان.

يُثبت ابن عجيبة الميزان، كما في قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2].

وأمَّا رأيه في الوزن هل هو للأعمال أم الصحائف، فيرى أنه لصحائف الأعمال، يقول: "﴿وَٱلۡوَزۡنُ﴾ أي: وزن الأعمال، على نعت الحق والعدل، حاصلٌ يوم القيامة، حين يُسأل الرَّسل والمُرسل إليهم، والجمهور على أنَّ صحائف الأعمال تُوزن بميزان له لسان وكفَّتان، ينظر إليه الخلائق؛ إظهارًا للمعدلة وقطعًا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم، فتعترف بها ألسنتهم، وتشهد بها جوارحهم، ويؤيده ما رُوِي: «أنَّ الرَّجل يُؤتى به إلى الميزان، فيُنشَر عليه تسعَةٌ وتِسعُونَ سِجلًّا، كُلُّ سِجلٍّ مدّ البصر، فتخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة، فتوضع السجلات في كفَّة، والبطاقة في كفَّة، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلَّات»[3]، وقيل: توزن الأشخاص؛ لما روي عنه ﷺ أنه قال: «إنَّه ليأتي العظيم السَّمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة»[4]، والتحقيق: أنَّ المراد به الإهانة والتصغير، وأنه لا

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ١٢٤٥/٦، لوامع الأنوار البهية ١٨٤/٢، ومجموع الفتاوى ٣٠٢/٤، تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان ١٧٨/٢.

(٢) سورة الأعراف: ٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٤٣٧/٢، رقم ٤٣٠٠، والحاكم في المستدرك١ /٧١٠، رقم ١٩٣٧، وقال: صحيح الإسناد، على شرط مسلم، والترمذي ٢٤/٥، رقم ٢٦٣٩، وقال: حسن غريب، وابن حبان ٤٦١/١، رقم ٢٢٥، واللفظ له، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٨٠٩٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، ٢٥٧/٣، رقم ٤٧٢٩.

يساوي عند الله شيئًا؛ لاتباعه الهوى.

ثم فصل في الأعمال فقال: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: حسناته، أو الميزان الذي يوزن به حسناته، وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن، فعلى الأول هو جمع موزون، وعلى الثاني جمع ميزان، فمن رجحت حسناته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾"[(١)].

ورَأْيُ ابن عجيبة موافقٌ لأقوال أهل العلم، قال البقاعي[(٢)]: "﴿وَٱلۡوَزۡنُ﴾ بميزانٍ حقيقيٍّ لصحف الأعمال أو للأعمال أنفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور أو بغير ذلك بعد أن يقذف الله في القلوب العلم به"[(٣)].

وقال ابن حجر رحمه الله: "وأجمع أهل السُّنَّة على الإيمان بالميزان، وأنَّ أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأنَّ الميزان له لسانٌ وكفَّتان، ويميل بالأعمال"[(٤)].

وقال أبو حاتم[(٥)] وأبو زرعة[(٦)]: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا

---

(١) البحر المديد ٢/٤٦٥، وينظر: تفسير البيضاوي ٣/٦.

(٢) هو: أبو الحسن، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط برهان الدين البقاعي الشافعي، ولد سنة ٨٠٩هـ، محدِّث ومفسِّر، مقرئ، من شيوخه: محمد بن محمد الجزري، وابن حجر العسقلاني، له مؤلفاتٌ منها: تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، وتنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، توفي سنة ٨٨٥هـ. ينظر: إمتاع الفُضَلاء بتَراجِم القُرَّاء فِيما بعد القرن الثامِن الهجري ٢/٧٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/٣٥٩، وينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٣٨٩.

(٤) فتح الباري ١٣/٥٣٨، وينظر: أصول السُّنَّة، ص١٦٢.

(٥) هو: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحافظ الغطفاني، أحد الأعلام، محدِّثٌ حافظ، قال عن نفسه: كتبت الحديث سنة ٢٠٩هـ، ولد سنة ١٩٥هـ، وتوفي سنة ٢٧٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٧، تذكرة الحُفَّاظ ٢/٥٦٧.

(٦) هو: أبو زرعة، عُبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي، مُحدِّث الرَّي، من مؤلفاته: كتاب الضعفاء والمتروكين، توفي سنة ٢٦٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٦٥، تذكرة الحُفَّاظ ٢/٥٥٧.

وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم ... أنَّ الميزان حق، له كفَّتان، توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها"[1].

ومسألة وزن الأعمال أو الصحائف مسألة خلافية بين أهل العلم:

فمنهم من قال: إنَّ الذي يوزن صحائف الأعمال، وهذا القول وصف بالمشهور، ونسب إلى جمهور المفسِّرين، واختاره القرطبي[2]، وابن الجوزي[3]، وابن عطيَّة[4]، والشوكاني[5]، واستدلُّوا بحديث البطاقة المشهور[6].

ومنهم من قال: إنَّ الذي يوزن الأعمال نفسها، وهذا ظاهر تبويب البخاري[7]، وصحَّحه ابن حجر[8]، وهو مفهوم كلام ابن تيمية[9]، وابن رجب[10]، رحمهم الله.

واستدلوا بأحاديث منها:

قول النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرَّحمن، خفيفتان على اللِّسان، ثقيلان في الميزان ...»[11].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ١/١٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/١٦٥-١٦٦.

(٣) زاد المسير ٣/١٧٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٤٣٣.

(٥) فتح القدير٢ /٩٧.

(٦) تقدم، ص٥٧١.

(٧) باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ وأنَّ أعمال بني آدم وقولهم يوزن، ٦/٢٧٤٩.

(٨) فتح الباري١٣/٦٧٢، قال: والصحيح أنَّ الأعمال هي التي توزن.

(٩) مجموع الفتاوى ٤/٢٠٣.

(١٠) جامع العلوم والحكم ٢/١٦، عند الحديث الثالث والعشرين.

(١١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، ٤/٢٠١١، رقم ٦٤٠٦.

وقول النبي ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان ...»[1].

ومنهم من قال: إنَّ الذي يوزن العامل نفسه، نقله البغوي[2]، وابن الجوزي[3]، وابن كثير[4]، واستدلُّوا بالحديث الذي ذُكر فيه مناقب ابن مسعود رضي الله عنه عند ما صعد على الشجرة ليجتني للصحابة رضي الله عنهم فهبت الرِّيح وكشفت عن ساقيه فضحكوا فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أُحُد»[5].

وقيل: إنَّ العامل يوزن مع عمله وصحيفته[6]، وهذا الذي يظهر قال ابن كثير رحمه الله: "وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارةً توزن الأعمال، وتارةً توزن محلها، وتارة يوزن فاعلها"[7]، والله أعلم.

سابعًا: الصراط

الصِّراطُ في اللغة: الطريق، وجسرٌ ممدودٌ على متن جهنَّم، منعوت في الحديث الصحيح، والسِّراطُ بالسِّين لغةٌ فيه[8].

وفي الشَّرع: "جسمٌ ممدودٌ على ظهر جهنَّم يرده الأوَّلون والآخرون حتى الكُفَّار والأنبياء والصدِّيقون ومن يدخل الجنَّة بغير حساب"[9].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ٢٠٣/١، رقم ٢٢٣.

(٢) معالم التنزيل ١٤٩/٢.

(٣) زاد المسير ١٧١/٣.

(٤) النهاية في الفتن والملاحم ٢٢٩/٢.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٤/١، رقم ٤٢١، والطبراني في معجمه الكبير ٢٨/١٩، رقم ٥٩، والطيالسي في مسنده ١٤٥/١، رقم ١٠٧٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٥٨/٣، وقال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه، والحديث صحَّحه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٧٠/٦، رقم ٢٧٥٠.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٦١٠/٢، وينظر: معارج القبول ٨٥٤/٢.

(٧) تفسير ابن كثير ٣٥١/٣، لمعة الاعتقاد، ص١٢١.

(٨) القاموس المحيط ٦٧٥/١، وينظر: تاج العروس ٤٣٧/١٩.

(٩) الاقتصاد في الاعتقاد، ص٥٦، وينظر: رسالة لأهل الثغر ٢٦٨/١.

رأي ابن عجيبة في الصراط:

ذكر ابن عجيبة أنَّ الصراط هو: الجسرُ المنصوبُ على متن جهنَّم، والناس يتباينون في المرور عليه بقدر أعمالهم، فمنهم من يمر عليه كالفرس والجواد، ومنهم كالريح العاصف، وهو أرقُّ من الشَّعرة، وأحدُّ من السَّيف(١)، وذكر المقصود من قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾(٢) أنَّ الناس يمرون على الصراط والنار من تحت أقدامهم(٣).

وبهذا يؤيد القول بأنَّ المرور على الصِّراط ليس المقصود منه الدخول، فعن أم مبشّر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة رضي الله عنها: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النَّبيُّ ﷺ قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾(٤)، (٥).

قال ابن أبي العز رحمه الله: واختلف المفسِّرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾(٦)، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾(٧)، أشار ﷺ إلى أنَّ ورود النار

---

(١) ينظر: شجرة اليقين بما يتعلق بكون رب العالمين، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) سورة مريم: ٧١.

(٣) ينظر: شجرة اليقين بما يتعلق بكون رب العالمين، ص٢٢٦.

(٤) سورة مريم: ٧٢.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ١٦٩/٧، رقم ٦٥٦٠.

(٦) سورة مريم: ٧١.

(٧) سورة مريم: ٧٢.

لا يستلزم دخولها، وأنَّ النَّجاة من الشرِّ لا تستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكَّنوا منه، يقال: نجَّاه الله منهم ... كذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجِّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًّا، فقد بيَّن ﷺ في الحديث المذكور: أنَّ الورود هو الورود على الصِّراط[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "وفسَّر النَّبيُّ ﷺ الورود بهذا، وهذا عامٌّ لجميع الخلق"[2].

ثامنًا: حقيقة الروح وعلاقتها بوحدة الوجود عند ابن عجيبة:

قال ابن عجيبة: "وحقيقة الإنسان هي: روحانية، وهي لطيفة نورانية جبروتية، ثم احتجبت ببشرية كثيفة ناسوتيه"[3]، وقال في موضعٍ آخر: " وكون الأرواح حادثة يجري على مذهب أهل الفرق، وأمَّا أهل الجمع فلا حادث عندهم لفناء الكائنات عن نظرهم ... وسألتُ بعض إخواننا العارفين: هل الأرواح حادثة أو قديمة؟ فقال: الرجال الأشباح عندهم قديمة، ويشير إلى مقام الفناء كما تقدَّم لكنه سرٌّ مكتوم"[4].

ويقول أيضًا: "وسمو الأرواح أسرارًا؛ لأنَّها لما اتصفت رجعت لأصلها وهي قطعة من السِّر الجبروتي القديم، فإذا استولت على الأشباح رجع الجميع قديمًا"[5].

وهذه الأقوال فاسدةٌ باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّ الكلام على الروح قد قُيِّد بقيود ثقال من الوحيين "ولا يجوز لأحدٍ أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يقول

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٠٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/٣٣٠.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٣٩.

(٤) معراج التشوف، ص٤٨.

(٥) المرجع نفسه، ص٧٢، وينظر: البحر المديد ٦/٤٠٠، وإيقاظ الهمم، ص٢٠٢.

على الله ما لا يعلم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وليس في الكتاب والسُّنَّة أنَّ المسلمين نهوا أن يتكلَّموا في الروح بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأمَّا الكلام بغير علم فذلك محرَّمٌ في كلِّ شيء"[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب الصَّحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأُمَّة وأئمة السُّنَّة أنَّ الروح عينٌ قائمةٌ بنفسها تفارق البدن وتُنعَّم وتُعذَّب ليست هي البدن، ولا جزءًا من أجزائه كالنَّفس المذكور، ولما كان الإمام أحمد رحمه الله ممَّن نصَّ على ذلك كما نص عليه غيره من الأئمة لم يختلف أصحابه في ذلك ..."[4].

وقال في موضعٍ آخر: "والصَّواب أنها ليست مركَّبة من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة، وليست من جنس الأجسام المتحيِّزات المشهودة المعهودة، وأمَّا الإشارة إليها فإنه يُشار إليها، وتصعد، وتنزل، وتخرج من البدن، وتُسَلُّ منه، كما جاءت بذلك النصوص ودَلَّت عليه الشواهد العقلية، وأمَّا قول القائل أين مسكنها من الجسد؟ فلا اختصاص للروح بشيءٍ من الجسد بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد، فإنَّ الحياة مشروطة بالروح فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة وإذا فارقته الروح فارقته الحياة"[5].

---

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف: ٣٣.

(٣) من كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤/٢٣٠.

(٤) مجموع الفتاوى ١٣/٣٤١.

(٥) المرجع نفسه ٩/٣٠٢.

وبيَّن ابن القيم حقيقة الروح فقال: "إنَّه جسمٌ مخالفٌ بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسمٌ نورانيٌّ، علويٌّ، خفيفٌ، حيٌّ، متحرِّك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدُّهن في الزيتون، والنَّار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحةً لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللَّطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحسِّ والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح، وهذا القول هو الصواب في المسألة هو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دلَّ الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة"(١).

وذكر ابن تيمية رحمه الله أصناف القائلين بقدم الروح فقال: "واعلم أنَّ القائلين بقدم الروح صنفان:

صنفٌ من الصابئة(٢) الفلاسفة يقولون: هي قديمة أزلية لكن ليست من ذات الرب، كما يقولون ذلك في العقول، والنفوس الفلكية، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة.

وصنفٌ من زنادقة هذه الأُمَّة وضُلَّالها -من المتصوفة والمتكلِّمة والمحدثة- يزعمون أنها من ذات الله، وهؤلاء أشرُّ قولًا من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت، وهو روحه، ونصف ناسوت، وهو جسده نصفه رب ونصفه عبد، وقد كفَّر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح فكيف بمن يعم

---

(١) الروح، ص١٧٨.

(٢) الصابئة: من صبأ، وهو الخروج من دين إلى دين، وهم قسمان: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر، ينظر: الملل والنحل ٢/٢٨٩.

ذلك في كلِّ أحد؟ حتى في فرعون: وهامان وقارون"[(١)].

وقال في موضعٍ آخر: "من قال إنَّ أرواح بني آدم قديمة غير مخلوقة فهو من أعظم أهل البدع الحلولية الذين يجر قولهم إلى التعطيل، بجعل العبد هو الرب، وغير ذلك من البدع الكاذبة المضلة"[(٢)].

وذكر في موضعٍ آخر أيضًا الأدلة على أنَّ الروح مخلوقة فقال: "وكل ما دلَّ على أنَّ الإنسان عبدٌ مخلوقٌ مربوب، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ربه وخالقه ومالكه وإلهه فهو يدلُّ على أنَّ روحه مخلوقة، فإنَّ الإنسان عبارة عن البدن والروح معًا بل هو بالروح أخصُّ منه بالبدن وإنما البدن مطيَّة للرُّوح"[(٣)].

وذكر تلميذه ابن القيم اثني عشر وجهًا تدلُّ على أنَّ الروح مخلوقة، فقال: "فصلٌ، والذي يدلُّ على خلقها وجوه منها:

الوجه الأول: قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[(٤)]، فهذا اللَّفظُ عامٌّ لا تخصيص فيه بوجهٍ ما، ولا يدخل في ذلك صفاته فإنها داخلة في مُسمَّى اسمه، فالله سبحانه هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخل في مُسمَّى اسمه ليس داخلًا في الأشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها، فهو سبحانه وصفاته الخالق وما سواه مخلوق، ومعلومٌ قطعًا أنَّ الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته وإنما هي مصنوعٌ من مصنوعاته فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجنِّ والإنس.

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٢٢١-٢٢٢.

(٢) المرجع نفسه ٤/٢٢٦.

(٣) نفسه ٤/٢٢٠-٢١٢-٢٢٢.

(٤) سورة الأنعام: ١٠٢.

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[1] وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط؛ فإنَّ البدن وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل وإنما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح.

الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

الوجه الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[3]، وهذا الإخبار إنما يتناول أرواحنا وأجسادنا كما يقوله الجمهور، وأمَّا أن يكون واقعًا على الأرواح قبل خلق الأجساد كما يقوله من يزعم ذلك وعلى التقدير فهو صريحٌ في خلق الأرواح.

الوجه الخامس: النصوص الدالة على أنه سبحانه ربنا ورب آبائنا الأولين ورب كل شيء، وهذه الربوبية شاملة لأرواحنا وأبداننا، فالأرواح مربوبة له مملوكة كما أنَّ الأجسام كذلك، وكل مربوب مملوك فهو مخلوق.

الوجه السادس: أول سورة في القرآن وهي الفاتحة، تدلُّ على أنَّ الأرواح مخلوقة من عدة أوجه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] والأرواح من جملة العالم فهو ربها.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[5] فالأرواح عابدة له

---

(١) سورة مريم: ٩.

(٢) سورة الصافات: ٩٦.

(٣) سورة الأعراف: ١١.

(٤) سورة الفاتحة: ١.

(٥) سورة الفاتحة: ٥.

مستعينة، ولو كانت غير مخلوقة لكانت معبودةً مستعانًا بها.

الثالث: أنها فقيرة إلى هداية فاطرها وربها تسأله أن يهديها صراطه المستقيم.

الرابع: أنها منعم عليها مرحومة ومغضوب عليها وضالة شقية، وهذا شأن المربوب والمملوك لا شأن القديم غير المخلوق"[١].

تاسعًا: علاقتها بوحدة الوجود

زعم ابن عجيبة أنَّ الروح جزءٌ من ذات الله، ولكن انفصلت عنه، وحُبست في البدن فحنَّت لنصفها اللاهوتي فتجلَّى الله لها -تعالى الله عمَّا يقول- فالروح عبارة عن محلِّ التجليات الإلهية وكشف الأنوار الملكوتية، والسر: عبارة عن محل التجليات الإلهية، وكشف الأنوار الملكوتية للخواص، والسر لخواص الخواص[٢].

ووصول الروح إلى مرتبة السر الفانية في شهود ذات الله عَزَّوَجَلَّ غاية كبرى -عنده- موصلة إلى عقيدة وحدة الوجود، فلذلك قال: "وأمَّا السرُّ فهو الأمر الخفي الذي لا يُدرك، فلذلك قالوا في الخمرة الأزلية والمعاني القديمة أسرار، وسمَّوا الأرواح بعد التصفية أسرارًا؛ لأنها لما تصفَّت رجعت لأصلها، وهي قطعةٌ من السر الجبروتي القديم، فإذا استولت على الأشباح رجع الجميع قديمًا"[٣].

وهذه التصفية للروح تكون عن طريق شيخ التربية[٤] -كما يزعم- الذي أرجعها إلى أصلها حتى يصل إلى الغيبة عن الخلق بشهود الملك الحق[٥] "ثم تكون

---

(١) الروح، ص١٤٦.

(٢) ينظر: معراج التشوف، ص٤٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٧١، وينظر: الفتوحات الإلهية، ص٣١.

(٤) سيأتي الحديث عن الصلة بين الشيخ والمريد في الباب الثالث.

(٥) ينظر: إيقاظ الهمم، ص٦٤.

مطمئنة حين تطمئنُّ بشهود الحقِّ بلا واسطة، بل تستدلُّ بالله على غيره، فلا ترى سواه، فحينئذٍ ترجع إلى أصلها، وترُجع الأشياء كلها إلى أصولها، وهو القدم والأبد، فيتلاشى الحادث ويبقى القديم وحده، كما كان وحده"[1].

وقوله: إنَّ الروح جزءٌ من ذات الله، ثم انفصلت عنه هو في الحقيقة عقيدة فلسفية أفلاطونية، تأثَّر بها ابن عجيبة وغيره من الصوفية[2]، وهي كما قال التفتازاني[3]: "ونحن نجد فكرتهم هذه تشبه فكرة الفيلسوف اليوناني أفلاطون[4] في أنَّ النفس الإنسانية كانت موجودة من قبل عالم آخر غير هذا العالم، وذلك قبل أن تهبط إلى البدن، حيث كانت في صحبة الآلهة، ومتحققة بمعرفة المثل، وأنَّ معرفتها بالمثل بعد حلولها في البدن عبارة عن تذكُّر للمعرفة السابقة لها في صحبة الآلهة"[5].



---

(١) البحر المديد ٧/١٨٧.

(٢) ينظر: التصوف كوعي وممارسة، ص٢٠٧.

(٣) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، سعد الدين، ولد بتفتازان سنة ٧١٢هـ، من مصنفاته: تهذيب المنطق، مقاصد الأدلة، مات سنة ٧٩١هـ بسمرقند. ينظر: الدرر الكامنة ٤/٣٥٠، بغية الوعاة ٢/٢٨٥.

(٤) أفلاطون: فيلسوف يوناني من أثينا، تلميذ سقراط، أنشأ مدرسة على أبواب أثينا سُمِّيت بالأكاديمية نسبة إلى بستان أكاديموس الذي تطلُّ عليه، وأقام فيها معبدًا وجعلها جمعية دينية علمية، توفي سنة ٤٢٧ قبل الميلاد. ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص٦٢.

(٥) ابن عطاء الله السكندري وتصوفه، ص١٥٨.

المبحث الثالث: الجنَّة والنَّار

أولًا: الجنَّة والنار مخلوقتان موجودتان

يعتقد ابن عجيبة أنَّ الجنة والنار مخلوقتان، يقول في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[(١)]: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ أي: هُيِّئت للمتقين، وفيه: "دليلٌ على أنَّ الجنَّة مخلوقة، وأنَّها خارجةٌ عن هذا العالم"[(٢)].

وقال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٣)]، "وفيه إشعارٌ بأنَّ النَّار موجودة إذ لا يُعَدُّ المعدوم، وأنَّها بالذات مُعَدَّة للكافرين، وبالعرض للعاصين"[(٤)].

وما ذهب إليه ابن عجيبة في تفسيره للآيات السابقة هو حقٌ دلَّت عليه النصوص الشرعية وأقوال المفسرين.

قال القرطبي رحمه الله: "وعامَّة العلماء على أنَّ الجنّة مخلوقةٌ موجودة ..."[(٥)].

وقال ابن كثير رحمه الله: الأظهر أنَّ الضمير في ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ عائدٌ إلى النَّار التي وقودها الناس والحجارة، ويحتمل عوده على الحجارة، ... وقد استدلَّ كثيرٌ من أئمة السُّنَّة

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٣.

(٢) البحر المديد ١/٤٠٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٠-١٣١.

(٤) البحر المديد ١/٤٠٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٠٥.

بهذه الآية على أنَّ النَّار موجودة الآن؛ لقوله: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ أي: أُرْصِدت وهُيِّئت"[1].

والأحاديثُ مستفيضةٌ بذلك.

أمَّا أقوال العلماءِ في صِحَّة هذا القول فهي مقرَّرةٌ في كتبهم.

قال الطحاوي رحمه الله: "والجنَّة والنَّار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإنَّ الله تعالى خلق الجنَّة والنَّار قبل الخلق، وخلق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنَّة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النَّار عدلًا منه، وكلٌّ يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدَّران على العباد"[2].

وقال الآجري رحمه الله: "كتاب الإيمان والتصديق بأنَّ الجنَّة والنار مخلوقتان، وأنَّ نعيم الجنَّة لا ينقطع عن أهلها أبدًا، وأنَّ عذاب النَّار لا ينقطع عن أهلها أبدًا"[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[4]: "وهما مخلوقتان الآن؛ لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ وفي النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾، والإعداد التهيئة، ولقوله، صلى الله عليه وسلم حين صلَّى صلاة الكسوف: «إنِّي رأيت الجنة، فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النَّار، فلم أر كاليوم منظرًا قط أفظع»[5]، [6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٢٠٢.

(٢) متن العقيدة الطحاوية، ص٥٠.

(٣) الشريعة ٣/١٣٤٢.

(٤) هو: أبو عبد الله، محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل، من آل مقبل، من آل ريِّس الوهيبي التميمي، ولد في عنيزة سنة ١٣٤٧هـ، وتعلم القرآن على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان الدامغ رحمه الله، ومن شيوخه: الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، له مؤلفات منها: الشرح الممتع على زاد المستنقع، وشرح العقيدة الواسطية وغيرها، توفي عام ١٤٢١هـ. ينظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، ص١٤٢، ابن عثيمين الإمام الزاهد، ص٢٩٦.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٥/٧٠.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، ١/٣٣١، رقم ١٠٥٢.

ثانيًا: الجنة والنار لا تفنيان

يذهب ابن عجيبة إلى أنَّ الجنة والنار لا تفنيان، يقول في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1]: "إنَّ الله لعن الكافرين أبعدهم عن رحمته، وأعد لهم سعيرًا نارًا شديدة التسعير، أي: الإيقاد، خالدين فيها أبدًا، وهذا يرد مذهب الجهمية في زعمهم أن النار تفنى، و(خالدين): حال مقدرة من ضمير «لهم». لا يجدون وليا يحفظهم، ولا نصيرا يمنعهم ويدفع العذاب عنهم"[2].

وهو يوافق ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ولا غرابة في ذلك فإنَّ ابن عجيبة أشعريُّ المعتقد، والأشاعرة مطبقون على ذلك[3].

قال ابن أبي زمنين رحمه الله: "وأهل السُّنَّة يؤمنون بأنَّ الجنَّة والنَّار لا يفنيان ولا يموت أهلها ..."[4].

وقال أبو حاتم وأبو زرعه[5]: "والجنَّة حقٌّ، والنَّار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبدًا، والجنَّة ثوابٌ لأوليائه، والنَّارُ عقابٌ لأهل معصيته إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ"[6].

ثالثًا: مكان الجنَّة

قال ابن عجيبة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[7]، "يقول الحقُّ

(١) سورة الأحزاب: ٦٤.

(٢) البحر المديد ٤/٤١٦.

(٣) ينظر: تحفة المريد، ص٢٧١، والأبكار ٣/٢٤٨، والغنية في أصول الدين، ص١٦٧، والملل والنحل، ص٩٠.

(٤) أصول السُّنَّة، ص١٣٩.

(٥) تقدم التعريف بهما، ص٥٧٢.

(٦) شرح أصول أهل السُّنَّة ١/١٩٩.

(٧) سورة الأعراف: ٥٠.

جلَّ جلاله: ونادى يوم القيامة أصحاب النَّار أصحاب الجنَّة أن أفيضوا أي: صُبُّوا علينا من الماء، وفيه دليلٌ على أنَّ الجنَّة فوق النَّار"(١).

وقال: "وفي السَّماء ما تُوعدون من الثواب؛ لأنَّ الجنَّة في السَّماء السَّابعة، سقفها العرش"(٢).

ويقول أيضًا في قوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾(٣)؛ مرتفعة المكان؛ لأنها في السَّماء السَّابعة(٤).

والذي قرَّره في تفسيره دلَّت عليه النُّصوص الشرعية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله عَزَّوَجَلَّ أن يدخله الجنَّة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشِّر الناس؟ قال: «إنَّ في الجنة مائة درجة، أعدها الله عَزَّوَجَلَّ للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السَّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنَّه أوسط الجنَّة وأعلى الجنَّة، أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»(٥).

وعلَّق ابن القيم رحمه الله: على حديث: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»(٦) بقوله: "وهذا يدلُّ على أنها في غاية العلو والارتفاع، والله أعلم"(٧).

---

(١) البحر المديد ٢/٢٢١.

(٢) المرجع نفسه ٥/٤٧١.

(٣) سورة الحاقة: ٢٢.

(٤) البحر المديد ٧/١٢٧.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ٢/٣٠٣، رقم ٢٧٩٠.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٣٢١، والترمذي في سننه ٤/٦٧٥، والحاكم في مستدركه ٢/٩٣، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ١٢/٣٧٨.

(٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص٤٧.

الفصل السادس:

آراؤه في الإيمان بالقدر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى القدر ومراتبه.

المبحث الثاني: أفعال العباد.

المبحث الثالث: المشيئة والإرادة.

المبحث الأول:

معنى القدر ومراتبه

أولًا: تعريف القدر

القَدَر في اللُّغة: القضاءُ والحُكْم، قال ابن فارس: "القاف، والدال، والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مبلغ الشَّيءِ وكُنْهه ونهايته، فالقَدْرُ: مبلغ كلِّ شيء، يُقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغه، وكذلك القَدَر، وقَدَرتُ الشَّيء أقْدِرُه وأقْدُرُه من التقدير، وقدَّرْته أُقَدِّره، والقَدْرُ: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القَدَرُ أيضًا"[(١)]، وقال ابن سيده[(٢)]: "القَدَرُ: القضاءُ والحكْم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[(٣)]: أي الحُكْم"[(٤)]، وقال الفيروز آبادي: "القَدَر محرَّكة: القضاءُ والحكْمُ ومَبْلغُ الشَّيء، ويُضَمُّ كالمقدار والطاقة كالقَدْر فيهما ... والقَدْر: الغنى واليسار والقوة"[(٥)]، وقال الزبيدي[(٦)]: "والقدر: التعظيم، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[(٧)] أي ما عظَّموا الله حقَّ تعظيمه، والقدر: تدبير الأمر، يقال: قدَّره يقدِّره، بالكسر أي: دبره، والقدر: قياس الشَّيءِ بالشَّيء يقال: قدَّره به قَدْرًا،

---

(١) مقاييس اللغة ٥/٦٢-٦٣.

(٢) هو أبو الحسين، علي بن إسماعيل المرسي، إمام اللغة، ولد بمرسيه شرق الأندلس، وله مصنفات منها: المخصص، والمحكم والمحيط الأعظم. ينظر: وفيات الأعيان ٣/٣٣٠، سير أعلام النبلاء ١٨/١٤٤.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٦/١٨٣.

(٤) سورة القدر: ١.

(٥) القاموس المحيط ٢/١١٣.

(٦) محمد مرتضى بن محمد بن الحسن الزبيدي، أصله من واسط بالعراق، ونشأ في زبيد في اليمن، له مؤلفات منها: تاج العروس، إتحاف السَّادة المتقين، وكانت وفاته سنة ١٢٠٥هـ. ينظر: الأعلام ٧/٩٥.

(٧) سورة الزمر: ٦٧.

وقدَّره: إذا قاسه، ويقال أيضًا: قدرت لأمر كذا أقدر له، بهذا المعنى ... والقَدْر: الشَّرف، والعظمة، والتزيين، وتحسين الصُّورة"[1].

وفي الشَّرع:

قال ابن تيمية رحمه الله: "هو علمُ اللهِ وكتابُه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه"[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: هو "علمُ الله وقدرتُه وكتابتُه ومشيئتُه"[3].

وقال السَّفارينيُّ رحمه الله: "القدر عند السَّلف: ما سبق به العلم، وجرى به القلم، مما هو كائنٌ إلى الأبد، وأنه عَزَّوَجَلَّ قدَّر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل"[4].

ثانيًا: تعريف القضاء

القضاء في اللغة قال الخليل: "قضي: قضى يقضي قضاءً وقضيَّة أي: حكم، وقضى إليه عهدًا، معناه الوصية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾"[5] [6].

وفي الشرع:

قال ابن حجر رحمه الله: "هو الحكم الكُلِّي الإجمالي في الأزل، والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله"[7].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: هو ما قضى به الله عز وجل في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير[8].

---

(١) تاج العروس ١٣/٣٧٤، ٣٨٠.

(٢) جامع الرسائل ٢/٣٥٥.

(٣) شفاء العليل ٢/٧٣٣.

(٤) لوامع الأنوار ١/٣٤٨.

(٥) سورة الإسراء: ٤.

(٦) العين ٥/١٨٥.

(٧) فتح الباري ١١/٤٨٦.

(٨) ينظر: شرح العقيدة الواسطية ٢/١٨٧-١٨٨.

ثالثًا: تعريف ابن عجيبة

أ- تعريفه للقدر: "القَدَر -بتحريك الدال المهملة وسكونها- مصدر قدَّرتُ الشَّيءَ: إذا أحطت بمقداره، وهو عبارة عن تَعَلُّق عين علم الله بالكائنات قبل وجودها، فلا يظهر في عالم الشَّهادة شيءٌ من الخلائق إلا وقد سبق علمه وقدره السَّابق، ولا يصدر من خلقه قول ولا فعل ولا حركة ولا سكون إلَّا وقد سبق في علمه وقدره كيف يكون"(١).

ب- تعريفه للقضاء: "والرضا بقضائه وقدره هو: الخروج عن تدبيره واختياره إلى حسن تدبير الله عَزَّوَجَلَّ واختياره"(٢).

وقال في موضع آخر: "الرضا: تلقِّي المهالك بوجهٍ ضاحك، أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء، أو ترك الاختيار على الله فيما دَبَّر وأمضى، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهَّار"(٣).

رابعًا: مراتب القدر

ذكر ابن عجيبة مراتب القدر، وهي:

١- العلم:

قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾(٤)، "فقد أحاط الله بذلك، علمًا وسمعًا وبصرًا، فالآية مقرِّرة لما قبلها من كمال علمه وشموله"(٥).

---

(١) سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر، ص٥٠.

(٢) اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، ص٨٥.

(٣) معراج التشوف، ص٢٣.

(٤) سورة الرعد: ١٠.

(٥) البحر المديد ١٢/٣.

وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]: "لأنَّ علمه أحاط بكلِّ معلوم"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾[3]: "أحاط علمنا بكلِّ شيء، فنجري الأشياء على ما سبق به علمنا، واقتضته حكمتنا"[4].

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[5]: "ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلال"[6].

٢- الكتابة.

قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[7]: "الاستفهام للتقرير، أي: قد علمت أنَّ الله يعلم كل ما يحدث في السَّماء والأرض، ولا يخفى عليه شيءٌ من الأشياء، ومن جملتها: ما تقوله الكفرة وما يعملونه، إنَّ ذلك في كتابٍ في اللَّوح المحفوظ، إنَّ ذلك على الله يسير أي: علمه بجميع ذلك عليه يسير"[8].

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٨.

(٢) البحر المديد ٣/٦٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٨١.

(٤) البحر المديد ٣/٤٨٤.

(٥) سورة الزخرف: ٤٠.

(٦) البحر المديد ٥/٢٥٠.

(٧) سورة الحج: ٧٠.

(٨) البحر المديد ٣/٥٥١.

٣- **المشيئة**.

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾(١): "ونكتب ما قدَّموا أي: ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها، وآثارهم ما تركوه بعدهم من آثار حسنة ... وكل شيءٍ أحصيناه: حفظناه أو عددناه وبيَّناه في إمامٍ: كتاب مبينٍ اللوح المحفوظ؛ لأنَّه أصل الكتب وإمامها"(٢).

٤- **الخلق والإيجاد**.

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾(٣): "قُلْ يا محمَّدُ للمشركين: من ربُّ السماوات والأرض أي: خالقهما، ومدبِّر أمرهما، قل لهم: هو الله لا خالق سواه، ولا مدبِّر غيره، أجاب عنهم بذلك، إذ لا جواب لهم سواه؛ لأنهم يقرون به، ولكنَّهم يشركون به"(٤).

وقال في موضعٍ آخر: "والله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق وأعمالهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم"(٥).

وقال أيضًا: "يعلم الخواطر وخفيَّات السرائر بعلمٍ قديمٍ أزليٍّ لم يزل موصوفًا في

(١) سورة يس: ١٢.

(٢) البحر المديد ٤/٥٦٠.

(٣) سورة الرعد: ٥.

(٤) البحر المديد ٣/١٦.

(٥) مخطوط رسائل في العقائد ل/٥.

أزل الأزل لا بعلمٍ متجدِّد"[1].

وفي الحقيقة أنَّ ابن عجيبة أثبت مراتب القدر إجمالًا، لكنَّه خالف في المسائل التفصيلية في القدر، كما هو الحال في المذهب الأشعري، قال البيجوري: "فالقضاءُ والقدرُ راجعان لما تقدَّم من العلم والإرادة وتعلُّق القدرة"[2]، وقال الرازي في تقرير الدلائل الإخبارية على صحة القول بالقضاء والقدر: "الحجة الثلاثون: عن أبي ظبيان[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»[4]، فأدخل جميع أفعال العباد في هذا المكتوب"[5]، ثم يقول إن كتابة المقادير ليست واجبة؛ "لأنَّ المسلمين أجمعوا على أنَّ العلم بوجود اللَّوح المحفوظ، وبأنَّ الله أحدث فيه رقومًا خاصَّةً دالةً على أحوال هذا العالم؛ ليس من شرائط الإيمان ولا من واجباته"[6].

وهذا القول فاسدٌ؛ فالإيمان بالقدر واجبٌ وهو أحدُ أركان الإيمان الستَّة، قال النبي ﷺ حين سُئِل عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[7].

---

(١) مخطوط رسائل في العقائد ل/٢.

(٢) حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، ص١٨٩.

(٣) هو: أبو ظَبْيان، حصين بن جندب بن الحارث الجَنْبي الكوفي، من علماء الكوفة، مجمعٌ على صدقه، كان ممن غزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية سنة خمسين، مات سنة تسعين وقيل غير ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢١٢/٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣١٧/٥، رقم ٢٢٧٥٩، والطبراني في معجمه الكبير ٦٩/١٢، رقم ١٢٥٠٠، ومسند الشاميين ٣٩٨/٢، رقم ١٥٧٢، وعبد الرزاق في مصنفه ٢٧١/٧، رقم ٣٦٠٠٣، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع ٤٠٥/١، رقم ٢٠١٧.

(٥) المطالب العالية ٢٤٤/٩.

(٦) المرجع نفسه ٢٢١/٩.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة، ٤٠/١، رقم ٨.

خامسًا: المخالفات العقدية التي قرّرها ابن عجيبة في مسائل القدر

١- ترك التدبير والاختيار.

قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(١)]: "في الآية تحضيضٌ على ترك التدبير والاختيار، مع تدبير الواحد القهّار، وهو أصلٌ كبيرٌ عند أهل التصوُّف، أُفرد بالتأليف، وفي الحكم: «أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به أنت عن نفسك» ... فإذا علمت أيها العبدُ أنَّ الحق تعالى هو الذي يخلق ما يشاء ويختار، لم يبق لك مع الله اختيار، فالحالة التي أقامك فيها هي التي تليق بك، ولذلك قيل: العارف لا يعارض ما حلَّ به، فقرًا كان أو غنى"[(٢)].

وقال في موضعٍ آخر: "ومن ذلك قصيدة في سلب الإرادة مع الحق وترك التدبير على ألسنة هواتف الحق.

مرادي منك رفض ما سوانا   بقصد سيرك إلى الرَّشاد
مرادي منك الترك للحظوظ   وما يفضي بك إلى البعاد
مرادي منك نسيان اللحوظ   لغير حُبِّنا بلا مراد
فكل ما تبني من الأماني   تهدمه الأقدار باستبداد"[(٣)]

وصرَّح به ابن عجيبة فقال: "التحقيق أنَّ العبد مجبور، لكن في قالب الاختيار، فمن نظر للجبر الباطني سمَّاه حقيقة، ومن نظر لقالب الاختيار سمَّاه شريعة"[(٤)].

---

(١) سورة القصص: ٦٨.

(٢) البحر المديد ٤/٢٧٠.

(٣) الفهرسة، ص١٢٠.

(٤) الفتوحات الإلهية، ص٣٢٧.

وقال في موضعٍ آخر: "العبد إنما هو آلة مسخَّرة، فإذا سخَّره ربه تحرَّك، وإلا فلا، وإذا كان كذلك فلا نسبة لك في العمل إلا ظهور عليك الحكمة"[1]، ويقول أيضًا: "قد تقرَّر عند أهل الحق أنَّ العبد مجبور في قالب مختار، فليس له فعل ولا اختيار، وإنما الفاعل هو الواحد القهَّار، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾"[2]، فإذا تقرَّر هذا فكيف يطلب العبد الأجر على عملٍ ليس هو فاعله"[3].

فهو يقول بالجبر -باطنًا لا ظاهرًا-؛ لوقوعهم بين المقولة التي يزعمونها -الحقيقة والشريعة- وهذه العقيدة الفاسدة أجلاها علماء السَّلف وذمُّوها وبيَّنوا عورها.

قال ابن القيم رحمه الله: "مشهد أصحاب الجبر وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم، وأنها واقعة بغير قدرتهم، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتَّة، يقولون: إنَّ أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر، وأنَّ الفاعل فيه غيره، والمحرِّك له سواه وأنَّه آلة محضة، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح، وحركات الأشجار، وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجُّوا بالقدر، وحملوا ذنوبهم عليه، وقد يغلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كُلَّها طاعات خيرها وشرِّها؛ لموافقتها للمشيئة والقدر، ويقولون: كما أنَّ موافقة الأمر طاعة فموافقة المشيئة طاعة كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم، أنهم جعلوا مشيئة الله تعالى لأفعالهم دليلًا على أمره بها ورضاه، وهؤلاء شرٌّ من القدرية النُّفاة، وأشدُّ منهم عداوة لله ومناقضةً لكتبه ورسله ودينه، حتى إنَّ من هؤلاء من يعتذر عن إبليس، ويتوجَّع له، ويقيم عذره بجهده، وينسب ربه تعالى إلى ظلمه

(١) إيقاظ الهمم، ص٤٢٥.

(٢) سورة القصص: ٦٨.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٢٣٧.

بلسان الحال والمقال ... وهؤلاء أعداء الله حقًّا وأولياء إبليس وأحباؤه وإخوانه، وإذا ناح منهم نائحٌ على إبليس رأيت من البكاء والحنين أمرًا عجبا، ورأيت من ظلمهم الأقدار واتهامهم الجبَّار ما يبدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم، وتسمع من أحدهم من التظلُّم والتوجُّع ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تائيته[1]:

ويُدعى خصوم الله يوم معادهم ... إلى النَّار طُرًّا[2] معشر القدريةِ"[3]

وكذلك في آراء ابن عجيبة السابقة تجد أنَّ تركه للتدبير والاختيار أدَّي به إلى عقيدة وحدة الوجود علم أم لم يعلم، وهذا ما يفعلونه مع السَّالك دائمًا حتى يرتقي إلى البقاء.

قال ابن القيم رحمه الله: "والاتحادي يقول: إنَّ السالك في أول سلوكه يرى أنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله، فهذا توحيد العلم، ولا يقدر في طوره الأول على أكثر من ذلك، ثم ينتقل عن هذا إلى الدرجة الثانية، وهي شهود عود الأفعال إلى الصفات، والصفات إلى الذات، فعاد الأمر كلُّه إلى الذَّات، فيجحد وجود السوى بالكُليَّة، فهذا هو الاضمحلال جحدًا، ثم يرتقي عن هذه الدرجة إلى ركوب البحر الذي تغرق فيه الأفعال والأسماء والصفات، ولا يبقى إلا أمرٌ مطلقٌ لا يتقيَّد باسمٍ ولا فعلٍ ولا صفة، قد اضمحلَّ فيه كلُّ معنى وقيد وصفة ورسم، وهذا عندهم غاية السَّفر

(١) القصيدة التائية في القدر، ص١٨٠.

(٢) طُرًّا أي: جميعًا، ويقول ذو الأصبع العدواني:

وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مِئَةٍ ... فأجمعوا كَيْدَكم طُرًّا فَكِيدُونِي

ينظر: الصحاح ٢/٢٨٨، المحكم والمحيط الأعظم ١/١٢٥، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك ١/٣٧٠.

(٣) مدارج السالكين ١/٤٣٦-٤٣٧.

الأول، فحينئذٍ يأخذ في السَّفر الثاني، وهو البقاء"[1].

وعند الصوفية أنَّ السَّالك لا بدَّ أن يرتقي إلى ثلاثة حقائق في باب القدر حتى يصل إلى عدم التفرقة بين الرَّبِّ والعبد فيصبح الأمر واحدًا، والعياذ بالله.

وبيَّن ابن القيم رحمه الله هذه الحقائق، وهي:

حقيقة إيمانية نبوية، وهى حقيقة العبودية التي هي كمال الحُبِّ وكمال الذُّل، وسير أهل الاستقامة إنما هو إلى هذه الحقيقة، ومنازل السير التي ينزلون فيها هي منازل الإيمان الموصلة إليها، والمنحرفون لا يرضون بهذه الحقيقة ولا يقفون معها ويرونها منزلة من منازل العامَّة.

الحقيقة الثانية: (حقيقة كونية قدرية) يشاهدون فيها انفراد الرَّبِّ تعالى بالتكوين والإيجاد وحده، وأنَّ العالم كالميت يقلِّبه ويصرِّفه كيف يشاء، وهم يعظِّمون هذا المشهد ويرون الفناءَ فيه غاية ما بعدها شيء.

وهذا من أغلاطهم في المعرفة والسُّلوك، فإنَّ هذا المشهد لا يدخل صاحبه في الإيمان فضلًا عن أن يكون أفضل مشاهد أولياءِ الله المقرَّبين، فإنَّ عُبَّاد الأصنام شهدوا هذا المشهد ولم ينفعهم وحده.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[2].

---

(١) مدارج السالكين ١/١٧٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٨٤-٨٩.

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[(٣)].

وهذا كثيرٌ في القرآن، فالفناءُ في هذا المشهد لا يُدخل العبدَ في دائرة الإسلام، فكيف يجعله هو الحقيقة التي ينتهي إليها سير السَّالكين، ويجعل حقيقة الإيمان ودعوة الرُّسل منزل من منازل العامة، وهل هذا إلا غاية الانحراف والبعد عن الصراط المستقيم وقلب للحقائق؟ وكم قد هلك في هذه الحقيقة من أُمم لا يحصيهم إلا الله، وكم عطَّل لأجلها الواقفون معها من الشرائع، وخرَّبوا من المنازل، وما نجا من معاطبها إلا من شملته العناية الربانية، ونفذ ببصره من هذه الحقيقة إلى الحقيقة الإيمانية النبوية، حقيقة رُسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والحقيقة الثالثة: (حقيقة اتحادية بل واحدية) لا يفرق فيها بين الرَّب والعبد، ولا بين القديم والمحدث، ولا بين صانعٍ ومصنوع، بل الأمر كلُّه واحد، والأمر المخلوق هو عين الأمر الخالق.

وهذه الحقيقة التي يشير إلى عينها طائفة الاتحادية، ويعدون من لم يكن من أهلها محجوبًا، وهذه حقيقة كفرية اتحادية، وهى مع ذلك خيالٌ فاسد، وعقلٌ منكوس، وذوقٌ من عين منتنة، وكفر أهلها أعظم من كفر كلِّ أُمَّة، فإنهم جحدوا

---

(١) سورة الزخرف: ٨٧.

(٢) سورة الزخرف: ٢٠.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٧.

الصانع حقًّا وإن أثبتوه جعلوا وجوده وجود كل موجود، والذين أثبتوا الصانع وعدلوا به غيره وسوَّوا بينه وبين غيره في العبادة مقالتهم خيرٌ من مقالة هؤلاء الذين جعلوه وجود كلِّ موجود وعين كلِّ شيءٍ تعالى الله عمَّا يقول الكاذبون المفترون علوًّا كبيرًا.

فعليك بالفرق بين السائرين إلى هذه الحقيقة، والسائرين إلى عين الحقيقة الكونية الحكمية"(١).

٢- نفي الأسباب قلبًا وقالبًا

قال ابن عجيبة: " فإذا أراد تحصيل علم اليقين فلينقطع إلى الله انقطاعًا كُليًّا، ويتجرَّد عن الأسباب قلبًا، وقالبًا، فإنَّ الله يُؤتيه رزقه من غير سبب"(٢).

والمقرر عند أهل العلم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق الأسباب ومسبِّباتها وربطهما شرعًا وقدرًا، دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

الأدلَّة من القرآن، وهي أنواع:

- ترتيب الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبُّب.

كقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾(٣).

- ترتيب الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف لفيد كونه سببًا له.

كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤)، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾(٥).

---

(١) طريق الهجرتين ١/٣٤٧.

(٢) سلك الدر في ذكر القضاء والقدر، ص٦٧.

(٣) سورة الحاقة: ٢٤.

(٤) سورة المائدة: ٣٨.

(٥) سورة النور: ٢.

- ترتيب الشرط على الجزاء.

كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[1]،[2].

قال ابن القيم: "وبالجملة فالقرآن من أوله إلى آخره صريحٌ في ترتيب الجزاء بالخير والشر، والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب، بل ترتيب أحكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال"[3].

- **الأدلة من السُّنَّة:**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ينورها لهم بصلاتي عليهم»[4].

- وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجَّة الوداع من وجعٍ اشتدَّ بي فقلتُ: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مالٍ ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» فقلت: بالشطر فقال: «لا» ثم قال: «الثلث والثلث كبير أو كثير، إنَّك أن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرت بها حتى ما تجعلُ في فِيِّ امرأتك» فقلت يا رسول الله: أُخَلَّف بعد أصحابي؟ قال: «إنَّك لن تُخلَّف فتعمل عملًا صالحًا إلا ازددتَ به درجةً ورفعة، ثم لعلَّك أن تُخلَّف حتى ينتفع بك أقوامٌ ويضرّ بك آخرون ...»[5].

---

(١) سورة الأنفال: ٢٩.

(٢) ينظر: شفاء العليل ١/١٨٨-١٨٩.

(٣) الداء والدواء، ص٣٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، ٣/٥٦، رقم ٢٢٥٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، ١/٣٩٩، رقم ١٢٩٥.

- **الإجماع:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والعلماءُ متَّفقون على إثبات حكمة الله في خلقه وأمره، وإثبات الأسباب والقوى"[1].

ويقول رحمه الله أيضًا: "والله سبحانه خلق الأسباب ومسبَّباتها، وجعل خلق البعض شرطًا وسببًا في خلق غيره، وهو مع ذلك غنيٌّ عن الاشتراط والتسبُّب ونظم بعضها ببعض، لكن لحكمةٍ تتعلَّق بالأسباب وتعود إليها، والله عزيزٌ حكيم"[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: "الله عَزَّوَجَلَّ ربط الأسباب بمسبَّباتها شرعًا وقدرًا، وجعل الأسباب محلَّ حكمته، في أمره الدينيِّ والشرعيِّ، وأمره الكونيِّ القدري"[3].

وقال مرعي الكرمي رحمه الله[4]: "فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أجرى عادته الإلهية في هذا العلم على أسبابٍ ومسبَّبات تُناط بتلك الأسباب"[5].

وقال القرطبي رحمه الله: "وربط الأسباب بالمسبَّبات حِكمتُه وحُكمُه على ما سبق به علمه"[6].

---

(١) الرد على المنطقيين، ص٣١٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٩١/٨.

(٣) شفاء العليل ٥٣٢/٢.

(٤) هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، والكرمي نسبة إلى طور كرم، قرية بالقرب من نابلس بفلسطين، والمقدسي نسبة لبيت المقدس، وهو على مذهب الإمام أحمد في الفقه، أمَّا في العقيدة فهو مضطرب في نصوص الصفات، وميله إلى التأويل، ولد سنة ٩٨٨هـ، ومن شيوخه: محمد المرداوي، والشيخ القاضي يحيى الحجاوي، له مؤلفات منها: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، دليل الطالب لنيل المطالب، توفي سنة ١٠٣٣هـ بمصر. ينظر: مقدمة رفع الشبهة والغرر، ص٤٧-٤٨، خلاصة الأثر ٣٥٦/٣، إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، دراسة وتحقيق لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله التركي.

(٥) رفع الشبهة والغرر عمَّن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، ص٢٢.

(٦) المفهم ٥٩٢/٥.

ويقول ابن القيم رحمه الله: "ولو تتبَّعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسُّنَّة لزاد على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغةً بل حقيقة"(١).

وبهذا يتضح أنَّ من نفى الأسباب فقد خالف الكتاب والسُّنَّة وإجماع السَّلف والأئمة وصرائح المعقول.

٣- الرِّضا بكلِّ مقضيٍّ كيفما كان:

قال ابن عجيبة: "فإذا علمت أيُّها الإنسان أنَّ أنفاسك قد عمَّها القدر، ولا يصدر منك ولا من غيرك إلا ما سبق به علمه، وجرى به قلمه لزمك أن ترضى بكلِّ ما يجري به القضاء، فأنفاسك معدودة، وطرفاتك ولحظاتك محصورة ... وحقيقة الرِّضا هو تلقِّي المهالك بوجهٍ ضاحك"(٢).

ولذلك لا فرق بين الطاعة والمعصية عنده، قال: "وأمَّا خاصَّة الخاصَّة فلا يطلبون شيئًا، ولا يخافون من شيء، صارت الأشياء عندهم شيئًا واحدًا، واستغنوا بشهودٍ واحدٍ عن كلِّ واحد، فهم ينظرون ما يبرز من عنصر القدرة، فيتلقَّونه بالقبول والرِّضا، فإن كان طاعة شهدوا فيها المنَّة، وإن كان معصية شهدوا فيها القهرية، وتأدَّبوا مع الله فيها بالتوبة والانكسار، قيامًا بأدب شريعة النَّبيِّ ﷺ المختار"(٣).

والأمر بالرِّضا بكلِّ مرضيٍّ فيه تفصيل، فهل علينا أن نرضى بكلِّ ما قضى الله عَزَّوَجَلَّ؟ الجوابُ: أنَّنا "غير مأمورين بالرِّضا بكلِّ ما يقضيه الله عَزَّوَجَلَّ، ويقدِّره، ولم يرد بذلك كتابٌ ولا سنة"(٤).

---

(١) شفاء العليل ٥٣٢/٢.

(٢) البحر المديد ٢٣٥/١.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٢٥٤.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٥٨، وينظر: منهاج السُّنَّة ٢٠٥/٣، الاستقامة ١٢٥/٢-١٢٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قصيدته التائية في القدر:

وأمَّا رضانا بالقضاءِ فإنَّما أُمرنا بأن نرضى بمثل المصيبةِ
كسُقْمٍ وفَقْرٍ ثم ذلٍّ وغُربةٍ وما كان من مؤذٍ بدون جريمةِ
فأمَّا الأفاعيلُ التي كُرهت لنا فلا نصَّ يأتي في رضاها بطاعةِ
وقد قال قومٌ من أولي العلم لا رضًا بفعلِ المعاصيْ والذنوبِ الكبيرةِ
فإنَّ إلهَ الخلقِ لم يرضَها فلا نرتضي مسخوطةً لمشيئةِ
وقال فريقٌ: نرتضي بقضائِهِ ولا نرتضي المقضيَّ أقبحَ خصلةِ
وقال فريقٌ: نرتضي بإضافةٍ إليه وما فينا فنلقى بسخطةِ[1]

وبيَّن رحمه الله أقسام الرِّضا فقال: "وذلك أنَّ **الرِّضا نوعان**:

أحدهما: الرِّضا بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه، ويتناول ما أباحه الله من غير تعدٍّ إلى المحظور، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[3] وهذا الرِّضا واجب؛ ولهذا ذمّ من تركه بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[4].

والنوع الثاني: الرِّضا بالمصائب كالفقر والمرض والذُّلِّ، فهذا الرِّضا مستحبٌّ

---

(١) القصيدة التائية في القدر ١/١٩٩.

(٢) سورة التوبة: ٦٢.

(٣) سورة التوبة: ٥٩.

(٤) سورة التوبة: ٥٨.

في أحد قولي العلماء وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب، والصحيح أنَّ الواجب هو الصبر.

وأمَّا الرِّضا بالكفر والفسوق والعصيان، فالذي عليه أئمَّة الدين أنه لا يرضى بذلك؛ فإنَّ الله لا يرضاه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[(٧)]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٨)]، فإذا كان الله سبحانه لا يرضى لهم ما عملوه بل يسخطه ذلك وهو يسخط عليهم ويغضب عليهم فكيف يشرع للمؤمن أن يرضى ذلك وألَّا يسخط ويغضب لما يسخط الله ويغضبه.

---

(١) سورة الزمر: ٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٣) سورة التوبة: ٩٦.

(٤) سورة النساء: ٩٣

(٥) سورة محمد: ٢٨.

(٦) سورة التوبة: ٦٨.

(٧) سورة المائدة: ٨٠.

(٨) سورة الزخرف: ٥٥.

وإنما ضلَّ هنا **فريقان** من الناس:

قومٌ من أهل الكلام المنتسبين إلى السُّنَّة في مناظرة القدرية[1] ظنُّوا أنَّ محبَّة الحقِّ ورضاه وغضبه وسخطه يرجع إلى إرادته، وقد علموا أنَّه مريدٌ لجميع الكائنات خلافًا للقدرية، وقالوا: هو أيضًا محبٌّ لها مريدٌ لها، ثم أخذوا يحرِّفون الكلام عن مواضعه، فقالوا: لا يحب الفساد، بمعنى لا يريد الفساد: أي لا يريده للمؤمنين ولا يرضى لعباده الكفر، أي لا يريده لعباده المؤمنين، وهذا غلط عظيم؛ فإن هذا عندهم بمنزلة أن يقال: لا يحب الإيمان ولا يرضى لعباده الإيمان، أي لا يريده للكافرين ولا يرضاه للكافرين، وقد اتفق أهل الإسلام على أنَّ ما أمر الله به فإنه يكون مستحبًّا يحبه، ثم قد يكون مع ذلك واجبًا وقد يكون مستحبًّا ليس بواجب سواءً فُعِل أو لم يفعل.

والفريق الثاني: من غالطي المتصوفة شربوا من هذه العين، فشهدوا أنَّ الله رب الكائنات جميعها، وعلموا أنَّه قدر على كل شيء وشاءه وظنُّوا أنهم لا يكونون راضين حتى يرضوا بكلِّ ما يقدِّره ويقضيه من الكفر والفسوق والعصيان، حتى قال بعضهم: المحبَّة نارٌ تحرق من القلب كلَّ ما سوى مراد المحبوب، قالوا: والكون كلُّه مراد المحبوب، وضلَّ هؤلاء ضلالًا عظيمًا حيث لم يفرِّقوا بين الإرادة الدينية والكونية والإذن الكوني والديني والأمر الكوني والديني والبعث الكوني والديني، والإرسال الكوني والديني.

---

(١) القدرية: هم الذين كانوا يخوضون في القدر، ويذهبون إلى إنكاره، ورأس هؤلاء معبد الجهني المقتول سنة ٨٠هـ، والمعتزلة أصحاب واصل بن عطاء الغزالي، لما اعتزل مجلس الحسن البصري وقرر أنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وأثبت المنزلة بين المنزلتين فطرده، فاعتزله، وتبعه جماعة سُمُّوا بالمعتزلة، والمعتزلة يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويُلقَّبون بالقدرية، وقد جعلوا لفظ القدرية مشتركًا، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازًا عن وصمة اللقب. ينظر: الملل والنحل ١/٥٧-٦٠.

وهؤلاء يؤول الأمر بهم إلى ألَّا يُفرِّقوا بين المأمور والمحظور وأولياء الله وأعدائه والأنبياء والمتقين، ويجعلون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ويجعلون المتقين كالفُجَّار ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويعطلون الأمر والنهي والوعد والوعيد والشرائع وربما سموا هذا (حقيقة)، ولعمري إنه حقيقة كونية لكن هذه الحقيقة الكونية قد عرفها عُبَّاد الأصنام كما قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[(1)]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[(2)].

فالمشركون الذين يعبدون الأصنام كانوا مقرِّين بأنَّ الله خالقُ كلِّ شيءٍ وربُّه ومليكُه، فمن كان هذا منتهى تحقيقه كان أقرب أن يكون كعُبَّاد الأصنام، و(المؤمن) إنما فارق الكفر بالإيمان بالله وبرسله وبتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا واتباع ما يرضاه الله ويحبه دون ما يقدِّره ويقضيه من الكفر والفسوق والعصيان، ولكن يرضى بما أصابه من المصائب لا بما فعله من المعائب، فهو من الذنوب يستغفر، وعلى المصائب يصبر، فهو كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[(3)]، فيجمع بين طاعة الأمر والصبر على المصائب، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[(4)]"[(5)].

---

(1) سورة الزمر: ٣٨.

(2) سورة المؤمنون: ٨٤-٨٥.

(3) سورة غافر: ٥٥.

(4) سورة آل عمران: ١٢٠.

(5) مجموع الفتاوى ١٠/٦٨١-٦٨٥، وينظر: الدرة البهية في شرح العقيدة التائية، ص٦٨، تسلية أهل المصائب، ص١٥٢، ١٦١.

وبيَّن ابن القيم رحمه الله اضطراب النَّاس في هذا الأمر فقال: "وقد اضطرب النَّاسُ في ذلك اضطرابًا عظيمًا، ونجا منه أصحاب الفرق والتفصيل، فإنَّ لفظ الرِّضا بالقضاء لفظٌ محمودٌ مأمورٌ به، وهو من مقامات الصدِّيقين، فصارت له حرمة أوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل، وظنُّوا أنَّ كلَّ ما كان مخلوقًا للربِّ تعالى فهو مقضيٌّ مرضيٌّ له ينبغي له الرِّضا به، ثم انقسموا على **فرقتين**:

فقالت فرقةٌ: إذا كان القضاء والرِّضا متلازمين فمعلومٌ أنَّا مأمورون ببُغض المعاصي، والكفر والظلم، فلا تكون مقضية مقدرة.

وفرقةٌ قالت: قد دلَّ العقل والشَّرع على أنها واقعةٌ بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها.

والطائفتان منحرفتان، جائرتان عن قصد السَّبيل، فأولئك أخرجوها عن قضاء الرَّب وقدره، وهؤلاء رضوا بها ولم يسخطوها، هؤلاء خالفوا الرَّب تعالى في رضاه وسخطه، وخرجوا عن شرعه ودينه، وأولئك أنكروا تعلُّق قضائه وقدره بها.

واختلفت طرق أهل الإثبات للقدر والشرع في جواب **الطائفتين**.

فقالت **طائفة**: لم يقم دليلٌ من الكتاب ولا السُّنَّة ولا الإجماع على جواز الرِّضا بكلِّ قضاء، فضلًا عن وجوبه واستحبابه، فأين أمر الله عباده أو رسوله أن يرضوا بكل ما قضاه الله وقدره؟.

وهذه طريقة كثير من أصحابنا وغيرهم ... فإن قيل: أفترضون بقضاء الله وقدره؟ قيل له: نرضى بقضاء الله الذي هو خلقه، الذي أمرنا أن نرضى به، ولا نرضى من ذلك ما نهانا عنه أن نرضى به، ولا نتقدَّم بين يدي الله تعالى، ولا نعترض على حكمه.

وقالت طائفةٌ أخرى: يطلق الرِّضا بالقضاء في الجملة، دون تفاصيل المقضي المقدَّر.

فنقول: نرضى بقضاء الله جملةً ولا نسخطه، ولا نطلق الرِّضا على كلٍّ واحد من تفاصيل المقضي.

وقالت طائفةٌ أخرى: نرضى بها من جهة إضافتها إلى الرَّبِّ خلقًا ومشيئة، ونسخطها من جهة إضافتها إلى العبد كسبًا له وقيامًا به.

وقالت طائفةٌ أخرى: بل نرضى بالقضاء ونسخط المقضي، فالرِّضا والسخط لم يتعلَّقا بشيءٍ واحد"(١).

وكذلك وضَّح ابن القيم رأيه في هذه المسألة وما يدين الله به فقال: "والذي يكشف هذه الغُمَّة، ويبصِّر من هذه العماية، وينجي من هذه الورطة إنما هو التفريق بين ما فرَّق الله بينه، وهو المشيئة والمحبَّة، فإنهما ليسا واحدًا، ولا هما متلازمين، بل قد يشاء ما لا يحبه، ويحب ما لا يشاء كونه.

فالأول: كمشيئته لوجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامَّة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه.

والثاني: كمحبَّته إيمان الكفَّار، وطاعات الفجَّار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك لوجد كله وكان جميعه، فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

فإذا تقرَّر هذا الأصل، وأنَّ الفعل غير المفعول، والقضاء غير المقضي، وأنَّ الله سبحانه لم يأمر عباده بالرِّضا بكلِّ ما خلقه وشاءه، زالت الشبهات، وانحلَّت الإشكالات، ولله الحمد، ولم يبق بين شرع الرَّب وقدره تناقض، بحيث يظنُّ إبطال

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٨٥.

أحدهما للآخر، بل القدر ينصر الشرع، والشرع يصدِّق القدر، وكلٌّ منهما يحقق الآخر، وإذا عُرِف هذا **فالرِّضا بالقضاء الديني الشرعي** واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب على العبد أن يكون راضيًا به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[(١)].

والرِّضا بالقضاء الكوني القدري الموافق لمحبَّة العبد وإرادته ورضاه -من الصحة، والغنى، والعافية، واللذة- أمرٌ لازمٌ بمقتضى الطبيعة؛ لأنه ملائم للعبد، محبوب له، فليس في الرِّضا به عبودية، بل العبودية في مقابلته بالشُّكر، والاعتراف بالمنَّة، ووضع النِّعمة مواضعها التي يحبُّ الله أن تُوضع فيها، وأن لا يعصى المنعم بها، وأن يرى التقصير في جميع ذلك.

والرِّضا بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبته -مما لا يلائمه، ولا يدخل تحت اختياره- مستحبٌّ، وهو من مقامات أهل الإيمان، وفي وجوبه قولان، وهذا كالمرض والفقر، وأذى الخلق له، والحر والبرد، والآلام ونحو ذلك.

والرِّضا بالقدر الجاري عليه باختياره -مما يكرهه الله ويسخطه، وينهى عنه كأنواع الظلم والفسوق والعصيان- حرامٌ يعاقب عليه، وهو مخالفة لربه تعالى، فإنَّ الله لا يرضى بذلك ولا يحبه، فكيف تتفق المحبة ورضا ما يسخطه الحبيب ويبغضه؟ فعليك بهذا التفصيل في مسألة الرضا بالقضاء"[(٢)].

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) مدارج السالكين ٢/١٨٨-١٨٩.

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله[1]: "القضاءُ يراد به ثلاثة أشياء: أحدهما: الأمر والنَّهي، فهذا الرِّضا به واجب، والثاني: الكفر والمعاصي، فهذا الرِّضا به ليس بواجب، والثالث: المصائب التي تصيب العبد فهذا الرِّضا به واجبٌ أو مستحب؟ قال: ثم يقال: القضاء الذي هو صفة الله الرِّضا به واجب، وأمَّا المقضي وهو الكفر والمعاصي التي هي أفعال العباد، فالرِّضا بها ليس بواجب"[2].

٤- نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله عَزَّوَجَلَّ:

قال ابن عجيبة: "جلّ حكم الأزل أن يضاف إلى العلل"[3].

وقال في شرحه لقول ابن عطاء: "خير من تصحب من يطلبك لا لشيءٍ يعود منك إليه".

قال: "قلتُ: ولا يوجد هذا الوصف المجيد إلا للغنيِّ الحميد الفعَّال لما يريد، يحب من يشاء بلا علة ولا سبب، ويمقت من يشاء بلا ضررٍ يلحقه ولا تعب، يقرِّب من يشاء بلا عمل، ويبعد من يشاء بلا زلل، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[4]"، [5].

وقال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[6] "أي: يُضيِّق لمن يشاء بلا سببٍ ولا عِلَّة"[7].

---

(١) هو: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي الجماعيلي الأصل، ثم الصالحي، ولد سنة ٧٠٤هـ، وله مصنَّفات منها: العقود الدرية، والمحرر في الحديث، توفي سنة ٧٤٤هـ. ينظر: طبقات الحنابلة ٥/١١٥.

(٢) نقله السفاريني في لوامع الأنوار البهية ١/٣٦٢.

(٣) البحر المديد ١/١٧٧.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٣.

(٥) إيقاظ الهمم، ص٢٥٦.

(٦) سورة الزمر: ٥٢.

(٧) البحر المديد ٥/٩٠.

وابن عجيبة في قوله هذا لم يخرج عن عقيدة الأشاعرة في نفيهم للحكمة والتعليل[1]، وأنَّ الله يفعل الأفعال لمحض المشيئة؛ فتعمَّقوا وخاضوا في فعل الله إثباتًا ونفيًا، وفكرًا، بالأقيسة العقلية، وبذلك انحرفوا عن منهج أهل السُّنَّة والجماعة وسلف الأُمَّة، وأقوالهم شاهدة عليهم.

قال الإيجي: "المقصد الثامن في أنَّ أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض، إليه ذهب الأشاعرة"[2].

ويقول الرازي: "المسألة السادسة والعشرون: في أنَّه لا يجوز أن تكون أفعال الله تعالى وأحكامه معلَّلة بعلة البتَّه"[3].

والقول الحق الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة: "أنَّ أفعاله عَزَّوَجَلَّ صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل"[4]، "وله الحكمة البالغة فيما فعل وترك، وقدَّر، وقضى"[5]، "والقرآن وسُنَّة النَّبيِّ ﷺ مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحِكَم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسُّنَّة في نحو مئة موضع أو مئتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرقٍ متنوِّعة"[6].

---

(١) ينظر لشبهات الأشاعرة في هذا المسلك كتاب: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص٥٠، ونهاية الأقدام، ص٣٩٩، والأربعين، للرازي، ص٣٥٠، وغيرها، ولقد أبطلها ابن القيم في كتابه: شفاء العليل ٢/٥٧٧-٥٨٤، ٥٨٦-٥٩٣.

(٢) المواقف، ص٣٣١.

(٣) الأربعين في أصول الدين، ص٣٥٠.

(٤) شفاء العليل ١/١٩٠.

(٥) إيثار الحق، ص٢٤٩.

(٦) مفتاح دار السعادة ٢/٣٦٣.

الأدلة من القرآن:

النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرَّف منه، كقوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾[1]، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا وأنه أمر بكذا لكذا، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[5].

النوع الثالث: الإتيان بكي الصريحة في التعليل، كقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[6] فعلَّل سبحانه تسمية الفيء بين هذه الأصناف كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء والأقوياء دون الضعفاء.

النوع الرابع: ذكر المفعول له وهو علة للفعل المعلَّل به، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[7].

---

(١) سورة القمر: ٥.

(٢) سورة النساء: ١١٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٤) سورة المائدة: ٩٧

(٥) سورة الطلاق: ١٢.

(٦) سورة الحشر: ٧.

(٧) سورة النحل: ٨٩.

النوع الخامس: الإتيان بأن والفعل المستقبل بعدها تعليلًا لما قبله، كقوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾[(١)].

النوع السادس: ذكر ما هو من صرائح التعليل وهو من أجل، كقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[(٢)].

النوع السابع: ذكر الحكم الكوني والشرعي عقيب الوصف المناسب له وتارة يذكر بأن وتارة يقرن بالفاء وتارة يذكر مجردًا، فالأوَّل كقوله: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[(٣)(٤)].

الأدلة من السُّنَّة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد قال: «اللَّهم لك الحمد، أنت ربُّ السَّموات والأرض، لك الحمد أنتَ قيِّم السَّموات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد لك ملك السَّموات والأرض ومن فيهنّ، لك الحمد، أنت نور السَّموات والأرض قولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنَّة حق، والنَّار حق، والسَّاعة حق، اللَّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكَّلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرت، وما أسررتُ وما أعلنت، أنت إلهي لا إله لي غيرك»[(٥)].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٦.

(٢) سورة المائدة: ٣٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٨٩-٩٠.

(٤) ينظر شفاء العليل ١/١٨٨-١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، ٤/٣٨١، رقم ٧٣٨٥.

قال ابن الوزير رحمه الله[1]: فيه إشارة من البخاري إلى مذهب أهل السُّنَّة في إثبات الحكمة[2].

وذلك أن البخاري رحمه الله بوَّب على هذا الحديث، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[3] [4].

وقال الرَّاغب الأصفهاني: "والحقُّ يقال على أوجه:

الأول: يقال لموجد الشَّيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحق، قال الله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[5]، وقيل بعيد ذلك: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[6].

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق، نحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[7]، إلى قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[8]، وقال في القيامة:

---

(١) هو: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن عليّ المرتضى بن الفضل الحسني القاسمي، المعروف بابن الوزير اليمني الصنعاني، ولد بهجرة الظهراوي من شظب، وهو جبل عال باليمن، في رجب عام ٧٧٥هـ، وله مصنفات منها: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، توفي سنة ٨٤٠هـ. ينظر: فهرس الفهارس ١١٢٤/٢، البدر الطالع ٨١/٢، معجم المؤلفين ٢١٠/٨.

(٢) إيثار الحق، ص١٩٢.

(٣) سورة الأنعام: ٧٣.

(٤) صحيح البخاري ١١٧/٩.

(٥) سورة يونس: ٣١.

(٦) سورة يونس: ٣٢.

(٧) سورة يونس: ٤.

(٨) سورة يونس: ٥.

﴿وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[1]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[2]" [3].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وهذه الحكمة هي الغاية، والفعل وسيلة إليها، فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفى للغايات وهو محال، إذ نفي الغاية مستلزم لنفى الوسيلة، فنفي الوسيلة وهي: الفعل لازم لنفى الغاية وهى الحكمة، ونفى قيام الفعل والحكمة به نفى لهما في الحقيقة، إذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمة لا تقوم بالحكيم شيء لا يعقل، وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته[4].

الإجماع:

وممن حكى الإجماع كثير من العلماء المحققين فمنهم:

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: "وكذلك الحكمة وشرع الأحكام للحكم مما اتفق عليه الفقهاء مع السَّلف"[5]، ويقول أيضًا: "ومن وافق جهم بن صفوان من المثبتين للقدر على أنَّ الله لا يفعل شيئًا لحكمة ولا لسبب، وأنه لا فرق بالنسبة إلى الله بين المأمور والمحظور، ولا يحب بعض الأفعال ويبغض بعضها، فقوله فاسد مخالف للكتاب والسُّنَّة واتفاق السَّلف"[6].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وجمهور الأُمَّة يثبت حكمته سبحانه، والغايات

---

(١) سورة يونس: ٥٣.

(٢) سورة البقرة: ١٤٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص٢٤٦.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/٩٠.

(٥) مجموع الفتاوى ٨/٤٨٥.

(٦) منهاج السُّنَّة ٣/٩٨.

المحمودة في أفعاله، فليس مع النُّفاة سمعٌ ولا عقلٌ ولا إجماع، بل السَّمع والعقل والإجماع والفطرة تشهد ببطلان قولهم"[١].

وبهذا يتضح أنَّ من أنكر الحكمة والتعليل قد خالف الكتاب والسُّنَّة وصريح المعقول، ووافق الفلاسفة في أصل نفيهم للحكمة والتعليل "وهو البحث عن حكمة الإرادة، ولم فعل ما فعل؛ وهي مسألة القدر، ظهر بها ما كان السَّلف يقولونه: إنَّ الكلام في القدر هو أبو جاد الزندقة، وعلم بذلك حكمة نهيه ﷺ لما رآهم يتنازعون في القدر عن مثل ما هلك به الأمم، قال لهم: بهذا هلكت الأمم قبلكم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وعن هذا نشأ مذهب المجوس القدرية، مجوس هذه الأُمَّة، حيث خاضوا في التعديل والتجويز بما هو من فروع هذه الحجة، كما أن التجهُّم من فروع تلك الحجة"[٢].



(١) شفاء العليل ٢/٥٧٠-٥٧١.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١/٤٧٩.

المبحث الثاني: أفعال العباد

قال ابن عجيبة: "قد جعل الله بحكمته الباهرة في العبد كسبًا فيما يظهر له، يقصد به الخير والشر، وفي الحقيقة: هو مجرور بسلسلة، لكن الشريعة تنسب الفعل إليه، بسبب ذلك الكسب، فتقوم الحُجَّة عليه"[1].

ويقول في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾[2]: "كما استخرج الحق -جلَّ جلالُه- من بين فرثٍ ودمٍ لبنًا خالصًا سائغًا للشَّاربين استخرج مذهب أهل السُّنَّة القائلين بالكسب من بين مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة، بين قومٍ أفرطوا وقومٍ فرَّطوا"[3].

وقال في موضعٍ آخر: "قد تقرَّر عند أهل الحقِّ أنَّ العبدَ مجبورٌ في قالب مختار، فليس له فعل، ولا اختيار، وإنما الفعل هو الواحد القهَّار"[4].

ويقول أيضًا: "فالتحقيق أنَّ العبد مجبور، لكن في قالب الاختيار، فمن نظر للجبر الباطني سمَّاه حقيقة، ومن نظر لقالب الاختيار سمَّاه شريعة"[5].

أولًا: مفهوم الكسب عند الأشاعرة، ومقصود ابن عجيبة من قوله: (لا فاعل إلا الله)

عرَّف الأشاعرة الكسب بتعريفاتٍ متنوِّعة، منها:

---

(١) سلك الدرر في القضاء والقدر، ص٥٤.

(٢) سورة النحل: ٦٦.

(٣) البحر المديد ٣/١٤١.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٢٣٧.

(٥) الفتوحات الإلهية، ص٣٣٧.

١- تعريف الباجوري: "هو تعلُّق القدرة الحادثة، وقيل: هو الإرادة الحادثة"[(١)].

٢- تعريف السنوسي: "عبارة عن إيجاد الله تعالى المقدور فيه"[(٢)] أي: في العبد.

٣- تعريف الآمدي[(٣)]: "الفعل خلقًا من الله تعالى إبداعًا وإحداثًا، وكسبًا من العبد لوقوعه مقارنًا للقدرة"[(٤)].

٤- تعريف الشهرستاني[(٥)]: "المكتسب: هو المقدور بالقدرة الحاصلة والحاصل تحت القدرة الحادثة"[(٦)].

وبالرغم من التعريفات المختلفة للأشاعرة إلا أن حقيقة قولهم هو القول بالجبر، ولا فكاك عنه مهما تلوَّنت تعريفاتهم، وصرَّح بذلك بعضهم.

قال الباجوري: "وبالجملة فليس للعبد تأثيرٌ ما، فهو مجبورٌ باطنًا مختارٌ ظاهرًا"[(٧)].

---

(١) تحفة المريد، ص١٥٠.

(٢) شرح الوسطى، ص٣٣٢.

(٣) هو: أبو الحسن، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، يُلقب بسيف الدين الآمدي، ولد عام ٥٥١هـ، له مؤلفات في علم الكلام منها: أبكار الأفكار في علم الكلام، دقائق الحقائق، كانت وفاته سنة ٦٣١هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٢٩٣/٣.

(٤) أبكار الأفكار ١٠١/٢.

(٥) هو: أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، من أهل الكلام والحكمة، ولد عام ٤٦٩هـ بشهرستان، له مؤلفات منها: الملل والنحل، نهاية الإقدام، كانت وفاته عام ٥٤٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٩٢/١٥.

(٦) الملل والنحل ٩٧/١.

(٧) تحفة المريد، ص١٥١.

وقال الدسوقي: "ولما أضيفت الأفعال للعبد من جهة الكسب أُثيبَ وعوقبَ عليها؛ نظرًا لما عنده من الاختيار الذي هو سببٌ عاديٌّ في إيجاد الله الفعل والقدرة عليه، ثم إنَّ العبدَ مختارٌ بحسب الظاهر وإلا فمآله للجبر؛ لأنَّ اختياره بخلق الله، فالعبد مختارٌ ظاهرًا مجبورٌ باطنًا، فهو مجبورٌ في صورة مختار خلافًا للمعتزلة القائلين إنه مختار ظاهرًا وباطنًا، وللجبرية القائلين إنه مجبور ظاهرًا وباطنًا ... والحاصل أنَّ الجبر هو الحقُّ فمدعيه ظافرٌ بالدليل، فمن زاد عليه حتى نفى الكسب نُسب إلى الإفراط، والمعتزلة لم يظفروا بالمطلوب الذي هو الجبر، بل وقفوا دونه وجعلوا العبد مخترعًا، فلذا نسبهم إلى التفريط"[(١)].

قال ابن عجيبة: "هو حُجَّتنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد"؛ لأنَّ المعتزلة يقولون إنَّ العبد خالق لفعله[(٢)]، وهو يوافق الأشاعرة في قولهم (الله خالق أفعال العباد)، ولكن مراده من ذلك غير ما يقر به الأشاعرة، بل ينسحب على ما يعتقده بوحدة الوجود.

ويقول ابن عجيبة "فالشريعة تنسب العمل للعبد باعتبار ما جعل فيه من الاختيار في الظاهر، الذي هو الكسب، والحقيقة تنفيه باعتبار ما في نفس الأمر، وهكذا يسير العبد بين حقيقةٍ وشريعة، فالحقيقة اعتقاده في الباطن والشريعة عملٌ في الظاهر"[(٣)].

فهو يسير مع الأشاعرة في عقيدة الجبر المتوسطة التي تذهب إلى أنَّ للعبد كسبًا في فعله، وله قدرة ومشيئة على فعله -كما قال اختيار- ولكنها غير مؤثرة،

---

(١) حاشية الدسوقي، ص٢١٦.

(٢) ينظر: البحر المديد ١٦٣/٤.

(٣) كشف النقاب عن سر الألباب، ص١٧٨.

قال ابن القيم رحمه الله: "والذي استقرَّ عليه قول الأشعري أنَّ القدرة الحادثة لا تؤثِّر في مقدورها، ولم يقع المقدور ولا صفة من صفاته بها، بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه، وتابعه على ذلك عامَّة أصحابه"(١).

ولكن هل وقف ابن عجيبة عند هذا الأمر على عقيدة الأشاعرة في الجبر؟

الحقيقة التي اتضحت من أقواله الصريحة، أنه بنى عليه معتقده في وحدة الوجود(٢)، فقال: "اعلم أنَّ فعل العبد كله من الله، بأن لا فاعل في الوجود سواه"(٣)، وبهذا وافق الجهمية في عقيدة الجبر، واختلف عنهم بجعلها أصلًا في وحدة الوجود، أمَّا الجهمية فجعلوا عقيدتهم في الجبر أصلًا لإثبات الوحدانية وعدم الإشراك به -كما زعموا- فلوا أثبتوا إرادة وقدرةً واختيارًا للبشر للزم -كما زعموا- أن يكون الإنسان خالقًا وفاعلًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو الشرك الذي يزعمون(٤).

وردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على القائلين بوحدة الوجود فقال: "... ويجعلون المراتب ثلاثة، يقولون: العبد يشهد أولًا طاعةً ومعصية، ثم طاعةً بلا معصية، ثم لا طاعة ولا معصية، والشُّهود الأول هو الشُّهود الصحيح، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي، وأمَّا الشهود الثاني فيريدون به شهود القدر ... وأمَّا المرتبة الثالثة: أن لا يشهد طاعة ولا معصية، فإنه يرى أن الوجود واحد، وعندهم أنَّ هذا غاية التحقيق والولاية لله، وهو في الحقيقة غاية الإلحاد في أسماء الله وآياته، وغاية العداوة لله، فإنَّ صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكُفَّار أولياء"(٥).

---

(١) شفاء العليل ٣٦٩/١، وينظر: منهاج السُّنَّة ٤٥٩/١، الأربعين، للرازي، ص٣٢٠.

(٢) سيأتي الحديث عنها في مبحث مستقل إن شاء الله.

(٣) كشف النقاب عن سر الألباب، ص٢٨.

(٤) ينظر: شفاء العليل ٤١١/١، وخلق أفعال العباد، ص٢٤.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١٦٦/١.

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فيفرقون بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق.

قال ابن تيمية رحمه الله: "والتحقيق ما عليه أئمة السُّنَّة وجمهور الأمة؛ من الفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق؛ فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله، كما أنَّ نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله بل هي مخلوقة ومفعولة، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ليست قائمة بالله ولا يتصف بها فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته، وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته، والعبد فاعل لهذه الأفعال وهو المتصف بها وله عليها قدرة وهو فاعلها باختياره ومشيئته وذلك كله مخلوق لله فهي فعل العبد ومفعولة للرَّب"[1].

وأمَّا ما ذكره ابن عجيبة من أنَّ الشريعة تنسب الفعل إلى العبد بسبب ذلك الكسب فتقوم عليه الحجة، والعبد مجرور بسلسلة؛ لما يعتقد (بالحقيقة والشريعة)، فيقول: "الشريعة عمل الجوارح، والحقيقة معرفة البواطن، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده، فالشريعة من وظائف البشرية، والحقيقة من وظائف الروحانية، والشريعة قوت البشرية، والحقيقة قوت الروحانية"[2].

ويقول أيضًا: "فمن نظر إلى الباطن ووحَّد الله وجد كلَّ شيءٍ قائمًا بالله، ولا فاعل سواه، ومن نظر إلى ظاهر العبد وجد له اختيارًا في الجملة، يقوم إذا شاء ويجلس إذا شاء، ويفعل ويترك باختياره في الظاهر، وعلى هذا وقع في التكليف، وهو الشريعة، ويسمي الكسب عند المتكلِّمين، فالتحقيق أنَّ العبد مجبور، لكن في قالب الاختيار، فمن نظر للجبر الباطني سمَّاه حقيقة، ومن نظر لقالب الاختيار سمَّاه شريعة"[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٩/٢.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٣٢٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٢٧.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فهذا كلامٌ باطلٌ، بل العبد هو المصلِّي الصائم الحاج المعتمر المؤمن، وهو الكافر الفاجر القاتل الزاني السَّارق حقيقة، والله تعالى لا يوصف بشيءٍ من هذه الصفات بل هو منزَّهٌ عن ذلك؛ لكنه هو الذي جعل العبد فاعلًا لهذه الأفعال، فهذه مخلوقاته ومفعولاته حقيقة وهي فعل العبد أيضًا حقيقة، ولكن طائفة من أهل الكلام -المثبتين للقدر- ظنوا أنَّ الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق؛ فلمَّا اعتقدوا أنَّ أفعال العباد مخلوقة مفعولة لله قالوا: فهي فعله، فقيل لهم مع ذلك: أهي فعل العبد؟ فاضطربوا؛ فمنهم من قال: هي كسبه لا فعله ولم يفرِّقوا بين الكسب والفعل بفرقٍ محقَّق، ومنهم من قال: بل هي فعل بين فاعلين، ومنهم من قال: بل الرب فعل ذات الفعل والعبد فعل صفاته"(١).

وقال أيضًا عن الكسب عند الأشعرية: "وهم وإن كانوا لا يُثبتون لقدرة العبد أثرًا في حصول المقدور، فإنَّهم يُفرِّقون بين ما كان في محلِّ القدرة فيجعلونه مقدورًا للعبد، وما كان خارجًا عن محلِّ القدرة فلا يجعلونه مقدورًا للعبد، وأكثر من نازعهم يقول: إنَّ هذا كلامٌ لا يُعقل؛ فإنَّه إذا لم يثبت للقدرة أثر، لم يكن الفرق بين ما كان في محلِّ القدرة، وبين ما كان في غير محلِّ القدرة إلا فرقًا في محلِّ الحادث، من غير أن يكون للقدرة في ذلك تأثير، وتسمية هذا مقدورًا دون هذا تحكُّمٌ محض، وتفريق بين المتماثلين ... إذا قيل لهؤلاء: الكسب الذي أثبتموه لا تُعقل حقيقته، فإذا قالوا: الكسب ما وُجد في محلِّ القدرة المحدثة مقارنًا لها من غير أن يكون للقدرة تأثير فيه، قيل لهم: فلا فرق بين هذا الكسب، وبين سائر ما يحدث في غير محلِّها وغير مقارن لها؛ إذ اشتراك الشيئين في زمانهما ومحلهما لا يُوجب كون أحدهما له

(١) مجموع الفتاوى ٢/١١٩.

قدرة على الآخر، كاشتراك العرضين الحادثين في محلٍّ واحد، في زمانٍ واحد، بل قد يُقال: ليس جعل الكسب قدرة والقدرة كسبًا بأولى من العكس إذا لم يكن إلا مجرَّد المقارنة في الزمان والمحل"[(١)].

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كيفية التعامل مع لفظ الجبر، والتأثير بقوله: "لفظ (**الجبر**) فيه إجمالٌ يُراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما يقال: إنَّ الأب يجبر المرأة على النِّكاح، والله تعالى أجلُّ وأعظم من أن يكون مجبرًا بهذا التفسير، فإنه يخلق للعبد الرِّضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرًا بهذا الاعتبار، ويراد بالجبر خلق ما في النفوس من الاعتقادات والإرادات كقول محمد بن كعب القرظي[(٢)]: «الجبَّار الذي جبر العباد على ما أراد»، وكما في الدعاء المأثور عن عليٍّ رضي الله عنه «جبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها»[(٣)]، والجبر ثابتٌ بهذا التفسير، فلمَّا كان لفظ الجبر مجملًا نهى الأئمة الأعلام عن إطلاق إثباته أو نفيه ... وكذا لفظ (**التأثير**) فيه إجمالٌ فإنَّ القدرة مع مقدورها كالسَّبب مع المسبَّب والعلَّة مع المعلول والشَّرط مع المشروط فإن أُريد بالقدرة القدرة الشرعية المصحِّحة للفعل المتقدِّمة عليه فتلك شرطٌ للفعل وسببٌ من أسبابه وعلَّةٌ ناقصة له، وإن أُريد

(١) الصفدية ١/١٥١، وينظر: مجموع الفتاوى ٨/٤٦٧، النبوات ١/٤٦٢، منهاج السُّنَّة النبوية ٣/٢٠٩، درء تعارض العقل والنقل ١/٨٢، ٢/١٢٤.

(٢) هو أبو حمزة، محمد بن كعب القرظي، من التابعين، روى عن فضالة بن عبيد وأبي هريرة، كانت وفاته سنة ١٠٨هـ. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة ٦/٢٣٧، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٣٧٧.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٦/٦٦، رقم ٢٩٥٢٠، وابن أبي شيبه في مصنفه ٧/٨٣، والطبراني في المعجم الأوسط ٩/٤٤، رقم ٩٨٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وسلامة الكندي روايته عن عليٍّ مرسله، ينظر: المجموع ١/١٦٣، وقال السخاوي: الحديث موقوفٌ بسندٍ ضعيف. ينظر: القول البديع، ص٣٤، وضعَّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٤/١٠٢.

بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علَّةٌ للفعل وسببٌ تامّ، ومعلوم أنه ليس في المخلوقات شيءٌ هو وحده علَّةٌ تامَّةٌ وسببٌ تامٌّ للحوادث بمعنى أنَّ وجوده مستلزمٌ لوجود الحوادث بل ليس هذا إلا مشيئة الله تعالى خاصَّة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "وليس في الوجود شيءٌ مستقلٌّ بالتأثير سوى مشيئة الرَّبِّ سبحانه وقدرته، وكل ما سواه مخلوق له وهو أثر قدرته ومشيئته، ومن أنكر ذلك لزمه إثبات خالق سوى الله، أو القول بوجود مخلوق لا خالق له، فإنَّ فعل العبد إن لم يكن مخلوقًا لله كان مخلوقًا للعبد إمَّا استقلالًا وإمَّا على سبيل الشركة، وإمَّا أن يقع بغير خالق، ولا مخلص عن هذه الأقسام لمنكر دخول الأفعال تحت قدرة الرَّب ومشيئته وخلقه، وإذا عرف هذا فنقول: الفعل وقع بقدرة الرَّب خلقًا وتكوينًا كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه، وبقدرة العبد سببًا ومباشرة، والله خلق الفعل والعبد فعله وباشره والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرَّب ومشيئته"[2].

وقال أيضًا: "وعلى صحَّة هذا المذهب أكثر من ألف دليلٍ من القرآن والسُّنَّة والمعقول والفِطر"[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/١٣٣.

(٢) شفاء العليل ١/١٤٦.

(٣) بدائع الفوائد ١/٢٦١.

ثانيًا: دلالة الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف على أنَّ العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم

أ- من القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1]، فأخبر الله أنه خلق العباد وأعمالهم.

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[2] فدخلت أفعال العباد في عموم كل.

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[3]، "فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل إلَّا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعملهم، فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وهيآتها، ونظير هذا قوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[4]، فأخبر سبحانه أنَّ البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة مجعولة له وهي إنما صارت بيوتًا بالصنعة الآدميَّة"[5].

---

(١) سورة الصافات: ٩٦.

(٢) سورة الزمر: ٦٢.

(٣) سورة النحل: ٨١.

(٤) سورة النحل: ٨١.

(٥) شفاء العليل ١/٥٤.

ب- من السُّنَّة:

الأحاديث مستفيضة ومتواترة وتلقاها أهل السُّنَّة والجماعة بإثبات فعل العبد حقيقة له.

قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شيءٍ بقدرٍ حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله خالق كل صانع وصنعته»(٢).

قال البخاري: "فأخبر أنَّ الصناعات وأهلها مخلوقة"(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من رجلٍ أضلَّ راحلته بأرضٍ دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها، فنام تحت شجرة ينتظر الموت، فلمَّا استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه، فالله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته»(٥).

ج- الإجماع:

قال ابن تيمية رحمه الله: "أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأُمَّة"(٦).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، ٥١/٨، رقم ٦٩٢٢.

(٢) أخرجه الحاكم ٣١/١، وقال: صحيحٌ على شرط مسلم، وصحَّحه الحافظ في الفتح ٤٩٨/١٣، والألباني في الصحيحة ١٨١/٤، رقم ١٦٣٧.

(٣) خلق أفعال العباد ٦٦/٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التواضع، ١٩٢/٤، رقم ٦٥٠٣.

(٥) أخرجه مسلم، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٢١٠٤/٤، رقم ٢٧٤٦.

(٦) مجموع الفتاوى ٤٠٦/٨.

وقال ابن أبي عاصم رحمه الله[1]: "ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السُّنَّة: القول بإثبات القدر ... وأفعال العباد من الخير والشر فعل لهم خلق لخالقهم"[2].

ويقول الصابوني رحمه الله[3]: "ومن قول أهل السُّنَّة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه"[4].

ثالثًا: موقف أهل السُّنَّة والجماعة من أفعال العباد

فهم يقرون بالمراتب الأربع الثابتة، والتي دلَّت عليها النصوص، وهي العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، أمَّا أفعال العباد فهي داخلة في المرتبة الرابعة؛ ولذلك فهم يقولون فيها: إنَّ الله خالق أفعال العباد كلها، وفعل العبد فعلٌ له حقيقة، ولكنه مخلوق لله، ومفعول لله، لا يقولون: هو نفس فعل الله، ويفرِّقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول، وكذلك لهم قدرة وإرادة على فعل أعمالهم ولكنها لا تخرج عن مشيئة الله الكونية[5].



---

(١) أبو بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، من حُفَّاظ الحديث، ولد سنة ٢٠٦هـ، ورد أصبهان وسكنها، له مؤلفات منها: كتاب السُّنَّة، المسند الكبير، كانت وفاته سنة ٢٨٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٦٠/١٠، شذرات الذهب ٣٦٤/٣.

(٢) السُّنَّة ١٠٢٧/٢.

(٣) أبو عثمان الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري، ولد سنة ٣٧٣هـ، مشهود له بالحفظ والتفسير، مات سنة ٤٤٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٩٩/١٣، شذرات الذهب ٢١٢/٥.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٨٥، وينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١٠٠/١، شرح العقيدة الطحاوية ٣٢١/١.

(٥) ينظر: منهاج السُّنَّة النبوية ٢٨٩/٢، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٢٠٨/٢.

المبحث الثالث: المشيئة والإرادة

من ضلَّ في هذا الباب لم يفرِّق بينهما، قال الباقلاني رحمه الله(١): "واعلم أنه لا فرق بين الإرادة والمشيئة، والاختيار، والرِّضا، والمحبة"(٢)، وابن عجيبة يؤكد ذلك بقوله: "المشيئة والإرادة شيءٌ واحدٌ وإليهما تستند الأشياء، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(٤)، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سبق المشيئة"(٥).

وهو بهذا لم يُوفَّق للصواب الذي دلَّ عليه الاستقراء الصحيح لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ إرادة الله عَزَّوَجَلَّ تنقسم إلى قسمين، إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعيَّة دينيَّة.

قال ابن تيمية رحمه الله: "طريقة أئمة الفقهاء وأهل الحديث وكثير من أهل النظر وغيرهم أنَّ الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة تتعلَّق بالأمر، وإرادة تتعلَّق بالخلق ... فإرادة الأمر هي المتضمِّنة للمحبَّة والرِّضا وهي الإرادة الدينيَّة، والثانية المتعلِّقة بالخلق هي المشيئة وهي الإرادة الكونيَّة القدريَّة"(٦).

---

(١) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، ولد في البصرة عام ٣٣٨هـ، وسكن بغداد، ومن تلاميذه الذين لازموه وأخذوا عنه علم الكلام حتى برع فيه محمد بن أحمد السمناني، ومن شيوخ الباقلاني أبو عبد الله الطائي الأشعري درس عليه علم الكلام، له مؤلفات منها: الإنصاف، التمهيد، توفي عام ٤٠٣هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ١/١٧١، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٨.

(٢) الإنصاف، ص٩٩.

(٣) سورة الإنسان: ٣٠.

(٤) سورة الأنعام: ١١٢.

(٥) إيقاظ الهمم، ص٣٠٩.

(٦) منهاج السُّنَّة النبوية ٣/١٥٦.

وقال ابن أبي العز رحمه الله: "والمحققون من أهل السُّنَّة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة كونيَّة خلقيَّة، وإرادة دينيَّة أمريَّة شرعيَّة"(١).

أولاً: الإرادة الكونيَّة القدريَّة:

وهي المشيئة الشَّاملة لجميع الحوادث والتي تتعلَّق بما أراد الله عَزَّوَجَلَّ فعله، وتستلزم وقوع المراد، وهي كقول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن(٢).

الأدلة عليها:

كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤).

"فهذه الإرادة تعلَّقت بالإضلال والإغواء، وهذه هي المشيئة فإنَّ ما شاء الله كان"(٥).

ثانيًا: الإرادة الدينيَّة الشرعيَّة:

وهي الإرادة المتعلِّقة بالأمر الذي يريد الله عَزَّوَجَلَّ من العبد فعله، وهي المتضمِّنة للمحبَّة والرِّضا، ولا تستلزم وقوع المراد إلا إذا تعلَّقت بالإرادة الكونيَّة(٦).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص٦٩.

(٢) ينظر: منهاج السُّنَّة النبوية ٣/١٦، مجموع الفتاوى ٨/١٨٩، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، ص١٥١-١٥٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٤) سورة هود: ٣٤.

(٥) منهاج السُّنَّة النبوية ٣/١٦.

(٦) المرجع نفسه ٣/١٥٦.

الأدلة عليها:

كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[5].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "والصَّواب أنَّ الأمر يستلزم الإرادة الدينيَّة ولا يستلزم الإرادة الكونيَّة، فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعًا ودينًا، وقد يأمر بما لا يريده كونًا وقدرًا، كإيمان منْ أمره ولم يُوفَّق للإيمان"[6].

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اجتماع هاتين الإرادتين وافتراقهما فقال:

أحدها: ما تعلَّقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإنَّ الله أراده إرادة دينٍ وشرع؛ فأمر به وأحبَّه ورضيه وأراده إرادة كون فوقع؛ ولولا ذلك لما كان.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨.

(٢) سورة النساء: ٢٦.

(٣) سورة النساء: ٢٨.

(٤) سورة المائدة: ٦.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٦) شفاء العليل ٢/٢٨٩.

والثاني: ما تعلَّقت به الإرادة الدينيَّة فقط، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة، فعصى ذلك الأمر الكُفَّار والفُجَّار فتلك كلُّها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع.

والثالث: ما تعلَّقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدَّره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها، كالمباحات والمعاصي، فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت، ولما وجدت فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والرابع: ما لم تتعلَّق به الإرادتان، وهو ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي، فإنَّ الله لم يأمر بها شرعًا ولم يردها، وهو أيضًا لم يردها كونًا، فلم تقع(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

"والفرق بينهما: أنَّ الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبًا لله، فإذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون.

وأمَّا الشرعية: فإنه لا يلزم فيها وقوع المراد ويلزم أن يكون محبوبًا لله، ولهذا نقول: الإرادة الشرعيَّة بمعنى المحبَّة، والكونيَّة بمعنى المشيئة.

فإن قيل: هل الله يريد الخير والشر كونًا أو شرعًا؟

أجيب: إنَّ الخير إذا وقع؛ فهو مراد لله كونًا وشرعًا، وإذا لم يقع؛ فهو مراد لله شرعًا فقط، وأمَّا الشرُّ فإذا وقع؛ فهو مراد لله كونًا لا شرعًا وإذا لم يقع؛ فهو غير مراد كونًا ولا شرعًا"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٩/٨.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢٩٦/٢، وينظر: شرح الواسطية للشيخ الفوزان، ص٣٨.

قال ابن القيم رحمه الله: "والذي يكشف هذه الغُمَّة، ويبصِّر من هذه العماية، وينجِّي من هذه الورطة: إنما هو التفريق بين ما فرق الله بينه، وهو المشيئة والمحبة، فإنهما ليسا واحدًا، ولا هما متلازمين، بل قد يشاء ما لا يحبه، ويحبُّ ما لا يشاء كونه"[١].

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٩٢.

الفصل السابع:

آراؤه في مسائل الإيمان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإيمان والفرق بينه وبين الإسلام.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة.

المبحث الأول:

مفهوم الإيمان والفرق بينه وبين الإسلام

أولًا: تعريف الإيمان في اللغة

قال الخليل رحمه الله: "الأَمْنُ: ضِدُّ الخوف، والفعل منه: أَمِن يأمنُ أمنًا. والمأمَنُ: موضع الأمن، والأَمَنَةُ: من الأمن، اسمٌ موضوعٌ من أمنت"(١).

وقال ابن فارس: "**(أمن)** الهمزةُ والميمُ والنون أصلان متقاربان، أحدهما: الأمانة التي هي ضِدُّ الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخرُ: التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان، قال الخليل: الأَمَنَةُ: من الأمن، والأمانُ: إعطاءُ الأمنة، والأمانةُ: ضِدُّ الخيانة"(٢).

وكثيرٌ من أهل العلم عرَّف الإيمان لغةً بالتصديق، ولكن التحقيق أنَّ الإيمان ليس مرادفًا للتصديق من كلِّ وجه، ونبَّه على هذا الأمر الرَّاغب الأصفهاني في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾(٣) "قيل: معناه، بمصدِّقٍ لنا، إلا أنَّ الإيمان هو التصديق الذي معه أمن"(٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "... فإنَّ اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقرَّ في القلب التصديق والانقياد"(٥).

---

(١) العين ٨/٣٨٨.

(٢) مقاييس اللغة ١/١٣٣.

(٣) سورة يوسف: ١٧.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ١/٥٠.

(٥) الصارم المسلول، ص٥١٩.

ثانيًا: تعريف الإيمان في الشرع

أجمع السَّلف الصالح على "أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيَّة، لا يجزئُ واحدٌ من الثلاثة إلا بالآخر"(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله: "الإيمانُ قولٌ وعمل، يزيدُ وينقص"(٢).

وقال الآجرِّي رحمه الله: "باب القول بأنَّ الإيمان تصديقٌ بالقلب، وإقرارُ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، لا يكون مؤمنًا إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث"(٣).

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: "ومن مذهب أهل الحديث أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ومعرفة، يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية"(٤).

وقال الإمام البخاري رحمه الله: "لقيتُ أكثر من ألفِ رجلٍ من أهل العلم أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشَّام، ومصر، لقيتهم كراتٍ، قرنًا بعد قرن ثم قرنًا بعد قرن ... فما رأيتُ واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء: أنَّ الدين قولٌ وعمل ... "(٥).

---

(١) ذكر هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية عن الشافعي في مجموع الفتاوى ٢٠٩/٧، ٣٠٨، والإيمان، ص١٦٦، وقال إنه في كتاب الأم، (باب النية في الصلاة)، ولم أجده فيه بهذا اللفظ؛ فلعله نقله من نسخة أخرى لكتاب (لأم)، أو فهمه من نفي الشافعي للخلاف في اشتراط النية في الصَّلاة والصوم في هذا الباب، يقول الشافعي: "وإنما تكمل صلاة المصلي الصلاة الواجبة، وصوم الصائم الواجب عليه إذا قدَّم فيه مع دخوله في الصلاة نيَّةً يدخل بها في الصلاة، فلو كبَّر لا ينوي واجبًا من الصلاة أو دخل في الصوم لا ينوي واجبًا لم تجزه صلاته ولا صيامه من الواجب عليه منهما، وما قلتُ في هذا داخلٌ في دلالة سُنَّة أو أثر لا أعلم أهل العلم اختلفوا فيه" الأم ٣٢٤/١، ونفي الخلاف من عبارات الشافعي في إثبات الإجماع.

(٢) السُّنَّة ٣٠٧/١.

(٣) الشريعة ٦١١/٢.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٦٤.

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ١٧٣/١-١٧٤.

وقال أبو زرعة وأبو حاتم رحمهما الله: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: الإيمان قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقص"(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله في بيان الأصول التي اتفق عليها أهل السُّنَّة والجماعة: "ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الدين والإيمان قولٌ وعمل، قولُ القلبِ واللِّسان، وعملُ القلب واللِّسان والجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقصُ بالمعصية"(٢).

ثالثًا: تعريف ابن عجيبة للإيمان، وحقيقة العمل فيه

قال: "فالإيمان هو التصديقُ بالقلب"(٣).

وقال في موضعٍ آخر: "والإيمان في اللُّغة: التصديقُ بالقلب بوجود الرَّب"(٤).

أمَّا حقيقة العمل فيرى أنَّ العمل ليس من الإيمان، بل يخرجه عن مُسمَّى الإيمان، يقول في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾(٥): "وفيه دليلٌ على أنَّ العمل ليس من الإيمان"(٦).

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة ١/١٧٦.

(٢) العقيدة الواسطية، ص١١١.

(٣) البحر المديد ٧/٣٢٠، وهذا القول أيضًا يقول به بعض الماتريدية، قال أبو المعين النسفي: "الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق"، التمهيد في أصول الدين، ص٩٩-١٠٠، ولا شك أن هناك تقاربًا بين الأشاعرة والماتريدية؛ لأنهما انبثقتا من الكُلابية. ينظر: شرح العقائد النسفية، ص٥٥-٥٦، والملل والنحل، ص٣٩-٤٠.

(٤) البحر المديد ٥/٣.

(٥) سورة يونس: ٢٦.

(٦) البحر المديد ٧/١٥٧.

وقوله: (إنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب) هو قول أكثر الأشاعرة[١]، الذين وافقوا الجهمية في مسألة الإيمان وحقيقة العمل فيه، قال ابن تيمية رحمه الله: "وأمَّا الأشعريُّ: فالمعروف عنه وعن أصحابه أنَّهم يُوافقون جهمًا في قوله في الإيمان، وأنَّه مجرَّد تصديق القلب، أو معرفة القلب ..."[٢].

وقال في موضعٍ آخر: "وأمَّا جهمٌ فكان يقول: إنَّ الإيمان مجرَّد تصديق القلب، وإن لم يتكلَّم به"[٣].

وأمَّا إطلاق لفظ التصديق في اللُّغة على مسمَّى الإيمان فمردودٌ من عدة أمور:

١- "ينبغي أن يُعلم أنَّ الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عُرف تفسيرها وما أُريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللُّغة ولا غيرهم؛ ولهذا قال الفقهاء: الأسماء ثلاثة أنواع: نوعٌ يُعرف حَدُّه بالشَّرع، كالصَّلاة والزكاة، ونوعٌ يُعرف حَدُّه باللُّغة، كالشَّمس، والقمر، ونوعٌ يُعرف حَدُّه بالعُرف، كلفظ القبض، ولفظ المعروف في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٤] ... فاسم الصَّلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك[٥] قد بيَّن الرسول ﷺ ما يُراد بها في كلام اللَّه ورسوله، وكذلك لفظ الخمر وغيرها، ومن هناك يُعرف معناها، فلو أراد أحَدٌ أن يفسِّرها بغير ما بيَّنه النَّبي ﷺ لم يُقبل منه، وأمَّا الكلام في اشتقاقها ووجه

(١) ينظر: الإنصاف للباقلاني، ص٢٢، اللمع، ص٧٨، المواقف، ص٣٨٤، تحفة المريد، ص٨٤. الإرشاد، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) النبوات ١/٥٨٠.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٤٧.

(٤) سورة النساء: ١٩.

(٥) "كاسم البيع والنكاح والقبض والدرهم والدينار، ونحو ذلك من الأسماء التي لم يحدها الشارع بحد، ولا لها حد واحد يشترك فيه جميع أهل اللغة بل يختلف قدره وصفته باختلاف عادات الناس" مجموع الفتاوى ١٩/٢٣٥.

دلالتها، فذاك من جنس علم البيان، وتعليل الأحكام، هو زيادة في العلم، وبيان حكمة ألفاظ القرآن، لكن معرفة المراد بها لا يتوقّف على هذا.

واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر، هي أعظم من هذا كله، فالنَّبي ﷺ قد بيَّن المراد بهذه الألفاظ بيانًا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق؛ فلهذا يجب الرجوع في مُسمَّيات هذه الأسماء إلى بيان اللَّه ورسوله، فإنه شافٍ كافٍ، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصَّة والعامَّة، بل كلُّ من تأمَّل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرُّسول ويعلم بالاضطرار أنَّ طاعة اللَّه ورسوله من تمام الإيمان"[١].

٢- "أنَّ لفظ الإيمان في اللُّغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق، فإنه من المعلوم في اللُّغة أنَّ كلَّ مخبر يُقال له: صدقت أو كذبت، ويقال: صدَّقناه أو كذَّبناه، ولا يُقال لكلِّ مخبر: آمنَّا له أو كذَّبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له أو مكذِّب له، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختصُّ بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك، لكان كفره أعظم، فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط"[٢].

٣- "وإن كان هو التصديق، فالتصديق التام القائم مستلزمٌ لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإنَّ هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليلٌ على انتفاء الملزوم، ونقول: إنَّ هذه اللوازم تدخل في مسمَّى اللَّفظ تارة، وتخرج عنه أخرى"[٣].

(١) كتاب الإيمان، ص٢٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٩.

(٣) نفسه، ص١١٧.

٤- أنَّ الأفعال تُسمَّى تصديقًا كما ورد في الحديث الثابت عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كتب على ابن آدم حظَّه من الزِّنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النَّظر، وزنا اللِّسان المنطق، والنَّفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذِّبه»(١).

٥- يلزم من فساد هذا القول أنَّ من صدَّق بقلبه فهو مؤمن، ولو لم يركع أو يسجد لله عَزَّوَجَلَّ سجدةً واحدة(٢).

٦- أنَّ هذا القول مخالف للأدلة الشرعية التي تثبت أنَّ العملَ داخلٌ في الإيمان، **ومنها:**

أولًا: من القرآن

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣)، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فيقال: من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه، بحيث إذا كان الإنسان مؤمنًا، لزم ذلك بغير قصد منه ولا تَعمُّد له، وإذا لم يوجد دلَّ على أنَّ الإيمان الواجب لم يحصل في القلب، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾(٤)، فأخبر أنك لا تجد مؤمنًا يواد المحادين لله ورسوله، فإنَّ نفس الإيمان ينافي موادته، كما ينفي أحد الضدَّين الآخر، فإذا وجد

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، ١٣٩/٤، رقم ٦٢٤٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٤١٦/٢.

(٣) سورة الأنفال: ٢.

(٤) سورة المجادلة: ٢٢.

الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه، كان ذلك دليلًا على أنَّ قلبه ليس فيه الإيمان الواجب"[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال ابن قتيبة رحمه الله: "فإيمان العبد بالله: تصديقه قولًا وعملًا وعقدًا، وقد سمى الله الصلاة -في كتابه- إيمانًا، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾أي: صلاتكم إلى بيت المقدس"[3].

ثانيًا: من السُّنَّة

١- قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وستون شعبة، فأفضلُها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[4].

٢- قال رسول الله ﷺ لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم»[5].

٣- قال رسول الله ﷺ: «آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار»[6].

---

(١) الإيمان، ص١٧.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) غريب القرآن، ص١٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وفضلها، ٦٣/١، رقم ٣٥.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب تحريض النبي ﷺ وفد قيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من ورائهم، ٤٨/١، رقم ٢٥.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، ٢٢/١، رقم ١٧.

والقول الحق هو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة "أنَّ الإيمان قولٌ وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح"[1]، وهذا "أتم من قول من يقول: إنَّ الإيمان اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، صحيح أنَّ هذا يرد مذهب الخوارج المرجئة، لكن ما ذكره الشيخ من هذه الأمور الخمسة أتم، يعني: يستوعب كل جوانب الإيمان"[2].

رابعًا: الفرق بين الإيمان والإسلام

الفرق بين الإيمان والإسلام من المسائل الهامَّة جدًّا؛ "لكثرة ذكرهما، وكثرة كلام النَّاس فيهما، والاسم كُلَّما كثر التكلُّم فيه، فتكلم به مطلقًا ومقيَّدًا بقيد، ومقيدًا بقيد آخر في موضع آخر، كان هذا سببًا لاشتباه بعض معناه، ثم كُلَّما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك، ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضه، ويكون ما سمعه مقيَّدًا بقيد أوجبه اختصاصه بمعنى، فيظن معناه في سائر موارده كذلك، فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامَّة، وعلم مأخذ الشبه أعطى كل ذي حق حقه، وعلم أن خير الكلام كلام اللّه، وأنه لا بيان أتم من بيانه"[3].

وذهب ابن عجيبة أنه لا فرق بين الإسلام والإيمان، واستدلَّ بقول الله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

فقال: "وفيه دليلٌ على أنَّ الإسلام والإيمان واحد، أي: باعتبار الشرع فهما

---

(١) العقيدة الواسطية، ص١١١.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، للبراك، ص٢٣٥.

(٣) كتاب الإيمان، ص٣٤٠.

(٤) سورة الذاريات: ٣٥-٣٦.

متلازمان، فلا إسلام إلا بعد إيمان، ولا إيمان إلا بعد النطق بالشهادة إلا لعذر، وأمَّا في اللغة فمختلف، والإسلام محلُّه الظاهر، والإيمان محلُّه الباطن"[1].

واستدلال ابن عجيبة بهذه الآية هو نفس قول النَّسفي إذ يقول: "وفيه دليلٌ على أنَّ الإيمان والإسلام واحد"[2].

وهذا القول مخالف ومردود بتفسير الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ للإيمان "فإنَّ الله ورسوله قد فسَّرا الإيمان بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبيَّنَا أيضًا أنَّ العمل بما أمر به يدخل في الإيمان، ولم يسم الله عَزَّوَجَلَّ الإيمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت إسلامًا، بل إنَّما سمّى الإسلام الاستسلام له بقلبه وقصده وإخلاص الدين والعمل بما أمر به؛ كالصَّلاة والزكاة خالصًا لوجهه، فهذا هو الذي سمَّاه الله إسلامًا وجعله دينًا، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] ... وهذا يقتضي أنَّ كلَّ من دان بغير دين الإسلام فعمله مردود، وهو خاسر في الآخرة، فيقتضي وجوب دين الإسلام وبطلان ما سواه، لا يقتضي أنَّ مُسمَّي الدين هو مُسمَّى الإيمان، بل أمرنا أن نقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[4]، وأمرنا أن نقول: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[5] فأمرنا باثنين فكيف نجعلهما واحدًا؟"[6].

---

(١) البحر المديد ٥/٤٧٥.

(٢) مدارك التنزيل ٣/٤١٩.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

(٤) سورة البقرة: ١٣٦.

(٥) سورة البقرة: ١٣٦.

(٦) الإيمان، ص٣٢٠-٣٢١.

وبيّن شيخ الإسلام لفظ الإسلام والإيمان حال الاقتران والتفرد فقال: "إذا تبيَّن هذا وعُلم أنَّ الإيمان الذي في القلب من التصديق والحب وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، كما أنَّ القصد التام مع القدرة يستلزم وجود المراد وأنه يمتنع مقام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه زالت الشبه العلمية في هذه المسألة - وهي دعوى إمكانية حصول الإيمان في القلب دون حصول أثره في الظاهر-[1] ولم يبق إلا (نزاع لفظي) في أنَّ موجب الإيمان الباطن هل هو جزء منه داخل في مُسمَّاه فيكون لفظ الإيمان دالًّا عليه بالتضمُّن والعموم؟ أو هو لازم للإيمان ومعلول له وثمرة له فتكون دلالة الإيمان عليه بطريق اللزوم؟ وحقيقة الأمر أنَّ اسم الإيمان يستعمل تارة هكذا وتارة هكذا كما قد تقدم، فإذا قرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل كان دالًّا على الباطن فقط، وإن أفرد اسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر وبهذا تأتلف النصوص.

فقوله: ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، أفرد لفظ الإيمان فدخل فيه الباطن والظاهر، وقوله: ﷺ في حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»، ذكره مع قوله: ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول لله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» فلما أفرده عن اسم الإسلام ذكر ما يخصه الاسم في ذاك الحديث مجرَّدًا عن الاقتران، وفي هذا الحديث مقرون باسم الإسلام ... ومن علم أن دلالة اللفظ تختلف بالإفراد والاقتران كما في اسم الفقير والمسكين والمعروف والمنكر والبغي وغير

---

(١) ينظر: آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية، أ.د عبد الله السند، ص٢٧٢.

ذلك من الأسماء وكما في لغات سائر الأمم عربها وعجمها زاحت عنه الشبهة في هذا الباب"(١).

وقال أيضًا: "إذا عرف أنَّ أصل الإيمان في القلب فاسم (الإيمان) تارة يطلق على ما في القلب من الأقوال القلبية والأعمال القلبية من التصديق والمحبة والتعظيم، ونحو ذلك، وتكون الأقوال الظاهرة والأعمال لوازمه وموجباته ودلائله، وتارة على ما في القلب والبدن جعلًا لموجب الإيمان ومقتضاه داخلًا في مُسمَّاه وبهذا يتبيَّن أنَّ الأعمال الظاهرة تُسمَّى إسلامًا وأنها تدخل في مُسمَّى الإيمان تارة ولا تدخل فيه تارة.

وذلك أنَّ الاسم الواحد تختلف دلالته بالإفراد والاقتران، فقد يكون عند الإفراد فيه عموم لمعنيين وعند الاقتران لا يدل إلا على أحدهما، كلفظ الفقير والمسكين إذا أفرد أحدهما تناول الآخر وإذا جمع بينهما كان لكلٍّ واحد مُسمّى يخصه ... والأقوال والأعمال الظاهرة نتيجة الأعمال الباطنة ولازمها.

وإذا أفرد اسم (الإيمان) فقد يتناول هذا وهذا كما في قول النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وحينئذٍ فيكون الإسلام داخلًا في مُسمَّى الإيمان وجزءًا منه فيقال حينئذ: إنَّ الإيمان اسمٌ لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة"(٢).

وقال الخطابي رحمه الله: "والصَّحيح من ذلك أن يقيَّد الكلام في هذا، ولا يُطلق على أحد الوجهين، وذلك أنَّ المسلم قد يكون مؤمنًا في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمنًا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكلُّ مؤمن مسلم، وليس كل

(١) مجموع الفتاوى ٧/٥٧٥-٥٧٦.

(٢) المرجع نفسه ٧/٥٥١.

مسلم مؤمنًا، فإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها ولم يختلف منها شيء"[1].

ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: "فأمَّا الإسلام، فقد فسَّره النَّبي ﷺ بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل، وأول ذلك شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وهو عمل اللسان، ثم إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ... وأمَّا الإيمان، فقد فسَّره النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة ... وأمَّا وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان، وتفريق النَّبي ﷺ بينهما، وإدخاله الأعمال في مُسمَّى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو أنَّ من الأسماء ما يكون شاملًا لمسمَّيات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرِن ذلك الاسم بغيره، صار دالًّا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر، دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دلَّ أحدهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفراده، ودلَّ الآخر على الباقي"[2].

ويقول الخطابي رحمه الله: "وهذه المسألة -يعني الفرق بين الإسلام والإيمان- مما قد أكثر الناس الكلام فيها، وصنَّفوا لها صحفًا طويلة، والمقدار الذي لا بدَّ من ذكره هنا على وجه الإيجاز والاختصار:

---

(١) معالم السنن ٤/٣١٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٩٨، ١٠٢.

أنَّ الإيمان والإسلام قد يجتمعان في مواضع، فيقال للمسلم مؤمن، وللمؤمن مسلم، ويفترقان في مواضع، فلا يُقال لكلِّ مسلمٍ مؤمن، ويقال لكلِّ مؤمنٍ مسلم، فالموضع الذي يتفقان فيه هو أن يستوي الظاهر والباطن، والموضع الذي لا يتفقان فيه هو أن لا يستويا، ويقال له عند ذلك مسلم"[١].

وقال ابن أبي العز رحمه الله: "وطائفة جعلوا الإسلام مرادفًا للإيمان ... مع أنهم قالوا: إنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب ثم قالوا: الإسلام والإيمان شيءٌ واحد فيكون الإسلام هو التصديق، وهذا لم يقله أحدٌ من أهل اللُّغة وإنما هو الانقياد والطاعة، وقد قال النَّبي ﷺ: «اللهمَّ لك أسلمتُ وبك آمنتُ»[٢]، [٣].

وأما الاستدلال بالآية السابقة "فلا حُجَّة فيه؛ لأنَّ أهل البيت المُخْرَج كانوا متصفين بالإسلام والإيمان ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادف"[٤].

"والتحقيق في الفرق بينهما أنَّ الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب، وبالإسلام جنس العمل، ومن هنا قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم، فإنَّ من حقق الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام، فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام، وليس كل مسلم مؤمنًا، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفًا فلا يتحقق القلب به تحقُّقًا تامًّا مع عمل جوارحه أعمال الإسلام، فيكون مسلمًا، وليس بمؤمن الإيمان التام"[٥].

---

(١) أعلام الحديث ١/١٦٠-١٦١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل، ١/٥٣٣، رقم ٧٦٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٨٧.

(٥) جامع العلوم والحكم، ص٢٦-٢٧.

الأدلة على التفريق بينهما:

١- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول ﷺ الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثر السَّفر، ولا يعرفه منَّا أحد، حتى جلس إلى النَّبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال: رسول الله ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا» قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن السَّاعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: «أن تلد الأَمَةُ ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» قال: ثم انطلقَ فلبثتُ مليًّا ثم قال لي: «يا عمرُ أتدري من السائل؟» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم»[١].

٢- عن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وسعدٌ جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلًا هو أعجبهم إليَّ فقلتُ: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «أو مسلمًا»، فسكتُ قليلًا ثم غلبني ما أعلم منه فعدتُ لمقالتي فقلتُ: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «أو مسلمًا»، ثم غلبني ما أعلم منه فعدتُ لمقالتي وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: «يا سعدُ إنِّي لأعطي الرَّجل

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ٣٦/١، رقم ٨.

وغيره أَحَبُّ إليَّ منه خشية أن يكبَّه الله في النَّار»[1].

قال ابن رجب رحمه الله: "وكذلك قول النَّبي ﷺ لسعد رضي الله عنه لما قال له: «لم تعط فلانًا وهو مؤمن»، فقال النَّبي ﷺ: «أو مسلم» يشير إلى أنه لم يتحقق مقام الإيمان فإنما هو مقام الإسلام الظاهر، ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضًا"[2].

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنَّة الجنَّة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النَّار من كان في قلبه مثقال حَبَّةٍ من خردلٍ من إيمان ...»[3].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "وقوله في الحديث: «أخرجوا من النار من في قلبه ...» إلخ، يوافق ما ذكرناه -من التفريق بين الإسلام والإيمان-، فإنَّ الإيمان أعلى من الإسلام، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه، وإن كان ناقصًا"[4].



(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، ٣١/١، رقم ٢٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص٢٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ٢٣/١، رقم ٢٢.

(٤) الدرر السنية ١٨٨/١.

المبحث الثاني:

زيادة الإيمان ونقصانه

أولًا: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه من القرآن

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذه الآية من أكبر الدلائل على أنَّ الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السَّلف والخلف من أئمَّة العلماء"[3].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[5].

قال الكرماني رحمه الله: "فإن قلتَ: هذه الآيات دلَّت على الزيادة فقط، والمقصود بيان الزيادة والنقصان كليهما قلت: كلُّ ما قبل الزيادة لا بدَّ وأن يكون قابلًا للنُّقصان ضرورة"[6].

---

(١) سورة الفتح: ٤.

(٢) سورة التوبة: ١٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٤٠٢.

(٤) سورة محمد: ١٧.

(٥) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٦) الكواكب الدراري ١/٧١.

وقال ابن بطال رحمه الله: "وبيان ذلك أنه من لم تحصل له بذلك الزيادة، فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له"(١).

وقال البغوي رحمه الله: "وقالوا: -أي أهل السُّنَّة والجماعة- إنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنُّقصان في وصف النِّساء(٢)"(٣).

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

قال ابن بطال رحمه الله: "هذه الآية حُجَّة في زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأنَّ هذه الآية نزلت يوم عرفة في حَجَّة الوداع يوم كملت الفرائض والسُّنَن واستقرَّ الدِّين، وأراد الله قبض نبيِّه، فدلَّت هذه الآية أنَّ كمال الدين إنما حصل بتمام الشريعة، فمن حافظ على التزامها فإيمانه أكمل من إيمان من قَصَرَّ في ذلك وضيَّع"(٥).

ثانيًا: أدلَّة زيادة الإيمان ونقصانه من السُّنَّة

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمَرهُم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنَّا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إنَّ الله قد غفر لك ما

---

(١) شرح صحيح البخاري ١/٥٦.

(٢) وأنهن (ناقصاتُ عقلٍ ودين)، وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدلَّ غير واحد على أنه ينقص. ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٣/٥١، ٧/٢٣٣، "وليس المقصود بذكر النقص في النِّساء لومهن على ذلك؛ لأنه من أصل الخلقة، لكن التنبيه على ذلك تحذيرًا من الافتتان بهن ...". ينظر: فتح الباري ١/٤٠٦.

(٣) شرح السُّنَّة ١/٣٩.

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) شرح صحيح البخاري ١/١٠٢، وينظر: عمدة القاري ١/٢٥٨.

تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول: «إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»[1].

قال ابن حجر رحمه الله: "وفيه دليلٌ على زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأنَّ قوله ﷺ: (أنا أعلمكم بالله) ظاهر في أنَّ العلم بالله درجات، وأنَّ بعض النَّاس فيه أفضل من بعض، وأنَّ النَّبيﷺ منه أعلى الدرجات، والعلم بالله يتناول ما بصفاته وما بأحكامه وما يتعلَّق بذلك فهذا هو الإيمان الحقيقي"[2].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»[3].

قال ابن عبد البر رحمه الله معلِّقًا على هذا الحديث: "وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر، إذا صلّوا للقبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أنَّ الكافر لا يرث المسلم أوضح الدلائل على صحة قولنا: إنَّ مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك وليس بكافر كما زعمت الخوارج في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبيﷺ أنا أعلمكم بالله، ٢٣/١، رقم ٢٠.

(٢) فتح الباري ٧٠/١.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٦/٣، رقم ٢٤٧٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ٧٦/١، رقم ٥٧، واللفظ لمسلم.

تكفيرهم المذنبين، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ في ارتكاب الكبائر حدودًا جعلها كَفَّارةً وتطهيرًا"[(١)].

قال النووي في بيان معنى الحديث: "فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أنَّ معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تُطلق على نفي الشَّيء ويُراد نفي الكمال"[(٢)].

٣- عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال، قال: رسول الله ﷺ: «من اقتنى كلبًا إلا كلبَ ماشيةٍ أو ضاريًا[(٣)] نقص من عمله كل يوم قيراطان»[(٤)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذا الحديث: "وفي الحديث الحثُّ على تكثير الأعمال الصالحة، والتحذير من العمل بما ينقصها، والتنبيه على أسباب الزيادة فيها والنقص منها؛ لتجتنب أو ترتكب، وبيان لطف الله تعالى بخلقه في إباحة ما لهم به نفع وتبليغ نبيِّهم ﷺ لهم أمور معاشهم ومعادهم، وفيه ترجيح المصلحة الراجحة على المفسدة؛ لوقوع استثناء ما يُنتفع به مما حُرِّم اتخاذه"[(٥)].

٤- عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنَّة من أُمَّتي سبعون ألفًا بغير حساب»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرَّون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكَّلون»[(٦)].

---

(١) التمهيد ٩/٢٤٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢/٤١.

(٣) ضاريًا: مُغرىً بالصَّيد، سُمِّي ضاريًا؛ لأنَّه يَضْرَى بالشَّيء، ويقال: ضرا الكلب وأضراه صاحبه أي: عوَّده وأغراه بالصيد. ينظر: مقاييس اللغة ٣/٣٩٧، غريب الحديث ١/٤٤٠، فتح الباري ٩/٦٠٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب من اقتنى كلبًا ليس بكلب صيدٍ أو ماشية، ٣/٤٥٢، رقم ٥٤٨٢.

(٥) فتح الباري ٥/٧.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ١/١٩٨، رقم: ٣٥٥.

قال ابن تيمية رحمه الله: "... وفي حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب كفاية فإنه من أعظم الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأنَّه وصفهم بقوة الإيمان وزيادته في تلك الخصال التي تدلُّ على قوة إيمانهم، وتوكُّلهم على الله عَزَّوَجَلَّ في أمورهم كلِّها"[1].

ثالثًا: رأي ابن عجيبة في زيادة الإيمان ونقصانه

يقول ابن عجيبة في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[2] "وهذا يدلُّ على أنَّ الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بحسب التوجه إلى الله والتفرُّغ مما سواه، وينقص بحسب التوجُّه إلى الدنيا وشغبها، ويزيد أيضًا بالطاعة والنظر والاعتبار، وينقص بالمعصية والغفلة والاغترار"[3].

ولكن هذا النص سرعان ما ينقضه بتنزيله على المريدين، أمَّا الزيادة والنقص فهي لعوام المسلمين، أمَّا المريدين فهم الذين يزدادون يقينًا وإيمانًا عندما يؤذون فيتحققون أنهم على المنهج السليم لينقلبوا لمرحلة الشهود والمعاينة فيتحقق مقام الإحسان الذي هو مقام الشهود والعيان[4]، ولا تحقق الزيادة إلا بصحبة أهل العرفان -أي أهل المعرفة-[5] وهم أهل وحدة الوجود فمن لم يصحبهم بقي إيمانه ناقصًا[6].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٢٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٣) البحر المديد ١/٤٣٧.

(٤) المشاهدة: "هي رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة فترجع إلى تكثيف اللطيف، فإذا ترقق الوداد، ورجعت الأنوار الكثيفة لطيفة فهي المعاينة، فترجع إلى تلطيف الكثيف، فالمعاينة أرق من المشاهدة وأتم". معراج التشوف، ص٢٥.

(٥) المعرفة: هي التمكين من المشاهدة واتصالها، فهي شهود دائم بقلب هائم فلا يشهد إلا مولاه. ينظر: معراج التشوف، ص٢٥.

(٦) ينظر: البحر المديد ١/٤٣٣، ٢/١٣٣.

ونقل عن زروق في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١) قوله: "اعلم أنَّ الإيمان على ثلاثة أقسام: إيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو إيمان الملائكة، وإيمان يزيد وينقص، وهو إيمان عامَّة المسلمين، وإيمان يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء والرُّسُل، ومن كان على قدمهم من العارفين الروحانيين الراسخين في علم اليقين، ومن تعلَّق بهم من المريدين السائرين، فهؤلاء إيمانهم دائمًا في الزيادة، وأرواحهم دائمًا في الترقِّي في المعرفة، يزيدون بالطاعة والمعصية لتيقُّظهم وكمال توحيدهم"(٢).

وقد احتوى هذا النص على مخالفات عقديَّة منها:

١- الخوض في ما لم يرد دليلٌ عليه في إيمان الملائكة.

٢- التسوية بين إيمان الأنبياء -عليهم السَّلام- وإيمان العارفين الروحانيين الذين وصلوا -كما يزعم- لدرجة الاتصال بالله عَزَّوَجَلَّ عن طريق المجاهدة والجوع وتحريم الطيبات من الرزق، وهذا لا شكَّ في بطلانه، ويتضح ذلك عند بيان مذهب أصحاب الروحانيات الذين يزعمون "أنَّ للعالم صانعًا، فاطرًا، حكيمًا، مقدَّسًا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يُتقرَّب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون، المطهرون، المقدسون جوهرًا، وفعلًا، وحالةً ... فالواجب علينا أن نطهِّر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعيَّة، ونهذِّب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية، حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات، فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبو في جميع

---

(١) سورة الأنفال: ٢.

(٢) البحر المديد ٢/٣٠٥.

أمورنا إليهم، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم، ورازقنا ورازقهم، وهذا التطهير والتهذيب ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياضتنا وفطامنا أنفسنا عن دنيَّات الشهوات، باستمداد من جهة الروحانيات، والاستمداد هو التضرُّع والابتهال بالدعوات، وإقامة الصلوات، وبذل الزكوات، والصيام عن المطعومات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبائح، وتبخير البخورات، وتعزيم العزائم، فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة، بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة"[1].

٣- عدم النَّظر لحقيقة الإيمان من حيث إنه يزيد وينقص بل نظر لمتعلقه من الأشخاص، والأولى أن يقرر ما قرَّره أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه.

٤- لا يُسلَّم له قوله: (لتيقُّظهم وكمال توحيدهم)؛ لأنهم ليسوا معصومين بل تقع منهم المعصية ولا يكونون مع هذا في كمال توحيدهم، وإن كانوا من أولياء الله الصالحين، فلا عصمة مكفولة لهم من ربِّ العالمين، فالخطأ والميل إلى الهوى عليهم وارد.

ثم إنه جعل الأولياء أفضل من الأنبياء، والمقرَّر عند سلف الأُمَّة وخَلَفِها من أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الأنبياء أفضل من الأولياء، وأنه لا يجوز تفضيل أحدٌ من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء[2].

قال الطحاوي رحمه الله: "ولا نُفضِّل أحدًا من الأولياء على أَحَدٍ من الأنبياء -عليهم السَّلام- ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جميع الأولياء"[3].

---

(١) الملل والنحل ٢/٦٤.

(٢) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص١٨٦.

(٣) العقيدة الطحاوية ٢/٧٤١.

المبحث الثالث:

حكم مرتكب الكبيرة

أولًا: تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر

ذهب الجماهير من السَّلف والخلف إلى تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وتظاهر على ذلك دلائل الكتاب والسُّنَّة واستعمال سلف الأُمَّة وخلفه(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "وقد دلَّ القرآنُ والسُّنَّةُ وإجماعُ الصَّحابة والتابعين بعدهم والأَئمَّة على أنَّ من الذنوب كبائر وصغائر"(٢).

ثانيًا: أدلة الكتاب والسُّنَّة على ذلك

أ- من القرآن:

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾(٤).

ب- من السُّنَّة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفِّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر»(٥).

---

(١) شرح النووي على مسلم ٢/٨٥.

(٢) الجواب الكافي، ص١٢٥.

(٣) سورة النساء: ٣١.

(٤) سورة النجم: ٣٢.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس، ١/٢٠٩، رقم ٢٣٣.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال: ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشَّوكة يشاكها»(١).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»(٢).

وذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّ الأعمال الصالحة تُكفِّر صغائر الذنوب وأمَّا الكبائر فلا تُكَفَّر بمجرَّد فعل الأعمال الصالحة بل لا بدَّ من التوبة بشروطها حتى تُكَفَّر(٣).

ويقول القاضي عياض: "هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وأنَّ الكبائر إنما تكفِّرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله"(٤).

ثالثًا: حد الكبيرة وحصرها

ورد الاختلاف في حدِّ الكبيرة والصغيرة على أقوال، وملخصها على **ضربين**:

الضرب الأول: من حصر الكبيرة في عددٍ معيَّن.

قال ابن عجيبة: "واختلف في الكبائر، هل تعرف بالعدِّ أو بالحد؟ فقيل: سبع(٥)، وقيل ثلاث، وقيل أربع(٦)، وقيل: سبعون(٧)، وقيل: كل معصية فهي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض ٢٣/٤، رقم: ٥٦٤٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ٢٣/٤، رقم ٥٦٤١.

(٣) ينظر: نيل الأوطار ٥٧/٣.

(٤) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ١١٢/٣.

(٥) روى ذلك ابن جرير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٤١/٥.

(٦) روى ذلك ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٣٧/٥، ٤٠.

(٧) روى ذلك ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه ٤١/٥.

كبيرة[1]، وقيل: "كلُّ ما نهى من أوّل السُّورة[2] إلى ههنا[3] من الكبائر"[4].

وهذا التحديد ليس له دليل ولا وجه له؛ لأن هناك نصوص صحيحة ذكرها النبي ﷺ وعدَّها من الكبائر، مثل: حديث السبع الموبقات عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هنَّ"، قال: «الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[5].

قال ابن كثير رحمه الله: "فالنص على هذه السبع بأنهن كبائر لا ينفي ما عداهن، إلا عند من يقول بمفهوم اللقب[6]، وهو ضعيف عند عدم القرينة، ولا سيِّما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم"[7].

وسبب حصر هذه السبع والتنصيص عليها؛ لكونها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها لا سيِّما فيما كانت عليه الجاهلية[8].

---

(١) البحر المديد ٤٥٩/١.

(٢) سورة النساء.

(٣) إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾، سورة النساء: ٣١.

(٤) درج الدرر في تفسير الآي والسور ٤٨٣/١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ٣٩٣/٥، رقم ٢٧٦٦.

(٦) مفهوم اللقب: هو تخصيص اسم بحكم، وهو حجة عند مالك وأحمد، وأنكره الأكثر، ينظر: شرح الكوكب المنير، ص٤٥٧، المدخل، لابن بدران ٣٠٨/١.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٢٧٢/٢.

(٨) ينظر: شرح النووي على مسلم ٢٧٠/٢، الزواجر عن اقتراف الكبائر ١٤/١، لوامع الأنوار البهية ٣٦٧/١.

كذلك وردت أحاديث صحيحة ونصَّت على أنَّ من يفعل هذا الفعل فقد فعل كبيرة، ومنها:

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ﵁ قال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وكان متكئًا فجلس فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو ﵄ عن النبي ﷺ قال: «الكبائرُ: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النَّفس، واليمين الغموس»[(٢)].

ويُلاحظ زيادة (عقوق الوالدين، وشهادة الزور) في الحديث الأول، و(اليمين الغموس) في هذا الحديث، فهذه نصوصٌ صحيحةٌ دلَّت على أنَّ هذه الأفعال من الكبائر.

الضرب الثاني: وهو تعريف الكبيرة -بضابط- دون ذكر عددٍ معيَّن مع اختلافهم في التعريف.

عرَّفها ابن عجيبة بقوله: "ما يكبر عقابه من الذنوب، وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه"[(٣)].

ونقل قول ابن عطيه ﵀[(٤)]: "وتحرير القول في الكبائر: أنها كل معصية يوجد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ١٠/٤٠٥، رقم ٥٩٧٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس، ١١/٥٦٤، رقم ٦٦٧٥.

(٣) البحر المديد ٥/٥١١.

(٤) هو: أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ولد سنة ٤٨٠هـ، له مصنفات منها: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، فهرس ابن عطيه، وتوفي سنة ٥٤٢هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ١٨/٤٠.

فيها حدٌّ في الدنيا، أو توعّد عليها بنارٍ في الآخرة، أو بلعنةٍ ونحوها"[1].

وقال أيضًا: "وقيل: كلُّ ما فيه حق الغير فهو كبائر، وما كان بينك وبين الله تعالى صغائر"[2].

وقيل في تعريفها: "كل ما اتفقت عليه الشرائع بتحريمها"[3].

وقيل أيضًا هي: كل ذنب يترتَّب عليه حدٌّ أو توعّد عليه بالنار، أو اللعنة، أو غضب الله عَزَّوَجَلَّ[4].

وقال المباركفوري رحمه الله: "والراجح: أنَّ كلَّ ذنبٍ نُصَّ على كِبَره، أو عظمه أو توعَّد عليه بالعقاب في الآخرة، أو خُتم بالغضب، أو اللَّعنة، أو عُلِّق عليه حدٌّ، أو شُدِّد النكير عليه، أو وصِف فاعلها بالفسق فهو كبيرة"[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط لعدة وجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السَّلف، بخلاف تلك الضوابط؛ فإنها لا تعرف عن أحدٍ من الصحابة والتابعين والأئمَّة.

الثاني: أنَّ الله قال: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾[6] فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق

---

(١) المحرر الوجيز ٥/١٨٤.

(٢) المرجع نفسه ١/٤٩٥، وقريبٌ من هذا قول سفيان الثوري: (الكبائر: ما كان فيه من المظالم بينك وبين العباد، والصغائر: ما كان بينك وبين الله). مدارج السالكين ١/٣٢٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٢٥.

(٤) قاله ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٢٥.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/١٢١.

(٦) سورة النساء: ٣١.

الوعد الكريم، وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنَّة أو ما يقتضي ذلك فإنه خارج عن هذا الوعد.

الثالث: أنَّ هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب، فهو حَدٌّ يُتلقَّى من خطاب الشارع، وما سوى ذلك ليس متلقّى من كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله ﷺ.

الرابع: أنَّ هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، وأمَّا تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر.

الخامس: أنَّ تلك الأقوال فاسدة:

فقول من قال: إنها ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه؛ يوجب أن تكون الحَبَّة من مال اليتيم ومن السرقة والخيانة والكذبة الواحدة وبعض الإساءات الخفيَّة ونحو ذلك كبيرة، وأن يكون الفرار من الزحف ليس من الكبائر؛ إذ الجهاد لم يجب في كل شريعة، وكذلك يقتضي أن يكون التزوُّج بالمحرمات بالرضاعة والصهر وغيرهما ليس من الكبائر؛ لأنه مما لم تتفق عليه الشرائع، وكذلك إمساك المرأة بعد الطلاق الثلاث ووطئها بعد ذلك مع اعتقاد التحريم.

وكذلك من قال: إنها ما تسدُّ باب المعرفة أو ذهاب النفوس والأموال؛ يوجب أن يكون القليل من الغضب والخيانة كبيرة، وأن يكون عقوق الوالدين وقطيعة الرَّحم وشرب الخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ونحو ذلك ليس من الكبائر.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها وأنَّ ما عُصي الله عَزَّوَجَلَّ به فهو كبيرة؛ فإنه يوجب أن لا تكون الذنوب في نفسها تنقسم إلى كبائر وصغائر،

وهذا خلاف القرآن فإنَّ الله قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾[2]، وقال: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾[3]، وقال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[4]، وقال: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾[5]، والأحاديث كثيرة في الذنوب الكبائر.

ومن قال: هي سبعة عشر، فهو قولٌ بلا دليل.

ومن قال: إنها مبهمة أو غير معلومة، فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها.

ومن قال: إنه ما تُوعِّد عليه بالنار قد يقال: إنَّ فيه تقصيرًا؛ إذ الوعيد قد يكون بالنار وقد يكون بغيرها، وقد يقال: إنَّ كل وعيد فلا بدَّ أن يستلزم الوعيد بالنار.

وأمَّا من قال: إنها كلُّ ذنب فيه وعيد، فهذا يندرج فيما ذكره السَّلف؛ فإنَّ كلَّ ذنب فيه حَدٌّ في الدنيا ففيه وعيدٌ من غير عكس، فإن الزِّنا والسرقة، وشرب الخمر، وقذف المحصنات ونحو ذلك فيها وعيد، كمن قال: إن الكبيرة ما فيها وعيد"[6].

---

(١) سورة النجم: ٣٢.

(٢) سورة الشورى: ٣٧.

(٣) سورة النساء: ٣١.

(٤) سورة الكهف: ٤٩.

(٥) سورة القمر: ٥٣.

(٦) مجموع الفتاوى ١١/٦٥٤.

رابعًا: حكم مرتكب الكبيرة

تدلُّ نصوص الوحيين دلالةً واضحةً على أنَّ مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملَّة، بل ينقص إيمانه بقدر ما اقترف من الكبائر، ويطلق عليه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ولا يسلب عنه الإيمان، ومع ذلك لا يستحق أن يطلق عليه اسم مؤمن بإطلاق، بل يبقى معه مطلق الإيمان.

أ- أدلة الكتاب على ذلك:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[1].

قال ابن جرير رحمه الله: "وقد أبانت هذه الآية أنَّ كلَّ صاحب كبيرة ففي مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليها ما لم تكن الكبيرة شركًا"[2].

وقال النووي رحمه الله: "وفي هذه دلالة لمذهب أهل الحق وما أجمع عليه السَّلف أنه لا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد، والله أعلم"[3].

٢- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[4].

قال ابن أبي العز رحمه الله: "فلم يُخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخًا لوليِّ القصاص، والمراد أُخوَّة الدين بلا ريب"[5].

---

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) جامع البيان ١٢٦/٥.

(٣) شرح النووي على مسلم ٥٨/٣.

(٤) سورة البقرة: ١٧٨.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٤٤٢/٢.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

قال السَّعدي رحمه الله: "وإنَّ الإيمان، والأخوَّة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السُّنَّة والجماعة"[2].

ب- أدلة السُّنَّة على ذلك:

٤- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كُفَّارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك»[3].

٥- وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الله يدني من المؤمن فيضعُ عليه كنفهُ[4] ويستُرُه فيقول: أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ حتى إذا قرَّرهُ

---

(١) سورة الحجرات: ٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٨٠٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار ١/٢٢، رقم ١٨، ومسلم، كتاب الحدود، باب الكفارات لأهلها ٣/١٣٣٣، رقم ١٧٠٩.

(٤) كنفه: رعاه وحفظه، وهو في حرزه وظله يكنفه بالكلاءة وحسن الولاية. ينظر: العين ٥/٣٨١، لسان العرب ٩/٣٨٠.

بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالكٌ قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأمَّا الكافر والمنافق، فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]»[2].

هذه هي عقيدة أهل السُنَّة والجماعة قاطبة في مرتكب الكبيرة.

يقول الصابوني رحمه الله: "ويعتقد أهل السُنَّة أنَّ المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يَكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإنَّ أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنَّة يوم القيامة سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذَّبه مدةً بعذاب النار، وإذا عذَّبه لم يخلِّده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار"[3].

وذهب ابن عجيبة إلى هذا بقوله: "ومذهب أهل السُنَّة أنَّ مرتكب الكبيرة لا يُخلَّد في النَّار، وأنه في حكم المشيئة، وفيه ردٌّ على المعتزلة القائلين بتخليد عصاة المؤمنين في النار"[4].

---

(١) سورة هود: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٩٦/٥، رقم ٢٤٤١.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٧٦.

(٤) البحر المديد ٢١/٢، ٤٨/١.

الباب الثالث:

آراء ابن عجيبة الصوفية

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: المريد والشيخ.

الفصل الثاني: الولاية والكرامة.

الفصل الثالث: الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

الفصل الرابع: الأحوال والمقامات.

الفصل الخامس: موقفه من أعلام الصوفية وطرقها وأثره على من بعده.

الفصل السادس: التعريف بالطريقة الدرقاوية ودوره في تأسيسها، وموقف علماء أهل السُّنَّة منها.

الفصل الأول: **المريد والشيخ**

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم المريد والشيخ.

المبحث الثاني: الصلة بين المريد والشيخ.

المبحث الأول:
مفهوم المريد والشيخ

أولًا: مفهوم المريد والشيخ

عرَّف ابن عربي المريد بأنه: "الذي صحَّ له الأسماء ودخل في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم"[1].

وقال الجرجاني: "هو المجرَّد عن الإرادة"[2].

وقيل: هو "من عزفت نفسُه عن طيِّبات الدنيا، وأعرض عن لذَّاتها لتلذُّذه بوظائف العبادات"[3].

وعرَّفه ابن عجيبة بقوله: "هو الذي فعله حميد، ورأيه سديد، وبصره حديد، وبحره مديد، يستفيد ويفيد"[4].

وقال أيضًا: "فهو الذي تعلَّقت إرادته بمعرفة الحق، ودخل تحت تربية المشايخ"[5].

وقسَّم ابن عجيبة المريد إلى ثلاث مراتب، فقال: "وهي ثلاثة مراتب: إرادة التبرُّك والحرمة، وهي لمن ضعفت هِمَّته وكثرت علاقته، وإرادة الوصول إلى الحضرة، وهي لأهل التجريد[6] وقُوَّة العزم، وإرادة الخلافة وكمال المعرفة، وهي لمن ظهرت

---

(١) اصطلاحات الصوفية، ص٥٢٩.

(٢) التعريفات، ص٢٦٩، وينظر: معجم اصطلاحات الصوفية، ص٢٤٢.

(٣) القاموس الصوفي، ص٢٨٨.

(٤) قوانين صوفية، ص٤٣.

(٥) معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص٧٨.

(٦) التجريد: أن يتجرَّد بظاهره عن الأعراض وبباطنه عن الأعواض، ولا يأخذ من عرض الدنيا شيئًا، ولا يطلب =

نجابته وكملت أهليَّته وصُرِّح له بالخلافة من شيخٍ كاملٍ أو هاتفٍ صادق"[1].

فطريق التبرك يكفي فيه تعلُّم الفقه والتوحيد، وأن يكون المريد مُحبًّا لشيخه وإخوانه، وطريق الإرادة أن يلقي التلميذ بنفسه بين يدي الشيخ، فيكون كالميت بين يدي الغاسل يفعل به ما يشاء، ويُقلِّبه كيف يشاء، فمريد الإرادة يسلب إرادته لشيخه، فهو يتلقَّى الطريق من شيخه أقوالًا وأفعالًا، وإن لم يفعل ذلك فهو منازع للشيخ فيما يريد[2].

أمَّا مفهوم الشيخ فعرَّفه القاشاني[3] بقوله: "الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حدِّ التمكين فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفته بدوائها، وقدرته على شفائها، والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها"[4].

وقيل: "هو الذي سلك طريق الحق، وعرف المخاوف والمهالك، فيرشد المريد ويشير إليه بما ينفعه وما يضرُّه"[5].

=

على ما ترك منها عوضًا من عاجلٍ ولا آجل، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى، لا لعلة غيره، ولا لسبب سواه، ويتجرَّد بسره عن ملاحظة المقامات التي يحلها، والأحوال التي ينازلها بمعنى السكون إليها. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١١.

(١) معراج التشوف، ص٣١.

(٢) ينظر: مواعظ حامدية، ص٩-١٠.

(٣) عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد الكاشاني أو القاشاني، صوفيٌّ وله مؤلفات في التصوف منها: كشف الوجوه الغر، ولطائف الإلهام، ورشح الزلال، كانت وفاته سنة ٧٣٠هـ. ينظر: كشف الظنون ١/٢٢٦.

(٤) اصطلاحات الصوفية، ص١٦٢.

(٥) معجم مصطلحات الصوفية، ص١٤٣.

ثانيًا: أمور يجب على المريد أن يسلكها

من جملة الأمور التي يسلكها المريد وبدونها لا يصل لمقام الولاية –حسب زعمهم– المجاهدة والعزلة، والصوم، والجوع، وتسليط النَّاس، والتجرُّد من الدنيا وملذَّاتها[1].

قال ابن عجيبة: "وأعظم ما يشتغل عنه المريد ويغيب عنه حُبُّ الدنيا، فإنه سُمٌّ قاطع، ولا يمكن السير إلى الله بصفاء القلوب مع بقاء شيءٍ منها، وقليلها ككثيرها"[2].

وقال في موضعٍ آخر: "فإن أضاف المريد إلى العزلة[3] الصمت والجوع والسَّهر فقد كملت ولايته، وظهرت عنايته، وأشرقت عليه الأنوار، وانمحت من مرآة قلبه صور الأغيار"[4].

ويقسِّم الصوفية العزلة إلى قسمين: عزلة المريد بالجسم عن مخالطة الأغيار، وهو في هذا المقام لم يصل إلى وحدة الشُّهود، والقسم الثاني: عزلة المحققين وتكون بالقلب عن الكون، فهؤلاء وصلوا –بزعمهم– لوحدة الشُّهود والعيان، فكملت ولايتهم، وهم بذلك يتحقق فيهم المقولة الكفرية وحدة الوجود.

وهذا ليس ممدوحًا، فالممدوح من العزلة اعتزال ما يؤذي، ومن الخلطة ما ينفعُ، فلا ينبغي أن تقطع العزلةُ عن العلم والجماعات ومجالس الذكر والاحتراف للعائلة، وحضور الجنائز، وعيادة المرضى[5].

---

(١) ينظر: شرح الصلاة المشيشية، ص١٤، البحر المديد ٣٢٤/٤، ٥٦٦/١.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٤٣٦.

(٣) ينظر: الإسفار عن رسالة أهل الأنوار فيما يتجلَّى لأهل الذكر في الخلوة من الأنوار، ص٨٣، لطائف الأعلام ٣٠٦/٢.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٦٠.

(٥) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ٣٧٢/٢، ينظر: مختصر منهاج القاصدين، ص١١٦، تلبيس إبليس، ص٣٥٢.

ولقد فسَّر ابن عجيبة قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾[1] بقوله: "الحرم الآمن في هذه الدار هو التبتُّل والانقطاع عن الدنيا وأبنائها، والتجرُّد من أسبابها"[2].

وهذا التفسير مخالفٌ لتفسير العلماء المحققين، قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى ممتنًّا على قريش فيما أحلَّهم من حرمه الذي جعله للنَّاس سواءً العاكف فيه والباد، ومن دخله كان آمنا فهم في أمنٍ عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، كما قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[3]"[4].

وتفسير ابن عجيبة المخالف للآية جاء نتيجة المجاهدة والرياضة التي كان عليها ابن عجيبة فقد "كان قليل اللحم، يابس الجلد على العظم؛ من كثرة المجاهدة والزهد والورع، ويلبس جلابة مرتقعة"[5]، فهو يصف نفسه عندما تكون تلك حالته بقوله: "ولقد كنتُ في حال الرياضة والمجاهدة إذا أردت أن أتكلَّم في التفسير، أو غيره أشرع في الكلام، ثم أغيب[6]، فكنت أحس بالكلام يخرج مني من غير اختيار كأنه السَّحاب، فتصدر مني علومٌ وحِكَم، فإذا سكت لم يبق منه إلا القليل"[7].

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٧.

(٢) البحر المديد ٤/٣٢١.

(٣) سورة قريش: ١-٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٦/٢٦٥، وينظر: المحرر الوجيز ٤/٣٢٥، والبحر المحيط ٣/٢٧٣.

(٥) ينظر: مخطوط كنز الأسرار، للمعسكري، ص٣١، وهذه مسالك الصوفية المبتدعة التي لم ترد في الشرع.

(٦) غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق؛ لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب. ينظر: الرسالة القشيرية، ص٦٣.

(٧) إيقاظ الهمم، ص٣٦٦.

قال ابن تيمية رحمه الله: "الرياضة تستعمل في ثلاثة أنواع: في رياضة الأبدان بالحركة والمشي كما يذكر الأطباء وغيرهم، وفي رياضة النُّفوس بالأخلاق الحسنة المعتدلة والآداب المحمودة، وفي رياضة الأذهان بمعرفة دقيق العلم والبحث عن الأمور الغامضة"(١).

وما توهَّمه ابن عجيبة هو في الحقيقة خطاباتٌ شيطانية، نتيجة الرياضات والمجاهدات الشاقَّة على النَّفس.

قال ابن القيم رحمه الله: "فمن أين للمخاطب أن هذا الخطاب رحماني، أو ملكي؟ بأيِّ برهان؟ أو بأيِّ دليل؟ والشيطان يقذف في النفس وحيه، ويلقي في السمع خطابه، فيقول المغرور المخدوع: قيل لي وخوطبت، صدقت لكن الشأن في القائل لك والمخاطب ... خطاب حالي، تكون بدايته من النفس، وعوده إليها، فيتوهمه من خارج، وإنما هو من نفسه، منها بدأ وإليها يعود، وهذا كثيرًا ما يعرض للسَّالك، فيغلط فيه، ويعتقد أنه خطاب من الله، كلَّمه به منه إليه، وسبب غلطه أنَّ اللطيفة المدركة من الإنسان إذا صفت بالرياضة، وانقطعت علقها عن الشواغل الكثيفة صار الحكم لها بحكم استيلاء الروح والقلب على البدن، ومصير الحكم لهما، فتنصرف عناية النفس والقلب إلى تجريد المعاني التي هي متصلة بهما، وتشتد عناية الروح بها، وتصير في محل تلك العلائق والشواغل، فتملأ القلب، فتنصرف تلك المعاني إلى المنطق والخطاب القلبي الروحي بحكم العادة، ويتفق تجرد الروح، فتشكل تلك المعاني للقوة السامعة بشكل الأصوات المسموعة، وللقوة الباصرة بشكل الأشخاص المرئية، فيرى صورها، ويسمع الخطاب، وكله في نفسه ليس في

---

(١) الرد على المنطقيين، ص٢٥٥.

الخارج منه شيء، ويحلف أنه رأى وسمع، وصدق، لكن رأى وسمع في الخارج، أو في نفسه؟ ويتفق ضعف التمييز، وقلة العلم، واستيلاء تلك المعاني على الروح، وتجردها من الشواغل"(١).

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله خطر هذه الرياضات والمجاهدات وما ينتج عنها من اعتقادات فاسدة فقال: "وكذلك أصحاب الرياضة والتجرُّد ... قد تنعقد في قلبه مقاييس فاسدة ومواجيد فاسدة يحكم بمقتضاها في الربوبية أحكامًا فاسدة مثل: ... اعتقاد أنَّ الرَّب هو الوجود المطلق الذي لا يتميَّز، وأنَّ عين الوجود هو عين الخالق وأنه ليس وراء السموات والأرض شيءٌ آخر، وإنما هذه الأشياء كلها مراتب للصفات وأنَّ الربوبية والإلهية مراتب ذهنية شكوكية، وأمَّا في الحقيقة فليس إلا عين ذاته فالمحجوبون يرون المراتب والمكاشف ما ترى إلا عين الحق"(٢).

وهذه المجاهدات المبتدعة ليست من الدين، فالمشقة لا تقصد لذاتها، أمَّا المشقة التي يثاب عليها المؤمن فهي التي تلحقه أثناء التكليف، وأمَّا أن تقصد لذاتها وتجتنب رخص الله فلا، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣) (٤).

قال الشاطبي رحمه الله وهو يبيِّن البدع التي عليها المتصوفة: "ومن ذلك أنهم يبنون طريقهم على اجتناب الرخص جملة ... فالتزام العزائم مع وجود مضار الرخص التي

---

(١) مدارج السالكين ١/٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٦٣، ٦٦.

(٣) سورة التوبة: ١٢٠.

(٤) ينظر: الموافقات ٢/٢١٥.

قال فيها رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[١] فيه ما فيه، وظاهره أنه بدعة استحسنوها قمعًا للنفس عن الاسترسال في الميل إلى الراحة وإيثارًا إلى ما يبنى عليه من المجاهدة"[٢].

ثالثًا: تجرُّد المريد عن المال

لا بدَّ للمريد أن يفتح على نفسه أربعة؛ ليدخل في طريق القوم: "يفتح باب الذُّل، ويغلق باب العز، ويفتح باب المجاهدة، ويغلق باب الرَّاحة، ويفتح باب السَّهر، ويغلق باب النُّوم، ويفتح باب الفقر، ويغلق باب الغنى"[٣].

وقصد القوم من المجاهدة الوصول للإلهام والكشف، قال الغزالي: "فبالمجاهدة والجلوس مع الله في الخلوة مع تطهير القلب عن شواغل الدنيا تنكشف دقائق علوم الدين، وتنفجر ينابيع الحكمة من القلب من غير عَدٍّ ولا حصر، فتصفية القلب والجلوس في الخلوة مع الله تعالى هو مفتاح الإلهام ومنبع الكشف"[٤].

"وكل مريد اشتغل بإصلاح حاله وبنظافة ثيابه، ولبس الأصواف الرفيعة وغيرها لا يفلح في طريق القوم، ولو كان شيخه من أكبر الأولياء"[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ١٠٨/٢، وابن حبان في صحيحه ٤٥١/٦، ٢٧٤٢، ٣٣٣/٨، ٣٥٦٨، لكن في الموضع الثاني بلفظ: «كما يجب أن تؤتى عزائمه»، والبزار ٢٥٠/١٢، رقم ٥٩٩٨، والبيهقي في كتاب الصلاة، باب كراهية ترك التقصير والمسح على الخفين وما يكون رخصة رغبة عن السُّنَّة، ١٤٠/٣، والخطيب في تاريخه ٣٤٧/١٠، والقضاعي في مسند الشهاب ١٠٧٨، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير والبزار، ورجال البزار ثقات وكذلك رجال الطبراني. ينظر: ١٦٥/٣-١٦٦، والحديث صحَّحه الألباني في الإرواء ح: ٥٦٤.

(٢) الاعتصام ٢٣٧/١.

(٣) من كلام أبي مدين، مخطوط آداب المريد والشيخ، تطوان، ضمن مجموع رقم ١٠٨٨، ص١٤٠.

(٤) فاتحة العلوم، للغزالي، ص٢٩، وكذلك الوصول لوحدة الوجود، وهذا ما سوف يتبين أيضًا أثناء مناقشة الولاية، ووحدة الوجود.

(٥) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ١٩٠/١.

وابن عجيبة سلك هذا المسلك إذ يقول: "وقد كنتُ قبل أن أدخل في طريق القوم متلبِّسًا بشيءٍ من الدنيا، كان عندي بستان وعرصتان من اللشين[1]، من قبل الحبس وبقرة تحلب وملاح الملح وخزانة من كتب العلم، فلما دخلت في الطريق ذهب ذلك كلُّه وبقيت كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾[2]، وبعت كتب العلم الظاهر، وأنفقت جلَّ ذلك على الشيخ[3] في بنيان داره وفي تزويجه"[4].

والخروج عن المال بأن يصبح العبد ذليلًا، فارغ اليد، ليس من الدين في شيء، ولم يفعله النبي ﷺ مع أصحابه، "ولم يأمر أحدًا بالخروج عن ماله، ولا أمر صاحب صنعة بالخروج عن صنعته، ولا صاحب تجارة بالخروج عن ماله، ولا صاحب تجارة بترك تجارته، وهم كانوا أولياء الله حقًّا، والطالبون لسلوك طريق الحق صدقًا، وإن سلك من بعدهم ألف سنة لم يبلغ شأنهم ولم يبلغ هداهم، ثم إنه كما يكون المال شاغلًا في الطريق عن بلوغ المراد، فكذلك يكون فراغ اليد منه جملة شاغلًا عنه، وليس أحد العارضين أولى بالاعتبار من الآخر"[5].

وترك ما يستعين به العبد على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ليس من الزهد المشروع[6].

قال ابن القيم رحمه الله: "الزهد في الدنيا جملة، وليس المراد تخليها من اليد ولا إخراجها وقعوده صفرًا منها، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكُليَّة، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه، وإن كانت في يده، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك

---

(١) اللشين: البرتقال، الفهرسة، ص٥٣.

(٢) سورة الأنعام: ٩٤.

(٣) يقصد شيخه العربي الدرقاوي.

(٤) الفهرسة، ص٥٣.

(٥) الاعتصام ١/٢٧٣-٢٧٤.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى ١١/٢٨.

وهي في قلبك وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك، وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز[1] الذى يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهدًا فيها"[2].

ورأي ابن عجيبة وغيره[3] بعيد عن دين الوسطية والاعتدال، فالنفس لها إقبال وإدبار في ما تقوم به من أعمال، ولهذا بيَّن لنا النبي ﷺ المنهج الصحيح فقال: «لكلِّ عملٍ شرة، ولكلِّ شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سُنَّتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»[4]، ومن لم تخرجه فترته من تضيع فرض أو تدخله في فعل محرَّم يُرجى له أن يعود أفضل مما كان عليه[5].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "ومن عظَّم مطلق السهر والجوع، وأمر بهما مطلقًا فهو مخطئ، بل المحمود السَّهر الشرعي، والجوع الشرعي، فالسَّهر الشرعي كما تقدَّم

---

(١) أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي، أمير المؤمنين، ولي إمارة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده فَعُدَّ مع الخلفاء الراشدين، روى عن عروة بن الزبير، وأبي بكر بن عبد الرحمن، والربيع بن سيرة، وغيرهم، وعنه الزهري وأبو بكر بن حزم، حديثه عند الستة، مات في رجب سنة ١٠١هـ، وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف. ينظر: الجرح والتعديل ١٢٣/٦، سير أعلام النبلاء ١١٤/٥.

(٢) طريق الهجرتين، ص٢٥٢.

(٣) ينظر: الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية، ص٣٥، ٣٥٣، سلوك الطريقة الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، ص٧٣، ١٠٧.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤٠٩/٥، رقم ٢٣٨٧٠، والبزار في المسند ٣٣٧/٦-٣٣٨، رقم ٢٣٤٥، و٢٣٤٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح ٢٥٨/٢، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٩٩/٣، رقم ٣٨٧٨، وابن حبان في صحيحه ١٨٧/١، رقم ٢١١، وحسَّنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ٣٨٠/١، وأخرجه الترمذي ٧٤/٢، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح، وصحَّحه الألباني في ظلال الجنة رقم ١٥١.

(٥) ينظر: مدارج السالكين ١٣١/٣.

من صلاة، أو ذكر، أو قراءة، أو كتابة علم، أو نظر فيه، أو درسه، أو غير ذلك من العبادات"[1].

وقال أيضًا: "وهذا هو الذي أدخل كثيرًا منهم في الرهبانية، والخروج عن الشرعية، حتى تركوا من الأكل والشرب، واللباس والنكاح ما يحتاجون إليه، وما لا تتم مصلحة دينهم إلا به ... فلازموا الجوع والسَّهر، والخلوة والصَّمت وغير ذلك مما فيه ترك الحظوظ واحتمال المشاق"[2].

وقال الذهبي رحمه الله: "ثم قلَّ من عمل هذه الخلوات المبتدعة إلا واضطرب، وفسد عقله، وجفَّ دماغه، ورأى مرأى وسمع خطابًا لاوجود له في الخارج"[3].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأولياء الله عَزَّوَجَلَّ شيء يتميَّزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميَّزون بلباس دون لباس إذا كان مباحًا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفر إذا كان مباحًا، كما قيل كم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التُّجَّار والصُّنَّاع والزُّرَّاع"[4].

ويجب على المؤمن أن يسلك ما جاءت به النصوص الشرعية بتسديد العبد وتوفيقه من الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٨/٢٢.

(٢) المرجع نفسه ٧١٥/١٠، ٧١٧-٧١٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨٠/٣٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٩٤/١١.

﴿يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه، ويزكِّي النفوس من شركها وفجورها ودسِّها وما فيها من أخلاقٍ رديئة، كل بحسبه، لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرًا"[2].

ولن تنعم هذه النفس في أنواع العبادات إلا إذا تزكَّت بتحقيق التوحيد العلمي الخبري والإرادي الطلبي، فالله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق لقيام توحيده وعبادته، وأسبغ عليهم نعمه ليتوسَّلوا بشكرها إلى زيادة كرامته[3].

ومن تأمَّل هدي النبي ﷺ وجده أفضل الهدي في مطعمه ومشربه وملبسه، "يأكل ما تيسَّر إذا اشتهاه، ولا يردُّ موجودًا، ولا يتكلَّف مفقودًا، فكان إن حضر خبزٌ ولحمٌ أكله، وإن حضر فاكهة وخبز ولحم أكله، وإن حضر تمر وحده أو خبز وحده أكله، وإن حضر حلو أو عسل طعمه أيضًا، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد، وكان يأكل القثَّاء بالرطب، فلم يكن إذا حضر لونان من الطعام يقول: لا آكل لونين، ولا يمتنع من طعام لما فيه من اللذة والحلاوة، وكان أحيانًا يمضي الشهران والثلاثة لا يوقد في بيته نار، ولا يأكلون إلا التمر والماء، وأحيانًا يربط على بطنه الحجر من الجوع، وكان لا يعيب طعامًا فإن اشتهاه أكله، وإلا تركه ... وكذلك اللباس كان يلبس القميص والعمامة، ويلبس الإزار والرداء ويلبس الجُبَّة[4] والفروج[5]، وكان يلبس من القطن والصوف وغير ذلك ... وكان يلبس مما يُجلب

---

(١) سورة النور: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٠/٦.

(٣) ينظر: مدارج السالكين ١٤٤/١.

(٤) الجُبَّة: ثوب سابغ واسع الكُمِّين مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب. ينظر: المعجم الوسيط ١٠٤/١.

(٥) الفروج: شبه القباء، وهو ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه. المرجع نفسه ٧١٣/٢.

من اليمن وغيرها، وغالب ذلك مصنوعٌ من القطن، وكانوا يلبسون من قباطي مصر، وهي منسوجة من الكتان، فسُنَّتُه في ذلك تقتضي أن يلبس الرَّجل ويطعم مما يسَّره الله ببلده من الطعام واللباس، وهذا يتنوع بتنوع الأمصار.

وقد كان اجتمع طائفة من أصحابه على الامتناع من أكل اللحم ونحوه، وعلى الامتناع من تزوج النساء، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾(١).

وفي الصحيحين عنه أنه بلغه أنَّ رجالًا قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أمَّا أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم، فقال: «لكنِّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوَّج النساءَ وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢).

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾(٣)، فأمر بأكل الطيبات والشكر لله فمن حرم الطيبات كان معتديًا، ومن لم يشكر كان مفرطًا مضيعًا لحق الله. وثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»(٤) ... فهذه هي الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ وانحرف عنها قوم ابتدعوا

---

(١) سورة المائدة: ٨٧-٨٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، ٩/١١٧، رقم ٥٠٧٣، ٥٠٧٤.

(٣) سورة البقرة: ١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، ١٧/٢١٠، رقم ٢٧٣٤.

رهبانية لم يشرعها الإسلام، وأحدثوا مجاهدات مبتدعة موهومة لتحقيق التقوى ... وأمَّا مجرد تعذيب النفس والبدن من غير منفعة راجحة فليس هذا مشروعًا لنا بل أمرنا الله بما ينفعنا ونهانا عما يضرنا"[1].

والتقوى إذا كان صاحبها معتصمًا بالكتاب والسُّنَّة كان في خير، وبمنأى عن قياس فلسفي أو خيال صوفي نتيجة رياضة النفس، قال ابن تيمية رحمه الله: "الحق أنَّ التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب على نيل العلم، لكن لا بدَّ من الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة في العلم والعمل، ولا يمكن أنَّ أحدًا بعد الرسول يعلم ما أخبر به الرسول من الغيب بنفسه بلا واسطة الرسول، ولا يستغني أحد في معرفة الغيب عمَّا جاء به الرسول، وكلام الرسول مبيِّن للحق بنفسه، ليس كشف أحد ولا قياسه عيارًا عليه، فما وافق كشف الإنسان وقياسه وافقه، وما لم يكن كذلك خالفه، بل ما يسمى كشفًا وقياسًا هو مخالف للرسول فهذا قياس فاسد وخيال فاسد"[2].

فغاية الإنسان أن يجعل عبادته وأعماله لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، متبعًا في ذلك سُنَّة نبيِّنا محمَّد ﷺ، مبتعدًا عن كلِّ مشقَّة مؤذية للنَّفس والبدن، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣١٢/٢٢، بتصرف.

(٢) الرد على المنطقيين، ص٥١١.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

المبحث الثاني:

الصلة بين المريد والشيخ

أولًا: الطاعة التامَّة والتعظيم المفرط

الصلة بين المريد والشيخ قائمة على الطاعة التامَّة لكلِّ ما يأمر به الشيخ ظاهرًا وباطنًا، "ولو اعترض المريد على الشيخ باطنًا فذلك يوجب التوبة وتجديد العهد"(١).

ولا بدَّ من تعظيم المريد لشيخه، يقول ابن عجيبة: "ينبغي للمريد الذي تحقق بخصوصية شيخه أن يلاعن من يخاصمه فيه، ويبعد عنه كلَّ البعد، ولا يهين له لئلا يركبه، ويدفع عن شيخه ما استطاع؛ فإنَّ هذا من التعظيم الذي هو سببٌ في سعادة المريد، ولا يصغي إلى المفسدين الطاعنين في أنصار الدين، قلتُ: وقد جاءني بعض من ينتسب إلى العلم من أهل فاس، فقال لي: قد اتفقت علماء فاس على بدعة شيخكم، فقلتُ له: لو اتفق أهل السَّماوات السبع والأرضين السبع على أنه من أهل البدعة لقلتُ أنا: إنه من أهل السُّنَّة؛ لأني تحقَّقت بخصوصيته، كالشَّمس في أفق السَّماء ليس دونها سحاب"(٢).

وقال أيضًا: "ما زال الفقراء يعظِّمون أشياخهم، ويبالغون في ذلك حتى يُقبِّلون أرجلهم والتراب بين أيديهم ويجتهدون في خدمتهم ..."(٣).

بل عدَّ بعض المتصوفة أنَّ مجرَّد الاعتراض على الشيخ "سمٌّ قاتلٌ وداءٌ عاضل"(٤).

---

(١) ينظر: بغية السالك في أشرف المسالك ١/١٢٦.

(٢) البحر المديد ١/٣٦٤، ٣٧٤.

(٣) المرجع نفسه ١/٢٧٤.

(٤) المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، ص٨٢.

وليس للمريد أن يعترض على شيخه ولو رأى منه القبيح بل عدَّه ابن عجيبة "من أقبح كل قبيح، وأشنع من كل شنيع، وهو سبب تسويس بذرة الإرادة، فتفسد شجرة الإرادة"[١].

بل بلغ من التعظيم أنَّ ابن عجيبة يقرر الخضوع للشيخ، ولكن على هيئة تقبيل القدم أو الأرض بين يدي الشيخ حيث يقول: "الحق سبحانه غيور، لا يرضى لغيره أن يعبد معه غيره، سواء كان على وجه الواسطة والتقريب، أو على وجه الاستقلال؛ لذلك حَرُم السجود لغير الله، وأمَّا الخضوع للأولياء العارفين بالله، على غير وجه العبادة، فهو عين الخضوع لله؛ لأنَّ الله تعالى أمر بالخضوع للرُّسل، الدالين على الله، وهم ورثتهم في الدلالة، لكن لا يكون ذلك على هيئة السجود، وإنما يكون على وجه تقبيل القدم والأرض"[٢].

والحقيقة بيَّنها أهل الحق من علماء السُّنَّة والجماعة، قال ابن القيم رحمه الله: "فالشِّرك والكفر هو "شركٌ وكفر؛ لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه، فمن سجد لمخلوق وقال: ليس هذا بسجودٍ له، هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة، أو هذا إكرام، لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجودًا لغير الله عَزَّوَجَلَّ"[٣].

فالسُّجود لغير الله عز وجل لا شكَّ في تحريمه دلَّ على ذلك إنكار رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعل معاذ رضي الله عنه، عندما رجع من الشام فسجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا يا معاذ؟» فقال: يا رسول الله رأيتهم يسجدون لأساقفتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم، فقال: «كذبوا يا معاذ، لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرت

(١) إيقاظ الهمم ١/١٠٥.

(٢) البحر المديد ٦/٢٣٦.

(٣) بدائع الفوائد ٢/٢٣٥.

المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حِقّه عليها، يا معاذ أرأيت إذا مررت بقبري أكنت ساجدًا؟»، قال: لا، قال: «فلا تفعل»، أو كما قال رسول الله ﷺ[1].

والقيام والركوع، والسجود حق للواحد الأحد، المعبود خالق السَّموات والأرض، وما كان حقًّا خالصًا لله ﷻ لم يكن لغيره فيه نصيب[2].

وإنك لتلحظ أنَّ الصوفية يستقون من منبع واحد بل يلتمسون العذر لشيوخهم، فهذا الدبَّاغ يقول: "من شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه، وبيِّنة منه، ولا يزن أحواله بميزانه، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة، فيجب التسليم، وكم من رجل بيده خمر ورفعه إلى فيه وقلب الله فيه عسلًا، والناظر يراه شرب خمرًا وهو ما شرب إلا عسلًا"[3].

وما هذه الأفعال إلا حيل باطلة لفَّقها الصوفية على مريديهم، فالشريعة أمرت بسدِّ الذرائع المفضية إلى المفاسد، فكيف بهؤلاء يتحايلون على مريديهم.

قال ابن القيم رحمه الله في كيفية سدَّ الذرائع: "لما كانت المقاصد لا يُتوصَّل إليها إلا بأسباب وطرق تُفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرَّمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٣٨١، وأبو داود، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة ٢١٤٠، والترمذي، كتاب الرضاع، باب حق الزوج على المرأة، رقم: ١١٥٩، وقال: حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوجة، رقم: ١٨٥٣، وحسَّن إسناده الألباني في الإرواء ٧/٥٦، في سياق الحديث ١٩٩٨، وعدَّه في الصحيحة في مواضع ١٢٠٣، ٣٣٦، ٣٤٩٠.

(٢) ينظر منهاج التأسيس، ص١٨٩، ٢٧٥.

(٣) الإبريز، ص٤٠٣.

ووسائل الطاعات والقربات في محبَّتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرم الرَّب تعالى شيئًا وله طرق ووسائل تُفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقًا لتحريمه، وتثبيتًا له، ومنعًا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم، وإغراء للنُّفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك؛ فإنَّ أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعُدَّ متناقضًا، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده، وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه، فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال؟ ومن تأمَّل مصادرها ومواردها علم أنَّ الله تعالى ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرَّمها ونهى عنها ..."[(١)].

ولكن الغلو في مشايخهم قادهم إلى إلحاقهم بما لا يستحقونه قال الشاطبي رحمه الله: "ومنها رأيُ قومٍ تغالوا في تعظيم شيوخهم، حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه، فالمقتصد فيهم يزعم أنه لا وليَّ لله أعظم من فلان، وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة إلا هذا المذكور، وهو باطلٌ محض، وبدعة فاحشة"[(٢)].

ويصف عبد الرحمن الوكيل غلو المريد مع شيخه فيقول: "ما ألحفت الصوفية في شيءٍ إلحافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابًا من دون الله، ففرضت على

(١) إعلام الموقعين ١٠٨/٣.

(٢) الاعتصام ٢٥٨/١.

الدرويش[1] أن يكون وطاءً ذليلًا لشيخه مستعبد الفكر سليب الإرادة كجُثَّة الميت في يد الغاسل، وجعلت هذه العبودية الممتهنة أولى الدلائل على طاعة المريد لشيخه، وعلى حبه له، وعلى أن يرقى معارج الوصول إلى حضائر القدس"[2].

وإذا كان الأنبياء قد عُصموا فيما يبلغونه عن الله عَزَّوَجَلَّ ولا يجوز إقرارهم عن خطأ يصدر منهم في شيءٍ يبلِّغونه عن الله، فهل هؤلاء الشيوخ بلغوا مرتبتهم فلا يُسألون ولا يُعارضون؟ كما يقول ابن عجيبة: "من قال لشيخه: لا، لا يفلح أبدًا"[3].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اتفق المسلمون على أنهم -يعني الأنبياء- معصومون فيما يبلغونه عن الله، فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ في شيءٍ مما يبلغونه عنه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأمَّا وجوب كونه معصومًا قبل أن يبعث نبيًّا لا يخطئ أو يذنب فليس في النُّبوة ما يستلزم هذا"[4].

وقال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يصف حال المريد مع شيخه: "ويسلِّمون أنفسهم إلى شيوخهم، فإن عوَّلوا إلى مرتبة شيخه قيل: الشيخ لا يعترض عليه، فحدُّ من حلَّ رسن ذلك الشيخ وانحطاطه في سلك الأقوال المتضمِّنة للكفر والضلال المسمَّى شطحًا وفي الأفعال المعلومة كونها في الشريعة فسقًا، فإن قبل أمردًا قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة[5]، وإن قسم ثوبًا على غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة"[6].

---

(١) الدرويش: الزاهد، الفقير المتعبِّد، الجوال عند الصوفية. ينظر: مجمع اللغة العربية المعاصرة ٧٤٢/١.

(٢) هذه الصوفية، ص٩٩.

(٣) الفتوحات الإلهية ١١/٢، طبعة البابي الحلبي على هامش إيقاظ الحكم.

(٤) منهاج السُّنَّة ٣٩٦/٢.

(٥) عبارة عن قميص يلبسه الشيخ للمريد الذي يدخل في إرادته، وهي علامة التفويض والتسليم لدخول المريد في حكم الشيخ. ينظر: عوارف المعارف، ص٩٢، معجم اصطلاحات الصوفية، ص١٧٨.

(٦) نقله ابن الجوزي في كتاب تلبيس إبليس، ص٤٤٩.

ولقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مآل من عظمَّ شيخه، فقال: "من ادعى أنَّ شيخًا من المشايخ يخلص مريديه يوم القيامة من العذاب، فقد ادعى أن شيخه أفضل من محمد بن عبد الله ﷺ، ومن قال هذا فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، يا عبَّاس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا سلوني ما شئتم من مالي»(١)... فإذا كان رسول الله ﷺ يقول مثل هذا لأهل بيته وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه؛ من المهاجرين والأنصار -يقول: إنه ليس يغني عنهم من الله شيئًا- فكيف يقال في شيخ غايته أن يكون من التابعين لهم بإحسان؟ وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـًٔاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾(٢).

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾(٣)، وأمثال ذلك من نصوص القرآن والسُّنَّة"(٤).

وتعظيم المريد لشيخه آل به إلى تعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تطابق على وجوبها الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ ٢٧٢/٣، رقم ٤٧٧١.

(٢) سورة الانفطار: ١٧-١٩.

(٣) سورة البقرة: ٤٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠٥/٢.

(٥) سور المائدة: ٦.

قال الشوكاني رحمه الله: "أي لعنهم الله سبحانه على لسان داود وعيسى ابن مريم أي في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى بما فعلوه من المعاصي كاعتدائهم في السبت وكفرهم بعيسى، ... والإشارة بذلك إلى اللعن، أي ذلك اللعن بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب آخر،... والمعنى، أنهم كانوا لا ينهون العاصي عن معاودة معصية قد فعلها، أو تهيَّأ لفعلها، ويحتمل أن يكون وصفهم بأنهم قد فعلوا المنكر باعتبار حالة النزول لا حالة ترك الإنكار، وبيان العصيان والاعتداء بترك التناهي عن المنكر؛ لأن من أخلَّ بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه وتعدى حدوده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية وأجل الفرائض الشرعية"[1].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضًا، فيشترك بذلك المباشر وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك، ... وإنما كان السكوت عن المنكر -مع القدرة- موجبًا للعقوبة؛ لما فيه من المفاسد العظيمة، **منها**: أنَّ مجرد السكوت فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت، فإنه -كما يجب اجتناب المعصية- فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية"[2].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3].

(١) فتح القدير ٢/٧٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٢٤٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ١/٦٩، رقم ٤٩.

وعن أمِّ المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنَّ النَّبي ﷺ دخل عليها فزعًا مرعوبًا يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم[1] يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه[2] الإبهام والتي تليها»، فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟، قال: «نعم، إذا كثر الخبث»[3]"[4].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا، وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا»[5].

والمريد غير مُهتد بعدم إنكاره على شيخه، بل هو في خُسر، يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "ومما يدلُّ على أنَّ تارك الأمر بالمعروف غير مهتد، أن الله تعالى أقسم أنه في خسر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[6]، فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد أداء الواجب لا يضر الآمر ضلال من ضل"[7].

قال البربهاري رحمه الله: "وإذا رأيت الرَّجل من أهل السُّنَّة رديء الطريق والمذهب،

---

(١) ردم: هو السد الذي بناه ذو القرنيين، ينظر: فتح الباري، لابن حجر ٢٠ /١٤٨.

(٢) أي جعلهما مثل الحلقة. ينظر: المرجع نفسه ١٤٨/٢.

(٣) الخبث: أي المعاصي والشرور وأهلها. ينظر: حاشية السندي على ابن ماجه ٣٢٣/٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ٤٥٨/٢، رقم ٣٣٤٦.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ٢٠٥/٢، رقم ٢٤٩٣.

(٦) سورة العصر: ١-٢-٣.

(٧) أضواء البيان ٤٥٩/١.

فاسقًا فاجرًا صاحب معاصي، ضالًّا وهو على السُّنَّة، فاصحبه، واجلس معه، فإنه ليس يضرك معصيته، وإذا رأيت الرَّجل مجتهدًا في العبادة متقشِّفًا محترقًا بالعبادة صاحب هوى، فلا تجالسه، ولا تقعد معه، ولا تسمع كلامه، ولا تمش معه في طريق، فإني لا آمن أن تستحلي طريقته؛ فتهلك معه"(١).

ثانيًا: طريقة تأسيس العلاقة بين المريد والشيخ

"يعتبر أخذ العهد وتلقين الورد أولى علامات قبول المريد وتأسيس العلاقة بينه وبين شيخه"(٢).

لهذا يقول ابن عجيبة: "فلما قبضت الورد من شيخنا البوزيدي، لبست جلابة غليظة،... واستأذنت الشيخ في لبس المرقَّعة(٣)"(٤).

هكذا تأثر الصوفية بالرهبنة المسيحية التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف وهم في أديرتهم كثرة كثيرة من المنقطعين لهذه الممارسة على امتداد الأرض التي حررها الإسلام بالتوحيد أعطى هو الآخر دورًا في التأثير الذي بدا على سلوك الأوائل(٥).

يقول المستشرق جولد تسيهر(٦): "ومما يدلُّ أيضًا على أثر العقائد الهندية أنَّ

---

(١) شرح السُّنَّة ١/١٢٠.

(٢) التصوف كوعي وممارسة، ص١٣١.

(٣) وأمر بعض الصوفية مثل محمد الحبيب الدرقاوي أتباعه ومريديه بارتداء أفضل الملابس التي يسمح بها وضعهم الاجتماعي. ينظر: الأثر الصوفي المغربي في بريطانيا، الزاوية الدرقاوية نموذجًا، ص١٠٩.

(٤) الفهرسة، ص٥٤.

(٥) ينظر: الصوفية معتقدًا وسلوكًا، ص١٧.

(٦) هو: مستشرق مجرِّي من أصل يهودي، ولد سنة ١٨٥٠م في المجر، ودرس في بودابست، وأكمل دراسته في برلين، زار مصر والشام وفلسطين في رحلة علمية، وأصبح أستاذًا للغات السامية سنة ١٨٩٤م في بودابست، توفي سنة ١٩٢١م. ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص١١٩.

المريد عندما يتم قبوله في الجماعة الصوفية يمنح خرقة تعتبر رمزًا إلى الفقر واعتزال الدنيا، ... ولكن لا نستطيع أن نتجاهل أن الخرقة كرمز للاندماج في الجماعة الصوفية تشبه طريق الاندماج في جماعة (البيكشو) الهندية الذي يتم تسليم الثوب ومعرفة القواعد والآداب التي يتحتم على المريد اتباعها"(١).

ولبس الخرقة من البدع التي اقترفها الصوفية، واهتمُّوا بتأليف الكتب فيها(٢)، ولقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن ليس لها أصل من الدين، فقال: وأما لباس الخرقة فليس لها أصل يدلُّ عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسُّنَّة ولا كان المشايخ المتقدمون وأكثر المتأخرين يلبسونها.

وأمَّا ما يستدلون به على قولهم بأنَّ امرأة نسجت(٣) بردة وأعطتها النبي ﷺ ثم سألها منه أحد الصحابة رضي الله عنهم ليس فيه دليل على الوجه الذي يفعلونه، فإن إعطاء الرجل لغيره ما يلبسه كإعطائه إياه ما ينفعه وأخذ ثوب من النَّبيِّ ﷺ على وجه البركة ليس هذا كلباس الخرقة بقصد المتابعة والاقتداء، أو اتخاذ ذلك سُنَّة وطريق إلى الله(٤).

وما زعموا بأنَّ لهم أصلًا في إسنادها إلى النَّبيِّ ﷺ فهذا كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسُنَّته ﷺ(٥).

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص١٤٥-١٤٦.

(٢) لبس الخرقة في السلوك الصوفي، ص١-٩٩.

(٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "جاءت امرأة ببردة، قال سهل: هل تدري ما البردة؟ قال: نعم هي الشَّملة منسوج في حاشيتها، قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها لإزاره فجسَّها رجلٌ من القوم فقال يا رسول الله: اكسنيها قال: «نعم». أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبر والشملة، ٤/٥٨، رقم ٥٨١٠.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ١١/٥١٠.

(٥) ينظر: المصدر السابق ١١/٨٨.

أما لبس المرقعات فليس من لبس السَّلف، بل كان السَّلف يرقعون ضرورة، وما يشتهر به المتصوفة من هذا اللباس فليس من الزهد في شيء، بل أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بإظهار النعمة، فقال في محكم التنزيل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(1)، (2).

وقال النبي ﷺ: «البذاذة من الإيمان»(3)، وبيَّن معناه الطحاوي بقوله: "أي: أنها من سيما أهل الإيمان، إذ معهم الزُّهد، والتواضع، وترك التكبُّر، كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم قبلهم في مثل ذلك"(4).

وكان أحب الثياب إلى النَّبي ﷺ أن يلبسها: الحِبَرَة(5).

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "حِبَرَة. البرود هي: برود اليمن تصنع من قطن، وهى الحبرات يشتمل بها، وهى كانت أشرف الثياب عندهم، ألا ترى أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ سُجِّي بها حين تُوفِّي، ولو كان عندهم أفضل من البرود شيءٌ لسُجِّي به، وفيه جواز لباس رفيع الثياب للصالحين وذلك داخل في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾(6)، (7).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النَّبي ﷺ لبس الصوف وبما روي في فضيلة لبس الصوف، فأمَّا لبس رسول الله ﷺ الصوف

(1) سورة الضحى: ١١.

(2) ينظر: تلبيس إبليس، ص٢٣٤.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الترجل، ٣٩٣/٤، رقم ٤١٦١، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له، ٥٦٢/٥، رقم ٤١١٨، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣٩٥/٢، وفي الصحيحة، رقم ٣٤١.

(4) شرح مشكل الآثار ١٩٣/٤.

(5) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك، كتاب اللباس، باب البرود والحبر والشملة، ٥٩/٤، رقم ٥٨١٢.

(6) سورة الأعراف: ٣٢.

(7) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ٩٩/٩.

فقد كان يلبسه في بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب، وأمَّا ما يروى في فضل لبسه فمن الموضوعات التي لا يثبت منها شيء"[1].

ثالثًا: آداب المريد مع شيخه

ذكر ابن عجيبة جملة من الآداب التي تجب على المريد مع شيخه، فقال: "وأمَّا الآداب التي تكون مع الشيخ فمرجعها إلى ثمانية أمور، أربعة ظاهرة، وأربعة باطنة، فأمَّا الظاهرة:

فأولها: امتثال أمره وإن ظهر له خلافه، واجتناب نهيه وإن كان حتفه، فخطأ الشيخ أحسن من صواب المريد.

وثانيها: السَّكينة والوقار في الجلوس بين يديه، فلا يضحك بين يديه، ولا يرفع صوته عليه، ولا يتكلَّم حتى يستدعيه للكلام أو يفهم عنه بقرائن الأحوال، كحال المذاكرة، بخفض صوت ورفق ولين، ولا يأكل معه، ولا بين يديه، ولا ينام معه أو قريبًا منه.

وثالثهما: المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان، بنفسه، أو بماله، أو بقوله، فخدمة الرَّجال سبب الوصال لمولى الموالي.

ورابعهما: دوام حضور مجلسه.

وأما الآداب الباطنية:

فأولها: اعتقاد كماله، وأنه أهلٌ للشيخوخة والتربية؛ لجمعه بين شريعةٍ وحقيقة، وبين جذبٍ وسلوك، وأنه على قدم النَّبي ﷺ.

---

(١) تلبيس إبليس، ص١٧٤.

وثانيها: تعظيمه، وحفظ حرمته غائبًا وحاضرًا، وتربية محبته في قلبه، وهو دليل صدقه، وبقدر التصديق يكون، فمن لا صدق له لا سير له ولو بقي مع الشيخ ألف سنة.

وثالثهما: انعزاله عن عقله، ورياسته، وعلمه، وعمله إلا ما يرد عليه من قبل شيخه.

ورابعهما: عدم التشوف إلى غير شيخه والانتقال عنه، وهذا عندهم من أقبح كل قبيح وأشنع كل شنيع، وهو سبب تسويس بذرة الإرادة، فتفسد شجرة الإرادة لفساد أصلها، وهذا كله مع شيوخ التربية، وأمَّا شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل عنهم إلى أهل الباطن إن وجدتم، ولا يحتاج إلى إذن"[1].

والمتأمِّل لقول الإمام مالك رحمه الله: "إنما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب، فانظروا في قولي، فكل ما وافق الكتاب والسُّنَّة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسُّنَّة فاتركوه"[2]، يلحظ أن هناك توجيهًا بأن تُعرض آراء الرِّجال وأقوالهم على الدليل، فما وافقه منها اعتدَّ به وقُبل، وما كان مخالفًا رُدَّ ولم يعتد به.

ويبين ابن القيم رحمه الله بعد تعريفه للمريد عند القوم المنهج الحق الذي يجب أن يتبع، فقال: "المريد في اصطلاحهم: هو الذي قد شرع في السير إلى الله، وهو فوق العابد ودون الواصل، وهذا اصطلاح بحسب حال السالكين، وإلا فالعابد مريد، والسالك مريد، والواصل مريد، فالإرادة لا تفارق العبد ما دام تحت حكم العبودية.

وقد ذكر الشيخ للتمكن في هذه الدرجة ثلاثة أمور: صحة قصد، وصحة علم، وسعة طريق، فبصحة القصد يصح سيره، وبصحة العلم تنكشف له الطريق،

(١) إيقاظ الهمم، ص١٤٨-١٥٠، وينظر: الفهرسة، ص٦٥-٦٦.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٦٠.

وبسعة الطريق يهون عليه السير، وكل طالب أمر من الأمور فلا بدَّ له من تعين مطلوبه، وهو المقصود، ومعرفة الطريق الموصل إليه، والأخذ في السلوك، فمتى فاته واحد من هذه الثلاث لم يصح طلبه ولا سيره، فالأمر دائرٌ بين مطلوب يتعين إيثاره على غيره، وطلب يقوم بقصد من يقصده، وطريق توصل إليه.

فإذا تحقق العبد بطلب ربه وحده تعيَّن مطلوبه، فإذا بذل جهده في طلبه صحَّ له طلبه، فإذا تحقق باتباع أوامره، واجتناب نواهيه صحَّ له طريقه، وصحة القصد والطريق موقوفة على صحة المطلوب.

فحكم القصد يُتلقَّى من حكم المقصود، فمتى كان المقصود أهلًا للإيثار كان القصد المتعلِّق به كذلك، فالقصد والطريق تابعان للمقصود.

وتمام العبودية أن يوافق الرسول ﷺ في مقصوده وقصده وطريقه.

فمقصوده الله وحده وقصده تنفيذ أوامره في نفسه وفي خلقه، وطريقه اتباع ما أوحي إليه، فصحبه الصحابة ﭫ على ذلك حتى لحقوا به، ثم جاء التابعون لهم بإحسان، فمضوا على آثارهم.

ثم تفرَّقت الطرق بالناس، فخيار الناس من وافقه في المقصود والطريق، وأبعدهم عن الله ورسوله من خالفه في المقصود والطريق، وهم أهل الشرك بالمعبود، والبدعة في العبادة، ومنهم من وافقه في المقصود وخالفه في الطريق، ومنهم من وافقه في الطريق وخالفه في المقصود.

فمن كان مراده الله والدار الآخرة فقد وافقه في المقصود، فإن عبد الله بما به أمر على لسان رسوله ﷺ فقد وافقه في الطريق، وإن عبده بغير ذلك فقد خالفه في الطريق.

ومن كان مقصوده من أهل العلم، والعبادة، والزهد في الدنيا الرياسة، فقد

خالفه في المقصود، وإن تقيَّد بالأمر"[1].

وهذه الآداب التي وضعها ابن عجيبة وغيره[2] جعلت المريد يعيش "قالبًا حديدًا يحبسون فيه السُّلوك الإنساني ويقيِّدون من تلقائيته وانطلاقه"[3].

---

(١) مدارج السالكين ٣/٢٠٥.

(٢) ينظر: التعريف الشمولي بالجزولي، ص٧١-٧٢.

(٣) التصوف كوعي وممارسة، ص١٥١-١٥٢.

الفصل الثاني:

الولايـــة والكرامـــة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الولاية ومراتب الأولياء.

المبحث الثاني: الكرامة وأقسامها.

المبحث الأول:
الولاية ومراتب الأولياء

أولًا: تعريف الولاية

عرفها ابن عجيبة بقوله: "الولاية: هي حصول الأنس بعد المكابدة، واعتناق الروح بعد المجاهدة، وحاصلها: تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حس الكائنات، فيبقى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل، فأولها التمكن من الفناء، ونهايتها تحقيق البقاء وبقاءِ البقاء، ويبقى الترقي والاتساع فيها أبدًا سرمدًا"(١).

وقال القاشاني: "هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن"(٢).

وعرَّفها الجيلي بقوله: "عبارة عن تولي الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علمًا وعينًا وحالًا وأثر لذة وتصرُّفًا"(٣).

ثانيًا: تعريف الولي

قال ابن عجيبة في تعريفه: "الوليُّ: هو من ارتفع عنه الحجاب حتى دخل مقام الشهود والعيان، وفتحت له ميادين الغيوب، فلم يحجبه عن الله شيء"(٤).

وقال أيضًا: "والأولياء هم من كشف عنهم الحجاب، وأفضوا إلى الشهود والعيان"(٥).

---

(١) معراج التشوف، ص٣٢.

(٢) معجم اصطلاحات الصوفية، ص٥٤.

(٣) الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر ٢/٨٥.

(٤) الفهرسة، ص٤١.

(٥) البحر المديد ٤/١٤٤.

أمَّا التعريفات الموافقة للكتاب والسُّنَّة فهي التي بيَّنها العلماء المحققون.

قال ابن تيمية رحمه الله: "والولايةُ: ضدُّ العداوة، وأصل الولاية: المحبَّة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد"(١).

وقال الشوكاني: "والولايةُ: ضدُّ العداوة، وأصل الولاية: المحبَّة والتقرُّب كما ذكره أهل اللغة، وأصل العداوة: البغض والبعد"(٢).

وعرَّف ابن تيمية الولي بقوله: "من الوَلْيِ وهو القرب، كما أنَّ العَدُوَّ من العدو وهو البعد، فولي من والاه بالموافقة له في محبوباته، ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته"(٣).

وقال أيضًا: "أولياء الله تعالى هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبُّوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض"(٤).

وأما تعريفات ابن عجيبة وغيره فقد جعلت أعداء الإسلام يعتقدون أن هذا هو الولي عند المسلمين(٥)، ومفادها الفناء والبقاء، والوصول إلى الحلول والاتحاد.

قال ابن عجيبة: "الفناء أن تبدو لك العظمة فتنسيك كلَّ شيءٍ وتغيبك عن كلِّ شيءٍ سوى الواحد الذي ليس كمثله شيء وليس معه شيء، أو تقول: هو شهود حق بلا خلق كما أنَّ البقاء هو شهود خلق بحق"(٦).

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص٩.

(٢) قطر الولي على حديث الولي، ص٢٢٣.

(٣) الرسائل والمسائل ١/١٥٠.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص١٦.

(٥) قال المستشرق نيكولسن: "يطلق المسلمون اسم الولي على الرجل الذي وصل إلى مقام الفناء في ذاته وإرادته وبقي بالإرادة الإلهية"، وهذا المعنى عند المتصوفة، ولا يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة. ينظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص١٥٧.

(٦) إيقاظ الهمم، ص٢٩٩، ١٢٥-١٢٦.

ففي حال الفناء يغيب عن كل شيء ولا يرى إلا الله فهذا ما يعبر عنه بوحدة الشهود.

وحال البقاء فلا يغيب عنه شيء؛ لأنه يرى الله في كل شيء عَزَّوَجَلَّ عمَّا يقول عُلُوًّا كبيرًا.

وهذه التعريفات لا تمتُّ الإسلام بشيء، بل تدلُّ على تأثُّر الصوفية بفلسفة أفلوطين.

ولقد بين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أقسام الفناء بقوله: "إنَّ الفناء ثلاثة أنواع:

نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين.

(**فأما الأول**): فهو الفناء عن إرادة ما سوى الله، بحيث لا يحب إلا الله ولا يعبد الا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يطلب غيره، وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول أبي يزيد حيث قال: أريد أن لا أريد إلا ما يريد، أي المراد المحبوب المرضي، وهو المراد بالإرادة الدينية، وكمال العبد أن لا يريد ولا يحب ولا يرضى إلا ما أراده الله ورضيه وأحبَّه وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، ولا يحب إلا ما يحبه الله كالملائكة والأنبياء والصالحين ...

وأما النوع الثاني: فهو الفناء عن شهود السوى، وهذا يحصل لكثير من السالكين، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد؛ لا يخطر بقلوبهم غير الله، بل ولا يشعرون ... فإذا قوي على صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن

وهي المخلوقات المعبدة ممن سواه ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى ... وهذا الموضع زل فيه أقوام وظنُّوا أنه اتحاد وأنَّ المحب يتحد بالمحبوب حتى لا يكون بينهما فرق في نفس وجودهما، وهذا غلط؛ فإنَّ الخالق لا يتحد به شيءٌ أصلًا بل لا يتحد شيءٌ بشيءٍ إلا إذا استحالا وفسدا وحصل من اتحادهما أمر ثالث لا هو هذا ولا هذا كما إذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك، ولكن يتحد المراد والمحبوب والمكروه ويتفقان في نوع الإرادة والكراهة فيحب هذا ما يحب هذا، ويبغض هذا ما يبغض هذا ويرضى ما يرضى ويسخط ما يسخط ويكره ما يكره ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي وهذا الفناء كله فيه نقص، وأكابر الأولياء كأبي بكر وعمر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يقعوا في هذا الفناء فضلًا عمَّن هو فوقهم من الأنبياء، وإنما وقع شيءٌ من هذا بعد الصحابة رضي الله عنهم.

وأمَّا النوع الثالث: مما قد يسمى فناء فهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق فلا فرق بين الرب والعبد، فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد ... وهو تحقيق آل فرعون"[(١)].

والملاحظ من تعريف ابن عجيبة للولي أنه جعل معرفة الولي تكون عمَّن صدر عنه كشفٌ، وهذا لا شك في بطلانه.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليًّا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ... وليس في شيءٍ من هذه الأمور ما يدلُّ على أن صاحبها ولي لله؛ بل قد اتفق أولياء الله على أنَّ الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يُغترَّ به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٨٨.

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها وليًّا لله عَزَّوَجَلَّ فقد يكون عدوًّا لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ هذه الخوارق تكون لكثير من الكفَّار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز أن يظن أنَّ كلَّ من كان له شيءٌ من هذه الأمور أنه ولي لله؛ بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة"(١).

وقال الشيخ النجمي رحمه الله(٢): "إنَّ من يعتقد عقيدة الصوفية المارقة أصحاب وحدة الوجود الذين يجعلون للمخلوق صفات الخالق، فإنه يعتبر قد أشرك بالله شركًا أكبر، وخرج من الإسلام بإعطائه للمخلوق صفات الخالق جلَّ شأنه وعزَّ سلطانه وتعالت صفاته"(٣).

ويقول أيضًا ": إنَّ من قاس الله عَزَّوَجَلَّ بخلقه فقد تنقَّصه وشبَّهه، لذلك فهو جدير بأن يحبس ويضرب ويستتاب؛ لأنه لم يؤمن بهيمنة الله عَزَّوَجَلَّ على عباده، وعلمه الشامل وقدرته النافذة"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١٣/١١.

(٢) هو: الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي آل شبير من بني حُمّد، إحدى القبائل المشهورة بمنطقة جازان، كان مفتي منطقة جنوب السعودية، ولد بقرية النجامية في ٢٢ شوال عام ١٣٤٦هـ، من مشايخه: الشيخ عبد الله القرعاوي، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ ابن باز، والشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُمُٱللَّهُ، ومن مؤلفاته: أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، رسالة في حكم الجهر بالبسملة، توفي عام ١٤٢٩هـ. ينظر: المورد العذب الزلال، ص٤-٥.

(٣) رد على صوفي، ص٢٣.

(٤) أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، ص٢٧٩.

ثالثًا: أسباب حصول الولاية

١- المجاهدة ومحاربة النفس[1]، قال ابن عجيبة: "وعد الله المتوجهين إليه بالوصول إلى سرِّ الخصوصية وهي الولاية، لكن بعد المجاهدة والمحاربة للنفوس؛ لأنَّ الحضرة لا يدخلها إلا أهل التهذيب والتدريب"[2].

٢- الذكر[3]، قال ابن عجيبة: "فإنَّ الذكر منشور الولاية، ولا بدَّ منه في البداية والنهاية، فمن أُعطي الذكر فقد أُعطي المنشور، ومن ترك الذكر فقد عزل"[4].

مما لا شكَّ فيه أنَّ الذكر له فوائد وثمار قرَّرها أهل السُّنَّة والجماعة[5]، ولكن مفاد الصوفية بهذه الطريقة هو الوصول إلى وحدة الوجود، ولقد أورد ابن عجيبة نصًّا بذلك فقال: "فإن دمت على ذكر الحضور رفعك إلى ذكر مع الغيبة عمَّا سوى المذكور، لما يغمر قلبك من النُّور، وربما يعظم قرب نور المذكور فيغرق في النور حتى يغيب عمَّا سوى المذكور، حتى يصير الذاكر مذكورًا، والطالب مطلوبًا، والواصل موصولًا ... وهاهنا يسكت اللسان، وينتقل الذكر للجنان، فيصير ذكر اللسان غفلةً في حق أهل هذا المقام ... لأن ذكره باللِّسان وتكلفه يقتضي وجود النفس، وهو شرك، والشرك أقبح من الغفلة ... والفرض أنَّ الذاكر محو في مقام العيان"[6].

---

(١) سبق نقدها ص١٢٣-١٤٠.

(٢) البحر المديد ٢/٣٠٩.

(٣) سبق الرد عليهم في بدعة الذكر المفرد.

(٤) إيقاظ الهمم، ص١١٧-١١٩.

(٥) ينظر: الوابل الصيب، ص٥٢.

(٦) إيقاظ الهمم، ص١١٩-١٢٠، وينظر: شرح صلاة ابن مشيش، ص٣٣-٣٤.

قال ابن تيمية رحمه الله: وكذلك أصحاب الرياضة والتجرُّد، فإنَّ صفوتهم الذين يشتغلون بذكر بسيط مثل (لا إله إلا الله) إن لم يغلوا فيقتصروا على مجرَّد (الله الله) ويعتقدون أنَّ ذلك أفضل وأكمل، كما فعله كثير منهم، وربما اقتصر بعضهم على (هو هو)، أو على قوله: (لا هو إلا هو)؛ لأن هذا الذكر المبتدع الذي هو لا يفيد بنفسه إلا أنه مطلقًا ليس فيه بنفسه ذكر لله إلا بقصد المتكلم، فقد ينضم إلى ذلك اعتقاد صاحبه أنه لا وجود إلا هو كما يصرح به بعضهم ويقول: (لا هو إلا هو) أو (لا موجود إلا هو) وهذا عند الاتحادية أجود من قول (لا إله إلا الله)؛ لأنه مصرح بحقيقة مذهبهم الفرعوني القرمطي حتى يقول بعضهم: (لا إله إلا الله) ذكر العابدين و(الله الله) ذكر العارفين وهو هو ذكر المحققين ويجعل ذكره (يا من لا هو إلا هو)، وإذا قال (الله الله) إنما يفيد مجرد ثبوته فقد ينضم إلى ذلك نفي غيره لا نفي إلهية غيره فيقع صاحبه في وحدة الوجود وربما انتفى شهود القلب للسوى إذا كان في مقام الفناء فهذا قريب، أمَّا اعتقاد أن وجود الكائنات هي هو فهذا هو الضلال، ويضمون إلى ذلك نوعًا من التصفية مثل ترك الشهوات البدنية من الطعام والشراب والرياسة والخلوة وغير ذلك من أنواع الزهادة المطلقة والعبادة المطلقة فيصلون أيضًا إلى تألُّهٍ مطلق ومعرفة مطلقة بثبوت الرَّب ووجوده ونحو ذلك من نحو ما يصل إليه أرباب القياس[1].

وطريق حصول الولاية وفق المنهج الحق باتباع الشريعة الغرَّاء وسلوك المحجة البيضاء.

قال ابن تيمية رحمه الله: "أولياء الله عَزَّوَجَلَّ هم الذين نعتهم الله في كتابه، حيث قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٦٣.

يَتَّقُونَ ﴾[1] فكلُّ من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدَّ له منه»[2].

ودين الإسلام مبنيٌّ على أصلين، على أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[3].

فالعمل الصالح ما أحبَّه الله ورسوله، وهو المشروع المسنون"[4]، وقال الطبري رحمه الله: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: الوليُّ هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[5]"، [6].

ويقول الألوسي: "وأحسن ما يعتمد عليه في معرفة الولاية اتباع الشريعة الغرَّاء،

---

(١) سورة يونس: ٦٢-٦٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١٩٢/٤، رقم ٦٥٠٢.

(٣) سورة الكهف: ١١٠

(٤) الفتاوى الكبرى ٢٠٦/١.

(٥) سورة يونس: ٦٣.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن ١٢٣/١٥.

وسلوك المحجَّة البيضاء، فمن خرج عنها قيد شبر بَعُدَ عن الولاية بمراحل، فلا ينبغي أن يطلق عليه اسم الولي، ولو أتى بألف ألف خارق، فالوليُّ الشرعيُّ اليوم أعزُّ من الكبريت الأحمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله"(١).

رابعًا: زَعَم أنَّ الولي يرث النَّبي

قال: "كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بطاعة رسوله ﷺ في حياته أمر بطاعة ورثته بعد مماته، وهم العلماء الأتقياء الذين يعدلون في الأحكام، والأولياء العارفون الذين يحكمون بوحي الإلهام"(٢).

وقال أيضًا: "شيوخ التربية خلفاء الرَّسول ﷺ في القيام بالتربية النبوية، فيجب امتثال كل ما أمروا به، واجتناب كل ما نهوا عنه، فُهِم معناه أو لم يُفهم"(٣).

بل جعل حرمة الأولياء كحرمة الأنبياء، فقال: "فحرمة الأولياء كحرمة الأنبياء، فمن فرَّق بينهم حُرِم بركة جميعهم"(٤).

وهذا كلُّه بعيدٌ عن قول أهل السُّنَّة والجماعة، الذين بيَّنوا "أفضل أولياء الله هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرُّسل هم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- ومحمد ﷺ، وأفضل أولي العزم نبيُّنا محمد ﷺ، وهو الذي أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥) فجعل سبحانه صدق محبة الله عَزَّوَجَلَّ متوقفة على اتباعه، وجعل

---

(١) روح المعاني ١١/١٤٩.

(٢) البحر المديد ١/٥٢٣.

(٣) ينظر: المرجع نفسه ٤/٦٧.

(٤) المرجع نفسه ١/٣٧٧.

(٥) سورة آل عمران: ٣١.

اتباعه سبب حصول المحبة من الله سبحانه"[1]، ولذلك "لا بدَّ للوليِّ من أن يكون مقتديًا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسُّنَّة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيءٌ مما يخالف هذا المعيار فهو ردٌّ عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه وليُّ الله، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين، كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن، فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية.

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع، بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوَّث بمعاصيه؛ لأنَّ الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده.

وقد يظهر شيءٌ مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة، وترك الاستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم، وقانون معروف حتى ينتهي حاله إلى أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد، ويتناول بعد مضي أيام شيئًا يسيرًا.

فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية، فيدرك ما لا يدركه غيره، وليس هذا من الكرامات في شيء، ولو كان من الكرامات الربَّانية والتفضُّلات الرحمانية لم يظهر على أيدي أعداء الله"[2].

ودحض ابن تيمية رحمه الله مساواة الأنبياء بالأولياء فقال: "... والإيمان بكلِّ ما جاء به الأنبياء واجب، فإنهم معصومون، ولا يجب الإيمان بكلِّ ما يقوله الوليُّ بل ولا يجوز، فإنه ما من أحد من الناس إلا يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ، ومن سبَّ نبيًّا من الأنبياء قُتل وكان كافرًا مرتدًّا بخلاف الولي"[3].

---

(١) قطر الولي على حديث الولي، ص٢٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٠.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية، ص١٥٨.

وقال أيضًا: "فإنَّ كلَّ من بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون وليًّا لله إلا باتباع محمد ﷺ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسُّط محمَّد ﷺ وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه لا يكون وليًّا لله إلا إذا اتبع ذلك الرَّسول الذي أرسل إليه"(١).

خامسًا: أقسام الولاية

قال ابن عجيبة: "الولاية على قسمين: ولاية عامة، وولاية عرفية خاصَّة، فالولاية العامَّة: هي التي ذكرها الحق تعالى، فكلٌّ من حقق الإيمان والتقوى فله من الولاية على قدر ما حصَّل منها، والولاية الخاصَّة: خاصة بأهل الفناء والبقاء الجامعين بين الحقيقة والشريعة، بين الجذب والسُّلوك مع الزُّهد التام والمحبَّة الكاملة، وصحبة من تحققت ولايته"(٢).

ويقول في موضعٍ آخر: "وتطلق على ثلاث مراتب، ولاية عامة: وهي لأهل الإيمان والتقوى، كما في الآية وهي قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾(٣)، وولاية خاصَّة: وهي لأهل الاستشراق(٤) على العلم بالله، وولاية خاصة الخاصة: وهي لأهل التمكُّن في معرفة الله على نعت العيان"(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٢٤٤-٢٦٦.

(٢) البحر المديد ٢/٤٨٤.

(٣) سورة يونس: ٦٢-٦٣.

(٤) الاستشراق: وهي المعرفة الاستشراقية ومقصدهم بذلك ظهور الأنوار التي تفيض على الأنفس بسبب الرياضة والمجاهدة، حتى يصلوا -بزعمهم- للتلقِّي المباشر من العالم الغيبي، فينعكس على النفوس. ينظر: المعجم الفلسفي ١/١٩٤.

(٥) معراج التشوف، ص٣٢.

ولقد جعل الغاية الكبرى من الولاية الوصول إلى وحدة الوجود، وهي التمكُّن في المعرفة، ولذلك طريقته أن ينتقل السالك من مقام إلى مقام حتى يصل للتمكين.

قال: "والمقامات هي التوبة، والتقوى، والاستقامة، والزُّهد، والورع ... وكل مقام له علم وعمل وحال، فأوَّله علم، وثانيه عمل، وثالثه حال، ثم مقام، فإذا بلغ مقام المعرفة وتمكَّن فيها انقطعت المقامات"(١).

فلقد حصر الولاية في أهل التمكين الذين وصلوا إلى وحدة الوجود -كما زعم-، حتى إنه يرى أن من يصل إلى هذه المعرفة تسقط عنه التكاليف، "مادامت البشرية موجودة فلا بدَّ من التكليف ... فإذا انهدمت البشرية سقطت التكاليف"(٢).

وبهذا يتضح أنَّ "الولاية لها معنى آخر تمامًا في الشَّكل والمضمون والموضوع، فوليُّ الله عند الصوفية من اختاره الله وجذبه إليه، وليس من شرط ذلك أن يكون عند هذا المختار والمجذوب أيّ مواصفات للصلاح والتقوى؛ إذ الولاية عندهم نوع من الوهب الإلهي دون سبب، وبغير حكمة، ويجعلون الولاية الكسبية هي ولاية العوام والمتنسِّكين والولاية الحقيقية عندهم هي الولاية الوهبية"(٣).

وبهذا جعلوا المجاذيب والمجانين والفسقة والظلمة والملاحدة المشركين من أهل وحدة الوجود، أولياء لله بمجرَّد أن ظهر على أيديهم بعض خوارق العادات(٤).

ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الخوارق ليست دليلًا على الولاية؛ لأنها ربما تقع من البر والفاجر.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣١٩.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٣٢٨، إيقاظ الهمم، ص٣٠٩.

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص٢٢١.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص٢٢٢.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرُّب إلى الله بالفرائض والنوافل وامتنع أن يكون وليًّا فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه وليٌّ لله؛ لا سيِّما أن تكون حجته على ذلك إمَّا مكاشفة سمعها منه أو نوع من تصرف مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صرع؛ فإنه قد علم أن الكفَّار والمنافقين -من المشركين وأهل الكتاب- لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهَّان والسَّحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرَّد ذلك على كون الشَّخص وليًّا لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أنَّ لأولياء الله طريقًا إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم السَّلام"(١).

وطلب الخوارق بالمجاهدة وتعذيب النفس من الأمور الخطرة التي تفسد القلب والعقل والمزاج(٢).

فكم من صوفيٍّ سلك هذا الطريق ففسد مزاجه، ومرض بدنه، واختلط عقله(٣).

سادسًا: إخفاء الولاية وأن تكون سرًّا من الأسرار.

قال: "فإن الولاية سرٌّ من أسرار الله أودعها قلوب أصفيائه، لا تظهر على جوارحهم، ولا تكون في الغالب إلا في أهل التجريد، وأهل الخمول، أخفاها الله في عابده، فمن ادعاها من غير تجريد ولا تخريب فهو مدَّعٍ"(٤).

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص٥١.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ١١/٣٣٠.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين ٣/٢٠.

(٤) البحر المديد ٥/٢٤٦.

وله طريقة في إخفاء الولاية وهي "المغالطة: وتعني إظهار الغلط، وإيقاع الغير فيه، مع إخفاء الصواب، وتُسمَّى عند الصوفية التلبيس، كإظهار الرغبة، وإخفاء الزُّهد، وإخفاء المحبَّة، وإظهار السُّلوان، يفعلون ذلك صيانةً للسر، وتخريب الظاهر، وتعمير الباطن"(١).

وهذا القول باطل؛ فولاية الله عَزَّوَجَلَّ مبذولة لكلِّ من سعى إليها وسار في طريقها ووفَّقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إلى بلوغها كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾(٢)، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣).

ولا شكَّ أنه على الرُّغم من أنَّ كلَّ مؤمنٍ هو وليُّ الله جَلَّوَعَلَا فإنَّ ولاية الله للعبد ومحبته له تتفاوت بحسب الإيمان والتقوى والعمل الصالح فكُلَّما ازداد إيمان العبد وترقَّى في درجات الكمال والصَّلاح وتحلَّى بالتقوى كان أعظم ولاية، وأقرب من ربه عَزَّوَجَلَّ.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤).

فجعل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تقواه واتخاذ الوسيلة منه هي الطريق الموصل لرحمته فيستحيل أن تكون رحمة الله التي يختص بها من يشاء كائنة دون حكمة؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعلم أين يجعل رسالته وأين يضع هدايته كما قال: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

---

(١) البحر المديد ٥/٢٤٦.

(٢) سورة الليل: ٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٤) سورة المائدة: ٣٥.

﴿ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]، [2].

وما ادعوه في سرية الولاية جعلهم لا ينكرون المعاصي التي تظهر على الولي، بل يرونها صورية لا حقيقية، والقصد منها امتحان المشاهد لها[3].

وهو الذي يراه ابن عجيبة بأنَّ الولي معصوم فهو يمد بمدد العصمة وهو الحفظ الإلهي[4].

والصوفية يطلقون الحفظ بمعنى العصمة، ويعتقدون عصمة شيوخهم[5]، قال ابن تيمية رحمه الله: "طائفة من النُّسَّاك والعُبَّاد يزعمون في بعض المشايخ أو فيمن يقولون: "(إنه ولي الله) أنه لا يذنب، وربما عيَّنوا بعض المشايخ وزعموا أنه لم يكن لأحدهم ذنب، وربما قال بعضهم: النَّبيُّ معصوم والوليُّ محفوظ"[6].

وقال أيضًا: "وكثيرٌ من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه وليٌّ لله ويظنُّ أنَّ وليَّ الله يقبل منه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسُّنَّة فيوافق ذلك الشخص له ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ... وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٢) ينظر الفكر الصوفي، ص٢٢١.

(٣) ينظر: الإبريز، ص٣٢٣.

(٤) ينظر: معراج التشوف، ص٨١.

(٥) ينظر: جواهر المعاني ١/٢٥٢، الرسالة، ص٥٢١.

(٦) جامع الرسائل والمسائل ١/٢٦٤.

(٧) سورة التوبة: ٣١.

وفي الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسير هذه الآية لما سأل النَّبيَّ ﷺ عنها فقال: ما عبدوهم؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «أحلُّوا لهم الحرام وحرَّموا عليهم الحلال فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم»(١)، (٢).

وقال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: "أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمَّد ﷺ مفصلًا وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا"(٤).

فمن جعل بعد الرَّسول ﷺ معصومًا وأوجب الإيمان بكلِّ ما قاله وفعله فقد جعله مضاهيًا للأنبياء، وأعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها(٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "فمن أوجب طاعة أحد غير رسول الله ﷺ في كل ما يأمر به، وأوجب تصديقه في كل ما يخبر به، وأثبت عصمته أو حفظه في كل ما يأمر به ويخبر من الدين فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله والمضاهاة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك سواء جعل ذلك المضاهي لرسول الله ﷺ بعض الصحابة رضي الله عنهم أو بعض القرابة أو بعض الأئمة والمشايخ أو الأمراء من الملوك وغيرهم"(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب التوبة، ٥/٢٧٨، برقم ٣٠٩٥، والبيهقي في السنن الكبرى، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي ١٠/١١٦، رقم ٢٠١٣٧، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/٩٢، رقم ٢١٨، وحسَّنه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ١/١٩٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٢٢٠.

(٣) سورة البقرة: ١٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٨.

(٥) ينظر: منهاج السُّنَّة ٦/١٨٧-١٨٨.

(٦) جامع الرسائل ١/٢٣٧.

وقال أيضًا: "فقد أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله ﷺ أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب وإذا أخطأ تبيَّن له الحق فرجع إليه وليس هذا واجبًا لأحد بعد رسول الله ﷺ بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنب يغفره الله ﷺ وقد خفى عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه، ولهذا اتفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ "(١).

سابعًا: مراتب الأولياء

قال ابن عجيبة: "اعلم أنَّ دائرة الولاية مؤلفة من أولياء، ونجباء، ونقباء، وأوتاد، وبدلاء، وأقطاب، وغوث، وهو واحد"(٢).

وقال عنهم: "هم أهل العلم بالله على نعت العيان"(٣).

وقال عن مسكنهم: "مسكن هؤلاءِ الرجال لا يتعيَّن في كل زمان، وكذلك الغوث لا يلزم أن يكون دائمًا في مكة، كما هو مشاهد في بعض الأزمان، فقد يكون الغوث بالمغرب، وقد يكون بالمشرق، ولعل المراد أن يكون مركز نظره مكة، أو يخلق الله من روحانيته شخصًا يكون مقيمًا بمكة"(٤).

ويرى أنَّ القطب "هو القائم بحق الكون والمكون وهو واحد ... وهو الغوث الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء، من نجيب ونقيب وأوتاد وأبدال، وله الإمامة والإرث والخلافة الباطنة، وهو روح الكون الذي عليه مداره كما يشير إلى

---

(١) جامع الرسائل ٢٦٦/١.

(٢) الجواهر العجيبة، ص٢٦٥.

(٣) معراج التشوف، ص٧٩.

(٤) منازل السائرين والواصلين، ص٢٦٦-٢٦٧.

ذلك كونه بمنزلة إنسان العين من العين، ولا يعرف ذلك إلا من له قسط ونصب من سرِّ البقاء بالله"[1].

ويرى أنَّ الأولياء يتصرفون في الكون فهو يقول عن نفسه: "رأيتُ في المنام قائلًا يقول لي: الليلة أُعطي سيِّدي أحمد بن عجيبة يتصرف في الكون، أو في الوجود"[2].

وكلامه مخالفٌ للكتاب والسُّنَّة، ولما قرَّره أهل السُّنَّة والجماعة في مراتب الأولياء.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأولياء الله على طبقتين:

سابقون مقربون.

وأصحاب يمين مقتصدون.

ولقد ذكرهم الله عَزَّوَجَلَّ في عدة مواضع من كتابه العزيز قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3] فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين ... وقد ذكر النَّبيُّ ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

---

(١) معراج التشوف، ص٨٠.

(٢) الفهرسة، ص٦٩.

(٣) سورة الواقعة: ١-١٢.

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرَّم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات؛ ولا الكف عن فضول المباحات.

وأمَّا السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلمَّا تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبَّهم الرَّب حُبًّا تامًّا"(١).

"وقد قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾(٢) وهذه الأربعة هي مراتب العباد: أفضلهم الأنبياء ثم الصدِّيقون، ثم الشُّهداء، ثم الصالحون ... فإن الله يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾(٣) فكلُّ من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا.

وهم على درجتين: السَّابقون المقرَّبون، وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر وسورة الواقعة والإنسان والمطففين"(٤).

"وإذا كان (أولياء الله) هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عَزَّوَجَلَّ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى"(٥)، وأفضل الأولياءِ هم الأنبياءِ، وأفضلهم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم من الرُّسل

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/١٧٦.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) سورة يونس: ٦٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/٢٢٥.

(٥) المرجع نفسه ١١/١٧٥.

-عليهم السَّلام-، قال ابن تيمية رحمه الله: "وأفضل الأولياء من هذه الأمة هم صالحو المؤمنين الذين صحبوا رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[(١)]، وأفضل هؤلاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما باتفاق أئمَّة السَّلف والخلف ... ومن قال من مخطئي الصوفية أنه قد يمكن أن يكون في المتأخرين من هو أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ... فهم مخطئون في ذلك بالكتاب والسُّنَّة والإجماع"[(٢)].

"ولهذا كان أفضل أولياء الله هم الصديقون الآخذون عن الأنبياء -عليهم السَّلام-، فالأولياء تبعٌ للأنبياء، وإنما يقرنهم بهم فيجعل لهم طريقًا إلى الله غير طريق الأنبياء ملاحدة الصوفية ونحوهم"[(٣)].

ودعوى القطب والغوث والأبدال والنجباء والأوتاد، لا أصل لها من كتابٍ ولا سُنَّة، ولا قول أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعين ولا أئمة المسلمين وشيوخهم الذين لهم في الأمة لسان صدق[(٤)].

وهي باطلة من عدة أوجه، منها:

الوجه الأول: عندنا أصلان ثابتان بالكتاب والسُّنَّة والإجماع الأول: أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، والثاني: أنَّ الله يجلب للنَّاس المنافعَ ويدفع عنهم المضارَّ بدعاء عبادِه المؤمنين وصلاتهم وعبادتهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «وهل تُنصَرون وتُرْزَقون إلَّا بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم»[(٥)].

---

(١) سورة التحريم: ٤.

(٢) الصفدية ١/٢٧٤.

(٣) الصفدية ١/٢٥٥.

(٤) ينظر: جامع المسائل، ص٥٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ٦/٤٥، رقم ٢٨٩٦.

إذا عرفنا هذين الأصلين تبيَّن لنا أنه ليس لأولياء الله عددٌ محصور تتساوى فيه الأزمنة، ولا لهم مكانٌ مُعيَّن من الأمكنة، بل هم يزدادون وينقصون بحسب زيادة أهل الإيمان والتقوى ونقصانهم، وقد بعث الله رسوله بالحق، وآمن معه بمكة نفرٌ قليلٌ كانوا أقلَّ من سبعة، ثم أقلَّ من أربعين، ثم أقلَّ من سبعين، ثم أقلَّ من ثلاث مائة، فأين كان أولئك الأبدال وغيرهم ممن يذكرهم الصوفية بالعدد والترتيب والطبقات؟ هل كانوا في الكفَّار.

ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه ﷺ إلى المدينة، وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين، ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم، فمن كان هو الغوث الذي يدِّعي الصوفية وجوده بمكة بعد الهجرة.

ثم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها، وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين عدد لا يُحصَى، ولا يحصرون بثلاث مائة ولا بثلاثة آلاف، فكلُّ من جعل لهم عددًا محصورًا فهو من المبطلين عمدًا أو خطًا.

ونسألهم مَن كان القطب والأبدال وغيرهم من زمن آدم ونوح وإبراهيم وقبل محمد -عليهم الصَّلاة والسَّلام- في الفترة حين كان عامة الناس كفرة؟ وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا ففي أيِّ زمانٍ كانوا؟ ومَن أوَّلُ هؤلاء؟ وبأيِّ آيةٍ وبأيِّ حديثٍ مشهورٍ وبأيِّ إجماعٍ متواترٍ من القرون الثلاثة ثبتَ وجودُ هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقده؟ لأن العقائد لا تعتقد إلَّا من هذه الأدلة الثلاثة ومن البرهان العقلي، ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1] فإن لم يأتوا به فهم الكاذبون بلا ريب، فلا نعتقد أكاذيبهم[2].

(١) سورة النمل: ٦٤.

(٢) جامع المسائل ٢/٤٣.

الوجه الثاني: الصوفية أخرجوا القطب بما يختص به البشر، وحلقوا به في عالم الربوبية، وقد ذكروا له خمس عشرة علامة، منها أنه يُكشَف له عن حقيقة الذات الإلهية، ويحيط علمًا بصفات الله تعالى، وأن علم القطب لا حدود له، فلا يخفى عليه شيءٌ من الدنيا والآخرة، ويحيط بمعرفة أحكام الشريعة ولو كان أُميًّا، يقول ابن عجيبة: "كم من وليٍّ يكون أُمِّيًّا، وتجده عنده من العلوم والحكم والتوحيد ما لا يوجد عند نحارير العلماء"[1] [2].

قال ابن تيمية رحمه الله: "هذه الأمور وغيرها مما ذكره الصوفية لا يخفى ما في الاعتقاد بها من خطورة على عقيدة التوحيد، فهي محاولة خبيثة لتجريد الإله الحق عَزَّوَجَلَّ من اختصاصاته التي لا يشاركه فيها مخْلوق، وجعلها مشاعًا بين الخالق والمخلوق على حدٍّ سواء، وهذا هو الشِّرك في الربوبية -والعياذ بالله-، وهو أقبح أنواع الشرك، فقد كان المشركون القُدامى على علمٍ بربوبية الله وخصوصيته في الخلق، والرزق، والملك، والتدبير، والإحياء، والإماتة، وغيرها من أمور الربوبية كما حكى عنهم القرآن، فالذي يعتقد ذلك في الأولياء هو أجهل من أولئك المشركين وأضلّ.

وبهذا نعرف ما نتج عن فكرة القطب هذه من مخاطر جسيمة في باب العقيدة لدى عامَّة الناس، الذين تعلقوا بها واعتقدوها ونشأوا عليها في البيئات الصوفية، ولُقِّنوها منذ الصغر، ولا زلنا نرى في البلاد الإسلامية من ينادي (الغوث) للمدد، ويعتقد في الأولياء بما لا يجوز اعتقاده إلاّ في الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون"[3].

---

(١) البحر المديد ٤/٣١٢.

(٢) ينظر جامع المسائل ٢/١٦.

(٣) المرجع نفسه ٢/٣٠.

الوجه الثالث: فأمَّا لفظ الغوث والغياث "فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرَّب ولا نبيٍّ مرسل، ومن زعم أنَّ أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضرِّ عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة إلى السبعين، والسبعين إلى الأربعين، والأربعين إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الغوث فهو كاذبٌ ضالٌّ مشرك، فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[1].

وقال النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم لما رفعوا أصواتهم بالذكر: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم؛ فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا قريبًا، إنَّ الذين تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[2] [3].

الوجه الرابع: "وأما الأوتاد فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد يعني بذلك أنَّ الله تعالى يثبِّت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله به كما يثبِّت الأرض بأوتادها، وهذا المعنى ثابتٌ لكلِّ من كان بهذه الصفة من العلماء فكلُّ من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ومن كان بدونه كان بحسبه وليس ذلك محصورًا في أربعة ولا أقل ولا أكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض.

وأمَّا القطب فيوجد أيضًا في كلامهم فلان من الأقطاب أو فلان قطب فكل

---

(١) سورة الإسراء: ٦٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، ٣٥٦/٢، رقم ٢٩٩٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤٣/٣.

من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطنًا أو ظاهرًا فهو قطب ذلك الأمر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر داره أو دربه أو قريته أو مدينته أمر دينها أو دنياها باطنًا أو ظاهرا، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر؛ لكن الممدوح من ذلك من كان مدارًا لصلاح الدنيا والدين دون مجرد صلاح الدنيا، فهذا هو القطب في عرفهم فقد يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقًا"[١].

"**ولفظ (النقباء)** ذكر في الكتاب والسُّنَّة بالمعنى الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[٢]، وجعل النبي ﷺ للأنصار اثني عشر نقيبًا على عدد نقباء موسى، وكذلك الخلفاء الراشدون كانوا يُعرِّفون العُرَفاء وينقِّبون النُّقباء، ليُعرِّفوهم بأخبار الناس وينقِّبوا عن أحوالهم، فهؤلاء هم النُّقباء المعروفون في الكتاب والسُّنَّة، وإطلاق هذا اللَّفظ على أولياء الله ليس له أصل في كلام السَّلف"[٣].

الوجه الخامس: قد يقول قائل وردت هذه الأسماء على لسان السلف أو أهل العلم المتأخرين بقولهم: فلان من الأبدال، فعند ترجمة فروة بن مجالد[٤]، قيل عنه: "وكانوا لا يشكون أنه من الأبدال"[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٤٤٠.

(٢) سورة المائدة: ١٢.

(٣) جامع المسائل ٢/٤٢.

(٤) فروة بن مجالد، تابعيٌّ روى عنه حسَّان بن عطية، مولى لخم من فسلطين، روى عن النبي ﷺ مرسلًا، قال ابن حجر: وكان مستجاب الدعوة يعد في الأبدال. ينظر: الإصابة ٥/٣٩٦.

(٥) تهذيب التهذيب ٨/٢٦٤، التاريخ الكبير ٧/١٢٧.

فيجاب عليه ليس مقصود السَّلف على الوجه الذي يتصوره الصوفية، بل بالمعنى المناسب الذي لا يعارض أصول الدين[1]، قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما أهل العلم فكانوا يقولون: هم (الأبدال)؛ لأنهم أبدال الأنبياء وقائمون مقامهم حقيقة ليسوا من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة كل منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه: هذا في العلم والمقال وهذا في العبادة والحال وهذا في الأمرين جميعا"[2].

الوجه السادس:

ما يراه ابن عجيبة بأنَّ الولي يتصرف في الكون منازعة لله عَزَّوَجَلَّ في خصائصه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[3].

قال ابن سعدي رحمه الله: "وذلك أنَّ الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيءٍ من ذلك بكهانة، أو عرافة، أو غيرهما، أو صدَّق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه، وقد كذَّب الله ورسوله"[4].

فمن ادَّعى الولاية ويستدل عليها بإخباره ببعض المغيبات، فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن[5].

---

(١) ينظر جامع المسائل٢/٤٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٩٧.

(٣) سورة النمل: ٦٥.

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص١٠٠.

(٥) ينظر: تيسير العزيز الحميد، ص٢٥٣.

المبحث الثاني: الكرامة وأقسامها

أولًا: تعريف الكرامة في اللغة

قال ابن فارس: "الكاف والراء والميم أصلٌ صحيحٌ له بابان، أحدهما: شرفٌ في الشَّيء في نفسه أو شرف في خلُقٍ من الأخلاق ... والكرم في الخلق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب، قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الكريم الصفوح والله تعالى هو الكريم الصفوح عن ذنوب عباده المؤمنين"(١).

وقال ابن منظور: "الكريم من صفات الله وأسمائه وهو: الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه"(٢).

ثانيًا: تعريف الكرامة في الاصطلاح

عرَّفها السَّفاريني بقوله: "هي أمرٌ خارقٌ للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبيٍّ كُلِّف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أو لم يعلم"(٣).

وقال ابن أبي العز: "إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكرم عبدًا بكرامة أعظم من موافقته فيما يُحبّه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله"(٤).

---

(١) مقاييس اللغة ٣٩٧/٥.

(٢) لسان العرب ٥١٠/١٢.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٣٩٢/٢.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٩٦.

ثالثًا: تعريف الكرامة عند الصوفية

عرَّفها ابن عجيبة بقوله: "هي الاستقامة وكشف الحجاب بين الله عَزَّوَجَلَّ وعبده حتى تشاهده عيانًا ويذهب الأوهام والشكوك"[١].

وعرفها القشيري: "...الكرامة فعل ناقص للعادة في أيام التكليف ظاهرًا على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله"[٢].

ومن خلال التعريفين السابقين يتضح أنَّ الكرامة عند الصوفية هي المحور والمرتكز الأول في بيان فضل الولي؛ وللدلالة على صدقه، فهم يهتمون بالولاية الصوفية والتي تثبت عندهم بالطرق الصوفية، ويأتي إثباتها عن طريق الكرامة، يقول المناوي: "وتكون للدلالة على صدقه وفضله، أو لقوة يقين صاحبها أو غيره"[٣].

ولذلك سلك ابن عجيبة طرقًا للحصول على الكرامة فاتخذ مجاهدة النفس وفطمها عن المألوفات سببًا للوصول للكرامة بنوعيها الحسِّي والمعنوي، فقال: فمن مجاهدة البدن تظهر الكرامات الحسيَّة، كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، وطي الأرض، ومن مجاهدة النفس تظهر الكرامات المعنوية، من فهم العلوم، واتساع الفهوم، وشهود رب العالمين، والاطلاع على الغيب[٤].

وبهذا تجدهم متسرعين بالحكم على الشخص بأنه صاحب كرامة، بمجرد رؤية هذه الأمور التي صدرت منه سواء ظاهره الصلاح أو لا، متجاهلين أنَّ الشيطان يغوي بني آدم بتخرُّصات وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) ينظر: البحر المديد ٣٢١/٥، ١٣٣/١.

(٢) الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص٥٨١.

(٣) الكواكب الدرية في تراجم الصوفية ٥/١.

(٤) الفتوحات الإلهية، ص٥٠-٥١.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "من العباد من يرى ضوءًا أو نورًا في السَّماء فإن كان في رمضان قال: رأيت ليلة القدر، وإن كان في غيره قال: قد فُتحت لي أبواب السَّماء، وقد يتفق له الشَّيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة، وربما كان اتفاقًا"(١).

واتفق أهل العلم على أنَّ الرجل لو طار في الهواء، ومشى على الماء، لم تثبت له ولاية، بل ولا إسلام حتى يُنظر في أمره، ومدى استقامته على شرع الله عَزَّوَجَلَّ(٢)، قيل للشَّافعي: إنَّ الليث بن سعد(٣) يقول: لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قَبِلته، قال: "أمَا إنه قصَّر، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته"(٤).

ويرى ابن عجيبة أنَّ خرق العوائد دليلٌ لظهور الكرامة، وطريقته في خرق العوائد إبدالها بضدِّها، فيستبدل كثرة الأكل والنوم بالجوع والسهر، وتبديل كثرة اللباس بالتقلُّل منه، أو لبس المرقعات، وتبديل الخلطة بالعزلة، وهكذا(٥).

ولا يُسلَّم له أنَّ خرق العادات دليلٌ على الكرامة بإطلاق؛ إذ لا بدَّ من معرفة طريقة حصولها وغاياتها، فمن جعلها غاية له، وعبد الله عَزَّوَجَلَّ لأجلها لعبت به الشياطين، وأظهرت له خوارق من جنس خوارق الكهَّان والسَّحرة(٦).

---

(١) تلبيس إبليس، ص٣٧٨.

(٢) ينظر: الفتاوى المصرية، ص٧٦٧.

(٣) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، حنفي المذهب، من تابعي التابعين، سمع من عطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن أبي مليكة، ونافع مولى ابن عمر، ولد سنة ٩٤ بقرية قرقشندة من أسفل أعمال مصر، وتوفي يوم الخميس من نصف شعبان سنة ١٧٥هـ. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٤١٦/١، طبقات ابن سعد ٥١٧/٧، ميزان الاعتدال ٤٢٣/٣، سير النبلاء ٢٠٤/٧.

(٤) ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، ص١٤١، قطر الولي شرح حديث الولي، ص٢٧٨.

(٥) ينظر: إيقاظ الهمم ٢٤٧-٢٤٨.

(٦) ينظر: منهاج السُّنَّة ٢٠٦/٨.

قال ابن أبي العز رحمه الله: "يَعدُّون مجرَّد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله عَزَّوَجَلَّ له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة ... وأمَّا ما يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ به عبده من السر بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه، وشقي بها قوم إذا عصوه"[1].

وقال الشوكاني رحمه الله: "وإذا عرفت أنه لا بدَّ للولي من أن يكون مقتديًا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسُّنَّة، وأنَّ ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو ردٌّ عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه وليُّ الله، فإنَّ أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين، كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجنِّ فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية.

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع، بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوَّث بمعاصيه؛ لأنَّ الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده.

وقد يظهر شيءٌ مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم، وقانون معروف حتى ينتهي حاله إلى أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد، ويتناول بعد مضي أيام شيئًا يسيرًا، فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية، فيدرك ما لا يدركه غيره، وليس هذا من الكرامات في شيء"[2].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٧٤٨.

(٢) قطر الولي على حديث الولي، ص٢٣٧.

وقعَّد الشاطبيُّ ضابطًا هامًّا لصحَّة هذا الكرامات وقبولها فقال: "وذلك أنَّ هذه الأمور لا يصح أن ترُاعى وتعتبر إلا بشرط أن لا تخرم حكمًا شرعيًّا ولا قاعدةً دينيَّة، فإنَّ ما يخرم قاعدة شرعية أو حكمًا شرعيًّا ليس بحقٍّ في نفسه، بل هو إمَّا خيالٌ أو وهم، وإمَّا من إلقاء الشيطان ... وذلك أنَّ التشريع الذي أتى به رسول الله ﷺ عامٌّ لا خاص ... وأصله لا ينخرم، ولا ينكسر له اطراد، ولا يحاشى من الدخول تحت حكمه مكلَّف، وإذا كان كذل فكلُّ ما جاء من هذا القبيل الذي نحن بصدده مضادًّا لما في الشريعة فهو فاسدٌ باطل"(١).

وقال أيضًا: "ليس القصد بالكرامات والخوارق أن تخرق أمرًا شرعيًّا، ولا أن تعود على شيءٍ منه بالنقض، كيف وهي نتائج عن اتباعه؟ فمحالٌ أن ينتج المشروع ما ليس بمشروع، أو يعود الفرع على أصله بالنقض، هذا لا يكون البته"(٢).

وبيَّن الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله الفرق بين الكرامة واستدراج الشيطان بقوله: "إذا كان الشخص مخالفًا للشرع فما يجري له من هذه الأمور ليس بكرامة، بل هي إمَّا استدراج، وإمَّا من عمل الشياطين، ويكون سببها هو ارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، فإنَّ المعاصي لا تكون سببًا لكرامة الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يستعان بالكرامات عليها"(٣).

ولذلك من ادعى أو زعم أنَّ لدية القدرة على معرفة الغيب فإنه كاذب، فالغيب لله عَزَّوَجَلَّ.

ولقد تلاعب الشيطان بالصوفية في مسألة الخوارق، حتى إنَّك لتجدهم كثيرًا

---

(١) الموافقات ٢/٢٦٦.

(٢) الموافقات ٢/٢٧٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص٣٩٧.

ما يذكرون أخبارًا في قضاء حاجاتهم، ومن ذلك إيراد ابن عجيبة كرامة لجدته – حسب زعمه– فقال: "وجدتنا للأب والأم الوليّة الشهيرة المكاشفة الكبيرة فاطمة بنت الولي الصالح سيدي إبراهيم بن عجيبة، كانت من أهل الإغاثة في البر والبحر ولها كرامات، منها: أن بعض البحرية طلعت عليهم سفينة النصارى وأرادوا أخذهم واستغلبوا عليهم، وقال رئيس السفينة من كان يعرف وليًّا في بلده فليستغث به، فقال رجلٌ من طنجة[1] اللا فاطمة العجيبية كان يسمع بها فظهرت معهم في المركب وهي تدفع المركب إلى البر وتقول الله الله الرجال فسلموا"[2].

وكثيرًا ما يورد الصوفية أخبارًا مثل هذه في تراجم شيوخهم[3]، فيتصور الشيطان بصورة ذلك الرجل أو المرأة المستغاثة ويأتي إليهم ويقضي حاجتهم، وهذا ديدن كل من يتعلّق بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد جرى مثل هذا لي ولغيري ممن أعرفه ذكر غير واحد أنه استغاث بي من بلاد بعيدة وأنه رآني قد جئته، ومنهم من قال: رأيتك راكبًا بلباسك وصورتك، ومنهم من قال: رأيتك على جبل، ومنهم من قال غير ذلك،

---

(١) طنجة: مدينة كبيرة فيها آثار كثيرة وقصور، وكان فيها ماء مجلوب في قناة كبيرة، وقيل إنَّ طنجة آخر حدود إفريقية في المغرب، وهي طنجة البيضاء المذكورة في التواريخ، وكان فيها رخام وصخر ومنجور جليل، منها كانت القنطرة على بحر الزقاق إلى ساحل أندلس التي لم يكن في العالم مثلها، وكانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة إلى ساحل الأندلس، فلما كان قبل فتح جزيرة الأندلس بنحو ٢٠٠ سنة طغى ماء البحر وخرج من البحر المحيط إلى بحر الزقاق، فغرق هذه القنطرة وغيرها من المواضع المجاورة لها. ينظر: الاستبصار في عجائب الأمصار ١/١٣٨-١٣٩.

(٢) الفهرسة، ص٢٠.

(٣) مثل ما زعموا أن جاكيرا الكردي استغاث به رجل في البحر، فجاء إليهم في السفينة وأنقذهم، هكذا زعموا. ينظر: جامع الكرامات، للنبهاني ١/٣٧٩، طبقات الشعراني ١/١٣٢.

فأخبرتهم أنِّي لم أغثهم وإنما ذلك شيطانٌ تصوَّر بصورتي ليضلَّهم لما أشركوا بالله ودعوا غير الله عَزَّوَجَلَّ"[(١)].

بينما لو قال أحدهم: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم"[(٢)]، لفرج الله عَزَّوَجَلَّ عليهم الكرب والشدائد.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استجاب الله له»[(٣)].

قال ابن القيم عن هذه الدعوات: "وأمَّا دعوة ذي النون فإنَّ فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرَّب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه، ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله عَزَّوَجَلَّ في قضاء الحوائج، فإنَّ التوحيد والتنزيه يتضمَّنان إثبات كل كمال الله، وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه، والاعتراف بالظلم يتضمَّن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فهاهنا أربعة أمور قد وقع التوسُّل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف"[(٤)].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٢١/٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، ١٦١/٤، رقم ٦٣٤٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٧٠/١، رقم ١٤٦٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، ٤٨٤/٥، رقم ٣٥٠٥، وأبو يعلى في مسنده ١١١/٢، رقم ٧٧٢، والحاكم في المستدرك ٣٨٣/٢، وقال الهيثمي ٦٨/٧: ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، رقم ٣٣٨٣.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٩٣/٦.

ويقول ابن القيم في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾(١)، "فتأمَّل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلَّق بغيره، ويجوز لك في هذا التشبيه أمران:

أحدهما: أن تجعله تشبيهًا مركَّبا، ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكًا لا يُرجى معه نجاة، فصور بصورة حال من خرِّ من السَّماء فاختطفته الطير في الهوي فتمزَّق مزقًا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

والثاني: أن يكون من التشبيه المفرق، فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به، وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسَّماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلى الأرض، وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة والطير الذي تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عليه وتؤزُّه أزًّا وتزعجه وتقلقه إلى مظانِّ هلاكه؛ فكلُّ شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما أنَّ لكلِّ طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي حمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السَّماء"(٢).

وزعم ابن عجيبة أن له كرامات خاصَّة به، فمنها أنه التقى بالخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في

---

(١) سورة الحج: ٣١.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/٣١١.

مقصورة جامع الجعيدي[1]، ورآه رجلًا ضخمًا كبير اللِّحية، واقترب منه حتى مسَّت شعر لحيته وجهه، وتكلَّم معه بكلام غاب عنه -أي نسيه- لطول العهد به[2].

ولو عرض ابن عجيبة قوله هذا على الكتاب والسُّنَّة لعلم أنه مخدوع ممكورٌ به قد طمع الشيطان به، فالخضر لم يدرك الإسلام، قال ابن تيمية ﵀: "والصواب الذي عليه المحققون أنه ميِّت، ولم يدرك الإسلام، ولو كان موجودًا في زمن النَّبيِّ ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به، ويجاهد معه، كما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره عند قوم كُفَّار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيًا عن خير أُمَّة أُخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنه"[3].

وطريقة الصوفية ومن سار على نهجهم أنهم يعتمدون على الكشف في معرفة الكرامة، فهذا ابن عجيبة يزعم أن من كراماته أنه يُكشف له عن حقيقة ما يريد استعماله من الطعام، فيعرف حرامه من حلاله[4].

ولكن هذه الأمة ولله الحمد لا يزال فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده[5].

---

(١) هو جامع العيون، ويُسمَّى أيضًا جامع الجعيدي نسبة إلى بانيه الشيخ علي بن مسعود الجعيدي الذي أتم بناءه سنة ١٠٣٠هـ، وهو من أعظم مساجد مدينة تطوان، وقد زيد فيه من جهة يمين القبلة، ثم أضيف الصحن، وقبل عشرة أعوام أُعيد بناؤه وزيد فيه. ينظر: مجلة دعوة الحق (مساجد تطوان العتيقة وعناية الملوك العلويين بها)، إسماعيل الخطيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، العدد٣٨٠، ص٢٠، شوال ١٤١٥هـ.

(٢) ينظر: الفهرسة، ص٧٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٧/١٠٠.

(٤) ينظر: اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، ص١٢١.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٩/٢٣٣.

يقول الشاطبي رحمه الله: "إنهم يعتمدون في كثيرٍ من الأحكام على الكشف والمعاينة، وخرق العادة فيحكمون بالحل والحرمة ويثبتون على ذلك الإقدام والإحجام"[1].

ويقول الصنعاني رحمه الله: "إن أكثر الكرامات التي شاعت بين العوام وحازت على عقول الخواص كذب من العوام الذين هم فتنة دين الإسلام أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم وهم الهمج الرعاع"[2].

رابعًا: أقسام الكرامات

١- الكرامة الحسيَّة، وعرَّفها ابن عجيبة بقوله: "هي خرق الحسِّ العادي، كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، وطي الأرض، ونبع الماء، وجلب الطعام، والاطلاع على المغيَّبات، وغير ذلك من خوارق العادات"[3].

٢- الكرامة المعنويَّة، وعرَّفها بـ: "استقامة العبد مع ربه في الظاهر والباطن، وكشف الحجاب عن قلبه، حتى عرف مولاه، والظفر بنفسه، ومخالفة هواه، وقوة يقينه، وسكونه وطمأنينته بالله"[4].

وذكر نماذج للكرامات الحسيَّة فقال: "فمنها وضع البركة في الطعام وغيره، حتى يكثر القليل، ويكفي اليسير، وهذا مشاهد لأولياء الله كثيرًا"[5].

ومنها: "تيسير دراهم أو دنانير أو كليهما مما تدعو إليه الحاجة، وقد كان

---

(١) الاعتصام ٢٧١/١.

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، ص٦٩.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٣١٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٣١٧.

(٥) اللوائح القدسية، ص١٢٠.

بعض المشايخ في أول أمره جزَّارًا فتعذر عليه شغل الجزارة تعذُّرًا شرعيًّا، فكان إذا قضى وظيفته ذكره يرفع رأسه فيجد في حجره درهمًا يشتري به قوت ذلك اليوم"[(١)].

ومنها: الاطلاع على المغيَّبات فيقول: "... وقد يخرق له العادة فيطلعه الله على جميع اللُّغات"[(٢)].

ولا غرابة بأن يحتار العقل في الكرامات الحسيَّة؛ إذ هي خرقٌ لما اعتاد عليه البشر ولما ألفوه، يقول ابن تيمية رحمه الله: "والرُّسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقًّا وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدَّقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضَّل الله به بني آدم على غيرهم"[(٣)].

ولهذا فإنَّ العُبَّاد والزُّهَّاد الذين لا يتَّبعون الكتاب والسُّنَّة تقترن بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، ولكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضًا، وإذا حصل من له تمكُّن من أولياء الله أبطلها عليهم، ولا بدَّ أن يكون في أحدهم الكذب جهلًا أو عمدًا، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم؛ ليفرِّق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبِّهين بهم من أولياء الشياطين[(٤)].

ولقد ضرب ابن تيمية رحمه الله أمثلةً على تلبيس الشياطين على هؤلاء القوم وهي من مخاطبة الشيطان لهم، فقال: " فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع

---

(١) اللوائح القدسية، ص١٢٠.

(٢) البحر المديد ٤٣/٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٣٩/٣.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٩٥/١١.

وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشَّجر وتقول: هنيئًا لك يا وليَّ الله فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة، أو تمر به أنوار أو تحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله، وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له: أنا من أمر الله ويعده بأنه المهدي الذي بشَّر به النَّبي ﷺ ويظهر له الخوارق"[1].

وهذه الكرامات الحسيَّة ليست معتبرة لحصول الولاية، فإنها قد تظهر على شخص متلبِّس بالمعاصي، وظهورها عليه لا يعني كمال صاحبها، ولكن القوم عمدتهم فيما اعتقدوا فيه الولاية أنه قد صدر منه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرُّفات الخارقة للعادة كأن يملأ إبريقًا من الهواء، أو أن يختفي أحيانًا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، وليس في شيءٍ من هذه الأمور ما يدلُّ على أنَّ صاحبها وليُّ لله، بل قد اتفق أولياء الله على أنَّ الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه، فإن هذه الخوارق قد تكون لكثير من الكُفَّار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيءٌ من هذه الأمور أنه وليٌّ

(١) مجموع الفتاوى ١١/٣٠٠.

لله، فكرامات أولياء الله سببها الإيمان والتقوى، فمن كانت خوارقه تحصل عند الشرك بالله، مثل دعاء الميت، أو الاطلاع على المغيَّبات فهذه من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله(١).

قال ابن حجر رحمه الله: "إنَّ الذي استقرَّ عند العامَّة أنَّ خرق العادة يدلُّ على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلطٌ ممن يقوله؛ فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدلُّ بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسِّكًا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا"(٢)، ومع ذلك فإن أهل العلم بيَّنوا أنَّ الوليَّ ليس بمعصوم بل يجوز عليه ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين، وكرامات الصالحين دلَّت على صحة الدين الذي جاء به الرسول لا على أنَّ الوليَّ معصومٌ وتجب طاعته(٣).

وقد ذهب ابن عجيبة إلى أنَّ الكرامة الحسيَّة ليست معتبرة، فهي تظهر على يد من لم تكمل استقامته، وهذا حقٌّ كما بيَّنه أهل العلم، ثم بعد ذلك يذهب إلى أنَّ الكرامة المعتبرة: الفهم عن الله، والرضا بقضاء الله، وترك التدبير، وهي المعتبرة عند المحققين -يقصد الكرامة المعنوية - أمَّا الحسيَّة فلا يطلبونها ولا يلتفتون إليها(٤).

ويريد ابن عجيبة أن يصل إلى أبعد من هذا عند ذمِّه للكرامة الحسيَّة؛ لأنها حسب زعمه مانعة له من مشاهدة الوحدة، وكشف الحجاب بينه وبين الله -تعالى

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١١/٢١٣، ٣٠٢.

(٢) فتح الباري ٧/٤٤٣.

(٣) ينظر: النبوات، ص١٩-٢٠، قطر الولي، ص٢٤٨.

(٤) ينظر: إيقاظ الهمم، ص٣١٧-٣١٨.

عمَّا يقول علوًا كبيرًا-، فهو يبيِّن أنَّ من وقف مع هذه الكرامات الحسيَّة فهو محجوبٌ عن رؤية النُّور الأصلي، فالكرامة عنده هي الرُّسوخ والتمكين في معرفة الله، أي زوال الحجاب[1].

فهو يرى مشاهدة الحق أعظم كرامة، فيقول في موضع آخر: "وأي كرامة أعظم من كشف الحجاب بينهم وبين محبوبهم، حتى عاينوه وشاهدوه حقًّا ووجود السوي محالًا ضروريًّا"[2].

ولا ريب أن ما عناه هنا هي وحدة الوجود، فالذي لا يشهد السوي مطلقًا هو قول الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، وهؤلاء قد يبلغ بهم الأمر إلى أن يروا أنَّ شهود الذات مجردة عين الصفات هو أعلى مقامات الشهود، وهذا من جهلهم؛ فإنَّ الذات المجردة عن الصفات لا حقيقة لها في الخارج، وليس ذاك رب العالمين، ولكنَّهم في أنفسهم جردوها عن الصفات وشهدوا مجرد الذات كما يشهد الإنسان تارة علم الرب وتارة قدرته، فهؤلاء شهدوا مجرد ذات مجردة، فهذا في غاية النقص في معرفة الله والإيمان به فكيف يكون هذا غاية؟ ومنهم من ينظر هذا شرطًا في السُّلوك وليس كذلك بل السابقون الأولون أكمل الناس ولم يكن مثل هذا يخطر بقلوبهم ولو ذكره أحد عندهم لذمُّوه وعابوه[3].

---

(١) ينظر: الفهرسة، ص٧٢، شرح نونية الششتري، ص٢٣.

(٢) البحر المديد ٣/٢٣٤.

(٣) ينظر: الرد على المنطقيين ١/٥١٨.

الفصل الثالث:

الحلول والاتحاد ووحدة الوجود

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحلول والاتحاد.

المبحث الثاني: وحدة الوجود.

المبحث الأول: الحلول والاتحاد

تعتبر عقيدة الحلول والاتحاد من العقائد التي سرت إلى بعض غلاة الصوفية ممن ينتسب للإسلام، وهي عقيدة قديمة ظهرت في الأديان الوثنية القديمة، ثم سرت إلى النصرانية، ثم إلى بعض من انتسب للإسلام وخصوصًا المتقدِّمين من غلاة الشيعة[1]، وسيتضح إن شاء الله من خلال سبر أقوال ابن عجيبة موقفه من قضية الحلول والاتحاد.

أولًا: تعريف الحلول والاتحاد.

الحلول هو: "عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمَّى الساري حالًا، والمسري فيه محلًّا"[2].

وكذلك يراد به -عند من يعتقده- أن تحل الذات الإلهية في الذات البشرية، ويصبح المخلوق ظرفًا، لخالقه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا[3].

وينقسم إلى قسمين:

حلول خاص: كالنَّصارى والغالية من هذه الأمة الذين يقولون بالحلول إمَّا في علي رضي الله عنه أو غيره.

حلول عام: كالذين يقولون في جميع المخلوقات نحوًا مما قالته النصارى في المسيح عليه السلام أو ما هو شرٌّ منه[4].

---

(١) ينظر الحركات الباطنية، ص ٣٥٦.

(٢) التعريفات، ص٢٦.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص١٢٥، المعجم الصوفي، ص٨١، المعجم الفلسفي، ص١٠٦.

(٤) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ١٥١/٦.

والاتحاد هو: "شهود الوجود الحق المطلق الذي الكل به موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيءٍ موجودًا به معدومًا بنفسه لا من حيث إنَّ له وجودًا خاصًّا به"(١).

وكذلك يراد به "اختلاط الذات الإلهية بالذات البشرية لتصبحا ذاتًا واحدة"(٢).

ثانيًا: موقفه من الحلول والاتحاد

قال: "فلا وجود للأشياء مع وجوده، فانتفى القول بالحلول، إذا الحلول يقتضي وجود السوي حتى يحل فيه معنى الربوبية، والفرض أنَّ السوي عدم محض فلا يتصور الحلول ... وتقرر أنَّ الأشياء كلها في حيِّز العدم، إذ لا يثبت الحادث مع من له وصف القدم، فانتفى القول بالاتحاد، إذ معنى الاتحاد هو اقتران القديم مع الحادث، فيتحدان حتى يكون شيئًا واحدًا وهو محال، إذ هو مبنيٌّ أيضًا على وجود السوي ولا سوي"(٣).

وقال أيضًا: "الاتحاد يطلق على معنيين: أحدهما: اختلاط جرمين حتى يصير جرمًا واحدًا، وهذا محال في حقِّه تعالى، وهو كفرٌ لمن اعتقده، ويطلق على الوحدة الحقيقية، يقال: اتحد الشَّيء إذا صار واحدًا"(٤).

وقال في موضع آخر: "وقد يطلقون الاتحاد على الوحدة"(٥).

---

(١) معجم اصطلاحات الصوفية، ص٤٩.

(٢) ينظر: التعريفات، ص٢٢، المعجم الصوفي، ص١١، المعجم الفلسفي، ص١٠٦.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٧٥.

(٤) شرح خمرية ابن الفارض، ص٨٠.

(٥) إيقاظ الهمم، ص٨٥.

قال ابن عربي: "إذا سمعت بالاتحاد من أهل الله، أو وجدته في مصنفاتهم، فلا تفهم منه ما فهمت من الاتحاد الذي يكون بين الوجودين؛ فإن مرادهم من الاتحاد ليس إلا شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكل به موجود، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودًا به معدومًا بنفسه، لا من حيث إنَّ له وجودًا خاصًا اتحد به، فإنه محال". ابن الفارض والحب الإلهي، ص٣١٩.

ويقول: "إذا قال الفقير -أي الصوفي-:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا[1]

قبل تحقق فنائه فما أبعده عن الصواب، وإذا تحقق فناؤه فلا يقوله إلا مع من يُصدِّقه في حاله، وإلا تعرض لقتله"[2].

وردَّ ابن عجيبة على من يتهم الصوفية بالحلول والاتحاد[3]، فقال: "وسبب انتقاد أهل الظاهر على أهل الباطن: أنَّ أهل الباطن لما استشرفوا على بحار زواخر من التوحيد الخاص رام بعضهم للتعبير عن تلك الأسرار فضاقت عبارتهم عن ذلك، ففهموا منه غير ما أرادوه فرموا بالحلول والاتحاد، وليس ثم حلول ولا اتحاد"[4].

ولذلك يرى سبب مقتل الحلاج أنه أفشى هذا السِّر، فقال: "كلٌّ من أفشى سرَّ الربوبية سلَّط الله عليه سيف الشريعة فيباح دمه ويهتك عرضه، كما وقع للحلاج وغيره ... والمراد بسرِّ الربوبية التوحيد الخاص، الذي هو الشهود والعيان المخصوص بأهل العرفان"[5].

وفسَّر قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6]، "أي أفلا يرجعون عن تلك العقائد الزائفة والأقوال الفاسدة، ويستغفرونه بالتوحيد والتوبة عن الاتحاد والحلول"[7].

---

(١) ديوان الحلاج، ص٤٧.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٣٦٧.

(٣) ابن عربي، وابن الفارض، ومن تبعهم.

(٤) شرح نونية الششتري، ص١٠.

(٥) شرح قصيدة يامن تعاظم، ص٢٠-٢١.

(٦) سورة المائدة: ٧٠.

(٧) البحر المديد ٢/٢٠٣.

وذكر حديثًا يوهم بالحلول والاتحاد، فقال: يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «لم يسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[١].

وهذا حديثٌ باطلٌ لا أصل له، قال السَّخاوي[٢]: "ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ (قال الله: لم يسعني) وذكره بلفظ (ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع) وقال مخرجه العراقي[٣]: لم أر له أصلًا"[٤].

وقال السَّخاوي: "ورأيت بخط الزركشي[٥] بعض أهل العلم يقول: هذا باطل وهو من وضع بعض الملاحدة، وأكثر ما يرويه المتكلِّم على رؤوس العوام علي بن وفا[٦] لمقاصد يقصدها، ويقول عند الوجد والرقص: طوفوا ببيت ربكم"[٧].

وسئل ابن تيمية رحمه الله عمَّا يروى عن النبي ﷺ عن الله عَزَّوَجَلَّ قال: «ما وسعني لا سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»، فأجاب: الحمد لله،

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٤٢٠.

(٢) هو: أبو الخير، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، عالم بالحديث والتفسير والأدب، أصله من سخا، من قرى مصر، ولد في القاهرة سنة ٨٣١هـ، له مؤلفات منها: القول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، المقاصد الحسنة، كانت وفاته سنة ٩٠٢هـ. ينظر: شذرات الذهب ١٥/٨.

(٣) هو: أبو الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ولد في ٢١ جمادى الأولى سنة ٧٢٥هـ، له مؤلفات منها: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، التقييد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح، كانت وفاته سنة ٨٠٦هـ. ينظر: البدر الطالع في محاسن ما بعد القرن السابع ٣٥٤/١.

(٤) المقاصد الحسنة، ص٥٨٩.

(٥) هو: أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله المصري، بدر الدين الزركشي، فقيهٌ أصوليٌّ محدِّث، تركي الأصل مصري المولد، توفي سنة ٧٤٩هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٣٩٧/٣-٣٩٨.

(٦) هو: علي بن محمد بن وفاء، ابن لصاحب الطريقة الوفائية، ولد سنة ٧٦١هـ، ومات سنة ٨٠١هـ، ينظر: طبقات الشعراني ٢٠/٢.

(٧) كشف الخفاء ١٢٣٥/٢.

هذا ما ذكروه في الإسرائيليات ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ، ومعناه وسع قلبه محبتي ومعرفتي، وما يروى: «القلبُ بيتُ الرَّب» هذا من جنس الأول؛ فإنَّ القلب بيت الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ ومعرفته ومحبته"(١).

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ رادًّا على من يختلق الأحاديث المكذوبة: "وكذلك مما حرَّمه الله تعالى أن يقول الرَّجل على الله ما لا يعلم مثل أن يروي عن الله ورسوله أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحَّتها، أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا أثارة من علم عن رسول الله ﷺ، سواء كانت من صفات النفي والتعطيل ... أو كانت من صفات الإثبات والتمثيل، مثل من يزعم أنه يمشي في الأرض، أو يجالس الخلق ... أو أنه سار في مخلوقاته إلى غير ذلك من أنواع الفرية على الله عَزَّوَجَلَّ"(٢).

وقال في موضع آخر: "وهؤلاء أقوالهم فيها تناقضٌ وفساد، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود والحلول أو الاتحاد، وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق؛ بخلاف من يقول بالمعيَّن كالنصارى والغالية من الشيعة، ولهذا يقولون: إنَّ النصارى إنما كان خطؤهم في التخصيص، وكذلك يقولون في المشركين عُبَّاد الأصنام إنما كان خطؤهم لأنهم اقتصروا على بعض المظاهر دون بعض، وهم يجوزون الشرك وعبادة الأصنام مطلقًا على وجه الإطلاق والعموم، ولا ريب أنَّ في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من كفر اليهود والنصارى"(٣).

ويقول أيضًا عنهم: "وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول؛ لأنه يقتضي حالًا ومحلًّا، ومن لفظ الاتحاد؛ لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر، وعندهم الوجود واحد

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢٢/١٨.

(٢) المرجع نفسه ٤٢٥/٣.

(٣) نفسه ٢٩٦/٢.

ويقولون: النصارى إنما كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله، ولو عمَّموا لما كفروا.

وكذلك يقولون في عباد الأصنام: إنما أخطأوا لما عبدوا بعض الظاهر دون بعض، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم، والعارف المحقق عندهم لا يضرُّه عبادة الأصنام"[١].

ثم وضَّح مباينة الحلول والاتحاد بقوله: "حقيقة قول هؤلاء: إن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة، ولهذا من سماهم حلولية أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبًا عن معرفة قولهم خارجًا عن الدخول إلى باطن أمرهم؛ لأن من قال: إنَّ الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال وهذا تثنية عندهم وإثبات لوجودين، أحدهما وجود الحق الحال، والثاني وجود المخلوق المحل وهم لا يقرون بإثبات وجودين البتة"[٢].

وقال أيضًا: "وأمَّا وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان، أحدهما: لا يرضونه؛ لأن الاتحاد على وزن الاقتران، والاقتران يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر وهم لا يقرون بوجودين أبدًا، والطريق الثاني: صحة ذلك بناء على أن الكثرة صارت وحدة"[٣].

ولهذا قال ابن عجيبة: "وقد يطلقون الاتحاد على الوحدة"[٤].

ورأى ابن تيمية رحمه الله: "أنَّ كلَّ واحدٍ من الاتحاد والحلول إمَّا معيَّن في شخص وإمَّا مطلق، فالمعيَّن كقول النصارى والغالية من الأئمة من الرافضة، وفي المشايخ من جهال الصوفية فإنهم يقولون بالتعيين كاتحاد الله بالماء كاليعقوبية[٥] من النَّصارى أو

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص١١٤-١١٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/١٤٠.

(٣) المرجع نفسه ٢ /١٤١.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٨٥.

(٥) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة: إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وزعم أكثر اليعقوبية أنَّ المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد إلا أنه من =

بالحلول وهو قول النسطورية[1]، وبالاتحاد من وجه دون وجه وهو قو الملكانية[2]"[3].

وتلحظ أنَّ أهل الحلول والاتحاد يثبتون الاثنينية؛ أمَّا أهل وحدة الوجود فلا تعترف إلا بالوحدة.

وعرَّف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الاتحاد بالاختلاط والامتزاج بين الخالق والمخلوق، ثم قال: "وهذا حقيقة الاتحاد، لا يُعقل الاتحاد إلا هكذا"[4].

ويتبيَّن مما سبق أن ابن عجيبة يرى كفر من يعتقد بالحلول والاتحاد، فنهاية الحلول والاتحاد وحدة الوجود.

تقول الدكتور سارة آل جلوي: "ويرى معظم الباحثين: أنَّ فكرة وحدة الوجود تطوُّرٌ طبيعيٌّ لفكرة الحلول والاتحاد التي قال بها بعض الصوفية، وذلك لأن الذات الإلهية إذا كانت تقبل الحلول في أجساد طائفة من الخلق، أو الاتحاد معها فلا يوجد ما يمنع أن يصحب هذا الحلول أو الاتحاد عامًّا يشمل جميع المخلوقات حيّها وجمادها، بحيث لا يكون في الكون شيءٌ إلا الله"[5].

=

جوهرين، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين. ينظر: الملل والنحل ٢/ ٣٠.

(١) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وقال: إنَّ الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة، ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة، حي، ناطق، إله، وزعموا أنَّ الابن لم يزل متولدًا مع الأب وإنما تجسَّد واتحد بجسد المسيح حين ولد. ينظر: الملل والنحل٢/٢٩.

(٢) الملكانية: أصحاب ملكان الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا إنَّ الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، ينظر: الملل والنحل ٢/٢٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٤٦٥.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/٧-٨.

(٥) نظرية الاتصال عند الصوفية، ص٣٩.

المبحث الثاني: وحدة الوجود

أولًا: معنى وحدة الوجود في اللغة

قال ابن فارس: "الواو والحاء والدالُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الانفراد، من ذلك الوَحْدة"[(١)]، ووحد الشَّيء: جعله واحدًا، والواحد: المنفرد بذاته في عدم المثل والنظر[(٢)].

والوجود: الثبوت والحصول، ويطلق على الوصف الذي تشترك فيه الكائنات، فيميزها عن المعدومات، فيقال: "ووجد الشيء عن عدم فهو موجود"[(٣)].

ثانيًا: معنى وحدة الوجود اصطلاحًا

عقيدة الصوفية في وحدة الوجود تكمن في قولهم إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ والعالم شيءٌ واحد[(٤)].

قال الكاشاني: "وجود مقام يضمحل رسم الوجود فيه بالكلية بحصول الواجد في عين الأزلية، والمراد: وجود الحق عينه بعينه، حيث لا رسم، ولا اسم"[(٥)].

وقال ابن عربي: "العارف من يرى الحقَّ في كلِّ شيء، بل يراه عين كلِّ شيء"[(٦)].

فهم يعتقدون أنَّ الله كل ما يرى.

---

(١) مقاييس اللغة ٦/٩٠.

(٢) ينظر: القاموس المحيط ١/٣٤٣، المعجم الوسيط ٢/١٠١٦.

(٣) ينظر: لسان العرب ٣/٤٤٥.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ٢/٤٦٦.

(٥) معجم اصطلاحات الصوفية، ص٣٧١.

(٦) فصوص الحكم ٢/٣٥٨.

ويقول ابن سبعين: "الله فقط هو الكلُّ بالمطابقة"(١).

قال ابن عجيبة: "ألا يرى في الوجود إلا الله، ولا يشهد معه سواه فيغيب عن النظر إلى الأكوان في شهود المكوّن"(٢).

وقال أيضًا: "إنَّ ما سوى الحق خيالٌ وهمي، لا حقيقة لوجوده"(٣).

وعند شرحه لوحدة الوجود قال: "الحق تعالى محالٌ في حقه الحجاب، فلا يحجبه شيء؛ لأنه ظهر بكلِّ شيءٍ وقبل كلِّ شيء وبعد كلِّ شيء، فلا ظاهر معه، ولا موجود سواه"(٤).

تلك بعض التعريفات والشروح التي بيَّنت المقصود من وحدة الوجود.

ولقد أبان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال الصوفية في وحدة الوجود، وأنها وإن تعددت "إلا أنَّ حقيقة أمرهم أنهم يرون أنَّ عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأنَّ وجود ذات الله خالق السَّموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات"(٥).

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم تفرَّقوا إلى ثلاثة طرق:

الأُولى: القائلون: بثبوت الذوات كلها في العدم(٦).

---

(١) رسائل ابن سبعين، ص١٩٢.

(٢) البحر المديد ١/١٩٢، ٥/٣٤٧، وينظر: الجواهر العجيبة، ص٢٢.

(٣) إيقاظ الهمم، ص١٠٥.

(٤) المرجع نفسه ١/٦٤-٦٥.

(٥) مجموع الفتاوى ٢/٤٦٦.

(٦) "كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة -وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسُّنَّة والإجماع، وكثير من متكلمة أهل الإثبات كالقاضي أبي بكر- كفر من يقول بهذا، وإنما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالأشياء قبل كونها وأنها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى فإنَّ مذهب المسلمين أهل السُّنَّة والجماعة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها فيفرقون بين الوجود العلمي وبين الوجود العيني الخارجي". مجموع الفتاوى ٢/٤٦٦.

فذكر رحمه الله قولهم: "إنَّ الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم، ذاتها أبدية أزلية، حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن، والحركات والسَّكنات، وأنَّ وجود الحق فاض على تلك الذوات، فوجودها وجود الحق، وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرِّقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك.

ويقولون: إنَّ الله سبحانه لم يُعط أحدًا شيئًا، ولا أغنى أحدًا، ولا أسعده ولا أشقاه، وإنما وجوده فاض على الذوات، فلا تحمد إلا نفسك، ولا تذم إلا نفسك"(١).

ثم ذكر رحمه الله أنَّ هذا القول هو قول صاحب فصوص الحكم(٢)(٣).

ويقول عنهم: "وكنتُ أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين، وأقول: إنَّ حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع؛ حتى حدَّثني بعض عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون: نحن على قول فرعون"(٤).

الثانية: القائلون بأنَّ وجود الله عَزَّوَجَلَّ هو الوجود المطلق والمعيَّن.

ذكر عنهم القول: "إنَّ الله تعالى هو الوجود المطلق والمعيَّن، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعيَّن، والجسم المطلق، والجسم المعيَّن؛ والمطلق لا يوجد إلا في الخارج مطلقًا، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة، فحقيقة قوله إنه ليس لله سبحانه وجود أصلًا ولا حقيقة، ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات"(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٤٦٦.

(٢) يقصد ابن عربي.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٤٦٩.

(٤) المرجع نفسه ٢/٤٦٦.

(٥) نفسه ٢/٤٦٨.

ثم قال عنهم بأنهم يقولون: "إنَّ الله تعالى لا يرى أصلًا وأنه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرِّحون بأنَّ ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده، تعالى الله عمَّا يقولون"[1].

وقال: إنَّ هذا قول[2] الصدر القونوي الرومي[3].

الثالثة: القائلون ما ثَمَّ غير الله، ولا سوى بأيِّ وجه

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قولهم: "ما ثَمَّ غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وأنَّ العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوبًا فإذا انكشف حجابه رأى أنه ما ثَمَّ غير يبين له الأمر"[4].

ثم ذكر رحمه الله أنَّ هذا القول، هو رأي التلمساني[5].

وقال شيخ الإسلام عنه: فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر؛ لأنه لا يفرِّق بين الوجود والثبوت ولا يفرِّق بين المطلق والمعيَّن[6].

(١) مجموع الفتاوى ٢/٤٧١.

(٢) المرجع نفسه ٢/٤٧١.

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صدر الدين، صوفيٌّ من كبار تلاميذ محيي الدين ابن العربي، ولد في قونية بتركيا، وتزوج ابن العربيّ أمه، ورباه، وكان شافعيَّ المذهب، من مصنفاته: النصوص في تحقيق الطور المخصوص، اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية لابن عربي، وإعجاز البيان، توفي سنة ٦٧٢هـ. ينظر: الأعلام ٦/٣٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/٤٧١.

(٥) هو: سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكُومي التلمساني ولد سنة ٦١٠هـ، عفيف الدين شاعر، كوميّ الأصل، من قبيلة كومة، تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال، وأخذ التصوف عن القونوي، وكان يتصوف ويتكلَّم على اصطلاح القوم يتبع طريقة ابن العربي، توفي سنة ٦٩٠هـ. ينظر: العبر ٣/٣٧٢، الأعلام ٣/١٣٠.

(٦) مجموع الفتاوى ٢/٤٧١-٤٧٢.

يقول التلمساني:

شَـهِدْتَ نفْسَـكَ فينـا وهـي واحـدة　　كثـــيرةٌ ذاتُ أوصـــافٍ وأسمـــاءِ
ونحـن فيـك شـهِدْنا بعـد كثْرَتنـا　　عينًـــا بهـــا اتّحـد المرئـــيُّ والرائـــي
فـأوَّلٌ أنـت مـن قبـل الظُّهُـورِ لنـا　　وآخِـــرٌ أنـــت عنـــد النَّـــازحِ النَّـــائي
وبـاطنٌ في شـهود العـين واحِـدُهُ　　وظـــاهرٌ لامتيـــازاتٍ بأسمـــاءِ
أنـت الـمُلَقِّنُ سـرًّا لا أفـوُهُ بـهِ　　وأنـت نُطْقـيَ والـمُصْغي لنجـوائي[1]

وبعد ذلك بيَّن ابن تيمية رحمه الله الفرق بين الطرق الثلاث بقوله:

الفريق الأول يفرِّق بين الوجود والثبوت، ويفرِّق الثاني بين المطلق والمعيَّن، أمَّا الثالث والذي أعده من أخبثهم وأعمقهم كفرًا فإنه لا يفرِّق بين شيء، ولهذا كان يستحلُّ جميع المحرَّمات؛ حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيءٌ واحدٌ ليس في ذلك حرام علينا وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم، وكان يقول[2]: القرآنُ كلُّه شركٌ ليس فيه توحيدٌ وإنما التوحيد في كلامنا[3].

ثالثًا: أسماء وحدة الوجود كما بيَّنها ابن عجيبة

١- **الفردانية**، هي: "انفراد الحق بالوجود، بانطباق بحر الأحدية على الكل، بحيث لم يبق وجود لغيره فقط"[4].

(١) ديوانه ١/٨٥-٨٦.

(٢) التلمساني.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٢/٤٧١-٤٧٢.

(٤) معراج التشوف، ص٥٣.

وهذا مفاده إنكار صفة الربوبية، قال ابن تيمية رحمه الله: "إن عندهم أن الله ليس رب العالمين، ولا مالك الملك، إذ ليس إلا وجوده، وهو لا يكون رب نفسه، ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك، وقد صرَّحوا بهذا الكفر مع تناقضه، وقالوا: إنه هو ملك الملك، بناءً على أنَّ وجوده مفتقر إلى ذوات الأشياء، وذوات الأشياء مفتقرة إلى وجوده، فالأشياء مالكة لوجوده، فهو ملك الملك"[1].

٢- **الفناء**، "وهو محو الرسوم والأشكال بشهود الكبير المتعال"[2].

ومراد القوم بهذا المصطلح وحدة الوجود، وهو الفناء عن وجود السوي[3]، قال ابن عجيبة: "إذا قال الفقير -أي الصوفي- أنا من أهوى ... ومن أهو ى أنا[4]، قبل تحقق فنائه، فما أبعده عن الصواب، وإذا تحقق فناؤه فلا يقوله إلا مع يُصدِّقه في حاله، وإلا تعرض لقتله"[5].

يقول ابن القيم رحمه الله: "فأمَّا الفناء عن وجود السوي، فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، وأنه ما ثَمَّ غير، وأنَّ غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة، ونفي التكثُّر، والتعدد عن الوجود بكلِّ اعتبار، فلا يشهد غيرًا أصلًا، بل يشهد وجود العبد عين وجود الرَّب، بل ليس عندهم في الحقيقة ربٌّ وعبد"[6].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٢٤٩.

(٢) معراج التشوف، ص٥٣.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٢/٣٦٩-٣٧٠.

(٤) ديوان الحلاج، ص٤٧.

(٥) الفتوحات الإلهية، ص٣٦٧.

(٦) مدارج السالكين ١/١٧٤.

٣- **توحيد خاصة الخاصة**، وهو "إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد"(١).

٤- ويقول أيضًا: "**نهاية توحيد الواصلين** من العارفين والمريدين السائرين توحيد الذات فلا يشهدون إلا الله، ولا يرون معه سواه"(٢).

ولهذا فإنَّ وحدة الوجود هي الغاية الحقيقية من التصوف، يقول ابن عجيبة: "الحقيقة شهود الحق في تجلِّيات المظاهر"(٣).

ويرى ابن عجيبة أنَّ وحدة الوجود لا يشهدها إلا خاصة الخاصة، فقال: "تجلِّي الذات لا يدركه إلا الخواص، أو خواص الخواص، ومن شأن السر ألا يدركه إلا الأفراد"(٤).

وهذه الأقوال متناقضة وباطلة فهذا الكلام ينقض بعضه بعضًا؛ فإنه إن كان الوجود واحدًا لم يكن أحد الشاهدين غير الآخر ولم يكن الشاهد غير المشهود، ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء: من قال إن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له آخر: فمن الذي كذب؟ فأفحمه، وهذا لأنه إذا لم يكن موجود سوى الواجب بنفسه، كان هو الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب، وهذا يصرح به أئمة هؤلاء كما يقول صاحب الفصوص وغيره: إنه موصوف بجميع صفات الذم وإنه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمعايب والنقائص كما أنه هو الذي يوصف بنعوت المدح والذم(٥).

---

(١) معراج التشوف، ص٥٣.

(٢) البحر المديد ٢/٦٦.

(٣) كشف النقاب عن سر الألباب، ص١٨١.

(٤) شرح صلاة القطب، ص١٥.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٢/٣٠٥.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "ومن قال: إن لقول هؤلاء سرًّا خفيًّا وباطن حق وإنه من الحقائق التي لا يطلع عليها إلا خواص خواص الخلق فهو أحد رجلين -إمَّا أن يكون من كبار الزنادقة أهل الإلحاد والمحال، وإما أن يكون من كبار أهل الجهل والضلال، فالزنديق يجب قتله، والجاهل يعرَّف حقيقة الأمر، فإن أصرَّ على هذا الاعتقاد الباطل بعد قيام الحجة عليه وجب قتله.

ولكن لقولهم سرٌّ خفيٌّ وحقيقة باطنة لا يعرفها إلا خواص الخلق، وهذا السرُّ هو أشدُّ كفرًا وإلحادًا من ظاهره؛ فإن مذهبهم فيه دقة وغموض وخفاء، قد لا يفهمه كثير من الناس، ولهذا تجد كثيرًا من عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض، ويتواجد عليها ويعظمها، ظانًّا أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة، وهو لا يفهمها ولا يفهم مراد قائلها؛ وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدين فلا يفهمون حقيقته فإمَّا أن يتوقفوا عنه أو يعبروا عن مذهبهم بعبارة من لم يفهم حقيقة، وإمَّا أن ينكروه إنكارًا مجملًا من غير معرفة بحقيقته ونحو ذلك، وهذا حال أكثر الخلق معهم.

وأئمتهم إذا رأوا من لم يفهم حقيقة قولهم طمعوا فيه، وقالوا: هذا من علماء الرسوم، وأهل الظاهر، وأهل القشر، وقالوا: علمنا هذا لا يعرف إلا بالكشف والمشاهدة، وهذا يحتاج إلى شروط، وقالوا: ليس هذا عشك فادرج عنه، ونحو ذلك مما فيه تعظيم له وتشويق إليه، وتجهيل لمن لم يصل إليه، وإن رأوه عارفًا بقولهم نسبوه إلى أنه منهم، وقالوا: هو من كبار العارفين، وإذا أظهر الإنكار عليهم والتكفير قالوا: هذا قام بوصف الإنكار لتكميل المراتب والمجالي، وهكذا يقولون في الأنبياء ونهيهم عن عبادة الأصنام.

وهذا كله وأمثاله مما رأيته وسمعته منهم، فضلالهم عظيم، وإفكهم كبير، وتلبيسهم شديد، والله تعالى يظهر ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، والله أعلم"[1].

وهذا التوحيد الذي يشير إليه هؤلاء الملاحدة -هو وحدة الوجود- أمر ممتنع في نفسه لا يتصور تحققه في الخارج؛ فإن الوحدة العينية الشخصية تمتنع في الشيئين المتعددين، ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن اسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد كما أن اسم الجسم والإنسان ونحوهما يتناول كل جسم وكل إنسان وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الإنسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذاك[2].

رابعًا: شبهات ابن عجيبة للدلالة على وحدة الوجود

قال ابن عجيبة: "وفي القرآن تلويحات وإشارات إلى هذه المعاني اللطيفة، والأنوار الربانية، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[3]، ولا يفهم هذه الأسرار إلا من خاض مقام الفناء والبقاء"[4].

وهذا من الباطل، قال ابن تيمية رحمه الله: "لم يرد به إنك أنت الله، وإنما أراد: أنك أنت رسول الله ومبلِّغ أمره ونهيه، فمن بايعك فقد بايع الله عَزَّوَجَلَّ كما أنَّ من أطاعك فقد أطاع الله، ولم يرد بذلك أنَّ الرسول هو الله؛ ولكن الرسول أمر بما أمر الله به، فمن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٣٨٧-٣٨٠.

(٢) ينظر: المرجع نفسه ٢/٣٥١.

(٣) سورة الفتح: ١٠.

(٤) شرح قصيدة يامن تعاظم، ص١٣.

ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني»[1] ومعلومٌ أنَّ أميره ليس هو إيَّاه.

ومن ظنَّ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2] أنَّ المراد به أنَّ فعلك هو فعل الله، أو المراد أنَّ الله حالٌّ فيك ونحو ذلك فهو -مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده- قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره.

وذلك أنه لو كان المراد به كون الله فاعلًا لفعلك لكان هذا قدرًا مشتركًا بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله، ومن بايع مسيلمة الكذَّاب فقد بايع الله، ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضًا، فيكون الله قد بايع الله؛ إذ الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فإنه عام عندهم في هذا وهذا، فيكون الله قد بايع الله، وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية الاتحادية، حتى إنَّ أحدهم إذا أمر بقتال العدو يقول: أقاتل الله؟ ما أقدر أن أقاتل الله ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم، وبينَّا فساده لهم وضلالهم فيه غير مرة"[3].

ويستدل ابن عجيبة أيضًا بقوله الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[4] [5].

وهذا الاستدلال باطل، قال ابن تيمية رحمه الله: "لم يرد به أن فعل العبد هو فعل

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب يقاتل وراء الإمام ويُتقى به، ٢ /٣٤٧، رقم ٢٩٥٦.

(٢) سورة الفتح: ١٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٢ /٣٣٣.

(٤) سورة الأنفال: ١٧.

(٥) ينظر: إيقاظ الهمم، ص٦٩.

الله تعالى -كما تظنُّه طائفة من الغالطين- فإن ذلك لو كان صحيحًا لكان ينبغي أن يقال لكلٍّ أحد حتى يقال للماشي: ما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى، ويقال للراكب: وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب، ويقال للمتكلِّم: ما تكلمت إذ تكلَّمت ولكن الله تكلم، ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلِّي ونحو ذلك، وطرد ذلك: يستلزم أن يقال للكافر: ما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر ويقال: للكاذب ما كذبت إذ كذبت ولكن الله كذب، ومن قال مثل هذا فهو كافرٌ ملحدٌ خارجٌ عن العقل والدين.

ولكن معنى الآية أنَّ النَّبيَّ ﷺ يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي إلى جميعهم فإنه إذ رماهم بالتراب وقال: «شاهت الوجوه»[1] لم يكن في قدرته أن يوصل ذلك إليهم كلهم فالله تعالى أوصل ذلك الرمي إليهم كلهم بقدرته، يقول: وما أوصلت إذ حذفت ولكن الله أوصل، فالرمي الذي أثبته له ليس هو الرمي الذي نفاه عنه؛ فإنَّ هذا مستلزم للجمع بين النقيضين بل نفى عنه الإيصال والتبليغ وأثبت له الحذف والإلقاء، وكذلك إذا رمى سهمًا فأوصله الله إلى العدو إيصالًا خارقًا للعادة كان الله هو الذي أوصله بقدرته ... فالقول بأنَّ الله خالق أفعال العباد حقٌّ والقول بأنَّ الخلق حالٌّ في المخلوق أو وجوده وجود المخلوق باطل، وهؤلاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية إلى القول بالحلول والاتحاد وهذا عين الضلال والإلحاد"[2].

وكذلك استدل بما يذكرونه عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «كان الله ولا شيء معه،

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة حنين، ٣/١٤٠٢، رقم ١٧٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٣٣١.

وهو الآن على ما عليه كان»[1].

وهذا كذبٌ مفترى على رسول الله ﷺ، اتفق أهل العلم بالحديث على أنه موضوعٌ مختلقٌ وليس هو في شيءٍ من دواوين الحديث لا كبارها، ولا صغارها، ولا رواه أحد من أهل العلم بإسنادٍ لا صحيح ولا ضعيف ولا بإسناد مجهول، وإنما تكلم بهذه الكلمة: بعض متأخري متكلمة الجهمية وقصدوا بها نفي الصفات عن الله عَزَّوَجَلَّ فتلقَّاها منهم هؤلاء الذين وصلوا إلى آخر التجهُّم بنفي وجود السوي[2].

وهكذا ديدن أهل البدع يعتقدون ثم يستدلون، فاعتقدوا الباطل ثم استدلوا بالباطل.

أما الحديث الثابت الصحيح فهو قول النبي ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»[3].

وذكر في رواية أخرى: «كان الله ولم يكن شيء غيره»[4].

خامسًا: حكم من اعتقد وحدة الوجود

بعد بيان آراء ابن عجيبة في وحدة الوجود، أصبح لزامًا بيان أقوال العلماء بحكمهم على من اعتقد بوحدة الوجود.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٧٣، وينظر كذلك في من استدل بهذا: الفتوحات المكية، ١/١٨٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٢/٢٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ٤/٣٨٧، رقم ٧٤١٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ٢/٤١٨، رقم ٣١٩١.

فقد حكى القاضي عياض رحمه الله إجماع المسلمين على كفر "من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة "(١).

ويقول عز الدين بن عبد السلام رحمه الله(٢): "من زعم أنَّ الإله يحلُّ في شيءٍ من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر"(٣).

"وسئل والد الشيخ محمد الرملي(٤) عن القائل بوحدة الوجود، فقال: يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب؛ لأن قوله هذا لا يقبل تأويلًا، وكفره أشدُّ من كفر اليهود والنصارى"(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا كان عندهم أن المرئي بالعين هو الله فهذا كفرٌ صريحٌ باتفاق المسلمين ... ولا سيما إذا قيل: ظهر فيها وتجلَّى؛ فإنَّ اللفظ يصير مشتركًا بين أن تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها مثال المرئي، وكلاهما باطل، فإن ذات الله ليست في المخلوقات، ولا في نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئي في المرآة"(٦).

وقال الذهبي رحمه الله: "من طالع كتب هؤلاء علم علمًا ضروريًّا بأنهم اتحادية

---

(١) الشفا ٢/٦٠٦.

(٢) هو: العز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، فقيهٌ شافعيٌّ مجتهد، ولد سنة ٥٧٧هـ، وتوفي بمصر يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى، سنة ٦٦٠هـ. ينظر: النجوم الزاهرة ٧/٢٠٨، الذيل على الروضتين، ص٢١٦.

(٣) نقلًا من كتاب الحاوي، للسيوطي ٢/٢٤١.

(٤) هو: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي الأنصاري، الشافعي، تلميذ القاضي زكريا، توفي في مصر سنة ٩٥٧هـ. ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ٣/١٠١، الأعلام ١/١٢٠.

(٥) الكشف عن حقيقة الصوفية، ص٧٩.

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل ٤/٢٩.

مارقة من الدين"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: "أعظم الخلق كفرًا وضلالًا من زعم أن ربه نفس وجود هذه الموجودات، وأن عين وجوده فاض عليها فاكتسبت عين وجوده، فاتخذت حجابًا من أعيانها، واكتسبت جلبابًا من وجوده، ولبَّس عليهم ما لبَّسوه على ضعفاء العقول والبصائر من عدم التفرقة بين وجود الحق سبحانه وإيجاده، وأن إيجاده هو الذي فاض عليها، وهو الذي اكتسته، وأمَّا وجوده فمختصٌّ به لا يشاركه فيه غيره، كما هو مختصٌّ بماهيته وصفاته، فهو بائن عن خلقه، والخلق بائنون عنه، فوجود ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن، حاصل بإيجاده له، فهو الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلق، ووجوده المختص به، وبان بذاته وصفاته ووجوده عن خلقه"[2].



(١) تاريخ الإسلام ٢٨٧/٤٩.

(٢) مدارج السالكين ٤١٤/٣.

الفصل الرابع:
الأحــوال والمقامــات

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال.

المبحث الثاني: المقامات.

المبحث الثالث: الصلة بين الأحوال والمقامات.

المبحث الأول: الأحوال

أولًا: تعريف الحال في اللغة والاصطلاح

لغة: "حلَّ المكان، وبه يحل ... نزل به، كاحتلَّه، وبه فهو حالٌّ"[1]، والحال: "نهاية الماضي وبداية المستقبل"[2].

اصطلاحًا: "معنى يرد على القلب من غير تصنُّعٍ ولا اجتلابٍ ولا اكتساب"[3].

قال ابن عجيبة: "الحال: معنى يرد على القلب من غير تعمُّدٍ ولا اجتلاب، ولا تسبُّبٍ ولا اكتساب"[4].

ثم ذكر أنه قد يكون متسببًا في حصول الحال فقال: "وقد يكتسب الحال بنوع تعمُّل، كحضور حلق الذكر، واستعمال السَّماع، وقد يطلب اكتسابه بخرق عوائد النفس حين يعتريها برودة وفتور، وفرق وكسل"[5].

وهذه الأحوال لا بدَّ من عرضها على الشرع فإن كانت موافقة له أُخذت وإلا طرحت.

فالأحوال تنقسم إلى: حال رحماني، وحال شيطاني، وما يكون لهؤلاء من خرق عادة بمكاشفة وتصرُّف عجيب، فتارة يكون من جنس ما يكون للسَّحرة والكُهَّان، وتارة يكون من الرَّحمن من جنس ما يكون من أهل التقوى والإيمان من وجل القلب،

---

(١) القاموس المحيط، ص١٢٧٤.

(٢) التعريفات، ص١١٤.

(٣) التعريفات، ص١١٤.

(٤) معراج التشوف، ص٤٤.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٣.

ودمع العين، واقشعرار الجسوم فهذه أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسُّنَّة[1].

ومراد القوم من الواردات بيَّنه ابن عجيبة بقوله: "الوارد نور إلهي، يقذفه الله في قلب من أحبَّ من عباده، وهي على ثلاثة أقسام: على حسب البداية، والوسط، والنهاية، أو تقول على حسب الطالبين، والسائرين، والواصلين.

القسم الأول: وارد الانتباه، وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، وهو لأهل البداية من الطالبين، فإذا تيقَّظ من نومه وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالبًا لربِّه، فيقبل عليه بقلبه وبقالبه، وينجمع عليه بكليته.

والقسم الثاني: وارد الإقبال، وهو نور يقذفه الله في قلب عبده، فيحركه لذكر مولاه، ويغيبه عمَّا سواه، فلا يزال مشتغلًا بذكره، غائبًا عن غيره، حتى يمتلئ القلب بالنور ويغيب عمَّا سوى المذكور، فلا يرى إلا النور، فيخرج من سجن الأغيار، ويتحرَّر من رقِّ الآثار.

والقسم الثالث: وارد الوصال، وهو نورٌ يستولي على قلب العبد ثم يستولي على ظاهره وباطنه، فيخرجه من سجن نفسه، ويغيب عن شهود حسِّه"[2].

بعد ذلك شرح القسم الثالث فقال: "أي إنما أورد عليك وارد الوصال بعد أن أهب عليك نفحات الإقبال، ليخرجك من سجن رؤية وجودك إلى فضاء، أي اتساع شهودك لربك، فرؤيتك وجودك مانعة لك من شهود ربك، إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه، وجودك ذنب لا يقاس به"[3].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٢/٥٢١-٥٢٢.

(٢) إيقاظ الهمم، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٦.

وعند التأمُّل في هذه الواردات، نجد أنها بعينها درجات الفناء، فناء عن وجود السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن عبادة السوى[1].

"**فالأول**: هو فناء أهل الوحدة الملاحدة كما فسَّروا به كلام الحلاج، وهو أن يجعل الوجود وجودًا واحدًا.

وأما الثاني: -وهو الفناء عن شهود السوى-، فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين ... وهو مقام الاصطلام[2]، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ..."[3].

ولهذا صارت الأحوال تتصف بالتحول وعدم الثبات؛ يقول ابن عجيبة: "الفرق بين الحال والمقام: أن الحال يتحول فيذهب ويجيء، بخلاف المقام، فإنه رسوخ وتمكين"[4].

وبسبب الواردات التي ترد على السَّالك تجد القوم يكثر عندهم الشطح والمخالفات العقدية سواء بالجوارح أو اللسان.

كما قال ابن عجيبة عن الأحوال: "ويظهر آثاره على الجوارح قبل

---

(١) فهذا حال النبيين وأتباعهم وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبحبه عن حب ما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه؛ فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له وهو الحنيفية ملة إبراهيم، ويدخل في هذا: أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه. ينظر: مجموع الفتاوى ٣١٣/٢.

(٢) الاصطلام: نعتُ وَلَهٍ يرد على القلب تحت سلطان القهر. ينظر: القاموس الصوفي، للمناوي ص١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٣١٣/٢.

(٤) معراج التشوف، ص٤٤.

التمكين[1]، من شطح ورقص، وسير وهيام، وهو أثر المحبة؛ لأنها تحرك الساكن أوَّلًا ثم تسكن وتطمئن، ولذا قيل فيها: أولها جنون، ووسطها فنون، وآخرها سكون"[2].

وإضافة إلى غموض رموز ومصطلحات الأحوال والمقامات إلا أن ابن عجيبة يرى بسرية الواردات التي ترد على السالك ولا يرى الإفصاح عنها.

فيقول: "إن هذه الواردات الإلهية والمواهب الاختصاصية أسرار من الكريم الغفَّار، لا يمنحها إلا لأهل الصيانة والأمانة، لا لأهل الإفشاء والخيانة"[3].

ثم يقول أيضًا: "إن هذه الأمور أذواق باطنية، وأسرار ربَّانية، لا يفهمها إلا أربابها، فذكرها لمن لا يفهمها ولا يذوقها جهل بقدرها، وأيضًا هي أماناتٌ وسرٌّ من أسرار الملك، وسرُّ الملك لا يحلُّ إفشاؤه، فمن أفشاه كان خائنًا، واستحق الطرد والعقوبة، ولا يصلح أن يكون أمينًا بعد ذلك، فكتم الأسرار من شأن الأخيار، وهتك الأسرار من شأن الأشرار"[4].

وسبب هذه الرموز والمصطلحات التي يستخدمها الصوفية في تعبيرهم عن الأحوال والمقامات خوفهم من أن تنكشف لغيرهم، وهذا تأويل منهم لتمرير الباطل والتلبيس على الناس، ولذلك يقال عن التصوف "إنه علم الإشارة؛ لأن شاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن التعبير عنها على التحقيق، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحلَّ تلك المقامات"[5].

---

(١) التمكين: صفة أهل الحقائق فما دام السالك في الطريق فهو صاحب تلوين يترقى من حال إلى أخرى ومن وصف إلى آخر، حتى إذا وصل واتصل غدا صاحب تمكين ومن أهل الحقائق. ينظر: الرسالة القشيرية ٢٥٢/١.

(٢) معراج التشوف، ص٤٣.

(٣) إيقاظ الهمم، ص١٥٦.

(٤) المرجع نفسه، ١٥٦.

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١٠٦، وينظر: اليواقيت والجواهر ١٩/١.

ولذلك تجدهم أصحاب تصوف ظاهر، وتصوف باطن، وهذا قولهم بأنفسهم، فالبوزيدي عدَّ صفات ابن عجيبة أمام أصحابه فقال: "أحمد متصفٌ بالزُّهد والورع والتوكل والصبر والحلم والرضا والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم، حتى عد اثني عشر مقامًا، فقال ابن عجيبة: يا سيدي هذا التصوف؟، فقال: هذا تصوف الظاهر وبقي تصوف الباطن، ستعرفه إن شاء الله ... ثم جعلت[١] أزوره ببني زروال[٢] حتى فتح الله علينا بالفتح الكبير"[٣].

فهذه المقامات والأحوال ليست الهدف الأسمى الذي يسعى له الصوفية، بل هي وسيلة لمقصودهم للوصول إلى وحدة الوجود؛ لذلك اعتبروا الوقوف عند هذا الحد حجابًا وشغلًا عن الوصول إلى مقام الوحدة، ونصوص ابن عجيبة في هذا كثيرة، منها:

قوله: "شأن أهل الحجاب يُحبسون في المقامات والأحوال، تشغلهم حلاوة ذلك عن الله تعالى، فإذا فقدوا ذلك الحال أو المقام سلبوا وأفلسوا، وأهل الغنى بالله لا يقفون مع حال ولا مقام هم مع مولاهم"[٤]، ويقول أيضًا: "وبقي حجابان آخران، إذا خرقهما العبد أفضى إلى مشاهدة المتكلِّم دون واسطة، أولهما: حجاب حلاوة الطاعة والمعاملة الظاهرة، والوقوف مع المقامات أو الكرامات فإنها عند العارفين سموم قاتلة"[٥].

---

(١) المقصود زيارة ابن عجيبة لشيخه وتردده عليه.

(٢) بنو زروال: من القبائل الجبلية الشهيرة بشمال المغرب، بربرية الأصل ثم تعربت تمامًا ولم يبق منها إلا الاسم شأن قبائل كثيرة بالمغرب، كدكالة، وتنقسم قبيلة زروال إلى خمس فخذات: بني إبراهيم، وبني مكة، وبني ملول وبو معان، وأولاد قاسم، يحدها شرقًا قبيلة كتامة، وغربًا قبيلة بنو مستارة، وجنوبًا قبائل سلاس. ينظر: قبيلة بني زروال، ص٨-٩.

(٣) الفهرسة، ص٤٦.

(٤) البحر المديد ١/٥٧٠.

(٥) المرجع نفسه ٢/١٠٩.

وقال أيضًا: "فإن حلاوة الطاعة سموم قاتلة، يمنع الوقوف معها من الترقِّي إلى حلاوة الشُّهود ولذة المعرفة ..."[١].

فعندما يتكلمون بالتصوف الظاهر فهم يريدون التلبيس على الناس؛ لكي يُظن بهم أنهم على حقٍّ وأنهم موافقون لعموم المسلمين من تفسيرهم للأحوال التي تعرف عند المسلمين بأعمال القلوب، ومثال قول ابن عجيبة عن مفهوم الصبر، يتبين مراد القوم، فعندما عرفه قال بأنه: "حبس القلب على حكم الرب"[٢].

وهذا جيِّدٌ؛ إذ هو يوافق معنى الصبر المتعارف عليه بأنه حبس النفس عن الجزع[٣].

والصبر على المصائب واجب[٤].

وعند تقسيمه للصبر يظهر مدى تأثره بعقيدة وحدة الوجود.

فقال: "صبر العامة: حبس القلب على مشاق الطاعات ورفض المخالفات، وصبر الخاصة: حبس النفس على الرياضات، والمجاهدات، وارتكاب الأهوال في سلوك طريقة الأحوال، مع مراقبة القلب في دوام الحضور، وطلب رفع الستور، وصبر خاصة الخاصة: حبس الروح أو السر في المشاهدات والمعاينات، أو دوام النظر والعكوف في الحضرة"[٥].

أمَّا الصبر على طاعة الله، والصبر على امتحان الله، والصبر عن معصية الله فعند الصوفية تقسيم العوام.

---

(١) البحر المديد ٣١٢/٥.

(٢) معراج التشوف، ص٢٠.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٣٣/١٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١٩١/٨.

(٥) معراج التشوف، ص٢٠.

ثانيًا: أمثلة على الأحوال

أ- **القبض والبسط.**

قال ابن عجيبة: "البسط: فرحٌ يعتري القلوب أو الأرواح، إمَّا بسبب قرب شهود الحبيب، أو شهود جماله، أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله، وتجلِّي ذاته، أو بغير سبب"(١).

وقال عن القبض: "حزنٌ وضيقٌ يعتري القلب، إمَّا بسبب فوات مرغوب، أو عدم حصول مطلوب، أو بغير سبب"(٢).

ثم يذكر بعد ذلك من ثمرات القبض والبسط: "يفتح لك الباب ويرفع بينك وبينه الحجاب، فتتنزه في كمال الذات، وشهود الصفات، فتغيب عن أثر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال، فلا جلاله يحجبك عن جماله، ولا جماله يحجبك عن جلاله، ولا ذاته تحبسك عن صفاته، ولا صفاته تحبسك عن ذاته، تشهد جماله في جلاله، وجلاله في جماله، وتشهد ذاته في صفاته، وصفاته في ذاته"(٣).

لقد أدخل ابن عجيبة عبارات ومعانيَ محدثة لأعمال القلوب وسيلتها الوصول إلى المكاشفة، ومعرفة الغيب، ووحدة الوجود، والحلول والاتحاد، ثم يعتذر لأصحاب الشطحات بأنهم فنوا(٤) وغابوا في شهود الجلال والجمال، واعتبروا العوام دون الخاصة في الأعمال الباطنة، قال ابن تيمية رحمه الله: "وهذه الأعمال الباطنة كمحبة الله

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١٧٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١٧٢، وينظر: معراج التشوف، ص٤٥، ومعجم اصطلاحات الصوفية، ص١٠٦.

(٣) إيقاظ الهمم، ص١٧٣.

(٤) ينظر: ردود ابن تيمية بقولهم في الفناء ١٠/٢١٨، ٢٢٢، والذي سبق بيانه، ص٧٠٥-٧٠٧.

والإخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودًا في حال أحد وإن ارتقى مقامه ... وهي حسنة محبوبة في حق كل أحد من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، ومن قال إن هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك إن أراد خروج الخاصة عنها، فإن هذه لا يخرج عنها مؤمنٌ قط وإنما يخرج عنها كافر أو منافق"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: "إنَّ دعوى المدعى أَنَّها من منازل العوام ودعوى أنها معلولة غلط من وجهين:

أحدهما: أَنَّ أعلى المقامات مقرون بأدناها مصاحب له كما تقدَّم، متضمِّن له تضمن الكل لجزئه، أو مستلزم له استلزام الملزوم للازمه لا ينفك عنه أبدًا، ولكن لاندراجه فيه وانطواءِ حكمه تحته يصير المشهد والحكم للعالي.

الوجه الثاني: أن تلك المقامات والمنازل إنما تكون في منازل العوام وتعرض لها العلل بحسب متعلقاتها وغاياتها، فإن كان متعلقها وغاياتها بريئًا من شوائب العلل وهو أجلُّ متعلّق وأَعظمه، فلا علة فيها بحال، وهي من منازل الخواص من جهة تعلقها بحظه ..."[2].

وزعم هؤلاء القوم بإسقاط التدبير[3] عن الخواص الذين فنوا في أفعال الله، وغابوا عن كل شيء، واستوى عندهم كل شيء، "فلا تغيرهم واردات الأحوال؛ لأنهم بالله ولله لا لشيءٍ سواه"[4]، فلم يقفوا مع حال ولا مقام.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٦-١٧.

(٢) طريق الهجرتين، ص٢١٩.

(٣) وهذا أدى إلى ضلالهم في باب القدر بإسقاط التدبير والاختيار عن العبد.

(٤) إيقاظ الهمم، ص١٧٢-١٧٣.

وفنَّد ابن تيمية هذه الشبهة بقوله: "وبعض من تكلَّم في علل المقامات، جعل الحب، والرضا، والخوف، والرجاء من مقامات العامة، بناءً على مشاهدة القدر، وأنَّ من شهد القدر فشهد توحيد الأفعال حتى فني من لم يكن، وبقي من لم يزل، يخرج عن هذه الأمور وهذا كلام مستدرك حقيقة وشرعًا، أمَّا الحقيقة فإنَّ الحي لا يتصور أن لا يكون حساسًا محبًّا لما يلائمه مبغضًا لما ينافره، ومن قال إنَّ الحي يستوي عنده جميع المقدورات فهو أحد رجلين: إمَّا أنه لا يتصور ما يقول بل هو جاهل، وإمَّا أنه مكابر معاند، ولو قدر أنَّ الإنسان حصل له حال أزال عقله -سواء سمي اصطلامًا أو محوًا أو فناءً أو غشيًا أو ضعفًا- فهذا لم يسقط إحساس نفسه بالكلية بل له إحساس بما يلائمه وما ينافره وإن سقط إحساسه ببعض الأشياء فإنه لم يسقط بجميعها، فمن زعم أنَّ المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل إلى مقام الجمع والفناء فلا يشهد فرقًا فإنه غالط بل لا بدَّ من الفرق فإنه أمر ضروري لكن إذا خرج عن الفرق الشرعي بقي في الفرق الطبعي فيبقى متبعًا لهواه لا مطيعًا لمولاه"(١).

فليس لهم عذر في أحوالهم التي غلبت عليهم فظهرت منهم شطحات وأقوال، وأفعال منكرات، فظنَّ المخدوعون بهم أنهم أولياء.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وليس لله وليٌّ إلا من اتبعه باطنًا وظاهرًا فصدَّقه فيما أخبر به من الغيوب والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات، فمن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر ملتزمًا طاعته فيما أوجب وأمر به في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمنًا فضلًا عن أن يكون وليًّا لله، ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٤٢.

يحصل ... لكن من ليس بمكلَّف من الأطفال والمجانين قد رفع القلم عنهم فلا يعاقبون وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه باطنًا وظاهرًا ما يكونون به من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين"(١).

وبهذا خالفوا أهل السُّنَّة والجماعة وما عليه سلف الأُمَّة "فكلٌّ هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السَّلف، وعن عمق علومهم، وقلِّة تكلُّفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلُّف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمِّرة إلى المطالب العالية في كلِّ شيء، فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن"(٢).

ب- حال الوقت:

قال ابن عجيبة: "الوقت قد يطلقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبضٍ وبسطٍ أو حزنٍ أو سرور"(٣).

ثم شرحه بقوله: "وهو إقامته حيث أقامه الله عَزَّوَجَلَّ ... فإذا أقامه الله عَزَّوَجَلَّ في حالة من الأحوال فلا يستحقرها، ويطلب الخروج منها إلى حالة أخرى، فلو أراد الحق أن يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لاستعمله من غير أن يطلب منه أن يخرجه، بل يمكث على ما أقامه فيه الحق تعالى، حتى يكون هو الذي يتولى إخراجه، كما تولى إدخاله"(٤).

وضرب أمثِّله على ذلك فقال: "إذا كان أعزب لا يتمنَّى التزويج، وإذا كان

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٤٣١، ٣٨٣.

(٢) مدارج السالكين ١/١٥٦.

(٣) معراج التشوف، ص٤٣.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٨١.

ذليلًا لا يتمنَّى العز، وإذا كان فقيرًا لا يتمنَّى الغنى،... وإذا كان قويًّا لا يتمنَّى الضعف، وهكذا باقي الأحوال ينظر الله ما يفعل الله به، ولا ينظر ما يفعل بنفسه لتحقق زواله، بل يكون كالميت بين يدي الغاسل، أو كالقلم بين الأصابع"(١).

وهذا كله باطل، فنحن مأمورون بالتحاكم لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، لا إلى الوقت، ومراد القوم من هذا ألا يكون للعبد إرادة أبدًا، بل هو خاضعٌ لحكم الوقت، وترتب عليه لو عمل أحدهم طاعة سواء واجبة أو مندوبة لا يقتضيها حكم الوقت الذي هو فيه فقد خرج عن دائرة العبادة وفعل فعلًا اتباعًا لما أملت عليه نفسه.

ولذلك نبذوا اتخاذ الأسباب وراء ظهورهم، وظنُّوا أنهم مؤمنون بالقدر على الوجه المقصود.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "آمنوا بالقدر، وظنُّوا أن ذلك كافٍ في حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية، والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه"(٢).

ولهذا لا بدَّ من معرفة الموقف الشرعي للتعامل مع الأسباب، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فمن أعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد ناظرًا إلى القدر فقد ضلَّ، ومن طلب القيام بالأمر والنهي معرضًا عن القدر فقد ضل، بل المؤمن كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٣) فنعبده اتباعًا للأمر ونستعينه إيمانًا بالقدر، وفي الحديث الصحيح عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من

(١) إيقاظ الهمم، ص٨١.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٧١.

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[1]، فأمره النَّبيُّ ﷺ بشيئين: أن يحرص على ما ينفعه وهو امتثال الأمر وهو العبادة وهو طاعة الله ورسوله وأن يستعين بالله وهو يتضمَّن الإيمان بالقدر، أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[2].

ومن زعم أن ليس له إرادة بل هو في حكم الوقت فهو كاذبٌ ومخالفٌ لشرع الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن تيمية رحمه الله: "أما خلو الإنسان عن الإرادة مطلقًا فممتنع؛ فإنه مفطورٌ على إرادة ما لا بدَّ له منه وعلى كراهة ما يضره ويؤذيه، والزاهد الناسك إذا كان مسلمًا فلا بدَّ أن يريد أشياء يحبها الله، مثل أداء الفرائض، وترك المحارم، بل وكذلك عموم المؤمنين لا بدَّ أن يريد أحدهم أشياء يحبها الله، وإلا فمن لم يحب الله ولا أحب شيئًا لله فلم يحب شيئًا من الطاعات لا الشهادتين ولا غيرهما، ولا يريد ذلك فإنه لا يكون مؤمنًا فلا بدَّ لكلِّ مؤمن من أن تكون له إرادة لبعض ما يحبه الله ...

وأما الخلو عن الإرادتين المحمودة والمذمومة فيقع على **وجهين**:

الوجه الأول: مع إعراض العبد عن عبادة الله تعالى وطاعته وإن علم بها فإنه قد يعلم كثيرًا من الأمور أنه مأمور بها وهو لا يريدها ولا يكره من غيره فعلها، وإذا

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٤/٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٣٧.

اقتتل المسلمون والكفَّار لم يكن مريدًا لانتصار هؤلاء الذي يحبه الله ولا لانتصار هؤلاء الذي يبغضه الله.

والوجه الثاني: يقع من كثير من الزُّهَّاد العُبَّاد المتثلين لما يعلمون أن الله أمر به، المجتنبين لما يعلمون أنَّ الله نهى عنه، وأمور أخرى لا يعلمون أنها مأمور بها، ولا منهي عنها، فلا يريدونها ولا يكرهونها؛ لعدم العلم، وقد يرضونها من جهة كونها مخلوقة مقدَّرة، وقد يعاونون عليها ويرون هذا موافقة لله وأنهم لما خلوا عن هوى النفس كانوا مأمورين بالرضا بكلِّ حادث، بل والمعاونة عليه، وهذا موضعٌ يقع فيه الغلط، فإنَّ ما أحبَّه الله ورسوله علينا أن نحبَّ ما أحبه الله ورسوله، وما أبغضه الله ورسوله فعلينا أن نبغض ما أبغضه الله ورسوله، وأمَّا ما لا يحبه الله ورسوله ولا يبغضه الله ورسوله كالأفعال التي لا تكليف فيها، مثل أفعال النائم والمجنون فهذا إذا كان الله لا يحبها ويرضاها ولا يكرهها ويذمها فالمؤمن أيضًا لا ينبغي أن يحبها ويرضاها ولا يكرهها.

وأمَّا كونها مقدورة ومخلوقة لله فذاك لا يختصُّ بها بل هو شاملٌ لجميع المخلوقات، والله تعالى خلق ما خلقه لما شاء من حكمته، وقد أحسن كل شيءٍ خلقه ... وقول من قال: (إنَّ العبد يكون مع الله كالميت مع الغاسل) لا يصح ولا يسوغ على الإطلاق عن أحد من المسلمين وإنما يقال ذلك في بعض المواضع، ومع هذا فإنما ذلك لخفاء أمر الله عليه وإلا فإذا علم ما أمر الله به وأحبه فلا بدَّ أن يحب ما أحبَّه الله ويبغض ما أبغضه"[1].

وكل من نظر بعين الإنصاف في تلك الأمثلة التي ضربها ابن عجيبة تعجَّب من تركهم لسنن المرسلين بحجة حكم الوقت الذي فيه المريد.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٤٨١، ٤٨٥.

قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾[1].

وقال ﷺ: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي»[2].

ولقد أوضح الفقهاء حكم النكاح، قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: "والناس في النكاح على **ثلاثة أضرب**: منهم من يخاف على نفسه الوقوع في محظور إن ترك النكاح، فهذا يجب عليه النكاح في قول عامَّة الفقهاء؛ لأنه يلزمه إعفاف نفسه، وصونها عن الحرام، وطريقه النكاح.

الثاني: من يستحب له، وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور، فهذا الاشتغال له به أولى من التخلِّي لنوافل العبادة، وهو قول أصحاب الرأي، وهو ظاهر قول الصحابة رضي الله عنهم وفعلهم، قال ابن مسعود: لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، وأعلم أنِّي أموت في آخرها يومًا، ولي طول النكاح فيهن، لتزوجت مخافة الفتنة.

والثالث: من لا شهوة له، إمَّا لأنه لم يخلق له شهوة كالعنِّين، أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه، ففيه وجهان، أحدهما: يستحب له النكاح؛ لعموم ما ذكرنا، والثاني: التخلِّي له أفضل؛ لأنه لا يحصل مصالح النكاح، ويمنع زوجته من التحصين بغيره، ويضرُّ بها، ويحبسها على نفسه، ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها، ويشتغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه، والأخبار تحمل على من له شهوة؛ لما فيها من القرائن الدالة عليها"[3].

(١) سورة النساء: ٣.

(٢) أخرج البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٣/٣٥٤، رقم ٥٠٣٦.

(٣) المغني ٦/٤٤٦-٤٤٨.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "وهذا هو الذي أدخل كثيرًا منهم في الرهبانية والخروج عن الشريعة حتى تركوا من الأكل والشرب واللباس والنكاح ما يحتاجون إليه وما لا تتم مصلحة دينهم إلا به ... فلازموا من الجوع والسَّهر والخلوة والصمت وغير ذلك مما فيه ترك الحظوظ واحتمال المشاق ما أوقعهم في ترك واجبات ومستحبات وفعل مكروهات ومحرَّمات"[١].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧١٥/١٠.

المبحث الثاني: المقامات

أولًا: تعريف المقام

لغة: "الإقامة والمقام بالفتح: مصدر قام يقوم مقامًا، والمقام أيضًا موضع القيام"(١)، "وأقام الشيء: أي أدامه، من قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٢)، والمُقامة بالضم: الإقامة، والمَقامة بالفتح: المجلس، والجماعة من النَّاس، وأمَّا المَقام والمُقام فقد يكون كلٌّ واحدٍ منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام"(٣).

اصطلاحًا: "عبارة عمَّا يُتوصَّل إليه بنوع تصرُّف، ويتحقق به بضرب تطلُّب، ومقاساة تكلُّف، فمقام كلِّ واحدٍ موضع إقامته عند ذلك"(٤).

وعرَّفه ابن عجيبة بقوله: "وأمَّا المقام، فهو ما يتحقق العبد بمنازلته واجتهاد من الأدب، وما يتمكَّن فيه من مقامات اليقين بتكسُّبٍ وتطلُّب، فمقام كلِّ أحدٍ موضعُ إقامته"(٥).

ووضع ابن عجيبة فروقًا للمقامات والأحوال، فقال: "الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب"(٦)، ويقول أيضًا: "الفرق بين الحال والمقام أنَّ الحال يتحوَّل فيذهب ويجيء، بخلاف المقام فإنَّه رسوخٌ وتمكين"(٧).

---

(١) الفروق اللغوية، ص٣٠٧.

(٢) سورة البقرة: ٣.

(٣) الصحاح في اللغة ٥/٢٠١٧.

(٤) التعريفات، ص٢٨٢.

(٥) معراج التشوف، ص٤٤.

(٦) إيقاظ الهمم، ص١١٦.

(٧) الفتوحات الإلهية، ص١٦٥.

ومقصود الصوفية من المقامات هي المراحل التي يسلكها السالك في العبادات.

قال ابن عجيبة: "فمقامات اليقين ينزل فيها الفقير أوَّلًا بالحال، ثم تصير مقامًا ... فلا بدَّ أن يكون سلك مقام الزهد حالًا، ثم مقامًا، وكذلك الورع والرضا، والتسليم، والمراقبة والمشاهدة"(١).

"فإن قيل ما معنى المقامات؟ يقال: معناه مقام العبد بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عَزَّوَجَلَّ"(٢).

ثانيًا: تعيين المقامات والأحوال

رغم شهرة الأحوال والمقامات عند القوم إلا أنهم لم يتفقوا على تعيينها، فظهر الاختلاف في تعيين المقامات والأحوال، قال ابن عجيبة: "وقد يطلق الحال على المقام، فيقال فلان صار عند الشهود مثلًا حالًا"(٣).

وعدَّ ابن عجيبة خمسة عشر مقامًا منها: "التوبة، والتقوى، والاستقامة، والزهد، والورع، والخوف، والرجاء، ..."(٤).

وقيل هي تسعة: "التوبة، والزهد، والصبر، والشكر، والخوف، والرضا، والرجاء، والتوكل، والمحبة"(٥).

وقد بيَّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختلاف القوم في تعيين المقامات فقال: "ولأرباب

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٥٥-٣٥٦.

(٢) اللمع، ص٦٥.

(٣) معراج التشوف، ص٤٤.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٣١٩، معراج التشوف، ص١٧-٢٥.

(٥) ينظر: التنوير في إسقاط التدبير، لابن عطاء، ص٥٢-٥٣.

السلوك اختلاف كثير في عدد المقامات وترتيبها، كلٌّ يصف منازل سيره، وحال سلوكه، ولهم اختلاف في بعض منازل السير هل هي من قسم الأحوال؟ والفرق بينهما: أنَّ المقامات كسبية، والأحوال وهبية، ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات، والمقامات نتائج الأعمال، فكلُّ من كان أصلح عملًا كان أعلى مقاما، وكلُّ من كان أعلى مقامًا كان أعظم حالًا ... والصحيح في هذا أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها، فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند أول ظهورها وبدوها، كما يلمع البارق ويلوح عن بعد، فإذا نازلته وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكَّنت منه وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات، وهي لوامع ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهاياتها، فالذي كان بارقًا هو بعينه الحال، والذي كان حالًا هو بعينه المقام، وهذه الأسماء له باعتبار تعلقه بالقلب، وظهوره له، وثباته فيه، وقد ينسلخ السَّالك من مقامه كما ينسلخ من الثوب، وينزل إلى ما دونه، ثم قد يعود إليه، وقد لا يعود"(١).

وكذلك ردَّ عليهم ابن القيم في دعوى وجوب ترتيب المقامات فقال: "على أنَّ الترتيب الذي يشير إليه كلٌّ مرتب للمنازل لا يخلو عن تحكُّم، ودعوى من غير مطابقة، فإنَّ العبد إذا التزم عقد الإسلام، ودخل فيه كله، فقد التزم لوازمه الظاهرة والباطنة، ومقاماته وأحواله، وله في كل عقد من عقوده وواجب من واجباته أحوال ومقامات، لا يكون موفيًا لذلك العقد والواجب إلا بها، وكُلَّما وفى واجبًا أشرف على واجب آخر بعده، وكلما قطع منزلة استقبل أخرى، وقد يعرض له أعلى المقامات والأحوال في أول بداية سيره، فينفتح عليه من حال المحبة والرضا والأنس

(١) مدارج السالكين ١/١٥١-١٥٢.

والطمأنينة ما لم يحصل بعد لسالك في نهايته، ويحتاج هذا السالك في نهايته إلى أمور من البصيرة، والتوبة، والمحاسبة أعظم من حاجة صاحب البداية إليها، فليس في ذلك ترتيب كُليٌّ لازم للسلوك"(١).

وأوضح رحمه الله أنَّ المتأخرين من المتصوفة خالفوا المتقدمين في الطريقة يقول: "فالأولى الكلام في هذه المقامات على طريق المتقدمين من أئمة القوم كلامًا مطلقًا في كلِّ مقام مقام، ببيان حقيقته وموجبه، وآفته المانعة من حصوله، والقاطع عنه، وذكر عامه وخاصه، فكلام أئمة الطريق هو على هذا المنهاج ... فإنهم تكلموا على أعمال القلوب، وعلى الأحوال كلامًا مفصلًا جامعًا مبيّنًا مطلقًا من غير ترتيب، ولا حصر للمقامات بعدد معلوم، فإنهم كانوا أجلَّ من هذا، وهمهم أعلى وأشرف، إنما هم حائمون على اقتباس الحكمة والمعرفة، وطهارة القلوب، وزكاة النفوس، وتصحيح المعاملة، ولهذا كلامهم قليل، فيه البركة، وكلام المتأخرين كثير طويل قليل البركة"(٢).

أما عقيدة أهل السُّنَّة فتوجب الجمع بين المقامات، ليس كما قال ابن عجيبة: "ألا يترقى مقامًا حتى يستوفي أحكامه"(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: "كلُّ مقام مع الذى فوقه، كالتوكل مع الرضا، وكالخوف والرجاء مع الحب، فإنَّ المقام لا ينعدم بالترقي إلى الآخر ولو عدم لخلفه ضده؛ وذلك رجوع إلى نقص الطبيعة وصفات النفس المذمومة، وإنما يندرج حكمه في المقام الذى أعلى منه، فيصير الحكم له كما يندرج مقام المتوكل في مقام المحبة والرضا، وليس هذا كمنازل سير الأبدان الذى إذا قطع منها منزلًا خلَّفه وراءَ ظهره واستقبل المنزل الآخر معرضًا عن الأَول بارتحاله"(٤).

---

(١) مدارج السالكين ١/١٥٨.

(٢) المرجع نفسه ١/١٥٨.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٩٥.

(٤) طريق الهجرتين، ص٢١٩.

ثالثًا: أمثلة على المقامات

أ- الشُّكر:

قسَّمه ابن عجيبة إلى ثلاثة أقسام فيقول: "واعلم أنَّ الناس في الشُّكر على ثلاث درجات: عوام، وخواص، وخواص الخواص، فشكر العوام على النعم فقط، وشكر الخواص على النعم والنقم، وشكر خواص الخواص: الغيبة[(١)] في المنعم عن شهود النعم والنقم"[(٢)].

وهذا انحراف عن المفهوم الصحيح للشكر والذي بيَّنه العلماء المحققون.

قال ابن القيم رحمه الله: "منزلة الشكر وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة الرضا وزيادة، فالرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان ... والإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر، وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته"[(٣)].

وابن عجيبة يعتبره من مقام العوام، بل جعل مقام الفناء فوقه، فيا عجبًا! "أي مقام أرفع من الشكر، الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان، حتى المحبة والرضا والتوكل وغيرها، فإنَّ الشكر لا يصح إلا بعد حصولها، وتالله ليس لخواص أولياء الله وأهل القرب منه سبيل أرفع من الشكر، ولا أعلى"[(٤)].

---

(١) الغيبة: من الأحوال المرادفة للفناء والبقاء، وهي: "غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق بما يرد عليه من الحق، ثم قد يغيب عن غيره فقط، وقد يغيب عن غيره وعن نفسه أيضًا إذا عظم الوارد". حدائق الحقائق، ص٣٠٧.

(٢) إيقاظ الهمم، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) مدارج السالكين ٢/٢٥٢.

(٤) المرجع نفسه ٢/٢٥٩.

"ولكن أصحاب الفناء كلهم يرون أن فوق هذا مقامًا أجل منه وأعلى؛ لأنَّ الشكر عندهم يتضمَّن نوع دعوى، وأنه شكر الحق على إنعامه، ففي الشاكر بقية من بقايا رسمه لم يتخلص عنها ويفرغ منها، فلو فني عنها بتحقيقه أن الحق سبحانه هو الذي شكر نفسه بنفسه، وأن من لم يكن كيف يشكر من لم يزل، علم أن الشكر من منازل العامة"[1].

وردَّ عليهم ابن القيم بقوله: "فأمَّا تضمن الشكر لنوع دعوى فإن أريد بهذه الدعوى إضافة العبد الفعل إلى نفسه، وأنه كان به وغاب بذلك عن كونه بحول الله وقوته، ومنَّته على عبده فلعمر الله هذه علة مؤثِّرة ودعوى باطلة كاذبة.

وإن أريد: أن شهوده لشكره شهوده لنعمة الله عليه به وتوفيقه له فيه وإذنه له به ومشيئته عليه ومنَّته، فشهد عبوديته وقيامه بها، وكونها بالله، فأي دعوى في هذا؟ وأي علة؟ نعم غايته أنه لا يجامع الفناء، ولا يخوض تياره فكان ماذا؟ فأنتم جعلتم الفناء غاية، فأوجب لكم ما أوجب، وقدمتموه على ما قدمه الله ورسوله، فتضمَّن ذلك تقديم ما أخّر، وتأخير ما قدّم، وإلغاء ما اعتبر، واعتبار ما ألغى"[2].

ب- الزهد.

قال ابن عجيبة: "الزهد في الشَّيء هو خروج محبته من القلب، وبرودته منه، وعند القوم بغض كل ما يشغل عن الله، ويحبس عن حضرة الله"[3].

ثم ذكر تقسيمًا صوفيًّا للزهد فقال: "**أولًا**: الزهد في المال، وعلامته أن يستوي

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٥٩-٢٦٠.

(٢) المرجع نفسه ٢/٢٥٠.

(٣) إيقاظ الهمم، ص١١٤.

الذهب والتراب، والفضَّة والحجر، والغنى والفقر، والمنع والعطاء، **وثانيًا:** الزهد في الجاه والمراتب، وعلامته أن يستوي عنده العز والذل، والظهور والخمول، والمدح والذم، والرفعة والسقوط، **وثالثًا:** ويكون ثالثًا في المقامات، والكرامات، والخصوصيات، وعلامته أن يستوي عنده الخوف والرجاء، والقوة والضعف، والبسط والقبض، يسير بهذا كما يسير بهذا، أو يعرف في هذا كما يعرف في هذا، ثم يكون الزهد في الكون بأسره بشهود المكون وأمره، فإذا تحقق المريد بهذا المقامات في الزهد أو جلها كان عمله كله عظيمًا كبيرًا في المعنى عند الله، وإن كان قليلًا في الحس عند الناس"(١).

ولا ريب أنَّ الزهد مقام شريف يحرص عليه المؤمن، لكن وفق الكتاب والسُّنَّة وما عليه سلف الأُمَّة، فمن رغب عن شيءٍ نافع مشروع لا يُسمَّى زاهدًا، بل هو جهلٌ وضلال.

وكُلَّما ابتعد الزاهد عن المفهوم الشرعي للزهد ظهرت البدع والخرافات.

قال ابن الجوزي ﵀: "دخل المتزهدون في طرق لم يسلكها الرسول ﷺ، ولا أصحابه ﵃ من إظهار التخشُّع الزائد في الحد والتنوق(٢) في تخشين الملبس ..."(٣).

وقال أيضًا: "قد يسمع العامي ذم الدنيا في القرآن المجيد والأحاديث فيرى أنَّ النَّجاة تركها ولا يدري ما الدنيا المذمومة فيلبِّس عليه إبليس بأنك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا، فيخرج على وجهه إلى الجبال، فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش، ويُخَيَّل إليه أنَّ هذا هو الزهد الحقيقي"(٤).

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١١٤.

(٢) التنوق: المبالغة في التجويد، يقال: تنوق في منطقه، وتنوق في ملبسه. ينظر: العين ٥/٢٢٠، المحكم والمحيط الأعظم ٦/٥١١.

(٣) صيد الخاطر، ص١١٢.

(٤) تلبيس إبليس، ص١٨٥.

ودیننا أمرنا بالاعتدال في كلِّ شؤوننا، فلا يكلف الإنسان نفسه بما لا يستطيع، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال: من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها قال: «مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه»(٣).

ولا شكَّ أنَّ ابن عجيبة جانب الصواب بمحاربة النفس وقهرها، وترك الدنيا بالكُليَّة والتجرُّد من المال.

يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله: "والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشَّيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبًا فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيءٍ ليس مرغوبًا فيه ولا مطلوبًا في نفسه لم يُسمَّ زاهدًا، كمن ترك التراب لا يُسمى زاهدًا.

وقد جرت العادة بتخصيص اسم الزاهد بمن ترك الدنيا، ومن زهد في كلِّ شيءٍ سوى الله تعالى، فهو الزاهد الكامل، ومن زهد في الدنيا مع رغبته في الجنَّة ونعيمها فهو أيضًا زاهد، ولكنه دون الأول، واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال،

---

(١) سورة التغابن: ١٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ٣٦١/٤، رقم ٧٢٨٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، ٣٠/١، رقم ٤٣.

وبذله على سبيل السَّخاء والقوَّة، واستمالة القلوب، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة"[1].

ويبيِّن ابن القيم المعنى الحقيقي للزهد فيقول: "وليس المراد تخليها من اليد ولا إخراجها وقعوده صفرًا منها، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكُليَّة، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه، وإن كانت في يده، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهى في يدك، وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذى يضرب بزهده المثل مع أنَّ خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيِّد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زُهدًا فيها"[2].

ج- الرجاء:

قال ابن عجيبة: "الرجاءُ: تمنِّي الشَّيء مع السَّعي في أسبابه، وإلا فهو أمنية"[3].

ويرى أنَّ عدم الخوف من الذنب من مظاهر الاعتدال في باب المقامات، والطاعة والمعصية سواء.

وهذا؛ لأنه متأثِّرٌ ببدعة وحدة الوجود، فهو يصفهم بأهل الخصوص الواصلين؛ لأنه يرى أنَّ أفعال العباد ليست فعلًا لهم، وإنما هي لله تعالى، وهذه المسألة مرتبطة بعقيدته في الجبر كما مر معنا.

فقال: "وأمَّا الواصلون فلا يرون لأنفسهم فعلًا ولا تركًا، فهم ينظرون إلى

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص٣٥٥.

(٢) طريق الهجرتين ١/٢٥٢.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٦٦.

تصريف الحق، وما يجري به سابق القدر، فيتلقونه بالقبول والرضا، فإن كان طاعة شكروا وشهدوا منَّة الله، وإن كان معصية اعتذروا وتأدَّبوا، ولم يقفوا مع أنفسهم، إذ لاوجود لها عندهم، وإنما ينظرون إلى ما يبرز من عنصر القدرة"(١).

ويقول أيضًا: "ومن جملة ذلك الخوف والرجاء بحيث إذا صدرت منهم طاعة لا يزيد رجاؤهم، وإذا وقعت منهم زلَّة لا يعظم خوفهم، ولا تنقص استقامتهم"(٢).

وهذا مصادمٌ للنصوص الشرعية التي أمرت بعبادة الله خوفًا، وطمعًا، ورجاءً.

والتوحيد والإيمان لا يتم إلا بالمحبة، والخوف، والرجاء؛ لذلك أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على عباده؛ لأنهم يعبدونه بالخوف والرجاء، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾(٤) والطمع هو الرجاء، ولما ذكر الله تعالى الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل واليسع وهود، قال بعد ذلك: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٥) الرَّغبُ: الرجاء، والرَّهبُ: الخوف، فإذا فُقد الخوف والرجاء والمحبَّة لم يكن هناك إيمانٌ ولا توحيد(٦).

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١٢١-١٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٧٩.

(٣) سورة الإسراء: ٥٧.

(٤) سورة السجدة: ١٦.

(٥) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٦) شريط كاسيت مفرغ في المكتبة الشاملة لشرح الطحاوية للشيخ عبد العزيز الراجحي. http://shamela.ws/index.php/page/download-shamela.

ويقول ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

وعبـــادةُ الـــرحمنِ غايـــةُ حُبِّـــهِ ... مـــع ذُلِّ عابـــدِهِ همـــا قطبـــانِ
وعليهمـــا فَلَـــكُ العبـــادةِ دائـــرٌ ... مـــا دار حـــتى قامـــت القطبـــانِ
ومـــدارُهُ بـــالأمرِ أمـــر رســـولِهِ ... لا بـــالهوى والـــنَّفس والشـــيطانِ
فقيـــامُ ديـــنِ اللهِ بـــالإخلاص والإ ... حســـان إنهمـــا لـــه أصـــلانِ[1]

وبهذا يتضح مخالفة ابن عجيبة لأهل السُّنَّة والجماعة وموافقته للمرجئة بتغليبه جانب الرجاء، فمن فعل طاعة لا يَعْظُم رجاؤه، ومن فعل معصية لا يَعْظُم خوفه ولا تنقص استقامته.

والواصلون -حسب ما وصفهم- يسقط عنهم التدبير والاختيار، وأمَّا العوام فهم يبقون في هذه المقامات.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وبعض من تكلَّم في علل المقامات، جعل الخوف والرجاء والحبَّ والرضا من مقامات العامة، بناءً على مشاهدة القدر، وأنَّ من شهد القدر فشهد توحيد الأفعال حتى فني من لم يكن، وبقي من لم يزل، يخرج عن هذه الأمور، وهذا كلام مستدرك حقيقةً وشرعًا، أمَّا الحقيقة فإنَّ الحيَّ لا يتصور أن لا يكون حساسًا محبًا لما يلائمه مبغضًا لما ينافره، ومن قال إنَّ الحيَّ يستوي عنده جميع المقدورات فهو أحد رجلين إمَّا أنه لا يتصور ما يقول بل هو جاهل، وإمَّا أنه مكابر معاند ولو قدر أنَّ الإنسان حصل له حال أزال عقله -سواء سمي اصطلامًا أو محوًا أو فناءً أو غشيًا أو ضعفًا- فهذا لم يسقط إحساس نفسه بالكلية بل له إحساس بما يلائمه وما ينافره وإن سقط إحساسه ببعض الأشياء فإنه لم يسقط بجميعها،

---

(١) النونية، ص٣٥.

فمن زعم أنَّ المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل إلى مقام الجمع والفناء فلا يشهد فرقًا فإنه غالط بل لا بدَّ من الفرق فإنه أمر ضروري، لكن إذا خرج عن الفرق الشرعي بقي في الفرق الطبعي فيبقى متبعًا لهواه لا مطيعًا لمولاه"(١).

د- المحبة:

قال ابن عجيبة: "المحبة لها بداية، ووسط، ونهاية، فأول المحبة وبدايتها: ملازمة امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ، واجتناب النهي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، ووسطها: لهج اللسان بالذكر، وتعلُّق القلب بشهود المحبوب، ونهايتها: لا تُدرك بالعبارة، ولا تلحقها الإشارة، وفي هذا المعنى قيل:

فلم يبق إلا الله لا رب غيره ... حبيبٌ لقلبٍ غاب عن كلِّ مقصدِ

فهذه المعاني لا تدركها العامة ولا الخاصة، وإنما يذوقها خاصة الخاصة"(٣).

وقال أيضًا: "المحبة الحقيقية والمعرفة الكامنة لا تكون على أيدي الوسائط، والأولياء وسائطهم خلفاء الأنبياء، وهم أهل العلم بالله الذوقي العياني ... وتوسيط الأنبياء للعموم في مطلق المحبة، وتعليم ما يقرب إليها، وأمَّا المحبة الحقيقية فهي خاصة بالأولياء للأولياء"(٤).

وقول ابن عجيبة في المحبة امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ واجتناب ما نهى عنه، هذا ما يعبر عنه الصوفية بالحب العام، "الحبُّ حبان: حبٌّ عام، وحبٌّ خاص، فالحبُّ

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٢/١٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣١.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٣٥٩.

(٤) البحر المديد ٥٥٦/٣.

العام يفسر بامتثال الأمر، ومن شرط المحب أن يكون مطيعًا، وهذا الذي عناه بعض شيوخ الطريق حين وضع الحب في المقامات لا في الأحوال، فيكون الحبُّ هنا منظورًا إليه بعين الكسب بالأعمال، وهو أيضًا صحيح، ولكنه حبٌّ عامٌّ يدخل فيه كل أهل طاعة الله كسبًا بطاعتهم، والحب الخاص الذي هو من أعلى وأرقى المقامات الموهوبة -عند الصوفية- هو حب الذات للذات هبة من الله وفضلًا، وينشأ عن مطالعة الروح، وهو من نور الله إلى تجلي نور الله على الكائنات والعوالم، وهو من اصطفاء الله ومنَّته على عبده كما قلنا، وهذا الحبُّ ليس للكسب فيه دخل، ولذلك كان من أشرف الأحوال وأجلِّ المذاهب الإلهية"[١].

بل يزعمون أنَّ المحبة الخاصة محبة وهبية، واصطفاء من الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الكلاباذي[٢] في وصف هذه المحبة: "المحبة على وجهين: محبة الإقرار، وهي للخاص والعام، ومحبة الوجد من طريق الإصابة فلا يكون فيه رؤية النفس والخلق، ولا رؤية الأسباب والأحوال بل يكون مستغرقًا في رؤية ما لله وما منه"[٣].

وهذا القول خطير؛ فالصوفي ليس بحاجة -كما يزعمون- إلى صلاة ولا صيام ولا طاعة، بل ينتظر اصطفاء الله عَزَّوَجَلَّ له، عند ما تتجلَّى الأنوار إلى قلبه.

وإن تعجب فعجبٌ قولهم، فالله عَزَّوَجَلَّ ذكر في كتابه الاصطفاء، أي اصطفاء الملائكة، والرسل ومع ذلك أمرهم بطاعته.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ

---

(١) جمهرة الأولياء ١/٢٤١.

(٢) أبو بكر، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، من أهل بخارى، ومن أهل الحديث والفقه والأصول، توفي سنة ٣٨٠هـ. ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص٢٠٩.

(٣) التعرف لمذهب التصوف، ص١١٠.

بَصِيرٌ ﴾[1]، ومع ذلك طالبهم بطاعته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[2].

وقول الصوفية بأن المحبة تنال هبة بدون عمل وطاعة، مصادمٌ لنصوص الشرع التي جعلت الطاعات سببًا لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد.

قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث القدسي: «وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه»[3].

والغاية التي يسعى لها ابن عجيبة من لهج اللسان بالذكر هي الوصول إلى وحدة الوجود، ويتضح ذلك من قوله في دوام ذكر الاسم المفرد: "فكُلَّما فني فيه ذابت بشريته، وقويت روحانيته، حتى تستولي على بشريته فحينئذ يكون الحكم لها"[4]، وهذا هو الذي صرَّح به بقوله: "شراب المحبة هو خمرة الفناء، والغيبة في الله"[5].

وأما التقسيمات التي ذكرها في المحبة، فباطلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذه الأعمال الباطنة كمحبة الله والإخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودًا في حال أحد وإن ارتقى مقامه ... وهي حسنة محبوبة في حق كل أحد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن قال إنَّ هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك إن أراد خروج الخاصة عنها فإنَّ هذه لا يخرج عنها مؤمن قط وإنما

---

(١) سورة الحج: ٧٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٥١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ٤/١٩٢، رقم ٦٥٠٢.

(٤) إيقاظ الهمم، ص ٢٥١.

(٥) البحر المديد ٤/١٤٢.

يخرج عنها كافر أو منافق"[1].

وقال أيضًا: "وكثيرٌ من السَّالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعًا من أمور الجهل بالدين، إمَّا من تعدي حدود الله عَزَّوَجَلَّ، وإمَّا من تضييع حقوق الله، وإمَّا من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها"[2].

وقد بيَّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسألة عظيمة لمدعي المحبة فقال:

"ههنا مسألة يغلط فيها كثيرٌ من المدِّعين للمحبة، وهي أنَّ موافقة المحبوب في مراده ليس المعنى بها مراده الخلقي الكوني، فإنَّ كل الكون مراده، وكل ما يفعله الخلائق فهو موجب مشيئته وإرادته الكونية، فلو كانت موافقته في هذا المراد هي محبته لم يكن له عدوًّا أصلًا، وكانت الشياطين والكُفَّار والمشركون عُبَّاد الأوثان والشمس والقمر أولياءه وأحبابه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا"[3].



(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٦-١٧.

(٢) المرجع نفسه ١٠/٢٠٩.

(٣) طريق الهجرتين، ص٤٥٢.

المبحث الثالث:
الصلة بين الأحوال والمقامات

هناك تداخل بين الأحوال والمقامات، فمن تحقق بالمقام فإنه قد ترد عليه الأحوال، وصاحب الحال قد يترقى منها على المقامات[(١)].

قال ابن عجيبة: "الأعمالُ حركة الجسم بالمجاهدة، والأحوالُ حركة القلب بالمكابدة، والمقاماتُ سكون القلب بالطمأنينة، مثال ذلك: مقام الزهد مثلًا: فإنه يكون أولًا عمله مجاهدة بترك الدنيا وأسبابها، ثم يكون مكابدة بالصبر على الفاقة حتى يصير حالًا، ثم يسكن القلب ويذوق حلاوته فيصير مقامًا"[(٢)].

ويقول أيضًا: "المقامات تكون أحوالًا حيث لم يتمكَّن المريد منها؛ لأنها تتحوَّل ثم تصير مقامات بعد التمكين، كالتوبة مثلًا: تحصل ثم تنقص، حتى تصير مقامًا، وهي التوبة النصوح، وهكذا بقية المقامات"[(٣)].

وعلة التداخل بينهما يكمن في أنَّ المقام قبل كونه مقامًا كان حالًا، لكن بعد المكابدة والمجاهدة تحوَّل إلى مقام.

فيقول ابن عجيبة: "التوبة، والورع، والزهد، والتوكُّل، والرضا، والتسليم، تكون أحوالًا، ثم تصير مقامات، فما دامت مجاهدة فهي أحوال، فإذا كانت ذوقًا فهي مقامات"[(٤)].

---

(١) ينظر: ابن عطاء السكندري وتصوفه، ص٣٢٠.

(٢) إيقاظ الهمم، ص١١٦.

(٣) معراج التشوف، ص٤٤.

(٤) الفتوحات الإلهية، ص١٦٥.

وكذلك يرى الصلة بين الأحوال والمقامات، بأنَّ لكلٍّ واحد منهما علمًا وعملًا.

فيقول: "اعلم أنَّ المقام والحال لكلٍّ واحد: علم وعمل، فالمقام يتعلَّق به العلم أولًا، ثم يسعى في عمله حتى يكون حالًا، ثم يصير مقامًا، وكذلك الحال يتعلَّق به العلم أولًا، ثم العمل، ثم يصير مقامًا وحالًا"[1].

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١١٦.

الفصل الخامس:
موقفه من أعلام الصوفية وطرقها
وأثره على من بعده

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من أعلام الصوفية.

المبحث الثاني: موقفه من طرقها.

المبحث الثالث: أثره على من بعده.

المبحث الأول:
موقفه من أعلام الصوفية

مدح ابن عجيبة أعلام الصوفية، ونافح عنهم، وبالغ في تعظيمهم، فيقول عن ابن الفارض: "هو الوليُّ الكبير، والمحبُّ الشهير، إمام العُشَّاق"(١).

ومدح ابن عربي بقوله: "العارف الربَّاني، والقطب الصمداني، بحر زمانه، وفريد عصره وأوانه، محيي الدين ابن العربي الحاتمي، المتوفى في حدود القرن السَّادس"(٢).

وكذلك مدح ابن مشيش صاحب الصلاة المشيشية(٣) التي مطلعها: "اللهم صلِّ على مَن منه انشقَّت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتفعت الحقائق، وتنزَّلت علوم آدم فأعجز الخلائق ... وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد ..."(٤).

فقال مادحًا: "هو الشيخ الإمام، العارف الواصل، الوليُّ الكبير، والقطب الشهير، شمس زمانه، وفريد عصره وأوانه، سيدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش ..."(٥).

---

(١) شرح نونية الششتري، ص١٥٧.

(٢) شرح صلاة ابن العربي الحاتمي، ص٤١.

والصحيح أنَّ ابن عربي توفي في القرن السابع سنة ٦٣٨هـ، فقد عاش في الفترة من (٥٦٠-٦٣٨هـ) متأثرًا بالتراث الفارسي والهندي. ينظر: الشيخ الأكبر ابن عربي صاحب الفتوحات المكية، للفيومي، ص٢٦.

(٣) وهي صلاة بدعية مليئة بعقائد الصوفية من وحدة الوجود، والغلو في الرسول ﷺ، زعموا أن لها فضائل لحث الصوفية على المحافظة عليها ومن هذه الفضائل: لم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر، منصورًا على جميع الأعداء، مؤيدًا بتأييد الله العظيم في جميع أموره، ملحوظًا بعين عناية الله الكريم، ينظر: http: //www. shazly. com

(٤) النفحة العلية في أوراد الشاذلية، ص١٥-١٦، ينظر: الإلمام والأعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة ابن مشيش، ص٥٥.

(٥) شرح صلاة القطب ابن مشيش، ص١٠.

ثم شرع بشرحها فقال: "فهذا شرحٌ لطيفٌ على تصلية القطب الجامع، سيدي عبد السلام ابن مشيش نفعنا الله بذكره، وأفاض علينا من صيِّب فيضه آمين، ندبني إليه شيخنا العارف الرباني، قدوة السائرين، ومربي الواصلين، سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني، فأجبته إلى ذلك، رجاء التحقيق بمحبته، والشرب من فيض مدده"(١).

ويقول في موضع آخر منافحًا عنهم: "قد رُمي كثيرٌ من الأولياء المحققين بالاتحاد والحلول كابن العربي الحاتمي، وابن الفارض، وابن سبعين(٢)، والششتري والحلاج، وغيرهم وهم بُرَآء منه؛ وسبب ذلك أنهم لما خاضوا بحار التوحيد، وكوشفوا بأسرار التفريد، أو أسرار المعاني قائمة بالأواني، سارية في كل شيء، ماحية لكل شيء، ... فأرادوا أن يعبروا عن تلك المعاني فضاقت عبارتهم عنها؛ لأنها خارجة عن مدارك العقول، لا تدرك بالسطور ولا بالنقول، وإنما هي أذواق ووجدان، فمن عبر عنها بعبارة اللسان كفر وزندق، وهذه المعاني هي الخمرة الأزلية التي كانت خفيَّة لطيفة، ثم ظهرت محاسنها، وأبدت أنوارها وأسرارها، وهي أسرار الذات وأنوار الصفات، فمن عرفها وكوشف بها اتحد عنده الوجود، وأفضى إلى مقام الشُّهود، وهي منزَّهة عن الحلول والاتحاد، إذ لا ثاني لها حتى تحل فيه أو تتحد معه"(٣).

ولذلك يرى أن من أفشى سرَّ الربوبية –ويقصد به وحدة الوجود– قُتل.

---

(١) شرح صلاة القطب ابن مشيش، ص١٠.

(٢) هو: أبو محمد، عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، قطب الدين المرسي الرقوطي الصوفي، صوفيٌّ على قواعد الفلاسفة، كلامه تعقل مفرداته، ولا تعقل مركباته، له السبعينية، توفي سنة ٦٦٩هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ١٨/٣٧.

(٣) البحر المديد ٢/٢١.

فيقول: "كل من أفشى سرَّ الربوبية سلَّط الله عليه سيف الشريعة، فيباح دمه، ويهتك عرضه، كما وقع للحلاج وغيره ... والمراد بسرِّ الربوبية: التوحيد الخاص الذي هو الشُّهود والعيان المخصوص بأهل العرفان"(١).

وكيف يمدح من طفحت مقالاتهم بوحدة الوجود التي آلت بهم إلى الإيمان بوحدة الأديان، وأنَّ جميع الخلق على صراطٍ مستقيم، وأنَّ الخلق هو الحق، وتصويب كل كفر، ومنهم من زعم أنه يلاقي الله مرَّة كل شهر عند ادعائه للولاية(٢)(٣).

ولقد أُولع من انتموا للتصوف بتعظيم هؤلاء القوم، ودافعوا عنهم، وغضبوا لغضبهم، وكان الواجب عليهم أن يكون غضبهم لربهم إذا انتهكت حُرماته لا لبشر غير معصوم من الزلل، فهؤلاء شرٌّ من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله، ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث.

ومع ذلك فلا يشهد على أعيانهم بكفر(٤)، ولا إيمان لجواز توبتهم قبل الموت، وأمرهم مُشكل وحسابهم على الله، أمَّا مقالاتهم فلا ريب أنها شرٌّ من الشرك(٥).

ولا ريب أنَّ المطالع لكتب ابن عربي بعين الإنصاف يجدها مشحونة بصريح الكفر، فمن أردأ تواليفه كتاب فصوص الحكم الذي إن لم يكن فيه كفر فما في

---

(١) شرح قصيدة يامن تعاظم، ص٢٠-٢٢.

(٢) قال ابن عربي: "ولا تشغله الولاية عن المثول بين أيدينا شهرًا بشهر إلى انقضاء العمر". الفتوحات المكية ١٢/١٢١.

(٣) ينظر: مصرع التصوف، ص١٩، ٣٠، هذه الصوفية، ص٢٥.

(٤) أفتى القاضي محمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٢٠هـ بقتل الحلاج، وحكم القاضي إبراهيم بن الفضل بن حيان الحلواني المتوفى سنة ٣٢١هـ بكفر الحلاج الذي ادعى الحلول وقال عنه: كتب كتبًا فيها من الطلاسم والرموز والإشارات ما يوجب كفره. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٣٣٩، ٣٥١.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٣/٤٤٩، تاريخ الإسلام ٤٩/٢٨٤.

الدنيا كفر، والله أعلم بما مات عليه[١].

ولقد بيَّن القاري[٢] نتيجة الرياضة عند ابن عربي في كتابه الفصوص وأنها القول بالحلول والاتحاد: "وقد صرَّح في الفصوص بأنَّ الرياضة إذا كملت اختلط ناسوت صاحبها بلاهوت الله، وهذا هو عين مذهب النصارى، حيث قالوا: امتزجت الكلمة بعيسى امتزاج الماء باللبن، فاختلط ناسوته بلاهوت الله سبحانه، حتى ادعوا أنه ابن الله، تعالى شأنه وتعظَّم سلطانه"[٣].

وصرَّح ابن سبعين كذلك بكلام كفري، مفاده أنَّ الكائنات الدنسة هي الله، -تعالى الله عمَّا يقول علوًّا كبيرًا- فقال: "اختلط الله في الإحاطة الزوج مع الفرد، واتحد النَّجو[٤] مع الورد"[٥].

ولا ريب أنَّ هذه المواقف من أعلامهم تسبَّبت بظهور بدع شنيعة في بلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة لا سيَّما في المائة العاشرة وما بعدها، فقدَّسوا أضرحة الشيوخ[٦]، وجعلوها أوثانًا تُعبد من دون الله، فمن بدعهم الشنيعة محاكاتهم

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣.

(٢) هو: علي بن سلطان الهروي القاري الحنفي، ولد بالعراق، ورحل إلى مكة واستقرَّ بها، توفي سنة ١٠١٤، ينظر: البدر الطالع ٤٤٥/١، معجم المؤلفين ١٠٠/٧.

(٣) الرد على القائلين بوحدة الوجود، ص٣٢.

(٤) النجو: ما يخرج من البطن من بول، وريح، وغائط، ينظر: القاموس الفقهي ٣٠٦/١، المصباح المنير ٣٤٩/١.

(٥) رسائل ابن سبعين، ص١٤٣.

(٦) مثل ضريح الجزولي في مراكش الذي يزدحم عليه الناس ويقصدونه في قضاء الحاجات كما سوَّل لهم الشيطان، والعياذ بالله. ينظر: الطريقة الجزولية، ص٥٨، تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس، لابن الموقت، ص٩٨-٩٩، وكذلك ضريح ابن عجيبة في قرية الزميج، ومعتقد أهل القرية بأن الأرزاق تأتيهم ببركة السيد (يعني ابن عجيبة) وهذا القول: سمعته من المريدين عند زيارتي لهذه القرية.

أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام، من جعل الكسوة لها، وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم أصبح آمنًا، وسوق الذبائح إليها على هيئة الهدي، واتخاذ المواسم كل عام، وهذا وأمثاله لم يشرع إلا في حق الكعبة، ومن المناكير التي يجب أن تغير اجتماع القوم كل سنة للوقوف يوم عرفة بضريح عبد السلام ابن مشيش، ويسمون ذلك بحج المسكين، فانظر إلى هذه الطامة التي اخترعها هؤلاء العامة(١).

فمن كانت هذه مقالاته فهل يستحق مدحًا أو منافحة؟

وإنك لتعجب من ابن عجيبة كيف يمدح الحلاج الذي اعتقد أن إبليس موحِّد، بقوله: "وما كان موحِّد في أهل السَّماء مثل إبليس"(٢).

وابن عجيبة امتدادٌ لأولئك فلايستغرب منه ذلك، فالمعدن واحد، وكما قيل: الصوفية أهل بيت واحد وإن اختلفت عباراتهم.

فهؤلاء القوم تأثروا بفلسفات وأفكار إلحادية -والعياذ بالله- فجعلوا مقصودهم التشبه بصفات الله بحلولهم فيه -تعالى الله عمَّا يقولون- فزعموا أنَّ من أوليائهم من يتصرَّف في الكون(٣)، أو ينطق بكن(٤) قبل أن تكون

---

(١) ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢٠١/١، معلمة التصوف ٢٠٩/١.

(٢) طواسين الحلاج، ص٩٧.

(٣) نقل الشيخ الألباني عن أحد الصوفية قوله: "ونراهم -يعني العامة- يحلفون بالأولياء، وينطقون في حقهم بما ظاهره الكفر الصراح، بل هو الكفر حقيقة بلا ريب ولاشك ... فإن عندنا بالمغرب من يقول عن القطب الأكبر مولانا عبد السلام ابن مشيش: أنه الذي خلق الدين والدنيا! ومنهم من قال والمطر نازل بشدة: يا مولانا عبد السلام الطف بعبادك! فهذ كفر" وعلَّق الألباني على هذا بقوله: "فهذا الكفر أشد من كفر المشركين؛ لأنَّ هذا فيه التصريح بالشرك في توحيد الربوبية أيضًا، وهو مما لا نعلم أنه وقع من المشركين أنفسهم! وأمَّا الشرك في الألوهية فهو أكثر في جهال هذه الأمة، ولا أقول عوامهم". تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص٧٣.

(٤) كقول ابن عربي: "ما ثمَّ إلا عبدٌ وربّ، والعبد لا يتميز عن الربِّ إلا بالافتقار، فإذا ذهب الله بفقره كساه حلَّة الصفة الربانية، فأعطاه أن يقول للشيء كن فيكون". الفتوحات المكية، لابن عربي ٥٨/١١، ينظر: شرح الآجرومية لابن عجيبة، ص١٠١.

الأشياء[1]؛ فقدسوا مشايخهم وأطاعوهم في غير طاعة الله ورسوله، فتفرقت بهم السبل، ولاذوا للطواف على قبورهم ومناجاتهم لكشف الكرب عنهم، فالحذر الحذر من هؤلاء القوم الذين لعب الشيطان بهم، وأخرجهم عن طريق أهل العلم، بزعمهم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حالٌّ في كلِّ شيء، والأرض لا تخلو منه لكنه يظهرُ لخلقه في صور مختلفة في كل زمان غير الصورة التي ظهر بها في الزمان الذي قبله وفي الزمان الذي بعده، فلم يقدروا الله عَزَّوَجَلَّ حق قدره، وتكلموا فيه بكلام لا يوافق كتابًا ولا سنة، ولا قول الصحابة ﷺ، ولا قول أئمَّة المسلمين، فلا حُجَّة لهم فيما يدعون، ولا إمام من العلماء يتبعون فيما يفعلون[2].

وفي المقابل نجد أنَّ ابن عجيبة ذمَّ العلماء الذين يأخذون بظاهر النص مع وجوب العمل به، وهو بهذا يخالف أهل السُّنَّة وطريقتهم، بل ويحذِّر من الجلوس معهم فيقول: "والجلوس مع علماء الظاهر أقبح في حق الفقير ... والله ما رأيت فقيرًا صحبهم فأفلح في طريق القوم أبدًا، فلا قاطع أعظم منهم، إلا من عرف بالتسليم لأهل النسبة، وقليلٌ ما هم"[3].

ويقول: "الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عاميًا غافلًا، وفقيرًا جاهلًا؛ لأنهم لا يعرفون إلا ظاهر الشريعة، ويرون من خالفهم في هذا الظاهر خاطئ أو ضال، فيجهدون في رد من خالفهم، يعتقدون أنهم ينصحون، وهم يغشون، فليحذر المريد من صحبتهم والقرب منهم، ما استطاع، فإن توقف في مسألة ولم يجد من

---

(١) ينظر: جامع كرامات الأولياء ١/٥٧.

(٢) ينظر: الشريعة، ص٢٩١، وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته على الاتفاق والتفرد ١/٦١، والتبصير في معالم الدين، ص١٦٣، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ٣/١٩٧.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٢٤٣.

يسأل عنها من أهل الباطن فليسأله على حذر، ويكون معه كالجالس مع العقرب والحيَّة، والله ما رأيت أحدًا قط من الفقراء قرب منهم، وصحبهم فأفلح أبدًا في طريق الخصوص"[1].

أمَّا بالنسبة للكتب فلقد زعم أنها سبب لتبديع الصوفية ورميهم بالكفر.

فيقول: "النظر في الكتب يضعف المسالك؛ لتشعبها وكثرتها عند اختلاف الهمم، لا سيَّما من جبلت طبيعته على علم الظاهر، فإنه أبعد الناس عن الطريق ما لم يتداركه الله بفتح منه؛ لأن التشريع كل حكمة تحتها حكم من لم يفهمها فبستانه مزهر غير مثمر، ومن هنا وقع الإنكار، حتى امتحن الله كثيرًا من الصوفية على أيدي علماء الظاهر، عندما نسبوهم للكفر والزندقة والبدعة والضلال، وسر الخصوصية يقتضي ذلك لا محالة"[2].

وهذا الذي سطره ابن عجيبة هو ديدن الصوفية الذين لقنوه لمريديهم منذ بداية سلوكهم في الطريق، فصوَّروا لهم علماء الشريعة بأنهم أعداء لهم حتى اعتقدوا أنه لا يصح منهم الاسترشاد ولا يقبل منهم نصيحة[3].

ولذا أعرضوا عن الكتاب، ونبذوا السُّنَّة وراء ظهورهم، وزهَّدوا الناس فيها، وانسلخ أقوام من حفظها ومعرفتها، فطعنوا في أهلها، ورموهم بالقبيح من القول والفعل، فكيف لمن لم يكن عالمًا بمعاني القرآن خبيرًا بسُنَّة رسول الله ﷺ وآثار الصحابة رضي الله عنهم فقيهًا في ذلك عاملًا به أن يكون على صراط مستقيم!![4].

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٤١٢.

(٣) ينظر: الإبداع في مظاهر الابتداع، ص٣٠٩.

(٤) ينظر: الانتصار لأصحاب الحديث، ص٤٢-٤٥، العقيدة الأصفهانية، ص١٦٥.

المبحث الثاني: موقفه من طرقها

يرى ابن عجيبة أنَّ الصوفية وإن اختلفت مسالكها فأتباعها متفقون في الأصول والفروع، يقول: "كانت مذاهب القرَّاء خمسة وعشرين رواية، ثم تقررت في عشرة، وكانت مذاهب النُّحاة على مذهبين، بصري وكوفي، بخلاف مذهب الصوفية فهي متفقة في المقصد والعمل وإن اختلفت المسالك، فمرجع كلام القوم في كل باب لأحوالهم، وإلا فلا تنافي بين أقوالهم لمن تأمَّلها، وذلك بخلاف مذهب غيرهم، والوجه فيه أنَّ الحقَّ واحد، وطريقه وإن اختلفت مسالكها فالنهاية واحدة، والذوق واحد ... ومذهب الصوفية هو الاتفاق في الأصول والفروع، أمَّا الأصول فنهايتهم الشهود[1] والعيان، وهم متفقون فيه؛ لأنه أمرٌ ذوقي لا يختلف"[2].

وقد تابع ابنُ عجيبة الهجويري[3] وهو من الأقطاب -عند الصوفية- فيقول: "ومهما كانوا -أي الصوفية- مختلفين في المعاملات والمجاهدات والمشاهدات والرياضات، فإنهم موافقون ومتفقون في أصول وفروع الشرع والتوحيد"[4].

وكلُّ من انتسب إلى الصوفية فقد وقع في البدعة؛ فانتسابه في حدِّ ذاته بدعة، فلا يوجد زهدٌ عند الصوفية بالمعنى الممدوح، وما يسمونه زهدًا بدعةٌ وانحراف، قال

---

(١) رؤية الحق بالحق، وحضور مرة بنعت المراقبة وأخرى بنعت المشاهدة، وأنه فيض من النور الإلهي ينغمس فيه الروح وينكشف به سر الخليقة، يسير فيه الصوفي من شهود الفعل إلى شهود الصفات، ثم شهود الذات. ينظر: عوارف المعارف، ص٥٢٨، التعريفات، ص١٦٩.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٦٤.

(٣) هو: علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري، ولد سنة ٣٨٠هـ، له رحلات إلى الهند وتنقل فيها، ومن أشهر كتبه: كشف المحجوب، ولقد أُسر في لاهور على يد الهندوس، وتوفي فيها سنة ٤٦٥هـ. ينظر: الموسوعة الصوفية، ص٤٠١، مقدمة كتاب كشف المحجوب ٢/١٥-٢١.

(٤) كشف المحجوب ٢/٤٠٣.

ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ المذاهب قد ظهرت بعد القرون المفضَّلة رويدًا رويدًا، وكان أصحابها الأولون قد انفردوا بما أتوا من الزهد والورع، الذي لم يكن عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وإلى هذا يشير قول الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[1]"[2].

وقال ابن أبي العز: "والرهبانُ وهم جُهَّال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمِّنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ والتعوض عن حقائق الإيمان بخُدع الشيطان وحظوظ النَّفس"[3].

ويقول أيضًا: "وأكثر المنحرفين من العبَّاد من المتصوفة ونحوهم فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد"[4].

وقد مال ابن عجيبة إلى الطريقة الشاذلية وزعم أنها تسير بين الحقيقة والشريعة حتى يقع التمكين والاعتدال، بل قال زورًا وبهتانًا أنها هي التي تقوم عليها السَّاعة، وينزل عيسى ابن مريم ويجد منها خلقًا من حواريه[5].

فهو الداعي إلى الطريقة الدرقاوية[6] الشاذلية، وهو المتحدث باسم الدرقاوية، والمدافع عن مبادئها قولًا وفعلًا، وكتابة[7].

---

(١) سورة الحديد: ٢٧.

(٢) الصوفية والفقراء، ص٥، وينظر: مجموع الفتاوى ١٠/١٩٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٠٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٢٦.

(٥) ينظر: الفتوحات الإلهية، ص١٥.

(٦) سيأتي الحديث عنها في مبحث مستقل من الكتاب.

(٧) ينظر: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي، ص١٠٤.

فقد قال عن نفسه: "ولقد كنتُ حين دخلتُ في طريق القوم، وحصل لي الإذن من الشيخ في تذكير الناس نطوف عليهم في المداشر والقبائل نعلمهم الدين، وندلهم عليه، فعلت ذلك ثلاث سنين أو أكثر، وها نحن ما زلنا على ذلك ... فنحن والحمد لله نُعلِّم الناس التوحيد الخاص في المداشر[١]، والقبائل، والمساجد، والجوامع لمن قدر عليه، ومن لم يقدر علمناه ما يقدر من توحيد الدليل، حتى يفتح الله سبحانه عليه في توحيد العيان"[٢].

ولهذا كان من المهتمين بالطريقة الدرقاوية والداعين إليها وبلغ اهتمامه بها أنه كان يُنشئ مع كل دار له زاوية معمورة بالفقراء، ويخرج لهم الطعام في كل الفترات، ويجعل في كل زاوية فقيهًا، ومؤذِّنًا مرتاحًا[٣].

وكان ابن عجيبة في الغالب موافقًا للانتقادات التي أبداها ابن البنا في منظومته في التصوف، والذي يعتبر ابن عجيبة أشهر شراحها.

فهذه طريقة قد درست ... وشجر أغصانها قد يبست

كانت إذن مواردًا شريفة ... فاستبدلت مذاهبًا سخيفة

قد أُسِّست على صحيحِ العقل ... وأسُّها الآن بمحض الجهل

كانت تضاهي الكوكب المنيرا ... والآن أضحت حائطًا قصيرا[٤].

فلقد شرح ابن عجيبة البيت الأخير بقوله: "كانت طريقة القوم رفيعة القدر عالية الشأن تضاهي أي تشابه أو تحاكي الكوكب المضيء في الرفعة ... والآن صار

---

(١) المداشر: كلمة مغربية تطلق على القرية الصغيرة، ينظر: الفهرسة، ص١٦.

(٢) الفهرسة، ص٧٦.

(٣) الفهرسة، ص٨٧، طيب الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس، ص٥٤-٥٥.

(٤) المباحث الأصلية، ص٣٤٩-٣٥٠.

ينتسب إليها الأشرار والفُجَّار فتجد فيها هذا قائد وهذا باشا وغير ذلك، فمنهم من يتخذها حصنًا يتحصَّن بها من عواقب ظلمة يظن ذلك ينفعه بزعمه، ومنهم من يتخذها حرفة فصارت كالحائط القصير يتخطاه القوي والضعيف، وسبب ذلك عدم سقوطهم على شيخ التربية"[1].

ولكن ابن عجيبة لم يكن ليرتضي سحب هذا التعميم الذي قال به ابن البنا على سائر الطوائف الصوفية، فهو يقول: "لا تخلو الأرض من قائم لله بحُجَّته، وشيخ التربية لا يخلو الزمان منه أبدًا؛ إذ لا يمكن أن يكون القطب إلا بعد التربية وهو لا تخلو الأرض منه كما هو مقرَّرٌ عند أهل الفن ..."[2]، وتعتبر الطريقتان العيساوية والحمدوشية من الطرق الصوفية في عهد ابن عجيبة والتي ظهرت فيها بدعٌ أوضحت عن سذاجتها، فالطريقة العيساوية التي تنسب لمحمد بن عيسى الفهدي المكناسي، كان معظم اتباعها من العوام الذين كانوا يقومون بأعمال قبيحة، من افتراس لحوم الغنم والبقر قبل موتها بعد أن يبقروا بطونها ويمزقوا أحشاءها، فتتلوث أبدانهم وثيابهم بالدماء، ويأكلون تلك اللحوم الملوثة بها وبغيرها من الفضلات[3]، وكذلك طائفة الحمادشة التي تنسب إلى علي بن محمد حمدوش الشريف، والذي عرف بالجذب إلى حدٍّ فقدان الوعي حيث يصير أحيانًا كالأسد يضرب الناس بكلِّ ما يقع بين يديه من حجارة أو آنية[4]، وانتسب إليه جماعة عرفوا بحمادشة مارسوا أعمالًا بدعية قبيحة فهم "يجلبون على رؤوسهم بالمعاول والفؤوس، فتسيل دماء رؤوسهم على وجوهم وثيابهم، وأرعبوا

(١) شرح المباحث الأصلية، ص٣٥١.

(٢) البحر المديد ٢/٢٧١.

(٣) ينظر: تاريخ تطوان ٣/٢١٢، منهج ابن عجيبة في التفسير ١/٧٨.

(٤) سلوة الأنفاس ١/٣٥٤.

النَّساء والأطفال، واعتقدوا بأنهم عابدون لله بهذه الأفعال"[1].

ولهذا يرى ابن عجيبة أنَّ هذه الطرق لا تتماشى مع أسس طريقته الدرقاوية، لأحياء أسس وأصول التصوف، كارتباط المريد بشيخ التربية، فيقول: "وقد ظهروا (أي شيوخ التربية) في زماننا هذا بعد اندراس[2] أنوار الطريقة، وخمود أسرار الحقيقة، فجدَّد الله بهم الطريقة، وأحيا بهم أسرار الحقيقة ..."[3].

والحقيقة أنَّ الطرق الصوفية لا تخلو من الشرك، كعبادة بعض شيوخهم، والاستغاثة بهم، وعدم الاعتراف بالشَّرع الذي جاء به نبيُّنا محمد ﷺ، إلى غير هذا من بدعهم الكثيرة، وكفعل بعضهم مع المريدين، حيث يقول: عليك أن تُسلِّم للشيخ حاله ومراده، وألا تعترض عليه، وأن تكون معه كالميت بين يدي الغاسل، فهذه كلُّها طرقٌ فاسدة، وكُلُّها ضالة[4].



(١) ينظر: تاريخ تطوان ٣/٢١٢.

(٢) اندراس: انمحاء واندثار، من اِنْدَرَسَ: اِمَّحَى، وانْدَثَرَ. ينظر: المعجم الوسيط ١/٢٨٠.

(٣) شرح المباحث الأصلية، ص٣٥١.

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز ٩/٣٦٠.

المبحث الثالث:

أثره على من بعده

أ- أثره على من خلفه في الطريقة

خلف ابن عجيبة بعد وفاته في إكمال المهمة محمد الحراق[1] الذي شرع بإلقاء دروسه في تطوان في أحضان الزاوية الدرقاوية، وظنَّ الناس أنَّ بدايته ستكون في شرح التفسير، والفقه، لكن البداية كانت بتدريس الحكم العطائية، فانتعشت الطريقة الدرقاوية من جديد في تطوان، ودخل فيها كثيرٌ من الناس، بعد أن أعاد تأسيسها على أربع قواعد: ذكر، ومذاكرة، وعلمٌ، ومحبَّة، وينهى عن التجرد وخرق العوائد، وينصح طلابه ألا يدخلوا في طريق التصوف إلا بعد التبحُّر في علم الظاهر.

وهكذا خلف الحراق ابن عجيبة في نشر التصوف، فلم يجد صعوبة في جلب الأتباع إليه بالإضافة إلى الدرقاويين المتبقين بتطوان، فقد تحوَّل كثيرٌ من المعجبين بعلمه وفصاحته إلى أنصار له في التلقين والتجربة الصوفية.

ولقد ذاع صيته وأصبحت له زاوية يجتمع عليه خلقٌ كثير، ثم توسَّعت زاويته سنة ١٢٢٤هـ، وأنشأ زاويتين رسميتين في فاس سنة ١٢٤٦هـ، وفي طنجة سنة ١٢٥٤هـ[2].

وممن تأثر بابن عجيبة أيضًا المَكُّودي[3] الذي رد على منكري الطريقة

---

(١) هو: محمد بن محمد الحراق بن عبد الواحد بن يحيى، ولد سنة ١٢٨٨هـ بمدينة شفشاون على بعد ستين كلم من تطوان، أصبح هو الشيخ الصوفي المتصدي لتلقين الأوراد وتربية المريدين في تطوان. ينظر: النور البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق، ص٢٢.

(٢) ينظر: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي، ص٢٧٤.

(٣) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله التازي المَكُّودي، وقيل بتخفيف الكاف، نسبة لبني مَكُّود قبيلة =

الدرقاوية، وأنكر على من سجن ابن عجيبة فقال: "وما ذنبه الذي استحق به السجن، والقهر على الرجوع عن حاله، والإشهاد عليه بذلك، واللَّوم والتوبيخ في مجلس أولئك العُلماء مع أنهم لو أنصفوا لجثوا على الرُّكب بين يديه طُول عمرهم ... فإن قالوا: إنهم رأوا منه ما يخالف الشريعة المطهَّرة، وأثبتوا ارتكابه لأمور من البدع المحرَّمة، فأقول: هو أعرف منهم بالشَّريعة، وأشدهم عملًا بالطريقة والحقيقة"[١].

وهذا يدلُّ على تأثر المكودي بابن عجيبة مثله مثل المعسكري مؤرخ الدرقاوية وطبقاتهم الذي قال عن ابن عجيبة: "كان حُجَّة الطائفة الدرقاوية، مبيِّنًا لأحكامها، وناشرًا لأعلامها، سبر عن علومها حتى صار ينبوعًا لشموسها وأقمارها ونجومها ... وقد ألَّف نيِّفًا وثلاثين تأليفًا بيَّن فيها الشريعة والطريقة والحقيقة ... والحاصل هو أشهر من نار على علم، يبعد مثلي أن يُعرِّف به وبأمثاله"[٢].

ب- أثره على أسرته

لقَّن أحمد بن عجيبة علم الحقيقة أخاه محمد بن محمد بن عجيبة ويكنَّى بأبي عبد الله، وأصبح له نشاطٌ صوفيٌّ في مدينة سلا[٣] وغيرها، وتاب على يديه كثير من

=

من البربر، وهم أهل ثروة من أحواز تازا وهي مدينة بين فاس ووجدة تبعد ٣٢٠ كلم من مدينة الرباط، من شيوخه: العربي الدرقاوي، توفي المكودي سنة ١٢١٤هـ. ينظر: كنز الأسرار ومعدن الأخيار ل/٨٢، جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس ٢٩٩/١.

(١) سلوك الطريقة الدَّرقاويَّة والرد على منكريها، ص٣٧.

(٢) مخطوط كنز الأسرار، مخطوط، ل/٩٧.

(٣) سلا: مدينة في المغرب، بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل، وهي مدينة قديمة أزلية، فيها آثار للأول معروفة بضفة الوادي، متصلة بالعمارة التي أحدثها هناك أحد ملوك بني عبد المؤمن، وكان قد اتخذ أرباب البلد مدينة بالعدوة الشرقية، وهي المعروفة الآن بسلا الحديثة، وهي على ضفة البحر، وسلا القديمة خراب الآن. وأما سلا الحديثة فهي منيعة من جهة البحر، لا يقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها
=

العصاة وسلكوا الطريقة الدرقاوية[1]، ولقد أُدخل السجن إثر واقعة حدثت له ذكرها أحمد بن عجيبة بقوله: ولما ظهر الطريق وانتشر ذكر الله في البلاد نقم علينا بعضٌ من العوام ادعى على أخي أنه دخل داره، ولقَّن امرأته الورد في غيبته وهو بريءٌ من ذلك، إنما لقَّنها مع بعض النساء في دار غيره، وهو لا يعرفها، فقُبض عليه وأُمِر بسجنه، فقلتُ[2]: لا أفارق أخي فسُجِنت معه[3].

أثره على أولاده:

ذكر ابن عجيبة[4] أنه في حدود عام ١٢٢٤هـ كان متزوجًا بأربع نسوة إضافة إلى اثنتين قد تزوجهما من قبل، واحدة كان قد طلقها والأخرى ماتت بعد سبعة أشهر من البناء، وكان أول زواجه عام ١١٩٣هـ، ومجموع ما ولد له من الأولاد واحد وثلاثون، توفي معظمهم في سنوات الوباء عام ١٢١٤هـ[5]، أمَّا الذين ولدوا بعد ذلك وبقوا على الحياة فتسعة: ثلاث إناث وستة ذكور:

أما الذكور فهم:

- محمد الصديق، ولد في العشر الأواخر من رمضان عام ١٢٢٠هـ،

=

من جهته، وهي حسنة في أرض رمل، ولها أسواق نافقة وتجارات ودخل وخرج، ولأهلها سعة أموال، والطعام بها كثير رخيص جدًّا. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ٣١٩/١.

(١) ينظر: كنز الأسرار، مخطوط ل/١٣١، ١٣٢.

(٢) القائل: أحمد ابن عجيبة.

(٣) ينظر: الفهرسة، ص٥٧.

(٤) الفهرسة، ص٨٦.

(٥) تاريخ تطوان ١٣٥/١، وينظر: الطاعون الأسود بين الواقع والتأويل في المغرب العربي (أحمد بن عجيبة وحمدان خواجة نموذجًا) رسالة ضمن كتاب خصوصية التجربة الصوفية في المغرب، ص١٦٧.

- أحمد الحاضر، وقد ولد يوم رابع جمادى الآخرة من عام ١٢٢٢هـ
- عبد القادر، ولد في صفر من عام ١٢٢٤هـ.
وأُمُّهم منانة بنت محمد الرحموني العلمي، وهي آخر من تزوَّج من النساء.
- المهدي، ولد في ذي الحجة عام ١٢١٥هـ.
- عبد السلام، ولد ليلة الثلاثاء آخر رمضان عام ١٢٢٢هـ..
وأُمُّهما رحمة بنت المقدم الزراد.
- أمَّا السادس فهو عبد الباقي، وقد ولد في رمضان عام ١٢٢١هـ وأُمُّه فاطمة بنت سيد الهاشمي.

أمَّا محمَّد الصديق[١] أو الصادق فكان من العلماء، قضى معظم سنين حياته في تدريس العلم وبثّه بين الناس في البادية، وقد خلف من الذرية أربع بنات، توفي عام ١٢٩٠هـ، وله من العمر سبعون سنة، وقد دفن قريبًا من ضريح والده.

وأمَّا أحمد بن أحمد بن عجيبة فقد نزل بطنجة بعدما درَّس العلم بفاس وباشر تدريس العلم بها مع تلقين الطريقة التي كان قد أخذها عن الشيخ أحمد بن عبد المؤمن[٢]، ولما تبيَّن للناس ما يتصف به نزيل طنجة من حسن الخلق وشرف النسب ومهابة العلم أكرموه وزوجوه من زوجته بالبيت الذي كان يسكنه من دارها، ثم فصلت البيت عن الدار وتركته مزارًا يتبرك به.

---

(١) هو: عبد الله محمد بن الصديق الإدريسي الغماري صاحب الطريقة الصديقية ومؤسسها، ولد سنة ١٢٩٥هـ، وتوفي سنة ١٣٥٠هـ، ينظر: المطرب في مشاهير أولياء المغرب، ص٢٤٢، ٢٥١.

(٢) هو: أحمد بن عبد المؤمن، ابن الصديق الغماري الحسني، متصوف (درقاوي) تنقل بين الطرق الصوفية بدأ بالطريقة الناصرية، ثم الخلوتية، ثم الطريقة الدرقاوية، نزل بمدينة طنجة وكثر أتباع طريقته، ولد سنة ١٢٠٠هـ وتوفي سنة ١٢٦٢هـ بها، ينظر: المطرب في مشاهير أولياء المغرب، ص٢٣٨، الأعلام ٢٢/٦.

وقد خلَّف تآليف كثيرة ضاع معظمها، ويذكر أحد أحفاد ابن عجيبة المعاصرين أنَّ له كتابًا في البدع تعرَّض فيه إلى لعب "الكرطة" والشطرنج وغيرهما، كما أنَّ له كتابًا آخر في النيات ضمَّنه آداب زيارة القبور وتحريم ما يرافق ذلك من ممارسات بدعية، وهم يرجعون إليه الفضل في بناء الزاوية الدرقاوية بالأنجرة، ويبدو أن أنجال ابن عجيبة وأحفاده كانوا على قدر من الجاه والمكانة في الوسط الطنجي بعد نزوح أحمد بن أحمد بن عجيبة إليها، فقد أورد جورج سالمون[1] نصًّا صدر عام ١٩٠٥م يصف حالة الدرقاويين بطنجة قبل تأسيس الشيخ محمد بن الصديق لزاويته بها وفيه: "ويوجد بالفحص الكثير من الدرقاويين التابعين كإخوانهم بطنجة للشيخ ابن عجيبة أي أحمد بن أحمد بزاوية الأنجرة، إذ لا شيخ لدرقاويي طنجة الآن ولكن يوجد بها أولاد ابن عجيبة أنجال الشيخ الكبير بأنجرة وهم محترمون بطنجة كباقي الشرفاء بها".

وقد خلف أحمد بن أحمد بن عجيبة عدة أولاد من بينهم:

- محمد الساعد، وكان إمامًا بقرية الزميج وغيرها من القرى، توفي عام ١٣٤٦هـ.

- فاطمة بنت أحمد، أخذت الطريقة الدرقاوية عن عَمِّها سيدي عبد القادر بن عجيبة الآتي ذكره، تأدَّبت بأدب التصوف واشتهرت بالخير والصلاح مما جعلها عظيمة الجاه، مقبولة الشفاعة، وهي والدة محمد بن الصديق مؤسس الزاوية الدرقاوية بطنجة، وزوجها هو الصديق بن أحمد بن عبد المومن أحد تلامذة العربي الدرقاوي.

---

(١) جورج سالمون ولد في فرنسا عام ١٨٦٧م، ودرس في مدرسة اللغات الشرقية، ثم تابع تعليمه في السوربون بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا في باريس التي تأسست سنة ١٨٦٨م، والتي درس فيها العديد من مفكري فرنسا، له مؤلفات منها: أضرحة طنجة، الطرق والزوايا في طنجة. ينظر:

http: //www. aranthropos. com .

– عبد الحفيظ، كان صوفيًّا عالـمًا، استقر بمدينة طنجة، وكان ذا وجاهة لدى الخاصة والعامة من الناس، وكثيرًا ما كان يرفع صوته بالهيللة في الطريق، اشتغل بالإمامة والتدريس طوال حياته إلى أن توفي عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، وقد زوج ابنته الزهراء لابن أخته فاطمة الشيخ محمد بن الصديق الذي علا صيته وقدره بفضل هذه المصاهرة.

أمَّا عبد القادر بن أحمد بن عجيبة، فقد ولد قبل وفاة أبيه بستة أشهر، ولهذا كان بحاجة إلى من يرعاه رعاية تامة وتربية صالحة، وهو ما تحمَّله الشيخ أبو الحسن علي اللغميش القائم بوظيفة الطريقة بعد وفاة أحمد بن عجيبة، وهكذا سهر على تربية عبد القادر إلى أن بلغ سنًّا يؤهِّله للإمساك بزمام الطريقة، فأصبح عالـمًا مربيًا نَهَجَ نَهْجَ أبيه في العض على مبادئ الدرقاوية والالتزام بها بشدة، وقد كان له عدد لا يُحصى من الأتباع والمريدين سواء في قبيلة أنجرا أو في قبيلتي غمارة وبني سعيد، وكان محترمًا من طرف الحُكَّام والسُّلطان، حتى إنَّ الملك الحسن الأول عندما زار مدينة تطوان في موكب رسمي سأل عنه فَقُدِّم إليه ومعه اثنان من فقراء الطريقة، يحملان تفسير والده "البحر المديد في تفسير القران المجيد"، فلما مثل بين يديه سلم إليه التفسير هدية وسلم إليه السُّلطان كيسين من النُّقود الحسنيَّة، فأخذهما الشيخ عبد القادر منه وسلمهما لوليِّ العهد آنذاك مولاي عبد العزيز الذي كان حاضرًا مع أبيه، فقال له الملك الحسن الأول: "والله لم أر زاهدًا وصالحًا مثل هذا"، وقد تزوَّج عبد القادر بن عجيبة عدة مرات وخلَّف حوالي أربعين من الأبناء، من بينهم خمسة ذكور كانوا علماء منهم:

– تاج الدين، وكان مقيمًا بتازة ونواحيها مدرِّسًا، وقد قضى بها أكثر من أربعين

سنة عاد بعدها إلى قرية الزميج بعد وفاة والده، وقد اشتغل في القضاء بقبيلة أنجرة وخلَّف كتابًا في علم الوثائق، توفي عام ١٣٤٢ عن سنٍّ يناهز الخامسة والثمانين ودُفن داخل ضريح والده.

- أحمد بن عبد القادر بن عجيبة، قضى حياته كلها في التدريس، سكن في الزميج ثم ارتحل إلى قبيلة غمارة حيث أخذ يعظ الناس ويرشدهم إلى معالم الطريق الصوفي، ثم ارتحل بعد ذلك إلى قبيلة بني سعيد حيث بنى زاوية هناك بقرية (أخليفاتن) عرفت بالزاوية الدرقاوية العجيبة، توفي عام ١٣٥٤هـ عن سنٍّ يناهز التسعين سنة.

ومن أبناء عبد القادر بن عجيبة أيضًا المأمون والأمين وعبد السلام.

ويظهر أنَّ أحمد بن عجيبة كان في سعةٍ من الرزق ولديه ما يكفيه لكي يعول أسرته بكامل أفرادها، فقد كان يملك دارين عامرتين إحداهما ببني سعيد وأخرى بالزميج، كما بُنيت له ثالثة بالفحص إلا أنه لم يسكنها، يقول في فهرسته في معرض تحدُّثه عمَّا منَّ به الله عليه في هذا الشأن: "وعندي داران وهما قائمتان بالله في كلِّ ما نحتاج إليه من مطعم ومشرب وملبس، وأهلي والحمد لله أغنياء، كل زوجة لها كسوة بنات الأغنياء وفراش الأغنياء، كل ذلك من عند الله، إذ ليس عندي خراجٌ معلوم ولا راتبٌ مرتَّب إلا ما يفتح الله به من الغيب، ومع كلِّ دار زاوية معمورة بالفقراء ويخرج إليها الطعام في الصباح والغداء والعشاء، وفي كل زاوية فقيهٌ ومؤذِّنٌ مرتبان، فلله الحمد وله الشكر ..."[1].

---

(١) ينظر: ابن عجيبة ومنهجه في التفسير ١/٩٨-١٠٢.

ج- أثره على من بعده في العصر الحاضر

لقد نال ابن عجيبة في العصر الحاضر تمجيدًا، تمثَّل هذا في كثرة الندوات[1]، والكتابات سواء من الأكاديميين أو المستشرقين، ومن هذه الندوات:

- المذهب المالكي والتصوف -ابن عجيبة نموذجًا-

قال عنه الدكتور محمود أي[2]: "هو عالمٌ مدقِّقٌ وفقيهٌ غير مقلِّد، حتى إنه يعتبر من أهل الترجيح"، ويقول عنه أيضًا: " لا شكَّ أنَّ ابن عجيبة من أهم الشخصيات المتميِّزة بين العلماء والصوفيين تحديدًا في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري ..."[3].

وقالت عنه كريمة بن سعاد وهي باحثة مساعدة بمركز الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة: عارفٌ ربَّانيٌّ كبير، وعالمٌ صوفي، اجتمعت لديه عوارف العلوم والفنون، وانكشفت له أسرار الفهوم، قلَّ نظيره في بلاد المغرب، وعلا صنيعه ببلاد المشرق، وقد سلكت طريقه العديد من النفوس[4].

وكذلك من المتأثرين به أيضًا عبد السلام العمراني الخالدي الذي يطلق على نفسه خديم الطريقة العجيبية، فله مداخلة في ندوة إمام العلوم الكسبية والوهبية أبي العباس سيدي أحمد بن عجيبة، بعنوان: سيدي أحمد بن عجيبة تربيته النبوية، وعلومه الذوقية، فيقول عنه: سيدي أحمد بن عجيبة هو الشيخ الإمام، الحبر الهمام، العارف

---

(١) أعمال ندوة أحمد ابن عجيبة المفكر والعالم الصوفي، منشورات جمعية تطاون أسيمر ١١/١٢/ صفر ١٤٢٥هـ، ط/٢٠٠٦م.

(٢) باحث أكاديمي في تركيا.

(٣) ندوة أكاديمية بعنوان المذهب المالكي والتصوف في سياقات المعاصرة، ص٣٩.

(٤) http: \\www. aljounaid. ma/article. aspx com.

الرباني والفرد الصمداني قدوة السالكين، ومنار الواصلين، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والمتغلغل في علوم القوم، المترقِّي في الذوق والإلهام، ثم أخذ بعد ذلك يتحدث عن التربية النبوية عند ابن عجيبة[1].

ومن المؤيدين لإخراج تراثه الصوفي الدكتور عبد المجيد الصغير الذي قال: جدير بأن يحظى تراث ابن عجيبة باهتمام الدارسين المعاصرين والعلماء المحققين الأكفاء، وإنَّ مسؤولية جامعة عبد المالك السعدي بتطوان لكبيرة بمعية النخبة المثقَّفة في هذه المدينة التي شهدت أعجب تجربة صوفية، تجربة ابن عجيبة التي شغلت الخاص والعام، وأشار إلى رفض ابن عجيبة لقضية الحلول والاتحاد بقوله: ليس بالغريب أن نجد ابن عجيبة وهو المتصوف والفقيه السُّنِّي الذي لم يفتأ يؤكد نفوره من نظرية الحلول والاتحاد[2].

د- امتداد الطريقة الدرقاوية.

لقد كان ابن عجيبة أحد المتصوفة المعروفين بشمال المغرب (تطوان)، وقضى معظم حياته فيها إلا أن شفشاون[3] قد تأثرت بطريقته؛ لأنه كان يتردد على شيخه البوزيدي في مدينة شفشاون في الشمال؛ فأُسِّست زاوية باسم ابن عجيبة في مدينة شفشاون في زمن ابنه عبد القادر المتوفى سنة ١٣١٣هـ، ولا زالت هذه الزاوية

(١) ينظر: أعمال ندوة الشيخ أحمد ابن عجيبة المفكر والعلم الصوفي، ص٩-١٠-١١.

(٢) ينظر: ماذا بقي من فكر ابن عجيبة، رسالة ضمن كتاب خصوصية التجربة الصوفية في المغرب مفاهيم وتجليات، ص١٨٠-١٨١، ١٩٦.

(٣) شفشاون: مدينة في شمال المغرب، وهي مركز إقليم شفشاون، اختطت في حدود سنة ٨٧٦هـ على يد الحسن بن محمد بن الحسن ينتهي نسبه إلى أبي محمد عبد السلام بن مشيش؛ لتحصين المسلمين من نصارى سبته؛ لأنهم عندما استولوا عليها كانوا يتطاولون على أهلها. ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٤/١٢١.

مفتوحة الأبواب، وكان من أبرز من نشر الطريقة العجيبية بشفشاون المفضَّل بن الحسن أزيات الخرشافي المتوفى سنة ١٣٦٠هـ، وهو أحد مريدي عبد القادر بن عجيبة، ولذلك عُرفت شفشاون بنشاطٍ في نشر الطريقة الدرقاوية[١].

(١) ابن عجيبة وامتداد طريقته في شفشاون، منشورات جمعية تطوان، ص١٠٣-١٠٤.

الفصل السادس:

التعريف بالطريقة الدرقاوية، ودوره في تأسيسها وموقف علماء أهل السنة منها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالطريقة الدرقاوية.

المبحث الثاني: دوره في تأسيسها.

المبحث الثالث: موقف أعلام السُّنَّة من الطريقة الدرقاوية.

المبحث الأول:

التعريف بالطريقة الدرقاوية

أ- التعريف بالطريقة الدرقاوية وسبب تسميتها

بما أن ابن عجيبة أحد أئمَّة المتصوفة المنتسبين إلى الطريقة الدرقاوية فقد اقتضى البحث أن نقف على تعريف لهذه الطريقة، فقد سُمِّيت هذه الطريقة بهذا الاسم نسبةً لمؤسِّسها أبي عبد الله محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الزروالي، ينتمي لجدِّه محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة(١) من ذرية إدريس أبي العباس(٢).

ولد في أوائل النصف الثاني عشر بقرية بني عبد الله من قبيلة بني زروال سنة ١١٥٠هـ، وتوفي عام ١٢٣٩هـ، عُرف بكثرة زيارته لأضرحة الأولياء(٣) طوافًا عليهم(٤)، وهذه العقيدة راسخة عند العربي الدرقاوي فلقد لبث طويلًا يبحث عن شيخ مربي ليسلك على يديه طريق الصوفية، وأخبر عن نفسه أنه ختم القرآن ستين مرة عند ضريح المولى إدريس بفاس، وتضرع بالدعاء حتى أجاب الله عَزَّوَجَلَّ دعاءه

(١) حيث كانت له درقة كبيرة يحتمي بها في الحروب أيام الموحدين وصار هذا اللقب يطلق على ذريته وأتباعه، ينظر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص٢٠٥، والدَرَق: ضَربٌ مِن التِّرسة، الواحدة دَرَقة، وتُجمَع على الأدراق تُتَّخذ من جلود دوابّ تكون في بلاد الحبش، الواحدة دَرَقَة والجمع دَرَق وأدراق ودِراق. ينظر: تهذيب اللغة ٤٥/٩، وجمهرة اللغة، لابن دريد ٣٣٥/١.

(٢) هو أحمد بن إدريس الإدريسي، صاحب الطريقة الإدريسية، ولد بنواحي فاس سنة ١١٧٢هـ، التحق بمعهد القويين، أخذ الطريقة الشاذلية عن عبد الوهاب التازي، ينظر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص٢٢٧.

(٣) ضريح عبد السلام بن مشيش، في جبل العلم، وموقعه شرق جنوب طنجة وغرب جنوب تطوان، يبعد عن تطوان ستين كلم. ينظر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص٩١.

(٤) ينظر المرجع نفسه، ص٢٠٦.

والتقى بعلي العمراني الملقب بالجمل[1] بمدينة فاس سنة ١١٨٢هـ، هو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة تقريبًا[2]، فهو يعتبر الشيخ ضرورة للمريد فيقول: "من لا شيخ له فالشيطان شيخه، ومن لا شيخ له لا قبلة له، ومن لا شيخ له فهو بطَّال"[3].

ولا شك أنَّ من الباطل تخصيص مكان للعبادة بطريقة غير مشروعة بالكتاب والسُّنَّة وفق منهج السَّلف الصالح الذين عبدوا الله حق عبادته ولم ينقل عن أحد منهم أنه خصَّ مكانًا دون آخر كما يفعل ذلك بعض الصوفية في الزوايا[4] والأربطة[5]؛ ليُجعل بعد ذلك سُنَّة يقتفيها كل أتباع الطرق الصوفية.

قال ابن الجوزي مبيِّنًا ما عليه الصوفية من إحيائهم الزوايا بالعبادة: "أمَّا بناء الأربطة فإنَّ قومًا من المتعبِّدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبُّد وهؤلاء إذا صحَّ قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: أنهم جعلوا للمساجد نظيرًا يُقلِّل جمعها.

---

(١) هو: علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمل، من مشاهير التصوف في القرن الثاني عشر، وهو من مريدي الطيب الوزاني، توفي سنة ١١٩٣هـ. ينظر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب ص٢٠٠، مجلة أمل في تاريخ الزوايا والطرقية بالمغرب، ص٢٠.

(٢) ينظر: رسائل العربي الدرقاوي، ص٥، ٦، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص٢٠٧.

(٣) المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص٦.

(٤) تقسم الزوايا إلى ثلاثة أقسام: زوايا بسيطة وهي التي لم تبن على ضريح ولي، ولا نسبت إلى ولي أو إلى طريقة صوفية، والقسم الثاني: الزاوية ذات الولي وهي ما أنشئت حول ضريح، وتكتسب سمعة من أجل ذلك، وسرعان ما تتحول إلى مركز عمراني كبير، والقسم الثالث وهي التي تنتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية، مثل الزاوية العجيبية في شفشاون. ينظر: الشعر الدلائي، ص٦.

(٥) الأربطة: جمع رباط، وأصله من مرابط الخيل، وهو ارتباطها بإزاء العدو في بعض الثغور، ثم أُطلقت على ما أحدثه الصوفية من أبنية للخلوة والعزلة، وهذا مما يخالف الشرع إذ بها تترك المساجد، ينظر: المعجم الصوفي، ص٢٠١.

والثالث: أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد.

والرابع: أنهم تشبَّهوا بالنَّصارى بانفرادهم بالأديرة.

والخامس: أنهم تعزَّبوا[1] وهم شباب وأكثرهم محتاجٌ إلى النكاح.

والسادس: أنهم جعلوا لأنفسهم علمًا ينطق بأنهم زُهَّاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم ... وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كدِّ المعاش متشاغلين بالأكل والشُّرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كلِّ ظالم ولا يتورَّعون من عطاء ماكس، وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة"[2].

والأدلة مستفيضة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس على تحريم ذلك.

أ- من الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[3].

ووجه الاستدلال بالآية عمومها؛ إذ الاسم الموصول بصلة عامة يعم بعمومها حتى يرد تخصيصه، فكلُّ مسجد شارك مسجد سبب النزول في التفرقة والضرر كان كهو في الحكم ... فسبب النُّزول لا يخصص الدليل العام كما هو معلوم في الأصول، ولما كانت القباب والزوايا أعظم ضار ومفرق أخذت بذلك حكم مسجد الضرار[4].

(١) تعزَّبوا: تركوا النِّكاح، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٨٩/١.

(٢) تلبيس إبليس ١٥٧/١.

(٣) سورة التوبة: ١٠٧.

(٤) ينظر: حكم السُّنَّة والكتاب في الزوايا والقباب، ص٣٠.

ب- من السُّنَّة:

قال ﷺ: «اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١).

وقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢).

وقال: «لا تتخذي قبري وثنًا»(٣).

قال ابن عبد البر رحمه الله: "الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة، أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن، صنمًا كان أو غير صنم، وكانت العرب تُصلِّي إلى الأصنام وتعبدها، فخشي رسول الله ﷺ على أُمَّته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم كانوا إذا مات لهم نبيٌّ عكفوا حول قبره كما يُصنع بالصنم، فقال ﷺ: اللهم لا تجعل قبري وثنًا يصلى إليه، ويُسجد نحوه، ويُعبد فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة مرسلًا ١٧٢/١، رقم ٤١٤، وقال الزرقاني في شرح الموطأ: ٤٩٦/١، قال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، وقد صحَّ موصولًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وابن سعد في الطبقات ٢٤٠/٢، وأخرجه الحميدي، باب الجنائز ٤٤٥/٢، رقم ١٠٢٥، والديلمي في مسنده ٤٩٣/١، رقم ٢٠١٠، وأسنده البزار عن عمر بن محمد عن زيد عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ، وقوله: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» محفوظ من طرق كثيرة صحاح، وعمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب من ثقات أشراف أهل المدينة، روى عنه مالك والثوري وسليمان بن بلال، فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له بلفظ الموطأ سواد وهو من تقبل زيادته وله شاهد عند العقيلي من طريق سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح ٢٣٤/١، رقم ٧٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ٨٨/٢، رقم ١٣٣٠، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ٣٧٦/١، رقم ١٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٦/٢، رقم ٧٣٥٢، وأبو يعلى في مسنده ٣٣/١٢، والحميدي في مسنده ٤٤٥/٢، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند ٨٨/١٣: إسناده صحيح، وذكره الدارقطني في علله ٢٢١/٢، رقم ٢٣٣، وقال: "والمحفوظ هو الموقوف"، وقال الألباني في تحذير الساجد ص١١٣: سنده صحيح.

يُحذِّر أصحابه وسائر أُمَّته من سوء صنيع الأمم قبله، الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم من امتثال طرقهم"[١].

ج- **من الإجماع**: "لا يتردد مؤمنٌ يعلم هذا في تحريم ذلك، ولا يعتبر من الخلاف ... وما خالف فيما نُقل عن العلماء إلا يحي الزيدي[٢] حيث قال: " يجوز بناء القباب والمساجد على قبور أهل الفضل لاستعمال المسلمين ذلك، ولم ينكروه"[٣]، ولكن لا يلتفت لقوله، ولا يقدح في الإجماع بل الإجماع قادح فيه.

ويُرَدُّ على هذا المخالف من سبعة أوجه:

أولًا: مخالفته لما جاء عن رسول ﷺ كما تقدَّم في حديث اللَّعن واشتداد الغضب وغيرهما من أمر رسول الله ﷺ بهدمها وتسويتها.

ثانيًا: مخالفته لفعل رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٤].

والآية دالَّةٌ على عدم جواز مخالفة أمر رسول الله ﷺ ونقض الإجماع.

قال ابن كثير رحمه الله: "ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ،

---

(١) التمهيد ٥/٤٥.

(٢) هو: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس الزيدي، ولد بصنعاء في ٢٧ صفر سنة ٦٦٩هـ، له مؤلفات منها: الحاوي في الفقه، المحصل في شرح أسرار المفصل، مات سنة ٧٠٥هـ بمدينة ذمار ودفن بها. ينظر: البدر الطالع ٢/٣٣١.

(٣) البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ٢/١٣٢.

(٤) سورة النساء: ١١٥.

فصار في شقٍّ والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبيَّن له واتضح له، وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأُمَّة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيِّهم"[1].

ثالثًا: مخالفته للصحابة رضي الله عنهم حيث لم يفعلوا.

رابعًا: مناقضة فهمه لما فهمه رسول الله ﷺ وصرح به من أنَّ ذلك النهي في قبور الأنبياء والصلحاء الذي قيّد به هو النهي.

خامسًا: مخالفته لما عليه سلف الأُمَّة وعلمائها.

سادسًا: فتحه بفتواه باب عبادة الأوثان كما يُرى موجودًا أو حاضرًا بكلِّ ذي بصر وبصيرة.

سابعًا: مخالفته لما خاف رسول الله ﷺ على أُمَّته من التشبه باليهود والنصارى وغيرهم بفتواه التي تدلُّ على أنه لا خوف عليهم من ذلك[2].

د- من بالقياس:

أنَّ ضرر مسجد لآخر يُنقص جماعته وعمارته، وكذلك هذه الأبنية التي حالت بين السواد الأعظم من المسلمين وبين مساجدهم وبيوت ربهم وجرَّتهم إلى الويلات وعبادة الأوثان فيها والسجود والركوع إلى العظام النخرة بها، وسؤال الحوائج التي لا يقدر عليها إلا الله من رممهم البالية وتعظيمهم كتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ والتقرُّب

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٤١٢.

(٢) ينظر: حكم السُنَّة والكتاب في الزوايا والقباب، ص٢٩-٣٠، ٥٣-٥٦.

إليهم بالأموال، والذبائح، وعقر الحيوان وتسييبها لهم، واعتقاد أنَّ الله رهن إشارتهم، وطوع أيديهم، وأوامرهم، وأنَّ المجيء إليهم لا يخشى من ربٍّ ولا مربوب، وإن فعل ما فعل(1).

وإذا كان شأن هذه البيوت والقباب والزوايا هو نفسه شأن مسجد الضرار فإنها تُلْحَقُ به بجامع الضرر المتحقِّق من قبلها.

ب- الطريقة الدرقاوية وانتشارها

١- الطريقة الدرقاوية:

عُرفت بطريقة خرق العوائد(2)(3)، ومثَّلها العربي الدرقاوي، وتلميذه البوزيدي، وأحمد بن عجيبة، وهي تدعو إلى تصوف عملي اجتماعي يشارك في الحياة السياسية والاجتماعية، ويرجع في ذلك الكتاب والسُّنَّة وسيرة السلف الصالح في الأقوال والأفعال والعبادات(4)، وكانت لها شارات عرفت بها سلوك الطريقة الدرقاوية وهي: لبس المرقعة(5)، وتقلُّد السبحة ذات الحبَّات الخشبية الكبيرة، ويلفُّونها حول أعناقهم، وحمل العصا في اليد(6).

وقد اشتهر الدرقاويون بالذكر جهرًا واعتبروه أساسًا في طريقتهم، وقد

---

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص٥٨.

(٢) خرق العوائد: كل ما تعودته النفس وألفته واستمرت معه حتى صعُب خروجها عنه، فخرق العوائد إبدالها بضدها، وخرق العادة هو: تجاوز وتقويض وإبطال المألوف. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/٢٨١.

(٣) ينظر: الفهرسة، ص٥٢.

(٤) ينظر: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين ١٨/١٩، ص١٦، الزاوية الدرقاوية بحاضرة آسفي، ص١٦.

(٥) ينظر: كشف المحجوب، ص٢٤١.

(٦) ينظر: الزاوية الدرقاوية بحاضرة آسفي، ص١٧.

استحسنه العربي الدرقاوي[1]، ووصف المعسكري الذكر عند العربي الدرقاوي بقوله: كانت حلقات الذكر عنده هي أسس الوسائل وأسمى الفضائل[2].

ولا شكَّ أنَّ إطلاق مرجعيتها إلى الكتاب والسُّنَّة يتنافى مع واقعهم الاعتقادي والسُّلوكي، فكيف بمن كانت عقائدهم الحلول ووحدة الوجود، وتقديس الأولياء، والاعتقاد فيهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، وأنَّ فيهم أقطابًا وأوتادًا يستغاث بهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ومؤلفاتهم تدينهم بالضلال، كيف يجتمع هذا مع ادعاء الرُّجوع إلى الكتاب والسُّنَّة؟

ولهذا لا يرتاب المسلم في أنَّ أصحاب هذه الطرق خارجون عن السُّنَّة بعيدون عنها، فمن ادَّعى أن عمله وفق سيرة السَّلف الصالح فليأت بدليل ولن يجد، فهؤلاء القوم حينما غلب عليهم الهوى مع الجهل بطريقة أهل السُّنَّة، توهموا أنَّ ما ظهر لهم بعقولهم هو الطريق القويم دون غيره، فساروا عليه، فحادوا بسببه عن الطريق المستقيم، فهم ضالون من حيث ظنوا أنهم راكبون للجادة، كالذي يمر بالليل على الجادة، وليس له دليل يهديه، فيوشك أن يضل عنها فيقع في متاهة، وإن كان بزعمه يتحرَّى قصدها، فالمبتدع من هذه الأُمَّة إنما ضلَّ في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله عَزَّوَجَلَّ[3].

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أنَّ الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور، ولم يجاوزوها بشيء، ولم يولدوا كلامًا مما لم يجئ فيه أثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم تكن بدعة"[4].

---

(١) شورا الطوية في مذهب الصوفية، مخطوط، ل/٣١.

(٢) كنز الأسرار في مناقب العربي الدرقاوي، مخطوط، ل/٣١.

(٣) ينظر: الاعتصام ١/١٣٤.

(٤) شرح السُّنَّة، ص٤٦.

٢- انتشار الطريقة الدرقاوية داخل المغرب وخارجه.

انتشرت الطريقة الدرقاوية في المدن والبوادي المغربية، وكانت تضم في سنة ١٩٣٩م حوالي ٣٣٩٥٦ ألف تابع في المغرب موزعة على الشكل الآتي[١]:

المنطقة	عدد أتباع الدرقاويين
وجدة[٢]	٢٥٨٨
تازة[٣]	٢٨٥٧
فاس	٤٧٨١
مكناس	١٠١٨
القنيطرة[٤]	٦٩٧

(١) المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، العدد ١٤/١٣، ١٩٩١، مجمل التاريخ الديني بالمغرب ص١٤٠-١٤١.

(٢) وجدة: مدينة كبيرة مسورة قديمة، كثيرة البساتين والمياه والعيون، طيبة الهواء، جيدة التربة، وعليها طريق المار والصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب، وسجلماسة وغيرها، وهي أقرب مدينة مغربية إلى الحدود الجزائرية، اختطها زيري بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر المغراوي، سنة ٣٨٤هـ، وبنى بها الملوك المرابطون والموحدون عدَّة مآثر، افتتحها يوسف بن تاشفين. ينظر: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٧٧، تاريخ ابن خلدون ٤٣/٧، تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص١٥١.

(٣) تازة: من أقدم المدن المغربية، تقع وسط قبيلة غياثة في منتصف الطريق بين مكناس ووجدة على بعد ١٢٠ كلم شرق فاس و٢٥٥كلم من وجدة في موقع جبلي بين الأطلس المتوسط وجبال الريف في ممر إستراتيجي عظيم بين الغرب الشرقي وسهول فاس، أُسِّست سنة ٥٢٩هـ، وتقع فوق هضبة مرتفعة نحو ٦٠٠م تحيط بها الجنان والحقول والبساتين وغابات الزيتون، وتضم عدة مآثر تاريخية. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٩٥.

(٤) القنيطرة: تقع على بعد ١٠كلم شمال الرباط، و١١٤كلم جنوب القصر الكبير، و١٤٩كلم من مكناس، بناها الحسن الأول على الضفة اليسرى لنهر سبو في أوائل هذا القرن، وبنى بها قصبة كبرى على بعد ١٠ كلم من مصب النهر في المحيط الأطلسي، وعلى مقربة منها توجد عدة آثار رومانية في مكان يدعى تموزيد على بعد ٤ =

الرباط[1]	٩٨٩
الدار البيضاء[2]	٤٠٥٠
الجديدة[3]	٣٠٦١
أسفي	٩٦١
مراكش	٧٧٩٢
وسط الأطلس[4]	١٣٢٩
تافيلات[5]	١٧٧٩

=

كلم من المدينة. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٨٤.

(١) الرباط: مدينة تقع على المحيط الأطلسي، اختطت زمن الموحدين في القرن السادس للهجرة، وكانت تُسمى رباط الفتح، وهي الآن عاصمة المغرب السياسية. ينظر: البداية والنهاية ١/١٧٢.

(٢) الدار البيضاء: اختطها عبد الرحمن بن عديس، وبناها مروان بن الحكم، وهي عاصمة المغرب التجارية. ينظر: المسالك والممالك ٢/٦٠٤.

(٣) الجديدة: عاصمة لناحية دكالة، وبها ميناء متوسط على الشاطئ الأطلسي، احتل المدينة البرتغال سنة ٩٠٨هـ إلى أن تمكن محمد بن عبد الله من إجلائهم عنها سنة ١١٨٣هـ، وكانت تُسمَّى من قبل بالبريجة والمهدومة، ولا زالت بها عدة آثار برتغالية، وتقع المدينة على بعد ٩٧ كلم من الدار البيضاء، و١٧ كلم من أزمور، و١٩٥كلم من مراكش، و١٥٠كلم من آسفي. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر، ص٧٥.

(٤) وسط الأطلس: يطلق هذا الاسم على السلسلة الجبلية التي تفصل المغرب إلى شطرين، من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأطلس الكبير، الأطلس المتوسط، الأطلس الصغير، ويتراوح ارتفاعها في بعض النقاط من ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠م. ينظر: تعريف بالمدن والفرى والقبائل والأسر، ص٧٤.

(٥) يطلق اسم تافيلات -من الناحية الإدارية- على مجموعة من الواحات الواقعة على ضفتي وادي زيز، والضفة اليمنى لواد غريس، وواحات النيف، وتبلغ مساحة هذه الواحات نحو ١٢ ألف هكتار، ويبلغ عدد النخيل بها نحو ٣٦٠ ألفًا وتزدهر بتافيلات عدة صناعات محلية أهمها صناعة دبغ الجلود. ينظر: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر، ص٩٥.

مناطق الحدود المغربية الجزائرية	٢٠٥٤
المجموع	٣٣٩٥٦[١]

وكانت الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر أرضية خصبة لنشر الطريقة الدرقاوية؛ لسوء الأوضاع السياسية والاجتماعية، والاقتصادية[٢]، ولهذا شكَّلت الجزائر بالنسبة للدرقاويين بلادًا لنشر دعوتهم والبحث عن مريدين جدد وسط السكان المستائين من حكم العثمانيين، فأصبح شاذلية الجزائر يُعرفون بالدرقاويين خاصة بغرب البلاد، فهم يمثِّلون الفرع المغربي للشاذلية[٣].



(١) هذه الإحصائية قبل ثلاث وعشرين سنة، فما بالك الآن فهم في تزايد، ولم أستطع أن أحصل على إحصائية جديدة قبل إكمال الرسالة، رغم حرصي على ذلك.

(٢) ينظر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ص١١٧-١١٨.

(٣) الدور السياسي للطريقة الدرقاوية في العلاقات بين المغرب والجزائر ١/٢٦٠.

المبحث الثاني: دوره في تأسيسها

سلك ابن عجيبة الطريقة الدرقاوية عام ١٢٠٨هـ، عندما التقى بشيخه البوزيدي، لكن ابن عجيبة كان ميَّالًا للفكر الصوفي قبل هذا التاريخ فابن عجيبة "لم يجعل من تلك السَّنَة تاريخًا لانتسابه للتصوُّف، وتفضيله على الميادين الأخرى، بل إنَّ مقصوده أنه في هذه السَّنَة(١) اتخذ له شيخًا مربِّيًا، وإلا فإنَّ ميله إلى الفكر الصوفي كان منذ الصغر"(٢).

ودلَّ على ذلك أنه ذكر سبب بداية انتقاله من العلم إلى العمل أنه وجد نسخة من كتاب الحكم لابن عطاء الله ثم نسخها وطالع عليها شرح ابن عباد(٣)، ثم حُبِّبت له الخلوة والتعبُّد في مقامات الصوفية، وقد عزم على الطلوع إلى ضريح عبد السلام بن مشيش بالجبل للتعبُّد، لكنه عدل عن ذلك(٤).

ثم ذكر بعد ذلك تحوله الكامل إلى الطريقة الدرقاوية الشاذلية، فلقد التقى بالشيخ، وأخذ عنه علم الباطن سنة ثمان ومائتين وألف، ثم التقى بالشيخ مولاي العربي، وسيدي محمد البوزيدي، مرة أخرى في زروال ومكث عندهم ثلاثة أيام يتدارسون التصوف، فتأثَّر بهم ابن عجيبة، ثم قال لشيخه البوزيدي: "أنا من أصحابك"(٥).

---

(١) سنة ١٢٠٨هـ، والتي سلك الطريقة الدرقاوية على يد شيخه البوزيدي.

(٢) إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين ١٨/١٩، ص١٣٩.

(٣) هو: محمد بن إبراهيم بن عباد النفري الرندي، ومدينة رندة في الأندلس، واستقرَّ بفاس، وله مؤلفات منها: غيث المواهب العلية، كفاية المحتاج، توفي سنة ٧٩٢هـ. ينظر: الأعلام ٥/٢٩٩.

(٤) ينظر: الفهرسة، ص٤٠-٤١.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٥.

ثم سافر ابن عجيبة إلى تطوان فبدأ يراسله البوزيدي وكتب إليه رسالة مضمونها: إن أردت مفاتيح العلوم، ومخازن الفهوم، فعليك بالقدوم، فقدم إليه ابن عجيبة ولقَّنه الورد ثم قال ابن عجيبة لشيخه: "أنا بين يديك افعل بي ماشئت"(١)، ثم قام بخدمة شيخه وتتلمذ على يديه قال: "وأقيم معه أيَّامًا نتفنَّن في العلوم اللَّدنية، فأنا الذي بنيت غرفته التي يسكن فيها، والمطبخ والحمَّام"(٢).

وبعد ذلك أذن له الشيخ بتلقين الناس الأوراد، إذ يقول: "ولما فتح الله علينا في علم الحقيقة أذن لي الشيخ في الخروج إلى تذكير عباد الله، وتلقين الأوراد، فخرجنا في جماعة من الفقراء إلى القرى نذكِّر الناس، وكانوا يدخلون في دين الله أفواجا، وعلَّقوا التسابيح في أعناقهم"(٣).

والطريقة الدرقاوية إذ ذاك لم تكن معروفة بين سُكَّان تطوان أو هي على الأقل غريبة بينهم.

دلَّ على ذلك قول ابن عجيبة بعد أن ذكر كيفية انتسابه إلى الدرقاوية وخرقه للعوائد، ولبسه لباس الفقراء.

قال: "... فدخلت المدينة بتلك الجلابية والفقراء معي ... والناس ينظرون ويتعجَّبون"(٤).

فتعجُّب سُكَّان تطوان من سلوك الدرقاويين يدلُّ على غرابة هذه الطريقة في المدينة قبل ابن عجيبة، إضافة إلى أنَّ الكلام في الحقائق على اصطلاح الصوفية لم

---

(١) الفهرسة، ص٤٦.

(٢) الفهرسة، ص٤٦.

(٣) الفهرسة، ٤٧-٤٨-٤٩.

(٤) الفهرسة، ص٥٣.

يكن معروفًا ومنتشرًا قبل (أي قبل ابن عجيبة) في تطوان، أي قبل سنة ١٢٠٨هـ وهي السَّنَة التي أصبح فيها ابن عجيبة صوفيًّا درقاويًّا.

وهذا يدلُّ على أنَّ العربي الدرقاوي كان حريصًا ألَّا تنتشر طريقته وسط طرقٍ مخالفة لأسس طريقته[1]، أو مناقضة له، إلا بعد أن يجد لها شخصية مهيئة لتلك المهمة[2]، فلقد كان كل من العربي الدرقاوي ومريده محمد البوزيدي يبحثان عن عالم من علماء الظاهر يجلبانه إلى صفِّهما ويستطيع القيام بهذه المهمة، وهكذا أصبح ابن عجيبة منذ ذلك الوقت المتحدث باسم الطائفة الدرقاوية[3].



(١) الطريقة الريسونية، والحمدوشية، وسبق الحديث عنها.

(٢) ينظر: تاريخ تطوان ٣/٢١١.

(٣) ينظر: كنز الأسرار، مخطوط، ل/١٢٤، إشكالية الفكر الصوفي، ص١٣٤.

المبحث الثالث:
موقف أعلام السُّنَّة من الطريقة الدرقاوية

دلَّت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على أنَّ المنهج الحق والصراط المستقيم هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فمن تمسَّك به نجا، ومن حاد عنه ضلَّ وغوى.

وعلامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق، كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمَّة المسلمين في كلِّ بلدٍ إلى آخر ما كان من العلماء، ومن كان على مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء[1].

والطريقة الدرقاوية كغيرها من الطرق الصوفية التي أفسدت أعمالها بشطحاتهم[2] التي أخرجتهم عن الكتاب والسُّنَّة وما عليه سلف الأُمَّة، "فانظر رحمك الله كلَّ من سمعته من أهل زمانك خاصَّة فلا تعجلن ولا تدخلن في شيءٍ منه حتى تسأل، وتنظر هل تكلَّم به أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسَّك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النَّار"[3].

وعندما سُئل عبد الرحمن بن مهدي[4] عن هؤلاء القوم ومناهجهم التي وضعوها، بيَّن أن بعضهم أخرجهم الأمر إلى الجنون وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة[5].

---

(١) ينظر: الشريعة، للآجري ١/٣٠٠.

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان ١/١١٩.

(٣) شرح السُّنَّة، للبربهاري، ص ٦٦.

(٤) هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد العنبري -وقيل: الأزدي- مولاهم، البصري، اللؤلؤي، ولد سنة ١٣٥هـ، عالم بالحديث، وكان ثقة من الحُفَّاظ، توفي سنة ١٩٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٩/١٩٣.

(٥) ينظر: الحث على التجارة والصناعة والعمل، للخلال، ص٧٢-٧٣.

وقد أنكر ابن العربي المالكي[١] زعمهم أنَّ صفاء القلب يوجب تجلِّي العلوم فيه وهو سبب لانكشاف الأسرار بقوله: "إنه خطأ بحت ودعوى عريضة لا برهان عليها من العقل، ولا من جهة السمع ... فإن أرادوا أن الفكر في المخلوقات والآيات يوصل إليها فباطل أيضًا قطعًا، وما أعلمني بما يحومون حوله ويسفون عليه"[٢].

ولقد دعا أهل السُّنَّة إلى الابتعاد عن مناهج الطرق الصوفية، والتي حملت البلايا والرزايا، ومن بلاياهم القول بوحدة الوجود، وتقديس القبور في مشارق الأرض ومغاربها قال القرطبي: "قال علماؤنا: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد"[٣]، وهم يعتقدون أن بركة الأولياء موجودة حتى بعد موتهم وأنَّ الكون يُسيِّره الأولياء، وهذا قول لأحد الفقراء الذي فتح لي الزاوية الدرقاوية في بني زروال أثناء الدراسة الميدانية التي أجريتها شمال المغرب العربي بتاريخ ١٤٣٨/٥/٨هـ، فلقد قال: إنَّ المطر يأتينا ببركة سيدي الدرقاوي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب تحذير الأُمَّة من خطر الصوفية، والعودة بهم إلى الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه الصحابة ﷺ ذلكم هو الطريق النافع للأُمَّة والذي يخلِّصها من الأوضاع المهلكة والتي من أعظم أسبابها الفكر الصوفي وعقائده ومناهجه[٤]. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٥].

---

(١) هو: محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الأشبيلي، ولد سنة ٤٦٨هـ، له مؤلفات منها: عارضة الأحوذي، العواصم من القواصم، توفي سنة ٥٤٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠.

(٢) قانون التأويل، ص ٥٥٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٠/١٠.

(٤) ينظر: كشف زيف التصوف وبيان حقيقة وحال حملته، ص٥٢، ٩٤.

(٥) سورة الأحزاب: ٧٠.

قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: "فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البر والشفاء من قِبلها، ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها"(١).

وعندما سُئل الإمام مالك عن أفعالهم من رقصاتهم وشطحاتهم، قال: ما سمعتُ أنَّ أحدًا من أهل الإسلام يفعل هذا(٢).

وما مذهب الصوفية إلا بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب وسنة.

فرحم الله عبدًا حذَّر من هذه الطرق وجانب البدع واتبع ولم يبتدع ولزم الأثر، وطلب الطريق المستقيم واستعان بمولاه الكريم(٣).

موقف أعلام السُّنَّة من قول ابن عجيبة (إنَّ أهل السُّنَّة هم الأشاعرة):

صرَّح ابن عجيبة بذلك في قوله: "أمَّا أهل السُّنَّة فهم الأشاعرة"(٤).

وهذا القول لا صحة له بالأدلة المحررة من علماء أهل السُّنَّة الذين بيَّنوا صفات أهل السُّنَّة والجماعة.

أولًا: تعريف أهل السُّنَّة: أهل الشَّيءِ هم أخصُّ الناس به، يُقال في اللغة: أهل الرَّجل: أخصُّ الناس به، وأهل البيت: سُكَّانه، وأهل الأمر: ولاته، وأهل المذهب: مَن يدين به(٥).

---

(١) الحوادث والبدع، ص١٨-١٩.

(٢) ينظر: ترتيب المدارك ٢/٥٤.

(٣) ينظر: الشريعة ١/٣١٤.

(٤) تفسير الفاتحة الكبير، ص٣٤٧.

(٥) مقاييس اللغة ٢/١٥٠، ولسان العرب، ١١/٢٩، مادة (أهل).

ثانيًا: تعريف السُّنَّة لغة واصطلاحًا

السُّنَّة في اللغة: مشتقَّة من (سَنَّ)، قال ابن فارس: "السين والنون أصلٌ واحد مطرد، وهو جريان الشَّيءِ واطراده في سُهولة، والأصل قولهم سَنَنْتُ الماء على وجهي أسُنُّهُ سَنًّا: إذا أرسلته إرسالًا"[1]، وهي الطريقة والسِّيرة[2].

قال الأزهري: السُّنَّة: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل فلان من أهل السُّنَّة معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة[3].

أمَّا في اصطلاح المحدِّثين فهي: ما أُثِر عن النَّبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[4].

وفي اصطلاح الأُصوليين "ما جاء منقولًا عن النَّبيِّ ﷺ على الخصوص مما لم يُنص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نص عليه من جهته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كان بيانًا لما في الكتاب أوَّلًا، وتُطلق على ما جاء عن النَّبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير"[5].

وإذا أُطلق مصطلح أهل السُّنَّة فالمراد به أحد معنيين:

المعنى الأول: معنى عامٌّ، فيدخل فيه كلُّ ما سوى الرافضة[6]، من الطوائف المنتسبة للإسلام.

---

(١) مقاييس اللغة، ٣/٦٠.

(٢) ينظر النهاية، لابن الأثير ٢/٤٠٩.

(٣) ينظر تهذيب اللغة ١٢/٧٢.

(٤) ينظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص٣.

(٥) الموافقات ٤/٣.

(٦) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٨٩، منهاج السُّنَّة النبوية ٢/٩٦، أصول مذهب الشيعة الإمامية ١/١٠٨.

فيقال: المنتسبون للإسلام قسمان: أهل السُنَّة، والشيعة، كما بيَّن شيخ الإسلام رحمه الله، وهو المعنى المشهور عند العامة، فإنهم لا يعرفون ضدَّ السُنِّي إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سُنِّيٌّ فإنما معناه عندهم: لست رافضيًّا[1].

وقد ورد عن بعض السَّلف هذا المعنى، فقد سُئل سفيان الثوري رحمه الله: يا أبا عبد الله ما موافقة السُنَّة؟ فقال: "القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود من قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قولٌ وعملٌ ونيَّة يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنيَّة، ولا يجوز القول والعمل والنيَّة إلا بموافقة السُنَّة ... وموافقة السُنَّة تكون بتقديم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما"[2].

المعنى الثاني: معنى أخص، وهو ما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء، وهو الأكثر استعمالًا وعليه كتب الجرح والتعديل[3].

قال الشاطبي رحمه الله: "ويطلق (أي لقب السُنَّة) في مقابلة البدعة، فيقال: فلانٌ على سُنَّة إذا عمل على وفق ما عليه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أو لا، ويقال: فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك"[4].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "فلفظ أهل السُنَّة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يُراد به أهل الحديث والسُنَّة المحضة، فلا يَدخل فيه إلَّا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول إن القرآن غير مخلوق،

(١) مجمل الاعتقاد ضمن مجموع الفتاوى ٣/٣٥٦، منهاج السُنَّة النبوية ١/١٢١.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٧-٨.

(٤) الموافقات ٤/٤.

وإنَّ الله يُرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث"[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "فأهل السُّنَّة المحضة السالمون من البدع الذين تمسَّكوا بما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه في الأصول كلها، أصول التوحيد والرسالة والقدر ومسائل الإيمان وغيرها، وغيرهم من خوارج ومعتزلة وجهمية وقدرية ورافضة ومرجئة ومن تفرع عنهم كلهم من أهل البدع الاعتقادية"[2].



(١) منهاج السُّنَّة ٢/١٦٣.

(٢) الفتاوى السعدية، ص٦٣-٦٤.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالكمال البشري عزيز، ويأبى الله العصمة لكتابٍ غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، والمقام هنا لذكر أهم نتائج البحث وهي كالآتي:

١- طَرَق التصوف أبواب مدينة تطوان في أوائل القرن الحادي عشر، وانتشرت الطرق الصوفية التي كان لها أثر على الحياة الاجتماعية في مدينة تطوان، وتكوَّنت قبل قيام ابن عجيبة بدعوته لطريقته الصوفية مثل: الطريقة الريسونية، والعيساوية، والناصرية.

٢- لم تكن طريقة ابن عجيبة معروفة بين سُكَّان أهل تطوان أو كانت غريبة عليهم، فعندما دخل عليهم ومعه الفقراء رافعين أصواتهم بالذكر لابسين الجلابية الغليظة تعجَّبوا منهم، واستنكروهم.

٣- لم يكن الكلام في الحقائق -حسب مصطلحات الصوفية- معروفًا ومنتشرًا بين أهل تطوان إلا في سنة ١٢٠٨هـ، وهي السَّنة التي أصبح فيها ابن عجيبة صوفيًّا درقاويًّا، ولا يعني ذلك أنه لم يكن متصوفًا، بل ذكره لكرامات أسرته وخلواتهم وعزلتهم دالة على تأثُّره بالتصوف منذ حداثة سِنِّة، فلقد وجد ابن عجيبة في مدينة تطوان منذ أواخر سنة ١٢٠١هـ إلا أنه لم يكن سالكًا للطريقة الصوفية الدرقاوية رسميًّا إلا سنة ١٢٠٨هـ.

٤- عاش ابن عجيبة في القرن الثالث عشر الهجري، ويعدُّ مؤسسًا ومجددًا

للطريقة الدرقاوية، التي تعدت حدود المغرب، وانتشرت في بداية العصر الحديث في كثير من البلدان الإسلامية والأوربية، ويتضح ذلك من خلال كثرة زوايا الطريقة الدرقاوية، وكثرة طباعة كتب ابن عجيبة في مصر وسوريا.

٥- ابن عجيبة أشعريٌّ متأخِّر، وصوفيٌّ في السُّلوك، ولم ينقل عن أهل السُّنَّة من كتبهم إلا في مواضع يسيرة، فهو أشعريٌّ يميل إلى الجبر، ولديه اضطرابٌ وتناقض.

٦- يستدلُّ ابن عجيبة بالكتاب والسُّنَّة، ومصادره المعتمدة في التطبيق هي الكشف، والذوق، والرؤى، والحكايات.

٧- وقع ابن عجيبة في كثيرٍ من البدع كالتبرُّك بالقبور، والصَّلاة عندها والطواف والدعاء.

٨- خالف ابن عجيبة في مفهوم الإيمان فزعم أنه هو التصديق فقط.

٩- سار ابن عجيبة وفق منهج الصوفية في أنَّ التوحيد لا يمكن التعبير عنه، وأنَّ التوحيد الحقيقي هو وحدة الوجود، أمَّا توحيد العوام فهو التوحيد الذي أُرسل به الرُّسل عليهم السَّلام.

١٠- فسَّر ابن عجيبة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية.

١١- غلا ابن عجيبة في النَّبيِّ محمَّد ﷺ، مما أدَّى إلى إخراجه من طور البشرية إلى الألوهية، وأنَّ الكون خُلِق من نوره.

١٢- اعتقد ابن عجيبة بأنَّ الوليَّ مساوٍ للنَّبي، فهو يكشف الضر، ويعلم الغيب، ويُستغاث به.

١٣- انحرف ابن عجيبة في أبواب القدر -رغم أنه وافق أهل العلم نظريًّا-

ولكنه قال بإسقاط التدبير والاختيار عن العبد، فهو جبريٌّ يقول بالكسب.

١٤- وقع ابن عجيبة في التأويل -أي تأويل صفات الله عَزَّوَجَلَّ وتفويضها- وبهذا خالف أهل السُّنَّة والجماعة مثل الأشاعرة.

١٥- يغلب على مؤلفات ابن عجيبة المطبوعة والمخطوطة الرموز والغموض، فهو يرى أنَّ أهل الظاهر لا يفهمون إلا ظواهر الشريعة، ولذلك نافح ودافع عن ابن عربي وابن الفارض والتلمساني واعتذر لهم، وبهذا فتح بابًا واسعًا لأصحاب الاتجاهات المنحرفة من ليِّ النصوص وتطويعها حسب أهوائهم بعيدًا عن المنهج الحق الذي عليه السلف الصَّالح.

١٦- ابتدع ابن عجيبة أذكارًا وصلوات مما أدَّى إلى انحرافه في أعمال القلوب وتسميتها بأحوال ومقامات ونتج عنها تأثُّره ببدعة وحدة الوجود.

١٧- عمد ابن عجيبة إلى إذلال النفس وترويضها ليحصل لها خرق العوائد وتتمكَّن من الرقي في المعارف، حسب زعمه.

١٨- يولي ابن عجيبة الشيخ مكانةً هامَّةً، فهو يرى طول صحبته، والإذعان والخضوع له، وعدم الإنكار عليه مهما رأى المريد، وبهذا لا يوجد شيءٌ منكرٌ، بل كل ما يراه المريد معروفٌ، وبهذا عطَّل شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٩- يعتقد ابن عجيبة أنَّ الخضرَ حيٌّ لم يمت، ويزعم أنه التقى به في جامع الجعيدي، وبهذا خالف ما عليه أهلُ العلمِ المحققون.

٢٠- لابن عجيبة مكانة عظيمة عند قومه، ولعلَّ بيان ما وقع فيه من مخالفات عقدية يكشف الغُمَّة عن عيون مريديه؛ ليعودوا إلى المنهج السليم المبنيِّ على الكتاب والسُّنَّة وفق فهم سلف الأُمَّة، بعيدًا عن خرافات الطريقة.

التوصيات

١- نشر العقيدة الصحيحة وفق منهج السَّلف الصالح، وبيان ما عليه المتصوِّفة من مخالفات عقدية خطيرة.

٢- مناصحة أصحاب البدع وتبصيرهم بالعقيدة الصحيحة.

٣- تعميق الدراسات العقدية عن الطرق الصوفية المنتشرة في بلدان العالم الإسلامي ومن ضمنها الريسونية والعيساوية وغيرها، وبيان ما فيها من مخالفات عقدية.

٤- أوصي طلاب العلم الوافدين من بلادهم والتي يكثر فيها مخالفات عقدية أن يُقدِّموا دراسات عقدية عمَّا يقع في بلادهم، وهذا من باب النصح لهم ودعوتهم إلى العقيدة الصحيحة، خاصَّة أنَّ بعض الجامعات العربية أخذت تُقَعِّد وتنشر الفكر الصوفي والطرقية، وذلك عن طريق فتح مسارات للماجستير والدكتوراه، وزيارات للأضرحة، ومن ذلك أن جامعة محمد الخامس قامت بزيارة مع طلاب الماجستير في الفكر الصوفي إلى ضريح المولى عبد السلام بن مشيش الذي يُعدُّ أول من أدخل التصوف إلى المغرب وهو من شيوخ ابن عجيبة.

٥- أوصي بالتفصيل في دراسة الطريقة الدرقاوية وإبراز آرائها وزعمائها ومخالفاتها، وواقعها المعاصر وردود أهل العلم عليها.

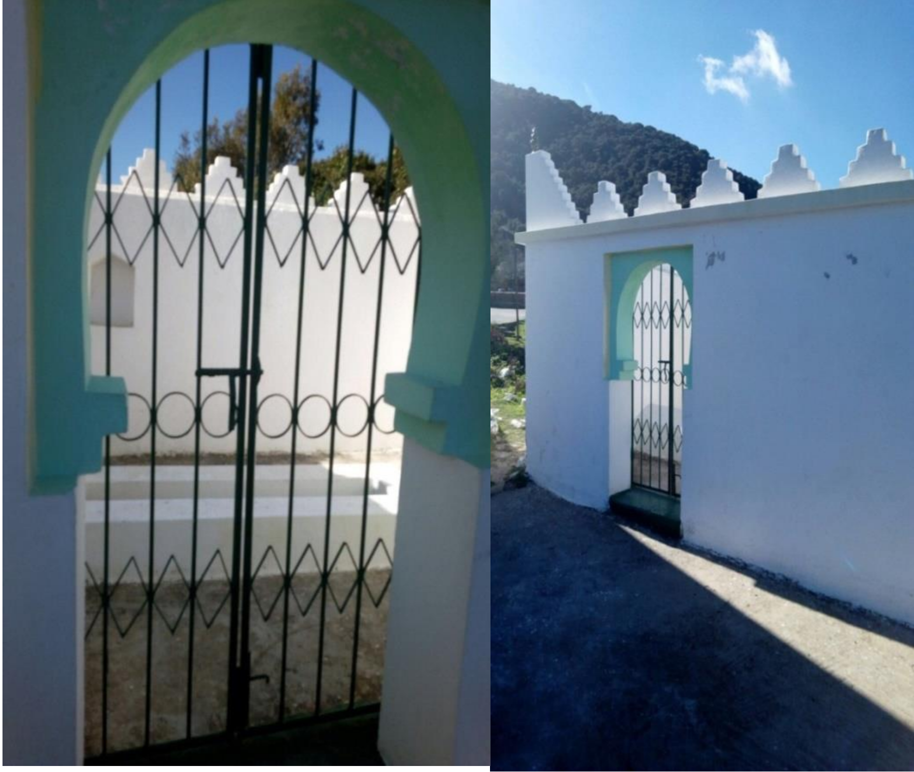
وفي الختام أحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن يسَّر لي إعداد هذا الكتاب، وأعتذرُ عن الخطأ والتقصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الملاحق



ضريح ابن عجيبة من بابه



ضريح ابنه عبد القادر بجانبه



باب ضريح أحمد ابن عجيبة



سور قبة ضريح أحمد ابن عجيبة



قبة ضريح ابنه عبد السلام



ضريح أحمد ابن عجيبة من الداخل



المكتبة من الداخل

الفهارس العلمية

١-فهرس الآيات القرآنية.
٢- فهرس الأحاديث والآثار.
٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.
٤- فهرس المصطلحات والغريب.
٥- فهرس الأماكن والبلدان.
٦- فهرس الفرق والمذاهب.
٧- فهرس المصادر والمراجع.
٨- فهرس الموضوعات.

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة		
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١	٢٢٥، ٣١٦، ٤٦٧، ٥٨٠
﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	٣	٢٢٥
﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾	٤	٢٢٥
﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾	٥	٤١٨، ٥٨٠، ٧٧٩
﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	٧	٢٣٦
سورة البقرة		
﴿الٓمٓ﴾	١	٨٤، ٨٦
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	٢	٨٤، ٨٦
﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٣	٧٨٤
﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾	٤	٥٥٦
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾	٢٩	٣٠١
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٩٦
﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾	٤٧	١٠٨
﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾	٤٨	٦٩١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾	٦٢	١٠٨
﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾	٧٥	٤٦٩

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٩٣	٤٥٦
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	٩٨	٤٣١
﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	١٠٢	١٨٦
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٠٦	٤٦٦
﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	١١٥	٢٨٢
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١٢٧	٣٦٠
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾	١٣٦	٤٥١، ٤٩٥، ٦٤٥، ٧١٨
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	١٤٣	٦٤٣، ٦٤٣
﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	١٤٧	٦١٦
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٥٨	٦٣١
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣	٢٢٣
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾	١٦٥	١٦١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	١٧٢	٦٨٤
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	١٧٧	٤٢٥، ٤٤٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾	١٧٨	٦٦٦
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾	١٨٥	٤٥٢
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	١٨٦	٣٠٨، ٣٠٩،

		٣٥٥
﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾	٢٠٥	٦٠٥
﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٢٥٣	٥٠٧
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾	٢٥٥	٢٥٠، ٢٦٨، ٣٣٧، ٤٦٦
﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾	٢٦٦	٢١٨
﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	٢٦٩	٦١٣
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٢٨٦	٦٨٥
سورة آل عمران		
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	١٤	١٨٩
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	٣١	١٦١، ٧١١، ٧٩٥
﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	٣٩	٤٢٢
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	٧١	٤٦٨
﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾	٧٨	١١٤
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٧٩	٤٠٤
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾	٨١	٢٠٢
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	٨٥	٦٤٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٠٢	٥
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	١٠٣	١٢٧، ٣٧١، ٤٩٨

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾	١٠٤	٤٩٠
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾	١٠٥	٣٧١
﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾	١٢٠	٦٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾	١٣٠	٥٨٣
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾	١٣١	٥٨٣، ٥٨٤
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾	١٣٣	٥٨٣، ٥٨٤
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾	١٧٣	١٩٤، ١٩٥، ٦٥٦
﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾	١٧٣	٣٦٠
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾	١	٥
﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾	٣	٧٨٢
﴿ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ ﴾	١١	٢١٨
﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾	١٤	٤٩٦
﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١٩	٦٤٠
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾	٢٦	٢٥٠، ٦٣١

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾	٢٨	٦٣١
﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾	٣١	٦٥٩، ٦٦٣، ٦٦٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾	٣٦	٤٥٢
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	٤٦	٤٦٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	٤٨	٤١٦، ٦٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾	٥٩	٧٠، ٧١، ٣٨٣، ٤٩٥
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾	٦٥	٦١٠
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾	٦٩	٤٩٦، ٧٢١
﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾	٩٣	٣١٤، ٦٠٥
﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾	١١٣	٦١٣
﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾	١٢٢	٥١٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾	١٥٠	٤٤٩
﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾	١٥٩	٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٠
﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾	١٦٣	٤٥٤، ٤٧٧
﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ﴾	١٦٤	٢٥٩، ٢٩٢، ٢٨٩، ٥٠٧

عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾		
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾	١٣٦	٤٤٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾	١٣٧	٤٤٨
﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾	١٧١	١٠٨
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾	٢	١٢٧
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾	٣	١٦٣، ١٧٨، ٦٥٣
﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾	٦	٦٣١
﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	١٢	٧٢٦
﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ ﴾	١٤	٣٧٣
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾	١٥	٥١٥، ٥١٧
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٣	١٩٤
﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾	٣٢	٦١٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٣٥	٧١٦
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٣٨	٦٠٠
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾	٤٤	٤٥٤، ٤٧٥

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾	٤٦	٤٥٤
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	٤٨	٤٦٦
﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٧٠	٧٤٧
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾	٧٧	٤١٩
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾	٧٨	٦٩١
﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾	٨٠	٦٠٥
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	٨٤	٤٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾	٨٧	٦٨٤
﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾	٨٨	٦٨٤
﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٩٧	٦١٣
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾	١١١	٥٠٤
سورة الأنعام		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾	١	٤٠٣
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾	١٧	١٨٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢١	٥٠٧
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ﴾	٣٨	٥٦٩

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا ﴾	٥٦	٦١٤
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾	٦١	٤٣٤
﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾	٦٨	١٢٨
﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٧٢	٣٥٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	٧٣	٦١٥
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ ﴾	٩٣	١١٤
﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾	٩٤	٦٨٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾	٩٥	٢٥٠
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ ﴾	١٠١	١٤٨، ٢٨٣
﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾	١٠٢	٥٧٩
﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	١٠٣	١٦٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾	١١٢	٦٢٩، ٥٠٢
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾	١١٥	٨٣١
﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾	١٢١	٦٧، ٥٠٢
﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾	١٢٤	٤٧٩، ٤٨١، ٧١٦
﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾	١٢٥	٦٣٠
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾	١٤٧	٥٩٩
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾	١٥٣	٤٨، ٧١، ٣٧٧
﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾	١٥٨	٥٤٨، ٥٤٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾	١٥٩	٣٧١
سورة الأعراف		
﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	٦	٤٩٧
﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	٨	٥٧١
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾	١١	٥٨٠
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾	٣١	٣٩٢
﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾	٣٢	٦٩٦، ٣٤٨
﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٣٣	٥٧٧
﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٥٠	٥٨٥
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾	٥٤	٢٧٦، ٣٠١
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾	١٤٢	٥٠٧
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ..﴾	١٤٣	١٦٦، ٢٩٢، ٣٢٢
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾.	١٥٨	٤٨٣
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	١٨٠	٢٤٦، ٢٥٦، ٢٥٨،٢٦٤
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾	١٨٧	٥٣٠
سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾	٢	٦٤٢، ٦٥٧
﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ	٩	١١٩، ١٨٣

ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾		
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	٧٦١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾	٢٤	٤٦٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	٢٩	٦٠١
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	٣٣	١٢١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٥	١٩٥
سورة التوبة		
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾	٦	٢٩٣
﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾	٣١	٣٩١، ٧١٧
﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾	٥٨	٦٠٤
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾	٥٩	٦٠٤
﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٦٠٤
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾	٦٨	٦٠٥
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾	٨٤	٣٧٧
﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	٩٦	٦٠٥

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	١٠٧	٨٢٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١٢٠	٦٧٨
﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾	١٢٢	١٠١
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾	١٢٤	٦٥٢
﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	١٢٩	٤١٨
سورة يونس		
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾	٣	٢٣٣
﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾	٤	٦١٥
﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾	٥	٦١٥
﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾	٢٦	٣٢٠، ٦٣٩
﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾	٣١	٦١٥
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾	٣٢	٦١٥
﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾	٥٣	٦١٦
﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾	٦٢	٥٠٠، ٧٠٩، ٧١٣، ٧٢١
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾	٦٣	٥٠٠، ٧٠٩، ٧١٣، ٧١٠
﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١٠٧	٢٥١

سورة هود		
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ ﴾	١٧	٤٨٥
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٨	٦٦٨
﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٣٤	٦٣٠
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٤٤	٣٠١
﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ ﴾	٥٠	٣٣٤
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾	٦١	٣٢٩
﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾	٧٧	٤٢٦
﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ ﴾	٨١	٤٢٣
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	١١٩	٤٨٤
سورة يوسف		
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾	١٧	٦٣٧
﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾	٣١	١٥٨
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾	٤٠	٢٦٠، ٢٦٢
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾	١٠٦	٣٣٦
سورة الرعد		
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾	٢	٢٩٧

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾	٥	٥٩٣
﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾	١٠	٥٩١
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ﴾	٣٨	٥٩٢
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾	٤	٤٨٤
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾	٢٧	٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٠
﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾	٣٧	٣٦١
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٢	٢٨٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾	٤٧	٢٥٦
سورة الحِجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٤٥٣، ٤٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾	١٦	٩٩، ١٠١
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٢٩	١٠٨
سورة النحل		
﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	١	٥٣٤
﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾	١٥	٩٢
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	٣٤٧
﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	١٥٤
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٥٠	٢٧٢
﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا ﴾	٦٦	٦١٨

﴿ خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾		
﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾	٦٨	٥٠٤
﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾	٧٧	٥٢٧
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾	٨٠	٦٢٦
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ ﴾	٨٩	٦١٣
سورة الإسراء		
﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾	٤	٥٩٠
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾	٣٦	٢٠٥، ٢٨٥، ٥٧٧
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾	٥٦	٧٦
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾	٥٧	٣١٠، ٧٩٣
﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾	٦٤	١٦٢
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	٦٧	٧٢٥
﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾	٧٥	١٣٥
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾	٨٨	٢٩٢، ٤٥٩
﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾	٨٩	٤٦١
﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾	٩٣	٥١٤
﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا ﴾	٩٧	٥٦٧

سورة الكهف		
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾	١	٤٥٣
﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾	١٤	١٦٦
﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾	١٦	١٢٨
﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾	٤٧	٥٦٥
﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾	٤٩	٢١٨، ٦٦٥
﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾	٥٠	١٦٤
﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾	٥١	٥٣٣
﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا﴾	٥٣	٥٦٨
﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾	٥٤	٤٦١
﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾	٥٨	٢٥١
﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾	٦٥	٨٠، ١٩٦
﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾	٦٦	١٩٨
﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾	٦٧	١٩٨
﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾	٦٨	١٩٨
﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾	٦٩	١٩٨
﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾	٧٠	١٩٨

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾	٨٢	١٩٦، ١٩٨
﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾	٩٢	٥٤٤
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾	٩٣	٥٤٤
﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾	٩٤	٥٤٤
﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾	٩٥	٥٤٤
﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾	٩٦	٥٤٤
﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾	٩٧	٥٤٤
﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾	٩٨	٥٤٢، ٥٤٤
﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾	٩٩	٥٤٢
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	١١٠	٣٤٣، ٥١٣، ٧١٠
سورة مريم		
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾	٧	٢٦٠، ٢٦٢
﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾	٩	٥٨٠
﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	١٢	٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣
﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾	١٧	٤٢٣
﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْئًا﴾	٤٢	٢٨٤
﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾	٥٢	٢٩٣، ٥٠٦
﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ﴾	٦٥	٢٢٥، ٢٣٤
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾	٦٨	٥٦٦

جِثِيًّا ﴾		
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	٧١	٥٧٥
﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾	٧٢	٥٧٥
سورة طه		
﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾	٥	٣٠٢
﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾	٨	٣٣٧
﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴾	١١	٥٠٧
﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾	١٢	٥٠٧
﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾	١٣	٢٩٣، ٥٠٧
﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾	٣٢	٤٠٢
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾	٥٠	٥٢٤
﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾	٦٦	١٨٦
﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾	٨٩	٢٩٥
﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾	١٠٢	٥٦٢
سورة الأنبياء		
﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾	١	٥٣٤
﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾	٢٣	٦١١
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾	٢٤	٢٠١
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	٢٥	٣٣٠، ٣٤٧
﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾	٤٥	٥٠١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾	٥١	٧٩٧
﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا ﴾	٨١	٥٩٢
﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾	٨٩	٦١٤
﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ ﴾	٩٠	٦١٤، ٧٩٣
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾	٩٦	٥٤٤
﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴾	١٠٣	٥٦٤
﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ﴾	١٠٤	٥٦٦
﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾	١٠٥	٤٥٤
سورة الحج		
﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾	٣١	٧٣٥
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾	٥٢	٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦
﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾	٧٠	٥٩٢
﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾	٧٥	٦٦، ١٣٠، ٤٨١، ٧٩٦
سورة المؤمنون		
﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٨٤	٥٩٨، ٦٠٧

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٨٥	٥٩٨، ٦٠٧
﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	٨٦	٥٩٨، ٦٠٧
﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٨٧	٥٩٨، ٦٠٧
﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٨٨	٥٩٨، ٦٠٧
﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾	٨٩	٥٩٨، ٦٠٧
﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾	١٠٨	٥٦٩
سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾	٢	٦٠٠
﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا ﴾	٢١	٦٨٢
﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	٣٥	٢٥٣
﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٦٣	٧٢، ١٦٣، ٣٩٤
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٤٥٢، ٤٦٣، ٤٨٣
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾	٢٠	٥١٤
﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾	٣٤	٥٦٧
﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ ﴾	٥٨	٤١٨
سورة الشعراء		
﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	١٩٦	٤٥٧
﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾	٢١٤	١٢٠

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾	٢٢١	٥٠٢
سورة النمل		
﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾	٦٠	٤٠٥
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾	٦٢	٣٥٧
﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٦٤	٧٢٣
﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾	٦٥	١١٨، ٧٢٧
﴿ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾	٦٦	٥٣٠
﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾	٨٢	٥٥٠
﴿ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴾	٨٥	٥٦٩
﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾	٨٦	٥٦٠
﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾	٨٨	١٥٨
﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	٩٣	٥٥٠
سورة القصص		
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ﴾	٧	٥٠٤
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾	١٤	٣٠١
﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا ﴾	١٥	١٢٠، ١٨٢، ٤١٥
﴿ حَرَمًا ءَامِنٗا ﴾	٥٧	٥٤١
﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ ﴾	٦٨	٥٩٥، ٥٩٦
﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ﴾	٨٨	٢٧٨

سورة العنكبوت		
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾	٦٧	٦٧٦
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٦٩	٧١٦
سورة لقمان		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٦	١٦٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾	٣٤	٥٣١
سورة السجدة		
﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾	١١	٤٣٣، ٤٣٤
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	١٢	٥٦٨
﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	١٣	٤٨٤
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	١٦	٧٩٣
﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾	٢٢	٢٥٦
سورة الأحزاب		
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾	٢٢	٦٥٢
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾	٣٣	٦٣١
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾	٤٠	٢٥٩، ٤٨٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾	٤١	٣٨٨، ٣٩٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	٤٥	٥١٥
﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	٤٦	٥١٥
﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾	٦٣	٥٣١

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾	٦٤	٥٨٥
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾	٦٥	٥٨٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠	٥، ٧٢، ٨٤٢
﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾	٧١	٥، ٧٢، ٨٤٢
سورة سبأ		
﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾	٢٣	٢٩٦
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٤٨٢
﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾	٥٠	٣٠٨
سورة فاطر		
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾	١٠	٢٧٢، ٢٨٠
﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾	١٢	٣٩٢
﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾	١٣	٤٠٥
﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾	١٤	٤٠٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾	١٥	٣٥٤
سورة يس		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ ﴾	١٢	٥٩٣
﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾	٣١	٥٢٤
﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾	٤٩	٥٦٣
﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٥٠	٥٦٣
﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٨١	١٤٩
سورة الصافات		
﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾	٧٧	٢٠٤
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٦	٤٥٩، ٥٨٠، ٦٢٦

سورة الزُّمر		
﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾	٠٧	٦٠٥
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾	٣٨	٦٠٧
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾	٤٢	٤٠٦، ٤٣٤
﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾	٥٢	٦١١
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾	٦٢	٦٢٦
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾	٦٧	٥٨٩
﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾	٦٨	٥٦٣، ٥٦٤
﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٧٥	٤٤١
سورة النمل		
﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾	٢	٢٧٢
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	٢٤	٣٥٤
﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	٣٤	٤٧٧
﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾	٣٦	٢٧٥
﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾	٥٥	٦٠٧
سورة فُصِّلت		
﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾	١١	٣٠١
﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	٥٣	٢٣٦

سورة الشورى		
﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾	٤	٢٧٢
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	١١	١٩٠، ٢٤٤، ٢٨١، ٢٨٥، ٣١٢، ٣١٥
﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ﴾	١٥	٤٥١
﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾	٢١	٤٠٧
﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾	٣٧	٦٦٥
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾	٥١	٥٠٣، ٥٠٦، ٥١٦
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾	٥٢	٥٠٣، ٥٠٦، ٥١٦
سورة الزخرف		
﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾	١٢	٣٠٠
﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾	١٣	٣٠٠
﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾	٢٠	٥٩٩
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾	٢٦	٣٣٥
﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾	٢٧	٣٣٥
﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	٤٠	٥٩٢
﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾	٤٤	٤٥٤
﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾	٥٥	٣١٣، ٦٠٥
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾	٥٧	٥٣٨
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾	٨٧	٥٩٩

سورة الدخان		
﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	٨	٥٥٢
﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾	٩	٥٥٢
﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾	١٠	٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣
﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	١١	٥٥٣
﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾	٣٨	٢٨٣
سورة الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا﴾	١٨	٣٦٩
﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾	١٩	٣٦٩
سورة الأحقاف		
﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٩	٣٧٤، ٣٧٥
﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾	٢٩	٤٨٤
﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾	٣٠	٤٨٤
﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾	٣١	٤٨٤
﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	٤٨٤
سورة محمَّد		
﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾	٤	٥٣٩
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾	١٧	٦٥٢
﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾	١٨	٥٣٣
﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾	٢٢	٥٣٥
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾	٢٤	٣٠٥
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	٢٨	٦٠٥

سورة الفتح		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾	٤	٦٥٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾	١٠	٧٦٠، ٧٦١
﴿ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ ﴾	٢٥	١٢١
﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾	٢٩	٢٥٩، ٣٠١
سورة الحُجرات		
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾	٩	٦٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾	١٣	١٥٥
سورة ق		
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾	٣٨	٢٨٣
سورة الذاريات		
﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾	٤	٤٣٠
﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	٢٢	١٨٦، ١٨٧
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾	٢٤	٤٢٦
﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾	٢٥	٤٢٦
﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾	٢٨	٢٥٠
﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٣٥	٦٤٤
﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٣٦	٦٤٤
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	٥١٩
سورة الطور		
﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾	٢	٤٥٨

﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾	٣	٤٥٨
﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾	٣٥	١٤٨
سورة النجم		
﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾	٣٢	٦٥٩، ٦٦٥
﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾	٥٦	٥٣٤
﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾	٥٧	٥٣٤
﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾	٦١	١٦٢
سورة القمر		
﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾	١	٥٣٢، ٥٣٤، ٥٣٥
﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞ﴾	٥	٦١٣
﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾	١٣	٥٢٧
﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾	٥٢	٤٥٨
﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾	٥٣	٦٦٥
سورة الرحمن		
﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾	١٤	٥١٤
﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾	١٥	٥١٤
﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾	١٩	٨٥
﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾	٢٠	٨٥
﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	٢٧	٢٧٧، ٢٧٨
﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	٧٨	٢٦٠، ٢٦٢
سورة الواقعة		
﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾	١	١٢، ٧٢٠
﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾	٢	١٢، ٧٢٠

﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾	٣	١٢، ٧٢٠
﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾	٤	١٢، ٧٢٠
﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾	٥	١٢، ٧٢٠
﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾	٦	١٢، ٧٢٠
﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾	٧	١٢، ٧٢٠
﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾	٨	١٢، ٧٢٠
﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾	٩	١٢، ٧٢٠
﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾	١٠	١٢، ٧٢٠
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾	١١	١٢، ٧٢٠
﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾	١٢	١٢، ٧٢٠
﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾	٧٧	٤٥٧
﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾	٧٨	٤٥٧
﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩	٨٦
سورة الحديد		
﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾	٣	١٤٨
﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾	٢٧	٨١١
سورة المجادلة		
﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	١	٢٨٧
﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	١٠	١٧٦
﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	٢٢	٦٤٢
سورة الحشر		
﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ	٧	٦١٣

﴿وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾		
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٢٢	٣١٥
سورة الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾	٤	٣٣٥
سورة التغابن		
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٥	٧٩١
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	١٩٥
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾	١٢	٥٢٢، ٦١٣
سورة التحريم		
﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾	٤	٧٢٢
سورة الملك		
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	١٤٨، ٢٦٩
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾	١٦	٢٧٥
﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾	١٧	٢٧٢
سورة الحاقة		
﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾	٢٢	٥٨٦
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾	٢٤	٦٠٠
سورة نوح		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾	٥	١٢١
﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾	٦	١٢١

﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾	٢١	٤٠٩
﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾	٢٣	٤١٢
سورة الجن		
﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾	١٨	٤١٤
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾	٢٠	٤١٩
﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾	٢١	٤١٩
﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾	٢٢	٤١٩
﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾	٢٣	٤١٩
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	٢٦	١١٧، ١٣٠
﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾	٢٧	١١٧، ١٣٠
﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾	٢٨	١١٧
سورة المدثر		
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾	٤	١٧٣
﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾	٨	٥٦٢
﴿ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴾	٩	٥٦٢
﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴾	١٠	٥٦٢
﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴾	١١	٢١٨
﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٣١	٤٢٩
﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴾	٣١	٤٢٨

سورة القيامة		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾	٢٢	٣٢٠
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٣	٣٢٠
سورة الإنسان		
﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٢٥	٣٨٤
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	٣٠	٦٢٩
سورة النازعات		
﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾	٥	٤٣٠
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾	٦	٥٦٣
سورة عبس		
﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾	٢١	٥٢٤
﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾	٢٢	٥٢٤
سورة التكوير		
﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾	٢٣	٤٣٢
سورة الانفطار		
﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾	٨	١٠٨
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾	١٧	٤١٨، ٦٩١
﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾	١٨	٤١٨، ٦٩١
﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾	١٩	٤١٨، ٦٩١
سورة المطففين		
﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦	٥٦٧
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾	١	٢٦٠، ٢٦٢
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾	١٨	٤٥٤

﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	١٩	٤٥٤
سورة الشمس		
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾	٩	١٩١
﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾	١٠	١٩١
سورة الليل		
﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾	٥	٧١٦
﴿ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾	٦	٧١٦
﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾	٧	٧١٦
﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴾	٨	٧١٦
﴿ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾	٩	٧١٦
﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾	١٠	٧١٦
سورة الضحى		
﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾	١١	٦٩٦
سورة القدر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾	١	٥٨٩
سورة العصر		
﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾	١	١٢٤، ٦٩٣
﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴾	٢	١٢٤، ٦٩٣
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾	٣	١٢٤، ٦٩٣
سورة قريش		
﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾	١	٦٧٦
﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾	٢	٦٧٦
﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾	٣	٦٧٦

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾	٤	٦٧٦
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾	١	٤٦٥
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١	٢٣٤، ٤٦٥
﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾	٢	٢٣٤
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾	٣	٢٣٤
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	٤	٢٣٤، ٣١٥

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث والأثر	الصفحة
أبشروا فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألف	٥٤٣
أتاني جبريل فقال يا محمد لولاك لما خلقت الجنة	٥٢٠
أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟	٥٤٨
اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن؟	١٨٦، ٦٦١
أحب الثياب إلى النَّبي ﷺ أن يلبسها الحِبَرَة	٦٩٦
احتج آدم وموسى	٢٩٤
أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم	٧١٨
أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدها عليَّ	٤٣٢
أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل	٦٥١
إذا تقرَّب العبد منِّي شبرًا تقرَّبت منه ذراعًا	٣١٠
إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا،	٢٩٦
إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئًا أزيدكم	٣٢١
إذا قبر الميت، أو قال أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان	٥٥٨
إذا كان لك مال فليرَ عليك	٣٩٣
إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة	٤٠٧
إذا وضع العبد في القبر، أتاه منكر ونكير، أسودان أزرقان	٥٥٧
أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش	٤٣٢
اربعوا على أنفسكم، إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا	٢٨٥، ٣٨٨
أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك	٢٤٧
استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن	٣٧٨
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول لله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة	٦٤٦
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله	٤٢٧
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٨٣٠
اشهدوا	٥٣٤
اطلع النبي علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون؟	٥٤٨

أعتقها فإنها مؤمنة ٢٧٣
أُعطيتُ خمسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ٤٨٩
اعلم أبا مسعود، الله أقدر عليك منك عليه ٢٧٩
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ٢٨٢
افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، ٤٩
أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ١٣٨
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله ٦٦٢
ألا تراه لم يعرف موسى بني إسرائيل حتى عرفه بنفسه إذا لم يعرفه الله به ٨٢
أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامه ٥٦٧
أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ٧٨٢
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ٣٣٤
آمركم بالإيمان وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا الله ورسوله أعلم ٦٤٣
إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ٦٥٤
إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ١٨٩
أن الرَّجل يُؤتى به إلى الميزان، فيُنشَر عليه تسعَةٌ وتِسعُونَ سِجلًا، كُلُّ سِجِلٍّ مد البصر ٥٧١
إن العبد المسلم إذا قال الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، ٢٨٠
إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال إني أحب فلانًا فأحبه ٣١٤
إن الله جميل يحب الجمال ٣٩٢
إن الله خالق كل صانع وصنعته ٦٢٧
إن الله عزَّ وجل لاينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، .... ٢٨٥، ٢٧٨
أنَّ الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت ٥١٧
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ٦٤٢
إنَّ الله ﷻ خلق الملائكة من نور؛ وخلق إبليس من مارج من نار؛ وخلق آدم مما وصف لكم......... ٥١٧
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ٨٩
إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ٦٨٤
إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ٦٧٩
إن الله يدني من المؤمن فيضعُ عليه كنفهُ ويستُرُه ٦٦٧

إن النبي قد أنزل عليه الليلة قرآن، ١٠٢
أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ....٥٩٤، ٦٥٠
إن ربكم تبارك وتعالى حييّ كريم إن ربكم تبارك وتعالى حييّ كريم ٢٧٢
أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكًا ٤٢٨
أن رسول الله خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون..... ٣٧٨
إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام ١٦٨
أنَّ في الصور ثقبًا بعدد الأرواح ٥٦٢
إن فيهم -يعني أهل الشام- الأبدال الأربعين رجلًا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا ٩٤
إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة..................................٢٤٨، ٢٦٤
إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله ١٠٥
إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم ٦٠١
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ٤٧٨
أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ولا فخر ....٤٨٨، ٤٨٩
إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ٢٢١
إنك على علم من علم الله علَّمك لا أعلمه ٨٢
إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته، ٣٢١
إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ٣٢٢
إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلقه الله عليها إلا هاتين المرتين ٤٣٢
أنه ادخر لأزواجه قوت سنة.. ١٣٦
أنه كان يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ١٣٣
إنه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة ٥٧١
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ٢١٨
إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا........................ ٥٨٤
أول ما خلق الله تعالى القلم... ٥٩٤
إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ٤١٧
آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار ٦٤٣
الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث ....٥٣٢، ٦٤٦

الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله .... ٦٤٣، ٦٤٦، ٦٤٧
أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا .... ٧٢٥، ٣٠٩، ٣٨٧
بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم......................... ٦٦٧
بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم ١٢١
البذاذة من الإيمان ٦٩٦
بلغوا عني ولو آية ١٠٢
بين (ما بين) النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يومًا قال أبيت ٥٦٥
بين النفختين أربعون سنة ٥٦٥
بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب .... ٤٢٧، ٦٥٠
بينما نحن مع رسول الله بمنى إذا انفلق القمر فلقتين ٥٣٤
ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ ٧٢
الثلث والثلث كبير أو كثير ٦٠١
ثم رفع لي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور ٤٢٩
جاء أعرابي إلى النبيِّ فقال ما الصُّورُ؟ قال قرْن يُنفَخ فيه ٥٦١
جاء ملك الموت إلى موسى فقال له أجب ربك ٤٣٣
الجبَّار الذي جبر العباد على ما أراد ٦٢٤
جبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها ٦٢٤
الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ٥٨٦
جنتان من فضه وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، ٢٧٩
حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه ٥٦٧
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار ٣٦٠
حسبي من سؤالي علمه بحالي .... ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١
حضر رسول الله مجلسًا للفقراء ورقص حتى شقَّ قميصه ١٧٠
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ٢٨٧
خط لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًا ثم قال هذا سبيل الله ٧١
خط لنا رسول الله خطًا ثم قال هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ٣٧٧
خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعد ٢٠٤

خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ٥٣١
الدعاء هو العبادة.. ٣٦١
دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ..٣٦٢، ٧٣٤
دعوني ما تركتكم ٧٩١
الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولايصبر على أذاهم.......... ١٢٨
رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا الذي يوقد النار مالك خازن النار وأنا جبريل وهذا ميكائيل.......... ٤٣١
رأيت نورًا.. ٣٢٢
الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.................................. ١٧٣
الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان ١٧٦
الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده.............................. ٤٥٤
زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات ٢٧٣
سألت رسول الله هل رأيت ربك ٣٢٢
سبحانك لا نحصي ثناءً عليكَ أنت كما أثنيتَ على نفسك ٣١٧
السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ٣٧٨
سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ٣٧٨
شاهت الوجوه ٧٦٢
صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده،.. ١٢٧
الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر..... ٦٥٩
الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان ٥٧٤
العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ٥٥٩
العرش على الماء، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه ٢٧٦
العلماء ورثة الأنبياء ٤٧٦
غدوتُ على ابن عباس ذات يوم ٥٥٣
فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة ٥٣٦
فإذا أحببته كنته ١٠٣
فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس ١٧٤
فضرب في صدري وقال والله ليهنك العلم أبا المنذر ٤٦٦

فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ١٣٦
فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن ٢٤٨
قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.. ٣٧٩
قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ٤٥٢
القلبُ بيتُ الرَّب ٧٤٩
كان إذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات ٤٣١
كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان ٧٦٣
كان الله ولم يكن شيء غيره ٧٦٣
كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء .... ٥١٢، ٥١٥، ٧٦٣
كان النبي إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد، أنت رب السموات والأرض............ ٦١٤
كان النبي يدعو عند الكرب يقول لا إله إلا الله العظيم الحليم، ٣٦٢
كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام.. ٤٧٦
كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته ٥٣٤
كانت زينب –رضي الله عنها– ٢٧٣
الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس ٦٦٢
كلُّ شيءٍ بقدرٍ حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز ٦٢٧
كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلان في الميزان... .... ٥٧٣
كنتُ أدخل على النبي ﷺ وهو وأبو بكر رضي الله عنه يتكلَّمان في علم التوحيد ٨٣
كيف أنتم إذا أُنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ٥٤٠
كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ.. ٥٦١
كيف يأتيك الوحي؟ قال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال٥٠٦
لا أُلفِيَنَّ أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاءُ ١١٩
لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج ....٥٤٧، ٦٩٣
لا تتخذي قبري وثنًا ٨٣٠
لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم ١٣٧
لا تسبوا أهل الشام، فإن فيهم البدلاء، كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلًا آخر............ ٩٣
لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله ٤١٦

لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة ٥٣٥
لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم ١٨٩
لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ٥٧٥
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ٦٥٤
لا يَسمَعُ بي أحدٌ من هذه الأُمَّة، ولا يهودي ولا نصرانيٌّ، ثم لا يؤمن بما أُرسلت به إلا دخل النار ... ٤٨٥
لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ٤٦٧
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ٨٣٠
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدًا ٣٧٩
لكلِّ عملٍ شرة، ولكلِّ شرة فترة ٦٨١
لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني ٦٨٤
لله أشد فرحًا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه ٦٢٧
لم تعط فلانًا وهو مؤمن، فقال النبي: أو مسلم ٦٥١
لم يسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن ٧٤٨
لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب بحق محمد لم غفرت لي ٥١٩
لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه ٣٠٢
الله أكبر سنة أبي القاسم ١٧٥
اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ٣٦٣
اللهم أسلمتُ وجهي إليك ٣٦٩
اللهم اشهد، اللهم اشهد ٢٧٣
اللهم اعطني كتابي بيميني ١٠٦
اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني ٣٦٣
اللهم أكثر ماله وولده وبارك له ١٣٦
اللهم أنجز لي ما وعدتني ٢٠٣
اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك ٢٤٦
اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ٢٤٧
اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ٥٥٩
اللهم إنِّي ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت ٣٦٤

اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه ....١٠٥، ١٠٦
اللهم ثبِّت قدمي يوم تزلُّ الأقدام ١٠٦
اللهم لا تجعل قبري وثنا يصلى إليه، ٨٣٠
اللهم لقِّني حجتي ولا تحرمني رائحة الجنة ١٠٥
اللهم لك أسلمت وبك آمنت ٦٤٩
لهو الحديثِ هو الِغناء ١٦٢
لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، ٧٨٢
لولاك لما خلقت الأفلاك ٥٢٠
لولاك ما خلقت الدنيا ....٥١٨، ٥٢٠
ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ٥٣٦
لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ ١٦٣
لئن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه، ١٣٧
ما أنزل الله آية إلا ولها ظهر وبطن ٦٤
ما بعث نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور ٥٣٧
ما بلغني حديثٌ عن رسول الله ﷺ على وَجهه إلا وجدتُ مصداقَه في كتاب الله تعالى ٤٨٥
ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ١٨٩
ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، ٤٦٣
ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها ٦٦٠
مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَة ٢٧٣
ما وسعني لا سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن ٧٤٨
ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ٦٦٠
مثل القائم في حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها ٦٩٣
مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية............... ٤٨٧
المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله ٥٥٧
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فهو رد ٣٦٨
من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه ١٢٨
من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ٧٦١

من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشية أو ضاريًا نقص من عمله كل يوم قيراطان ٦٥٥
من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة ٥٨٦
من حفظ عن أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء......... ١٠٤
من رآني في المنام فقد رآني حقًّا .... ١٧٣، ١٧٧، ٥٢٣
من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي ١٧٤
من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ٦٩٢
من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين.. ١٣٤
من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، ٣١٠
من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة .... ٧١٠، ٧٢٠
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد ٣٦٧
من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ١٣٣
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت.. ٤٨٩
من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله، دخل الجنة ٣٣٤
مه عليكم بما تطيقون ٧٩١
مه مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب، ١٦٨
المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف.. ٧٨٠
النَّاس ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بأعينهم ٣٢٣
نعم المال الصالح للرجل الصالح ١٣٦
نورٌ أنى أراه ٣٢٢
هاجرنا مع النبي نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئًا ٢٨٠
هذا الدخان قد رأته قريش حين دعا عليهم النَّبي بسبعٍ كسبع يوسف.. ٥٥١
هذا سبيل الله ٣٧٧
هذه امرأةٌ سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ٢٧٧
هل عهد إليكم رسول الله شيئًا لما يعهده إلى الناس ٨٢
هو دخان يجيء قبل يوم القيامة ٥٥١
﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ بصوتك بالغناء والمزامير ١٦٢
واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ١٨٣

واغد يا أُنيس-لرجل من أسلم- إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ١٠٢
والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به .... ٤٨٥، ٤٨٧
والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن ٥٦٦
والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد ٥٧٤
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب ٥٤٠
﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ هو الغِناء ١٦٢
وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريب من فتنة المسيح الدجال ٥٥٨
وأنى لك بذلك وليس في ذلك الموضع إلا قبري وقبر أبي بكر وعمر وعيسى بن مريم ٥٤١
وأيم الله، إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت ٢٧٦
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ٤٨٥
ولايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ٦٢٧
ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصد عرقًا ٤٣٢
ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، ٢٩٦
وما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ١٠٣
وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه ٧٩٧
ومن تَقَرَّبَ إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا ٣٠٩
ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ١١٧
وهل تُنصَرون وتُرْزَقون إلاّ بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم ٧٢٢
وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بدعائهم وإخلاصهم وصلاتهم ١٢٠
يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ٤٦٦
يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك ٥٤٣
يا سعدُ إنِّي لأعطي الرَّجل وغيره أَحَبُّ إليَّ منه خشية أن يكبَّه الله في النَّار ٦٥١
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا ٢٢٨
يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ أَلاَ أُعْطِيكَ أَلاَ أَمْنَحُكَ أَلاَ أَحْبُوكَ أَلاَ أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ ٣٩٧
يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا، .... ١١٩، ٦٩١
يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل ١٣٨

يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ٥٣٧
يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ٥٤١
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب.. ٦٥٥
يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان ٦٥١
يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني... ٣٥٥
يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك،.. ٢٩٥
يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة يهون ذلك على المؤمنين ٥٦٧
يلبثون ما لبثتم ثم تبعث فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من أحد إلا مات ٥٦٤
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ....٤٢٩، ٤٢٥

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

العَـلَم	الصفحة
إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري	٢٨٨
إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط أبو الحسن برهان الدين البقاعي	٥٧٢
إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي	٦٤
ابن القيم	٣٢٥
أبو الحسن الأشعري	٢٧٥
أبو بكر الشبلي الصوفي	١١٧
أبو بكر بن فورك	٢٦٠
أبو بكر بن محمد بن عبد الله البناني الفاسي الرباطي	٣٩٦
أبو زيان المعسكري	٤٤
أبو سعيد الدارمي	٢٧٥
إحسان إلهي ظهير بن طهور إلهي بن أحمد الدين بن نظام الدين	٧٩
أحمد بن إدريس شهاب الدين القرافي	٣٥٠
أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني = أبو بكر البيهقي	٤٤١
أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني = أبو بكر بن أبي عاصم	٦٢٨
أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي	٢١١
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن أبو العباس الصوفي المالكي الشاذلي	٣٢
أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي	٢٩٤
أحمد بن أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي الأنصاري	٧٦٤
أحمد بن إدريس الإدريسي	٨٢٧
أحمد بن عبد الله القاري	٥٢٠
أحمد بن عبد المؤمن، ابن الصديق الغماري الحسني	٨١٨
أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني	٨١
أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو العباس تقي الدين المقريزي	٢٦٦
أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري القرطبي،	١٩٧
أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني	١٥٧

أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ٦٣
أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ١٩٦
أحمد بن يحيي بن محمد بن شبير النجمي آل ٧٠٧
أحمد بن يوسف التجيبي، أبو العباس ٣٧
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري = أبو عثمان الصابوني ٦٢٨
إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصروي ٧٢
أفلاطون .... ٥٠٤، ٥٨٢
برهان الدين إبراهيم بن محمد اللقاني ٣٠٥
بشر بن غياث المريسي ٢٧٥
بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيي ٣٩٥
جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزي ٣٩٩
جمال الدين بن السيد عبد الله بهاء الدين ابن السيد محمود شهاب الدين الألوسي، أبو المعالي ٥٠٠
الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز القواريري، أبو القاسم ٤٣
جورج سالمون ٨١٩
جولد تسيهر ٦٩٤
الحسن بن أبي الحسن البصري ٦٤
الحسن بن علي بن خلف البربهاري ٦٥
الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء ٩٢
الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي، أبو علي ٣٢٩
الحسين بن منصور بن محمي الحلاج، البيضاوي الفارسي ٧٥
حصين بن جندب بن الحارث الجنبي ٥٩٤
حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان ٣٥١
حمدان بن قرمط ٨٥
حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن = أبو الفيض ابن الحاج ٥١٠
خليل بن إسحاق بن موسى المالكي = الجندي ٤٤
الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٥٧
رينولد ألين نيكولوسون ٨٩

زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة ٣٠٣
زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الكردي الشافعي ١٨٠
السجزي ٣٢٤
سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي ٤٢٦
سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ٤٨٥
سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني ٢٥٨
سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، أبو داود.. ٤٠٠
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٢١٣
سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكُومي التلمساني ٧٥٥
سهل بن عبد الله التستري ٣٣٢
شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسرو ٥٢٠
طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد.. ٣٤٦
عبَّاس بن منصور بن عبَّاس التريمي السكسكي ٦٥
عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل.. ١٥١
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشهيلي = ابن خلدون ١٥٢
عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد الكاشاني أو القاشاني...................................... ٦٧٤
عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجمَّاعيلي الدمشقي الصالحي، تقي الدين أبو محمد............ ٤٩٢
عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري ٤١
عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المكي ٥٥٣
عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق = أبو بكر السجستاني ٤٠١
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ين محمد الجويني النيسابوري................................ ٢٩٨
عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين = قطب الدين المرسي الرقوطي الصوفي................ ٨٠٤
عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ٦٦٢
عبد الرحمن بن أحمد الجامي = ملا جامي.. ٤٣٧
عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، زين الدين البغدادي الدمشقي ٧٨
عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ٤١٦
عبد الرحمن بن علي = ابن الجوزي ٦٧

عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري ٤٣٩
عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد العنبري ٨٤١
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي ١٢٥
عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي ١٧٤
عبد السلام بن سليمان بن مشيش ٣٦
عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر منصور بن علي ٢٣٢
عبد العزيز بن جعفر البغوي = أبو بكر ٢٥٨
عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد آل باز ٧٥
عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله أبو محمد زكي الدين المنذري ٤٠١
عبد القاهر بن طاهر البغدادي ٤٥٦
عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ٤٠٣
عبد الله ابن أبي زيد القيرواني المالكي، أبو محمد ٢٣٠
عبد الله محمد بن الصديق الإدريسي الغماري ٨١٨
عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة موفق الدين أبو محمد المقدسي الجماعيلي ١٠٧
عبد الله بن المبارك المروزي ٤٠٠
عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجي ٢٩٣
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٧١
عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني الصوفي، أبو محمد ١٥٣
عبدالرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد بن عضد الدين الإيجي الشيرازي الشافعي ٢٩٨
عبدالله بن محمد القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُواسي أبو بكر العبسي ٢٧٦
عُبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ أبو زرعة الرازي ٥٧٢
عُبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان = أبو عبد الله ابن بطة العكبري ٣٩٤
عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني ٢٢١
عثمان بن سعيد بن عمرو الأموي الأندلسي، أبو عمرو ٣٧٤
العربي بن أحمد بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف الإدريسي الشهير بالدرقاوي ٢٣١
العز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي ٧٦٤
عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبد الله ٣٣٦

علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي = أبو الحسن سيف الدين الآمدي ٦١٩
علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، أبو الحسن ٢٥٩
علي بن الحسين بن هبة الله = أبو القاسم ابن عساكر ٥٢٠
علي بن عبد الله النميري اللوشي = أبو الحسن الششتري ٤١
علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الشاذلي، أبو الحسن ٤٤
علي بن علاء الدين بن شمس الدين، = أبو الحسن ابن أبي العز ٣١٢
علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري القاهري ٣٩٩
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ٦٤
علي بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة الشيخ، أبو الحسن المقدسي الصالحي ٤٠١
علي بن إسماعيل المرسي، أبو الحسين ٥٨٩
علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي المالكي = ابن اللجام ٣٠٩
علي بن سلطان الهروي القاري الحنفي ٨٠٦
علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمل ٨٢٨
علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجوري ٨١٠
علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الحنبلي، أبو الوفاء ٧٧
علي بن محمد بن وفاء ٧٤٨
عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي أبو حفص ٦٨١
عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري ٧٤
عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ١٦٩
عمرو بن عثمان المكي، أبو عبد الله ٣٢
عمرو بن عثمان بن فنبر، الفارسي، = أبو بشر بسيبويه ٣٥١
عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي ٨١
فروة بن مجالد ٧٢٦
القاسم بن سلام الهروي الأزدي البغدادي، أبو عبيد ٢٦١
كعب بن ماتع الحميري ٥٢١
كمال الدين محمد بن عيسى الدَّميري ١٧٠
لبيد بن ربيعة العامري ٢٦١

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ٧٣٠
مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، أبو عبد الله ٣٢٣
مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو السعادات ابن الأثير الشيباني الجزري ٤٣١
مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي ١٦٢
محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ٢٠١
محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، أبو بكر ٧٩٦
محمد بن أحمد البوزيدي السلماني الغماري ٤٥
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، القرطبي.. ١٦٧
محمد بن بهادر بن عبد الله المصري، بدر الدين أبو عبد الله الزركشي ٧٤٨
محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا المباركفوري ٤٠١
محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي شمس الدين أبو الخير ٧٤٨
محمد بن عمر الحسين، فخر الدين القرشي الرازي الأصولي.. ٢٩٨
محمد بن كعب القرظي، أبو حمزة ٦٢٤
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، أبو حامد الغزالي.................................. ٢٩٨
محمد بن محمد بن محمد بن الحاج أبو عبد الله العبدري المالكي ٣٢
محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله.. ٤٢
محمد بن نصير ٩٤
محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ٣٤٨
محمد مرتضى بن محمد بن الحسن الزبيدي ٥٨٩
محمد بن إبراهيم بن عباد النفري الرندي ٨٣٨
محمد بن إبراهيم بن عليّ المرتضى الحسني القاسمي، = أبو عبد الله ابن الوزير اليمني الصنعاني ٦١٥
محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ٤٨٦
محمد بن أحمد بن عبد الهادي شمس الدين المقدسي الجماعيلي أبو عبد الله ٦١١
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي... ٤٥٨
محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحافظ الحنظلي الغطفاني = أبو حاتم الرازي ٥٧٢
محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري السلمي ٢٧٩
محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الأصبهاني... ٥٥٤

محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي = الصدر القونوي الرومي ٧٥٥
محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الصنعاني ٩٥
محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، الأصبهاني ٢٦٠
محمد بن الحسين بن عبد الله وقيل عبد الله الآجري البغدادي ٣٩٣
محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني ٦٢٩
محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ١٧١
محمد بن جرير بن يزيد الطبري ٦٣
محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي الدارمي البستي، أبو حاتم ٢٣٠
محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني ٥٣٣
محمد بن زياد بن الأعرابي، أبو عبد الله ٣٠٢
محمد بن سعيد بن حماد البوصيري ٤١٢
محمد بن سليمان بن داود الجزولي ٥٣
محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن مقبل، من آل مقبل، أبو عبد الله، ٥٨٤
محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني ٦١٩
محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الأشبيلي ٨٤٢
محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي الإلبيري ٥٤٩
محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي، ٣٩٩
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ٣٢٧
محمد بن علي بن محمد ، محي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي = ابن عربي الصوفي ١٥٣
محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، أبو جعفر ٣٩٩
محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي الترمذي ٤٠٠
محمد بن محمد الحراق بن عبد الواحد بن يحيى ٨١٥
محمد بن محمد بن عبد الله التازي ٨١٥
محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ٤٤
محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، أبو الفضل ٣٤٢
محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، المعروف بالمبِّرد ٢٤٢
محمد بن يوسف السنوسي، أبو عبد الله ٣٣١

محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني الغرناطي، أبو عبد الله ١٩٧
محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني ٤٩٨
محمود شكري أبو المعالي شهاب الدين الألوسي ٤١٤
المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ٥٠٢
مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي ٦٠٢
مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي ٥٨٢
مطرف بن عبد الله بن الشّخير ٣٤٨
ميمون بن ديصان القداح ٨٦
نصر بن عمران الضُبعي، أبو جمرة ١٧٥
نور الدين علي بن أحمد المغربي اليشرطي ٥١٣
هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي ٢٥٨
واصل بن عطاء ١٠٠
وهب بن منبه بن كامل بن سيج الأنباري، أبو عبد الله ٥٢١
يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس الزيدي ٨٣١
يعيش بن علي بن يعيش، موفق الدين الأسدي = أبو البقاء ابن يعيش ٢٤٢
يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، أبو عمر الأندلسي القرطبي المالكي............ ١٠٣

رابعاً: فهرس المصطلحات والغريب

المصطلح / الغريب	الصفحة
الأبدال	٩٣
الاتحاد	٧٤٦
الأحوال	١٤٢
الأربطة	٨٢٨
الأساس	٩٥
الاستشراق	٧١٣
الأشراط	٥٢٧
الاصطلام	١٦٥
الإطراء	٤١٦
الأغواث	٩٣
الأقطاب	٩٣
الإلهام	٥٠٢
الألوهية	٣٢٦
اندراس	٨١٤
أهل الحقيقة	٦٣
أهل العرفان	٦٥٦
أهل الغرة	١٠٥
الأوتاد	٩٣
الإيمان	٦٣٧
بارزًا	٥٣٢
البقاء	١٤١
بقحفها	٥٤٧
التجريد	٦٧٣
التجلِّي	١٤٣
الترة	١٨٣

تصطلم ٣٣٨
تعزَّبوا ٨٢٩
التفسير الإشاري ٨٤
التفويض ٣٠٣
التمكين ٧٧٢
تنتجون ٢٧٣
التنوق ٧٩٠
توحيد الذات ٧٥٨
التوحيد ٢١١
جائحة ١٣٨
الجبة ٦٨٣
جدعاء ٢٧٣
جزلتين ٥٤٥
الجسم المصوَّر ٣١٥
جمع الجمع ٣٣٨
الجوهر ٣١٥
الحال ٤٠
الحب الإلهي ٤٣٦
الحضرة الأحدية ١٤٧
الحقيقة ٦٣
الحلول ٧٤٥
الخبث ٦٩٣
خرق العوائد ٨٣٣
الخرقة ٦٩٠
الخمرة الأزلية ٤٣٦
خويصة أحدكم ٥٥٠
الدجال ٥٣٦

الدرويش ٦٩٠
ذكر العامة ١٢٣
الذوق ١٤١
ذوو الحجا ١٣٨
ردم ٦٩٣
الرّسل ٥٤٧
الرسول ٤٧٣
الرشح ٥٦٧
الزلفة ٥٤٧
زهمهم ٥٤٦
السَّابق ٩٥
السباخ ٥٣٧
السحت ١٣٨
سِرُّ الربوبية ٧٣
سرّ ناسوته ٥١١
السِّر ٧٣
السفسطة ٩٧
السُّكر ١٤٢
شال الرجل يده ٤٣٥
الشرب ١٤١
الشطحات ٤٠
الشعراء المولدون ١٦٨
الشيخ ٦٧٤
الصائحة ٥٦٤
الصَّحو ١٤٢
ضاريًا ٦٥٥
طُرًّا ٥٩٧

الطريقة ٤٨
العارف ١١٥
العامة ١٢٣
العرض ٣١٥
العروس ٥٥٨
العسيف ١٠٢
العقل الأكبر ٥٠٩
العلم الظاهر ٢٨
العلم اللدني ١١٣
العمارة = الموسم ٤٦
عين الجمع ٣٣٨
الغرَّة ١٠٥
الغرض ٥٤٦
الغَيْبَة ١٤٢
الفردانية ٧٥٦
الفروج ٦٨٣
فضاء العماء ٥١٠
الفِطْرَة ٢٧٣
الفناء ١٣٣
فيلسوف ٣٢٨
قحفها ٥٤٧
القدر ٥٨٩
القطب ١١٨
القطبانية ١١٨
قطط ٥٤٥
الكتب ٤٤٧
الكسب ٢٢٠

الكشف والتجلي ....١٤٣، ١٤٧
الكشف ١١٣
الكم ٢١٩
كنفه ٦٦٧
اللا أدرية ٩٧
اللا فاطمة ١٨٢
اللا ١٨٢
اللشين ٦٨٠
للمتمرسين ١٧٥
اللؤلؤ ٥٤٦
مائية ذاته ٢٣٠
المتعة ١٧٥
المتمرسون ١٧٥
المداشر ٨١٢
المريد ٦٧٣
المشاهدة ....٤٩٩، ٦٥٦
المعرفة الاستشراقية ١١٨
المعرفة ٦٥٦
مفهوم اللقب ٦٦١
المقام ٧٨٤
مقامات ١٤٢
المقامات ١٥٠
الملائكة ٤٢٢
ممحلين ٥٤٥
مهرودتين ٥٤٦
مَؤُوفي ٥٦٨
الناطق ٩٥

النبي ٤٧٣
النجباء.. ٩٣
النجو ٨٠٦
النغف ٥٤٦
النقباء.. ٩٣
نور لاهوته.. ٥١١
نومة العروس ٥٥٨
الوارد ١٤٣
الوجد.. ١٥٧
وحدة الوجود ٧٥٢
الوقت ٣٤٤
الولاية.. ٧٠٣
الولي ٤٩٣
يأجوج ومأجوج ٥٤١
يزفنون.. ١٦٧
يعاسيب النحل.. ٥٤٥
يهدبها ٢٨٠
اليوم الآخر ٥٥٥

خامساً: فهرس الأماكن والبلدان

المكان / البلد	الصفحة

أُحُد ٢٧٢
أخليفاتن ٨٢١
آسفي ٥٤
آسيا الصغرى ٥٢
آسيا الغربية ٥١
آسيا ٥١
أفريقيا ٥٣
ألبانيا ٥٢
ألوس ٤١٤
الأنجرة ٨١٩
باب لُد = لُد ٥٤٤
بدر ٧٦٢
البصرة ٦٣٨
بغداد ٤٩
البقيع ٣٧٨
بيت الله الحرام ٨٠٧
بيت المقدس ٤٩٢
تازة ٨٣٥
تافيلات ٨٣٦
تركيا ٥٢
تطوان = تطاون ٢٦
تلمسان ٥٠
تونس ٥٠
الجديدة ٨٣٦
الجزائر ٥٦

جزيرة العرب ٥٥١
الجوّانية ٢٧٢
جيلان ٤٩
الحجاز ٥٢٨
الحجرة النبوية ٥٤١
حنين ٤٧٨
خميس الانجرا = الأنجرة ١٥
خيبر ٢٨٥
الدار البيضاء ٨٣٦
دمشق .... ٥٤٠، ٥٤٦، ٧٥٥
الرباط ٨٣٦
الرياض ١٩
زاوية البقلي ١٥١
الزميج ١٦
سبتة ٢٦
سلا ٨١٦
سوريا ٥١
شاذلة ٥٠
الشام ٤٩٨
شفشاون ٨٢٣
الصويرة ٥٤
طبرستان ٤٩
طبرية ٥٤٦
طنجة ٧٣٣
الطُّور ٥٤٦
العراق ٥١
العرائش ٣٥

عرفة ٦٥٣
غار حراء ١٢٩
فارس ٥١
فاس ٥٤
الفحص ٨١٩
القصر الكبير ٢٨
القنيطرة ٨٣٥
كردستان ٥٢
الكوفة ٦٣٨
لبنان ٥١
لوشة ٤١
ليبيا ٥١
مدشر أعجيبش ٢٦
المدينة ٢٠٢
مراكش ٥٤
المسجد الأقصى ٤٩٢
المشرق ٥٥١
مصر ٥١
المغرب ١٠
مقصورة جامع الجعيدي ٧٣٦
مكة ٧٥
مكناس ٥٤
الهند ٥١
واسط ٦٣٨
وجدة ٨٣٥
وسط الأطلس ٨٣٦
اليمن ٥٢١

سادساً: فهرس الفرق والمذاهب

الفرقة / المذهب	الصفحة
الأدارسة	٢٣
الإسماعيلة	٨٠
أهل السنة	٨٤٣
الباطنية	٨٥
الجبرية	٦١٨
الجهميَّة	٨٦
الحلولية	٥٧٩
الروافض = الرافضة	٦١
الزنادقة	١٠٧
الصابئة	٥٧٨
الغرابية	٦١
الفلاسفة	٣٢٨
القدرية	١٠٠
القرامطة الباطنية	٤٩٩
القرامطة	٨٥
الكُلَّابية	٥٠٧
اللا أدرية	٩٧
المعتزلة	١٠٠
الملامتية	٣٤٣
الملكانية	٧٥١
النسطورية	٧٥١
النصيرية	٩٤
اليعقوبية	٧٥٠

سابعاً: فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب:

١- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، لابن بطة، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي وآخرين، دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢- **أبجد العلوم**، لصديق بن حسن القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: عبد الجبار زكار، ١٩٧٨م.

٣- **الإبداع في مضار الابتداع**، لعلي محفوظ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

٤- **الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ**، لأحمد السلجماسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

٥- **إبعاد الغُمم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، لأحمد بن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٦- **أبكار الأفكار في أصول الدين**، لأبي الحسن سيف الدين علي بن محمد الآمدي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م.

٧- **ابن عطاء الله السكندري وتصوفه**، لأبي الوفاء التفتازاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٣٨٩هـ.

٨- **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، لعبد الرحمن بن محمد السَّجلماسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٩- **إتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد**، لعبد السلام اللقاني، المكتبة الأزهرية، أوقف هذا الكتاب حسن الصيرفي على طلبة العلم بالجامع الأزهر، ١٤٢٤هـ.

١٠- **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، لابن سودة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١١- **إتمام الأعلام**، لنزار أباظة، ومحمد رياض الملح، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٢- **اجتماع الجيوش الإسلامية**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٣- **أحكام أهل الذمة**، لابن القيم، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري،

رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٤- **الإحكام في أصول الأحكام**، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، تقديم: د. إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٥- **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد بن محمد الغزالي، وبذيله: كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لعبد الرحيم بن الحسين العراقي، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة.

١٦- **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب، الدرقاوية والإحياء الصوفي الشاذلي**، د. أحمد بوكادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة فضالة المحمدية، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٧- **أخبار الآحاد في الحديث النبوي، حجيتها، مفادها، العمل بموجبها**، للشيخ الدكتور: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الجبرين، دار طيبة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٨- **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر، دار الراية، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٩- **آداب الشافعي ومناقبه**، لأبي حاتم الرازي، تحقيق: عبدالغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٠- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، لابن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢١- **الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية**، لمحمد بن أحمد البوزيدي، دار الفتح للدراسات والنشر، عمَّان، الأردن، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٢٢- **آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية**، عرض ونقد، د. عبد الله بن محمد السند، رسالة دكتوراه، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٣- **الأربعون في أصول الدين**، للرازي، تحقيق: أحمد حجازي، السقا، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٢٤- **الأربعين في التصوف**، لأبي عبد الرحمن السلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند.

٢٥- **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، للشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، قدم له: الشيخ خليل الميس، والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، دمشق، كفر بطنا، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٦- **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، للشيخ صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٧- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، للجويني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٨- **إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن**، لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٢٩- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٥هـ.

٣٠- **أساس التقديس**، للرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣١- **أساس التقديس**، للرازي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ١٩٣٥م.

٣٢- **الاستبصار في عجائب الأمصار**، لكاتب مراكشي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٣- **الاستغاثة في الرد على البكري**، لابن تيمية، تحقيق: د. عبد الله بن دجين السَّهَلي، الرياض، دار المنهاج، ط٣، ١٤٣١هـ.

٣٤- **الاستقامة**، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٥- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.

٣٦- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، تحقيق وتعليق: الشيخ علي معوض، وعادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٧- **الإسفار عن رسائل أهل الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر في الخلوة من الأنوار**، لعبد الكريم الجيلي، تحقيق: د. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية. د. ت.

٣٨- **الأسماء والصفات**، للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٣٩- **الإشاعة لأشراط الساعة**، للبرزنجي، دار المنهاج، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٤٠- **اشتقاق أسماء الله عَزَّوَجَلَّ**، لعبد الرحمن بن إسحاق أبي القاسم الزجاجي، تحقيق: عبد المحسن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٤١- **إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين ١٨/١٩م، أحمد بن عجيبة، ومحمد الحراق**، د. عبد المجيد الصغير، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٤٢- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٣- **اصطلاحات الصوفية**، لابن عربي الحاتمي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ١١٩٤م.

٤٤- **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٢١هـ.

٤٥- **أصول الدين**، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ.

٤٦- **أصول السُّنَّة**، لابن أبي زمنين المالكي، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السُّنَّة، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٧- **أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي**، د. محمد أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

٤٨- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٤٩- **أضواء على أحمد التجاني وأتباعه**، لعبد الباقي مفتاح، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٥٠- **أضواء على التصوف بالمغرب، الطريقة العيساوية نموذجًا**، لعبد الرحمن الملحوني، وزارة الثقافة بالمغرب، تصنيف وسحب: مطبعة دار المناهل.

٥١- **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٥٢- **الاعتصام**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٩هـ.

٥٣- **اعتقاد أئمة الحديث**، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٤- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥- **أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة،** لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٥٦- **أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة،** للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.

٥٧- **إعلام الموقعين عن رب العالمين،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٥٨- **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام** المسمى: نزهة الخواطر وبهجة المسامع، لعبد الحي الطالبي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٩- **الأعلام،** لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار، مايو ٢٠٠٢م.

٦٠- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٦١- **أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات،** لمرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٢- **الاقتصاد في الاعتقاد،** للمقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١هـ، ١٩٩٣م.

٦٣- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،** لابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٦٤- **الإكليل في المتشابه والتأويل،** لابن تيمية، خرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر.

٦٥- **إكمال الإكمال** (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، لابن نقطة الحنبلي، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.

٦٦- **إكمال المُعلم بفوائد مسلم،** للقاضي عياض، تحقيق، د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٦٧- **الإلمام والإعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب ابن مشيش،** لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكي الفاسي، دراسة وتحقيق د. محمد علوي، دار أبي رقراق، ط١، ١٤٣٣هـ.

٦٨- **أم البراهين**، لأبي عبد الله بن يوسف السنوسي، تحقيق: خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٦٩- **الأم**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٧٠- **إنباء الغمر بأبناء العمر**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٧١- **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧٢- **الانتصار لأصحاب الحديث**، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٧٣- **الأنساب**، للسمعاني، أبي أسعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.

٧٤- **الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر**، لعبد الكريم الجيلي، مطبعة الحلبي، مصر، ط٤، ١٤٠٤هـ، ١٩٨١م.

٧٥- **الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف**، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، تحقيق: د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

٧٦- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، للأنباري، ، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٧٧- **الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري**، شرح: أحمد بن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٣م.

٧٨- **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية**، لعبد الوهاب الشعراني، تحقيق: طه عبد القاي سرور، ومحمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م.

٧٩- **أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة**، للنجمي، الرئاسة العامة للبحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

٨٠- **الإيجاز في ترجمة الشيخ ابن باز**، لعبد الرحمن بن يوسف عبد الرحمن بن محمد، د. ط،

١٤١٩هـ.

٨١- **إيقاظ الهمم في شرح الحكم،** لأحمد بن عجيبة، دار المعارف، القاهرة.

٨٢- **إيقاظ الهمم في شرح الحكم،** لأحمد بن عجيبة، ضبط وتحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي الدرقاوي، ط٤، ٢٠١٣، لبنان.

٨٣- **الإيمان الأوسط** (شرح حديث جبريل ﵇)، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. علي الزهراني، دار ابن الجوزي.

٨٤- **الإيمان،** لابن تيمية، خرج أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، ط٥، ١٤١٦هـ.

٨٥- **الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث،** لابن كثير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢.

٨٦- **بحار الأنوار،** لمحمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط.

٨٧- **البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار،** للإمام المجتهد المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠هـ، وبهامشه كتاب: جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار، تحقيق: محمد بن يحيى بهران الصعدي المتوفى سنة ٩٥٧هـ، ضبط نصه ووثق تخريجاته وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، كلية دار العلوم، قسم الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

٨٨- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،** لأحمد بن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م.

٨٩- **البداية والنهاية،** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤١٧هـ.

٩٠- **البداية والنهاية،** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٩١- **بدائع الفوائد،** لابن القيم، دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٩٢- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،** لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩٣- **البرهان في أصول الفقه،** للجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٩٤- **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان،** للسكسكي، تحقيق: خليل أحمد الحاج، دار التراث

العربي، ط١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٩٥- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، لعبد الله بن محمد التلمساني، المطبعة الثعالبية، ١٢٦٦هـ، ١٩٠٨م.

٩٦- **البعث والنشور**، للبيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٩٧- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة العلوم والحكم، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، ط١، ١٤١٥هـ.

٩٨- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للسيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

٩٩- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار سعد الدين، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٠٠- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، لابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٠١- **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: د. محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٠٢- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١٠٣- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٠٤- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٠٥- **التاريخ الكبير**، للبخاري، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

١٠٦- **تاريخ بغداد**، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٠٧- **تاريخ تطوان**، محمد داود، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، د. ط، ٢٠١٣م.

١٠٨- **تاريخ دمشق**، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٠٩- **تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس**، لعبد الله أبي بطين، تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١١٠- **تأويل مختلف الحديث**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١١١- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، لطاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١١٢- **التبصير في معالم الدين**، للطبري، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١١٣- **التبيان في أقسام القرآن**، لابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١١٤- **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤.

١١٥- **تحريم الغناء والسماع**، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق وتقديم وفهرسة: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.

١١٦- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٧- **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، بدون ذكر المؤلف، المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، الأسكندرية، ١٩٠٣م.

١١٨- **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، لابن تيمية، تحقيق ودراسة. د. يحي محمد الهنيدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

١١٩- **تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، لإبراهيم بن محمد البيجوري، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م.

١٢٠- **تحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق**، للبناني، تحقيق: أحمد فريد المزيج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

١٢١- **تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان**، لمرعي الحنبلي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

١٢٢- **تخريج العقيدة الطحاوية**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٢٣- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

١٢٤- **تذكرة الحفاظ**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٢٥- **تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ المقدسي**، د. عبد الرزاق البدر، دار غراس، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٢٦- **تذكرة أولي النهى والعرفان**، لإبراهيم العبيد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ، ١٤٢٨هـ.

١٢٧- **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، للقرطبي، تحقيق: محمود بن منصور البسطويسي، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٢٨- **ترجمة سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز**، إعداد أبي معاذ: ظافر بن حسن آل جمعان.

١٢٩- **التسعينية**، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن إبراهيم العجلان، الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٣٠- **تسلية أهل المصائب**، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

١٣١- **تسهيل المدخل لتنمية الأعمال بالنية الصالحة عند الإقبال**، لأحمد بن عجيبة، دراسة وتحقيق: د. عبد المجيد المرزوقي، دار، هبة، الصويرة، المغرب، ط١، ٢٠١٤م.

١٣٢- **التصوف الإسلامي في الغرب** (الأثر الصوفي المغربي في بريطانيا- الزاوية الحبيبة الدرقاوية نموذجًا)، عزيز الكبيطي إدريسي، مطبعة أميمة، فاس، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية، الشرق أوسطية والخليجية، ط١، ٢٠٠٨م.

١٣٣- **التصوف المغربي، مصدر إشعاع وتواصل**، أ. نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، ط١، ١٤٣٦هـ.

١٣٤- **التصوف بين الإفراط والتفريط**، لعمر كامل.

١٣٥- **التصوف كوعي وممارسة، دراسة في الفلسفة الصوفية عند أحمد بن عجيبة**، د. عبد المجيد الصغير، دار الثقافة، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م.

١٣٦- **التصوف، المنشأ والمصادر**، لإحسان إلهي ظهير، ١٣٦٠، ١٤٠٧هـ، دار ابن حزم

القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٣٧- **تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد،** لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، ضمن عقيدة الفرقة الناجية، تقديم: عبد الله حجاج، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٣٨- **التعرف لمذهب أهل التصوف،** الكلاباذي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٣٩- **تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات،** د. عبد الرحيم بن سلامة، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، ط٢، ٢٠١٥م.

١٤٠- **التعريفات،** لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٤١- **تعطير الأنفاس بالشيخ أبي العباس،** لمحمد بن محمد المعروف بابن الموقت، نشر: أحمد متفكر.

١٤٢- **التعليق الوفي على رسالة رد على صوفي،** للشيخ: أحمد بن يحيى النجمي، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٤٣- **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،** تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، مصر، توزيع مكتبة الرياض الحديثة.

١٤٤- **تفسير البحر المحيط،** لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر.

١٤٥- **تفسير البغوي،** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ط٣، ١٤٣١هـ.

١٤٦- **تفسير الرازي،** للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٤٧- **تفسير الفاتحة الكبير،** لأحمد بن عجيبة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ.

١٤٨- **تفسير القرآن العظيم،** للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ.

١٤٩- **تفسير القرآن الكريم،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٥٠- **تقريب التهذيب،** لابن حجر العسقلاني، دار الرشيد، سوريا، تحقيق محمد عوامه، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥١- **تقييدان في وحدة الوجود،** لأحمد بن عجيبة، تحقيق وتقديم: جان لويس ميشون، دار

الزرقاء مراكش، المغرب، ط١، ١٤١٩هـ.

١٥٢- **تلبيس إبليس**، لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج، ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٥٣- **تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٥٤- **تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٥٥- **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٥٦- **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط١، ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥٧- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٥٨- **التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٥٩- **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، للمعلمي، تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، زهير الشاويش، عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٦٠- **التنوير في إسقاط التدبير**، وبهامشه تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، لابن عطاء الله السكندري، مكتبة عباس شقرون، الطبعة الأخيرة د. ت.

١٦١- **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٦٢- **تهذيب السنن**، لابن القيم، تحقيق وتعليق وتخريج: د. إسماعيل بن غازي مرحبا، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٦٣- **تهذيب اللغة**، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٦٤- **التوسل والوسيلة**، لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى.

١٦٥- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، لمحمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين،

تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٦٦- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، لابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٦٧- **توضيح هداية المريد إلى جوهرة التوحيد**، لبكري رجب، دار العصماء، ٢٠٠٤م.

١٦٨- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٦٩- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤٣٣هـ.

١٧٠- **جامع البيان في تأويل القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م.

١٧١- **جامع الرسائل**، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٧٢- **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٧٣- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٧٤- **الجامع الكبير**، = سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٧٥- **جامع المسائل**، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: الشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧٦- **جامع كرامات الأولياء**، للنبهاني، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٧٧- **الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السُّنَّة وآي الفرقان**، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٧٨- **الجامع لحياة العلامة محمد بن عثيمين العلمية والعملية وماقيل فيه من المراثي**، لوليد بن أحمد الحسين، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧٩- **جذوة الاقتباس في ذكر من حل بمدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣م.

١٨٠- **الجرح والتعديل**، لابن أبي حاتم، ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ، ١٩٥٢م.

١٨١- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، لابن القيم، دار العروبة، الكويت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٨٢- **جماعة أنصار السُّنَّة المحمدية نشأتها، أهدافها، منهجها، جهودها**، د. أحمد محمد الطاهر، دار الهدي النبوي، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٨٣- **جمهرة الأولياء وأعلام التصوف**، لمحمود أبي الفيض المنوفي، القاهرة، مؤسسة الحلبي، وشركاه، ط١، ١٣٨٧هـ.

١٨٤- **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، د. قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٨٥- **الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح**، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم العسكر وآخرين، دار العاصمة، السعودية، ط١، ، ١٤١٤هـ.

١٨٦- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** (الداء والدواء)، لابن القيم، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٨٧- **الجواهر العجيبة من تأليف ابن عجيبة**، جمع وتقديم: عبد السلام العمراني الخالدي، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧-١٤٢٨هـ.

١٨٨- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبي محمد، محيي الدين الحنفي، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٨٩- **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني**، لعلي بن حرازم العربي، براده المغربي الفاسي، دار الجيل بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٩٨م.

١٩٠- **الجواهر والدرر مما استفاده عبد الوهاب الشعراني من سيده علي الخواص**، لعبد الوهاب الشعراني، بهامش الإبريز، للدباغ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.

١٩١- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مكتبة المدني، جدة.

١٩٢- **الحاوي للفتاوي**، للسيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١٩٣- **الحبائك في أخبار الملائك**، للسيوطي، تحقيق: خادم السُّنَّة المطهرة أبي هاجر محمد

السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٩٤- **الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك،** لأبي بكر، أحمد بن محمد الخلال البغدادي، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٩٥- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة،** لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبي القاسم، الملقب بقوام السُّنَّة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٩٦- **حدائق الحقائق،** لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٩٧- **الحركات الباطنية في الإسلام،** د. مصطفى غالب، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، د. ت.

١٩٨- **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي،** لمحمد أحمد الخطيب، الأردن، مكتبة الأقصى، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ، أصل الكتاب رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٩٩- **حقيقة التوحيد بين أهل السُّنَّة والمتكلمين،** د. عبد الرحيم السلمي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٢٠٠- **حكم السُّنَّة والكتاب في الزوايا والقباب،** لعبد الرحمن بن محمد النتيفي، دار الجيل، د. ط، ت.

٢٠١- **الحلل السندسية في الأخبار التونسية،** لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٢٠٢- **خصوصية التجربة الصوفية في المغرب، مفاهيم وتجليات،** د. عبد المجيد الصغير، دار رؤية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٢٠٣- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي،** للمحبي، دار صادر بيروت، لبنان.

٢٠٤- **خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل،** لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار أطلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ.

٢٠٥- **الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود،** لابن حجر الهيتمي، عني به: بوجمعة عبد القادر مكري ومحمد شادي مصطفى عربش، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٠٦- **الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد،** للشوكاني، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٠٧- **درء تعارض العقل والنقل،** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ.

٢٠٨- **الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية**، للسعدي، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، دار أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٠٩- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، مجموعة رسائل ومسائل عُلماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، جمع: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، ط٦، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢١٠- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٢١١- **الدُّرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة**، أحمد بن عجيبة، أعده واعتنى به: عبد السلام العمراني، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٢١٢- **دعوة التوحيد**، للشيخ محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ.

٢١٣- **دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر**، لمرعي الكرمي، تحقيق: د. عبد الله بن سليمان الغفيلي، دار المسير، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٢١٤- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، للشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز، جدة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢١٥- **دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار**، للجزولي، دارالفقيه، ٢٠٠٥م.

٢١٦- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢١٧- **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، للسيوطي، تحقيق وتعليق: أبي اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الخبر، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢١٨- **ديوان ابن الفارض**، لعمر بن علي الفارض، المكتبة الثقافية، بيروت.

٢١٩- **ديوان التلمساني**، لعفيف الدين التلمساني، دراسة وتحقيق: يوسف زيدان، دار الشروق.

٢٢٠- **ديوان الحلاج**، ويليه: أخباره وطواسينه، للحسين منصور الحلاج، جمعه وقدم له: د. سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٢١- **ديوان الصنعاني**، لمحمد بن إسماعيل الحسيني الصنعاني، مطبعة المدني القاهرة، ط١، ١٤٣٨هـ.

٢٢٢- **ذم التأويل**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت،

ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٢٣- **ذيل طبقات الحنابلة،** لابن رجب، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

٢٢٤- **الذيل على الروضتين تراجم رجال القرنين السادس والسابع،** لأبي شامه المقدسي، دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤م.

٢٢٥- **الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية،** ويسمى أيضًا: السيف المسلول على المعرض عن سنة الرسول ﷺ، لمحمد بن محمد بن عبد الله الموقت، تقديم: د. أحمد الشقيري الديني، ط٣، ٢٠٠٠م.

٢٢٦- **الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية،** لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، القاهرة.

٢٢٧- **الرد على البكري،** لابن تيمية، الدار العلمية، دلهي، الهند، ط٢، ، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٢٨- **الرد على الجهمية والزنادقة،** لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار الإمام البخاري، الدوحة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٢٩- **الرد على الجهمية،** لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط٢، ١٩٩٥م.

٢٣٠- **الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق،** لابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٣١- **الرد على القائلين بوحدة الوجود،** لعلي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢٣٢- **الرد على المنطقيين،** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، دار المعرفة، بيروت.

٢٣٣- **رسالة ابن أبي زيد القيرواني،** ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني، لأحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة، د. ط.

٢٣٤- **الرسالة التدمرية،** لابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٢٣٥- **رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت،** لعبيد الله بن سعيد السجزي، تحقيق: د. محمد باكريم باعبد الله، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٢٣٦- **الرسالة القشيرية،** لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٢٣٧- **الرسالة الوافية،** لأبي عمر الداني، ط١، دار الإمام أحمد، الكويت.

٢٣٨- **رسالة إلى أهل الثغر**، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٢٣٩- **رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت**، ضمن مجموع الرسائل المنيرية، لابن تيمية، تحقيق: محمد منير الدمشقي، المطبعة المنيرية، ١٣٤٣هـ.

٢٤٠- **الرسالة**، للشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ، ١٩٤٠م.

٢٤١- **رسائل ابن سبعين**، لعبد الحق بن إبراهيم بن سبعين المرسي، تحقيق وتقديم: د. عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

٢٤٢- **رسائل العربي الدرقاوي**، تحقيق: بسام محمد بارو، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

٢٤٣- **رسائل النور الهادي**، عبد السلام العمراني الخالدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٤٤- **الرهص والوقص لمستحل الرقص**، لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي ثم القسطنطيني الحنفي، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن وائل بن صدقي، مؤسسة بينونة، الإمارات، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٢٤٥- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٤٦- **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسُّنَّة**، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٢٤٧- **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، منسوب لأبي عبد الله محمد بن عيشون، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، ط١، ١٩٩٧م.

٢٤٨- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٢٤٩- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥٠- **الروضة المقصودة في مآثر بني سودة**، لسليمان الحوات، تحقيق: عبد العزيز التيلاني، مؤسسة محمد بن سودة الثقافية، فاس، ١٩٩٤م.

٢٥١- **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، لمحمد بن صالح بن عثمان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٥٢- **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٥٣- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن القيم، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٥٤- **الزاوية الدرقاوية بحاضرة أسفي، ومريدوها من العلماء**، لمحمد بوغ، دار وليلي، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٥٥- **الزهر النضر في أخبار الخضر**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: صلاح مقبول أحمد، مجمع البحوث الإسلامية، جوغا بائي، نيو دلهي، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٥٦- **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٥٧- **السبحة تاريخها وحكمها**، لبكر بن عبد الله أبي زيد، دار العاصمة، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٥٨- **سبل السلام شرح بلوغ المرام**، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥٩- **سراج الملوك**، للطرطوشي، تحقيق: لمحمد فتحي أبي بكر، تقديم: د. شوقي ضيف، مطبعة المدني، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٦م.

٢٦٠- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الأردن، المكتبة الإسلامية، ط٣، ١٤٠٦هـ.

٢٦١- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، هـ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢٦٢- **سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر**، لأحمد بن عجيبة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، جمع وتقديم: العمراني الخالدي عبد السلام، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٦٣- **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس**، للشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط٣، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٢٦٤- **سلوك الطريقة الدرقاوية والرد على منكريها المسماة، الإرشاد والتبيان**، لمحمد بن محمد بن عبد الله المكودي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٢٨-٢٠٠٧م.

٢٦٥- **سلوك الطريقة الوارية بالشيخ والمريد والزاوية**، لمحمد المنالي الزبادي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط١، ٢٠١١م.

٢٦٦- **السُّنَّة**، للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: باسم بن فيصل الجوابرة، الرياض، دار الصميعي، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٦٧- **سنن ابن ماجه**، للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد

الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العلمية.

٢٦٨- **سنن أبي داود،** للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي، السجستاني، تحقيق: محمد عوامه، دار اليسر، المدينةالمنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٣١هـ.

٢٦٩- **سنن الترمذي،** لأبي عيسى بن محمد بن عيسى، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، طبعة دار الفكر.

٢٧٠- **السنن الصغرى،** للنسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦.

٢٧١- **السنن الكبرى،** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٢٧٢- **سير أعلام النبلاء،** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٢٧٣- **الشامل في أصول الدين،** لأبي المعالي الجويني، تحقيق: علي النشار وفيصل عون وسهير مختار، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م.

٢٧٤- **شأن الدعاء،** للخطابي، تحقيق: لأحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٢٧٥- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،** لمحمد بن مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي.

٢٧٦- **شجرة اليقين فيما يتعلق بكون رب العالمين،** لأحمد بن عجيبة، ضمن الجواهر العجيبة، جمع وتقديم: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٧٧- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** لعبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ، ١٤٠٦هـ.

٢٧٨- **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن تبعهم،** للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الرياض، دار العاصمة، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٢٧٩- **شرح الأصول الخمسة،** للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.

٢٨٠- **شرح البردة،** لابن عجيبة، ومعه كشف الكربة بتخريج أحاديث شرح البردة، دار الأمان،

الرباط، المغرب، ط١، ١٤٣٢هـ.

٢٨١- **شرح الرسالة التدمرية**، للشيخ عبد الرحمن بن صالح البراك، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٨٢- **شرح السُّنَّة**، للبربهاري، تحقيق: د. خالد الرداي، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٨٣- **شرح السُّنَّة**، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٨٤- **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح** المسمى (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، السعودية، مكة، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ.

٢٨٥- **شرح العقيدة الأصفهانية**، لابن تيمية، دراسة وتحقيق: حسين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية.

٢٨٦- **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، د. عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٨٧- **شرح العقيدة الطحاوية**، للشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، وهي أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية، بالرياض.

٢٨٨- **شرح العقيدة الواسطية**، لمحمد بن خليل حسن هرّاس، ويليه ملحق الواسطية، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقَّاف، دار الهجرة، الخبر، ط٣، ١٤١٥هـ.

٢٨٩- **شرح العقيدة الواسطية**، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل.

٢٩٠- **شرح القصيدة النونية**، المسماة (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)، لابن القيم، شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٩١- **شرح الكوكب المنير**، لابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٩٢- **شرح المفصَّل**، لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٩٣- **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٤٢٨هـ.

٢٩٤- **شرح الوسطى**، لأبي عبد الله بن يوسف السنوسي، بحث مرقوم في خزانة كلية الآداب بالرباط، لنيل دبلوم الدراسات العليا، للباحث: عبد العزيز أسعد، ١٩٩٨-١٩٩٩م.

٢٩٥- **شرح حديث النزول**، لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٢٩٦- **شرح صلاة ابن العربي الحاتمي**، لأحمد بن عجيبة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٩٧- **شرح صلاة القطب بن مشيش**، لأحمد بن عجيبة، جمع وتقديم: العمراني الخالدي عبد السلام، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٩٨- **شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في كتابة الرسالة**، للقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية، دراسة وتحقيق، د. أحمد محمد نور سيف، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٩٩- **شرح قصيدة الرفاعي، يامن تعاظم**، لأحمد بن عجيبة، ضمن سلسلة نورانية فريدة، جمع وتقديم: العمراني الخالدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٠٠- **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، لعبد الله الغنيمان، دار العاصمة، الرياض.

٣٠١- **شرح كشف الشبهات**، لمحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبع على نفقة محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٠٢- **شرح مشكل الآثار**، للطحاوي، حققه وضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٠٣- **شرح نونية الششتري**، لأحمد بن عجيبة، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد العدلوني الأدريسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٣٠٤- **شعب الإيمان**، للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٠٥- **الشعر الدلائي**، لعبد الجواد السقاط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٦م.

٣٠٦- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**، للقاضي عياض، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٣٠٧- **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، لابن خلدون، وملحق به ثلاث رسائل في السلوك الصوفي، لابن عباد، والقبَّاب، واليوسي، تحقيق: د. محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٠٨- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، لابن القيم، دار الصميعي، ط١، ١٤٢٩هـ.

٣٠٩- **الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق**

المخالفة، د. علي بن موسى الزهراني، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٣١٠- **الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير**، د. أحمد حسن عزوزي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط، ١٤٢٢هـ.

٣١١- **الشيخ الأكبر ابن عربي صاحب الفتوحات المكية**، د. محمد إبراهيم الفيومي، مشاهير الكتاب العرب، للناشئة والشباب، الدار المصرية اللبنانية. د. ط، ت.

٣١٢- **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لابن تيمية، دار ابن حزم، بيروت، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، ط١، ١٤١٧هـ.

٣١٣- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣١٤- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٣١٥- **صحيح ابن خزيمة**، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣١٦- **صحيح البخاري** = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣١٧- **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣١٨- **صريح السُّنَّة**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣١٩- **الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها**، أ. د محمد خليفة التميمي، الرياض، دار أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٢٠- **الصفات الإلهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه**، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٢١- **الصفدية**، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مصر، دار الهدي النبوي، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣٢٢- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن

محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٢٣- **صوفية المغرب حقائق وأسرار**، لمصطفى باجو، ط١، ٢٠١٤م.

٣٢٤- **الصوفية معتقدًا وسلوكًا**، د. صابر طعيمة، الرياض، دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٢٥- **صون المنطق والكلام على فن المنطق والكلام**، نشره وعلق عليه: سامي النشار، مطبعة السعادة، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، د. ت.

٣٢٦- **صيد الخاطر**، لابن الجوزي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣٢٧- **الضعفاء الكبير**، للعقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٣٢٨- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٣٢٩- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لشمس الدين السخاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٣٠- **طبقات الحفاظ**، للسيوطي، بيروت، دار الكتاب، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٣١- **طبقات الحنابلة**، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٣٣٢- **طبقات الشاذلية الكبرى**، لمحيي الدين الطعمي، دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٣٣- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٣٤- **طبقات الشافعية**، لابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

٣٣٥- **طبقات الصوفية**، للسلمي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٣٣٦- **الطبقات الكبرى**، لأبي عبد الله محمد بن سعد البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٣٣٧- **الطبقات الكبرى**، للشعراني، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٣٨- **طبقات المدلسين** (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس)، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار،

عمان، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٣٩- **طبقات المفسرين**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

٣٤٠- **طبقات فحول الشعراء**، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة.

٣٤١- **طرح التثريب في شرح التقريب**، للعراقي، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر.

٣٤٢- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لابن القيم، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ.

٣٤٣- **الطريقة الجزولية، التصوف والشرق والسلطة في المغرب**، د. أحمد الوارث، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

٣٤٤- **الطريقة الدرقاوية الشاذلية في القرن ١٣/١٩م**، د. الحاج ساسيوي الفيلالي، مطبعة وراقة سجلماسة، الزيتون، مكناس.

٣٤٥- **الطريقة الشاذلية وأعلامها**، لمحمد درنيقة، المؤسسة الجامعية، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٤٦- **طيبُ الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس**، لمحمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي، تحقيق: د. عبد المجيد خيالي، مطبعة الأمنية، الرباط، منشورات دار الأمان.

٣٤٧- **العبر في خبر من غبر**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤٨- **العبودية**، لابن تيمية، تقديم: عبد الرحمن الباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٣٩٩هـ.

٣٤٩- **العرش وما روي فيه**، لأبي جعفر محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٥٠- **العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية**، لعبد الله بن يوسف الجديع، دار الإمام مالك، دار الصميعي، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٣٥١- **العقيدة والشريعة في الإسلام**، لأجناس جولد تسيهر، ترجمة وتعليق: عدد من الباحثين، دار الرائد العربي، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصري، ١٩٤٦م.

٣٥٢- **عقيدة وحدة الوجود الخفية**، د. أحمد القصير، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٥٣- **علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين**، د. رضا بن نعسان معطي، دار الهجرة، الثقبة، ط٦، ١٤١٦هـ.

٣٥٤- **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد

الجوزي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٣٥٥- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي (ج١-١١)، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ومحمد بن صالح بن محمد الدباسي، (ج١٢-١٥)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣٥٦- **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، لعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسَّام، مطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٨هـ.

٣٥٧- **عمل اليوم والليلة**، للنسائي، تحقيق: د. فاروق حمادة، طبع على نفقة الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث العلمية، وأشرف على الطباعة المكتب التعليمي السعودي والمغربي، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٣٥٨- **عوارف المعارف**، للسهروردي، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣٥٩- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبي الطيب مع شرح ابن قيم الجوزية، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر. د.ط.

٣٦٠- **العين**، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٦١- **غاية الأماني في الرد على النبهاني**، للألوسي، تحقيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٦٢- **غريب الحديث**، لابن قتيبة، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.

٣٦٣- **غريب القرآن**، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣٦٤- **الغيلانيات**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم البغدادي الشافعي، دار ابن الجوزي، السعودية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٦٥- **الفتاوى الكبرى**، لأحمد بن تيمية، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الرايات للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣٦٦- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٣٦٧- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد

عبد الباقي، وحققه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر.

٣٦٨- **فتح العلي الأعلى بشرح القواعد المثلى**، للشيخ عبيد الجابري، مكتبة الفرقان، عجمان، الإمارات ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٦٩- **فتح القدير**، للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٧٠- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، للسخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٧١- **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، لأحمد بن عجيبة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٣٤هـ.

٣٧٢- **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، لأحمد بن عجيبة، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م.

٣٧٣- **الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الآجرومية**، لأحمد بن عجيبة، ضمن سلسلة نورانية فريدة، جمع وتقديم: العمراني الخالدي عبد السلام، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٧٤- **الفتوحات المكية**، لمحيي الدين بن عربي، المطبعة العربية، القاهرة.

٣٧٥- **الفتوحات المكية**، لمحيي الدين بن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٣٧٦- **الفتوى الحموية الكبرى**، لابن تيمية، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣٧٧- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٣٧٨- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبدالكريم اليحيى، دار الفضيلة، الرياض.

٣٧٩- **الفروق اللغوية**، للعسكري، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر.

٣٨٠- **الفروق**، = **أنوار البروق في أنواء الفروق**، للقرافي، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية د. محمد أحمد سراج، د. علي جمعة، دار السلام، ط٢، ١٤٢٨هـ.

٣٨١- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبي محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٨٢- **فصوص الحكم**، لابن عربي، تعليق: أبي العلاء عفيفي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ.

٣٨٣- **فضائح الباطنية**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي،

مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

٣٨٤- **فضائل نور سيد المرسلين**، لأحمد بن عجيبة، ضمن الجواهر العجيبة، جمع وتقديم: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٨٥- **الفكر الصوفي في ضوء القران والسُّنَّة**، لعبد الرحمن عبد الخالق، الدار السلفية، الكويت.

٣٨٦- **فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط٢، ١٩٨٢م.

٣٨٧- **الفهرسة**، لأحمد بن عجيبة، دار الغد العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ.

٣٨٨- **الفهرست**، لمحمد بن إسحاق أبي الفرج ابن النديم، قابله على أصوله وعلق عليه وقدم له: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠هـ.

٣٨٩- **فوات الوفيات**، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ١٩٧٤م.

٣٩٠- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٩١- **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، لمرينولد نيكلسون، ترجمة: أبي العلاء عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.

٣٩٢- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٣٩٣- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لابن تيمية، تحقيق: د. ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٩٤- **القاموس الصوفي من كلام عبد الرزاق الكاشاني**، د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار كتاب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ.

٣٩٥- **القاموس الصوفي، مختصر التوقيف على مهمات التعاريف**، لعبد الرءوف المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، دار عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٣٩٦- **القاموس الفقهي لغةً واصطلاحًا**، لسعدي أبي جيب، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣٩٧- **القاموس المحيط**، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٩٨- **قبيلة بني زروال مظاهرها حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية**، لمحمد البشير الفاسي الفهري، مطبوعات أفريقية الشمالية الفنية، الرباط، ١٩٦٢م.

٣٩٩- **قصيدة البردة**، ضمن المجموع الكامل للمتون، لشرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ، ١٤٢٦هـ.

٤٠٠- **القصيدة التائية في القدر**، لابن تيمية، شرح وتحقيق: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤٠١- **قطر الولي على أحاديث الولي**، لمحمد بن علي الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ط. ت.

٤٠٢- **قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، لعبد المحسن بن حمد البدر، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٤٠٣- **قواعد العقائد**، للغزالي، تحقيق: محمد موسى علي، دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤٠٤- **قواعد العقائد**، للغزالي، طبع ضمن الإحياء، وطبعة أخرى مستقلة بدار النصر للطباعة، القاهرة، سلسلة البحوث الإسلامية ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

٤٠٥- **قواعد الفقه**، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

٤٠٦- **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، لمحمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٤٠٧- **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، لأبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي، تحقيق: سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤٠٨- **القول السديد شرح كتاب التوحيد**، للشيخ السَّعدي، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣.

٤٠٩- **القول المفيد على كتاب التوحيد**، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٤١٠- **الكاشف في معرفة من له رواية بالكتب الستة**، للذهبي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٤١١- **الكافي**، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط٥، ١٣٦٣هـ.

٤١٢- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٤١٣- **كتاب الأربعين حديثًا**، الآجري، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٤١٤- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ**، لابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشيد، ط٢، ١٤١١هـ.

٤١٥- **كتاب الشريعة**، لأبي بكر محمد بن سليمان الآجري، دار الدليل الأثرية، ط١، ١٤٢٨هـ.

٤١٦- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤١٧- **كشف اصطلاحات الفنون**، للقاضي محمد التهانوي، نشر: سهيل أكاديمي، لاهور، باكستان، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٤١٨- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لإسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤١٩- **كشف الظنون**، لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٤٢٠- **كشف المحجوب**، لعلي بن عثمان الهجويري، دراسة وتحقيق: د. إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٢١- **كشف النقاب عن حكم الوجد والسماع**، لأحمد بن عمر بن إبراهيم أبي العباس الأنصاري، المعروف بابن المزين، تحقيق ودراسة: قسم التحقيق بالدار، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٢٢- **كشف النقاب عن سر الألباب**، ضمن الجواهر العجيبة، جمع وتقديم: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤٢٣- **الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**، لعبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٢٤- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ.

٤٢٥- **الكلام على مسألة السماع**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس وفق المنهج المعتمد من الشيخ بكر أبي زيد، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٣٢هـ.

٤٢٦- **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها**، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني وآخر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٧هـ.

٤٢٧- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٢٨- **الكواكب الدراري في تراجم السادة الصوفية**، لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٤٢٩- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري** (شرح الكرماني على البخاري)، لمحمد بن يوسف بن سعيد، شمس الدين الكرماني، مصور عن الطبعة المصرية، ط١، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.

٤٣٠- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٣١- **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، للسيوطي، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٤٣٢- **لبس الخرقة في السلوك الصوفي**، د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٣٣- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١.

٤٣٤- **لسان الميزان**، لابن حجر العسقلاني، دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.

٤٣٥- **اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل ابن عجيبة**، لابن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

٤٣٦- **اللمع**، لأبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، تحقيق وتعليق: د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٤٣٧- **لمعة الاعتقاد**، لابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٤٣٨- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المرضية في عقد الفرقة المرضية**، لمحمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، الرياض، ط٣، ١٤١١هـ.

٤٣٩- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المرضية في عقد الفرقة المرضية**، لمحمد بن أحمد السفاريني، مع تعليقات عبد الله أبي بطين، وسليمان بن سحمان، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، مكتبة أسامة، الرياض، د. ت.

٤٤٠- **اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية**، لأحمد بن عجيبة، ضمن الجواهر العجيبة،

جمع وتقديم: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ

٤٤١- **مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار**، لعبد اللطيف بن عبد العزيز أمين بن الملك، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، ١٤١٥هـ.

٤٤٢- **متن القصيدة النونية**، المسماة بالكافية الشافية، لابن القيم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.

٤٤٣- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي، دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي بيروت ١٤١٧هـ.

٤٤٤- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، طُبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٤٤٥- **مجموع وفتاوى الشيخ ابن عثيمين**، القسم المختص بالعقيدة، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الثريا، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤٤٦- **مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دراسة وتحقيق: أبي مُصعب طلعت بن فؤاد الحُلواني، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٤٤٧- **محاضرات في العقيدة والدعوة**، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٤٨- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٤٩- **المحكم والمحيط الأعظم**، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٤٥٠- **مختار الصحاح**، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٥١- **مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية**، لأبي محمد عبد العزيز بن محمد السلمان، ط١٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٥٢- **مختصر التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسُّنَّة**، د. على بن محمد آل دخيل الله، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٤٥٣- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد

شمس الدين ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٤٥٤- **مختصر منهاج القاصدين،** لأحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، مؤسسة علوم القرآن، ١٣٩٨هـ.

٤٥٥- **المخصص،** لابن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٤٥٦- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٤٥٧- **المدخل إلى التصوف الإسلامي،** لأبي الوفاء التفتازاني، دار الثقافة، ط٢.

٤٥٨- **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل،** لابن بدران، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ.

٤٥٩- **المدخل،** لابن الحاج، دار التراث، د. ط، ت.

٤٦٠- **مذكرة في أصول الفقه،** لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠٠١م.

٤٦١- **المذهب المالكي في سياقاته المعاصرة،** ندوة أكاديمية دولية بمشاركة مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي بالقنيطرة وبتعاون مع جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وجامعة بن طفيل بالقنيطرة، إعداد: د. جمزة الكتاني، د. عبد الله بنصر العلوي، د. محمد العلمي، دار أبي رقراق، والمؤسسة العلمية الكتانية، الرباط، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٤٦٢- **مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات،** عرض ونقد، لأحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

٤٦٣- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،** للهروي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٤٦٤- **المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا (الزاوية الناصرية)،** لمحمد بن عبد السلام الناصري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٦٥- **المسالك والممالك،** لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

٤٦٦- **مستدرك الحاكم على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٦٧- **مسند أبي داود الطيالسي**، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٤٦٨- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٤٦٩- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (ج ١ - ٩)، وعادل بن سعد (ج١٠ - ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (ج ١٨)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٤٧٠- **مسند الحميدي**، لأبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، ، دار السقا، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٦م.

٤٧١- **مسند الدارمي** المعروف بـ(**سنن الدارمي**)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م.

٤٧٢- **مسند الشاميين**، للطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٤٧٣- **مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب**، لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ، دار صادر بيروت، د. ط، ت.

٤٧٤- **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٤٧٥- **مشكل الحديث وبيانه**، لابن فورك الأنصاري، تحقيق: موسى محمد علي، دار عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٤٧٦- **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية**، لصادق سليم، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٧٧- **المصباح المنير**، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ

محمد، ، المكتبة العصرية.

٤٧٨- **مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي،** لبرهان الدين البقاعي، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل.

٤٧٩- **مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل،** لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤٢٧هـ.

٤٨٠- **المصنف،** لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٨١- **المطالب العالية من العلم الإلهي،** لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٨٢- **المطرب بمشاهير أولياء المغرب،** لعبد الله بن عبد القادر التليدي، شركة البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٤٨٣- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول،** لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٤٨٤- **معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى،** د. محمد بن خليفة التميمي، دار أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٨٥- **معجم اصطلاحات الصوفية،** لعبد الرزاق الكاشاني، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٧م.

٤٨٦- **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر،** لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٤٨٧- **معجم البلدان،** لياقوت الحموي، دار صادر، ودار بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٤٨٨- **المعجم الصغير،** للطبراني، صححه: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، دار النصر، للطباعة، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٤٨٩- **المعجم الصوفي،** د. سعاد الحكيم، دندرة، توزيع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٤٩٠- **المعجم الفلسفي،** لجميل صلبيا، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب للنسائي.

٤٩١- **المعجم الفلسفي،** لمراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٤٩٢- **معجم اللغة العربية المعاصرة،** د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٤٩٣- **المعجم المختص بالمحدثين**، للذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٩٤- **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٤٩٥- **المعجم الوسيط**، لإبراهيم مصطفى، وآخرين، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٤٩٦- **معجم مصطلحات التصوف الفلسفي**، د. محمد العدلوني الأدريسي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٤٩٧- **معجم مصطلحات الصوفية**، لعبد المنعم حنفي، دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٤٩٨- **معراج التشوف إلى حقائق التصوف**، لأحمد بن عجيبة، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤٩٩- **معلمة التصوف الإسلامي**، لعبد العزيز بن عبد الله، دار نشر المعرفة الحي الصناعي الرباط، ط١، ٢٠٠١م.

٥٠٠- **المغرب في ترتيب المعرب**، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م.

٥٠١- **المغني**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥٠٢- **المفاخر العلية في المآثر الشاذلية**، لأحمد بن محمد بن عباد الشافعي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٠٣- **مفردات ألفاظ القرآن**، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبي القاسم، دار القلم، دمشق.

٥٠٤- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، للقرطبي، تحقيق وتعليق: د. محيي الدين ديب وآخرين، دار ابن كثير، ط٤، ١٤٢٩هـ.

٥٠٥- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٠٦- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: هلموت ريتر، ط٣.

٥٠٧- **مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٥٠٨- **المقدمة،** لابن خلدون، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.

٥٠٩- **الملل والنحل،** لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي، دار الكتب، ط١، ١٤٠١هـ.

٥١٠- **المنار المنيف في الصحيح والضعيف،** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥١١- **منازل السائرين والواصلين وأسرار علم الحقيقة،** لأحمد بن عجيبة، ضمن الجواهر العجيبة، جمع وتقديم: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٥١٢- **مناهل العرفان في علوم القرآن،** لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

٥١٣- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،** لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥١٤- **منحة الباري بشرح صحيح البخاري،** المسمى تحفة الباري، لزكريا الأنصاري المصري الشافعي، تحقيق: سليمان بن دريع الحازمي، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٥١٥- **منشورات جمعية تطاون أسيمر**، أعمال ندوة: الشيخ أحمد بن عجيبة، المفكر والعالم الصوفي، مطبعة الخليج العربي، شارع الحسن الثاني، تطوان، ط١، ٢٠٠٦م.

٥١٦- **المنقذ من الضلال،** ومعه كيمياء السعادة والقواعد العشرة والأدب في الدين، للغزالي، مؤسسة الكتب الثقافية، د. ط، ت.

٥١٧- **منهاج السُّنَّة النبوية،** لابن تيمية، مؤسسة قرطبة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ.

٥١٨- **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح،** تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥١٩- **المنهاج في شعب الإيمان،** للحليمي، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٥٢٠- **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات،** للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، دار السلفية الكويت، ط٤، ١٤٠٤هـ.

٥٢١- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي،** ليوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبي المحاسن، تحقيق: د. محمد محمد أمين، دار الهيئة المصرية للكتاب، د. ط.

٥٢٢- **منية السول في تفضيل الرسول ﷺ**، للدمشقي، رواية: الحافظ شرف الدين أبي عبدالله محمد

الميدومي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥٢٣- **مواعظ حامدية**، لسلامة حسن الراضي، مطبعة القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٥٢٤- **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢٣هـ.

٥٢٥- **الموافقات**، للشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٥٢٦- **المواقف في علم الكلام**، لعضد الدين الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٥٢٧- **المواهب الربانية من الآيات القرآنية**، للسعدي، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٢٨- **المؤتَلِف والمختَلِف**، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٥٢٩- **المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال**، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي، مكتبة الفرقان، الإمارات، عجمان، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٥٣٠- **موسوعة التصوف الميسَّرة**، د. آزار سعيد سمو وآخرون، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ.

٥٣١- **موسوعة التصوف**، دراسة تحليلية نقدية جامعة وموثقة، د. عبد الباسط الناشي، دار التونسية للكتاب، ط١، ٢٠١١م.

٥٣٢- **الموسوعة الصوفية**، د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٩٩٢م.

٥٣٣- **الموسوعة العربية الميسرة**، د. محمود محمد حافظ وآخرون، إشراف: محمد شفيق غربال، دار الجيل بيروت، الجمعية المصرية القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٣٤- **موسوعة الفلسفة**، لعبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدار والنشر، ١٩٩٦م.

٥٣٥- **الموسوعة المنتخبة من المتون الشرعية المتداولة**، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٥٣٦- **الموضوعات**، لابن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: د. نور الدين بن شكري، دار أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

٥٣٧- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٥٣٨- **مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، القسم المختص بالعقيدة، المجلد الأول، مكتبة ابن تيمية.

٥٣٩- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م.

٥٤٠- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود.

٥٤١- **النادرات العينية**، لعبد الكريم الجيلي، تحقيق: يوسف زيدان، دار الأمين، ط١، ١٤١٩هـ.

٥٤٢- **النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين**، لحمد بن ناصر بن معمر، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٤٣- **نبذة عن مناقب الزهاد السبعة**، لأحمد بن عجيبة، ضمن الجواهر العجيبة، جمع وتقديم: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٥٤٤- **النبوات**، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٥٤٥- **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٥٤٦- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، للأتابكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، ٨١٣- ٨٧٤هـ.

٥٤٧- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، للأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٤٨- **نظرية الاتصال عند الصوفية**، د. سارة آل جلوي، جدة، دار المنارة، ط١، ١٤١١هـ.

٥٤٩- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٥٠- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٥٥١- **النفحة العلية في أوراد الشاذلية**، لعبد القادر زكي، مكتبة المتنبي.

٥٥٢- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد**، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: د. رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشيد، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٥٥٣- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،** لأحمد بن علي القلقشندي، دار الكتاب اللبنانيين بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ .

٥٥٤- **نهاية الأقدام في علم الكلام،** للشهرستاني، تحقيق: الفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٥٥٥- **النهاية في الفتن والملاحم،** لابن كثير، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٥٥٦- **النهاية في غريب الحديث والأثر،** لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٥٥٧- **النوافح الغالية في الأمداح السليمانية،** لحمدون الحاج السلمي، دراسة وتحقيق: د. أحمد العراقي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٥٥٨- **النور البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق،** لمحمد داود، تطوان، المطبعة المهدية، ١٩٨٦م.

٥٥٩- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج،** للتنبكتي، دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م.

٥٦٠- **نيل الأوطار،** للشوكاني، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٦١- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،** لابن قيم الجوزية، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٥٦٢- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون،** لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.

٥٦٣- **هذه الصوفية،** لعبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٤م.

٥٦٤- **الوابل الصيب من الكلم الطيب،** لابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

٥٦٥- **الواسطة بين الحق والخلق،** لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن جميل زينو، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١.

٥٦٦- **الوافي بالوفيات،** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، اعتناء: هلموت ريتر، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٥٦٧- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٥٦٨- **اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر،** لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني، دار صادر،

بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٥٦٩- **يوسف وزليخا**، لنور الدين عبد الرحمن الجامي، ترجمة وتعليق: عبد العزيز بقوش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ثالثًا: المجلات العلمية:

٥٧٠- **إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾**، لمرعي بن يوسف الكرمي (ت١٠٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الله التركي، مستلة من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، يونيو ٢٠٠٩م.

٥٧١- **تاريخ الزوايا والطرقية بالمغرب**، مجلة أمل، عدد، ٢٢، ٢٣، السنة ٢٠٠١م، ص٢٠، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب،

٥٧٢- **درج الدُّرر في تفسير الآي والسُّوَر**، للجرجاني، دراسة وتحقيق: وليد بن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (الفاتحة والبقرة)، وشاركه في بقية الأجزاء: إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٥٧٣- **دعوة الحق**، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر، أسسها الملك محمد الخامس، السُّنَّة الثانية والخمسون، العدد ٣٩٥، ربيع الثاني، ١٤٣١هـ، مطبعة الأمنية، الرباط.

٥٧٤- **قوانين صوفية**، لابن عجيبة، تحقيق: حسناء ابن عجيبة، ومهدية ابن عجيبة، بحث مرقوم بمكتبة الملك عبد العزيز للعلوم الإسلامية والإنسانية، المغرب، الدار البيضاء، وهو ضمن مجلة دعوة الحق.

٥٧٥- **مساجد تطوان العتيقة وعناية الملوك العلويين بها**، مجلة دعوة الحق، لإسماعيل الخطيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد٣٨٠، ص٢٠، شوال ١٤١٥هـ.

رابعًا: المخطوطات:

٥٧٦- **آداب المريد والشيخ**، لأبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، خزانة، تطوان، ضمن مجموع رقم: ١٠٨٨.

٥٧٧- **الأدعية والأذكار الممحقة للذنوب والأوزار بالحيللة والاستغفار**، لأحمد بن عجيبة، خزانة تطوان، تحت رقم: ٢٧٤ ق. م.

٥٧٨- **أربعون حديثًا في الأصول والفروع**، لأحمد بن عجيبة، الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع يحمل رقم ٢٨٢٩د.

٥٧٩- **أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء الأعيان**، لأحمد بن عجيبة، خزانة المكتبة

الوطنية بالرباط، تحت رقم: ٢٨٦ك.

٥٨٠- **الأنوار السنية في الأذكار النبوية**، لأحمد بن عجيبة، خزانة تطوان رقم ٨٥٣.

٥٨١- **تفسير الفاتحة الصغير**، لأحمد بن عجيبة، دار الكتب المصرية، تحت رقم١٣٣٣/١٩٣٦.

٥٨٢- **حاشية على الجامع الصغير**، للسيوطي، خزانة المكتبة الوطنية في الرباط، تحت رقم: ١٨٣١.

٥٨٣- **رسائل في العقائد والصلاة**، لأحمد بن عجيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة، تحت مجاميع شنقيطى ٤/٧.

٥٨٤- **شورا الطوية في مذهب الصوفية**، للعربي الدرقاوي، مجموعة رسائل العربي الدرقاوي خزانة المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: ١٨٥٦د.

٥٨٥- **كنز الأسرار ومعدن الأخيار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي، وبعض أصحابه الأخيار**، لمحمد أبي زيان المعسكري، خزانة المكتبة الوطنية بالرباط، تحت رقم: ٢٣٣٩د.

خامسًا: المواقع الإلكترونية:

٥٨٦- ترجمة لجورج سالمون عن طريق هذا الرابط:

http: //www. aranthropos. com

٥٨٧- موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية:

http: //www. shazly. com

٥٨٨- موقع:

http: \\www. aljounaid. ma/article. aspx com.

ثامناً: فهرس الموضوعات

المقدمة ٣
أهمية الموضوع وأسباب اختياره: ٧
أهدف البحث: ٧
الدراسات السابقة: ٧
خطة البحث: ١١
الصعوبات التي واجهت الباحث: ١٥
منهج البحث: ١٧
الشكر والتقدير ١٨
التمهيد: ٢١
ترجمة ابن عجيبة ترجمة موجزة ٢٣
أولًا: اسمه ونسبه وكنيته ٢٣
ثانيًا: ولادته ٢٦
ثالثًا: نشأته ٢٧
رابعًا: طلبه للعلم ٢٨
خامسًا: شيوخه ٢٩
سادسًا: تلاميذه ٣١
سابعًا: مؤلفاته ٣٢
ثامنًا: وفاته ٤٦
التعريف بالطرق الصوفية إجمالًا ٤٨
١ – الطريقة القادرية ٤٩
٢ – الطريقة الشاذلية ٥٠
٣ – الطريقة النقشبندية ٥١
٤ – الطريقة الرفاعية ٥١
٥ – الطريقة البكتاشية ٥٢
٦ – الطريقة التجانية ٥٣

٧- الطريقة الجزولية ٥٣
٨- الطريقة العيساوية ٥٤
٩- الطريقة التباغية ٥٥
١٠- الطريقة الغزوانية ٥٥
١١- الطائفة الناصرية ٥٦
الباب الأول: مصادر التلقي عند ابن عجيبة ٥٧
الفصل الأول: الكتاب والسنة ٥٩
المبحث الأول: الكتاب ٦١
أولًا: مسألة: تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة وأدلته عليها ٧٦
ثانيًا: زعمه أن النبي ﷺ هو واضع علم الحقيقة والشريعة ٨٢
ثالثًا: استدلاله بالقول المنسوب إلى عمر رضي الله عنه ٨٣
رابعًا: استدلاله بالآيات على مسألة التفسير الحرفي الإشاري لدى الصوفية، والتفسير الباطني ٨٤
خامسًا: استدلاله بالكتاب، وذلك عندما فسّر الرواسي بالأبدال في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ٩٢
المبحث الثاني: السُّنَّة ٩٦
الجهة الأولى: أدلة الكتاب والسُّنَّة ليست يقينيَّة، بل ظنيَّة ٩٦
الجهة الثانية: أخبار الآحاد تُقبل في أبواب الأعمال دون الاعتقاد ٩٩
الجهة الثالثة: استدلاله بصحيح السُّنَّة على وحدة الوجود ١٠٣
الجهة الرابعة: الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٠٤
الفصل الثاني: المصادر الصوفية في التلقِّي ١١١
المبحث الأول: الكشف ١١٣
أولًا: معنى الكشف في اللغة ١١٣
ثانيًا: معناه في الاصطلاح ١١٣
ثالثًا: تعريفه عند ابن عجيبة ١١٣
رابعًا: ذكره للعلوم الغيبية التي تحصل عن طريق الكشف ١١٨
خامسًا: طريق حصول الكشف عند ابن عجيبة ١٢٣

المبحث الثاني: الذوق ١٤١
أولًا: معنى الذوق في اللغة ١٤١
ثانيًا: في اصطلاح الصوفية ١٤١
ثالثًا: الذوق والوجدان أساسٌ لمعرفة التوحيد عند ابن عجيبة ١٥١
المبحث الثالث: الوجد ١٥٧
أولًا: معنى الوجد في اللغة ١٥٧
ثانيًا: معنى الوجد عند الصوفية ١٥٧
ثالثًا: أدلة ابن عجيبة على الوجد ١٦٦
المبحث الرابع: الرؤى والحكايات ١٧٢
أولًا: الرؤى ١٧٢
ثانيًا: الحكايات ١٨٢
المبحث الخامس: دعوى التلقي عن الخضر عليه السلام ١٩٦
أولًا: رأي ابن عجيبة في الخضر عليه السلام أنبيٌّ هو أم ولي ١٩٦
ثانيًا: زعم ابن عجيبة أنَّ الخضر عليه السلام حيٌّ وأنه خاطبه ١٩٩
الباب الثاني: آراء ابن عجيبة في أصول الإيمان ومسائله ٢٠٧
الفصل الأول: آراؤه في الإيمان بالله ٢٠٩
المبحث الأول: مسائل الربوبية ٢١١
أولًا: تعريف التوحيد في اللغة ٢١١
ثانيًا: تعريف التوحيد اصطلاحًا ٢١١
ثالثًا: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح ٢١٢
رابعًا: تعريف ابن عجيبة لتوحيد الربوبية لغة ٢١٤
خامسًا: تعريف التوحيد اصطلاحًا ٢١٤
سادسًا: تقسيم التوحيد عند ابن عجيبة ٢٢٢
سابعًا: الشرك في الربوبية ٢٣١
ثامنًا: طريقة ابن عجيبة في إثبات دلائل توحيد الربوبية ٢٣٥
تاسعًا: زعم ابن عجيبة أن التوحيد الخاص سرٌّ لا يمكن لأحدٍ معرفته ولو ظهر لأبيح دم من أظهره ٢٣٩

المبحث الثاني: مسائل الأسماء والصفات ٢٤٢
أولًا: تعريف الاسم والصفة لغةً ٢٤٢
ثانيًا: تعريف توحيد الأسماء والصفات اصطلاحًا ٢٤٣
ثالثًا: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته ٢٤٤
رابعًا: الأسس الثلاثة التي يرتكز عليها معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته ٢٤٥
خامسًا: موقفه من أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى ٢٤٥
أولًا: آراؤه في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحُسنى ٢٤٦
أ: طريقته في إثبات الأسماء الحسنى ٢٤٦
ب: شرح ابن عجيبة أسماء الله الحسنى بما يوافق معتقده الأشعري ٢٤٨
ج: تسميته لله عَزَّوَجَلَّ بما لم يرد في الكتاب والسُّنَّة ٢٥٦
مسألة: الاسم والمسمَّى وموقف ابن عجيبة منها ٢٥٨
ثانيًا: آراؤه في صفات الله تعالى ٢٦٤
أ- تقسيم الصفات وطريقته في إثباتها ٢٦٤
ب- تأويلاته في باب الصفات ٢٧١
ج - التفصيل في النفي مع ذكر الألفاظ المجملة ٣١٥
د- قوله بالمجاز في الأسماء والصفات ٣٢٣
المبحث الثالث: مسائل الألوهية ٣٢٦
أولًا: تعريف الألوهية لغةً واصطلاحًا ٣٢٦
ثانيًا: معنى الإله عند ابن عجيبة ٣٢٧
ثالثًا: معنى توحيد الألوهية ٣٢٩
ثالثًا: معنى لا إله إلا الله ٣٣٧
رابعًا: أعلى درجات التوحيد عند ابن عجيبة ٣٣٨
خامسًا: العبادة ٣٤٠
سادسًا: موقف ابن عجيبة من بدع الصوفية في توحيد العبادة ٣٧٤
عاشرًا: الشرك في الألوهية ٤٠٢

الفصل الثاني: آراؤه في الإيمان بالملائكة ٤٢١
المبحث الأول: معنى الإيمان بالملائكة ٤٢٢
أولًا: تعريف الملائكة لغةً ٤٢٢
ثانيًا: تعريف الملائكة شرعًا ٤٢٣
ثالثًا: رأيه في معنى الإيمان بالملائكة ٤٢٤
رابعًا: قدرتهم على التشكُّل، أو التمثُّل ٤٢٦
خامسًا: عددهم ٤٢٨
سادسًا: أعمالهم ٤٢٩
المبحث الثاني: خلق الملائكة ٤٣٦
المبحث الثالث: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر ٤٤١
الفصل الثالث: آراؤه في الإيمان بالكتب ٤٤٥
المبحث الأول: تعريف الكتب ٤٤٧
أولًا: الكتب لغةً ٤٤٧
ثانيًا: الكتب شرعًا ٤٤٧
المبحث الثاني: منزلة الإيمان بالكتب من الإيمان ٤٤٨
أولًا: رأي ابن عجيبة في الكتب المتقدِّمة ٤٥١
ثانيًا: استدلال ابن عجيبة على الإيمان بالكتب ٤٥٢
ثالثًا: الإيمان بالقرآن الكريم ومنزلته ٤٥٥
رابعًا: وجوه إعجاز القرآن ٤٥٩
خامسًا: القرآن معجزة النبيﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ٤٦٣
سادسًا: تفاضل آيات القرآن ٤٦٥
سابعًا: تحريف الكتب السَّابقة ٤٦٧
الفصل الرابع: آراؤه في الإيمان بالرسل والأنبياء ٤٧١
المبحث الأول: الإيمان بالرسل والأنبياء عمومًا ٤٧٣
أولًا: تعريف النَّبي والرَّسول في اللغة ٤٧٣
ثانيًا: تعريف النَّبي والرَّسول في الشَّرع والفرق بينهما ٤٧٤
ثالثًا: رأيه فيما يجب ويستحيل في حَقِّ الرُّسل والأنبياء -عليهم السَّلام- وبِمَ تحصل النُّبُوَّة ٤٧٧

رابعًا: الإيمان بالنَّبيِّ محمَّدﷺ وذكر ما جاء في خصائصه ٤٨٢
المبحث الثاني: الفرق بين النبي والولي ٤٩٣
أولًا: تعريف الولي في اللُّغة والاصطلاح ٤٩٣
ثانيًا: رأي ابن عجيبة في الوليِّ والنَّبي ٤٩٣
المبحث الثالث: عقيدته في الرسول محمد ﷺ ٥٠٩
أولًا: رأيه فيما يسمَّى بالحقيقة المحمَّدية ٥٠٩
ثانيًا: رأْيُ ابن عجيبة أنَّ الكون خُلِقَ من أجل محمَّد ﷺ ٥١٨
ثالثًا: تقسيم ابن عجيبة للنَّاس في طريقة صلاتهم على النبي ﷺ ٥٢٢
الفصل الخامس: آراؤه في الإيمان باليوم الآخر ٥٢٥
المبحث الأول: أشراط الساعة ٥٢٧
أولًا: تعريف الأشراط في اللغة ٥٢٧
ثانيًا: تعريفها في الشَّرع ٥٢٨
ثالثًا: تقسيم العلماء لأشراط السَّاعة ٥٢٨
رابعًا: وقت قيام الساعة ٥٢٩
رابعًا: رأيه فيما قيل في تحديد عمر الدنيا. ٥٣٢
خامسًا: أشراط الساعة الصغرى ٥٣٣
سادسًا: أشراط الساعة الكبرى ٥٣٦
المبحث الثاني: أحوال اليوم الآخِر ٥٥٥
أولًا: تعريف اليوم الآخر ٥٥٥
ثانيًا: معنى الإيمان باليوم الآخر ٥٥٦
ثالثًا: فتنة القبر ٥٥٧
رابعًا: النَّفخ في الصور والصعق ٥٦٠
خامسًا: الحشر وأهل الموقف ٥٦٥
سادسًا: الميزان والحساب ٥٧٠
سابعًا: الصراط ٥٧٤
ثامنًا: حقيقة الروح وعلاقتها بوحدة الوجود عند ابن عجيبة: ٥٧٦
تاسعًا: علاقتها بوحدة الوجود ٥٨١

المبحث الثالث: الجَنَّة والنَّار ٥٨٣
أولًا: الجَنَّة والنار مخلوقتان موجودتان ٥٨٣
ثانيًا: الجنة والنار لا تفنيان ٥٨٥
ثالثًا: مكان الجَنَّة ٥٨٥
الفصل السادس: آراؤه في الإيمان بالقدر ٥٨٧
المبحث الأول: معنى القدر ومراتبه ٥٨٩
أولًا: تعريف القدر ٥٨٩
ثانيًا: تعريف القضاء ٥٩٠
ثالثًا: تعريف ابن عجيبة ٥٩١
رابعًا: مراتب القدر ٥٩١
خامسًا: المخالفات العقدية التي قرَّرها ابن عجيبة في مسائل القدر ٥٩٥
المبحث الثاني: أفعال العباد ٦١٨
أولًا: مفهوم الكسب عند الأشاعرة، ومقصود ابن عجيبة من قوله: (لا فاعل إلا الله) ٦١٨
ثانيًا: دلالة الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف على أنَّ العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم..... ٦٢٦
ثالثًا: موقف أهل السُّنَّة والجماعة من أفعال العباد ٦٢٨
المبحث الثالث: المشيئة والإرادة ٦٢٩
أولًا: الإرادة الكونية القدريَّة ٦٣٠
أولًا: الإرادة الدينيَّة الشرعيَّة ٦٣٠
الفصل السابع: آراؤه في مسائل الإيمان ٦٣٥
المبحث الأول: مفهوم الإيمان والفرق بينه وبين الإسلام ٦٣٧
أولًا: تعريف الإيمان في اللغة ٦٣٧
ثانيًا: تعريف الإيمان في الشرع ٦٣٨
ثالثًا: تعريف ابن عجيبة للإيمان، وحقيقة العمل فيه ٦٣٩
رابعًا: الفرق بين الإيمان والإسلام ٦٤٤
المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه ٦٥٢
أولًا: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه من القرآن ٦٥٢
ثانيًا: أدلَّة زيادة الإيمان ونقصانه من السُّنَّة ٦٥٣

ثالثًا: رأي ابن عجيبة في زيادة الإيمان ونقصانه ٦٥٦
المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة ٦٥٩
أولًا: تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر ٦٥٩
ثانيًا: أدلة الكتاب والسُّنَّة على ذلك ٦٥٩
ثالثًا: حد الكبيرة وحصرها ٦٦٠
رابعًا: حكم مرتكب الكبيرة ٦٦٦
الباب الثالث: آراء ابن عجيبة الصوفية ٦٦٩
الفصل الأول: المريد والشيخ ٦٧١
المبحث الأول: مفهوم المريد والشيخ ٦٧٣
أولًا: مفهوم المريد والشيخ ٦٧٣
ثانيًا: أمور يجب على المريد أن يسلكها ٦٧٥
ثالثًا: تجرُّد المريد عن المال ٦٧٩
المبحث الثاني: الصلة بين المريد والشيخ ٦٨٦
أولًا: الطاعة التامَّة والتعظيم المفرط ٦٨٦
ثانيًا: طريقة تأسيس العلاقة بين المريد والشيخ ٦٩٤
ثالثًا: آداب المريد مع شيخه ٦٩٧
الفصل الثاني: الولاية والكرامة ٧٠١
المبحث الأول: الولاية ومراتب الأولياء ٧٠٣
أولًا: تعريف الولاية ٧٠٣
ثانيًا: تعريف الولي ٧٠٣
ثالثًا: أسباب حصول الولاية ٧٠٨
رابعًا: زَعَم أنَّ الولي يرث النَّبي ٧١١
خامسًا: أقسام الولاية ٧١٣
سادسًا: إخفاء الولاية وأن تكون سرًّا من الأسرار. ٧١٥
سابعًا: مراتب الأولياء ٧١٩
المبحث الثاني: الكرامة وأقسامها ٧٢٨
أولًا: تعريف الكرامة في اللغة ٧٢٨

ثانيًا: تعريف الكرامة في الاصطلاح ٧٢٨
ثالثًا: تعريف الكرامة عند الصوفية ٧٢٩
رابعًا: أقسام الكرامات ٧٣٧
الفصل الثالث: الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ٧٤٣
المبحث الأول: الحلول والاتحاد ٧٤٥
أولًا: تعريف الحلول والاتحاد. ٧٤٥
ثانيًا: موقفه من الحلول والاتحاد ٧٤٦
المبحث الثاني: وحدة الوجود ٧٥٢
أولًا: معنى وحدة الوجود في اللغة ٧٥٢
ثانيًا: معنى وحدة الوجود اصطلاحًا ٧٥٢
الثانية: القائلون بأنَّ وجود الله عَزَّوَجَلَّ هو الوجود المطلق والمعيَّن. ٧٥٤
الثالثة: القائلون ما ثَمَّ غير الله، ولا سوى بأيٍّ وجه ٧٥٥
ثالثًا: أسماء وحدة الوجود كما بيَّنها ابن عجيبة ٧٥٦
رابعًا: شبهات ابن عجيبة للدلالة على وحدة الوجود ٧٦٠
خامسًا: حكم من اعتقد وحدة الوجود ٧٦٣
الفصل الرابع: الأحوال والمقامات ٧٦٧
المبحث الأول: الأحوال ٧٦٩
أولًا: تعريف الحال في اللغة والاصطلاح ٧٦٩
ثانيًا: أمثلة على الأحوال ٧٧٥
المبحث الثاني: المقامات ٧٨٤
أولًا: تعريف المقام ٧٨٤
ثانيًا: تعيين المقامات والأحوال ٧٨٥
ثالثًا: أمثلة على المقامات ٧٨٨
المبحث الثالث: الصلة بين الأحوال والمقامات ٧٩٩
الفصل الخامس: موقفه من أعلام الصوفية وطرقها وأثره على من بعده ٨٠١
المبحث الأول: موقفه من أعلام الصوفية ٨٠٣

المبحث الثاني: موقفه من طرقها ٨١٠
المبحث الثالث: أثره على من بعده ٨١٥
أ- أثره على من خلفه في الطريقة ٨١٥
ب- أثره على أسرته ٨١٦
ج- أثره على من بعده في العصر الحاضر ٨٢٢
د- امتداد الطريقة الدرقاوية. ٨٢٣
الفصل السادس: التعريف بالطريقة الدرقاوية، ودوره في تأسيسها وموقف علماء أهل السنة منها .. ٨٢٥
المبحث الأول: التعريف بالطريقة الدرقاوية ٨٢٧
أ- التعريف بالطريقة الدرقاوية وسبب تسميتها ٨٢٧
ب- الطريقة الدرقاوية وانتشارها ٨٣٣
المبحث الثاني: دوره في تأسيسها ٨٣٨
المبحث الثالث: موقف أعلام السُّنَّة من الطريقة الدرقاوية ٨٤١
موقف أعلام السُّنَّة من من الطريقة الدرقاوية: ٨٤١
موقف أعلام السُّنَّة من قول ابن عجيبة (إنَّ أهل السُّنَّة هم الأشاعرة): ٨٤٣
الخاتمة ٨٤٧
التوصيات ٨٥٢
الملاحق ٨٥٣
الفهارس العلمية ٨٦٣
أولًا: فهرس الآيات القرآنية ٨٦٥
ثانيًا: فهرس الأحاديث والآثار ٨٩٨
ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم ٩٠٩
رابعًا: فهرس المصطلحات والغريب ٩١٧
خامسًا: فهرس الأماكن والبلدان ٩٢٣
سادسًا: فهرس الفرق والمذاهب ٩٢٦
سابعًا: فهرس المصادر والمراجع ٩٢٧
ثامنًا: فهرس الموضوعات ٩٦٩

تم بحمد الله



آراء ابن عجيبة العقدية
عرضًا ونقدًا
تأليف
الدكتور/ عبد الهادي بن عوض العمري
الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م